

(٦٩٠)

التنين

في كتب التراث

د/ يوسف بن حمود الحوشان

١٤٤٤هـ

نسخة أولية من غير ترتيب او مراجعة

ومتاح لكل أحد الاستفادة منها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله اما بعد

فهذه نصوص جمعت باستخدام برنامج شاملة وورد من برمجيات الدكتور سعود العقيل بواسطة المكتبة الشاملة

معتمدة على توظيف الكلمة المفتاحية وتوفير النصوص للباحثين لتحريرها والاستفادة منها وهي مشاعة لمن يستفيد منها

وسيتبعها نصوص أخرى يسر الله نشرها والله الموفق

يوسف بن حمود الحوشان

yhoshan@gmail.com

تليجرام https://t.me/dralhoshan

١٦٣٤ – حدثنا أبو أيوب وعبد القدوس ويحيي بن سعيد عن أرطاة عن ضمرة بن حبيب قال
سمعت جبير بن نفير يقول إن يأجوج ومأجوج ثلاثة أصناف صنف طولهم كالأرز والشربين
قال أبو جعفر الأرز هو شيء شبه الشجر كذا ذاهب في السماء مائة ذراع أو عشرين ومائة ذراع أقل أو أكثر
وصنف طولهم وعرضهم سواء وصنف يفترش الرجل منهم أذنه ويلتصق بالأخرى فيغطي بها سائر جسده
١٦٣٥ – حدثنا أبو المغيرة عن إسماعيل بن عياش عن أبي بكر بن أبي مريم الغساني حدثني أشياخنا
عن كعب قال إن التنين يكون حية فيؤذي أهل البر من أهل الأرض فيلقيها الله من البر إلى البحر فإذا صاحت
دواب البحر منه بعث الله عليه من ينقله من البحر إلى الأرض إلى يأجوج ومأجوج فيجعله رزقا لهم ." (١)

" ١٦٣٦ – حدثنا بقية وعبد القدوس عن صفوان بن عمرو عن حوشب بن سيف المعافري
حدثني أزداد بن أفلح المقرائي أنه كان هو وجابر بن أزداد المقرائي منصرفين إلى منزلهما بعد راهط بقليل يعني بعد غزوة يقال لها راهط

فقال له جابر هل لك في زيارة عمرو البكالي

قال نعم

قال فانطلقنا حتى دخلنا منزله فوجدنا الجند قد عادوه وهو قاعد يحدثهم فذكر رجل التنين

فقال عمرو هل تدرون كيف يكون التنين

قالوا وكيف يكون

قال يكون حية تعدو على حية فتأكلها ثم تصير تأكل الحيات وتعظم وتنتفخ وتزداد في حمتها حتى تحرق فإذا عدت على دواب الأرض فأهلكتها ساقها الله حتى تأتي نهرا لتعبره فيضربها تيار المار حتى يدخلها البحر فتصنع في دواب البحر كما صنعت في دواب الأرض فتعظم وتزداد في حمتها حتى تعج دواب البحر منها إلى الله فيبعث الله إليها ملكا فيرميها حتى تخرج رأسها من الماء ثم يدني إليها السحاب ." (٢)

"دمائهم وشحومهم فيلبث الناس سنوات يحتطبون من سلاحهم ثم يلبثون سبع سنين ثم يبعث الله ريحا في قبض أرواح المؤمنين.

أبو أيوب وعبد القدوس ويحي بن سعيد عن أرطاة عن ضمرة بن حبيب قال سمعت جبير بن نفير يقول إن يأجوج ومأجوج ثلاثة أصناف صنف طولهم كالأرز والشربين قال أبو جعفر الأرز هو شئ شبه الشجر كذا ذاهب في السماء مائة ذراع أو عشرين ومائة ذراع أقل أو أكثر وصنف طولهم وعرضهم سواء وصنف يفترش الرجل منهم أذنه ويلتحف بالأخرى فيغطي بها سائر جسده.

حدثنا نعيم ثنا أبو المغيرة عن إسماعيل بن عياش عن أبي بكر بن أبي مريم الغساني حدثني أشياخنا عن كعب قال إن التنين

(١) الفتن نعيم بن حماد – ت الزهيري، ٢/٥٨٥

(٢) الفتن نعيم بن حماد – ت الزهيري، ٢/٥٨٦

يكون حية فيؤذي أهل البر من أهل الأرض فيلقها الله من البر إلى البحر فإذا صاحت دواب البحر منه بعث الله عليه من ينقله من البحر إلى الأرض إلى يأجوج ومأجوج فيجعله رزقا لهم.

بقية وعبد القدوس عن صفوان بن عمرو عن حوشب بن سيف المعافري حدثني أزداد بن أفلح المقرائي أنه كان هو وجابر بن أزداد المقرائي منصرفين إلى منزلهما بعد راهط (١) بقليل يعني بعد غزوة يقال لها راهط فقال له جابر هل لك في زيارة عمرو البكالي ؟ قال نعم قال فانطلقنا حتى دخلنا منزله فوجدنا الجند قد عادوه وهو قاعد يحدثهم فذكر رجل التنين فقال عمرو وهل تدرون كيف يكون التنين ؟ قالوا وكيف يكون ؟ قال تكون حية تعدو على حية فتأكلها ثم تصير تأكل الحيات وتعظم وتنتفخ وتزداد في حمتها حتى تحرق فإذا عدت على دواب الأرض فأهلكتها ساقها الله حتى تأتي نهرا لتعبره فيضربها تيار الماء حتى يدخلها البحر فتصنع في دواب البحر كما صنعت في دواب الأرض فتعظم وتزداد في حمتها حتى تعج دواب البحر منها إلى الله فيبعث الله إليها ملكا فيرميها حتى تخرج رأسها من الماء ثم يدني إليها السحاب والبرق حتى يحملها فيلقيها إلى يأجوج ومأجوج تكون أرزاقهم فيحترزونها كما تحتزرون الإبل والبقر.

قال أبو المغيرة فأخبرني إسماعيل بن عياش عن صفوان حدثني شريح بن عبيد عن

---

(١) معركة مرج راهط في أحواز دمشق سنة ٦٤ هـ / ٦٨٤ م بين قبائل قيس والقبائل اليمانية انجلت عن نصر اليمانية وتثبيت خلافة مروان بن الحكم ضد عبد الله بن الزبير.

أنظر كتابي تاريخ العرب والاسلام.

ط.

بيروت ١٩٧٥ ص ١٦٢.

(*)".(١)

"٨٣٢ – حدثنا الفريابي قال : حدثنا أحمد بن عيسى المصري قال حدثنا عبد الله بن وهب قال : أنبأنا عمرو بن الحارث ، أن أبا السمح دراجا حدثه ، عن ابن حجيرة ، عن أبي هريرة ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أتدرون فيما أنزلت هذه الآية : فإن له معيشة ضنكا (١) ؟ أتدرون ما الضنك ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم قال : » عذاب الكافر في قبره ، والذي نفسي بيده إنه ليسلط عليه تسعة وتسعون تنينا ، أتدرون ما التنين ؟ تسع وتسعون حية ، لكل حية سبعة أرؤس ، ينفخون جسمه ، ويلسعونه ، ويخدشونه إلى@." (٢)

" الذي كان فيكم أي رجل هو ماذا تقول فيه وماذا تشهد به عليه فيقول أي رجل فيقال الذي كان فيكم فلا يهتدي لإسمه حتى يقال محمد فيقول ما أدري سمعت الناس قالوا قولا فقلت كما قال الناس فيقال له على ذلك حييت وعلى ذلك مت وعلى ذلك تبعث إن شاء الله ثم يفتح له باب من أبواب النار فيقال له ذلك مقعدك من النار وما أعد

---

(١) الفتن لنعيم بن حماد، ص/٣٥٨

(٢) الشريعة للآجري، ٣/١٢٧٢

الله لك فيها فيزداد حسرة وثبورا ثم يفتح له باب من أبواب الجنة فيقال له هذا مقعدك من الجنة وما أعد الله لك فيها لو أطعته فيزداد حسرة وثبورا ثم يضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه قال أبو هريرة فذلك قول الله عز و جل فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى

٦٨ – أخبرنا أبو صالح بن أبي طاهر العنبري أنا جدي يحيى بن منصور القاضي نا محمد بن إسماعيل الإسماعيلي نا هارون بن سعيد الأيلي أنا عبد الله بن وهب حدثني يحيى بن منصور أخبرني عمرو بن الحارث عن دراج عن أبي حجيرة عن أبي هريرة أن رسول الله قال المؤمن في قبره في روضة خضراء ويرحب قبره سبعون ذراعا وينور له كالقمر ليلة البدر أتدرون فيما نزلت هذه الآية فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى أتدرون ما المعيشة الضنك قالوا الله ورسوله أعلم قال عذاب الكافر في قبره والذي نفسي بيده أنه ليسلط عليه تسعة وتسعون تنينا أتدرون ما **التنين** تسعة وتسعون حية لكل حية تسعة رؤوس ينفخون في جسمه ويلسعونه ويخدشونه إلى يوم القيامة

٦٩ – أخبرنا أبو الحسن بن الفضل القطان ببغداد أنا عبد الله بن جعفر نا يعقوب بن سفيان نا أبو نعيم وقبيصة قالا ثنا سفيان عن العلاء بن عبد الكريم عن أبي كربة أو كرمة قال أبو نعيم هكذا قال سفيان عن زاذان وإن للذين ظلموا عذابا دون ذلك قال عذاب القبر ." (١)

"١٦٣٥ – حدثنا نعيم ثنا أبو المغيرة، عن إسماعيل بن عياش، عن أبي بكر بن أبي مريم الغساني، حدثني أشياخنا، عن كعب، قال: «إن» **التنين** يكون حية فيؤذي أهل البر من أهل الأرض، فيلقيها الله من البر إلى البحر، فإذا صاحت دواب البحر منه بعث الله عليه من ينقله من البحر إلى الأرض إلى يأجوج ومأجوج، فيجعله رزقا لهم "." (٢)

"١٦٣٦ – حدثنا بقية، وعبد القدوس، عن صفوان بن عمرو، عن حوشب بن سيف المعافري، حدثني أزداد بن أفلح المقرائي، أنه كان هو وجابر بن أزداد المقرائي منصرفين إلى منزلهما بعد راهط بقليل، يعني بعد غزوة يقال لها راهط، فقال له جابر: هل لك في زيارة عمرو البكالي؟ قال: نعم، قال: فانطلقنا حتى دخلنا منزله فوجدنا الجند قد عادوه وهو قاعد يحدثهم، فذكر رجل **التنين**، فقال عمرو: «هل تدرون كيف يكون **التنين؟»** قالوا: وكيف يكون؟ قال: «يكون حية تعدو على حية فتأكلها، ثم تصير تأكل الحيات وتعظم وتنتفخ، وتزداد في حمتها حتى تحرق، فإذا عدت على دواب الأرض فأهلكتها ساقها الله حتى تأتي نهرا لتعبره، فيضربها تيار الماء حتى يدخلها البحر، فتصنع في دواب البحر كما صنعت في دواب الأرض، فتعظم وتزداد في حمتها حتى تعج دواب البحر منها إلى الله، فيبعث الله إليها ملكا فيرميها حتى تخرج رأسها من الماء، ثم يدني إليها السحاب -[٥٨٧]- والبرق، وحتى يحملها فيلقيها إلى يأجوج ومأجوج، تكون أرزاقهم فيجتزرونها كما تجتزرون الإبل والبقر»." (٣)

---

(١) إثبات عذاب القبر، ص/٦٢

(٢) الفتن لنعيم بن حماد نعيم بن حماد المروزي ٢/٥٨٥

(٣) الفتن لنعيم بن حماد نعيم بن حماد المروزي ٢/٥٨٦

"٣٢٥ - حدثنا عبد الله قال: حدثني إبراهيم بن سعيد، قال: حدثنا أبو اليمان الحكم بن نافع، عن صفوان بن عمرو، عن حوشب بن يوسف المعافري، عن راشد بن أفلح المقرئ، أنه حدثهم، أنهم عادوا عمرا البكالي، فذكر ذاكر **التنين**، فقال له عمرو: " ما تدرون كيف يكون تنينا؟ قال: يكون حية، فيعدو على حية فيأكلها، ثم يأكل كل الحيات، فلا يزال يأكلهن ويعظم وينتفخ، حتى يزداد في حمته، يجيء يحرق، فيعدو على دواب الأرض فيهلكها، فيسوقه الله عز وجل حتى يأتي نهرا ليعبر، فيضربه الماء حتى يدخله البحر، -[٢٠٨]- فيصنع بدواب البحر كما صنع بدواب البر، ويزداد في حمته، حتى تعج دواب البحر إلى الله عز وجل، فيبعث الله عز وجل ملكا، فيرميه حتى يخرج رأسه من الماء، ثم يدلي السحاب والبروق، فيحمله فيلقيه إلى يأجوج ومأجوج جزورا لهم، فيجزرونه كما يجزرون الإبل والبقر "." (١)

"٦٦٤٤ - حدثنا أحمد بن عيسى، حدثنا ابن وهب، حدثنا عمرو بن الحارث، أن أبا السمح، حدثه عن ابن حجيرة، عن أبي هريرة، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «المؤمن في قبره في روضة، ويرحب له قبره سبعين ذراعا، وينور له كالقمر ليلة البدر، أترون فيما أنزلت هذه الآية»: ﴿فإن له معيشة ضنكا، ونحشره يوم القيامة أعمى﴾ [طه: ١٢٤]، قال: «أتدرون ما المعيشة الضنك؟»، قالوا: الله ورسوله -[٥٢٢]- أعلم، قال: «عذاب الكافر في قبره، والذي نفسي بيده إنه ليسلط عليهم تسعة وتسعون تنينا، أتدرون ما **التنين؟**»، قال: «تسعة وتسعون حية لكل حية سبعة رءوس ينفخون في جسمه ويلسعونه، ويخدشونه إلى يوم القيامة» Kإسناده حسن." (٢)

"ذكر الإخبار عن وصف **التنين** الذي يسلط على الكافر في قبره

٣١٢٢ - أخبرنا عبد الله بن محمد بن سلم قال: حدثنا حرملة بن يحيى قال: حدثنا بن وهب قال: أخبرني عمرو بن الحارث أن أبا السمح حدثه عن بن حجيرة

عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن المؤمن في قبره لفي روضة خضراء ويرحب له قبره سبعون ذراعا وينور له كالقمر ليلة البدر أتدرون فيما أنزلت هذه الآية: ﴿فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى﴾ أتدرون ما المعيشة الضنكة؟ "." (٣)

"قالوا: الله ورسوله أعلم قال: "عذاب الكافر في قبره والذي نفسي بيده إنه يسلط عليه تسعة وتسعون تنينا أتدرون ما **التنين** سبعون حية لكل حية سبع رؤوس يلسعونه ويخدشونه إلى يوم القيامة" ١. [٣:٧١]

---

١ إسناده حسن، فإن أبا السمح -وهو دراج- أحاديثه مستقيمة إلا ما كان عن أبي الهيثم عن أبي سعيد، وهو هنا رواه عن ابن حجيرة، وهو عبد الرحمن بن حجيرة الخولاني، قاضي مصر، أخرج له مسلم وأصحاب السنن، ووثقه النسائي وغيره. وأخرجه الطبري في "تفسيره" "٢٢٨/١٦"، والآجري ص٣٥٨"، والبيهقي في "إثبات عذاب القبر" "٦٨" من طرق عن

---

(١) العقوبات لابن أبي الدنيا ابن أبي الدنيا ص/٢٠٧

(٢) مسند أبي يعلى الموصلي أبو يعلى الموصلي ٥٢١/١١

(٣) صحيح ابن حبان - محقق ابن حبان ٣٩٢/٧

عبد الله بن وهب، بهذا الإسناد. إلا أن في البيهقي زيادة "يحيى بن منصور" بين عبد الله بن وهب وعمرو بن الحارث.

وأخرجه البزار "٢٢٣٣" من طريق محمد بن يحيى الأزدي عن محمد بن عمرو عن هشام بن سعد، عن سعيد بن أبي هلال، عن ابن حجيرة تحرفت إلى: أبي حجيرة عن أبي هريرة مرفوعا. وقال الهيثمي في "المجمع" "٦٧/٧": رواه البزار وفيه من لم أعرفه.

وذكره السيوطي في "الدر المنثور" "٦٠٧/٥" و"٦٠٨" وزاد نسبته إلى ابن أبي الدنيا في "ذكر الموت" والحكيم الترمذي، أبي يعلى، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه.." (١)

"ذكر الإخبار عن وصف التنين الذي يسلط على الكافر في قبره." (٢)

"٣١٢٢ - أخبرنا عبد الله بن محمد بن سلم، قال: حدثنا حرملة بن يحيى، قال: حدثنا ابن وهب، قال: أخبرني عمرو بن الحارث، أن أبا السمح، حدثه، عن ابن حجيرة، عن أبي هريرة، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن المؤمن في قبره لفي روضة خضراء، ويرحب له قبره سبعون ذراعا، وينور له كالقمر ليلة البدر أتدرون فيما أنزلت هذه الآية: ﴿فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى﴾ [طه: ١٢٤] أتدرون ما المعيشة الضنكة؟ » -[٣٩٣]- قالوا: الله ورسوله أعلم قال: «عذاب الكافر في قبره، والذي نفسي بيده، إنه يسلط عليه تسعة وتسعون تنينا، أتدرون ما التنين؟ سبعون حية، لكل حية سبع رءوس يلسعونه، ويخدشونه إلى يوم القيامة»

(٣١١٢z (

L______________

حسن - «التعليق الرغيب» (٤/ ١٨٢).

S

إسناده حسن." (٣)

"٨٤٠ - حدثنا الفريابي قال: حدثنا أحمد بن عيسى المصري قال حدثنا عبد الله بن وهب قال: أنبأنا عمرو بن الحارث ، أن أبا السمح دراجا حدثه ، عن ابن حجيرة ، عن أبي هريرة ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " أتدرون فيما أنزلت هذه الآية: ﴿فإن له معيشة ضنكا﴾ [طه: ١٢٤] ؟ أتدرون ما الضنك؟ قالوا: الله ورسوله أعلم قال: «عذاب الكافر في قبره ، والذي نفسي بيده إنه ليسلط عليه تسعة وتسعون تنينا ، أتدرون ما التنين؟ تسع وتسعون حية ، لكل حية سبعة أرؤس ، ينفخون جسمه ، ويلسعونه ، ويخدشونه إلى -[١٢٧٤]- يوم القيامة»." (٤)

"حدثنا محمد بن الحسين الطبركي، حدثنا محمد بن عيسى الدامغاني، حدثنا سلمة بن الفضل، عن محمد بن إسحاق، قال: - وقد بلغني في ذي القرنين أحاديث مختلفة من أهل العلم، وقد وضعت حديث كل من حدث موضعه،

---

(١) صحيح ابن حبان - محققا ابن حبان ٣٩٣/٧

(٢) صحيح ابن حبان - مخرجا ابن حبان ٣٩٢/٧

(٣) صحيح ابن حبان - مخرجا ابن حبان ٣٩٢/٧

(٤) الشريعة للآجري الآجري ١٢٧٣/٣

وحدثني من لا أتهم – عن وهب بن منبه رحمه الله تعالى، أنه كان يقول: "كان ذو القرنين رجلا من الروم ابن عجوز من عجائزهم، ليس لها ولد غيره، وكان اسمه الإسكندريس، وإنما سمي ذا القرنين لأن صفحتي رأسه كانتا من نحاس، فلما بلغ وكان عبدا صالحا، قال الله عز وجل: يا ذا القرنين، إني باعثك إلى أمم الأرض، وهم أمم مختلفة ألسنتهم كلها، وهم جميع أهل الأرض، ومنهم أمتان بينهما طول الأرض كله، ومنهم أمتان بينهما عرض الأرض كله، وأمم منهم في وسط الأرض، منهم الجن والإنس، ويأجوج ومأجوج، فأما اللتان بينهما طول الأرض، فأمة عند مغرب الشمس يقال لها ناسك، وأما الأخرى فعند مطلعها يقال لها المنسك، وأما اللتان بينهما عرض الأرض فأمة في قطر الأرض الأيمن، يقال له هاويل، وأما التي في قطر الأرض الأيسر فأمة يقال لها تاويل، فلما قال الله عز وجل له ذلك، قال -[١٤٥٢]- ذو القرنين: إلهي إنك قد ندبتني لأمر عظيم لا يقدر قدره إلا أنت، فأخبرني عن هذه الأمم التي تبعثني إليها، بأي قوم أكابرهم؟، وبأي جمع أكابرهم؟، وبأي حيلة أكايدهم؟، وبأي صبر أقاسيهم؟، وبأي لسان أناطقهم؟، وكيف لي بأن أفقه لغاتهم؟، وبأي سمع أعي قولهم؟، وبأي بصر أنفذهم؟، وبأي حجة أخصمهم؟، وبأي قلب أعقل عنهم؟، وبأي حكمة أدبر أمورهم؟، وبأي قسط أعدل بينهم؟، وبأي حلم أصابرهم؟، وبأي معرفة أفصل بينهم؟، وبأي علم أتقن أمرهم؟، وبأي يد أسطو عليهم؟، وبأي رجل أطأهم؟، وبأي طاقة أحصيهم؟، وبأي جند أقاتلهم؟، وبأي رفق أستألفهم؟، فإنه ليس عندي يا إلهي شيء مما ذكرت، ولا نقوى عليهم ولا نطيقهم، وأنت الرب الرحيم، أرحم الراحمين، ولا تكلف نفسا إلا وسعها، ولا تحملها إلا طاقتها، ولا تعنتها ولا تفدحها، بل أنت ترأف بها وترحمها، وتعذرها وتقبل منها دون جهدها وطاقتها، فأوحى الله عز وجل: إني سأطوقك ما حملتك، وأشرح لك صدرك فيسمع كل شيء، وأشرح لك فهمك فتفقه كل شيء، وأطلق لك، وأبسط لك لسانك، فتنطق به كل شيء، وأفتح لك سمعك فتعي كل شيء، وأحد لك بصرك فتنفذ كل شيء، وأدبر لك أمرك، فتتقن كل شيء، وأحصي لك فلا يفوتك شيء، وأحفظ عليك، فلا يعزب عنك شيء، وأشد لك -[١٤٥٣]- ظهرك فلا يهدك شيء، وأشد لك ركنك، فلا يغلبك شيء، وأبسط لك يديك فتسطوان كل شيء، وأشد لك وطأتك، فتبيد كل شيء، وألبسك الهيبة، فلا يروعك شيء، وأمضي لك جناحك فلا يردعك، ولا يردك شيء، وأسخر لك النور والظلمة فأجعلهما جندا لك من جنودك، يهديك النور من أمامك، وتحوطك الظلمة من ورائك، وتحوش عليك الأمم من ورائك، فلما قيل له ذلك انطلق يؤم الأمة التي عند مغرب الشمس، فلما بلغهم وجد جمعا وعددا لا يحصيهم إلا الله عز وجل، وقوة وبأسا لا يطيقه إلا الله عز وجل، وألسنة مختلفة، وأهواء متشتة، وقلوبا متفرقة، فلما رأى منهم ذلك كابرهم بالظلمة، فضرب حولهم ثلاث عساكر منها، فأحاطت بهم من كل مكان، وحاشتهم حتى جمعتهم في مكان واحد، ثم دخل عليهم بالنور، فدعاهم إلى الله عز وجل وعبادته، فمنهم من آمن له، ومنهم من صد عنه، فعمد إلى الذين تولوا عنه، فأدخل عليهم الظلمة، فدخلت إلى أفواههم وأنوفهم وآذانهم وأجوافهم، ودخلت في بيوتهم ودورهم، وغشيتهم من فوقهم ومن تحتهم، ومن كل جانب منهم، فماجوا فيها وتحيروا، فلما أشفقوا أن يهلكوا فيها عجوا إليه بصوت -[١٤٥٤]- واحد، فكشفها عنهم، وأخذهم عنوة، فدخلوا في دعوته، فجند من أهل المغرب أمة عظيمة، فجعلهم جندا واحدا، ثم انطلق بهم يقودهم، والظلمة تسوقهم من خلفهم، وتحوشهم من حولهم، والنور أمامه يقودهم، ويدله وهو يسير في ناحية الأرض اليمنى، وهو يريد الأمة التي في قطر الأرض الأيمن التي يقال لها هاويل، وسخر الله عز وجل له يده وقلبه، ورأيه وعقله، ونظره وائتماره،

فلا يخطئ إذا ائتمر، وإذا عمل عملا أتقنه، فانطلق يقود تلك الأمم وهي تتبعه، فإذا انتهى إلى بحر، أو مخاضة بنى سفنا من ألواح صغار أمثال النعال، فنظمها في ساعة، ثم حمل فيها جميع من معه من تلك الأمم، وتلك الجنود، فإذا قطع تلك الأنهار والبحار فتقها، ثم دفع إلى كل إنسان لوحا، فلا يكرثه حمله، فلم يزل ذلك دأبه حتى انتهى إلى هاويل، فعمل فيها كعمله في ناسك، فلما فرغ منهم مضى على وجهه في ناحية الأرض اليمنى، حتى انتهى إلى منسك عند مطلع الشمس، فعمل فيها وجند منها جنودا كفعله في الأمتين اللتين قبلهما، ثم كر مقبلا في ناحية الأرض اليسرى، وهو يريد تاويل، وهي الأمة التي بحيال هاويل، وهما متقابلتان بينهما عرض الأرض كلها، فلما بلغها عمل فيها جندا منها -[١٤٥٥]- كفعله فيما قبلها، فلما فرغ منها عطف منها إلى الأمم التي في وسط الأرض من الجن وسائر الإنس ويأجوج ومأجوج، فلما كان في بعض الطريق مما يلي منقطع أرض الترك نحو المشرق قالت له أمة من الإنس صالحة: يا ذا القرنين، إن بين هذين الجبلين خلقا من خلق الله عز وجل كثيرا، فيهم مشابهة من الإنس، وهم أشباه البهائم، يأكلون العشب ويفترسون الدواب والوحوش كما يفترسها السباع، ويأكلون نشار الأرض كلها من الحيات، والعقارب وكل ذي روح مما خلق الله عز وجل في الأرض، وليس لله عز وجل خلق ينمو كنمائهم في العام الواحد، ولا يزداد كزيادتهم، ولا يكثر ككثرتهم، فإن كانت لهم مدة على ما نرى من زيادتهم ونمائهم، فلا شك أنهم سيملكون الأرض، ويجلون أهلها منها، ويظهرون عليها، فيفسدون فيها، وليست تمر بنا سنة منذ جاوزنا، ورأيناهم إلا، ونحن نتوقعهم، وننتظر أن يطلع أوائلهم من هذين الجبلين: ﴿فهل نجعل لك خرجا على أن تجعل بيننا وبينهم سدا﴾ [الكهف: ٩٤] ، إلى قوله: ﴿ردما﴾ [الكهف: ٩٥] ، فقال:: أعدوا لي الصخور والحديد، والنحاس حتى أرتاد بلادهم، وأعلم علمهم، وأفتش ما بين جبليهم، ثم انطلق يؤمهم حتى دفع إليهم وتوسط بلادهم، فإذا هم على مقدار واحد، إناثهم وذكرانهم، يبلغ طول الواحد منهم مثل -[١٤٥٦]- نصف الرجل المربوع منا، لهم مخاليب في موضع الأظفار من أيدينا وأضراس، وأنياب كأضراس السبع وأنيابها، وأحناك كأحناك الإبل فوه، تسمع له حركة إذا أكلوا كحركة الجزة من الإبل، أو كقضم البغل المسن، أو الفرس المقوى، وهم هلب عليهم من الشعر في أجسادهم ما يواريهم، وما يتقون به في الحر والبرد إذا أصابهم، ولكل واحد منهم أذنان عظيمتان: إحداهما وبرة ظهرها وبطنها، والأخرى زغبة ظهرها وبطنها، تسعانه إذا لبسهما يلتحف إحداهما ويفترش الأخرى، ويتصيف في إحداهما، ويشتو في الأخرى، وليس لهم ذكر، ولا أنثى إلا وقد عرف أجله الذي يموت فيه، ومنقطع عمره، وذلك أنه لا يموت -[١٤٥٧]- من ذكورهم حتى يخرج من صلبه ألف ولد، ولا تموت الأنثى حتى يخرج من رحمها ألف ولد، فإذا كان ذلك أيقنا بالموت، وتهيآ له، وهم يرزقون التنين في زمان الربيع، ويستمطرونه إذا تحينوه كما يستمطر الغيث لحينه، فيقذفون منه كل سنة بواحدة، فيأكلونه عامهم كله إلى مثلها من قابل، فيغنيهم على كثرتهم ونمائهم، فإذا أمطروا أخصبوا وعاشوا وسمنوا، ورئي أثره عليهم، فدرت عليهم الإناث، وشبقت منه الرجال الذكور، وإذا أخطأهم هزلوا، وأجدبوا، وجفرت الذكور، وحالت الإناث، وتبين أثر ذلك عليهم، وهم يتداعون تداعي الحمام، يعوون عي -[١٤٥٨]- الكلاب، ويتسافدون حيث ما التقوا تسافد البهائم، فلما عاين ذلك منهم ذو القرنين انصرف إلى ما بين الصدفين، فقاس ما بينهما وهو في منقطع أرض الترك، مما يلي الشمس، فوجد بعد ما بينهما مائة، فرسخ، فلما أنشأ في عمله حفر له أساسا، حتى بلغ الماء، ثم جعل عرضه خمسين،

فرسخا، وجعل حشوه الصخور وطينه النحاس، ثم يذاب، ثم يصب عليه، فصار كأنه عرق من جبل تحت الأرض، ثم علاه، وشرفه بزبر الحديد والنحاس المذاب، وجعل خلاله عرقا من نحاس أصفر كأنه برد محبر من صفرة النحاس، وحمرته وسواد الحديد، فلما فرغ منه وأحكمه انطلق عامدا إلى جماعة الجن والإنس، فبينا هو يسير إذ دفع إلى أمة صالحة يهدون بالحق وبه يعدلون، فوجد أمة -[١٤٥٩]- مقتصدة يقسمون بالسوية، ويحكمون بالعدل، ويتأسون به، ويتراحمون حالهم واحدة، وكلمتهم واحدة، وأخلاقهم سليمة، وطريقتهم مستقيمة، وقلوبهم مؤتلفة، وسيرتهم مستوية، وقبورهم بأبواب بيوتهم، وليس على بيوتهم أبواب، وليس عليهم أمراء، وليس بينهم قضاة، وليس فيهم أغنياء، ولا ملوك، ولا أشراف، ولا يتفاوتون، ولا يتفاضلون، ولا يتنازعون، ولا يستبون، ولا يقتتلون، ولا يقحطون، ولا يحردون، ولا تصيبهم الآفات التي تصيب الناس، وهم أطول الناس أعمارا، وليس لهم مسكين ولا فقير، ولا فظ ولا غليظ، فلما رأى ذلك ذو القرنين من أمرهم تعجب منهم وقال لهم: أخبروني أيها القوم خبركم، فإني قد أحصيت البلاد كلها، برها وبحرها، وشرقها وغربها، ونورها وظلمها، فلم أجد منها أحدا مثلكم، فأخبروني خبركم. قالوا: نعم، فاسألنا عما بدا لك، قال: أخبروني ما بال قبور موتاكم على باب بيوتكم؟ قالوا: عمدا فعلنا ذلك لئلا ننسى الموت، ولا يخرج ذكره من قلوبنا، قال: فما بال بيوتكم ليس عليها أبواب؟ قالوا: ليس فينا متهم، وليس فينا إلا أمين مؤتمن، قال: فما بالكم ليس عليكم أمراء؟ قالوا: لا نتظالم. قال: فما بالكم ليس فيكم حكام؟ قالوا: لا نختصم. قال: فما بالكم ليس فيكم أغنياء؟ قالوا: لا نتكاثر. قال: فما بالكم ليس فيكم ملوك؟ قالوا: لا نتكابر. قال: فما بالكم ليس فيكم أشراف؟ قالوا: لا نتنافس. قال: فما بالكم لا تتفاضلون؟ قالوا: من قبل أنا متواصلون متراحمون. قال: فما بالكم لا تتنازعون ولا تختلفون؟ قالوا: من قبل ألفة قلوبنا وصلاح ذات بيننا. قال: فما بالكم لا تستبون ولا تقتتلون؟ قالوا: من قبل أنا غلبنا طبائعنا بالعزم، وسسنا أنفسنا بالأحلام. قال: فما بالكم كلمتكم واحدة -[١٤٦٠]-، وطريقتكم مستقيمة؟ قالوا: من قبل أنا لا نتكاذب، ولا نتخادع، ولا يغتاب بعضنا بعضا. قال: فأخبروني من أين تشابهت قلوبكم، واعتدلت سيرتكم؟ قالوا: صحت صدورنا، فنزع الله بذلك الغل والحسد من قلوبنا. قال: فما بالكم ليس فيكم مسكين ولا فقير؟ قالوا: من قبل أنا نقسم بالسوية. قال: فما بالكم ليس فيكم فظ ولا غليظ؟ قالوا: من قبل الذل والتواضع. قال: فما بالكم أطول الناس أعمارا؟ قالوا: من قبل أنا نتعاطى الحق، ونحكم بالعدل. قال: فما بالكم لا تقحطون؟ قالوا: لا نغفل الاستغفار، قال: فما بالكم لا تحردون؟ قالوا: من قبل أنا وطنا أنفسنا للبلاء منذ كنا، فأحببناه وحرصنا عليه، فعرينا منه، قال: فما بالكم لا تصيبكم الآفات كما تصيب الناس؟ قالوا: لا نتوكل على غير الله، ولا نعمل بالأنواء والنجوم. قال: حدثوني، أهكذا وجدتم آباءكم يعملون؟ قالوا: نعم، وجدنا آباءنا يرحمون مساكينهم، ويواسون فقراءهم، ويعفون عمن ظلمهم، ويحسنون إلى من أساء إليهم، ويحلمون على من جهل عليهم، ويستغفرون لمن سبهم، ويصلون أرحامهم، ويردون أماناتهم، ويحفظون وقتهم لصلاتهم، ويوفون بعهودهم، ويصدقون في مواعيدهم، ولا يرغبون عن أكفائهم، ولا يستنكفون عن أقاربهم، فأصلح الله بذلك أمرهم، وحفظهم به ما كانوا أحياء، وكان حقا عليه أن يخلفهم في

تركتهم" قال محمد بن إسحاق رحمه الله تعالى: فذكر أن ذا القرنين قال لتلك الأمة: لو كنت مقيما لأقمت فيكم، ولكن لم أومر بالقيام." (١)

"المسرعة. قال معاوية رضي الله عنه: «وما الذي يدور به يا أبا إسحاق؟» قال: تنين من ذهب ذلك الكرسي عليه، وهو عظيم مما عمله صخر الجني، فإذا أحست بدورانه تلك النسور والأسد، والطواويس التي في أسفل الكرسي إلى أعلاه درن معه، فإذا وقف وقفن جميعا كلهن منكسات على رأس سليمان عليه السلام وهو جالس، ثم ينفخن جميع ما في أفواههن من المسك والعنبر على رأس سليمان عليه السلام، وهو جالس، ثم تتناول حمامة من ذهب واقفة على عمود جوهر التوراة، فتجعلها في يده، فيقرأها سليمان عليه السلام على الناس، فإذا قرأها عليهم دعا الناس إلى القضاء، وجلس قضاة بني إسرائيل على منابرهم عن يمينه وعن شماله، حافين حول كرسيه، حتى إذا قرب الشهداء للشهادات دار **التنين** بالكرسي كدور الرحى المسرعة واستدارت الأسود، وخفقت النسور بأجنحتها، ونشرت الطواويس أذنابها، ففزعت الشهداء، وتخوفوا على أنفسهم عندما يرون من السلطان، فيداخلهم من ذلك رعب شديد فيقول بعضهم لبعض: والله لنشهدن بالحق، فإنا إن نشهد اليوم بالباطل لنهلكن، فكان هذا يا أمير المؤمنين أمر كرسي سليمان بن داود عليهما السلام، وعجائب ما كان فيه، فلما توفي سليمان عليه السلام بعث بختنصر بعده، فأخذ ذلك الكرسي معه، فحمله إلى أنطاكية، فأراد أن يصعد عليه، ولم يكن له علم بالصعود عليه ولا بحاله، فلما وضع قدمه على الدرجة، رفع الأسد يده اليمنى، فضرب بساقه التي في الأرض فدق ساقه. قال معاوية رضي الله عنه: «وكيف ذلك يا أبا إسحاق؟» قال كعب." (٢)

"٢٧٩ – حدثنا أسيد قال: سمعت سعدويه البغدادي يقول: سمعت الحسين بن حفص يقول: سمعت الثوري يقول: «لأن تدخل يدك في فم **التنين** إلى منكبك، خير لك من أن ترفعها إلى ذي –[١١٠]– نعمة قد عالج الفقر»." (٣)

"حدثنا عبد الله بن محمد بن الحجاج الشروطي، ثنا محمد بن جعفر بن سعيد، ثنا عبد الله بن أحمد بن كليب الرازي، ثنا حسين بن علي النيسابوري، ثنا إسماعيل بن عبد الكريم، عن عمه عبد الصمد بن معقل، عن وهب بن منبه، عن أخيه همام بن منبه، عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " قال داود النبي عليه السلام: إدخالك يدك في فم **التنين** إلى أن تبلغ المرفق فيقضمها، خير لك من أن تسأل من لم يكن له شيء ثم كان ". غريب من حديث وهب بن منبه، لم نكتبه إلا من حديث الحسين بن علي عن إسماعيل." (٤)

"حدثنا سليمان بن أحمد، ثنا عبد الرحمن بن حاتم المرادي، ثنا نعيم بن حماد، ثنا أبو المغيرة، ثنا إسماعيل بن عياش، عن أبي بكر بن أبي مريم الغساني، قال: حدثنا أشياخنا، عن كعب: أن **التنين**، يكون حية فيؤذي أهل الأرض فيلقيه الله

---

(١) العظمة لأبي الشيخ الأصبهاني أبو الشيخ الأصبهاني ١٤٥١/٤

(٢) العظمة لأبي الشيخ الأصبهاني أبو الشيخ الأصبهاني ١٥٠٥/٤

(٣) معجم ابن المقرئ ابن المقرئ ص/١٠٩

(٤) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء أبو نعيم الأصبهاني ٨١/٤

من البر إلى البحر فإذا صاحت دواب البحر منه بعث الله إليه من ينقله من البحر إلى البر إلى يأجوج ومأجوج فيجعله رزقا لهم." (١)

"حدثنا محمد بن إبراهيم، ثنا محمد بن محمد بن يونس، ثنا أسيد، قال: سمعت سعدويه، يقول: سمعت الحسين بن جعفر، يقول: سمعت الثوري، يقول: «لأن تدخل -[٢٣]- يدك في فم التنين خير لك من أن ترفعها إلى ذي نعمة قد عالج الفقر»." (٢)

"٦٨ - أخبرنا أبو صالح بن أبي طاهر العنبري، أنا جدي يحيى بن منصور القاضي، نا محمد بن إسماعيل الإسماعيلي، نا هارون بن سعيد الأيلي، أنا عبد الله بن وهب، أخبرني عمرو بن الحارث، عن دراج، عن أبي حجيرة، عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " المؤمن في قبره في روضة خضراء ويرحب قبره سبعين ذراعا، وينور له كالقمر ليلة البدر، أتدرون فيما نزلت هذه الآية فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى أتدرون ما المعيشة الضنك؟ قالوا: الله ورسوله أعلم قال: عذاب الكافر في قبره، والذي نفسي بيده إنه ليسلط عليه تسعة وتسعون تنينا، أتدرون ما التنين؟ تسعة وتسعون حية لكل حية تسعة رءوس ينفخون في جسمه ويلسعونه ويخدشونه إلى يوم القيامة "." (٣)

"باب: راحة المؤمن في قبره وعذاب الكافر فيه

٤٧٥ - حدثنا أحمد بن عيسى، حدثنا ابن وهب، حدثنا عمرو بن الحارث أن أبا السمح حدثه، عن ابن حجيرة، عن أبي هريرة، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: " المؤمن في قبره في روضة ويرحب له قبره سبعين ذراعا وينور له كالقمر ليلة البدر.

أتدرون فيما أنزلت هذه الآية ﴿فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى﴾ [طه: ١٢٤] "؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «عذاب الكافر في قبره.

والذي نفسي بيده، إنه ليسلط عليهم تسعة وتسعون تنينا.

أتدرون ما التنين؟ تسعة وتسعون حية لكل حية سبعة رءوس ينفخون في جسمه ويلسعونه ويخدشونه إلى يوم القيامة» .

٤٧٦ - حدثنا زهير، حدثنا عبد الله بن يزيد، حدثنا سعيد بن أبي أيوب، قال: سمعت دراجا أبا السمح، يقول: سمعت أبا الهيثم يقول: سمعت أبا سعيد الخدري يقول: يسلط على الكافر في قبره تسعة وتسعون تنينا تنهشه وتلدغه حتى تقوم الساعة.

فلو أن تنينا منها نفخت في الأرض ما أنبتت خضراء.

(١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء أبو نعيم الأصبهاني ٦/٢٤

(٢) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء أبو نعيم الأصبهاني ٧/٢٢

(٣) إثبات عذاب القبر للبيهقي البيهقي، أبو بكر ص/٦٢

باب: في زيارة القبور

٤٧٧ - حدثنا أبو خيثمة، حدثنا يزيد بن هارون، حدثنا حماد بن سلمة، عن." (١)

"٣٤ - باب الراحة في القبر وعذابه

٧٨٢ - أخبرنا عبد الله بن محمد بن سلم، حدثنا حرملة بن يحيى، حدثنا ابن وهب، أخبرني عمرو بن الحارث، أن أبا السمح حدثه عن ابن حجيرة.

عن أبي هريرة، عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: "إن المؤمن في قبره لفي روضة خضراء، فيرحب له قبره سبعون ذراعا وينور له كالقمر ليلة البدر. أتدرون فيما أنزلت هذه الآية ﴿فإن له معيشة ضنكا، ونحشره يوم القيامة أعمى﴾ [طه: ٢٥٦]؟ قال: أتدرون ما المعيشة الضنك؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: "عذاب الكافر في قبره ، والذي نفسي بيده، إنه يسلط عليه تسعة وتسعون تنينا. أتدرون ما **التنين؟** سبعون حية، لكل

= وأخرجه الطبري في التفسير١٣/ ٢١٥، والحاكم ١/ ٣٨٠ - ٣٨١ من طريق حماد ابن سلمة،

وأخرجه عبد الرزاق ٣/ ٥٦٧ - ٥٦٩ برقم (٦٧٥٣)،

وأخرجه الطبري في التفسير ١٣/ ٢١٥ - ٢١٦ وابن أبي شيبة ٣/ ٣٨٣٠ - ٣٨٤ باب: في نفس المؤمن كيف تخرج ... من طريق يزيد،

وأخرجه البيهقي في إثبات عذاب القبر برقم (٧٩) و (١٥٤) من طريقين عن عبد الوهاب بن عطاء،

وأخرجه الحاكم ١/ ٣٧٩ من طريق سعيد بن عامر، جميعهم حدثنا محمد بن عمرو، بهذا الإسناد. وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي.

وذكره الهيثمي في "مجمع الزوائد" ٣/ ٥٢ باب: السؤال في القبر. وبنال: "رواه الطبراني في الأوسط، وإسناده حسن". وقد تحرفت "الضنك" في (س) إلى "الضنكة".

ونسبه السيوطي في "الدر المنثور" ٤/ ٨٠ إلى ابن أبي شيبة، وهناد في الزهد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن حبان، والطبراني في الأوسط، والحاكم، وابن مردويه، والبيهقي.." (٢)

"ذراعا وينور له كالقمر ليلة البدر أتدرون فيما أنزلت هذه الآية: ﴿فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى﴾ قال أتدرون ما المعيشة الضنك" قالوا الله ورسوله أعلم قال: "عذاب الكافر في قبره والذي نفسي بيده إنه يسلط عليه تسعة وتسعون تنينا أتدرون ما **التنين** سبعون حية لكل حية سبع رؤوس يلسعونه ويخدشونه إلى يوم القيامة".

٧٨٣- أخبرنا أبو يعلى حدثنا أبو خيثمة حدثنا عبد الله بن يزيد حدثنا سعيد بن أبي أيوب قال سمعت دراجا أبا السمح يقول سمعت أبا الهيثم يقول سمعت أبا سعيد الخدري يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يسلط على الكافر في قبره

---

(١) المقصد العلي في زوائد أبي يعلى الموصلي نور الدين الهيثمي ٢٠٩/١

(٢) موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان ت حسين أسد نور الدين الهيثمي ٥٩/٣

تسعة وتسعون تنينا تنهشه وتلدغه حتى تقوم الساعة فلو أن تنينا منها نفخت في الأرض ما أنبتت خضراء".

٧٨٤- أخبرنا أبو عروبة حدثنا محمد بن وهب بن أبي كريمة حدثنا محمد بن سلمة عن أبي عبد الرحيم قال حدثني زيد بن أبي أنيسة عن المنهال بن عمرو عن عبد الله بن الحارث عن أبي هريرة قال كنا نمشي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فمررنا على قبرين فقام فجعل لونه يتغير حتى رعدكم قميصه فقلنا ما لك يا نبي الله قال: "تسمعون ما أسمع" قلنا وما ذاك يا نبي الله قال: "هذان رجلان يعذبان في قبورهما عذابا شديدا في ذنب هين" قلنا فيم ذاك قال: "أحدهما لا يستنزه من البول والآخر يؤذي الناس بلسانه ويمشي بينهم بالنميمة" فدعا بجريدتين من جرائد النخل فجعل في كل قبر واحدة قلنا هل ينفعهم ذلك يا رسول الله قال: "نعم يخفف عنهما ما دامتا رطبتين".

٧٨٥- أخبرنا عمران بن موسى بن مجاشع حدثنا وهب بن بقية أنبأنا خالد عن الجريري عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري قال بينما نحن في حائط لبني النجار مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على بغلة له فحادت به بغلته وإذا في الحائط أقبر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من يعرف هذه الأقبر" فقال رجل أنا يا رسول الله قال: "ما هم" قال ماتوا في الشرك قال: "لولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم عذاب القبر الذي أسمع منه إن هذه الأمة تبتلى في قبورها" ثم أقبل علينا بوجهه فقال: "تعوذوا بالله من عذاب النار وعذاب القبر وتعوذوا بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن تعوذوا بالله من فتنة الدجال". قلت هو في الصحيح من حديث أبي سعيد عن زيد بن ثابت وهو هنا من حديث أبي سعيد نفسه.." (١)

"(حب) ، وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: " إن المؤمن في قبره لفي روضة خضراء، ويرحب (١) له قبره سبعين ذراعا، وينور له كالقمر ليلة البدر ، أتدرون فيم أنزلت هذه الآية: ﴿فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى؟﴾ (٢) قال: أتدرون ما المعيشة الضنك؟ " ، قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: " عذاب الكافر في قبره، والذي نفسي بيده ، إنه ليسلط عليه تسعة وتسعون تنينا ، أتدرون ما **التنين؟** ، سبعون حية ، لكل حية سبعة رءوس ، يلسعونه ويخدشونه إلى يوم القيامة " (٣)

---

(١) أي: يوسع.

(٢) [طه/١٢٤]

(٣) (حب) ٣١٢٢ ، (يع) ٦٦٤٤ ، انظر صحيح الترغيب والترهيب:٣٥٥٢، وصحيح موارد الظمآن: ٦٥١ ، وقال الشيخ شعيب الأرناءوط: إسناده حسن.." (٢)

"(حب) ، وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: " إن المؤمن في قبره لفي روضة خضراء، ويرحب (١) له قبره سبعين ذراعا، وينور له كالقمر ليلة البدر أتدرون فيم أنزلت هذه الآية: ﴿فإن له

---

(١) موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان نور الدين الهيثمي ص/١٩٩

(٢) الجامع الصحيح للسنن والمسانيد صهيب عبد الجبار ١٠٩/٢

معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى؟﴾ (٢) قال: أتدرون ما المعيشة الضنك؟ " ، قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: " عذاب الكافر في قبره، والذي نفسي بيده إنه ليسلط عليه تسعة وتسعون تنينا ، أتدرون ما **التنين؟** ، سبعون حية لكل حية سبعة رءوس ، يلسعونه ويخدشونه إلى يوم القيامة " (٣)

---

(١) أي: يوسع.

(٢) [طه/١٢٤]

(٣) (حب) ٣١٢٢ ، (يع) ٦٦٤٤ ، انظر صحيح الترغيب والترهيب:٣٥٥٢، وصحيح موارد الظمآن: ٦٥١ ، وقال الشيخ شعيب الأرناءوط: إسناده حسن.." (١)

"٣ - أخبرنا عبد الله بن محمد بن سلم، قال: حدثنا حرملة بن يحيى، قال: حدثنا ابن وهب، قال: أخبرني عمرو بن الحارث، أن أبا السمح، حدثه، عن ابن حجيرة، عن أبي هريرة، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن المؤمن في قبره لفي روضة خضراء، ويرحب له قبره سبعون ذراعا، وينور له كالقمر ليلة البدر أتدرون فيما أنزلت هذه الآية: ﴿فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى﴾ [طه: ١٢٤] أتدرون ما المعيشة الضنكة؟ " قالوا: الله ورسوله أعلم قال: "عذاب الكافر في قبره، والذي نفسي بيده، إنه يسلط عليه تسعة وتسعون تنينا، أتدرون ما **التنين؟** سبعون حية، لكل حية سبع رءوس يلسعونه، ويخدشونه إلى يوم القيامة" (رقم طبعة با وزير: ٣١١٢) ، (حب) ٣١٢٢ [قال الألباني]: حسن - "التعليق الرغيب" (٤/ ١٨٢).

- حدثنا أبو عبد الرحمن، حدثنا سعيد بن أبي أيوب، قال: سمعت أبا السمح، يقول: سمعت أبا الهيثم، يقول: سمعت أبا سعيد الخدري، يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يسلط على الكافر في قبره تسعة وتسعون تنينا تلدغه حتى تقوم الساعة، فلو أن تنينا منها نفخ في الأرض ما أنبتت خضرا» (حم) ١١٣٣٤ ، قال الشيخ شعيب الأرنؤوط: إسناده ضعيف ... . وفي الباب عن أبي هريرة عند أبي يعلى ٦٦٤٤ وابن حبان ٣١٢٢ من طريق ابن وهب عن عمرو بن الحارث عن أبي السمح عن ابن حجيرة عن أبي هريرة مرفوعا ولفظه أتدرون ما المعيشة الضنكة قالوا الله ورسوله أعلم قال عذاب الكافر في قبره والذي نفسي بيده إنه يسلط عليه تسعة وتسعون تنينا أتدرون ما **التنين** سبعون حية لكل حية سبع رؤوس يلسعونه ويخدشونه إلى يوم القيامة وهذا إسناد حسن فإن أبا السمح وهو دراج أحاديثه مستقيمة إلا ما كان عن أبي الهيثم عن أبي سعيد وهو هنا رواه عن ابن حجيرة وهو عبد الرحمن قاضي مصر أخرج له مسلم وأصحاب السنن ووثقه النسائي وغيره

- أخبرنا أبو يعلى، قال: حدثنا أبو خيثمة، قال: حدثنا عبد الله بن يزيد، قال: حدثنا سعيد بن أبي أيوب، قال: سمعت

---

(١) الجامع الصحيح للسنن والمسانيد صهيب عبد الجبار ١٩٥/٢٠

دراجا أبا السمح، يقول: سمعت أبا الهيثم، يقول: سمعت أبا سعيد الخدري، يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يسلط على الكافر في قبره تسعة وتسعون تنينا تنهشه وتلدغه، حتى تقوم الساعة، فلو أن تنينا منها نفخت في الأرض ما أنبتت خضرا" (رقم طبعة با وزير: ٣١١١) ، (حب) ٣١٢١ [قال الألباني]: ضعيف - "التعليق الرغيب" (٤/ ١٨٢).

- حدثنا روح، حدثنا حماد، عن علي بن زيد، عن أم محمد، عن عائشة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " يرسل على الكافر حيتان: واحدة من قبل رأسه، وأخرى من قبل رجليه، تقرضانه قرضا، كلما فرغتا عادتا إلى يوم القيامة " (حم) ٢٥١٨٩ ، قال الشيخ شعيب الأرناؤوط: إسناده ضعيف.." (١)

"وليس بها عشب كثير، ولا تأخذ عن يسارك فإن بها عشبا كثيرا وتنينا كبيرا لا يقبل المواشي، فساق المواشي إلى مفرق الطريق، فأخذت نحو اليسار ولم يقدر على ضبطها، فنام موسى وخرج **التنين**، فقامت العصا وصارت شعبتاها حديدا وحاربت **التنين** حتى قتلته، وعادت إلى موسى عليه السلام، فلما انتبه موسى رأى العصا مخضوبة بالدم، **والتنين** مقتولا، فعاد إلى شعيب عشاء، وكان شعيب ضريرا فمس الأغنام، فإذا أثر الخصب باد عليها، فسأله عن القصة فأخبره بها، ففرح شعيب وقال: كل ما تلد هذه المواشي هذه السنة قالب لون- أي ذات لونين- فهو لك، فجاءت جميع السخال تلك السنة ذات لونين، فعلم شعيب أن لموسى عند الله مكانة. وروى عيينة بن حصن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" أجر موسى نفسه بشبع بطنه وعفة فرجه" فقال له شعيب لك منها- يعني من نتاج غنمه- ما جاءت به قالب لون ليس فيها عزوز ولا فشوش ولا كموش ولا ضبوب ولا ثعول. قال الهروي: العزوز البكيئة، مأخوذ من العزاز وهي الأرض الصلبة، وقد تعززت الشاة. والفشوش التي ينفش لبنها من غير حلب وذلك لسعة الا حليل، ومثله الفتوح والثرور. ومن أمثالهم: (لأفشنك فش الوطب) أي لأخرجن غضبك وكبرك من رأسك. ويقال: فش السقاء إذا أخرج منه الريح ومنه الحديث:" إن الشيطان يفش بين إليتي أحدكم حتى يخيل إليه أنه أحدث" أي ينفخ نفخا ضعيفا والكموش: الصغيرة الضرع، وهي الكميشة أيضا، سميت بذلك لا نكماش ضرعها وهو تقلصه، ومنه يقال: رجل كميش الإزار. والكشود مثل الكموش. والضبوب الضيقة ثقب الإحليل. والضب الحلب لشدة العصر. والثعول الشاة التي لها زيادة حلمة وهي الثعل. والثعل زيادة السن، وتلك الزيادة هي [الراءول «١»]. ورجل أثعل. والثعل [ضيق «٢»] مخرج اللبن. قال الهروي: وتفسير قالب لون في الحديث أنها جاءت على غير ألوان أمهاتها.

---

(١) المسند الموضوعي الجامع للكتب العشرة صهيب عبد الجبار ٤٨١/١

(١). الزيادة من اللسان، وفي الأصل:" هي الثعل" ولعله تحريف، إذ أن عبارة اللسان" وتلك السن الزائدة يقال لها الراءول".

(٢). زيادة يقتضيها المعنى.." (١)

"١- الأمر بعبادة الله والنهي عن عبادة غير الله : اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ، وهذا أصل معتبر في شرائع جميع الأنبياء ، ودعوة الرسل كلهم.

٢- ادعاؤه النبوة فقال : قد جاءتكم بينة من ربكم أي قد أقام الله

ج ٨ ، ص : ٢٩١

الحجج والبينات على صدق ما جئتكم به ، والبينة تشمل المعجزة الكونية ، والبرهان العقلي ، وخوارق العادات. وهذا مثل قول صالح عليه السلام ، إلا أنه تعالى ذكر الآية له وهي الناقة ، ولم يذكر آية شعيب ، ولا بد من آية تصدقه

روى الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ما من الأنبياء نبي إلا أعطي من الآيات ما مثلها آمن عليه البشر ، وإنما كان الذي أوتيت وحيا أوحاه الله إلي ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة » .

قال الزمخشري : ومن معجزات شعيب : أنه دفع إلى موسى عصاه ، وتلك العصا حاربت **التنين** (ضرب من الحيات) وأيضا قال لموسى : إن هذه الأغنام تلد أولادا فيها سواد وبياض ، وقد وهبتها منك ، فكان الأمر كما أخبر عنه.

وهذه الأحوال كانت معجزات لشعيب عليه السلام لأن موسى في ذلك الوقت ما ادعى الرسالة « ١ » .

وهذا على رأي المعتزلة : وهو عدم ظهور المعجزة قبل النبوة ، وأما على رأي أهل السنة ، فيجوز أن يظهر الله على يد من يصير نبيا ورسولا بعد ذلك أنواع المعجزات قبل إيصال الوحي ، ويسمى ذلك إرهاصا للنبوة ، فتكون هذه الأحوال التي ذكرها الزمخشري إرهاصات لموسى عليه السلام « ٢ » .." (٢)

"القوي وهم صلب عليهم من الشعر في أجسادهم ما يواريهم وما يتقون به من الحر والبرد إذا أصابهم ولكل واحد منهم أذنان عظيمتان إحداهما وبرة ظهرها وبطنها والأخرى زغبة ظهرها وبطنها ، تسعانه إذا لبسهما يلبس إحداهما ويفترش الأخرى ويصيف في إحداهما ويشتو في الأخرى وليس منهم ذكر ولا أنثى إلا وقد عرف أجله الذي يموت فيه ومنقطع عمره وذلك أنه لا يموت ميت من ذكورهم حتى يخرج من صلبه ألف ولد ولا تموت الأنثى حتى يخرج من رحمها ألف ولد فإذا كان ذلك أيقن بالموت وتهيأ له ، وهم يرزقون **التنين** في زمان الربيع ويستمطرونه إذا تحينوه كما يستمطر الغيث لحينه فيقذفون منه كل سنة بواحد فيأكلونه عامهم كله إلى مثلها من قابل فيعينهم على كثرتهم وما هم فيه فإذا أمطروا أخصبوا وعاشوا وسهئوا ورؤي أثره عليهم فدرت عليهم الإناث وشبقت منهم الذكور وإذا." (٣)

"وأخرج ابن أبي شيبة والبزار ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وابن مردويه والحاكم من وجه آخر عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله : ﴿فإن له معيشة ضنكا﴾ قال : عذاب القبر.

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٢٧٧/١٣

(٢) التفسير المنير ف العقيدة والشريعة والمنهج، ٢٩٧/٨

(٣) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، ٦٤٧/٩

وأخرج ابن أبي الدنيا في ذكر الموت والحكيم الترمذي وأبو يعلى ، وابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وابن حبان ، وابن مردويه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : المؤمن في قبره في روضة خضراءويرحب له قبره سبعين ذراعاويضيىءحتى يكون كالقمر ليلة البدر ، هل تدرون فيما أنزلت ﴿فإن له معيشة ضنكا﴾ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : عذاب الكافر في قبره يسلط عليه تسعة وتسعون تنينا ، هل تدرون ما التنين تسعة وتسعون حية لكل حية سبعة رؤوس يخدشونه ويلسعونه وينفخون في جسمه إلى يوم يبعثون.

وأخرج ابن أبي حاتم والطبراني والبيهقي في كتاب عذاب القبر عن ابن مسعود قال : إذا حدثتكم بحديث أنبأتكم بتصديق ذلك من كتاب الله إن المؤمن إذا وضع في قبره أجلس فيه فيقال له : من ربك وما دينك ومن نبيك فيثبته الله فيقول : ربي الله وديني الإسلام ونبيي محمد صلى الله عليه وسلم ، فيوسع له في." (١)

"" صفحة رقم ١٢٠ "

المطر ، كقولهم : غاثتهم ووبلتهم وجادتهم ورهمتهم . ويقال : أمطرت عليهم كذا ، بمعنى أرسلته عليهم إرسال المطر) فأمطر علينا حجارة من السماء ((الأنفال : ٣٢) ،) وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل ((هود : ٨٢) . ومعنى) وأمطرنا عليهم مطرا (وأرسلنا عليهم نوعا من المطر عجيبا يعني الحجارة . ألا ترى إلى قوله :) فساء مطر المنذرين ((الأعراف : ٨٤) .

) وإلى مدين أخاهم شعيبا قال ياقوم اعبدوا الله ما لكم من إلاه غيره قد جآءتكم بينة من ربكم فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تفسدوا فى الا رض بعد إصلاحها ذالكم خير لكم إن كنتم مؤمنين ولا تقعدوا بكل صراط توعدون وتصدون عن سبيل الله من ءامن به وتبغونها عوجا واذكروا إذ كنتم قليلا فكثركم وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين وإن كان طآئفة منكم ءامنوا بالذى أرسلت به وطآئفة لم يؤمنوا فاصبروا حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين (الأعراف : (٨٥) وإلى مدين أخاهم . . . . .

كان يقال لشعيب عليه السلام خطيب الأنبياء لحسن مراجعته قومه وكانوا أهل بخس للمكاييل والموازين) قد جاءتكم بينة من ربكم (معجزة شاهدة بصحة نبوتي أوجبت عليكم الإيمان بي والأخذ بما آمركم به والانتهاء عما أنهاكم عنه ، فأوفوا ولا تبخسوا . فإن قلت : ما كانت معجزته ؟ قلت : قد وقع العلم بأنه كانت له معجزة ، لقوله :) قد جاءتكم بينة من ربكم (ولأنه لا بد لمدعي النبوة من معجزة تشهد له وتصدقه ، وإلا لم تصح دعواه ، وكان متنبئا لا نبيا غير أن معجزته لم تذكر في القرآن كما لم تذكر أكثر معجزات نبينا (صلى الله عليه وسلم) فيه . ومن معجزات شعيب عليه السلام : ما روي من محاربة عصى موسى عليه السلام التنين حين دفع إليه غنمه . وولادة الغنم الدرع خاصة حين وعده أن تكون له الدرع من أولادها ، ووقوع عصى آدم عليه السلام على يده في المرات السبع ، وغير ذلك من الآيات ؛ لأن هذه كلها كانت قبل أن يستنبأ موسى عليه السلام ، فكانت معجزات لشعيب . فإن قلت : كيف قيل :) الكيل والميزان (وهلا قيل : المكيال والميزان ، كما في سورة هود عليه السلام ؟ قلت : أريد بالكيل : آلة الكيل وهو المكيال ، أو سمي ما يكال

---

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، ٢٤١/١٠

به الكيل ، كما قيل : العيش ، لما يعاش به . أو أريد : فأوفوا الكيل ووزن الميزان . ويجوز أن يكون الميزان كالميعاد والميلاد بمعنى المصدر ، ويقال : بخسته حقه : إذا نقصته إياه . ومنه ، قيل للمكس : البخس ، وفي أمثالهم : تحسبها حمقاء وهي باخس . وقيل :) أشياءهم (لأنهم كانوا يبخسون الناس كل شيء في مبايعاتهم ، أو كانوا مكاسين لا يدعون شيئا إلا مكسوه كما يفعل أمراء الحرمين . وروى : أنهم كانوا إذا دخل الغريب." (١)

"" صفحة رقم ٤١٠ "

معناه كما أني إن طولبت بالزيادة على العشر كان عدوانا لا شك فيه ، فكذلك إن طولبت بالزيادة على الثمان . أراد بذلك تقرير أمر الخيار ، وأنه ثابت مستقر ، وأن الأجلين على السواء : إما هذا وإما هذا من غير تفاوت بينهما في القضاء وأما التتمة فموكولة إلى رأيي : إن شئت أتيت بها ، وإلا لم أجبر عليها . وقيل : معناه فلا أكون متعديا ، وهو في نفي العدوان عن نفسه ، كقولك : لا إثم علي ، ولا تبعة علي . وفي قراءة ابن مسعود : أي الأجلين ما قضيت . وقرىء : (أيما) بسكون الياء ، كقوله : تنظرت نصرا والسماكين أيهما

علي من الغيث استهلت مواطره

وعن ابن قطيب : عدوان ، بالكسر . فإن قلت : فإن قلت : ما الفرق بين موقعي (ما) المزيدة في القراءتين ؟ قلت : وقعت في المستفيضة مؤكدة لإبهام ، أي : زائدة في شياعها : وفي الشاذة تأكيدا للقضاء ، كأنه قال : أي الأجلين صممت على قضائه وجردت عزيمتي له . الوكيل : الذي وكل إليه الأمر ، ولما استعمل في موضع الشاهد والمهيمن والمقيت ، عدي بعلى لذلك . روي أن شعيبا كانت عنده عصى الأنبياء فقال لموسى بالليل : ادخل ذلك البيت فخذ عصا من تلك العصي . فأخذ عصا هبط بها آدم من الجنة ، ولم يزل الأنبياء يتوارثونها حتى وقعت إلى شعيب ، فمسها وكان مكفوفا ، فضن بها فقال : غيرها ، فما وقع في يده إلا هي سبع مرات ، فعلم أن له شأنا . وقيل : أخذها جبريل بعد موت آدم فكانت معه حتى لقي بها موسى ليلا . وقيل : أودعها شعيبا ملك في صورة رجل ، فأمر بنته أن تأتيه بعصا ، فأتته بها فردها سبع مرات فلم يقع في يدها غيرها ، فدفعها إليه ثم ندم لأنها وديعة ، فتبعه فاختصما فيها ، ورضيا أن يحكم بينهما أول طالع ، فأتاهما الملك فقال : ألقياها فمن رفعها فهي له ، فعالجها الشيخ فلم يطقها ؛ ورفعها موسى . وعن الحسن : ما كانت إلا عصا من الشجر اعترضها اعتراضا . وعن الكلبي : الشجرة التي منها نودي شجرة العوسج ، ومنها كانت عصاه . ولما أصبح قال له شعيب : إذا بلغت مفرق الطريق فلا تأخذ على يمينك ، فإن الكلأ وإن كان بها أكثر ، إلا أن فيها تنينا أخشاه عليك وعلى الغنم ، فأخذت الغنم ذات اليمين ولم يقدر على عنها ، فمشى على أثرها فإذا عشب وريف لم ير مثله ، فنام فإذا **بالتنين** قد أقبل ، فحاربته العصا حتى قتلته وعادت إلى جنب موسى دامية ، فلما أبصرها دامية **والتنين** مقتولا أرتاح لذلك ،." (٢)

" نتوقعهم وننظر أن يطلع علينا أوائلهم من هذين الجبلين

(١) تفسير الكشاف ـ موافق للمطبوع، ٢/١٢٠

(٢) تفسير الكشاف ـ موافق للمطبوع، ٣/٤١٠

فهل نجعل لك خرجا على أن تجعل بيننا وبينهم سدا ؟ قال : ما مكني فيه ربي خير فأعينوني بقوة أجعل بينكم وبينهم ردما اغدو إلى الصخور والحديد والنحاس حتى أرتاد بلادهم وأعلم علمهم وأقيس ما بين جبليهم

ثم انطلق يؤمهم حتى دفع إليهم وتوسط بلادهم فإذا هم على مقدار واحد

أنثاهم وذكرهم مبلغ طول الواحد منهم مثل نصف الرجل المربوع منا لهم مخاليب في مواضع الأظفار من أيدينا ولهم أنياب وأضراس كأضراس السباع وأنيابها وأحناك كأحناك الإبل قوة يسمع له حركة إذا أكل كحركة الجرة من الإبل أو كقضم الفحل المسن أو الفرس القوي وهم صلب عليهم من الشعر في أجسادهم ما يواريهم وما يتقون به من الحر والبرد إذا أصابهم ولكل واحد منهم أذنان عظيمتان إحداهما وبرة ظهرها وبطنها والأخرى زغبة ظهرها وبطنها

تسعانه إذا لبسهما يلبس إحداهما ويفترش الأخرى ويصيف في إحداهما ويشتو في الأخرى وليس منهم ذكر ولا أنثى إلا وقد عرف أجله الذي يموت فيه ومنقطع عمره وذلك أنه لا يموت ميت من ذكورهم حتى يخرج من صلبه ألف ولد ولا تموت الأنثى حتى يخرج من رحمها ألف ولد فإذا كان ذلك أيقن بالموت وتهيأ له

وهم يرزقون التنين في زمان الربيع ويستمطرونه إذا تحينوه كما يستمطر الغيث لحينه فيقذفون منه كل سنة بواحد فيأكلونه عامهم كله إلى مثلها من قابل فيعينهم على كثرتهم وما هم فيه فإذا أمطروا أخصبوا وعاشوا وسهئوا ورؤي أثره عليهم فدرت عليهم الإناث وشبقت منهم الذكور وإذا أخطأهم هزلوا وأحدثوا وجفلت منهم الذكور وأحالت الإناث وتبين أثر ذلك عليهم وهم يتداعون تداعي الحمام ويعوون عوي الذئاب ويتسافدون حيثما التقوا تسافد البهائم

ثم لما عاين ذلك منهم ذو القرنين انصرف إلى ما بين الصدفين فقاس ما بينهما - وهي في منقطع أرض الترك مما يلي الشمس - فوجد بعد ما بينهما مائة فرسخ فلما أنشأ في عمله حفر له أساسا حتى بلغ الماء ثم جعل عرضه خمسين فرسخا وجعل حشوه الصخور وطينه النحاس يذاب ثم يصب عليه فصار كأنه عرق من جبل تحت الأرض ثم علا وشرفه بزبر الحديد والنحاس المذاب وجعل خلاله عرقا من نحاس أصفر فصار كأنه محبر من صفرة النحاس وحمرته وسواد ." (١)

" وأخرج ابن أبي شيبة والبزار وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والحاكم من وجه آخر عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه و سلم في قوله : فإن له معيشة ضنكا قال : " عذاب القبر "

وأخرج ابن أبي الدنيا في ذكر الموت والحكيم الترمذي وأبو يعلى وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن حبان وابن مردويه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه و سلم قال : " المؤمن في قبره في روضة خضراءويرحب له قبره سبعين ذراعاويضيءحتى يكون كالقمر ليلة البدر

هل تدرون فيما أنزلت فإن له معيشة ضنكا ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم

قال : عذاب الكافر في قبره يسلط عليه تسعة وتسعون تنينا

هل تدرون ما التنين ؟ تسعة وتسعون حية لكل حية سبعة رؤوس يخدشونه ويلسعونه وينفخون في جسمه إلى يوم يبعثون "

---

(١) الدر المنثور، ٤٤٢/٥

وأخرج ابن أبي حاتم والطبراني والبيهقي في كتاب عذاب القبر عن ابن مسعود قال : إذا حدثتكم بحديث أنبأتكم بتصديق ذلك من كتاب الله إن المؤمن إذا وضع في قبره أجلس فيه فيقال له : من ربك ؟ وما دينك ؟ ومن نبيك ؟ فيثبته الله فيقول : ربي الله وديني الإسلام ونبيي محمد صلى الله عليه و سلم

فيوسع له في قبره ويروح له فيه

ثم قرأ عبد الله يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة فإذا مات الكافر أجلس في قبره فيقال له : من ربك ؟ وما دينك ؟ ومن نبيك ؟ فيقول : لا أدري

قال : فيضيق عليه قبره ويعذب فيه

ثم قرأ : ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا

وأخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله : معيشة ضنكا قال : الشقاء

وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله : معيشة ضنكا قال : شدة عليه في النار

وأخرج الطستي عن ابن عباس أن نافع بن الأزرق قال له : أخبرني عن قوله : معيشة ضنكا قال : الضنك الشديد من كل وجه

قال : وهل تعرف العرب ذلك

قال : نعم أما سمعت الشاعر وهو يقول : والخيل قد لحق بنا في مارق ضنك نواحيه شديد المقدم ." (١)

" واحتجواحتج له بن كلا منهما وعظ بوفاء الميزان والمكيال وهو يدل على أنهما واحدة وفيه الايخفى ومن الناس من زعم أنه عليه السلام بعث إلى ثلاث أمم والثالثة أصحاب الرس والقول بأنه عليه السلام كان أعمى لاعكاز له يعتمد عليه بل قد نص العلماء ذوو البصيرة على أن الرسول لابد أن يكون سليما من منفر ومثلوه بالعمى والبرص والجذام ولا يرد بلاء أيوب وعمى يعقوب بناء على أنه حقيقي لطروه بعد الانباء والكلام فيما قارنه والفرق أن هذا منفر بخلافة فيمن استقرت نبوته وقد يقال : إن صح ذلك فهو من هذا القبيل

قال استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية ارساله اليهم كأنه قيل : فماذا قال لهم فقيل قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره مر تفسيره قد جاءتكم بينة من ربكم أي معجزة عظيمة ظاهرة من مالك أموركم ولم تذكر معجزته عليه السلام في القرءان العظيم كما لم تذكر أكثر معجزات نبيا صلى الله عليه و سلم والانبياء عليهم السلام فيه

والقول : بأنه لم يكن له عليه السلام معجزة غلط لأن الفاء في قوله سبحانه : فأفوا الكيل والميزان لترتيب الأمر على مجيء البينة واحتمال كونها عاطفة على اعبدوا بعيد وان كانت عبادة الله تعالى موجبة للاجتناب عن المناهي التي معظمها بعد الكفر البخس فكأنه قيل : قد جاءتكم معجزة شاهدة بصحة نبوتي أوجبت عليكم الايمان بها والأخذ بما أمرتكم به فأوفوا الخ ولو ادعى مدع النبوة بغير معجزة لم تقبل منه لأنها دعوى أمر غير ظاهر وفيه الزام للغير ومثل ذلك لايقبل من غير بينة ومن الناس من زعم أن البينة نفس شعيب ومنهم من زعم أن المراد بالبينة الموعظة وأنها نفس فاوفوا الخ

---

(١) الدر المنثور، ٦٠٨/٥

وليس بشيء كما لايخفى وقال الزمخشري : إن من معجزاته عليه السلام ماروي من محاربة عصا موسى عليه السلام التنين حين دفع اليه غنمه وولادة الغنم الدرع خاصة حين وعده أن يكون له الدرع من اولادها ووقوع عصا آدم عليه السلام على يده في المرات السبع وغير ذلك من الآيات لأن هذه كلها كانت قبل أن يستنبأ موسى عليه السلام فكانت معجزات لشعيب اه

وفيه نظر لأن ذلك متأخر عن المقاولة فلا يصح تفريع الأمر عليه ولأنه يحتمل أن يكون كرامة لموسى عليه السلام أو ارهاصا لنبوته بل في الكشف أن هذا متعين لأن موسى أدرك شعيبا عليه السلام بعد هلاك قومه ولأن ذلك لم يكن معرض التحدي

وزعم الامام أن الارهاص غير جائز عند المعتزلة ولهذا جعل ذلك معجزة لشعيب عليه السلام نظر فيه الطيبي بان الزمخشري قال في آل عمران في تكليم الملائكة عليه السلام لمريم إنه معجزة لزكريا أو ارهاص لنبوة عيسى عليهما السلام والمراد بالكيل ما يكال به مجازا كالعيش بمعنى ما يعاش به ويؤيده أنه قد وقع في سورة هو المكيال وكذا عطف الميزان عليه هنا فان المتبادر منه الآلة وإن كاز كونه مصدرا بمعنى الوزن كالميعاد بمعنى الوعد وقيل : إن الكيل وما عطف عليه مصدران والكلام على الاضمار أي أوفوا آلة الكيل والوزن ولاتبخسوا الناس أي لاتنقصوهم يقال بخسه حقه إذا نقصه إياه ومنه قيل للمكس البخس وفي أمثالهم تحسبها حمقاء وهي باخس أي ذات بخس وتعدى إلى مفعولين أولها الناس والثاني أشياءهم الكائنة في المبايعات من الثمن والمبيع وفائدة التصريح بالنهي عن النقص بعد الأمر بالايفاء تأكيد ذلك الأمر ." (١)

" والخيل قد لحقت بنا في مأزق ضنك نواحيه شديد المقدم والمتبادر أن تلك المعيشة له في الدنيا وروى ذلك عن عطاء وابن جبير ووجه ضيق معيشة الكافر المعرض في الدنيا أنه شديد الحرص على الدنيا متهالك على ازديادها خائف من انتقاصها غالب عليه الشح بها حيث لاغراض له سواها بخلاف المؤمن الطالب للآخرة وقيل : الضنك حجاز عما لا خير فيه ووصف معيشة الكافر بذلك لانها وبال عليه وزيادة في عذابه يوم القيامة كما دلت عليه الآيات وهو ماخوذ مما أخرجه ابن ابي حاتم عن ابن عباس أنه قال في الآية : يقول كل مال اعطيته عبدا من عبادي قل أو كثر لا يتقيني فيه فلا خير فيه وهو الضنك في المعيشة وقيل : المراد من كونها ضنكا إنها سبب للضنك يوم القيامة فيكون وصفها بالضنك للمبالغة كانها نفس الضنك كما يقال في السلطان : الموت بين شفتيه يريدون بالموت ما يكون سببا للموت كالأمر بالقتل ونحوه وعن عكرمة ومالك بن دينار ما يشعر بذلك وقال بعضهم : إن تلك المعيشة له في القبر بأن يعذب فيه وقد روى ذلك جماعة عن ابن مسعود وابي سعيد الخدري وابي صالح والربيع والسدى ومجاهد وفي البحر عن ابن عباس أن الآية نزلت في الاسود بن عبد الاسد المخزومي والمراد ضغطة القبر حتى تختلف فيه اضلاعه وروى ذلك مرفوعا ايضا

فقد أخرج ابن ابي الدنيا في ذكر الموت والحكيم الترمذي وابو يعلى وابن جرير وابن المنذر وابن ابي حاتم وابن حيان وابن مردوية عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم المؤمن في قبره روضة خضراء ويرحب له قبره سبعين ذراعا ويضيء حتى يكون كالقمر ليلة البدر هل تدرون فيم انزلت فان له معيشة ضنكا قالوا : الله ورسوله أعلم قال : عذاب

---

(١) روح المعاني، ١٧٦/٨

الكافر في قبره يسلط عليه تسعة وتسعون تنينا هل تدرون ما **التنين** تسعة وتسعون حية لكل حية سبعة رؤس يخدشونه ويلسعونه وينفخون في جسمه إلى يوم يبعثون

وأخرج عبد الرزاق وسعيد بن منصور ومسدد في مسنده وعبد بن حميد والحاكم وصححه والبيهقي في كتاب عذاب القبر وجماعة عن ابي سعيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم في قوله تعالى معيشة ضنكا عذاب القبرولفظ عبد الرزاق يضيق عليه قبره حتى تختلف اضلاعه ولفظ ابن ابي حاتم ضمة القبر إلى غير ذلك ومن قال : الدنيا ماقبل القيامة الكبرى قال : مايكون بعد الموت واقع في الدنيا كالذي يكون قبل الموت

وقال بعضهم : إنها تكون يوم القيامة في جهنم وأخرج ذلك ابن ابي شيبة وابن المنذر عن الحسن وأخرج ابن ابي حاتم عن ابن زيد قال : المعيشة الضنك في النار شوك وزقوم وغسلين وضريع وليس في القبر ولا في الدنيا معيشة وما المعيشة والحياة إلا في الآخرة ولعل الأخبار السابقة لم تبلغ هذا القائل أو لم تصح عنده وانت تعلم انها إذا صحت فلا مساغ للعدول عما دلت عليه وإن لم تصح كان الأولى القول بانها في الدنيا لا في الآخرة لظاهر ذكر قوله تعالى ونحشره الخ بعد الأخبار بأن له معيشة ضنكا وقرأت فرقة منهم أبان بن تغلب ونحشره باسكان الراء وخرج على أنه تخفيف أو جزم بالعطف على محل فان له الخ لأنه جواب الشرط كأنه قيل ومن اعرض عن ذكري تكن له معيشة ضنك ونحشره الخ ونقل ابن خالوية عن أبان أنه قرأ ونحشره بسكون الهاء على إجراء الوصل مجرى الوقف وفي البحر الأحسن تخريج ذلك على لغة بني كلاب وعقيل فانهم يسكنون مثل هذه الهاء وقد قرئ لربه لكنود باسكان الهاء وقرأت ." (١)

" يدها غيرها فدفعها اليه ثم ندم لأنها وديعه فتبعه فاختصما فيها ورضيا أن يحكم بينهما أول طالع : فأتاهما الملك فقال اليقياها فمن بفعها فهي له فعالجها الشيخ فلم يطقها ورفعها موسى عليه السلام وعن الحسن ما كانت إلا عصا من الشجر اعترضها اعتراضا وعن الكلبي التي نودي منها شجرة العوسج ومنها كانت عصاه

وروي أنه لما شرع عليه السلام بالخدمة والرعي قال له شعيب : إذا بلغت مفرق الطريق فلا تأخذ على يمينك فان الكلأ وإن كان بها أكثر إلا أن فيها تنينا اخشاه عليك وعلى الغنم فلما بلغ مفرق الطريق أخذت الغنم ذات اليمين ولم يقدر على كفها ومشى على أثرها فاذا عشب وريف لم ير مثله فنام فاذا **بالتنين** قد اقبل فحاربته العصا حتى قتلته وعادت إلى جنب موسى عليه السلام دامية فلما أبصرها دامية **والتنين** مقتولا ارتاح لذلك ولما رجع إلى شعيب وجد الغنم ملأى البطون فأخبره موسى عليه السلام بما كان ففرح وعلم أن لموسى والعصا شأنا وقال له : إني وهبت لك من نتاج غنمي هذا العام كل أدرع ودرعاء فاوحى الله تعالى اليه في المنام أن اضرب بعصاك مستقى الغنم ففعل ثم سقى فما أخطأت واحدة إلا وضعت أدرع أو درعاء فوفى له شعيب بما قال

وحكى يحيي بن سلام أنه جعل له له كل سخلة تولد على خلاف شية أمها فأوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام في المنام أن الق عصاك في الماء الذي تسقي منه الغنم ففعل فولدت كلها على خلاف شيتها وأخر ابن ماجة والبزار وابن المنذر والطبراني وغيرهم من حديث عتبة السلمي مرفوعا أنه عليه السلام لما أراد فراق شعيب أمر امرأته أن تسأل أباها

---

(١) روح المعاني، ٢٧٧/١٦

أن يعطيها من غنمه ما يعيشون به فاعطاها ما ولدت غنمه من قالب لون من ذلك العام وكانت غنمه سوداء حسناء فانطلق موسى إلى عصاه فسماها من طرفها ثم وضعها في أدنى الحوض ثم أوردها فسقاها ووقف بإزاء الحوض فلم يصدر منها شاة إلا ضرب جنبها شاة شاة فأتمت وانثنت ووضعت كلها قوالب الوان إلا شاة أو شاتين ليس فيها فشوش أي واسعة الشخب ولا ضبوب أي طويلة الضرع تجره ولا غرور أي ضيقة الشخب ولا ثعول أي لا ضرع لها إلا كهيئة حلمتين ولا كمشة تفوت الكف أي صغيرة الضرع لايدرك الكف وظاهر هذا الخبر أن الهبة كانت لزوجته عليه السلام وأنه كان ذلك لما أراد فراق شعيب عليهما السلام وهو خلاف ما يقتضيه ظاهر ما تقدم فلما قضى موسى الأجل أي أتم المدة المضروبة لما أراد شعيب منه والمراد به الأجل الآخر كما أخرجه ابن مردويه عن مقسم عن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهما وأخرج البخاري وجماعة عن ابن عباس أنه سئل أي الأجلين قضى موسى عليه السلام فقال : قضى أكثرهما وأطيبهما إن رسول الله إذا قال فعل وأخرج ابن مردويه من طريق علي بن عاصم عن أبي هرون عن أبي سعيد الخدري أن رجلا سأله أي الأجلين قضى موسى فقال : لا أدري حتى أسأل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فسأل رسول الله عليه الصلاة و السلام فقال : لا أدري حتى أسأل جبريل عليه السلام فسأل جبريل فقال : لا أدري حتى أسأل ميكائيل عليه السلام فسأل ميكائيل فقال : لا أدري حتى أسأل الرفيع فسأل الرفيع فقال : لا أدري حتى اسأل اسرافيل عليه السلام فسأل اسرافيل فقال : لا أدري حتى أسأل ذا العزة جل جلاله فنادى إسرافيل بصوته الاشد ياذا العزة أي الأجلين قضى موسى قال : أتم الاجلين واطيبهما عشر سنين قال علي بن عاصم : فكان أبو هرون إذا حدث بهذا الحديث يقول : حدثني أبو سعيد عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عن جبريل عن ميكائيل عن ." (١)

" صفحة رقم ٣٩٥

التسبيح من كل شيء الذي هو من أعظم مقاصد السورة كما تقدم نص الزبور به قريبا ، فكان ذكر تفضيله به هنا أنسب لتفضيل الأنبياء تارة بالهجرة إليه كإبراهيم عليه السلام وتارة بقصد تطهيره من الشرك وتنويره بالتوحيد كموسى عليه السلام ، وتارة بتأسيس بنيانه وتشييد أركانه كداود عليه السلام ، وتارة بالإسراء إليه والإمامة بالأنبياء عليهم السلام به والعروج منه إلى سدرة المنتهى والمقام الأعلى ، وأما تفضيله وتفضيل ابنه سليمان – على نبينا محمد وعليهما الصلاة والسلام – بالملك وسعة الأمر فدخل في قوله تعالى : (انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض (وروى البخاري في التفسير عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال : خفف على داود القراءة فكان يأمر بدوابه لتسرج ، فكان يقرأ قبل أن يفرغ – يعني القرآن ، ومن أعظم المناسبات لتخصيص داود عليه السلام وزبوره بالذكر هنا ذكر البعث فلا ذكر البعث هذا مقامه فيه صريحا ، وكذا ذكر النار مع خلو التوراة عن ذلك ، أما البعث فلا ذكر له في أصلا ، وأما النار فلم يذكر شيء مما يدل عليها إلا الجحيم في موضع واحد ، وأما الزبور فذكر فيه النار والهاوية والجحيم في غير موضع ، وأما البعث فصرح به ، وهو ظاهر في كونه بالروح والجسد ، قال في المزمور الثالث بعد المائة : نفسي تبارك الرب ، الرب إلهي عظيم جدا ، لبس المجد ، وعظيم البهاء ، وتجلل بالنور كالرداء ، ومد السماء كالخباء ، جعل الماء أساسها ، واستوى على

(١) روح المعاني، ٧١/٢٠

السحاب ، ومشى على أجنحة الرياح ، خلق ملائكته أرواحا وخدمه نارا واقدة ، وتجلل بالغمر كالرداء ، وعلى الجبال تقف المياه ، ومن رجزك قهرت ، ومن صوت رعدك تجزع الجبال عالية ، والبقاع منهبطة في الأماكن التي أسست ، جعلت حدا لا تتجاوزه ، لا تعود تغطي الأرض ، أرسل الماء عيونا في الأدوية ، وبين الجبال تجري المياه لتسقي حيوان البر ، وتروي عطاش الوحوش ، يقع عليها طائر السماء إلى أن قال : وكل بحكمة صنعتن امتلأت الأرض من خليقتك ، هذا البحر العظيم السعة فيه حيتان لا تحصى كبار وصغار ، وفيه تسلك السفن ، وهذا **التنين** الذي خلقته ليتعجب منه ، والكل إياك يرجون لتعطيهم طعامهم في حينه ، فإذا أنت أعطيتهم يعيشون ، وعند بسط يدك بالطيبات يشبعون ، وحين تصرف وجهك يجزعون ، تنزع أرواحهم فيموتون ، وإلى التراب يرجعون ، ترسل روحك فيخلقون ، وتجدد وجه الأرض دفعة أخرى ، ويكون مجد الرب إلى الأبد – انتهى .

فكأن ذلك جواب لقول من لعله يقول للعرب من اليهود : إن الأمر كما تقولون في أنه لا قيامة – كما يقوله بعض زنادقتهم كما ذكر عنهم في نص الإنجيل وكما نقل عنهم في سورة النساء أنهم قالوا :." (١)

" القصص ٢٩ – ٢٧

لي من أجرته إذا كنت له أجيرا ثماني حجج ظرف والحجة السنة وجمعها حجج والتزوج على رعي الغنم جائز بالاجماع لأنه من باب القيام بأمر الزوجية فلا مناقصة بخلاف التزوج على الخدمة فإن أتممت عشرا أي عمل عشر حجج فمن عندك فذلك تفضل منك ليس بواجب عليك أو فاتمامه من عندك ولا أحتمه عليك ولكنك إن فعلته فهو منك تفضل وتبرع وما أريد أن أشق عليك بالزام أتم الأجلين وحقيقة قولهم شققت عليه وشق عليه الأمر أن الأمر إذا تعاظمك فكأنه شق عليك ظنك باثنين تقول تارة أطيقه وطورا لا أطيقه ستجدني إن شاء الله من الصالحين في حسن المعاملة والوفاء بالعهد ويجوز أن يراد الصلاح على العموم ويدخل تحته حسن المعاملة والمراد باشتراطه مشيئة الله فيما وعد من الصلاح الاتكال على توفيقه فيه ومعونته لأنه إن شاء فعل وإن لم يشأ لم يفعل ذلك قال موسى ذلك مبتدأ وهوإشارة إلى ما عاهده عليه شعيب والخبر بيني وبينك يعني ذلك الذي قلته وعاهدتني فيه وشارطتني عليه قائم بيننا جميعا لا يخرج كلانا عنه لا أنا فيما شرطت علي ولا أنت فيما شرطت على نفسك ثم قال أيما الأجلين قضيت أي أي أجل قضيت من الأجلين يعنى العشرة أو الثمانية وأي نصب بقضيت وما زائدة ومؤكدة لا بهام أي وهي شرطية وجوابها فلا عدوان علي أي لا يعتدي علي في طلب الزيادة عليه قال المبرد قد علم أنه لا عدوان عليه في أيهما ولكن جمعهما ليجعل الأقل كالأتم في الوفاء وكما أن طلب الزيادة على الأتم عدوان فكذا طلب الزيادة على الأقل والله على ما نقول وكيل هو من وكل إليه الأمر وعدى بعلى لأنه استعمل في موضع الشاهد والرقيب روى أن شعيبا كانت عنده عصى الأنبياء عليهم السلام فقال لموسى بالليل أدخل ذلك البيت فخذ عصا من تلك العصى فأخذ عصا هبط بها آدم من الجنة ولم يزل الأنبياء عليهم السلام يتوارثونها حتى وقعت إلى شعيب فمسها وكان مكفوفا فضن بها فقال خذ غيرها فما وقع في يده إلا هي سبع مرات فعلم ان له شأنا ولما أصبح قال له شعيبا إذا بلغت مفرق الطريق فلا تأخذ على يمينك فإن الكلأ وإن كان بها أكثر إلا أن فيها تنينا أخشاه

---

(١) نظم الدرر . (موافق للمطبوع – ت: عبدالرزاق غالب)، ٣٩٥/٤

عليك وعلى الغنم فأخذت الغنم ذات اليمين ولم يقدر على كفها فمشى على أثرها فإذا عشب وريف لم ير مثله فنام فإذا التنين قد أقبل فحاربته العصا حتى قتلته وعادت إلى جنب موسى دامية فلما أبصرها رامية والتنين مقتولا ارتاح لذلك ولما رجع إلى شعيب مس الغنم فوجدها ملأى البطون غزيرة اللبن فأخبره موسى ففرح وعلم أن لموسى والعصا شأنا وقال له أني وهبت لك من نتاج غنمي هذا العام كل ادرع ودرعاء فأوحى إليه في المنام أن أضرب بعصاك مسقى الغنم ففعل ثم سقى فوضعت كلهن أدرع ودرعاء فوفى له بشرطه فلما قضى موسى الأجل قال عليه السلام قضى اوفاهما وتزوج صغراهما وهذا بخلاف الرواية التي مرت وسار بأهله ." (١)

"قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم﴾ يريد المعجزة التي كانت له ، وليس في القرآن بيان ما هي معجزته. وحمل الواحدي البينة على الموعظة. وقال في الكشاف : ومن معجزات شعيب : ما روي من محاربة عصا موسى التنين ، حين دفع إليه غنمه ، وولادة الغنم الدرع خاصة ، حين وعده أن يكون له الدرع من أولادها ، ووقوع عصا آدم في يده في المرات السبع ، وغير ذلك من الآيات. هـ. وفيه نظر ؛ لأن هذه وقعت بعد مقالته لقومه ، وإنما كانت إرهاصات لموسى عليه السلام ، وفي حديث البخاري : " ما بعث الله نبيا إلا وآتاه ما مثله آمن عليه البشر ، وإنما كان الذي أوتيته وحيا ، وأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة " وهو صريح في أنه لا بد من الآية لكل رسول ، ولعل الله تعالى لم يذكر معجزة شعيب وهود في القرآن مع وجودها ؛ لظاهر الحديث.

ثم قال لهم : ﴿فأوفوا الكيل والميزان﴾ ، وكانوا مطففين ، أي : فأوفوا المكيال الذي هو آلة الكيل ، أي : كبروها ؛ بدليل قوله : ﴿والميزان﴾ الذي هو الآلة ، ويحتمل أن يريد بهما المصدر ، أي الكيل والوزن.

﴿ولا تبخسوا الناس أشياءهم﴾ أي : لا تنقصوهم حقوقهم ، وإنما قال : ﴿أشياءهم﴾ ، للتعميم تنبيها على أنهم كانوا يبخسون الجليل والحقير ، والقليل والكثير ، وقيل : كانوا مكاسين لا يدعون شيئا إلا مكسوه. ﴿ولا تفسدوا في الأرض﴾ بالكفر والظلم ، ﴿بعد إصلاحها﴾ بإقامة الشرائع وظهور العدل ، ﴿ذلكم خير لكم إن كنتم مؤمنين﴾ أي : ذلك الذي أمرتكم به ونهيتكم عنه هو خير لكم من إبقائكم على ما أنتم عليه ، ومعنى الخيرية : الزيادة مطلقا ؛ إذ لا خير فيما هم فيه ، أو : في الإنسانية وحسن الأحدوثة وجمع المال. قاله البيضاوي.

". (٢)

"﴿قال﴾ موسى عليه السلام : ﴿ذلك﴾ العهد وعقد الأجرة ﴿بيني وبينك﴾ أي : ذلك الذي قلته ، وشارطتني عليه ، قائم بيننا جميعا ، لا يخرج واحد منا عنه. ثم قال : ﴿أيما الأجلين قضيت﴾ أي : أي الأجلين ؛ قضيت من الأجلين : العشر أو الثماني ، ﴿فلا عدوان علي﴾ أي : لا يتعدى علي في طلب الزيادة عليه ، قال المبرد : قد علم أنه لا عدوان عليه في إتمامهما ، ولكن جمعهما ليجعل الأقل كالأتم في الوفاء ، وكما أن طلب الزيادة على الأتم عدوان فلذلك طلب الزيادة على الأقل. ﴿والله على ما نقول وكيل﴾ أي : رقيب وشهيد.

---

(١) تفسير النسفي، ٣/٢٣٤

(٢) البحر المديد ـ موافق للمطبوع، ٢/٥١٥

جزء : ٥ رقم الصفحة : ٢٥٩

واختلف العلماء في وجوب الإشهاد في النكاح على قولين : أحدهما : أنه لا ينعقد إلا بشاهدين ، وبه قال أبو حنيفة والشافعي ، وقال مالك : ينعقد بدون شهود ؛ لأنه عقد معاوضة ، فلا يشترط فيه الإشهاد ، وإنما يشترط فيه الإعلان ، والإظهار بالدف والدخان ليتميز من السفاح ، ويجب عند الدخول.

روي أن شعيبا كانت عنده عصي الأنبياء – عليهم السلام – ، فقال لموسى بالليل : ادخل ذلك البيت فخذ عصا من تلك العصي ، فأخذ عصا هبط بها آدم من الجنة ، ولم يزل الأنبياء – عليهم السلام – يتوارثونها ، حتى وقعت إلى شعيب ، فلما أخذها ، قال له شعيب : ردها وخذ غيرها ، فما وقع في يده إلا هي سبع مرات. – وفي رواية السدي : أمر ابنته أن تأتيه بعصا فجاءته بها ، فلما رآها الشيخ قال : آتيه بغيرها ، فألقتها لتأخذ غيرها ، فلا تصير في يده إلا هي ، مرارا ، فرفعتها إليه ، فعلم أن له شأنا. ولما أصبح قال له شعيب : إذا بلغت مفرق الطريق فلا تأخذ على يمينك ، فإن الكلأ ، وإن كان بها أكثر ، إلا أن فيها تنينا ، أخشاه عليك وعلى الغنم ، فأخذت الغنم ذات اليمين ولم يقدر على كفها ، فمشى على أثرها ، فإذا عشب وريف لم ير مثله ، فنام ، فإذا التنين قد أقبل ، فحاربته العصا حتى قتلته ،

٢٦١

". (١)

"وعادت إلى جنب موسى دامي ، فلما أبصرها دامية ، والتنين مقتولا ؛ ارتاح لذلك. ولما رجع إلى شعيب بالغنم فوجدها ملأى البطون غزيرة اللبن ، وأخبره موسى ، فرح ، وعلم أن لموسى شأنا ، وقال له : إني وهبت لك من نتاج غنمي ، هذا العام ، كل أدرع ودرعاء – أي : كل جدي أبلق ، وأنثى بلقاء – فأوحى الله تعالى إلى موسى في المنام : أن اضرب بعصاك الماء الذي تسقى منه الغنم ، فضرب ، ثم سقى الأغنام ، فوضعت كلها بلقاء ، فسلمها شعيب إليه.

وذكر الإمام اللجائي في كتابه (قطب العارفين) : أن موسى عليه السلام انتهى ، ذات يوم ، بأغنامه إلى واد كثير الذئاب ، وكان قد بلغ به التعب ، فبقي متحيرا ، إن اشتغل بحفظ الغنم عجز عن ذلك ؛ لغلبة النوم عليه والتعب ، وإن هو طلب الراحة ، وثبت الذئاب على الغنم ، فرمى السماء بطرفه ، وقال : إلهي إنه أحاط علمك ، ونفذت إرادتك ، وسبق تقديرك ، ثم وضع رأسه ونام. فلما استيقظ ؛ وجد ذئبا واضعا عصاه على عاتقه ، وهو يرعى الغنم ، فتعجب موسى من ذلك ، فأوحى الله إليه : يا موسى ؛ كن لي كما أريد ، أكن لك كما تريد. قال : فهذه إشارة تدل على أن : من هرب من الله إلى الله ؛ كفاه الله ، عز وجل ، من دونه. هـ. والله تعالى أعلم.

جزء : ٥ رقم الصفحة : ٢٥٩

". (٢)

---

(١) البحر المديد. موافق للمطبوع، ٥/٤٠٠

(٢) البحر المديد. موافق للمطبوع، ٥/٤٠١

"أكلوه ويأكلون الحشرات والحيات والعقارب.

قال في "حياة الحيوان" : **التنين** ضرب من الحياة كأكبر ما يكون فيها وفي فمه أنياب مثل أسنة الرماح وهو طويل كالنخلة السحوق أحمر العينين مثل الدم واسع الفم والجوف براق العينين يبتلع كثيرا من الحيوان يخافه حيوان البر والبحر إذا تحرك يموج البحر لشدة قوته وأول أمره يكون حية متمردة تأكل من دواب البر ما ترى فإذا كثر فسادها احتملها ملك وألقاها في البحر فتفعل بدواب البحر ما كانت تفعل بدواب البر فيعظم بدنها حتى يكون رأسها كالتل العظيم فيبعث الله تعالى ملكا يحملها ويلقيها إلى يأجوج ومأجوج.

قال في "قصص الأنبياء" : إذا قذفوا بها خصبوا وإلا قحطوا ﴿فهل﴾ (س آيا) ﴿نجعل لك خرجا﴾ جعلا من أموالنا أي : أجرا نخرجه لك والخرج والخراج واحد كالنول والنوال أو الخراج ما على الأرض والذمة والخرج المصدر أو الخرج ما كان على كل رأس والخراج ما كان على البلد أو الخرج ما تبرعت به والخراج ما لزمك أداؤه ﴿على أن تجعل﴾ (بشرط آنكه بكنى) ﴿بيننا وبينهم سدا﴾ حاجزا يمنعهم من الخروج والوصول إلينا.

جزء : ٥ رقم الصفحة : ٢٩٦

﴿قال﴾ ذو القرنين ﴿ما مكنى﴾ بالادغام وقرىء بالفك أي : الذي مكنني وبالفارسية : (آنه دست رس داده مرا) ﴿فيه ربى﴾ وجعلني فيه مكينا قادرا من الملك والمال وسائر الأسباب ﴿خير﴾ مما تريدون أن تبذلوه إلي من الخراج فلا حاجة لي إليه ونحوه قول سليمان عليه السلام : ﴿فلما جآء سليمان قال أتمدونن بمال﴾ ﴿فأعينونى بقوة﴾ بفعلة وصناع يحسنون البناء والعمل بآلات لا بد منها في البناء ﴿أجعل﴾ جواب الأمر ﴿بينكم وبينهم ردما﴾ حاجزا حصينا وحجابا عظيما.

وبالفارسية (حجابي سخت كه بعضى ازان بر بعضى مركب باشد) وهو أكبر من السد وأوثق يقال ثوب مردم أي : فيه رقاع فوق رقاع وهذا إسعاف بمرامهم فوق ما يرجونه.

جزء : ٥ رقم الصفحة : ٢٩٦

وفي "التأويلات النجمية" : قوله تعالى : ﴿زبر الحديدا حتى﴾ تفسير للقوة فيكون المراد بها ترتيب الآلات.

وزبر جمع زبرة كغرف جمع غرفة وهي القطعة الكبيرة وهذا لا ينافي رد خراجهم لأن المأمور به الإيتاء بالثمن والمناولة ولأن إيتاء الآلة من قبيل الإعانة بالقوة دون الخراج على العمل.

قال في "القصص" : قالوا من أين لنا من الحديد ما يسع هذا العمل فدلهم على معدن الحديد والنحاس ولعل تخصيص الأمر بالإيتاء بها دون سائر الآلات من الصخور ونحوها لما أن الحاجة إليها أمس إذ هي الركن في السد.

قال الكاشفي : (منقولست كه فرمود تاخشتها از آهن بساختند بفارغ دلى جابجاتن زدند همه روزشب خشت آهن زدند وحكم كرد تاميان آن كوه را هان هزار قدم بود درشصت ون كز عرض بكنند تا بآب رسيد).

وفي "القصص" : قاس ما بين الصدفين فوجده ثلاثة أميال.

وقال بعضهم : حفر ما بين السدين وهو مائة فرسخ حتى بلغ الماء وجعل الأساس من الصخر والنحاس المذاب بدل الطين لها والبنيان من زبر الحديد بين كل زبرتين الحطب والفحم ﴿حتى إذآ﴾ (تاون) ﴿ساوى بين الصدفين﴾ الصدف منقطع

الجبل أو ناحيته وبين مفعول كبين السدين أي : آتوه إياها فجعل يبني شيئا فشيئا حتى إذا جعل ما بين ناحيتي الجبلين مساويا لهما في السمك يعني ملأ ما بينهما إلى أعلاهما وكان ارتفاعه مائتي ذراع وعرضه خمسين ذراعا ثم وضع المنافخ حوله ﴿قال﴾
٢٩٨
للعملة ﴿انفخوا﴾ على زبر الحديد بالكير والنار ﴿حتى إذا جعله﴾ أي : المنفوخ فيه وهو زبر الحديد ﴿نارا﴾ كالنار في الحرارة والهيئة وإسناد الجعل المذكور إلى ذي القرنين مع أنه فعل الفعلة للتنبيه على أنه العمدة في ذلك وهم بمنزلة الآلة ﴿قال﴾ للذين يتولون أمر النحاس من الإذابة ونحوها ﴿ءاتونى﴾ قطرا أي : نحاسا مذابا ﴿أفرغ عليه قطرا﴾ الإفراغ الصب أي : أصبب على الحديد المحمى قطرا فحذف الأول لدلالة الثاني عليه وإسناد الافراغ إلى نفسه للسر الذي وقفت عليه آنفا.

جزء : ٥ رقم الصفحة : ٢٩٨

بهر روى فرشى برانكيختند

برو روى حل كرده مى ريختند

." (١)

"وفي قوله : ﴿على أن تأجرنى ثمانى حجج﴾ إشارة إلى طريق الصوفية وأن استخدامهم للمريدين من سنن الأنبياء عليهم السلام.

قال الحافظ :

شبان وادي أيمن كهي رسد بمراد

كه ند سال بجان خدمت شعيب كند

﴿قال﴾ موسى ﴿ذالك﴾ الذي قلته وعاهدتني فيه وشارطتني عليه قائم وثابت ﴿بينى وبينك﴾ جميعا لا أنا أخرج عما شرطت علي ولا أنت تخرج عما شرطت على نفسك ﴿أيما الاجلين قضيت﴾ أي شرطية منصوبة بقضيت وما زائدة مؤكدة لإبهام أي في شياعها والأجل مدة الشيء.

والمعنى أكثرهما أو أقصرهما وفيتك بأداء الخدمة فيه.

وبالفارسية : (هر كدام ازين دو مدت كه هشت ساله وده سالست بكذارم وبيابان رسانم) وجواب الشرطية قوله : ﴿فلا عدوان على﴾ لا تعدي ولا تجاوز بطلب الزيادة فكما لا أطالب بالزيادة على العشر لا أطالب بالزيادة على الثماني أو أيما الأجلين قضيت فلا إثم علي يعني كما لا إثم علي في قضاء الأكثر كذا لا أثم علي في قضاء الأقصر.

﴿والله على ما نقول﴾ من الشروط الجارية بيننا ﴿وكيل﴾ شاهد وحفيظ فلا سبيل لأحد منا إلى الخروج عنه أصلا.

فجمع شعيب المؤمنين من أهل مدين وزوجه ابنته صفوريا ودخل موسى البيت وأقام يرعى غنم شعيب عشر سنين كما في

---

(١) تفسير روح البيان ـ موافق للمطبوع، ٥/٢٢٩

"فتح الرحمن".

روي : أنه لما أتم العقد قال شعيب لموسى : أدخل ذلك البيت فخذ عصا من تلك العصي وكانت عنده عصي الأنبياء فأخذ عصا هبط بها آدم من الجنة ولم يزل الأنبياء يتوارثونها حتى وصلت إلى شعيب فمسها وكان مكفوفا فلم يرضها له خوفا من أن لا يكون أهلا لها وقال غيرها : فما وقع في يده إلا هي سبع مرات فعلم أن لموسى شأنا وحين خرج للرعي قال له شعيب : إذا بلغت مفرق الطريق فلا تأخذ

٣٩٩

عن يمينك فإن الكلأ وإن كان بها أكثر إلا أن فيها تنينا أخشى منه عليك وعلى الغنم فأخذت الغنم ذات اليمين ولم يقدر على كفها ومشى على أثرها فإذا عشب وريف لم ير مثله فنام فإذا **بالتنين** قد أقبل فحاربته العصا حتى قتلته وعادت إلى جنب موسى دامية فلما أبصرها دامية **والتنين** مقتولا سر ولما رجع إلى شعيب أخبره بالشأن ففرح شعيب وعلم أن لموسى والعصا شأنا وقال : إني وهبت لك من نتاج غنمي هذا العام كل أدرع ودرعاء والدرع بياض في صدور الشاء ونحورها وسواد في الفخذ وهي درعاء كما في "القاموس".

فأوحى الله إليه في المنام أن اضرب بعصاك الماء الذي هو في مستقى الأغنام ففعل ثم سقى فما أخطأت واحدة إلا وضعت أدرع ودرعاء فعلم شعيب أن ذلك رزق ساقه الله تعالى إلى موسى وامرأته فوفى له بالشرط وسلم إليه الأغنام.

جزء : ٦ رقم الصفحة : ٣٩٨

قال أبو الليث : مثل هذا الشرط في شريعتنا غير واجب إلا أن الوعد من الأنبياء واجب فوفاه بوعده انتهى.

وفي "المثنوي".

جرعه برخاك وفاآنكس كه رخت

يكي تواند صيد دولت زوكريختس يمبر كفت بهر اين طريق

باوفاتر از عمل نبود رفيقكربود نيكو ابديارت شود

وربود بد در لحد بارت شود

جزء : ٦ رقم الصفحة : ٣٩٨

﴿فلما قضى موسى الاجل﴾ الفاء فصيحة أي فعقد العقدين وباشر ما التزمه فلما أتم الأجل المشروط بينهما وفرغ منه روي أنه قضى أبعد الأجلين وهي عشر سنين.

يعني (ده سال شباني كردس أورا آرزوي وطن خاست) فبكى شعيب وقال : يا موسى كيف تخرج عني وقد ضعفت وكبرت؟ فقال له : قد طالت غيبتي عن أمي وخالتي وهارون أخي وأختي في مملكة فرعون فقام شعيب وبسط يديه وقال : يا رب بحرمة إبراهيم الخليل وإسماعيل الصفي وإسحاق الذبيح ويعقوب الكظيم ويوسف الصديق رد قوتي وبصري فأمن موسى على دعائه فرد الله عليه بصره وقوته ثم أوصاه بابنته ﴿وسار﴾ موسى بإذن شعيب نحو مصر والسير المضي في الأرض ﴿بأهله﴾ بامرأته صفوريا وولده فإنها ولدت منه قبل السير كما في "كشف الأسرار".

وقال الكاشفي : (وببردكسان خودرا) فالباء على هذا للتعدية.
قال ابن عطاء : لما تم له أجل المحبة ودنت أيام القربة والزلفة وإظهار أنوار النبوة عليه سار بأهله ليشترك معه في لطائف الصنع.
قال في "كشف الأسرار" : (نماز يشين فراره بود همي رفت تاشب در آمد) وكان في البرية والليلة مظلمة باردة فضرب خيمته على الوادي وأدخل أهله فيها وهطلت السماء بالمطر والثلج (وأغنام ازبرف وباد ودمه متفرق شده يعني أغنمام كه أورا شعيب داده بود) وقدكان ساقها معه وكانت امرأته حاملا فأخذها الطلق فأراد أن يقدح فلم يظهر له نار فاغتم لذلك فحينئذ ﴿من جانب الطور نارا قال﴾ أي : أبصر من الجهة التي تلي الطور نارا يقال جانب الحائط للجهة التي تلي الجنب والطور اسم جبل مخصوص والنار يقال للهب الذي يبدو للحاسة وللحرارة المجردة ولنار جهنم.
(١) ".

"ليلة النصف من شعبان وكانت ليلة جمعة بت ثملا من الخمر ولم أصل صلاة العشاء فرأيت كأن أهل القبور قد خرجوا وحشر الخلائق وأنا معهم فسمعت حسا من ورائي فالتفت فإذا أنا بتنين عظيم أعظم ما يكون أسود أزرق قد فتح فاه مسرعا نحوي فمررت بين يديه هاربا فزعا مرعوبا فمررت في طريق بشيخ نقي الثياب طيب الرائحة فسلمت عليه فرد علي السلام فقلت له : أجرني وأغثني فقال : أنا ضعيف وهذا أقوى مني وما أقدر عليه ولكن مر وأسرع فلعل الله يسبب لك ما ينجيك منه فوليت هاربا على وجهي فصعدت على شرف من شرف القيامة فأشرفت على طبقات النيران فنظرت إلى أهلها فكدت أهوى فيها من فزع التنين وهو في طلبي فصاح بي صائح ارجع فلست من أهلها فاطمأننت إلى قوله ورجعت ورجع التنين في طلبي فأتيت الشيخ فقلت : يا شيخ سألتك أن تجيرني من هذا التنين فلم تفعل فبكى الشيخ وقال : أنا ضعيف ولكن سر إلى هذ الجبل فإن فيه ودائع للمسلمين فإن كان لك فيه وديعة فستنصرك فنظرت إلى جبل مستدير فيه كوى مخرقة وستور معلقة على كل خوخة وكوة مصراعان من الذهب الأحمر مفصلان باليواقيت مكللان بالدر وعلى كل مصراع ستر من الحرير فلما نظرت إلى الجبل هربت إليه والتنين ورائي حتى إذا قربت منه صاح بعض الملائكة ارفعوا الستور وافتحوا لمصاريع وأشرفوا فلعل لهذا البائس فيكم وديعة تجيره من عدوه وإذا الستور قد رفعت والمصاريع قد فتحت فأشرف علي أطفال بوجوه كالأقمار وقرب التنين مني فتحيرت في أمري فصاح بعض الأطفال ويحكم أشرفوا كلكم فقد قرب منه فأشرفوا فوجا بعد فوج فإذا بابنتي التي ماتت قد أشرفت علي معهم فلما رأتني بكت وقالت : أبي والله ثم وثبت في كفة من نور كرمية السهم حتى مثلث بين يدي فمدت يدها الشمال إلى يدي اليمنى فتعلقت بها ومدت يدها اليمنى فولى هاربا ثم أجلستني وقعدت في حجري وضربت بيدها اليمنى إلى لحيتي وقالت : يا أبت ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله فبكيت وقلت : يا بنية وأنتم تعرفون القرآن؟ فقالت : يا أبت نحن أعرف به منكم قلت : فأخبريني عن التنين الذي أراد أن يهلكني قالت : ذلك عملك السوء قويته فأراد أن يغرقك في نار جهنم قلت : فأخبريني عن الشيخ الذي مررت به في طريقي قالت : يا أبت ذلك عملك الصالح أضعفته حتى لم يكن له طاقة بعملك السوء قلت : يا بنية

(١) تفسير روح البيان ـ موافق للمطبوع، ٦/٢٩٠

وما تصنعون في هذا الجبل؟ قالت : نحن أطفال المسلمين قد أسكنا فيه إلى أن تقوم الساعة ننتظركم تقدمون علينا فنشفع لكم فانتبهت فزعا فلما أصبحت فارقت ما كنت عليه وتبت إلى الله تعالى وهذا سبب توبتي :

جزء : ٩ رقم الصفحة : ٣٤٤

سر از جيب غفلت بر آرر كنون

كه فردا نماند بحجلت نكون

كنون بايد اى خفته بيدار بود

و مرك اندر آردز خوابت هـ سود

زهجران طفلى كه درخاك رفت

هـ نالى كه اك آمد واك رفت

تواك آمدى بزحذر باش واك

كه ننكست نا ك رفتن بخاك

﴿إن المصدقين والمصدقات﴾ أي المتصدقين والمتصدقات ﴿وأقرضوا الله قرضا حسنا﴾

٣٦٦

عطف على الصلة من حيث المعنى أي إن الناس الذين تصدقوا وتصدقن وأقرضوا الله قرضا حسنا وأقرضن والاقراض الحسن عبارة عن التصدق من الطيب عن طيبة النفس وخلوص النية على المستحق للصدقة ففيه دلالة على أن المعتبر هو التصدق المقرون بالإخلاص فيندفع توهم التكرار لأن هذا تصدق مقيد وما قبله تصدق مطلق وفي الحديث : "يا معشر النساء تصدقن فإني أريتكن أكثر أهل النار" وفيه إشارة إلى زيادة احتياجهن إلى التصدق.

. وروي . مسلم عن جابر رضي الله عنه أنه قال : شهدت مع رسول الله عليه السلام صلاة العيد فبدأ بالصلاة قبل الخطبة بغير أذان ولا إقامة ثم قام متوكئا على بلال رضي الله عنه فأمر بتقوى الله وحث على طاعته ووعظ الناس وذكرهم ثم مضى إلى النساء فوعظهن وذكرهن فقال : تصدقن فإن أكثركن حطب جهنم قالت امرأة : لم يا رسول الله فقال : لا نكن تكثرن الشكاية وتكفرن العشير أي المعاشر وهو الزوج فجعلن يتصدقن من حليهن ويلقين في ثوب بلال حتى اجتمع فيه شيء كثير قسمه على فقراء المسلمين ﴿يضاعف لهم﴾ على البناء للمفعول مسند إلى ما بعده من الجار والمجرور وقيل إلى مصدر ما في حيز الصلة على حذف مضاف أي ثواب التصدق ﴿ولهم أجر كريم﴾ وهو الذي يقترن به رضى وإقبال :

بدنيا توانى كه عقبى خرى

بخرجان من ورنه حشرت خورى

جزء : ٩ رقم الصفحة : ٣٤٤
". (١)

"القراءة كما مر .

الوقوف : ﴿ شعيبا ﴾ ط ﴿ غيره ﴾ ط ﴿ إصلاحها ﴾ ط ﴿ مؤمنين ﴾ ج هـ لعطف المتفقتين أو وقوع العارض أو رأس الآية ﴿ عوجا ﴾ ج لاتفاق الجملتين مع طول الكلام ﴿ فكثركم ﴾ ج لعطف المتفقتين ﴿ المفسدين ﴾ هـ ﴿ بيننا ﴾ ج لاحتمال الواو الحال والاستئناف ﴿ الحاكمين ﴾ هـ ﴿ ملتنا ﴾ ط ﴿كارهين ﴾ هـ وقيل لا وقف لأن الابتداء بقوله ﴿ وقد افترينا ﴾ قبيح قلنا إذا كان محكيا عن شعيب كان أقبح ولكن الكلام معلق بشرط يعقبه . ﴿ منها ﴾ ط ﴿ الله ﴾ ط ﴿ ربنا ﴾ ط ﴿ علما ﴾ ط ﴿ توكلنا ﴾ وللعدول ﴿ الفاتحين ﴾ هـ ﴿ الخاسرون ﴾ هـ ﴿ جاثمين ﴾ هـ ج إن وصل وقف على ﴿كأن لم يغنوا فيها ﴾ على جعل ﴿ الذين ﴾ بدلا من الضمير في ﴿ أصبحوا ﴾ و ﴿كأن لم يغنوا ﴾ حال لمعنى في الجاثمين . وإن على ﴿ الذين ﴾ مبتدأ خبره ﴿كأن لم يغنوا ﴾ وقف على ﴿ جاثمين ﴾ وعلى ﴿ شعيب ﴾ ويستأنف ب ﴿كانوا ﴾ ولا يخلو من تعسف . ﴿ الخاسرين ﴾ هـ ﴿ ونصحت لكم ﴾ ط لأن ﴿كيف ﴾ للتعجب فيصلح للابتداء مع أنه فيه فاء التعقيب . ﴿كافرين ﴾ هـ والله أعلم .

التفسير : القصة السادسة قصة شعيب ومدين اسم البلد . وقيل : اسم القبيلة لأنه شعيب بن توبب بن مدين بن إبراهيم خليل الرحمن وكان يقال له خطيب الأنبياء لحسن مراجعته قومه ، وذلك أنه أمرهم بأشياء : الأول : عبادة الله ، أمرهم بها ونهاهم عن عبادة غير الله وهذا أصل معتبر في شرائع جميع الأنبياء . الثاني : تصديق ما ادعاه من النبوة وأشار إليه بقوله ﴿ قد جاءتكم بينة ﴾ أي معجزة دالة على نبوتي . ففي الآية دلالة مجملة على أن لشعيب معجزة ظاهرة كما ينبغي لكل مدعي نبوة وإلا كان متنبئا ، غير أن معجزته لم تذكر في القرآن كما لم يذكر أكثر معجزات نبينا صلى الله عليه وآله فيه . يحكى أنه دفع إلى موسى عصاه وتلك العصا ربت **التنين** وأيضا قال لموسى : إن هذه الأغنام تلد أولادا عنقها أسود وسائرها أبيض وقد وهبتها منك وكان الأمر كما أخبر . وكل ذلك قبل أن يستنبأ موسى . فقال أهل السنة : إن هذه الأمور علامات نبوة موسى ويسمى إرهاصا . وقالت المعتزلة : إنها معجزات شعيب بناء على أن الإرهاص عندهم غير جائز . الثالث قوله ﴿ فأوفوا الكيل ﴾ الآية . واعلم أن للأنبياء عليهم السلام أن يبدأوا في الموعظة بما يكون قومهم مقبلين عليه . وكان قوم شعيب مشغوفين بالبخس والتطفيف فكأنه يقول : البخس عبارة عن الخيانة بالشيء القليل وهو أمر مستقبح في العقول ومع ذلك فقد جاءت البينة والشريعة الموجبة لتحريمه فلم يبق لكم فيه عذر فأوفوا الكيل والميزان . قال في الكشاف : لم يقل المكيال والميزان كما في سورة هود لأنه أراد بالكيل آلة الكيل وهو المكيال ، أو سمى ما يكال به بالكيل كما قيل العيش لما يعاش به ، أو أريد فأوفوا الكيل ووزن الميزان ، أو الميزان مصدر كالميعاد والميلاد .." (٢)

---

(١) تفسير روح البيان ـ موافق للمطبوع، ٩/٣٠٠

(٢) تفسير النيسابوري، ٣/٤٦٩

"فأخذت الغنم ذات اليمين ولم يقدر على منعها فمشى على اثرها فإذا عشب وريف لم ير مثله فنام فإذا **بالتنين** قد اقبل فحاربته العصا حتى قتلته وعادت إلى موسى دامية فارتاح لذلك . وحين رجع إلى شعيب مس الغنم فوجدها ملأى البطون غزيرة اللبن فأخبره موسى ففرح وعلم أن لموسى والعصا شأنا . قيل : كن لما لا ترجو أرجى منك لما ترجو فإن موسى ذهب ليقتبس النار فكلمه الملك الجبار وقد مر في النمل تفسير قوله ﴿ فلما رآها تهتز ﴾ [النمل : ١٠] إلى قوله ﴿ من غير سوء ﴾ [الآية : ١٢] أما قوله ﴿ واضمم إليك جناحك من الرهب ﴾ فذكر جار الله له معنيين : أحدهما حقيقة وهو أنه لما قلب الله العصا حية فزع واضطراب فاتقاها بيده كما يفعل الخائف من الشيء فقيل له : إن اتقاءك بيدك فيه نقصان قدرك عند الأعداء فإن ألقيتها ، فكما تنقلب حية فادخل يدك تحت عضدك مكان اتقائك بها ثم أخرجها بيضاء ليحصل الأمران : اجتناب النقص وإظهار معجزة أخرى . وثانيهما مجاز وهو أن يراد بضم الجناح التجلد وضبط النفس حتى لا يضطرب فيكون استعارة من فعل الطائر لأنه إذا خاف أرخى جناحيه وإلا ضمهما . ومعنى ﴿ من الرهب ﴾ من أجل الخوف . والفرق بين هذه العبارة وبين قوله ﴿ اسلك يدك في جيبك ﴾ أن الغرض هناك خروج اليد بيضاء وههنا الغرض إخفاء الخوف أو اراد بالجناح المضموم ههنا اليد اليمنى وبالجناح المضموم إليه في قوله ﴿ واضمم يدك إلى جناحك ﴾ اليد اليسرى ، وقيل : إن الرهب هو الكم بلغة حمير وزيفه النقاد . من قرأ ﴿ فذانك ﴾ بالتخفيف فمثنى ذاك ، ومن قرأ بالتشديد فمثنى ذلك وأصله ذان لك قلبت اللام نونا وأدغمت . وسميت الحجة برهانا لبياضها وإنارتها من قولهم « امرأة برهرهة » أي بيضاء ، واليعن واللام مكررتان . والدليل على زيادة النون قولهم « أبره الرجل » إذا جاء بالبرهان ونظيره « السلطان » من السليط الزيت ، لإنارتها . وظاهر الكلام يقتضي أنه تعالى أمره بذلك قبل لقاء فرعون ، والسر فيه أن يكون على بصيرة من أمره عند لقاء المعاند اللجوج ، وزعم القاضي أنه في حال أداء الرسالة لأن المعجز إنما يظهر ليستدل المرسل إليه على الرسالة ولا يخفى ضعف هذا الكلام لأن الحكمة في الإظهار لا تنحصر في الاستدلال بل لعل هناك أنواعا أخر من الحكم والمقاصد قد ذكرنا واحدا منها . ومما يؤكد أن هذا الكلام قد جرى ولم يكن هناك أحد غير موسى قوله معتذرا ﴿ رب إني قتلت منهم نفسا ﴾ الآية . والردء اسم ما يعان به من ردأته أي أعنته فعل بمعنى مفعول به و ﴿ يصدقني ﴾ بالرفع صفة وبالجزم جواب كما مر في قوله ﴿ وليا يرثني ﴾ [مريم : ٥٦] والمراد بتصديق أخيه أن يذب ويجادل عنه لا أن يقول : صدقت فإن هذا القدر لا يفتقر إلى البيان والفصاحة لأن سحبان وباقلا يستويان فيه .." (١)

"" صفحة رقم ٣٩ "

شعيب بن ميكائيل بن يسجر بن مدين وكان يقال له خطيب الأنبياء (صلى الله عليه وسلم) لحسن مراجعته قومه) قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم (يريد المعجزة التي كانت له وليس في القرآن أنها ما هي وما روي من محاربة عصا موسى (صلى الله عليه وسلم) **التنين** وولادة الغنم التي دفعها إليه الدرع خاصة وكانت الموعودة له من أولادها ووقوع عصا آدم على يده في المرات السبع متأخرة عن هذه المقاولة ويحتمل أن تكون كرامة لموسى (صلى الله عليه وسلم) أو إرهاصا لنبوته) فأوفوا الكيل (أي آلة الكيل على الإضمار أو إطلاق الكيل على المكيال كالعيش

---

(١) تفسير النيسابوري، ١٤٥/٦

على المعاش لقوله) والميزان (كما قال في سورة هود) أوفوا المكيال والميزان (أو الكيل ووزن الميزان ويجوز أن يكون الميزان مصدرا كالميعاد) ولا تبخسوا الناس أشياءهم (ولا تنقصوهم حقوقهم وإنما قال أشياءهم للتعميم تنبيها على أنهم كانوا يبخسون الجليل والحقير والقليل والكثير وقيل كانوا مكاسين لا يدعون شيئا إلا مكسوه) ولا تفسدوا في الأرض (بالكفر والحيف) بعد إصلاحها (بعدما أصلح أمرها أو أهلها الأنبياء وأتباعهم بالشرائع أو أصلحوا فيها والإضافة إليها كالإضافة في) بل مكر الليل والنهار ( ) ذلكم خير لكم إن كنتم مؤمنين (إشارة إلى العمل بما أمرهم به ونهاهم عنه ومعنى الخيرية إما الزيادة مطلقا أو في الإنسانية وحسن الأحدوثة وجمع المال

الأعراف : (٨٦) ولا تقعدوا بكل . . . . .

) ولا تقعدوا بكل صراط توعدون (بكل طريق من طرق الدين كالشيطان وصراط الحق وإن كان واحدا لكنه يتشعب إلى معارف وحدود وأحكام وكانوا إذا رأوا أحدا يسعى في شيء منها منعوه وقيل كانوا يجلسون على المراصد فيقولون لمن يريد شعيبا إنه كذاب فلا يفتننك عن دينك ويوعدون لمن آمن به وقيل كانوا يقطعون الطريق) وتصدون عن سبيل الله (يعني الذي قعدوا عليه فوضع الظاهر موضع المضمر بيانا لكل صراط ودلالة." (١)

"له حين وبخهم على فعلهم القبيح وارتكابهم ما حرم الله تعالى عليهم من العمل الخبيث ﴿إلا أن قالوا﴾ أي : قال بعضهم لبعض ﴿أخرجوهم من قريتكم﴾ أي : ما جاؤوا بما يكون جوابا عما كلمهم به لوط عليه السلام من إنكار الفاحشة وتعظيم أمرها ولكنهم جاؤوا بشيء آخر لا يتعلق بنصيحته وكلامه من الأمر بإخراجه ومن معه من المؤمنين من قريتهم ضجرا بهم وبما يسمعونه من وعظهم ونصحهم وقولهم : ﴿إنهم أناس يتطهرون﴾ أي : يتنزهون عن فعلكم وعن أدبار الرجال سخرية بهم وبتطهيرهم من الفواحش وافتخارا بما كانوا فيه من القاذورات كما تقول الفسقة لبعض الصلحاء إذا وعظهم : أبعدوا عنا هذا المتقشف وأريحونا من هذا المتنزه.

﴿فأنجيناه﴾ أي لوطا ﴿وأهله﴾ أي : من آمن به ، وقوله تعالى : ﴿إلا امرأته﴾ استثناء من أهله فإنها كانت تسر الكفر موالية لأهل سذوم ﴿كانت من الغابرين﴾ أي : من الذين غبروا أي : بقوا في ديارهم فهلكوا.

وروي أنها التفتت فأصابها حجر فماتت وإنما قال تعالى : ﴿من الغابرين﴾ ولم يقل من الغابرات لأنها هلكت مع الرجال فغلب الذكور على الإناث.

﴿وأمطرنا عليهم مطرا﴾ أي : نوعا من المطر عجيبا وهو مبين بقوله تعالى : ﴿وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل﴾ (الحجر ، ٧٤)

جزء : ١ رقم الصفحة : ٥٦٦

أي : قد عجنت بالكبريت والنار ، يقال : مطرت السماء وأمطرت ، وقال أبو عبيدة : يقال في العذاب : أمطر وفي الرحمة مطر ، وقيل : خسف بالمقيمين منهم وأمطرت الحجارة على مسافريهم ﴿فانظر﴾ أي : أيها الإنسان ﴿كيف كان عاقبة المجرمين﴾.

---

(١) تفسير البيضاوي . موافق للمطبوع، ٣٩/٣

روي أن تاجرا منهم كان في الحرم فوقف الحجر أربعين يوما حتى قضى تجارته وخرج من الحرم فوقع عليه ، وقال مجاهد : نزل جبريل عليه السلام وأدخل جناحه تحت مدائن قوم لوط فاقتلعها ورفعها إلى السماء ثم قلبها فجعل أعلاها أسفلها ثم أتبعوا بالحجارة كما قال تعالى : ﴿فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل﴾ (الحجر ، ٧٤).

﴿وإلى مدين﴾ أي : وأرسلنا إلى ولد مدين بن إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام ﴿أخاهم﴾

٥٦٧

في النسب لا في الدين ﴿شعيبا﴾ بن ميكيل بن يشجر بن مدين وكان يقال له : خطيب الأنبياء لحسن مراجعته قومه عليه السلام وكان قومه أهل كفر وبخس للمكيال والميزان ﴿قال﴾ أي : شعيب عليه السلام ﴿يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره قد جاءتكم بينة﴾ أي : معجزة تدل على صدق ما جئت به ﴿من ربكم﴾ أوجبت عليكم الإيمان بي والأخذ بما آمركم به.

فإن قيل : ما كانت معجزته إذ لم تذكر له معجزة ؟

أجيب : بأنه قد وقع العلم بأنه كان له معجزة لقوله : ﴿قد جاءتكم بينة من ربكم﴾ ولأنه لا بد لمدعي النبوة من معجزة تشهد له وتصدقه وإلا لم تصح دعواه وكان متنبئا لا نبيا غير أن معجزته لم تذكر في القرآن كما لم تذكر أكثر معجزات نبينا صلى الله عليه وسلم فيه ومن معجزات شعيب عليه السلام الواردة في غير القرآن ما روي من محاربة عصا موسى **التنين** حين دفع إليه الغنم وولادة الغنم الدرع حين وعده أن يكون له الدرع من أولادها والدرع بوزن الصرد وهي الغنم التي أوائلها سواد وأواخرها بياض ووقوع عصا آدم عليه السلام على يده في المرات السبع وغير ذلك من الآيات لأن هذه كلها كانت قبل أن يستنبأ موسى عليه السلام فكانت معجزة لشعيب وهذا أولى من جعله كرامة لموسى أو إرهاصا وهو علامة تظهر قبل النبوة وقيل : أراد بالبينة الموعظة وهي قوله تعالى : ﴿فأوفو الكيل والميزان﴾ أي : أتموهما ﴿ولا تبخسوا﴾ أي : تنقصوا ﴿الناس أشياءهم﴾ فتطففوا الكيل والوزن يقال : بخس فلان الكيل والوزن إذا نقصه وطففه.

فإن قيل : هلا قال المكيال والميزان كما في سورة هود ؟

أجيب : بأنه أراد بالكيل آلة الكيل وهو المكيال أو سمى ما يكال به بالكيل ، أو أريد وأوفوا كيل المكيال ووزن الميزان وإنما قال ﴿أشياءهم﴾ لأنهم كانوا يبخسون الناس كل شيء في مبايعاتهم أو كانوا مكاسين لا يدعون شيئا إلا مكسوه كما يفعل أمراء الجور ﴿ولا تفسدوا في الأرض﴾ أي : بالكفر والمعاصي ﴿بعدإصلاحها﴾ أي : بعدما أصلح أمرها وأهلها الأنبياء وأتباعهم بالشرائع ﴿ذلكم﴾ أي : الذي ذكرت لكم وأمرتكم به من الإيمان ووفاء الكيل والميزان وترك المظالم والبخس ﴿خير لكم﴾ أي : مما أنتم عليه من الكفر وظلم الناس ﴿إن كنتم مؤمنين﴾ أي : مصدقين بما أقول لكم ومعنى ﴿خير لكم﴾ أي : في الإنسانية وحسن ما يتحدث به وجمع المال لأن الناس ترغب في متاجرتكم إذا عرفوا منكم الأمانة والتسوية.
﴾

جزء : ١ رقم الصفحة : ٥٦٦." (١)

---

(١) تفسير السراج المنير ـ موافق للمطبوع، ٣٨٩/١

"﴿قال﴾ الرب سبحانه وتعالى : الذي انتهكت حرمة داره ﴿اهبطا﴾ أي : آدم وحواء بما اشتملتما عليه من ذريتكما ﴿منها﴾ أي : الجنة ﴿جميعا﴾ وقيل : الخطاب لآدم ومعه ذريته ، ولإبليس ، فقوله تعالى : ﴿بعضكم لبعض عدو﴾ يكون على التفسير الأول بعض الذرية لبعض عدو من ظلم بعضهم لبعض ، وعلى الثاني آدم وذريته ، وإبليس وذريته ، وقوله تعالى : ﴿فإما﴾ فيه إدغام نون أن الشرطية في ما المزيدة ﴿يأتينكم مني هدى﴾ أي : كتاب ورسول ﴿فمن اتبع هداي﴾ الذي أسعفته به من أوامر الكتاب والرسول ﴿فلا يضل﴾ أي : بعد ذلك عن طريق السداد في الدنيا ﴿ولا يشقى﴾ في الآخرة ؛ قال ابن عباس : من قرأ القرآن ، واتبع ما فيه هداه الله تعالى من الضلالة ، ووقاه الله تعالى يوم القيامة سوء الحساب ، وذلك أن الله تعالى يقول : ﴿فمن اتبع هداي ، فلا يضل ولا يشقى﴾.

٥٤١

ولما وعد تعالى من اتبع الهدى أتبعه بوعيد من أعرض فقال تعالى :

﴿ومن أعرض عن ذكري﴾ أي : عن القرآن ، فلم يؤمن به ولم يتبعه ﴿فإن له معيشة ضنكا﴾ والضنك أصله الضيق والشدة ، وهو مصدر ، فكأنه قال : له معيشة ذات ضنك ، واختلف في ذلك ، فقال أبو هريرة وأبو سعيد الخدري وابن مسعود : المراد بالمعيشة الضنك عذاب القبر ، وروى أبو هريرة أن عذاب القبر للكافر ، قال : قال صلى الله عليه وسلم "والذي نفسي بيده ليسلط عليه في قبره تسعة وتسعون تنينا هل تدرون ما التنين ؟

تسعة وتسعون حية لكل حية تسعة رؤوس يخدشونه ويلسعونه ، وينفخون في جسمه إلى يوم يبعثون" ، وقال الحسن وقتادة والكلبي : هو الضيق في الآخرة في جهنم ، فإن طعامهم الضريع والزقوم ، وشرابهم الحميم والغسلين ، فلا يموتون فيها ولا يحيون ، وقال ابن عباس : المعيشة الضنك هي أن يضيق عليه أبواب الخير فلا يهتدي لشيء منها ، وعن عطاء : المعيشة الضنك هي معيشة الكافر ؛ لأنه غير موقن بالثواب والعقاب ، وروي عن علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : "عقوبة المعصية ثلاثة ؛ ضيق المعيشة والعسر في الشدة ، وأن لا يتوصل إلى قوته إلا بمعصية الله" ، وذلك أن مع الدين التسليم والقناعة والتوكل على الله تعالى ، وعلى قسمته ، فهو ينفق ما رزقه الله تعالى بسماح وسهولة ، فيعيش عيشا رفيعا كما قال الله تعالى : ﴿فلنحيينه حياة طيبة﴾ (النحل ، ٩٧) ، والمعرض عن الدين مستول عليه الحرص الذي لا يزال يطمح به إلى الازدياد من الدنيا مسلط عليه الشح الذي يقبض يده عن الانفاق فعيشه ضنك ، وحاله مظلمة ، قال صلى الله عليه وسلم "لو كان لابن آدم واد من ذهب لابتغى إليه ثانيا ، ولو كان له واديان لابتغى لهما ثالثا ، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ، ويتوب الله على من تاب" متفق عليه. قال بعض الصوفية : لا يعرض أحد عن ذكر ربه إلا أظلم عليه وقته ، وتشوش عليه رزقه ، وقال تعالى : ﴿استغفروا ربكم إنه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا﴾ (نوح : ١٠ ، ١١)

جزء : ٢ رقم الصفحة : ٥٣٨

الآية ، وقال تعالى : ﴿وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا﴾ (الجن ، ١٦)

. ثم ذكر حال المعرض في الآخرة بقوله تعالى : ﴿ونحشره يوم القيامة أعمى﴾ قال ابن عباس : إذا خرج من القبر خرج بصيرا ، فإذا سيق إلى المحشر عمي ، ولعله جمع بذلك بين هذا وبين قوله تعالى : ﴿أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا﴾ (مريم ،

٣٨) ، وقال عكرمة : عمي عليه كل شيء إلا جهنم ، وفي لفظ قال : لا يبصر إلا النار ، وعن مجاهد المراد بالعمى عدم الحجة ، ويؤيد الأول قوله تعالى :

﴿قال رب لم حشرتني أعمى﴾ في هذا اليوم ؟

﴿وقد كنت بصيرا﴾ أي : في الدنيا ، أو في أول هذا اليوم ، فكأنه قيل : بما أجيب ؟

فقيل :

﴿قال﴾ له ربه ﴿كذلك﴾ أي : مثل ذلك فعلت ، ثم فسره ، فقال : ﴿أتتك آياتنا﴾ واضحة نيرة ﴿فنسيتها﴾ فعميت عنها ، وتركتها غير منظور إليها ﴿وكذلك﴾ أي : ومثل تركك إياها ﴿اليوم تنسى﴾ أي : تترك في العمى والعذاب

﴿وكذلك﴾ أي : ومثل هذا الجزاء الشديد ﴿نجزي من أسرف﴾ في متابعة هواه ، فتكبر عن

٥٤٢

متابعة أوامرنا ﴿ولم يؤمن﴾ بل كذب ﴿بآيات ربه﴾ وخالفها ﴿ولعذاب الآخرة أشد﴾ مما نعذبهم به في الدنيا والقبر لعظمه ﴿وأبقى﴾ فإنه غير منقطع. ولما بين الله تعالى أن من أعرض عن ذكره كيف يحشر يوم القيامة اتبعه بما يعتبر به المكلف من الأفعال الواقعة في الدنيا ممن كذب الرسل ، فقال :

جزء : ٢ رقم الصفحة : ٥٣٨." (١)

"وعن الحسن ما كانت إلا عصا من الشجر اعترضها اعتراضا ، وعن الكلبي الشجرة التي منها نودي موسى شجرة العوسج ومنها كانت عصاه ، ولما أصبح قال له شعيب إذا بلغت مفرق الطريق فلا تأخذ على يمينك فإن الكلأ وإن كان بها كثيرا إلا أن فيها تنينا أخشاه عليك فأخذت الغنم ذات اليمين ولم يقدر على كفها فمشى على أثرها فإذا عشب وريف لم ير مثله فنام فإذا **بالتنين** قد أقبل فحاربته العصا حتى قتلته وعادت إلى جنب موسى دامية فلما أبصرها دامية **والتنين** مقتولا ارتاح لذلك ، ولما رجع إلى شعيب مس الغنم فوجدها ملأى البطون غزيرة اللبن فأخبره موسى ففرح وعلم أن لموسى والعصا شأنا.

جزء : ٣ رقم الصفحة : ١٣٨

١٤٤

﴿فلما قضى موسى الأجل﴾ أي : أتمه وفرغ منه وزوجه ابنته ، قال مجاهد مكث بعد ذلك عند صهره عشرا أخرى فأقام عنده عشرين سنة ، ثم إن شعيبا عليه السلام أراد أن يجازي موسى على رعيته إكراما له وصلة لابنته فقال له إني وهبت لك من الجداء التي تضعها أغنامي هذه السنة كل أبلق وبلقاء فأوحى الله تعالى إلى موسى في المنام أن اضرب بعصاك الماء الذي في مستقى الأغنام قال فضرب موسى بعصاه الماء ثم سقى الأغنام منه فما أخطأت واحدة منها إلا وضعت حملها ما بين أبلق وبلقاء فعلم شعيب أن ذلك رزق ساقه الله عز وجل إلى موسى وامرأته فوفى له بشرطه وسلم الأغنام إليه ، ثم إن موسى استأذنه في العود إلى مصر فأذن له فخرج ﴿وسار بأهله﴾ أي : امرأته راجعا إلى أقاربه بمصر ﴿آنس﴾ أي :

---

(١) تفسير السراج المنير . موافق للمطبوع، ٢/٣٨٥

أبصر من بعيد ﴿من جانب الطور﴾ اسم جبل ﴿نارا﴾ آنسته رؤيتها وكان في البرية في ليلة مظلمة شديدة البرد وأخذ امرأته الطلق حينئذ ﴿قال لأهله امكثوا﴾ أي : ههنا ، وقرأ حمزة في الوصل بضم الهاء قبل همزة الوصل ، وعبر موسى عليه السلام بضمير الذكور فلعل كان معه بنون فغلبهم على امرأته ، وقد ذكرت غير ذلك في السورة التي قبل هذه ، ثم علل ذلك بقوله مؤكدا لاستبعاد أن يكون في ذلك المكان القفر وفي ذلك الوقت الشديد البرد نارا ﴿إني آنست نارا﴾ فتح الياء نافع وابن كثير وأبو عمرو ، وسكنها الباقون ، كأنه قيل فماذا تعلم بها فقال معبرا بالترجي لأنه أليق بالتواضع ﴿لعلى آتيكم منها﴾ أي : من عندها ﴿بخبر﴾ أي : عن الطريق لأنه كان قد أخطأها ﴿أوجذوة﴾ أي : قطعة وشعلة ﴿من النار﴾ وقال قتادة ومقاتل : هو العود الذي احترق بعضه تنبيه : من النار صفة لجذوة ولا يجوز تعلقها بآتيكم كما تعلق به منها لأن هذه النار هي النار المذكورة ، والعرب إذا قدمت نكرة وأرادت إعادتها أعادتها مضمرة أو معرفة بأل العهدية وقد جمع الأمرين هنا ، وقرأ عاصم بفتح الجيم وحمزة بضمها ، والباقون بالكسر وكلها لغات وجمعها جذى ، ثم استأنف قوله ﴿لعلكم تصطلون﴾ أي : لتكونوا على رجاء من أن تقربوا من النار فتعطفوا عليها للتدفؤ ، وهذا دليل على أن الوقت كان شتاء. ﴾

جزء : ٣ رقم الصفحة : ١٤٤

فلما أتاها﴾ أي : النار ، وبنى ﴿نودي﴾ للمفعول لأن آخر الكلام يدل دلالة واضحة على أن المنادي هو الله تعالى ولما كان نداؤه تعالى لا يشبه نداء غيره بل يكون من جميع الجوانب ومع ذلك قد يكون لبعض المواضع مزيد شرف بوصف من الأوصاف إما بأن يكون أول السماع منه أو غيره ذلك أو يكون باعتبار موسى عليه السلام قال ﴿من شاطئ الواد﴾ فمن : لابتداء الغاية ، وقوله تعالى ﴿الأيمن﴾ صفة للشاطئ أو للوادي ، والأيمن من اليمن وهو البركة أو من اليمين المعادل لليسار من العضوين ومعناه على هذا بالنسبة إلى موسى أي : الذي يلي يمينك دون يسارك ، والشاطئ ضفة الوادي والنهر أي : حافته وطرفه وكذا الشط والسيف والساحل كلها بمعنى ، وجمع الشاطئ أشطأ

١٤٥

قاله الراغب وشاطأ فلانا ماشيته سار بها على الشاطئ ، وقوله تعالى ﴿في البقعة المباركة﴾ متعلق بنودي أو بمحذوف على أنه حال من الشاطئ ومعنى المباركة جعلها الله تعالى مباركة لأن الله تعالى كلم موسى عليه السلام هناك وبعثه نبيا ، وقال عطاء : يريد المقدسة وقوله تعالى : ﴿من الشجرة﴾ بدل من شاطئ الوادي بإعادة الجار بدل اشتمال لأن الشجرة كانت ثابتة على الشاطئ ، قال البقاعي : ولعل الشجرة كانت كبيرة فلما وصل إليها دخل النور من طرفها إلى وسطها فدخلها وراءه بحيث توسطها فسمع وهو فيها الكلام من الله تعالى حقيقة وهو المتكلم سبحانه وتعالى لا الشجرة.

قال القشيري : وحصل الإجماع على أنه عليه السلام سمع تلك الليلة كلام الله تعالى ولو كان ذلك نداء الشجرة لكان المتكلم الشجرة وقال التفتازاني : في شرح المقاصد إن اختيار حجة الإسلام أنه سمع كلامه الأزلي بلا صوت ولا حرف كما ترى ذاته في الآخرة بلاكم ولا كيف.." (١)

(١) تفسير السراج المنير ـ موافق للمطبوع، ٩٧/٣

"وليس بها عشب كثير، ولا تأخذ عن يسارك فإن بها عشبا كثيرا وتنينا كبيرا لا يقبل المواشي، فساق المواشي إلى مفرق الطريق، فأخذت نحو اليسار ولم يقدر على ضبطها، فنام موسى وخرج التنين، فقامت العصا وصارت شعبتاها حديدا وحاربت التنين حتى قتلته، وعادت إلى موسى عليه السلام، فلما انتبه موسى رأى العصا مخضوبة بالدم، والتنين مقتولا، فعاد إلى شعيب عشاء، وكان شعيب ضريرا فمس الاغنام، فإذا أثر الخصب باد عليها، فسأله عن القصة فأخبره بها، ففرح شعيب وقال: كل ما تلد هذه المواشي هذه السنة قالب لون - أي ذات لونين - فهو لك، فجاءت جميع السخال تلك السنة ذات لونين، فعلم شعيب أن لموسى عند الله مكانة.

وروى عيينة بن حصن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " أجر موسى نفسه بشبع بطنه وعفة فرجه " فقال له شعيب لك منها - يعني من نتاج غنمه - ما جاءت به قالب لون ليس فيها عزوز ولا فشوش ولا كموش ولا ضبوب ولا ثعول.

قال الهروي: العزوز البكيئة، مأخوذ من العزاز وهي الارض الصلبة، وقد تعززت الشاة.

والفشوش التي ينفش لبنها من غير حلب وذلك لسعة الا حليل، ومثله الفتوح والثرور.

ومن أمثالهم: (لا فشنك فش الوطب) أي لاخرجن غضبك وكبرك من رأسك.

ويقال: فش السقاء إذا أخرج منه الريح ومنه الحديث: " إن الشيطان يفش بين أليتي أحدكم حتى يخيل إليه أنه أحدث " أي ينفخ نفخا ضعيفا والكموش: الصغيرة الضرع، وهي الكميشة أيضا، سميت بذلك لا نكماش ضرعها وهو تقلصه، ومنه يقال: رجل كميش الازار.

والكشود مثل الكموش.

والضبوب الضيقة ثقب الاحليل.

والضب الحلب لشدة العصر.

والثعول الشاة التي لها زيادة حلمة وهي الثعل.

والثعل زيادة السن، وتلك الزيادة هي [الراءول] (١).

ورجل أثعل.

والثعل [ضيق] (٢) مخرج اللبن.

قال الهروي: وتفسير قالب لون في الحديث أنها جاءت على غير ألوان أمهاتها.

---

(١) الزيادة من اللسان، وفي الاصل: " هي الثعل " ولعله تحريف، إذ أن عبارة اللسان " وتلك السن الزائدة يقال لها الراءول ".

(٢) زيادة يقتضيها المعنى.

(*)".[1]

---

(١) تفسير القرطبي، ٢٧٧/١٣

"ما لم يخلص إلى اليقين والهدى، فهو في قلق وحيرة وشك، فلا يزال في ريبة يتردد. فهذا من ضنك المعيشة.

قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿ فإن له معيشة ضنكا ﴾ قال: الشقاء.

وقال العوفي، عن ابن عباس: ﴿ فإن له معيشة ضنكا ﴾ قال: كل مال (١) أعطيته عبدا من عبادي، قل أو كثر، لا يتقيني فيه، فلا خير فيه، وهو الضنك في المعيشة. ويقال: إن قوما ضلالا أعرضوا عن الحق، وكانوا في سعة من الدنيا متكبرين، فكانت معيشتهم ضنكا؛ [و] (٢) ذلك أنهم كانوا يرون أن الله ليس مخلفا لهم معايشهم، من سوء ظنهم بالله والتكذيب، فإذا كان العبد يكذب بالله، ويسيء الظن به والثقة به اشتدت عليه معيشته، فذلك الضنك.

وقال الضحاك: هو العمل السيئ، والرزق الخبيث، وكذا قال عكرمة، ومالك بن دينار.

وقال سفيان بن عيينة، عن أبي حازم، عن أبي سلمة، عن أبي سعيد في قوله: ﴿ معيشة ضنكا ﴾ قال: يضيق عليه قبره، حتى تختلف أضلاعه فيه. قال أبو حاتم الرازي: النعمان بن أبي عياش (٣) يكنى أبا سلمة.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو زرعة، حدثنا صفوان، حدثنا الوليد، حدثنا عبد الله بن لهيعة، عن دراج، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قول الله عز وجل: ﴿ فإن له معيشة ضنكا ﴾ قال: "ضمة القبر" الموقوف أصح . (٤)

وقال ابن أبي حاتم أيضا: حدثنا الربيع بن سليمان، حدثنا أسد بن موسى، حدثنا ابن لهيعة، حدثنا دراج أبو السمح، عن ابن حجيرة -اسمه عبد الرحمن -عن أبي هريرة، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: المؤمن في قبره في روضة خضراء، ويرحب له في قبره سبعون ذراعا، وينور له قبره كالقمر ليلة البدر، أتدرون فيم أنزلت هذه الآية: ﴿ فإن له معيشة ضنكا ﴾ ؟ أتدرون ما المعيشة الضنك؟" قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: عذاب الكافر في قبره، والذي نفسي بيده، إنه ليسلط عليه تسعة وتسعون تنينا، أتدرون ما **التنين؟** تسعة وتسعون حية، لكل حية سبعة رؤوس، ينفخون في جسمه، ويلسعونه ويخدشونه إلى يوم يبعثون" . (٥) .

رفعه منكر جدا.

وقال البزار: حدثنا محمد بن يحيى الأزدي، حدثنا محمد بن عمرو (٦) حدثنا هشام بن سعد، عن سعيد بن أبي هلال، [عن أبي حجيرة] (٧) عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم في قول الله عز وجل: ﴿ فإن له معيشة ضنكا ﴾ قال: "المعيشة الضنك الذي قال الله تعالى: أنه يسلط عليه تسعة وتسعون

---

(١) في هـ: "ما" والمثبت من ف، أ.

(٢) زيادة من ف.

(٣) في ف: "عياض".

(٤) والمرفوع في إسناده دراج عن أبي الهيثم وهو ضعيف.

(٥) ورواه أبو يعلى في مسنده (١١/٥٢١) من طريق ابن وهب عن عمرو بن الحارث عن دراج به.

(٦) في ف: "محمد بن عمر".

(٧) زيادة من ف، أ.." [١]

" الذين آمنوا بصالح

وقوله تعالى ووجدها تطلع على قوم هم أهل جابلق وهم من نسل مؤمني قوم عاد الذين آمنوا بهود ويقال لها بالسريانية مرقيسيا ولكل واحد من المدينتين عشرة آلاف باب بين كل بابين فرسخ ومر بهم نبينا محمد صلى الله عليه و سلم ليلة الإسراء فدعاهم فأجابوه وأمنوا به ودعا من ورائهم من الأمم فلم يجيبوه في حديث طويل رواه الطبري عن مقاتل بن حيان عن عكرمة عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه و سلم والله أعلم انتهى والله أعلم بصحته

ويأجوج وماجوج قبيلان من بني آدم لكنهم ينقسمون أنواعا كثيرة اختلف الناس في عددها واختلف في إفسادهم الذي وصفوهم به فقيل أكل بني آدم وقالت فرقة إفسادهم هو الظلم والغشم وسائر وجوه الإفساد المعلوم من البشر وهذا أظهر الأقوال وقولهم فهل نجعل لك خرجا استفهام على جهة حسن الأدب والخرج المجيء وهو الخراج وقرأ عاصم وحمزة والكسائي خراجا وروي في أمر يأجوج وماجوج أن أرزاقهم هي من **التنين** يمطرون به ونحو هذا مما لم يصح وروي أيضا أن الذكر منهم لا يموت حتى يولد له ألف والأنثى كذلك وروي أنهم يتسافدون في الطرق كالبهائم وأخبارهم تضيق بها الصحف فاختصرت ذلك لعدم صحته ت والذي يصح من ذلك كثرة عددهم على الجملة على ما هو معلوم من حديث أخرج بعث النار وغيره من الأحاديث

وقوله ما مكني فيه ربي خير المعنى قال لهم ذو القرنين ما بسطه الله لي من القدرة والملك خير من خراجكم ولكن اعينوني بقوة الأبدان وهذا من تأييد الله تعالى له فإنه تهدى في هذه المحاورة إلى الأنفع الأنزه فإن القوم لو جمعوا له الخراج الذي هو المال لم يعنه منهم أحد ولو كلوه إلى البنيان ومعونتهم بالقوة أجمل به

وقوله ءاتوني زبر الحديد الآية قرأ حمزة وغيره ائتوني بمعنى جيئوني وقرأ نافع وغيره ءاتوني بمعنى أعطوني وهذا ." [٢]

"و ﴿المجرمين﴾ عام في قوم نوح وهود وصالح ولوط وغيرهم وهو من نظر التفكر أو من نظر البصر فيمن بقيت له آثار منازل ومساكن كثمود وقوم لوط كما قال تعالى ﴿وعادا وثمودا وقد تبين لكم من مساكنهم﴾ .

جزء : ٤ رقم الصفحة : ٣١٤

﴿وإلى مدين أخاهم شعيبا قال ياقوم اعبدوا الله ما لكم من إلاه غيرها﴾ . قال الفراء ﴿مدين﴾ اسم بلد وقطر وأنشد :

رهبان مدين لو رأوك تنزلوا

فعلى هذا التقدير وإلى أهل مدين ، وقيل : اسم قبيلة سميت باسم أبيها مدين بن إبراهيم قاله مقاتل وأبو سليمان الدمشقي ، وشعيب قيل : هو ابن بنت لوط ، وقيل زوج بنته وهذه مناسبة بين قصته وقصة لوط وشعيب اسم عربي تصغير شعب أو شعب والجمهور على أن مدين أعجمي فإن كان عربيا احتمل أن يكون فعيلا من مدين بالمكان أقام به وهو بناء نادر

---

(١) تفسير ابن كثير / دار طيبة، ٣٢٣/٥

(٢) تفسير الثعالبي، ٣٩٥/٢

، وقيل : مهمل أو مفعلا من دان فتصحيحه شاذ كمريم ومكورة ومطيبة وهو ممنوع الصرف على كل حال سواء كان اسم أرض أو اسم قبيلة أعجميا أم عربيا واختلفوا في نسب شعيب ، فقال عطاء وابن إسحاق وغيرهما : هو شعيب بن ميكيل بن سجن بن مدين بن إبراهيم واسمه بالسريانية بيروت ، وقال الشرقي بن القطامي : شعيب بن عنقاء بن ثويب بن مدين بن إبراهيم ، وقال أبو القاسم اسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي الطلحي الأصبهاني في كتاب الإيضاح في التفسير من تأليفه : هو شعيب بن ثويب بن مدين بن إبراهيم ، وقيل : شعيب بن جذي بن سجن بن اللام بن يعقوب ، وكذا قال ابن سمعان إلا أنه جعل مكان اللام لاوي ولا يعرف في أولاد يعقوب اللام فلعله تصحيف من لاوي ، وقيل : شعيب بن صفوان بن عنقاء بن ثويب بن مدين بن إبراهيم ، وقال الشريف النسابة الجواني : وهو المنتهى إليه في هذا العلم هو شعيب بن حبيش بن وائل بن مالك بن حرام بن جذام واسمه عامر أخو نجم وهما ولدا الحارث بن مرة بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن عابر هود عليه السلام فبينه وبين هود في هذا النسب الأخير ثمانية عشر أبا وبينهما في بعض النسب المذكور سبعة آباء لأنه ذكر فيه أنه شعيب بن ثويب بن مدين بن إبراهيم وإبراهيم هو ابن تارح بن ناحور بن ساروغ بن أزغو بن فالغ بن عابر وهو هود عليه السلام وكان يقال لشعيب : خطيب الأنبياء لحسن مراجعته قومه ، قال قتادة : أرسل مرتين مرة إلى مدين ومرة إلى أصحاب الأيكة وتعلق إلى مدين وانتصب ﴿أخاهم﴾ بأرسلنا وهذا يقوي قول من نصب لوطا بأرسلنا وجعله معطوفا على الأنبياء قبله. ﴿قد جآءتكم بينة من ربكم﴾

جزء : ٤ رقم الصفحة : ٣١٤

قرأ الحسن آية من ربكم وهذا دليل على أنه جاء بالمعجزة إذ كان نبي لا بد له من معجزة تدل على صدقه لكنه لم يعين هنا ما المعجزة ولا من أي نوع هي كما أنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم معجزات كثيرة جدا لم تعين في القرآن وقال قوم : كان شعيب نبيا ولم تكن له بينة والبينة هنا الموعظة وأنكر الزجاج هذا القول وقال : لا تقبل نبوة بغير معجزة ومن معجزاته أنه دفع إلى موسى عصاه وتلك العصا صارت تنينا ، وقال الزمخشري : ومن معجزات شعيب ما روي من محاربة عصا موسى **التنين** حين دفع إليه غنمة وولادة الغنم الدرع خاصة حين وعده أن يكون له الدرع من أولادها ووقوع عصا آدم على يده في المرات السبع وغير ذلك من الآيات لأن هذه كلها كانت قبل أن ينبأ موسى عليه السلام فكانت معجزات لشعيب ، وقال الزجاج : وأيضا قال لموسى عليه السلام هذه الأغنام تلد أولادا فيها سواد وبياض وقد وهبتها لك فكان الأمر كما أخبر عنه وهذه الأحوال كلها كانت معجزة لشعيب عليه السلام لأن موسى عليه السلام في ذلك الوقت ما ادعى الرسالة انتهى ، وما قاله الزمخشري متبعا فيه الزجاج هو قول المعتزلة وذلك أن الإرهاص وهو ظهور المعجزة على

٣٣٦

يد من سيصير نبيا ورسولا بعد ذلك مختلف في جوازه فالمعتزلة تقول : هو غير جائز فلذلك جعلوا هذه المعجزات لشعيب

وأهل السنة يقولون بجوازه فهي إرهاص لموسى بالنبوة قبل الوحي إليه والحجج للمذهبين مذكورة في أصول الدين. ". (١)

"اعلم أن هذا هو القصة الخامسة وقد ذكرنا أن التقدير وأرسلنا إلى مدين أخاهم شعيبا وذكرنا أن هذه الأخوة كانت في النسب لا في الدين وذكرنا الوجوه فيه واختلفوا في مدين فقيل أنه اسم البلد وقيل إنه اسم القبيلة بسبب أنهم أولاد مدين بن إبراهيم عليه السلام ومدين صار اسما للقبيلة كما يقال بكر وتميم وشعيب من أولاده وهو شعيب بن نويب بن مدين بن إبراهيم خليل الرحمن

واعلم أنه تعالى حكى عن شعيب أنه أمر قومه في هذه الآية بأشياء الأول أنه أمرهم بعبادة الله ونهاهم عن عبادة غير الله وهذا أصل معتبر في شرائع جميع الأنبياء فقال اعبدوا الله مالكم من إلاه غيره والثاني أنه ادعى النبوة فقال قد جاءتكم بينة من ربكم ويجب أن يكون المراد من البينة ههنا المعجزة لأنه لا بد لمدعي النبوة منها وإلا لكان متنبئا لا نبيا فهذه الآية دلت على أنه حصلت له معجزة دالة على صدقه فأما أن تلك المعجزة من أي الأنواع كانت فليس في القرآن دلالة عليه كما لم يحصل في القرآن الدلالة على كثير من معجزات رسولنا قال صاحب (الكشاف) ومن معجزات شعيب أنه دفع إلى موسى عصاه وتلك العصا حاربت التنين وأيضا قال لموسى أن هذه الأغنام تلد أولادا فيها سواد وبياض وقد وهبتها منك فكان الأمر كما أخبر عنه ثم قال وهذه الأحوال كانت معجزات لشعيب عليه السلام لأن موسى في ذلك الوقت ما ادعى الرسالة واعلم أن هذا الكلام بناء على أصل مختلف بين أصحابنا وبين المعتزلة وذلك لأن عندنا أن الذي يصير نبيا ورسولا بعد ذلك يجوز أن يظهر الله عليه أنواع المعجزات قبل إيصال الوحي ويسمى ذلك إرهاصا للنبوة فهذا الإرهاص عندنا جائز وعند المعتزلة غير جائز فالأحوال التي حكاها صاحب (الكشاف) هي عندنا إرهاصات لموسى عليه السلام وعند المعتزلة معجزات لشعيب لما أن الإرهاص عندهم غير جائز والثالث أنه قال فأوفوا الكيل والميزان

واعلم أن عادة الأنبياء عليهم السلام إذا رأوا قومهم مقبلين على نوع من أنواع المفاسد إقبالا أكثر من إقبالهم على سائر أنواع المفاسد بدأوا بمنعهم عن ذلك النوع وكان قوم شعيب مشغوفين بالبخس والتطفيف فلهذا السبب بدأ بذكر هذه الواقعة فقال فأوفوا الكيل والميزان وههنا سؤالان

السؤال الأول الفاء في قوله فأوفوا توجب أن تكون للأمر بإيفاء الكيل كالمعلول والنتيجة عما سبق ذكره وهو قوله قد جاءتكم بينة من ربكم فكيف الوجه فيه

والجواب كأنه يقول البخس والتطفيف عبارة عن الخيانة بالشيء القليل وهو أمر مستقبح في العقول ومع ذلك قد جاءت البينة والشريعة الموجبة للحرمة فلم يبق لكم فيه عذر فأوفوا الكيل

السؤال الثاني كيف قال الكيل والميزان ولم يقل المكيال والميزان كما في سورة هود

والجواب أراد بالكيل آلة الكيل وهو المكيال أو يسمى ما يكال به بالكيل كما يقال العيش لما." (٢)

---

(١) تفسير البحر المحيط ـ موافق للمطبوع (دار الفكر)، ٢٧٣/٤

(٢) تفسير الرازي: مفاتيح الغيب ـ موافق للمطبوع، ١٤١/١٤

"يطق وأخذها موسى عليه السلام بسهولة فتركها الشيخ لع ورعى له عشر سنين وثانيها روى ابن صالح عن ابن عباس قال كان في دار بيرون ابن أخي شعيب بيت لا يدخله إلا بيرون وابنته التي زوجها من موسى عليه السلام وأنها كانت تكنسه وتنطفه وكان في ذلك البيت ثلاث عشرة عصا وكان لبيرون أحد عشر ولدا من الذكور فكلما أدرك منهم ولد أمره بدخول البيت وإخراج عصا من تلك العصي فرجع موسى ذات يوم إلى منزله فلم يجد أهله واحتج إلى عصا لرعيه فدخل ذلك البيت وأخذ عصا من تلك العصي وخرج بها فلما علمت المرأة ذلك انطلقت إلى أبيها وأخبرته بذلك فسر بذلك بيرون وقال لها إن زوجك هذا لنبي وإن له مع هذه العصا لشأنا وثالثها في بعض الأخبار أن موسى عليه السلام لما عقد العقد مع شعيب وأصبح من الغد وأراد الرعي قال له شعيب عليه السلام اذهب بهذه الأغنام فإذا بلغت مفرق الطريق فخذ على يسارك ولا تأخذ على يمينك وإن كان الكلأ بها أكثر فإن بها تنينا عظيما فأخشى عليك وعلى الأغنام منه فذهب موسى بالأغنام فلما بلغ مفرق الطريق أخذت الأغنام ذات اليمين فاجتهد موسى على أن يردها فلم يقدر فسار على أثرها فرأى عشبا كثيرا ثم إن موسى عليه السلام نام والأغنام ترعى وإذا **بالتنين** قد جاء فقامت عصا موسى عليه السلام فقاتلته حتى قتلته وعادت إلى جنب موسى وهي دامية فلما استيقظ موسى عليه السلام رأى العصا دامية **والتنين** مقتولا فارتاح لذلك وعلم أن لله تعالى في تلك العصا قدرة وآية وعاد إلى شعيب عليه السلام وكان ضريرا فمس الأغنام فإذا هي أحسن حالا مما كانت فسأله عن ذلك فأخبره موسى عليه السلام بالقصة ففرح بذلك وعلم أن لموسى عليه السلام وعصاه شأنا فأراد أن يجازي موسى عليه السلام على حسن رعيه إكراما وصلة لابنته فقال إني وهبت لك من السخال التي تضعها أغنامي في هذه السنة كل أبلق وبلقاء فأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام أن اضرب بعصاك الماء الذي تسقي الغنم منه ففعل ثم سقى الأغنام منه فما أخطت واحدة منها إلا وضعت حملها ما بين أبلق وبلقاء فعلم شعيب أن ذلك رزق ساقه الله تعالى إلى موسى عليه السلام وامرأته فوفى له شرطه ورابعها قال بعضهم تلك العصا هي عصا آدم عليه السلام وإن جبريل عليه السلام أخذ تلك العصا بعد موت آدم عليه السلام فكانت معه حتى لقي بها موسى عليه السلام ربه ليلا وخامسها قال الحسن ما كانت إلا عصا من الشجر اعترضها اعتراضا أي أخذها من عرض الشجر يقال اعترض إذا لم يتخير وعن الكلبي الشجرة التي منها نودي شجرة العوسج ومنها كانت عصاه ولا مطمع في ترجيح بعض هذه الوجوه على بعض لأنه ليس في القرآن ما يدل عليها والأخبار متعارضة والله أعلم بها

أما قوله تعالى اسلك يدك فى جيبك تخرج بيضاء من غير سوء فاعلم أن الله تعالى قد عبر عن هذا المعنى بثلاث عبارات أحدها هذه وثانيها قوله في طه (٢٢) واضمم يدك إلى جناحك تخرج بيضاء وثالثها قوله في النمل (١٢) وأدخل يدك فى جيبك قال العزيزي في غريب القرآن اسلك يدك فى جيبك أدخلها فيه

أما قوله واضمم إليك جناحك من الرهب فأحسن الناس كلاما فيه قال صاحب (الكشاف) فيه معنيان أحدهما أن موسى عليه السلام لما قلب الله له العصا حية فزع واضطرب فاتقاها بيده كما يفعل الخائف من الشيء فقيل له إن اتقاءك

بيدك فيه غضاضة عند الأعداء فإذا ألقيتها فكما تنقلب حية فأدخل يدك تحت عضدك مكان اتقائك بها ثم أخرجها بيضاء ليحصل الأمران اجتناب ما هو غضاضة عليك وإظهار." (١)

"الأول والسماء ذات الحبك قيل الطرائق وعلى هذا فيحتمل أن يكون المراد طرائق الكواكب وممراتها كما يقال في المحابك ويحتمل أن يكون المراد ما في السماء من الأشكال بسبب النجوم فإن في سمت كواكبها طريق التنين والعقرب والنسر الذي يقول به أصحاب الصور ومنطقة الجوزاء وغير ذلك كالطرائق وعلى هذا فالمراد به السماء المزينة بزينة الكواكب ومثله قوله تعالى والسماء ذات البروج (البروج ١) وقيل حبكها صفاقها يقال في الثوب الصفيق حسن الحبك وعلى هذا فهو كقوله تعالى والسماء ذات الرجع (الطارق ١١) لشدتها وقوتها وهذا ما قيل فيه

البحث الثاني في المقسم عليه وهو قوله تعالى إنكم لفى قول مختلف وفي تفسيره أقوال مختلفة كلها محكمة الأول إنكم لفي قول مختلف في حق محمد (صلى الله عليه وسلم) تارة يقولون إنه أمين وأخرى إنه كاذب وتارة تنسبونه إلى الجنون وتارة تقولون إنه كاهن وشاعر وساحر وهذا محتمل لكنه ضعيف إذ لا حاجة إلى اليمين على هذا لأنهم كانوا يقولون ذلك من غير إنكار حتى يؤكد بيمين الثاني إنكم لفى قول مختلف أي غير ثابتين على أمر ومن لا يثبت على قول لا يكون متيقنا في اعتقاده فيكون كأنه قال تعالى والسماء إنكم غير جازمين في اعتقادكم وإنما تظهرون الجزم لشدة عنادكم وعلى هذا القول فيه فائدة وهي أنهم لما قالوا للنبي (صلى الله عليه وسلم) إنك تعلم أنك غير صادق في قولك وإنما تجادل ونحن نعجز عن الجدل قال والذريات ذروا أي أنك صادق ولست معاندا ثم قال تعالى بل أنتم والله جازمون بأني صادق فعكس الأمر عليهم الثالث إنك لفي قول مختلف أي متناقض أما في الحشر فلأنكم تقولون لا حشر ولا حياة بعد الموت ثم تقولون إنا وجدنا آباءنا على أمة فإذا كان لا حياة بعد الموت ولا شعور للميت فماذا يصيب آباءكم إذا خالفتموهم وإنما يصح هذا ممن يقولون بأن بعد الموت عذابا فلو علمنا شيئا يكرهه الميت يبدي فلا معنى لقولكم إنا لا ننسب آباءنا بعد موتهم إلى الضلال وكيف وأنتم تربطون الركائب على قبور الأكابر وأما في التوحيد فتقولون خالق السماوات والأرض هو الله تعالى لا غيره ثم تقولون هو إلاه الآلهة وترجعون إلى الشرك وأما في قول النبي (صلى الله عليه وسلم) فتقولون إنه مجنون ثم تقولون له إنك تغلبنا بقوة جدلك والمجنون كيف يقدر على الكلام المنتظم المعجز إلى غير ذلك من الأمور المتناقضة ثم قال تعالى يؤفك عنه من أفك

وفيه وجوه أحدها أنه مدح للمؤمنين أي يؤفك عن القول المختلف ويصرف من صرف عن ذلك القول ويرشد إلى القول المستوي وثانيها أنه ذم معناه يؤفك عن الرسول ثالثها يؤفك عن القول بالحشر رابعها يؤفك عن القرآن وقرىء يؤفن عنه من أفن أي يحرم وقرىء يؤفك عنه من أفك أي كذب ثم قال تعالى

قتل الخراصون

وهذا يدل على أن المراد من قوله لفى قول مختلف (الذاريات ٨) أنهم غير ثابتين على أمر وغير جازمين بل هم يظنون ويخرصون ومعناه لعن الخراصون دعاء عليهم بمكروه ثم وصفهم فقال

---

(١) تفسير الرازي: مفاتيح الغيب . موافق للمطبوع، ٢١١/٢٤

الذين هم في غمرة ساهون

وفيه مسألتان إحداهما لفظية والأخرى معنوية

أما اللفظية فقوله ساهون يحتمل أن يكون خبرا بعد خبر والمبتدأ هو قوله هم وتقديره هم." (١)

"فوجدهم على مقد [ا] ر واحد ذكرهم وأنثاهم يبلغ طول أحدهم مثل نصف طول الرجل المربوع منا . لهم مخاليب في مواضع الأظفار من أيدينا . وأضراس وأنياب كأضراس السباع وأنيابها ، وأحناك [كأحناك] الابل قوة . تسمع لهم حركة إذا أكلوا كحركة الجرة من الإبل ، أو كقضم البغل المسن . ولهم هلب من الشعر في أجسادهم ما يواريهم ، و [ما] يتقون به الحر والبرد ، ولكل واحد منهم أذنان عظيمتان ، إحداهما وبرة ظهرها وبطنها ، والأخرى زغبة ظهرها وبطنها . تسعانه إذا لبسهما يلتحف إحداهما ويفترش الأخرى . يصيف في أحدهما ويشتي في الأخرى . ليس منهم ذكر ولا أنثى إلا وقد عرف أجله الذي يموت فيه وينقطع عمره . وذلك أنه لايموت ميت من ذكورهم حتى يخرج من صلبه ألف ولد ولا تموت أنثى حتى يخرج من رحمها ألف ولد . فإذا كان ذلك أيقن بالموت . وهم يرزقون التنين في أيام الربيع ويستمطرونه إذا تحينوه. كما يستمطر المطر بحينه فيقدرون منه كل سنة . فيأكلون عامهم كله إلى مثلها من القابلة . فيغنيهم على كثرتهم ونمائهم . فإذا أمطروه أخصبوه وعاشوا وسمنوا." (٢)

"عذاب الكافر في قبره ، والذي نفسي بيده ، إنه يسلط عليه تسعة وتسعون تنينا ، أتدرون ما التنين ؟ تسعة وتسعون عحية لكل حية سبعة رؤوس ينفخن في جسمه ويلسعنه ويخدشنه إلى يوم القيامة ".

وروى أبو هريرة Bه أن النبي A قال : " إن المؤمن إذا ألحد في قبره أتاه ملكان أرزقان أسودان ، فيأتيانه من قبل رأسه ، فتقول صلاته لا يؤتى من قبلي ، فرب ليلة قد بات فيها ساهرا حذاراص لهذا المضجع فيوتى من قبل رجليه ، فتقول رجلاه لا يؤتي من قبلنا ، فقد كان ينصب ويمشي علينا في طاعة الله حذارا لهذا المضجع فيؤتى من قبل يمينه فتقول صدقته لا يؤتى من قبلي ، فقد كان يتصدق حذارا لهذا المضجع ، فيؤتى من قبل شماله ، فيقول صومه لا يؤتى من قبلي ، فقد كان يجوع ويظمأ حذارا لهذا المضجع ، فيوقظ كما يوقظ النائم ، ثم يسأل ".

قوله تعالى : ﴿ ونحشره يوم القيامة أعمى ﴾ إلى قوله : ﴿ لأولي النهى ﴾.

قال مجاهد : أعملى عن حجة ، لا حجة له يهتدي بها ، وقاله أبو صالح.

وقيل : معنى ذلك ، أنه لا يهتدي إلى وجه ينال منه نفعا ولا خيرا ، كما لا يهتدي الأعمى إلى الجهات المنافع في الدنيا.

وقيل : " أعمى " من عمى البصر ، كما قال : ونحشر المجرمين يومئذ زرقا .." (٣)

"" صفحة رقم ١٩٤ "

وقيل لبهلول المجنون : متى يكون العبد متوكلا ؟ قال : إذا كان النفس غريبا بين الخلق ، والقلب قريبا إلى الحق .

---

(١) تفسير الرازي: مفاتيح الغيب . موافق للمطبوع، ١٧٠/٢٨

(٢) الهداية الى بلوغ النهاية، ٤٤٦٧/٦

(٣) الهداية الى بلوغ النهاية، ٤٧١٣/٧

وعن محمد بن عمران قال : قيل لحاتم الأصم : على ما بنيت أمرك هذا من التوكل ؟ قال : أربع خلال : علمت أن رزقي ليس يأكله غيري فلست أشغل به ، وعلمت أن عملي لا يعمله غيري فأنا مشغول به ، وعلمت أن الموت يأتيني بغتة فأنا أبادره ، وعلمت أني بعين الله في كل حال فأنا مستحي منه .

وعن أبي موسى (الوبيلي) قال : سألت عبد الرحمن بن يحيى عن التوكل فقال لي : لو أدخلت يدك في فم التنين حتى تبلغ الرسغ ، لم تخف مع الله شيئا .

قال أبو موسى : (ذهبت) إلى أبي يزيد البسطامي : أسأله عن التوكل ، فدخلت بسطام ودفعت عليه الباب فقال لي : يا أبا موسى ما كان لك في جواب عبد الرحمن من القناعة حتى تجيء وتسألني ؟ فقلت : افتح الباب ، فقال : لو زرتني لفتحت لك الباب ، (وإذا) جاء الجواب من الباب فانصرف : لو أن الحية المطوقة بالعرش همت بك لم تخف مع الله شيئا .

قال أبو موسى : فانصرفت حتى جئت إلى دبيل فأقمت بها سنة ، ثم أعتقدت الزيارة فخرجت إلى أبي يزيد فقال : زرتني مرحبا بالزائرين (لا) أخرجك ، قال : فأقمت عنده شهرا لا يقع لي شيء إلا أخبرني قبل أن أسأله فقلت له : يا أبا يزيد أخرج وأريد فائدة منك أخرج بها من عندك .

قال لي : اعلم أن فائدة المخلوقين ليست بفائدة ، حدثتني أمي أنها كانت حاملة بي وكانت إذا قدمت لها القصعة من حلال امتدت يدها وأكلت ، وإذا قدمت من حرام جفت فلم تأكل ، اجعلها فائدة وانصرف . فجعلتها فائدة وانصرفت .

وروى طاوس اليماني (رحمه الله) قال : رأيت أعرابيا قد جاء براحلة له فأبركها وعقلها ، ثم رفع رأسه إلى السماء فقال : اللهم إن هذه الراحلة وما عليها في ضمانك حتى أخرج إليها . فخرج الأعرابي وقد أخذت الراحلة وما عليها ، فرفع رأسه إلى السماء فقال : اللهم إنه ما سرق مني شيء وما سرق إلا منك . فقال طاوس : فنحن كذلك مع الأعرابي إذ رأينا رجلا من رأس أبي قبيس يقود الراحلة بيده اليسرى ويمينه مقطوعة معلقة في عنقه ، حتى جاء إلى الأعرابي وقال له : هاك راحلتك وما عليها . فقيل له : وما حالك ؟ فقال : استقبلني فارس على فرس أشهب في رأس أبي قبيس فقال : يا سارق مد يدك فمددتها فوضعها على حجر ثم أخذ آخر فقطعها به وعلقها في عنقي وقال : انزل فرد الراحلة وما عليها إلى الأعرابي .." (١)

"" صفحة رقم ٢٩٢ "

ليتني إذ كرهتني لم تخلقني ، يا ليتني كنت حيضة ألقتني أمي ، أو يا ليتني عرفت الذنب الذي أذنبت والعمل الذي عملت فصرفت وجهك الكريم عني ، لو كنت أمتني فألحقتني بآبائي فالموت كان أجمل لي ، ألم أكن للغريب دارا وللمسكين قرارا ولليتيم وليا وللأرملة قيما ؟

الهي أنا عبد ذليل ، إن أحسنت فالمن لك ، وإن أسأت فبيدك عقوبتي ، جعلتني للبلاء غرضا وللفتنة نصبا ، وقد وقع علي

---

(١) الكشف والبيان ـ موافق للمطبوع، ١٩٤/٣

بلاء لو سلطته على جبل ضعف عن حمله ، فكيف يحمله ضعفي ، إلهي تقطعت أصابعي فإني لأرفع الأكلة من الطعام بيدي جميعا فما تبلغان فمي إلا على الجهد مني ، تساقطت لهواتي ولحم رأسي ، فما بين أذني من سداد حتى أن إحداهما ترى من الأخرى ، وإن دماغي يسيل من فمي .

تساقط شعر عيني فكأنما حرق بالنار وجهي ، وحدقتاي هما متدليتان على خدي ، ورم لساني حتى ملأ فمي ، فما أدخل منه طعاما إلا غصني ، ورمت شفتاي حتى غطت العليا أنفي والسفلى ذقني ، تقطعت أمعائي في بطني فإني لأدخله الطعام فيخرج كما دخل ما أحسه ولا ينفعني ، ذهبت قوة رجلي فكأنهما قربتا ماء أطيق حملهما ، ذهب المال فصرت أسأل بكفي فيطعمني من كنت أعوله اللقمة الواحدة ، فيمنها علي ويعيرني ، هلك أولادي ولو بقي أحد منهم أعانني على بلائي ونفعني ، قد ملني أهلي وعقني أرحامي وتنكرت معارفي ورغب عني صديقي وقطعني أصحابي وجحدت حقوقي ونسيت صنايعي ، أصرخ فلا يصرخونني وأعتذر فلا يعذرونني ، ودعوت غلامي فلم يجبني وتضرعت لأمتي فلم ترحمني وأنحل جسمي ولو أن ربي نزع الهيبة التي في صدري وأطلق لساني حتى أتكلم بملء فمي ، ثم كان ينبغي للعبد أن يحاج عن نفسه ، لرجوت أن يعافيني عند ذلك مما بي ولكنه ألقاني وتعالى عني فهو يراني ولا أراه ، ويسمعني ولا أسمعه ، لا نظر إلى فرحمني ولا دنا مني ولا أدناني ، فأتكلم ببراءتي وأخاصم عن نفسي .

فلما قال ذلك أيوب وأصحابه أظله غمام حتى ظن أصحابه أنه عذاب ، ثم نودي منه : يا أيوب إن الله يقول : ها أنا دنوت منك ولم أزل منك قريبا ، فقم فأدل بعذرك وتكلم ببراءتك وخاصم عن نفسك واشدد إزارك وقم مقام جبار فإني لا ينبغي لي أن يخاصمني إلا جبار مثلي ولا ينبغي أن يخاصمني إلا من يجعل الزمار ، في فم الأسد والسخال في فم العنقاء واللجام في فم التنين ، ويكتال مكيالا من النور ويزن مثقالا من الريح ويصر صرة من الشمس ويرد أمس ، لقد منتك نفسك أمرا ما يبلغ بمثل قوتك ولو كنت إذ منتك ذلك ودعتك إليه ، تذكرت أى مرام رامت بك .." (١)

"" صفحة رقم ٢٤٦ "

وقال السدي : كانت تلك العصا استودعها ملك في صورة رجل ، وأمر ابنته أن تأتيه بعصا ، فدخلت الجارية فأخذت العصا فأتته بها ، فلما رآها الشيخ قال لابنته ، آتيه بغيرها ، فلما رمتها تريد أن تأخذ غيرها فلا تقع في يدها إلا هي ، كل ذلك تطير في يدها حتى فعلت ذلك مرات ، فأعطاها موسى ، فأخرجها معه ، ثم إن الشيخ ندم ، وقال : كانت وديعة ، فخرج يتلقى موسى ، فلما لقيه ، قال : أعطني العصا ، قال موسى : هي عصاي ، فأبى أن يعطيه ، فاختصما حتى رضيا أن يجعلا بينهما أول رجل يلقاهما ، فأتاهما ملك يمشي ، فقضى بينهما ، فقال : ضعوها بالأرض فمن حملها فهي له ، فعالجها الشيخ فلم يطقها ، وأخذها موسى بيده فرفعها ، فتركها له الشيخ .

وروى حيان عن الكلبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس أنه قال : كان في دار يثرون بيت لا يدخله إلا يثرون وابنته التي زوجها موسى ، كانت تكنسه وتنظفه ، وكان في البيت ثلاث عشرة عصا ، وكان ليثرون أحد عشر ولدا من الذكور ، فكلما أدرك منهم ولد أمره بدخول البيت وإخراج عصا من تلك العصي ، فجعل يحترق الولد حتى هلك كلهم ، فرجع

---

(١) الكشف والبيان . موافق للمطبوع، ٦/٢٩٢

موسى ذات يوم إلى منزله فلم يجد أهله ، واحتاج إلى عصا لرعيه ، فدخل ذلك البيت وأخذ عصا من تلك العصي وخرج بها ، فلما علمت بذلك امرأته انطلقت إلى أبيها ، وأخبرته بذلك ، فسر بها يثرون وقال لها : إن زوجك هذا نبي وإن له مع هذه العصا لشأنا .

وفي بعض الأخبار أن موسى (عليه السلام) لما أصبح من الغد بعد العقد وأراد الرعي قال له صهره شعيب : اذهب بهذه الأغنام ، فإذا بلغت مفرق الطريق فخذ على يسارك ولا تأخذ على يمينك وإن كان الكلأ بها أكثر ، فإن هناك تنينا عظيما أخشى عليك وعلى الأغنام منه . فذهب موسى بالأغنام ، فلما بلغ مفرق الطريق أخذت الأغنام ذات اليمين ، فاجتهد موسى على أن يصرفها إلى ذات الشمال فلم تطعه فسار موسى على أثرها ، فرأى عشبا وريفا لم ير مثله ، ولم ير **التنين** ، فنام موسى والأغنام ترعى ، فإذا **بالتنين** قد جاء ، فقامت عصا موسى وحاربته حتى قتلته وعادت إلى جنب موسى وهي دامية .

فلما استيقظ موسى رأى العصا دامية **والتنين** مقتولا ، فارتاح لذلك وعلم أن لله سبحانه في تلك العصا قدرة وإرادة ، فعاد إلى شعيب ، وكان شعيب ضريرا فمس الأغنام ، فإذا هي أمثل حالا مما كانت ، فسأله ، فأخبره موسى بالقصة ، ففرح بذلك شعيب وعلم أن لموسى وعصاه شأنا ، فأراد شعيب أن يجازي موسى على حسن رعيه إكراما له وصلة لابنته فقال له : إني قد وهبت لك (من) الجدايا التي تضعها أغنامي في هذه السنة كل أبلق وبلقاء فأوحى الله تعالى إلى موسى أن اضرب بعصاك الماء الذي في مستقى الأغنام .

قال : فضرب موسى بعصاه الماء ثم سقى الأغنام منه ، فما أخطأت واحدة منها إلا وقد." (١)

"الباقون يفقهون من فقه والضمير في " قالوا " للقوم الذين من دون السدين و " يأجوج ومأجوج " قبيلتان من بني آدم لكنهم ينقسمون أنواعا كثيرة اختلف الناس في عددها فاختصرت ذكره لعدم الصحة وفي خلقهم تشويه منهم المفرط الطول ومنهم مفرط القصر على قدر الشبر وأقل وأكثر ومنهم صنف عظام الآذان الأذن الواحدة وبرة والأخرى زعرى يصيف بالواحدة ويشتو في الأخرى وهي تعمه واختلفت القراءة فقرأ عاصم وحده يأجوج ومأجوج بالهمز وقرأ الباقون ياجوج وماجوج بغير همز فأما من همز فاختلف فقالت فرقة هو اعجمي علتاه في منع الصرف العجمة والتأنيث وقالت فرقة هو معرب من أحج وأج علتاه في منع الصرف التعريف والتأنيث وأما من لم يهمز فإما أن يراهما اسمين أعجميين وإما أن يسهل من الهمز وقرأ رؤبة بن العجاج آجوج ومأجوج بهمزة بدل الياء واختلف الناس في إفسادهم الذي وصفوهم به فقال سعيد بن عبد العزيز إفسادهم أكل بني آدم وقالت فرقة إفسادهم إنما عندهم توقعا أي سيفسدون فطلبوا وجه التحرز منهم وقالت فرقة إفسادهم هو الظلم والغشم والقتل وسائر وجوه الإفساد المعلوم من البشر وهذا أظهر الأقوال لأن الطائفة الشاكية إنما تشكت من ضرر قد نالها وقولهم " فهل نجعل لك خرجا " استفهام على جهة حسن الأدب والخرج المجبي وهو الخراج وقال قوم الخرج المال يخرج مرة والخراج المجبي المتكرر فعرضوا عليه ان يجمعوا له أموالا يقيم بها أمر السد قال ابن عباس " خرجا " أجرا وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم خرجا وقرأ حمزة والكسائي خراجا وهي قراءة طلحة بن مصرف والأعمش

---

(١) الكشف والبيان . موافق للمطبوع، ٢٤٦/٧

والحسن بخلاف عنه وروي في أمر " يأجوج ومأجوج " أن أرزاقهم هي من **التنين** يمطرونها ونحو هذا مما لم يصح وروي أيضا أن الذكر منهم لا يموت حتى يولد له ألف والأنثى لا تموت حتى تخرج من بطنها ألف فهم لذلك إذا بلغوا العدد ماتوا ويروى أنهم يتناكحون في الطرق كالبهائم وأخبارهم تضيق بها الصحف فاختصرتها لضعف صحتها وقوله "

". (١)

"- ١٤٤٢٨ عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم، في قوله:" " فإن له معيشة ضنكا﴾، قال: عذاب القبر".

- ١٤٤٢٩ عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال:"المؤمن في قبره في روضة خضراء، ويرحب له قبره سبعين ذراعا، ويضيء حتي يكون كالقمر ليلة البدر، هل تدرون فيما انزلت: " فإن له معيشة ضنكا﴾؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: عذاب الكافر في قبره يسلط عليه تسعة وتسعون تنينا، هل تدرون ما **التنين؟** تسعة وتسعون حية لكل حية سبعة رؤوس يخدشونه ويلسعونه، وينفخون في جسمه إلي يوم يبعثون".

- ١٤٤٣٠ عن ابن مسعود، قال:"إذا حدثتكم بحديث أنبانكم بتصديق ذلك من كتاب الله إن المؤمن إذا وضع في قبره أجلس فيه، فيقال له: من ربك، وما دينك، ومن نبيك؟ فيثبته الله، فيقول: ربي الله، وديني الإسلام، ونبيي محمد صلى الله عليه وسلم، فيوسع له في قبره ويروح له فيه، ثم قرأ عبد الله: " يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة﴾، فإذا مات الكافر أجلس في قبره، فيقال له: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ فيقول: لا أدري، قال: فيضيق عليه قبره ويعذب فيه، ثم قرأ: " ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا﴾".

- ١٤٤٣١ حدثنا ابن عباس، في قوله:" " معيشة ضنكا﴾، قال: الشقاء".

- ١٤٤٣٢ عن ابن عباس، في قوله:" " معيشة ضنكا﴾، قال: بشدة عليه في النار".

- ١٤٤٣٣ عن ابن عباس، في قوله:" " معيشة ضنكا﴾، قال: يقول: كل مال أعطيته عبدا من عبادي قل أو كثر لا يطيعني فيه، فلا خير، وهو الضنك في المعيشة".." (٢)

" الأعراف آية ٨٦

على سؤال نشأ عن حكاية إرساله إليهم كأنه قيل فماذا قال لهم فقيل قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره مر تفسيره مرارا قد جاءتكم بينة أي معجزة وقوله تعالى من ربكم متعلق بجاءتكم أو بمحذوف هو صلة لفاعله مؤكدة لفخامته الذاتية المستفادة من تنكيره بفخامته الإضافية أي بينة عظيمة ظاهرة كائنة من ربكم ومالك أموركم ولم يذكر معجزته عليه السلام في القرآن العظيم كما لم يذكر أكثر معجزات النبي فمنها ما روي من محاربة عصا موسى عليه السلام **التنين** حين دفع إليه غنمه ومنها ولادة الغنم الدرع خاصة حين وعد أن يكون له الدرع من أولادها ومنها وقوع عصا آدم عليه السلام على يده في المرات السبع لأن كل ذلك كان قبل أن يستنبأ موسى عليه السلام وقيل البينة مجيئه عليه السلام كما

---

(١) المحرر الوجيز . موافق للمطبوع، ٥٧٣/٣

(٢) تفسير ابن أبي حاتم، ٣٠٥/٩

في قوله تعالى يا قوم أرايتم إن كنت على بينة من ربي أي حجة واضحة وبرهان نير عبر بهما عما آتاه الله من النبوة والحكمة فأوفوا الكيل أي المكيال كما وقع في سورة هود يؤيده قوله تعالى والميزان قلإن المتبادر منه الآلة وإن جاز كونه مصدرا كالميعاد وقيل آلة الكيل والوزن على الإضمار والفاء لترتيب الأمر على مجيء البينة ويجوز أن تكون عاطفة على أعبدوا فإن عبادة الله تعالى موجبة للاحتناب عن المناهي التي معظمها بعد الكفر البخس الذي كانوا يباشرونه ولا تبخسوا الناس أشياءهم التي تشترونها بهما معتمدين على تمامهما أي شيء كان واي مقدار كان فإنهم كانوا يبخسون الجليل والحقير والقليل والكثير وقيل كانوا مكاسين لا يدعون شيئا إلا مكسوه قال زهير ... أفي كل أسواق العراق أتاوة وفي كا ما با ع امرؤ مكس درهم ولا تفسدوا في الأرض أي بالكفر والحيف بعد إصلاحها بعدما أصلح أمرها وأهلها الأنبياء وأتباعهم بإجراء الشرائع أو أصلحوا فيها وإضافته إليها كإضافة مكر الليل والنهار ذلكم خير لكم إشارة إلى العمل بما أمرهم به ونهاهم عنه ومعنى الخيرية إما الزيادة مطلقا أو في الإنسانية وحسن الأحدوثة وما يطلبونه من التكسب والربح لأن الناس إذا عرفوهم بالأمانة رغبوا في معاملتهم ومتاجرتهم إن كنتم مؤمنين أي مصدقين لي في قولي هذا ولا تقعدوا بكل صراط توعدون أي بكل طريق من طرق الدين كالشيطان وصراط الحق وإن كان واحدا لكنه يتشعب إلى معارف وحدود وأحكام وكانوا إذا رأو أحدا يشرع في شيء منها منعوه وقيل كانوا يجلسون على المراصد فيقولن لمن يريد شعيبا إنه كذاب لا يفتننك عن دينك ويتوعجون لمن آمن به وقيل يقطعون الطريق وتصدون عن سبيل الله أي السبيل الذي قعدوا عليه فوقع المظهر موقع المضمر بيانا لكل صراط ودلالة على عظم ما يصدون عنه تقبيحا لما كمانوا عليه أو الإيسمان بالله أو بكل صراط على أنه عبارة عن طرق الدين وقوله تعالى من آمن به مفعول تصدون على أعمال الأقرب لو كان مفعةول توعدون لقيل وتصدونهم وتوعدون حال من الضمير في تقعدوا وتبغونها عوجا اي وتطلبون لسبيل الله عوجا بإلقاء الشبه أو بوصفها للناس بأنها معوجة وهي أبعد شيء من شائبة الاعوجاج ." (١)

" القصص ٢٩ أي كما لا أطالب بالزيادة على العشر لا اطالب بالزيادة على الثمان او ايما الاجلين قضيت فلا اثم علي يعني كما لا اثم علي في قضاء الاكثر لا اثم علي في قضاء الاقصر فقط وقرىء أي الاجلين ما قضيت فما مزيدة لتأكيد القضاء كما انها في القراءة الاولى مزيدة لتأكيد ابهام أي وشياعها وقرىء ايما بسكون الياء كقول من قال تنظرت نصرا والسماكين أيهما على من الغيث استهلت مواطره والله على ما نقول من الشروط الجارية بيننا وكيل شاهد وحفظ فلا سبيل لاحد منا الى الخروج عنه اصلا وليس ما حكى عنهما عليهما الصلاة والسلام تمام ما جرى بينهما من الكلام في انشاء عقد النكاح وعقد الاجارة وايقاعهما بل هو بيان لما عز ما عليه واتفقا على ايفاعه حسبما يتوقف عليه مساق القصة اجمالا من غير تعرض لبيان مواجب العقدين في تلك الشريعة تفصيلا روى انهما لما اتما العقد قال شعيب لموسى عليهما السلام ادخل ذلك البيت فخذ عصا من تلك العصى وكانت عنده عصى الانبياء عليهم الصلاة والسلام فأخذ عصا هبط بها آدم عليه الصلاة و السلام من الجنة ولم يزل الانبياء يتوارثونها حتى وقعت الى شعيب عليه السلام فمسها وكان مكفوفا فضن بها فقال خذ غيرها فما وقع في يده الا هي سبع مرات فعلم ان له شأنا وقيل اخذها جبريل عليه السلام

---

(١) تفسير أبي السعود، ٢٤٧/٣

بعد موت آدم عليه السلام فكانت معه حتى لقى بها موسى عليه السلام ليلا وقيل اودعها شعيبا ملك في صورة رجل فأمر بنته ان تأتيه بعصا فأتته بها فردها سبع مرات فلم يقع في يدها غيرها فدفعها اليه ثم ندم لانها وديعة فتبعه فاختصما فيها ورضيا ان يحكم بينها اول طالع فأتاهما الملك فقال القياها فمن رفعها فهي له فعالجها الشيخ فلم يطقها ورفعها موسى عليه السلام وعن الحسن رضي الله تعالى عنه ما كانت الا عصا من الشجر اعترضها اعتراضا وعن الكلبي رحمة الله الشجرة التي منها نودي شجرة العوسج ومنها كانت عصاه ولما اصبح قال له شعيب صلوات الله وسلامه عليهما اذا بلغت مفرق الطريق فلا تأخذ على يمينك فإن الكلا وان كان بها اكثر الا ان فيها تنينا اخشاه عليك وعلى الغنم فأخذت الغنم ذات اليمين فلم يقدر على كفها ومشى على اثرها فإذا عشب وريف لم ير مثله فنام فإذا **بالتنين** قد اقبل فحاربته العصا حتى قتلته وعادت الى جنب موسى عليه السلام دامية فلما ابصرها دامية **والتنين** مقتولا ارتاح لذلك ولما رجع الى شعيب عليهما السلام مس الغنم فوجدها ملأى البطون غزيرة اللبن فأخبره موسى عليه السلام بالشأن ففرح وعلم أن لموسى والعصا شأنا وقال له إني وهبت لك من نتاج غنمى هذا العام كل أدرع ودعاء فأوحى إليه في المنام أن اضرب بعصاك مستقى الغنم ففعل ثم سقى فما أخطأت واحدة إلا وضعت ادرع ودرعاء فوفى له بشرطه والفاء في قوله تعالى فلما قضى موسى الاجل فصيحة أي فعقدا العقدين وباشر موسى ما لتزمه فلما أتم الأجل وسار بأهله نحو مصر بإذن من شعيب عليهما السلام روى انه عليه الصلاة و السلام قضى ابعدالا جلين ومكث عنده بعد ذلك عشر سنين ثم عزم على العود الى مصر فاستأذنه في ." (١)

"قوله جل ذكره : ﴿ فلمآ أتاها نودى من شطئ الواد الأيمن فى البقعة المباركة من الشجرة أن . . . ﴾ الآية .

أخفى تعيين قدم موسى على الظنون بهذا الخطاب حيث قال : « من شاطئ الواد الأيمن » ، ثم قال : « في البقعة المباركة » ثم قال « من الشجرة » .

وأخلق بأن تكون تلك البقعة مباركة ، فعندها سمع خطاب مولاه بلا واسطة؛ وأعز الأماكن في العالم مشهد الأحباب :

وإني لأهوى الدار ما يستعزني ... لها الود إلا أنها من دياركا

ويقال كم قدم وطئت لك البقعة ، ولكن لم يسمع أصحابها بها شيئا! . . وكم ليلة جنت تلك البقعة ولم يظهر من تلك النار فيها شعلة! .

ويقال : شتان بين شجرة وشجرة؛ شجرة آدم عندها ظهور محنته وفتنته ، وشجرة موسى وعندها افتتاح نبوته ورسالته! .

ويقالك لم يأت بالتفصيل نوع تلك الشجرة ، ولا يدرى ما الذي كانت تثمره ، بل هي شجرة الوصلة؛ وثمرتها القربة ، وأصلها في أرض المحبة وفرعها باسق في سماء الصفوة ، وأوراقها الزلفة ، وأزهارها تنفتق عن نسيم الروح والبهجة :

فلما سمع موسى تغير عليه الحال؛ ففي القصة : أنه غشي عليه ، وأرسل الله إليه الملائكة ليروحوه بمراوح الأنس ، وهذا كان في ابتداء الأمر ، والمبتدئ مرفوق به . وفي المرة الأخرى خر موسى صعقا ، وكان يفيق والملائكة تقوله له : يا ابن الحيض . أمثالك من يسأل الرؤية؟! .

---

(١) تفسير أبي السعود، ١١/٧

وكذا الحديث والقصة؛ في البداية لطف وفي النهاية عنف ، في الأول ختل وفي الآخر قتل ، كما قيل :

فلما دارت الصهباء ... دعا بالنطع والسيف

كذا من يشرب الراح ... مع التنين في الصيف." (١)

"حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، قال: ثني محمد بن إسحاق، قال: فحدثني من لا أتهم عن وهب بن منبه اليماني، وكان له علم بالأحاديث الأول، أنه كان يقول: ذو القرنين رجل من الروم، ابن عجوز من عجائزهم، ليس لها ولد غيره، وكان اسمه الإسكندر، وإنما سمي ذا القرنين أن صفحتي رأسه كانتا من نحاس، فلما بلغ وكان عبدا صالحا، قال الله عز وجل له: يا ذا القرنين إني باعثك إلى أمم الأرض، وهي أمم مختلفة ألسنتهم، وهم جميع أهل الأرض، ومنهم أمتان بينهما طول الأرض كله، ومنهم أمتان بينهما عرض الأرض كله، وأمم في وسط الأرض منهم الجن والإنس ويأجوج ومأجوج فأما الأمتان اللتان بينهما طول -[٣٩١]- الأرض: فأمة عند مغرب الشمس، يقال لها: ناسك. وأما الأخرى: فعند مطلعها يقال لها: منسك. وأما اللتان بينهما عرض الأرض، فأمة في قطر الأرض الأيمن، يقال لها: هاويل. وأما الأخرى التي في قطر الأرض الأيسر، فأمة يقال لها: تاويل، فلما قال الله له ذلك، قال له ذو القرنين: إلهي إنك قد ندبتني لأمر عظيم لا يقدر قدره إلا أنت، فأخبرني عن هذه الأمم التي بعثتني إليها، بأي قوة أكابرهم؟ وبأي جمع أكاثرهم؟ وبأي حيلة أكايدهم؟ وبأي صبر أقاسيهم؟ وبأي لسان أناطقهم؟ وكيف لي بأن أفقه لغاتهم؟ وبأي سمع أعي قولهم؟ وبأي بصر أنفذهم؟ وبأي حجة أخاصمهم؟ وبأي قلب أعقل عنهم؟ وبأي حكمة أدبر أمرهم؟ وبأي قسط أعدل بينهم؟ وبأي حلم أصابرهم؟ وبأي معرفة أفصل بينهم؟ وبأي علم أتقن أمورهم؟ وبأي يد أسطو عليهم؟ وبأي رجل أطؤهم، وبأي طاقة أخصمهم، وبأي جند أقاتلهم؟ وبأي رفق أستألفهم، فإنه ليس عندي يا إلهي شيء مما ذكرت يقوم لهم، ولا يقوى عليهم ولا يطيقهم، وأنت الرب الرحيم الذي لا يكلف نفسا إلا وسعها، ولا يحملها إلا طاقتها، ولا يعنتها ولا يفدحها، بل أنت ترأفها وترحمها. قال الله عز وجل: إني سأطوقك ما حملتك، أشرح لك صدرك، فيسع كل شيء وأشرح لك فهمك فتفقه كل شيء، وأبسط لك لسانك فتنطق بكل شيء، وأفتح لك -[٣٩٢]- سمعك فتعي كل شيء، وأمد لك بصرك، فتنفذ كل شيء، وأدبر لك أمرك فتتقن كل شيء، وأحصي لك فلا يفوتك شيء، وأحفظ عليك فلا يعزب عنك شيء، وأشد لك ظهرك، فلا يهدك شيء، وأشد لك ركنك فلا يغلبك شيء، وأشد لك قلبك فلا يروعك شيء، وأسخر لك النور والظلمة، فأجعلهما جندا من جنودك، يهديك النور أمامك، وتحوطك الظلمة من ورائك، وأشد لك عقلك فلا يهولك شيء، وأبسط لك من بين يديك، فتسطو فوق كل شيء، وأشد لك وطأتك، فتهد كل شيء، وألبسك الهيبة فلا يرومك شيء. ولما قيل له ذلك، انطلق يؤم الأمة التي عند مغرب الشمس، فلما بلغهم، وجد جمعا وعددا لا يحصيه إلا الله، وقوة وبأسا لا يطيقه إلا الله، وألسنة مختلفة وأهواء متشتتة، وقلوبا متفرقة، فلما رأى ذلك كاثرهم بالظلمة، فضرب حولهم ثلاثة عساكر منها، فأحاطتهم من كل مكان، وحاشتهم حتى جمعتهم في مكان واحد، ثم أخذ عليهم بالنور، فدعاهم إلى الله وإلى عبادته، فمنهم من آمن له، ومنهم من صد، فعمد إلى الذين تولوا عنه، فأدخل عليهم الظلمة. فدخلت في أفواههم وأنوفهم وآذانهم وأجوافهم،

---

(١) تفسير القشيري، ٤٣/٦

ودخلت في بيوتهم ودورهم، وغشيتهم من فوقهم، ومن تحتهم ومن كل جانب منهم، فماجوا فيها وتحيروا، فلما أشفقوا أن يهلكوا فيها عجوا إليه بصوت واحد، فكشفها عنهم وأخذهم عنوة، فدخلوا في دعوته، فجند من أهل المغرب أمما عظيمة، فجعلهم جندا واحدا، ثم انطلق بهم يقودهم، والظلمة تسوقهم من خلفهم -[٣٩٣]- وتحرسهم من حولهم، والنور أمامهم يقودهم ويدلهم، وهو يسير في ناحية الأرض اليمنى، وهو يريد الأمة التي في قطر الأرض الأيمن التي يقال لها هاويل، وسخر الله له يده وقلبه ورأيه وعقله ونظره وائتماره، فلا يخطئ إذا ائتمر، وإذا عمل عملا أتقنه. فانطلق يقود تلك الأمم وهي تتبعه، فإذا انتهى إلى بحر أو مخاضة بنى سفنا من ألواح صغار أمثال النعال، فنظمها في ساعة، ثم جعل فيها جميع من معه من تلك الأمم وتلك الجنود، فإذا قطع الأنهار والبحار فتقها، ثم دفع إلى كل إنسان لوحا فلا يكرثه حمله، فلم يزل كذلك دأبه حتى انتهى إلى هاويل، فعمل فيها كعمله في ناسك. فلما فرغ منها مضى على وجهه في ناحية الأرض اليمنى حتى انتهى إلى منسك عند مطلع الشمس، فعمل فيها وجند منها جنودا، كفعله في الأمتين اللتين قبلها، ثم كر مقبلا في ناحية الأرض اليسرى، وهو يريد تاويل وهي الأمة التي بحيال هاويل، وهما متقابلتان بينهما عرض الأرض كله، فلما بلغها عمل فيها، وجند منها كفعله فيما قبلها، فلما فرغ منها عطف منها إلى الأمم التي وسط الأرض من الجن وسائر الناس، ويأجوج -[٣٩٤]- ومأجوج، فلما كان في بعض الطريق ما يلي منقطع الترك نحو المشرق، قالت له أمة من الإنس صالحة: يا ذا القرنين، إن بين هذين الجبلين خلقا من خلق الله، وكثير منهم مشابه للإنس، وهم أشباه البهائم، يأكلون العشب، ويفترسون الدواب والوحوش كما تفترسها السباع، ويأكلون خشاش الأرض كلها من الحيات والعقارب، وكل ذي روح مما خلق الله في الأرض، وليس لله خلق ينمو نماءهم في العام الواحد، ولا يزداد كزيادتهم، ولا يكثر ككثرتهم، فإن كانت لهم مدة على ما نرى من نمائهم وزيادتهم، فلا شك أنهم سيملئون الأرض، ويجلون أهلها عنها ويظهرون عليها فيفسدون فيها، وليست تمر بنا سنة منذ جاورناهم إلا ونحن نتوقعهم، وننتظر أن يطلع علينا أوائلهم من بين هذين الجبلين ﴿فهل نجعل لك خرجا على أن تجعل بيننا وبينهم سدا قال ما مكني فيه ربي خير فأعينوني بقوة أجعل بينكم وبينهم ردما﴾ [الكهف: ٩٥] أعدوا إلي الصخور والحديد والنحاس حتى أرتاد بلادهم، وأعلم علمهم، وأقيس ما بين جبليهم. ثم انطلق يؤمهم حتى دفع إليهم وتوسط بلادهم، فوجدهم على مقدار واحد، ذكرهم وأنثاهم، مبلغ طول الواحد منهم مثل نصف الرجل المربوع منا، لهم مخالب في موضع الأظفار من أيدينا، وأضراس وأنياب كأضراس السباع وأنيابها، وأحناك كأحناك الإبل -[٣٩٥]- قوة تسمع لها حركة إذا أكلوا كحركة الجرة من الإبل، أو كقضم الفحل المسن، أو الفرس القوي، وهم هلب، عليهم من الشعر في أجسادهم ما يواريهم، وما يتقون به الحر والبرد إذا أصابهم، ولكل واحد منهم أذنان عظيمتان: إحداهما وبرة ظهرها وبطنها، والأخرى زغبة ظهرها وبطنها، تسعانه إذا لبسهما، يلتحف إحداهما، ويفترش الأخرى، ويصيف في إحداهما، ويشتي في الأخرى، وليس منهم ذكر ولا أنثى إلا وقد عرف أجله الذي يموت فيه، ومنقطع عمره، وذلك أنه لا يموت ميت من ذكورهم حتى يخرج من صلبه ألف ولد، ولا تموت الأنثى حتى يخرج من رحمها ألف ولد، فإذا كان ذلك أيقن بالموت، وهم يرزقون **التنين** أيام الربيع، ويستمطرونه إذا تحينوه كما نستمطر الغيث لحينه، فيقذفون منه كل سنة بواحد، فيأكلونه عامهم كله إلى مثله من العام القابل، فيغنيهم على كثرتهم ونمائهم، فإذا أمطروا وأخصبوا وعاشوا وسمنوا، ورئي أثره عليهم، فدرت

عليهم الإناث، وشبقت منهم الرجال الذكور، -[٣٩٦]- وإذا أخطأهم هزلوا وأجدبوا، وجفرت الذكور، وحالت الإناث، وتبين أثر ذلك عليهم، وهم يتداعون تداعي الحمام، ويعوون عواء الكلاب، ويتسافدون حيث التقوا تسافد البهائم. فلما عاين ذلك منهم ذو القرنين انصرف إلى ما بين الصدفين، فقاس ما بينهما وهو في منقطع أرض الترك ما يلي مشرق الشمس، فوجد بعد ما بينهما مائة فرسخ، فلما أنشأ في عمله، حفر له أساسا حتى بلغ الماء، ثم جعل عرضه خمسين فرسخا، وجعل حشوه الصخور، وطينه النحاس، يذاب ثم يصب عليه، فصار كأنه عرق من جبل تحت الأرض، ثم علاه وشرفه بزبر الحديد والنحاس المذاب، وجعل خلاله عرقا من نحاس أصفر، فصار كأنه برد محبر من صفرة النحاس وحمرته وسواد الحديد، فلما فرغ منه وأحكمه، انطلق عامدا إلى جماعة الإنس والجن، فبينا هو يسير، دفع إلى أمة صالحة يهدون بالحق وبه يعدلون، فوجد أمة مقسطة مقتصدة، يقسمون بالسوية، ويحكمون بالعدل، ويتآسون ويتراحمون، حالهم واحدة، وكلمتهم واحدة، وأخلاقهم مشتبهة، وطريقتهم مستقيمة، وقلوبهم متألفة، وسيرتهم حسنة، وقبورهم بأبواب بيوتهم، وليس على بيوتهم أبواب، وليس عليهم أمراء، وليس بينهم قضاة، وليس بينهم أغنياء، ولا ملوك، ولا أشراف، ولا يتفاوتون، ولا يتفاضلون، ولا يختلفون، ولا يتنازعون، ولا يستبون، ولا يقتتلون، ولا يقحطون، ولا يحردون، ولا تصيبهم الآفات -[٣٩٧]- التي تصيب الناس، وهم أطول الناس أعمارا، وليس فيهم مسكين، ولا فقير، ولا فظ، ولا غليظ، فلما رأى ذلك ذو القرنين من أمرهم، عجب منه وقال: أخبروني أيها القوم خبركم، فإني قد أحصيت الأرض كلها برها وبحرها، وشرقها وغربها، ونورها وظلمتها، فلم أجد مثلكم، فأخبروني خبركم، قالوا: نعم، فسلنا عما تريد، قال: أخبروني، ما بال قبور موتاكم على أبواب بيوتكم؟ قالوا: عمدا فعلنا ذلك لئلا ننسى الموت، ولا يخرج ذكره من قلوبنا، قال: فما بال بيوتكم ليس عليها أبواب؟ قالوا: ليس فينا متهم، وليس منا إلا أمين مؤتمن، قال: فما لكم ليس عليكم أمراء؟ قالوا: لا نتظالم، قال: فما بالكم ليس فيكم حكام؟ قالوا: لا نختصم، قال: فما بالكم ليس فيكم أغنياء؟ قالوا: لا نتكاثر، قال: فما بالكم ليس فيكم ملوك؟ قالوا: لا نتكابر، قال: فما بالكم لا تتنازعون ولا تختلفون؟ قالوا: من قبل ألفة قلوبنا وصلاح ذات بيننا، قال: فما بالكم لا تستبون ولا تقتتلون؟ قالوا: من قبل أنا غلبنا طبائعنا بالعزم، وسسنا أنفسنا بالأحلام، قال: فما بالكم كلمتكم واحدة، وطريقتكم مستقيمة مستوية؟ قالوا: من قبل أنا لا نتكاذب، ولا نتخادع، ولا يغتاب بعضنا بعضا، قال: فأخبروني من أين تشابهت قلوبكم، واعتدلت سيرتكم؟ قالوا: صحت صدورنا، فنزع بذلك الغل والحسد من قلوبنا، قال: فما بالكم ليس فيكم مسكين ولا فقير؟ قالوا: من قبل أنا نقتسم بالسوية، قال: فما بالكم ليس فيكم فظ ولا غليظ؟ قالوا: من قبل الذل والتواضع، قال: فما جعلكم أطول الناس أعمارا؟ قالوا: من -[٣٩٨]- قبل أنا نتعاطى الحق ونحكم بالعدل، قال: فما بالكم لا تقحطون؟ قالوا: لا نغفل عن الاستغفار، قال: فما بالكم لا تحردون؟ قالوا: من قبل أنا وطأنا أنفسنا للبلاء منذ كنا، وأحببناه وحرصنا عليه، فعرينا منه، قال: فما بالكم لا تصيبكم الآفات كما تصيب الناس؟ قالوا: لا نتوكل على غير الله، ولا نعمل بالأنواء والنجوم، قال: حدثوني أهكذا وجدتم آباءكم يفعلون؟ قالوا: نعم وجدنا آباءنا يرحمون مساكينهم، ويواسون فقراءهم، ويعفون عمن ظلمهم، ويحسنون إلى من أساء إليهم، ويحلمون عمن جهل عليهم، ويستغفرون لمن سبهم، ويصلون أرحامهم، ويؤدون

أماناتهم، ويحفظون وقتهم لصلاتهم، ويوفون بعهودهم، ويصدقون في مواعيدهم، ولا يرغبون عن أكفائهم، ولا يستنكفون عن أقاربهم، فأصلح الله لهم بذلك أمرهم، وحفظهم ما كانوا أحياء، وكان حقا على الله أن يحفظهم في تركتهم." (١)

"الذي: حدثنا به أحمد بن عبد الرحمن بن وهب، قال: ثنا عمي عبد الله بن وهب، قال: أخبرني عمرو بن الحارث، عن دراج، عن ابن حجيرة، عن أبي هريرة، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: " أتدرون فيم أنزلت هذه الآية: ﴿فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى﴾ [طه: ١٢٤] ؟ أتدرون ما المعيشة الضنك؟ " قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: عذاب الكافر في قبره، والذي نفسي بيده إنه ليسلط عليه تسعة وتسعون -[١٩٩]- تنينا، أتدرون ما **التنين؟** تسعة وتسعون حية، لكل حية سبعة رءوس، ينفخون في جسمه ويلسعونه ويخدشونه إلى يوم القيامة وإن الله تبارك وتعالى أتبع ذلك بقوله: ﴿ولعذاب الآخرة أشد وأبقى﴾ [طه: ١٢٧] فكان معلوما بذلك أن المعيشة الضنك التي جعلها الله لهم قبل عذاب الآخرة؛ لأن ذلك لو كان في الآخرة لم يكن لقوله ﴿ولعذاب الآخرة أشد وأبقى﴾ [طه: ١٢٧] معنى مفهوم؛ لأن ذلك إن لم يكن تقدمه عذاب لهم قبل الآخرة، حتى يكون الذي في الآخرة أشد منه، بطل معنى قوله ﴿ولعذاب الآخرة أشد وأبقى﴾ [طه: ١٢٧] . فإذ كان ذلك كذلك، فلا تخلو تلك المعيشة الضنك التي جعلها الله لهم من أن تكون لهم في حياتهم الدنيا، أو في قبورهم قبل البعث، إذ كان لا وجه لأن تكون في الآخرة لما قد بينا، فإن كانت لهم في حياتهم الدنيا، فقد يجب أن يكون كل من أعرض عن ذكر الله من الكفار، فإن معيشته فيها ضنك، وفي وجودنا كثيرا منهم أوسع معيشة من كثير من المقبلين على ذكر الله تبارك وتعالى، القانتين له المؤمنين، في ذلك ما يدل على أن ذلك ليس كذلك، وإذ خلا القول في ذلك من هذين -[٢٠٠]- الوجهين صح الوجه الثالث، وهو أن ذلك في البرزخ." (٢)

"بعذري، ولا هو أدناني فأخاصم عن نفسي. يسمعني ولا أسمعه ، ويراني ولا أراه، وهو محيط بي، ولو تجلى لي لذابت كليتاي، وصعق روحي، ولو نفسني فأتكلم بملء فمي ، ونزع الهيبة مني، علمت بأي ذنب عذبني نودي فقيل: يا أيوب قال: لبيك قال: أنا هذا ، قد دنوت منك، فقم فاشدد إزارك، وقم مقام جبار، فإنه لا ينبغي لي أن يخاصمني إلا جبار مثلي، ولا ينبغي أن يخاصمني إلا من يجعل الزمام في فم الأسد، والسخال في فم العنقاء، واللحم في فم **التنين**، ويكيل مكيالا من النور، ويزن مثقالا من الريح، ويصر صرة من الشمس، ويرد أمس لغد. لقد منتك نفسك أمرا ما يبلغ بمثل قوتك، ولو كنت إذ منتك نفسك ذلك ، ودعتك إليه، تذكرت أي مرام رامت بك. أردت أن تخاصمني بغيك، أم أردت أن تحاجني بخطئك، أم أردت أن تكاثرني بضعفك؟ أين كنت مني يوم خلقت الأرض فوضعتها على أساسها؟ هل علمت بأي مقدار قدرتها؟ أم كنت معي تمر بأطرافها؟ أم تعلم ما بعد زواياها؟ أم على أي شيء وضعت أكنافها؟ أبطاعتك حمل الماء الأرض، أم بحكمتك كانت الأرض للماء غطاء؟ أين كنت مني يوم رفعت السماء سقفا في الهواء ، لا بعلائق ثبتت من فوقها ، ولا يحملها دعائم من تحتها ، هل يبلغ من حكمتك أن تجري نورها، أو." (٣)

---

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٣٩٠/١٥

(٢) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ١٩٨/١٦

(٣) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٣٤٧/١٦

"من حكمتك يبصر العقاب، فأصبح في أماكن القتلى؟ أين أنت مني يوم خلقت بهموت، مكانه في منقطع التراب، والوتينان يحملان الجبال والقرى والعمران، آذانهما كأنها شجر الصنوبر الطوال، رءوسهما كأنها آكام الجبال، وعروق أفخاذهما كأنها أوتاد الحديد، وكأن جلودهما فلق الصخور، وعظامهما كأنها عمد النحاس. هما رأسا خلقي الذين خلقت للقتال، أأنت ملأت جلودهما لحما؟ أم أنت ملأت رءوسهما دماغا؟ أم هل لك في خلقهما من شرك؟ أم لك بالقوة التي عملتهما يدان؟ أو هل يبلغ من قوتك أن تخطم على أنوفهما، أو تضع يدك على رءوسهما، أو تقعد لهما على طريق فتحبسهما، أو تصدهما عن قوتهما؟ أين أنت يوم خلقت **التنين** ، ورزقه في البحر ، ومسكنه في السحاب؟ عيناه توقدان نارا، ومنخراه يثوران دخانا، أذناه مثل قوس السحاب، يثور منهما لهب كأنه إعصار العجاج، جوفه يحترق ، ونفسه يلتهب، وزبده كأمثال الصخور، وكأن صريف أسنانه صوت الصواعق، وكأن نظر عينيه لهب البرق، أسراره لا تدخلها الهموم، تمر به الجيوش وهو متكئ، لا يفزعه شيء ، ليس فيه مفصل ، زبر الحديد عنده مثل التين، والنحاس عنده مثل الخيوط، لا." (١)

"إذا أصابهم، ولكل واحد منهم أذنان عظيمتان: إحداهما وبرة ظهرها وبطنها، والأخرى زغبة ظهرها وبطنها، تسعانه إذا لبسهما، يلتحف إحداهما، ويفترش الأخرى، ويصيف في إحداهما، ويشتي في الأخرى، وليس منهم ذكر ولا أنثى إلا وقد عرف أجله الذى يموت فيه، ومنقطع عمره، وذلك أنه لا يموت ميت من ذكورهم حتى يخرج من صلبه ألف ولد، ولا تموت الأنثى حتى يخرج من رحمها ألف ولد، فإذا كان ذلك أيقن بالموت، وهم يرزقون **التنين** أيام الربيع، ويستمطرونه إذا تحينوه كما نستمطر الغيث لحينه، فيقذفون منه كل سنة بواحد، فيأكلونه عامهم كله إلى مثله من العام القابل، فيغنيهم على كثرتهم ونمائهم، فإذا أمطروا وأخصبوا وعاشوا وسمنوا، ورؤي أثره عليهم، فدرت عليهم الإناث، وشبقت منهم الرجال الذكور، وإذا أخطأهم هزلوا وأجدبوا، وجفرت الذكور، وحالت الإناث، وتبين أثر ذلك عليهم، وهم يتداعون تداعي الحمام، ويعوون عواء الكلاب، ويتسافدون حيث التقوا تسافد البهائم.

فلما عاين ذلك منهم ذو القرنين انصرف إلى ما بين الصدفين، فقاس ما بينهما وهو في منقطع أرض الترك مما يلي مشرق الشمس، فوجد بعد ما بينهما مئة فرسخ؛ فلما أنشأ في عمله، حفر له أساسا حتى بلغ الماء، ثم جعل عرضه خمسين فرسخا، وجعل حشوه الصخور، وطينه النحاس، يذاب ثم يصب عليه، فصار كأنه عرق من جبل تحت الأرض، ثم علاه وشرفه بزبر الحديد والنحاس المذاب، وجعل خلاله عرقا من نحاس أصفر، فصار كأنه برد محبر من صفرة النحاس وحمرته وسواد الحديد، فلما فرغ منه وأحكمه، انطلق عامدا إلى جماعة الإنس والجن، فبينا هو يسير، دفع إلى أمة صالحة يهدون بالحق وبه يعدلون، فوجد أمة مقسطة مقتصدة، يقسمون بالسوية، ويحكمون بالعدل، ويتآسون ويتراحمون، حالهم واحدة، وكلمتهم واحدة، وأخلاقهم مشتبهة، وطريقتهم مستقيمة، وقلوبهم متألفة، وسيرتهم حسنة، وقبورهم بأبواب بيوتهم، وليس على بيوتهم أبواب، وليس عليهم أمراء، وليس بينهم قضاة، وليس بينهم أغنياء، ولا ملوك، ولا أشراف، ولا يتفاوتون، ولا

---

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٣٤٩/١٦

يتفاضلون، ولا يختلفون، ولا يتنازعون، ولا يستبون، ولا يقتتلون، ولا يقحطون، ولا يحردون، ولا تصيبهم الآفات التي تصيب الناس، وهم أطول الناس أعمارا." (١)

"قال أبو جعفر: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: هو عذاب القبر الذي حدثنا به أحمد بن عبد الرحمن بن وهب، قال: ثنا عمي عبد الله بن وهب، قال: أخبرني عمرو بن الحارث، عن دراج، عن ابن حجيرة عن أبي هريرة، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: " أتدرون فيم أنزلت هذه الآية (فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى) أتدرون ما المعيشة الضنك؟ " قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: عذاب الكافر في قبره، والذي نفسي بيده أنه ليسلط عليه تسعة وتسعون تنينا، أتدرون ما **التنين**: تسعة وتسعون حيه، لكل حيه سبعة رءوس، ينفخون في جسمه ويلسعونه ويخدشونه إلى يوم القيامة ".

وإن الله تبارك وتعالى اتبع ذلك بقوله: (ولعذاب الآخرة أشد وأبقى) فكان معلوما بذلك أن المعيشة الضنك التي جعلها الله لهم قبل عذاب الآخرة، لأن ذلك لو كان في الآخرة لم يكن لقوله: (ولعذاب الآخرة أشد وأبقى) معنى مفهوم، لأن ذلك إن لم يكن تقدمه عذاب لهم قبل الآخرة، حتى يكون الذي في الآخرة أشد منه، بطل معنى قوله (ولعذاب الآخرة أشد وأبقى) ، فإذ كان ذلك كذلك، فلا تخلو تلك المعيشة الضنك التي جعلها الله لهم من أن تكون لهم في حياتهم الدنيا، أو في قبورهم قبل البعث، إذ كان لا وجه لأن تكون في الآخرة لما قد بينا، فإن كانت لهم في حياتهم الدنيا، فقد يجب أن يكون كل من أعرض عن ذكر الله من الكفار، فإن معيشته فيها ضنك، وفي وجودنا كثيرا منهم أوسع معيشة من كثير من المقبلين على ذكر الله تبارك وتعالى، القائلين له المؤمنين في ذلك، ما يدل على أن ذلك ليس كذلك، وإذ خلا القول في ذلك من هذين الوجهين صح الوجه الثالث، وهو أن ذلك في البرزخ.

وقوله (ونحشره يوم القيامة أعمى) اختلف أهل التأويل في صفة العمى الذي ذكر الله في هذه الآية، أنه يبعث هؤلاء الكفار يوم القيامة به، فقال بعضهم: ذلك عمى عن الحجة، لا عمى عن البصر.

* ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن إسماعيل الأحمسي، قال: ثنا محمد بن عبيد، قال: ثنا سفيان الثوري، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن أبي صالح." (٢)

"وتضرعت لأمتي فلم ترحمني، وقع علي البلاء فرفضوني، أنتم كنتم أشد علي من مصيبتي، انظروا وابهتوا من العجائب التي في جسدي، أما سمعتم بما أصابني، وما شغلكم عني ما رأيتم بي، لو كان عبد يخاصم ربه رجوت أن أتغلب عند الحكم، ولكن لي ربا جبارا تعالى فوق سماواته، وألقاني هاهنا، وهنت عليه، لا هو عذرني بعذري، ولا هو أدناني فأخاصم عن نفسي يسمعني ولا أسمعه، ويراني ولا أراه، وهو محيط بي، ولو تجلى لي لذابت كليتاي، وصعق روحي، ولو نفسني فأتكلم بملء فمي، ونزع الهيبة مني، علمت بأي ذنب عذبني، نودي فقيل: يا أيوب، قال: لبيك، قال: أنا هذا قد دنوت منك، فقم

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر الطبري، أبو جعفر ١٠٨/١٨

(٢) تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر الطبري، أبو جعفر ٣٩٤/١٨

فاشدد إزارك، وقم مقام جبار، فإنه لا ينبغي لي أن يخاصمني إلا جبار مثلي، ولا ينبغي أن يخاصمني إلا من يجعل الزنار في فم الأسد، والسخال في فم العنقاء، واللحم في فم التنين، ويكيل مكيالا من النور، ويزن مثقالا من الريح، ويصر صرة من الشمس، ويرد أمس لغد، لقد منتك نفسك أمرا ما يبلغ بمثل قوتك، ولو كنت إذ منتك نفسك ذلك ودعتك إليه تذكرت أي مرام رام بك، أردت أن تخاصمني بغيك؟ أم أردت أن تحاجيني بخطئك، أم أردت أن تكاثرني بضعفك، أين كنت مني يوم خلقت الأرض فوضعتها على أساسها، هل علمت بأي مقدار قدرتها؟ أم كنت معي تمر بأطرافها؟ أم تعلم ما بعد زواياها؟ أم على أي شيء وضعت أكنافها؟ أبطاعتك حمل ماء الأرض؟ أم بحكمتك كانت الأرض للماء غطاء، أين كنت مني يوم رفعت السماء سقفا في الهواء لا بعلائق ثبتت من فوقها، ولا يحملها دعائم من تحتها، هل يبلغ من حكمتك أن تجري نورها، أو تسير نجومها، أو يختلف بأمرك ليلها ونهارها، أين كنت مني يوم سجرت البحار وأنبعت الأنهار؟ أقدرتك حبست أمواج البحار على حدودها؟ أم قدرتك فتحت الأرحام حين بلغت مدتها؟ أين أنت مني يوم صببت الماء على التراب، ونصبت شوامخ الجبال، هل لك من ذراع تطيق حملها، أم هل تدري كم مثقال فيها، أم أين الماء الذي أنزل من السماء؟ هل تدري أم تلده أو أب يولده؟ أحكمتك أحصت القطر وقسمت الأرزاق، أم قدرتك تثير السحاب، وتغشيه الماء؟ هل تدري ما أصوات الرعود؟ أم من أي شيء لهب البروق؟ هل رأيت عمق البحور؟ أم هل تدري ما بعد الهواء، أم هل خزنت أرواح الأموات؟ أم هل تدري أين خزانة الثلج، أو أين خزائن البرد، أم أين جبال البرد؟ أم هل تدري أين خزانة الليل بالنهار، وأين خزانة النهار بالليل؟ وأين طريق النور؟ وبأي لغة تتكلم الأشجار؟ وأين خزانة الريح، كيف تحبسه الأغلاق؟ ومن جعل العقول في أجواف الرجال؟ ومن شق الأسماع والأبصار، ومن ذلت الملائكة لملكه، وقهر الجبارين بجبروته، وقسم أرزاق الدواب بحكمته، ومن قسم للأسد أرزاقها وعرف الطير معايشها، وعطفها على أفراخها، من أعتق الوحش من الخدمة، وجعل مساكنها البرية لا تستأنس بالأصوات، ولا تهاب المسلطين، أمن حكمتك تفرعت أفراخ الطير، وأولاد الدواب لأمهاتها؟ أم من حكمتك عطفت أمهاتها عليها، حتى أخرجت لها الطعام من بطونها، وآثرتها بالعيش على نفوسها؟ أم من حكمتك يبصر العقاب، فأصبح في أماكن القتلى أين أنت مني يوم خلقت بهموت (١) مكانه في منقطع التراب، والوتينان (٢) يحملان الجبال والقرى والعمران، آذانهما كأنها شجر الصنوبر الطوال رؤوسهما، كأنها آكام الجبال، وعروق أفخاذهما كأنها أوتاد الحديد، وكأن جلودهما فلق الصخور، وعظامهما كأنها عمد النحاس، هما رأسا خلقي الذين خلقت للقتال، أأنت ملأت جلودهما لحما؟ أم أنت ملأت رؤوسهما دماغا؟ أم هل لك في خلقهما من شرك؟ أم لك بالقوة التي عملتهما يدان؟ أو هل يبلغ من قوتك أن تخطم على أنوفهما أو تضع يدك على رؤوسهما، أو تقعد لهما على طريق فتحبسهما، أو تصدهما عن قوتهما؟ أين أنت يوم خلقت التنين ورزقه في البحر، ومسكنه في السحاب، عيناه توقدان نارا، ومنخراه يثوران دخانا، أذناه مثل قوس السحاب، يثور منهما لهب كأنه إعصار العجاج، جوفه يحترق ونفسه يلتهب، وزبده كأمثال الصخور، وكأن صريف أسنانه صوت الصواعق، وكأن نظر عينيه لهب البرق، أسراره لا تدخله الهموم، تمر به الجيوش وهو متكئ، لا يفزعه شيء ليس فيه مفصل [زبر] الحديد عنده مثل التين، والنحاس عنده مثل الخيوط، لا يفزع من النشاب، ولا يحس وقع الصخور على جسده، ويضحك من النيازك، ويسير في الهواء كأنه عصفور، ويهلك كل شيء

يمر به ملك الوحوش، وإياه آثرت بالقوة على خلقي، هل أنت آخذه بأحبولتك فرابطه بلسانه، أو واضع اللجام في شدقه، أتظنه يوفي بعهدك، أو يسبح من خوفك؟ هل تحصي عمره، أم هل تدري أجله، أو تفوت رزقه؟ أم هل تدري ماذا خرب من الأرض؟ أم ماذا يخرب فيما بقي من عمره؟ أتطيق غضبه حين يغضب أم تأمره فيطيعك؟ تبارك الله وتعالى؟

قال أيوب صلى الله عليه وسلم: قصرت عن هذا الأمر الذي تعرض لي، ليت الأرض انشقت بي، فذهبت في بلائي ولم أتكلم بشيء يسخط ربي، اجتمع علي البلاء، إلهي حملتني لك مثل العدو، وقد كنت تكرمني وتعرف نصحي، وقد علمت أن الذي ذكرت صنع يديك وتدبير حكمتك، وأعظم من هذا ما شئت عملت، لا يعجزك شيء ولا يخفى عليك خافية، ولا تغيب عنك غائبة، من هذا الذي يظن أن يسر عنك سرا، وأنت تعلم ما يخطر على القلوب؟ وقد علمت منك في بلائي هذا ما لم أكن أعلم، وخفت حين بلوت أمرك أكثر مما كنت أخاف، إنما كنت أسمع بسطوتك سمعا، فأما الآن فهو بصر العين، إنما تكلمت حين تكلمت لتعذرني، وسكت حين سكت لترحمني، كلمة زلت فلن أعود، قد وضعت يدي على فمي، وعضضت على لساني، وألصقت بالتراب خدي، ودست وجهي لصغاري، وسكت كما أسكتتني خطيئتي، فاغفر لي ما قلت فلن أعود لشيء تكرهه مني.

قال الله تبارك وتعالى: يا أيوب نفذ فيك علمي، وبحلمي صرفت عنك غضبي، إذ خطئت فقد غفرت لك، ورددت عليك أهلك ومالك ومثلهم معهم، فاغتسل بهذا الماء، فإن فيه شفاءك، وقرب عن صحابتك قربانا، واستغفر لهم، فإنهم قد عصوني فيك.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، قال: ثني محمد بن إسحاق، عمن لا يتهم، عن وهب بن منبه اليماني، وغيره من أهل الكتب الأول، أنه كان من حديث أيوب أنه كان رجلا من الروم، وكان الله قد اصطفاه ونبأه، وابتلاه

---

(١) في الكتاب المقدس ص ٨٣١: " بهيموث ".

(٢) في الكتاب المقدس ص ٣٨١: " لوياثان ".." (١)

"يشقي في الآخرة، ثم قرأ فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى قال: لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة «١» .

قوله تعالى فإن له معيشة ضنكا

١٣٥٦٢ - عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله: فإن له معيشة ضنكا قال: المعيشة الضنك التي قال: الله إنه يسلط عليه تسعة وتسعون حية تنهش لحمه حتي تقوم الساعة «٢» .

١٣٥٦٣ - عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله: فإن له معيشة ضنكا قال: عذاب القبر «٣» .

١٣٥٦٤ - عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: المؤمن في قبره في روضة خضراء ويرحب له قبره سبعين

---

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر الطبري، أبو جعفر ٤٩٣/١٨

ذراعا ويضيء حتي يكون كالقمر ليلة البدر هل تدرون فيما انزلت فإن له معيشة ضنكا قالوا: الله ورسوله أعلم قال: عذاب الكافر في قبره يسلط عليه تسعة وتسعون تنينا، هل تدرون ما التنين، تسعة وتسعون حية لكل حية سبعة رؤوس يخدشونه ويلسعونه وينفخون في جسمه إلى يوم يبعثون «٤» .

١٣٥٦٥ - عن ابن مسعود قال: إذا حدثتكم بحديث أنبأتكم بتصديق ذلك من كتاب الله إن المؤمن إذا وضع في قبره أجلس فيه فيقال له: من ربك وما دينك ومن نبيك فيثبته الله فيقول: ربي الله وديني الإسلام ونبيي محمد صلى الله عليه وسلم فيوسع له في قبره ويروح له فيه، ثم قرأ عبد الله: يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة فإذا مات الكافر أجلس في قبره فيقال له: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ فيقول: لا أدري، قال: فيضيق عليه قبره ويعذب فيه، ثم قرأ ومن أعرض، عن ذكري فإن له معيشة ضنكا «٥» .

١٣٥٦٦ - حدثنا ابن عباس في قوله: معيشة ضنكا قال: الشقاء «٦» .

١٣٥٦٧ - عن ابن عباس في قوله: معيشة ضنكا قال: بشدة عليه في النار «٧» .

---

(١) . الدر ٥/ ٦٠٧.

(٢) . الدر ٥/ ٦٠٧.

(٣) . الدر ٥/ ٦٠٨.

(٤) . الدر ٥/ ٦٠٨.

(٥) . الدر ٥/ ٦٠٨.

(٦) . الدر ٥/ ٦٠٨.

(٧) . الدر ٥/ ٦٠٩.." [1]

"وقيل لبهلول المجنون: متى يكون العبد متوكلا؟ قال: إذا كان النفس غريبا بين الخلق، والقلب قريبا إلى الحق.

وعن محمد بن عمران قال: قيل لحاتم الأصم: على ما بنيت أمرك هذا من التوكل؟ قال:

أربع خلال: علمت أن رزقي ليس يأكله غيري فلست أشغل به، وعلمت أن عملي لا يعمله غيري فأنا مشغول به، وعلمت أن الموت يأتيني بغتة فأنا أبادره، وعلمت أني بعين الله في كل حال فأنا مستحي منه.

وعن أبي موسى [الوبيلي] «١» قال: سألت عبد الرحمن بن يحيى عن التوكل فقال لي: لو أدخلت يدك في فم التنين حتى تبلغ الرسغ، لم تخف مع الله شيئا.

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم - محققا الرازي، ابن أبي حاتم ٧/ ٢٤٣٩

قال أبو موسى: [ذهبت] إلى أبي يزيد البسطامي: أسأله عن التوكل، فدخلت بسطام ودفعت عليه الباب فقال لي: يا أبا موسى ما كان لك في جواب عبد الرحمن من القناعة حتى تجيء وتسألني؟ فقلت: افتح الباب، فقال: لو زرتني لفتحت لك الباب، [وإذا] جاء الجواب من الباب فانصرف: لو أن الحية المطوقة بالعرش همت بك لم تخف مع الله شيئا.

قال أبو موسى: فانصرفت حتى جئت إلى دبيل «٢» فأقمت بها سنة، ثم اعتقدت الزيارة فخرجت إلى أبي يزيد فقال: زرتني مرحبا بالزائرين [لا] أخرجك، قال: فأقمت عنده شهرا لا يقع لي شيء إلا أخبرني قبل أن أسأله فقلت له: يا أبا يزيد أخرج وأريد فائدة منك أخرج بها من عندك.

قال لي: اعلم أن فائدة المخلوقين ليست بفائدة، حدثتني أمي أنها كانت حاملة بي وكانت إذا قدمت لها القصعة من حلال امتدت يدها وأكلت، وإذا قدمت من حرام جفت فلم تأكل، اجعلها فائدة وانصرف. فجعلتها فائدة وانصرفت.

وروى طاوس اليماني (رحمه الله) قال: رأيت أعرابيا قد جاء براحلة له فأبركها وعقلها، ثم رفع رأسه إلى السماء فقال: اللهم إن هذه الراحلة وما عليها في ضمانك حتى أخرج إليها.

فخرج الأعرابي وقد أخذت الراحلة وما عليها، فرفع رأسه إلى السماء فقال: اللهم إنه ما سرق مني شيء وما سرق إلا منك.

فقال طاوس: فنحن كذلك مع الأعرابي إذا رأينا رجلا من رأس أبي قبيس يقود الراحلة بيده اليسرى ويمينه مقطوعة معلقة في عنقه، حتى جاء إلى الأعرابي وقال له: هاك راحلتك وما عليها. فقيل له: وما حالك؟ فقال: استقبلني فارس على فرس أشهب في رأس أبي قبيس فقال: يا سارق مد يدك فمددتها فوضعها على حجر ثم أخذ آخر فقطعها به وعلقها في عنقي وقال: انزل فرد الراحلة وما عليها إلى الأعرابي.

---

(١) هكذا في الأصل.

(٢) مدينة بأرمينية.." (١)

"لله تعالى خلق ينمي نماهم في العالم الواحد ولا يزدادون كزيادتهم. فإن أتت مدة على ما ترى من زيادتهم ونمائهم فلا شك أنهم سيملؤون الأرض ويجلون أهلها منها ويظهرون عليها فيفسدون فيها. وليست تمر بنا سنة منذ جاورناهم إلا ونحن نتوقعهم أن يطلع علينا أولهم من بين هذين الجبلين، فهل نجعل لك خرجا على أن تجعل بيننا وبينهم سدا. قال ما مكني فيه ربي خير فأعينوني بقوة أجعل بينكم وبينهم ردما: أعدوا لي الصخور والحديد والنحاس حتى أرتاد بلادهم، وأعلم علمهم، وأقيس ما بين جبليهم.

ثم انطلق يؤمهم حتى دفع إليهم وتوسط بلادهم فوجدهم على مقدار واحد، ذكرهم وأنثاهم، يبلغ طول الواحد منهم مثل نصف الرجل المربوع منا.

قال علي بن أبي طالب: «منهم من طوله شبر ومنهم من هو مفرط في الطول، لهم مخالب في [موضع] «١» الأظفار من بين أيدينا وأنياب وأضراس كأضراس السباع وأنيابها يسمع لها حركة إذا أكلوا كحركة الجرة من الإبل وكقضم البغل المسن أو

---

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ١٩٤/٣

الفرس القوي، ولهم هلب من الشعر في أجسادهم ما يواريهم وما يتقون به من الحر والبرد إذا أصابهم. ولكل واحد منهم أذنان عظيمتان أحدهما وبرة والأخرى زغبة يلتحف إحداهما ويفترش الأخرى، ويصيف في إحداهما ويشتو في الأخرى وليس منهم ذكر ولا أنثى إلا وقد عرف أجله الذي يموت فيه، ومنقطع عمره وذلك أنه لا يموت ميت من ذكورهم حتى يخرج من صلبه ألف ولد، ولا تموت أنثى حتى يخرج من رحمها ألف ولد. فإذاكان ذلك أيقن الموت. وهم يرزقون السينان «٢» أيام الربيع كما يستمطر الغيث لحينه فيقذفون منه كل سنة واحدا فيأكلونه عامهم كله إلى مثلها من القابل فيعمهم على كثرتهم، وهم يتداعون تداعي الحمام، ويعوون عواء الذئاب، ويتسافدون تسافد البهائم حيث التقوا» «٣» .

فلما عاين منهم ذلك ذو القرنين انصرف إلى ما بين الصدفين فقاس ما بينهما، وهو في منقطع أرض الترك مما يلي مشرق الشمس فوجد بعد ما بينهما مائة فرسخ، فلما أنشأ في عمله حفر له الأساس حتى بلغ الماء، ثم جعل عرضه خمسين فرسخا. وجعل حشوه الصخر، وطينه النحاس يذاب ثم يصب عليه فصار كأنه عرق من جبل تحت الأرض ثم علاه وشرفه بزبر الحديد والنحاس المذاب وجعل خلاله عرقا من نحاس أصفر، فصار كأنه برد محبر من صفرة النحاس وحمرته في سواد الحديد.

فلما فرغ منه وأحكمه انطلق عامدا إلى جماعة الإنس، فبينا هو يسير إذ دفع إلى أمة صالحة يهدون بالحق وبه يعدلون، فوجد أمة مقسطة مقتصدة يقيمون بالسوية، ويحكمون بالعدل

---

(١) من المصدر.

(٢) كذا في المخطوط، وفي المصدر: **التنين**.

(٣) جامع البيان للطبري: ١٦/ ٢٦ بتفاوت، ولم ينسبه لأمير المؤمنين (عليه السلام) .." [1]

"ليتني إذ كرهتني لم تخلقني، يا ليتني كنت حيضة ألقتني أمي، أو يا ليتني عرفت الذنب الذي أذنبت والعمل الذي عملت فصرفت وجهك الكريم عني، لو كنت أمتني فألحقتني بآبائي فالموت كان أجمل لي، ألم أكن للغريب دارا وللمسكين قرارا ولليتيم وليا وللأرملة قيما؟

الهي أنا عبد ذليل، إن أحسنت فالمن لك، وإن أسأت فبيدك عقوبتي، جعلتني للبلاء غرضا وللفتنة نصبا، وقد وقع علي بلاء لو سلطته على جبل ضعف عن حمله، فكيف يحمله ضعفي، إلهي تقطعت أصابعي فإني لأرفع الأكلة من الطعام بيدي جميعا فما تبلغان فمي إلا على الجهد مني، تساقطت لهواتي ولحم رأسي، فما بين أذني من سداد حتى أن إحداهما ترى من الأخرى، وإن دماغي يسيل من فمي.

تساقط شعر عيني فكأنما حرق بالنار وجهي، وحدقتاي هما متدليتان على خدي، ورم لساني حتى ملأ فمي، فما أدخل منه طعاما إلا غصني، ورمت شفتاي حتى غطت العليا أنفي والسفلى ذقني، تقطعت أمعائي في بطني فإني لأدخله الطعام فيخرج كما دخل ما أحسه ولا ينفعني، ذهبت قوة رجلي فكأنهما قربتا ماء أطيق حملهما، ذهب المال فصرت أسأل بكفي

---

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ٦/١٩٦

فيطعمني من كنت أعوله اللقمة الواحدة، فيمنها علي ويعيرني، هلك أولادي ولو بقي أحد منهم أعانني على بلائي ونفعني، قد ملني أهلي وعقني أرحامي وتنكرت معارفي ورغب عني صديقي وقطعني أصحابي وجحدت حقوقي ونسيت صنايعي، أصرخ فلا يصرخونني وأعتذر فلا يعذروني، ودعوت غلامي فلم يجبني وتضرعت لأمتي فلم ترحمني «١» وأنحل جسمي ولو أن ربي نزع الهيبة التي في صدري وأطلق لساني حتى أتكلم بملء فمي، ثم كان ينبغي للعبد أن يحاج عن نفسه، لرجوت أن «٢» يعافيني عند ذلك مما بي ولكنه ألقاني وتعالى عني فهو يراني ولا أراه، ويسمعني ولا أسمعه، لا نظر إلى فرحمني ولا دنا مني ولا أدناني، فأتكلم ببراءتي وأخاصم عن نفسي.

فلما قال ذلك أيوب وأصحابه أظله غمام حتى ظن أصحابه أنه عذاب، ثم نودي منه: يا أيوب إن الله يقول: ها أنا دنوت منك ولم أزل منك قريبا، فقم فأدل بعذرك وتكلم ببراءتك وخاصم عن نفسك واشدد إزارك وقم مقام جبار فإني لا ينبغي لي أن يخاصمني إلا جبار مثلي ولا ينبغي أن يخاصمني إلا من يجعل الزمار، في فم الأسد والسخال في فم العنقاء واللجام في فم **التنين**، ويكتال مكيالا من النور ويزن مثقالا من الريح ويصر صرة من الشمس ويرد أمس، لقد منتك نفسك أمرا ما يبلغ بمثل قوتك ولو كنت إذ منتك ذلك ودعتك إليه، تذكرت أي مرام رامت بك.

---

(١) في نسخة أصفهان زيادة: وإن فضلك هو الذي أذلني وأقماني فإن سلطانك هو الذي أسقمني. [.....]

(٢) في نسخة أصفهان: يعاقبني." (١)

"وقال السدي: كانت تلك العصا استودعها ملك في صورة رجل، وأمر ابنته أن تأتيه بعصا، فدخلت الجارية فأخذت العصا فأتته بها، فلما رآها الشيخ قال لابنته، آتيه بغيرها، فلما رمتها تريد أن تأخذ غيرها فلا تقع في يدها إلا هي، كل ذلك تطير في يدها حتى فعلت ذلك مرات، فأعطاها موسى، فأخرجها معه، ثم إن الشيخ ندم، وقال: كانت وديعة، فخرج يتلقى موسى، فلما لقيه، قال: أعطني العصا، قال موسى: هي عصاي، فأبى أن يعطيه، فاختصما حتى رضيا أن يجعلا بينهما أول رجل يلقاهما، فأتاهما ملك يمشي، فقضى بينهما، فقال:

ضعوها بالأرض فمن حملها فهي له، فعالجها الشيخ فلم يطقها، وأخذها موسى بيده فرفعها، فتركها له الشيخ.

وروى حيان عن الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس أنه قال: كان في دار يثرون بيت لا يدخله إلا يثرون وابنته التي زوجها موسى، كانت تكنسه وتنظفه، وكان في البيت ثلاث عشرة عصا، وكان ليثرون أحد عشر ولدا من الذكور، فكلما أدرك منهم ولد أمره بدخول البيت وإخراج عصا من تلك العصي، فجعل يحترق الولد حتى هلك كلهم، فرجع موسى ذات يوم إلى منزله فلم يجد أهله، واحتاج إلى عصا لرعيه، فدخل ذلك البيت وأخذ عصا من تلك العصي وخرج بها، فلما علمت بذلك امرأته انطلقت إلى أبيها، وأخبرته بذلك، فسر بها يثرون وقال لها: إن زوجك هذا نبي وإن له مع هذه العصا لشأنا.

وفي بعض الأخبار أن موسى (عليه السلام) لما أصبح من الغد بعد العقد وأراد الرعي قال له صهره شعيب: اذهب بهذه الأغنام، فإذا بلغت مفرق الطريق فخذ على يسارك ولا تأخذ على يمينك وإن كان الكلأ بها أكثر، فإن هناك تنينا عظيما

---

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ٢٩٢/٦

أخشى عليك وعلى الأغنام منه. فذهب موسى بالأغنام، فلما بلغ مفرق الطريق أخذت الأغنام ذات اليمين، فاجتهد موسى على أن يصرفها إلى ذات الشمال فلم تطعه فسار موسى على أثرها، فرأى عشبا وريفا لم ير مثله، ولم ير **التنين**، فنام موسى والأغنام ترعى، فإذا **بالتنين** قد جاء، فقامت عصا موسى وحاربته حتى قتلته وعادت إلى جنب موسى وهي دامية. فلما استيقظ موسى رأى العصا دامية **والتنين** مقتولا، فارتاح لذلك وعلم أن الله سبحانه في تلك العصا قدرة وإرادة، فعاد إلى شعيب، وكان شعيب ضريرا فمس الأغنام، فإذا هي أمثل حالا مما كانت، فسأله، فأخبره موسى بالقصة، ففرح بذلك شعيب وعلم أن لموسى وعصاه شأنا، فأراد شعيب أن يجازي موسى على حسن رعيه إكراما له وصلة لابنته فقال له: إني قد وهبت لك [من] الجدايا التي تضعها أغنامي في هذه السنة كل أبلق وبلقاء فأوحى الله تعالى إلى موسى أن اضرب بعصاك الماء الذي في مستقى الأغنام.

قال: فضرب موسى بعصاه الماء ثم سقى الأغنام منه، فما أخطأت واحدة منها إلا وقد." (١)

"فوجدهم على مقد [ا] ر واحد ذكرهم وأنثاهم يبلغ طول أحدهم مثل نصف طول الرجل المربوع منا. لهم مخاليب في مواضع الأظفار من أيدينا. وأضراس وأنياب كأضراس السباع وأنيابها، وأحناك [كأحناك] الابل قوة. تسمع لهم حركة إذا أكلوا كحركة الجرة من الإبل، أو كقضم البغل المسن. ولهم هلب من الشعر في أجسادهم ما يواريهم، و [ما] يتقون به الحر والبرد، ولكل واحد منهم أذنان عظيمتان، إحداهما وبرة ظهرها وبطنها، والأخرى زغبة ظهرها وبطنها. تسعانه إذا لبسهما يلتحف إحداهما ويفترش الأخرى. يصيف في أحدهما ويشتي في الأخرى. ليس منهم ذكر ولا أنثى إلا وقد عرف أجله الذي يموت فيه وينقطع عمره. وذلك أنه لايموت ميت من ذكورهم حتى يخرج من صلبه ألف ولد ولا تموت أنثى حتى يخرج من رحمها ألف ولد. فإذا كان ذلك أيقن بالموت. وهم يرزقون **التنين** في أيام الربيع ويستمطرونه إذا تحينوه. كما يستمطر المطر بحينه فيقدرون منه كل سنة. فيأكلون عامهم كله إلى مثلها من القابلة. فيغنيهم على كثرتهم ونمائهم. فإذا أمطروه أخصبوه وعاشوا وسمنوا." (٢)

"عذاب الكافر في قبره، والذي نفسي بيده، إنه يسلط عليه تسعة وتسعون تنينا، أتدرون ما **التنين؟** تسعة وتسعون عحية لكل حية سبعة رؤوس ينفخن في جسمه ويلسعنه ويخدشنه إلى يوم القيامة ".

وروى أبو هريرة Bه أن النبي A قال: " إن المؤمن إذا ألحد في قبره أتاه ملكان أرزقان أسودان، فيأتيانه من قبل رأسه، فتقول صلاته لا يؤتى من قبلي، فرب ليلة قد بات فيها ساهرا حذاراص لهذا المضجع فيوتى من قبل رجليه، فتقول رجلاه لا يؤتي من قبلنا، فقد كان ينصب ويمشي علينا في طاعة الله حذارا لهذا المضجع فيؤتى من قبل يمينه فتقول صدقته لا يؤتى من قبلي، فقد كان يتصدق حذارا لهذا المضجع، فيؤتى من قبل شماله، فيقول صومه لا يؤتى من قبلي، فقد كان يجوع ويظمأ حذارا لهذا المضجع، فيوقظ كما يوقظ النائم، ثم يسأل ".

قوله تعالى: ﴿ونحشره يوم القيامة أعمى﴾ إلى قوله: ﴿لأولي النهى﴾.

---

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ٢٤٦/٧

(٢) الهداية الى بلوغ النهاية مكي بن أبي طالب ٤٤٦٧/٦

قال مجاهد: أعملى عن حجة، لا حجة له يهتدي بها، وقاله أبو صالح.

وقيل: معنى ذلك، أنه لا يهتدي إلى وجه ينال منه نفعا ولا خيرا، كما لا يهتدي الأعمى إلى الجهات المنافع في الدنيا.

وقيل: " أعمى " من عمى البصر، كما قال: ونحشر المجرمين يومئذ زرقا.." (١)

"وكذا الحديث والقصة «١» فى البداية لطف وفي النهاية عنف، فى الأول ختل وفي الآخر قتل، كما قيل:

فلما دارت الصهباء «٢» ... دعا بالنطع والسيف

كذا من يشرب الراح ... مع التنين في الصيف «٣»

قوله جل ذكره:

[سورة القصص (٢٨) : آية ٣١]

وأن ألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبرا ولم يعقب يا موسى أقبل ولا تخف إنك من الآمنين (٣١)

يا موسى.. اخلع نعليك والق عصاك، وأقم عندنا هذه الليلة، فلقد تعبت في الطريق- وذلك إن لم يكن في النقل والآثار فهو مما يليق بتلك الحال.

يا موسى.. كيف كنت في الطريق؟ كيف صعدت وكيف صوبت «٤» وكيف شرقت وكيف غربت؟ ما كنت في الطريق وحدك يا موسى! أحصينا خطاك- فقد أحصينا كل شيء عددا. يا موسى.. تعبت فاسترح، وبعد ما جئت فلا تبرح- كذلك العبد غدا إذا قطع المسافة في القيامة، وتبوأ منزله من الجنة فأقوام إذا دخلوها رجعوا إلى منازلهم ثم يوم اللقاء يستحضرون، وآخرون يمضون من الطريق إلى بساط الزلفة، وكذا العبد أو الخادم إذا دخل بلد سلطانه. يبتدئ أولا بخدمة السدة العلية ثم بعدها ينصرف إلى منزله.

وكذلك اليوم أمرنا «٥» إذا أصبحنا كل يوم: ألا نشتغل بشيء حتى نفتتح النهار بالخطاب مع الحق قبل أن نخاطب المخلوق، نحضر بساط الخدمة- أي الصلاة- بل نحضر بساط الدنو والقربة، قال تعالى: «واسجد واقترب» «٦» : فالمصلى مناج ربه. ولو علم المصلى من

---

(١) يقصد حديث الحب وقصته

(٢) الرواية الصحيحة «فلما دارت الكأس» .

(٣) البيتان من المقطعة التي أنشدها الحلاج وهو يواجه مصرعه، وأولها:

نديمى غير منسوب ... إلى شيء من الخوف

(طبقات الشعراني ح ١ ص ١٢٠)

(٤) هكذا في م وهى في ص (ضربت) ، وضرب في الأرض أي جال وسار، وقد أثبتنا (صوبت) لتتلاءم مع الأفعال

---

(١) الهداية الى بلوغ النهاية مكي بن أبي طالب ٤٧١٣/٧

المضعفة طبقا لما نعرف من حرص القشيري على الموسيقى اللفظية.

(٥) من هذا نفهم أن القشيري يكتب كتابه أو يمليه من أجل الصوفية، فضمير المتكلمين يدل على نوع من التخصيص.

(٦) آية ١٩ سورة العلق.." (١)

"٢٢ - ﴿وتلك:﴾ إشارة إلى تربيته وليدا؛ لأنه لم يكن يربي أولاد بني إسرائيل إلا لتعبيدهم وإذلالهم، وهو على وجه الاستفهام تقديره: أو تلك.

﴿نعمة تمنها:﴾ المن: تذكير المنعم نعمته، ولا يحسن ذلك إلا من الله تعالى؛ لأنه هو المنعم على الحقيقة، وأما غيره إذا من على أحد فقد تحلى بما ليس له، إذ هو سبب في تلك النعمة، والمنعم في الحقيقة هو الله.

سماه به (١) للزومه جوابا واحدا مع تفنن فرعون في السؤال، وإنما فعل موسى ذلك ليقرر (٢) عندهم التسمية ويوقعها في قلوبهم بالمبالغة في التعريف.

٢٨ - ﴿إن كنتم تعقلون:﴾ تعريض بأنهم أولى بصفة الجنون منه؛ لأنهم لم يكونوا يعقلون ما ينبئهم عليه من المشاهدات من الأفاعيل الإلهية، فلما فر فرعون من الجدال إلى التهديد، قابله موسى بالبرهان العتيد.

٣٢ - ﴿ثعبان:﴾ حية بين الأفعوان **والتنين.**

٣٩ - ﴿هل أنتم مجتمعون:﴾ استفهام بمعنى الأمر.

٤٠ - ﴿لعلنا نتبع (٣)﴾ السحرة: في طاعة فرعون نتبع السحرة (٤).

٤٤ - ﴿بعزة فرعون:﴾ قسم السحرة، وعزته: قلة إذنه للناس أن يدخلوا عليه، واحتجابه عنهم.

٥٠ - ﴿لا ضير:﴾ لا بأس.

٥٤ - ﴿لشرذمة:﴾ لقطعة وفرقة، وثوب شراذم، أي: مقطع قطعا.

ووجه الجمع بالقليلين حسن وصف كل بعض من أبعاض الجملة بالقليل.

٥٥ - ﴿لغائظون:﴾ لمغضبون (٥).

٥٦ - ﴿حاذرون﴾ (٦): مخلوقون على صفة الحذر، والحاذر: حامل السلاح والذي يحذر في الحال.

---

(١) لطائف الإشارات = تفسير القشيري القشيري، عبد الكريم ٦٦/٣

٦٠ - ﴿مشرقين:﴾ مصبحين.

---

(١) أي: بتكراره كلمة (رب) ليقرر هذه الكلمة في نفوس الحاضرين.

(٢) أ: ليتقرر.

(٣) الأصول المخطوطة: نتعلم.

(٤) ع: السحر.

(٥) أ: لمبغوضون.

(٦) الأصول المخطوطة: حذرون. قد تكون على رسم المصحف.." [١]

"الذي ولد في الإسلام، وقال ابن شميل: هما واحد وهو الذي ولد عندك (١).

﴿وأنت من الكافرين﴾ أي كفران النعمة.

﴿فعلتها إذا﴾ أي يومئذ ﴿وأنا من الضالين﴾ الجاهلين، من الجهالة في شرائع دين الله لا الجهالة في الله ولا الجهالة (٢) في دين فرعون.

﴿خفتكم﴾ أن تصيبوني بشر ويكون سبب مكروه قضاه الله وقدره، وتلك إشارة إلى تربيته وليدا، لأنه لم يكن يربي أولاد (٣) بني إسرائيل إلا لتعبيدهم وإذلالهم، وهو على وجه الاستفهام تقديره: أوتلك نعمة تمنها المن: تذكير المنعم نعمته، ولا يحسن ذلك إلا من الله تعالى لأنه هو المنعم على الحقيقة، وأما غيره إذا من على أحد فقد تخلق بما ليس له، إذ هو سبب في تلك النعمة والمنعم في الحقيقة هو الله سماه به للزومه جوابا واحدا مع تفنن فرعون في السؤال، وإنما فعل موسى ذلك ليقرر عندهم التسمية وتوقعها في قلوبهم بالمبالغة في التعريف.

﴿إن كنتم تعقلون﴾ تعريض بأنهم أولى بصفة الجنون منه لأنهم لم يكونوا يعقلون ما يلهمهم عليه من المشاهدات من الأفاعيل الإلهية، فلما فر فرعون من الجدال إلى التهديد قابله موسى بالبرهان العتيد.

﴿ثعبان﴾ حية بين الأفعوان **والتنين.**

﴿هل أنتم مجتمعون﴾ استفهام بمعنى الأمر.

﴿لعلنا نتبع السحرة﴾ في طاعة فرعون.

﴿بعزة فرعون﴾ قسم السحرة، و (عزته): قلة إذنه للناس أن يدخلوا عليه واحتجابه عنهم.

---

(١) نقل قول النضر بن شميل الأزهري في تهذيب اللغة (١٤/ ١٧٦ - ولد).

---

(١) درج الدرر في تفسير الآي والسور ط الفكر الجرجاني، عبد القاهر ٢/٣٩٤

(٢) (في الله ولا الجهالة) ليست في "أ".

(٣) في "أ": (أولا).." [١]

"ملكها إلا أربعة مؤمنان: وهما سليمان، وذو القرنين، وكافران: نمرود وشداد ..

إن قيل: ما الذي ادعى هذا الكافر؟

ادعى نفي الخالق؟ أم ادعى لنفسه الربوبية؟ أم الأمرين؟ فإن ادعى الربوبية، فعلى أي وجه ادعى، فبعيد أن يزعم من وجد بعد أن لم يكن أنه موجد الخلائق ...

قيل: قد ذكر المخلصون في ذلك وجهين، أحدهما: أن هذا الكافر نمرود، وكان الناس حينئذ يعظمون ملكهم حتى كانوا يسمونه الرب والإله، ولهذا قيل: (الله رب الأرباب وإله الآلهة)، وكانوا يدعون له أفعالا ألاهية تقصر قدر البشر عنها، وقد حكى الفرس عن ملوكهم شيئا كبيرا من ذلك كما ادعوا لكن خسرو أنه ألجأة عدو له إلى سفح جبل، فحملته الملائكة، وأن شابور لما حارب التنين، فأظلم عليه الدنيا، أنزل عليه نارا، فصارت على عرف فرسه، فاستضاء بها حتى قتل التقين، وكان نمرود لما طغى سام الناس أن يعبدوه عبادتهم لله، إذ هو بزعمهم سايسهم، وملكهم، وربهم، وإلأههم، فهذاك أحد الوجهين، والثاني: أنه كان يذهب مذهب من يقول بالحلول، أن الباري- تعالي عن ذلك- يحل في أشخاص الأئمة حسب ما ادعى بعض المتنصرة وبعض المتشيعه الملحدة، وكان نمرو يدعي الربوبية على أحد هذين الوجهين، لا أنه ينكر رب العزة ...." [٢]

"[سورة الأعراف (٧) : الآيات ٨٥ الى ٨٧]

وإلى مدين أخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها ذلكم خير لكم إن كنتم مؤمنين (٨٥) ولا تقعدوا بكل صراط توعدون وتصدون عن سبيل الله من آمن به وتبغونها عوجا واذكروا إذ كنتم قليلا فكثركم وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين (٨٦) وإن كان طائفة منكم آمنوا بالذي أرسلت به وطائفة لم يؤمنوا فاصبروا حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين (٨٧) كان يقال لشعيب عليه السلام خطيب الأنبياء، لحسن مراجعته قومه وكانوا أهل بخس للمكاييل والموازين قد جاءتكم بينة من ربكم معجزة شاهدة بصحة نبوتى أوجبت عليكم الإيمان بى والأخذ بما آمركم به والانتهاء عما أنهاكم عنه، فأوفوا ولا تبخسوا. فإن قلت:

ما كانت معجزته؟ قلت: قد وقع العلم بأنه كانت له معجزة، لقوله قد جاءتكم بينة من ربكم.

ولأنه لا بد لمدعي النبوة من معجزة تشهد له وتصدقه، وإلا لم تصح دعواه، وكان متنبئا لا نبيا غير أن معجزته لم تذكر في القرآن كما لم تذكر أكثر معجزات نبينا صلى الله عليه وسلم فيه. ومن معجزات شعيب عليه السلام: ما روى من محاربة عصى موسى عليه السلام التنين «١» حين دفع إليه غنمه. وولادة الغنم الدرع خاصة حين وعده أن تكون له الدرع من

---

(١) درج الدرر في تفسير الآي والسور ط الحكمة الجرجاني، عبد القاهر ١٣٢٣/٣

(٢) تفسير الراغب الأصفهاني الراغب الأصفهاني ٥٣٧/١

أولادها، ووقوع عصى آدم عليه السلام على يده في المرات السبع، وغير ذلك من الآيات، لأن هذه كلها كانت قبل أن يستنبأ موسى عليه السلام، فكانت معجزات لشعيب. فإن قلت: كيف قيل الكيل والميزان وهلا قيل: المكيال والميزان، كما في سورة هود عليه السلام؟ قلت: أريد بالكيل: آلة الكيل وهو المكيال. أو سمى ما يكال به بالكيل، كما قيل: العيش، لما يعاش به. أو أريد: فأوفوا الكيل ووزن الميزان. ويجوز أن يكون الميزان كالميعاد والميلاد بمعنى المصدر، ويقال: بخسته حقه: إذا نقصته إياه. ومنه قيل للمكس البخس. وفي أمثالهم: تحسبها حمقاء وهي باخس. وقيل أشياءهم لأنهم كانوا يبخسون الناس كل شيء في مبايعاتهم، أو كانوا مكاسين لا يدعون شيئا إلا مكسوة كما يفعل أمراه الحرمين. وروى أنهم كانوا إذا دخل الغريب بلدهم أخذوا دراهمه الجياد وقالوا هي زيوف فقطعوها قطاعا، ثم أخذوها بنقصان ظاهر أو أعطوه بدلها زيوفا بعد إصلاحها بعد الإصلاح فيها، أى لا تفسدوا فيها بعد ما أصلح فيها الصالحون من الأنبياء وأتباعهم العاملين بشرائعهم. وإضافته كإضافة قوله بل مكر الليل والنهار بمعنى بل مكركم في الليل والنهار، أو

---

(١) . قوله «التنين» هو ضرب من الحيات والدرع سود الرؤوس بيض سائر الأبدان اه. (ع)." (١)

"مستقر، وأن الأجلين على السواء: إما هذا وإما هذا من غير تفاوت بينهما في القضاء. وأما التتمة فموكولة إلى رأيي: إن شئت أتيت بها، وإلا لم أجبر عليها. وقيل: معناه فلا أكون متعديا، وهو في نفى العدوان عن نفسه، كقولك: لا إثم على، ولا تبعة على. وفي قراءة ابن مسعود: أى الأجلين ما قضيت. وقرئ: أيما، بسكون الياء، كقوله:

تنظرت نصرا والسماكين أيهما ... على من الغيث استهلت مواطره «١»

وعن ابن قطيب: عدوان، بالكسر. فإن قلت: ما الفرق بين موقعى «ما» المزيدة في القراءتين؟

قلت: وقعت في المستفيضة مؤكدة لإبهام، أى: زائدة في شياعها: وفي الشاذة تأكيدا للقضاء، كأنه قال: أى الأجلين صممت على قضائه وجردت عزيمتي له. الوكيل: الذي وكل إليه الأمر، ولما استعمل في موضع الشاهد والمهيمن والمقيت «٢» ، عدى بعلى لذلك. روى أن شعيبا كانت عنده عصى الأنبياء فقال لموسى بالليل: ادخل ذلك البيت فخذ عصا من تلك العصى. فأخذ عصا هبط بها آدم من الجنة، ولم يزل الأنبياء يتوارثونها حتى وقعت إلى شعيب، فمسها- وكان مكفوفا، فضن بها فقال: غيرها، فما وقع في يده إلا هي سبع مرات، فعلم أن له شأنا. وقيل:

أخذها جبريل بعد موت آدم فكانت معه حتى لقى بها موسى ليلا. وقيل: أودعها شعيبا ملك في صورة رجل، فأمر بنته أن تأتيه بعصا، فأتته بها فردها سبع مرات فلم يقع في يدها غيرها، فدفعها إليه ثم ندم لأنها وديعة، فتبعه فاختصما فيها، ورضيا أن يحكم بينهما أول طالع، فأتاهما الملك فقال: ألقياها فمن رفعها فهي له، فعالجها الشيخ فلم يطقها ورفعها موسى. وعن الحسن:

ما كانت إلا عصا من الشجر اعترضها اعتراضا. وعن الكلبي: الشجرة التي منها نودي شجرة العوسج، ومنها كانت عصاه. ولما أصبح قال له شعيب: إذا بلغت مفرق الطريق فلا تأخذ على يمينك، فإن الكلأ وإن كان بها أكثر، إلا أن فيها تنينا

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ١٢٧/٢

«٣» أخشاه عليك وعلى الغنم، فأخذت الغنم ذات اليمين ولم يقدر على كفها، فمشى على أثرها فإذا عشب وريف لم ير مثله، فنام فإذا **بالتنين** قد أقبل، فحاربته العصا حتى قتلته وعادت إلى جنب موسى دامية. فلما أبصرها دامية

---

(١) . للفرزدق. ونصر: هو ابن سيار ملك العراقين. والسما كان: كوكبان: السماك الأعزل لا نجم أمامه، والسماك الرامح أمامه نجوم، وأيهما أصله مشدد فسكن للضرورة، ثم يحتمل أنه نصب بدل مما قبله، وأنه معمول لمحذوف: أى لا أعلم أيهما وهو موصول. ويجوز أنه استفهام، وعليه فهو رفع على الابتداء، والضمير فيه راجع لنصر والسماكين، أى: ترقبت نصرا والسماكين أيهما استهلت مواطره على من الغيث، وأهل السحاب واستهل: اشتد انصبابه. والمواطر: السحائب. والغيث: المطر. وفي قرن نصر بالسماكين: دلالة على تشبيهه بهما في الخير وعلى الاستفهام، فهو من باب تجاهل العارف، وكذلك على نفى العلم.

(٢) . قوله «والمهيمن والمقيت» أى: المقتدر، أو الحافظ. (ع)

(٣) . قوله «إلا أن فيها تنينا» أى: ثعبانا. (ع)." [١]

"**والتنين** مقتولا ارتاح لذلك، ولما رجع إلى شعيب مس الغنم، فوجدها ملأى البطون غزيرة اللبن، فأخبره موسى ففرح وعلم أن لموسى والعصا شأنا، وقال له: إني وهبت لك من نتاج غنمي هذا العام كل أدرع ودرعاء»

، فأوحى إليه في المنام: أن اضرب بعصاك مستقى الغنم، ففعل، ثم سقى فما أخطأت واحدة إلا وضعت أدرع ودرعاء، فوفى له بشرطه

[سورة القصص (٢٨) : الآيات ٢٩ الى ٣٢]

فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله آنس من جانب الطور نارا قال لأهله امكثوا إني آنست نارا لعلي آتيكم منها بخبر أو جذوة من النار لعلكم تصطلون (٢٩) فلما أتاها نودي من شاطئ الواد الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة أن يا موسى إني أنا الله رب العالمين (٣٠) وأن ألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبرا ولم يعقب يا موسى أقبل ولا تخف إنك من الآمنين (٣١) اسلك يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء واضمم إليك جناحك من الرهب فذانك برهانان من ربك إلى فرعون وملائه إنهم كانوا قوما فاسقين (٣٢)

سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم: أى الأجلين قضى موسى؟ فقال: أبعدهما وأبطأهما «٢» .

وروى أنه قال: قضى أوفاهما، وتزوج صغراهما. وهذا خلاف الرواية التي سبقت. الجذوة- باللغات الثلاث. وقرئ بهن جميعا- : العود الغليظ، كانت في رأسه نار أو لم تكن، قال كثير:

باتت حواطب ليلى يلتمسن لها ... جزل الجذى غير خوار ولا دعر «٣»

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ٣/٤٠٦

(١) . قوله «كل أدرع ودرعاء» لعله «كل أردع وردعاء» وفي الصحاح: به ردع من زعفران أو دم، أى: لطخ وأثر.
وردعته بالشيء فارتدع، أى: لطخته به فتلطخ اه، فالأردع: شبيه المتلطخ بلون آخر. ولفظ الخازن: أبلق وبلقاء. (ع)
(٢) . أخرجه الحاكم من طريق ابن عيينة عن إبراهيم بن يحيي عن عكرمة عن ابن عباس بهذا قلت. وإبراهيم مجهول. وقوله: وروى أنه قال قضى أوفاهما وتزوج من صغراهما: أخرجه الطبراني والبزار من طريق عويد بن أبى عمران الجونى عنه عن أبيه عن عبد الله بن الصامت عن أبى ذر «أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل: أى الأجلين قضى موسى؟ قال: أوفاهما وأبرهما، قال وسئل أى المرأتين تزوج؟ قال الصغرى منهما» وعويد ضعيف وفي ابن مردويه من حديث أبى هريرة رفعه «قال لي جبريل: إن سألك اليهودي: أى الأجلين قضى موسى؟ فقل أوفاهما وإن سألك أيهما تزوج؟ فقل الصغرى منهما» وفي إسناده سليمان الشاذكوني وهو ضعيف.
(٣) . لابن مقبل. والحواطب: الجواري يطلبن الحطب، والالتماس- بحسب الأصل-: من اللمس.» ثم اتسع فيه. والجذل: الحطب الغليظ اليابس: والجذى: جمع جذوة بتثليث الجيم فيهما وهي العود الغليظ في رأسه نار أولا. والخوار: الضعيف. والخور معيب، إلا في قولهم: ناقة خوارة، أى كثيرة اللبن. ونخلة خوارة:
كثيرة الحمل. ودعر العود دعرا كتعب كثر دخانه، فهو دعر كحذر. والدعر أيضا: السوس والفساد. والدعار: الفسق والخبث، وغير خوار: حال من جزل الجذى.." (١)

"الباقون «يفقهون» من فقه، والضمير في قالوا: للقوم الذين من دون السدين، ويأجوج ومأجوج:
قبيلتان من بني آدم لكنهم ينقسمون أنواعا كثيرة، اختلف الناس في عددها، فاختصرت ذكره لعدم الصحة، وفي خلقهم تشويه: منهم المفرط الطول، ومنهم مفرط القصر، على قدر الشبر، وأقل، وأكثر، ومنهم صنف: عظام الآذان، الأذن الواحدة وبرة والأخرى زعرى يصيف بالواحدة ويشتو في الأخرى وهي تعمه، واختلفت القراءة فقرأ عاصم وحده «يأجوج ومأجوج» بالهمز وقرأ الباقون: «يأجوج وماجوج» بغير همزة فأما من همز، فاختلف: فقالت فرقة: هو أعجمي علتاه في منع الصرف: العجمة والتأنيث، وقالت فرقة: هو معرب من أجج وأج، علتاه في منع الصرف التعريف والتأنيث، وأما من لم يهمز فإما أن يراهما اسمين أعجميين، وإما أن يسهل من الهمز، وقرأ رؤبة بن العجاج: «آجوج ومأجوج» بهمزة بدل الياء، واختلف الناس في «إفسادهم» الذي وصفوهم به، فقال سعيد بن عبد العزيز: «إفسادهم» : أكل بني آدم، وقالت فرقة «إفسادهم» إنما عندهم توقعا، أي سيفسدون، فطلبوا وجه التحرز منهم، وقالت فرقة: «إفسادهم» هو الظلم والغشم والقتل وسائر وجوه الإفساد المعلوم من البشر، وهذا أظهر الأقوال، لأن الطائفة الشاكية إنما تشكت من ضرر قد نالها، وقولهم فهل نجعل لك خرجا استفهام على جهة حسن الأدب، و «الخرج» :
المجبي، وهو الخراج، وقال قوم: الخرج: المال يخرج مرة، والخراج المجبي المتكرر، فعرضوا عليه أن يجمعوا له أموالا يقيم بها أمر السد، قال ابن عباس خرجا: أجرا، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم «خرجا» وقرأ حمزة والكسائي «خراجا» وهي قراءة طلحة بن مصرف والأعمش والحسن بخلاف عنه وروي في أمر يأجوج ومأجوج أن أرزاقهم هي من **التنين** يمطرونها، ونحو

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ٣/٤٠٧

هذا مما لم يصح، وروي أيضا أن الذكر منهم لا يموت حتى يولد له ألف، والأنثى لا تموت حتى تخرج من بطنها ألف، فهم لذلك إذا بلغوا العدد ماتوا، ويروى أنهم يتناكحون في الطرق كالبهائم، وأخبارهم تضيق بها الصحف، فاختصرتها لضعف صحتها وقوله قال ما مكني الآية، المعنى قال لهم ذو القرنين: ما بسطه الله لي من القدرة والملك، خير من خرجكم وأموالكم، ولكن أعينوني بقوة الأبدان، وبعمل منكم بالأيدي، وقرأ ابن كثير «ما مكنني» بنونين، وقرأ الباقون «ما مكني» بإدغام النون الأولى في الثانية، وهذا من تأييد الله تعالى لذي القرنين، فإنه «تهدا؟؟؟» في هذه المحاورة إلى الأنفع الأنزه، فإن القوم، لو جمعوا له خرجا لم يمنعه منهم أحد، ولوكلوه إلى البنيان، ومعونتهم بالقوة أجمل به، وأمر يطاول مدة العمل، وربما أربى على المخرج، و «الردم» أبلغ من السد، إذ السد كل ما سد به، و «الردم» وضع الشيء على الشيء من حجارة أو تراب أو نحوه حتى يقوم من ذلك حجاب منيع، ومنه ردم ثوبه: إذا رقعه برقاع متكاثفة، بعضها فوق بعض، ومنه قول الشاعر:

[الكامل] هل غادر الشعراء من متردم أي من قول يركب بعضه على بعض.

قوله عز وجل:." (١)

"اعلم أن هذا هو القصة الخامسة وقد ذكرنا أن التقدير: (وأرسلنا إلى مدين أخاهم شعيبا) وذكرنا أن هذه الأخوة كانت في النسب لا في الدين وذكرنا الوجوه فيه واختلفوا في مدين فقيل: أنه اسم البلد وقيل: إنه اسم القبيلة بسبب أنهم أولاد مدين بن إبراهيم عليه السلام ومدين صار/ اسما للقبيلة كما يقال:

بكر وتميم وشعيب من أولاده وهو: شعيب بن نويب بن مدين بن إبراهيم خليل الرحمن.

واعلم أنه تعالى حكى عن شعيب أنه أمر قومه في هذه الآية بأشياء: الأول: أنه أمرهم بعبادة الله ونهاهم عن عبادة غير الله وهذا أصل معتبر في شرائع جميع الأنبياء فقال: اعبدوا الله ما لكم من إله غيره والثاني:

أنه ادعى النبوة فقال: قد جاءتكم بينة من ربكم ويجب أن يكون المراد من البينة هاهنا المعجزة لأنه لا بد لمدعي النبوة منها وإلا لكان متنبئا لا نبيا فهذه الآية دلت على أنه حصلت له معجزة دالة على صدقه. فأما أن تلك المعجزة من أي الأنواع كانت فليس في القرآن دلالة عليه كما لم يحصل في القرآن الدلالة على كثير من معجزات رسولنا. قال صاحب «الكشاف» : ومن معجزات شعيب أنه دفع إلى موسى عصاه وتلك العصا حاربت التنين وأيضا قال لموسى: إن هذه الأغنام تلد أولادا فيها سواد وبياض وقد وهبتها منك فكان الأمر كما أخبر عنه. ثم قال: وهذه الأحوال كانت معجزات لشعيب عليه السلام لأن موسى في ذلك الوقت ما ادعى الرسالة.

واعلم أن هذا الكلام بناء على أصل مختلف بين أصحابنا وبين المعتزلة وذلك لأن عندنا أن الذي يصير نبيا ورسولا بعد ذلك يجوز أن يظهر الله عليه أنواع المعجزات قبل إيصال الوحي ويسمى ذلك إرهاصا للنبوة فهذا الإرهاص عندنا جائز وعند المعتزلة غير جائز فالأحوال التي حكاها صاحب «الكشاف» هي عندنا إرهاصات لموسى عليه السلام وعند المعتزلة معجزات لشعيب لما أن الإرهاص عندهم غير جائز.

والثالث: أنه قال: فأوفوا الكيل والميزان واعلم أن عادة الأنبياء عليهم السلام إذا رأوا قومهم مقبلين على نوع من أنواع

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٥٤٢/٣

المفاسد إقبالا أكثر من إقبالهم على سائر انواع المفاسد بداوا يمنعهم عن ذلك النوع وكان قوم شعيب مشغوفين بالبخس والتطفيف فلهذا السبب بدأ بذكر هذه الواقعة فقال: فأوفوا الكيل والميزان وهاهنا سؤالان:
السؤال الأول: الفاء في قوله: فأوفوا توجب أن تكون للأمر بإيفاء الكيل كالمعلول والنتيجة عما سبق ذكره وهو قوله: قد جاءتكم بينة من ربكم فكيف الوجه فيه؟
والجواب: كأنه يقول البخس والتطفيف عبارة عن الخيانة بالشيء القليل وهو أمر مستقبح في العقول ومع ذلك قد جاءت البينة والشريعة الموجبة للحرمة فلم يبق لكم فيه عذر فأوفوا الكيل.
السؤال الثاني: كيف قال الكيل والميزان ولم يقل المكيال والميزان [هود: ٨٤] كما في سورة هود؟
والجواب: أراد بالكيل آلة الكيل وهو المكيال أو يسمى ما يكال به بالكيل كما يقال العيش لما يعاش والرابع: قوله: ولا تبخسوا الناس أشياءهم والمراد أنه لما منع قومه من البخس في الكيل والوزن منعهم." (١)

"المسألة الرابعة: قال الحسن إن موسى عليه السلام نودي نداء الوحي لا نداء الكلام والدليل عليه قوله تعالى: فاستمع لما يوحى قال الجمهور إن الله تعالى كلمه من غير واسطة والدليل عليه قوله تعالى: وكلم الله موسى تكليما [النساء: ١٦٤] وسائر الآيات، وأما الذي تمسك به الحسن فضعيف لأن قوله: فاستمع لما يوحى لم يكن بالوحي لأنه لو كان ذلك أيضا بالوحي لانتهى آخر الأمر إلى كلام يسمعه المكلف لا بالوحي وإلا لزم التسلسل بل المراد من قوله: فاستمع لما يوحى وصيته بأن يتشدد في الأمور التي تصل إليه في مستقبل الزمان بالوحي.
أما قوله: وأن ألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبرا ولم يعقب يا موسى أقبل ولا تخف إنك من الآمنين فقد تقدم تفسير كل ذلك، وقوله كأنها جان صريح في أنه تعالى شبهها بالجان ولم يقل إنه في نفسه جان، فلا يكون هذا مناقضا لكونه ثعبانا بل شبهها بالجان من حيث الاهتزاز والحركة لا من حيث المقدار، وقد تقدم الكلام في خوفه، ومعنى ولم يعقب لم يرجع، يقال عقب المقاتل إذا كر بعد الفر، وقال وهب إنها لم تدع شجرة ولا صخرة إلا ابتلعتها حتى سمع موسى عليه السلام صرير أسنانها وسمع قعقعة الصخر في جوفها فحينئذ ولى، واختلفوا في العصا على وجوه: أحدها: قالوا إن شعيبا كانت عنده عصي الأنبياء عليهم السلام، فقال لموسى بالليل إذا دخلت ذلك البيت فخذ عصا من تلك العصي. فأخذ؟؟؟ هبط بها آدم عليه السلام من الجنة ولم تزل الأنبياء تتوارثها حتى وقعت إلى شعيب عليه السلام فقال أربي العصا فلمسها وكان مكفوفا فضن بها فقال خذ غيرها فما وقع في يده إلا هي سبع مرات فعلم أن له معها شأنا.
وروي أيضا أن شعيبا عليه السلام أمر ابنته أن تأتي بعصا لأجل موسى عليه السلام فدخلت البيت وأخذت العصا وأتته بها فلما رآها الشيخ قال ائتيه بغيرها فألقتها وأرادت أن تأخذ غيرها فلم يقع في يدها غيرها، فلما رأى الشيخ ذلك رضي به ثم ندم بعد ذلك وخرج يطلب موسى عليه السلام فلما لقيه قال أعطني العصا، قال موسى هي عصاي فأبى أن يعطيه إياها فاختصما، ثم توافقا على أن يجعلا بينهما أول رجل يلقاهما فأتاهما ملك يمشي فقضى بينهما فقال ضعوها على الأرض فمن حملها فهي له فعالجها الشيخ فلم يطق وأخذها موسى عليه السلام بسهولة، فتركها الشيخ له ورعى له عشر سنين

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٣١٣/١٤

وثانيها:

روى ابن صالح عن ابن عباس قال كان في دار بيرون ابن أخي شعيب بيت لا يدخله إلا بيرون وابنته التي زوجها من موسى عليه السلام، وأنها كانت تكنسه وتنظفه، وكان في ذلك البيت ثلاث عشرة عصا، وكان لبيرون أحد عشر ولدا من الذكور فكلما أدرك منهم ولد أمره بدخول البيت وإخراج عصا من تلك العصي فرجع موسى ذات يوم إلى منزله، فلم يجد أهله واحتج إلى عصا لرعيه فدخل ذلك البيت وأخذ عصا من تلك العصي وخرج بها فلما علمت المرأة ذلك انطلقت إلى أبيها وأخبرته بذلك فسر بذلك بيرون وقال لها إن زوجك هذا لنبي، وإن له مع هذه العصا لشأنا

وثالثها:

في بعض الأخبار أن موسى عليه السلام لما عقد العقد مع شعيب وأصبح من الغد وأراد الرعي قال له شعيب عليه السلام اذهب بهذه الأغنام فإذا بلغت مفرق الطريق فخذ على يسارك ولا تأخذ على يمينك وإن كان الكلأ بها أكثر فإن بها تنينا عظيما فأخشى عليك وعلى الأغنام منه، فذهب موسى بالأغنام فلما بلغ مفرق الطريق أخذت الأغنام ذات اليمين فاجتهد موسى على أن يردها فلم يقدر فسار على أثرها فرأى عشبا كثيرا، ثم إن موسى عليه السلام نام والأغنام ترعى وإذا **بالتنين** قد جاء فقامت عصا موسى عليه السلام فقاتلته حتى قتلته وعادت إلى جنب موسى وهي دامية فلما استيقظ موسى." (١)

"عليه السلام رأى العصا دامية **والتنين/** مقتولا فارتاح لذلك وعلم أن لله تعالى في تلك العصا قدرة وآية، وعاد إلى شعيب عليه السلام وكان ضريرا فمس الأغنام فإذا هي أحسن حالا مما كانت فسأله عن ذلك فأخبره موسى عليه السلام بالقصة ففرح بذلك وعلم أن لموسى عليه السلام وعصاه شأنا، فأراد أن يجازي موسى عليه السلام على حسن رعيه إكراما وصلة لابنته فقال إني وهبت لك من السخال التي تضعها أغنامي في هذه السنة كل أبلق وبلقاء، فأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام أن اضرب بعصاك الماء الذي تسقي الغنم منه ففعل ثم سقى الأغنام منه فما أخطت واحدة منها إلا وضعت حملها ما بين أبلق وبلقاء، فعلم شعيب أن ذلك رزق ساقه الله تعالى إلى موسى عليه السلام وامرأته فوفى له شرطه ورابعها: قال بعضهم تلك العصا هي عصا آدم عليه السلام وإن جبريل عليه السلام أخذ تلك العصا بعد موت آدم عليه السلام فكانت معه حتى لقي بها موسى عليه السلام ربه ليلا وخامسها: قال الحسن ما كانت إلا عصا من الشجر اعترضها اعتراضا أي أخذها من عرض الشجر يقال اعترض إذا لم يتخير، وعن الكلبي: الشجرة التي منها نودي شجرة العوسج ومنها كانت عصاه ولا مطمع في ترجيح بعض هذه الوجوه على بعض لأنه ليس في القرآن ما يدل عليها والأخبار متعارضة والله أعلم بها.

أما قوله تعالى: اسلك يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء فاعلم أن الله تعالى قد عبر عن هذا المعنى بثلاث عبارات أحدها: هذه وثانيها: قوله في طه [٢٢] واضمم يدك إلى جناحك تخرج بيضاء وثالثها: قوله في النمل [١٢] وأدخل يدك في جيبك قال العزيزي في غريب القرآن: اسلك يدك في جيبك أدخلها فيه.

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٢٤/٥٩٤

أما قوله: واضمم إليك جناحك من الرهب فأحسن الناس كلاما فيه، قال صاحب «الكشاف» : فيه معنيان أحدهما: أن موسى عليه السلام لما قلب الله له العصا حية فزع واضطرب فاتقاها بيده كما يفعل الخائف من الشيء، فقيل له إن اتقاءك بيدك فيه غضاضة عند الأعداء، فإذا ألقيتها فكما تنقلب حية فأدخل يدك تحت عضدك مكان اتقائك بها، ثم أخرجها بيضاء ليحصل الأمران اجتناب ما هو غضاضة عليك وإظهار معجزة أخرى، والمراد بالجناح اليد لأن يدي الإنسان بمنزلة جناحي الطائر، وإذا أدخل يده اليمنى تحت عضده اليسرى فقد ضم جناحه إليه الثاني: أن يراد بضم جناحه إليه تجلده وضبطه نفسه وتشدده عند انقلاب العصا حية حتى لا يضطرب ولا يرهب استعاره من فعل الطائر، لأنه إذا خاف نشر جناحيه وأرخاهما وإلا فجناحاه مضمومان إليه مشمران، ومعنى قوله: من الرهب من أجل الرهب، أي إذا أصابك الرهب عند رؤية الحية فاضمم إليك جناحك وقوله: اسلك يدك في جيبك على أحد التفسيرين واحد، ولكن خولف بين العبارتين، وإنما كرر المعنى الواحد لاختلاف الغرضين، وذلك أن الغرض في أحدهما خروج اليد بيضاء وفي الثاني إخفاء الرهب، فإن قيل قد جعل الجناح وهو اليد في أحد الموضعين/ مضموما وفي الآخر مضموما إليه، وذلك قوله: واضمم إليك جناحك وقوله: واضمم يدك إلى جناحك [طه: ٢٢] فما التوفيق بينهما؟ قلنا المراد بالجناح المضموم هو اليد اليمنى، وبالمضموم إليه اليد اليسرى، وكل واحدة من يمنى اليدين ويسراهما جناح، هذا كله كلام صاحب «الكشاف» وهو في نهاية الحسن.
أما قوله تعالى: فذانك قرئ مخففا ومشددا، فالمخفف مثنى (ذا) «١» ، والمشدد مثنى

---

(١) في الكشاف (ذلك)." (١)

"قلنا هو مفعول به، لأن جماعة يكونون مأمورين تنقسم أمرا واحدا، أو نقول هو في تقدير التكرير كأنه قال: فالحاملات وقرا وقرا، والمقسمات أمرا أمرا.

المسألة الثامنة: ما فائدة الفاء؟ نقول إن قلنا إنها صفات الرياح فلبيان ترتيب الأمور في الوجود، فإن الذاريات تنشئ السحاب فتقسم الأمطار على الأمطار، وإن قلنا إنها أمور أربعة فالفاء للترتيب في القسم لا للترتيب في المقسم به، كأنه يقول: أقسم بالرياح الذاريات ثم بالسحب الحاملات ثم بالسفن الجاريات ثم بالملائكة المقسمات، وقوله فالحاملات وقوله فالجاريات إشارة إلى بيان ما في الرياح من الفوائد، أما في البر فإنشاء السحب، وأما في البحر فإجراء السفن، ثم المقسمات إشارة إلى ما يترتب على حمل السحب وجري السفن من الأرزاق، والأرباح التي تكون بقسمة الله تعالى فتجري سفن بعض الناس كما يشتهي ولا تربح وبعضهم تربح وهو غافل عنه، كما قال تعالى: نحن قسمنا بينهم معيشتهم [الزخرف: ٣٢] . ثم قال تعالى:

[سورة الذاريات (٥١) : آية ٥]

إنما توعدون لصادق (٥)

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٥٩٥/٢٤

(ما) يحتمل أن يكون مصدرية معناه الإيعاد صادق و (إن) تكون موصولة أي الذي توعدون صادق، والصادق معناه ذو صدق كعيشة راضية ووصف المصدر بما يوصف به الفاعل بالمصدر فيه إفادة مبالغة، فكما أن من قال فلان لطف محض وحلم يجب أن يكون قد بالغ كذلك من قال كلام صادق وبرهان قاهر للخصم أو غير ذلك يكون قد بالغ، والوجه فيه هو أنه إذا قال هو لطف بدل قوله لطيف فكأنه قال اللطيف شيء له لطف ففي اللطيف لطف وشيء آخر، فأراد أن يبين كثرة اللطف فجعله كله لطفا، وفي الثاني لما كان/ الصدق يقوم بالمتكلم بسبب كلامه، فكأنه قال هذا الكلام لا يحوج إلى شيء آخر حتى يصح إطلاق الصادق عليه، بل هو كاف في إطلاق الصادق لكونه سببا قويا وقوله تعالى: توعدون يحتمل أن يكون من وعد ويحتمل أن يكون من أوعد، والثاني هو الحق لأن اليمين مع المنكر بوعيد لا بوعد. وقوله تعالى:

[سورة الذاريات (٥١) : آية ٦]

وإن الدين لواقع (٦)

أي الجزاء كائن، وعلى هذا فالإبعاد بالحشر في الموعد هو الحساب والجزاء هو العقاب، فكأنه تعالى بين بقوله إنما توعدون لصادق وإن الدين لواقع أن الحساب يستوفى والعقاب يوفى ثم قال تعالى:

[سورة الذاريات (٥١) : الآيات ٧ الى ٨]

والسماء ذات الحبك (٧) إنكم لفي قول مختلف (٨)

وفي تفسيره مباحث:

الأول: والسماء ذات الحبك قيل الطرائق، وعلى هذا فيحتمل أن يكون المراد طرائق الكواكب وممراتها كما يقال في المحابك، ويحتمل أن يكون المراد ما في السماء من الأشكال بسبب النجوم، فإن في سمت كواكبها طريق **التنين** والعقرب والنسر الذي يقول به أصحاب الصور ومنطقة الجوزاء وغير ذلك كالطرائق، وعلى هذا فالمراد به السماء المزينة بزينة الكواكب، ومثله قوله تعالى: والسماء ذات البروج." (١)

"ابن يسجر بن مدين، وكان يقال له خطيب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لحسن مراجعته قومه. قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم يريد المعجزة التي كانت له وليس في القرآن أنها ما هي، وما روي من محاربة عصا موسى عليه الصلاة والسلام **التنين** وولادة الغنم التي دفعها إليه الدرع خاصة وكانت الموعودة له من أولادها، ووقوع عصا آدم على يده في المرات السبع متأخرة عن هذه المقاولة، ويحتمل أن تكون كرامة لموسى عليه السلام أو إرهاصا لنبوته. فأوفوا الكيل أي آلة الكيل على الإضمار، أو إطلاق الكيل على المكيال كالعيش على المعاش لقوله: والميزان كما قال في سورة «هود» أوفوا المكيال والميزان أو الكيل ووزن الميزان، ويجوز أن يكون الميزان مصدرا كالميعاد. ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تنقصوهم حقوقهم، وإنما قال أشياءهم للتعميم تنبيها على أنهم كانوا يبخسون الجليل والحقير والقليل والكثير.

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ١٦٢/٢٨

وقيل كانوا مكاسبين لا يدعون شيئا إلا مكسوه. ولا تفسدوا في الأرض بالكفر والحيف.
بعد إصلاحها بعد ما أصلح أمرها أو أهلها الأنبياء وأتباعهم بالشرائع، أو أصلحوا فيها والإضافة إليها كالإضافة في بل مكر الليل والنهار. ذلكم خير لكم إن كنتم مؤمنين إشارة إلى العمل بما أمرهم به ونهاهم عنه، ومعنى الخيرية إما الزيادة مطلقا أو في الإنسانية وحسن الأحدوثة وجمع المال.

[سورة الأعراف (٧) : الآيات ٨٦ الى ٨٧]
ولا تقعدوا بكل صراط توعدون وتصدون عن سبيل الله من آمن به وتبغونها عوجا واذكروا إذ كنتم قليلا فكثركم وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين (٨٦) وإن كان طائفة منكم آمنوا بالذي أرسلت به وطائفة لم يؤمنوا فاصبروا حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين (٨٧)
ولا تقعدوا بكل صراط توعدون بكل طريق من طرق الدين كالشيطان، وصراط الحق وإن كان واحدا لكنه يتشعب إلى معارف وحدود وأحكام، وكانوا إذا رأوا أحدا يسعى في شيء منها منعوه. وقيل كانوا يجلسون على المراصد فيقولون لمن يريد شعيبا إنه كذاب فلا يفتنك عن دينك ويوعدون لمن آمن به. وقيل كانوا يقطعون الطريق. وتصدون عن سبيل الله يعني الذي قعدوا عليه فوضع الظاهر موضع المضمر بيانا لكل صراط، ودلالة على عظم ما يصدون عنه وتقبيحا لما كانوا عليه أو الإيمان بالله. من آمن به أي بالله، أو بكل صراط على الأول، ومن مفعول تصدون على إعمال الأقرب ولو كان مفعول توعدون لقال وتصدونهم وتوعدون بما عطف عليه في موقع الحال من الضمير في تقعدوا. وتبغونها عوجا وتطلبون لسبيل الله عوجا بإلقاء الشبه، أو وصفها للناس بأنها معوجة. واذكروا إذ كنتم قليلا عددكم أو عددكم. فكثركم بالبركة في النسل أو المال. وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين من الأمم قبلكم فاعتبروا بهم.
وإن كان طائفة منكم آمنوا بالذي أرسلت به وطائفة لم يؤمنوا فاصبروا فتربصوا. حتى يحكم الله بيننا أي بين الفريقين بنصر المحقين على المبطلين، فهو وعد للمؤمنين ووعيد للكافرين. وهو خير الحاكمين إذ لا معقب لحكمه ولا حيف فيه.

[سورة الأعراف (٧) : الآيات ٨٨ الى ٨٩]
قال الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن في ملتنا قال أولو كنا كارهين (٨٨) قد افترينا على الله كذبا إن عدنا في ملتكم بعد إذ نجانا الله منها وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا وسع ربنا كل شيء علما على الله توكلنا ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين (٨٩)
قال الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن في ملتنا." [١]
"على كفها فمشى على أثرها فإذا عشب وريف لم ير مثله فنام فإذا التنين قد أقبل فحاربته العصا حتى قتلته وعادت إلى جنب موسى دامية فلما أبصرها رامية والتنين مقتولا ارتاح لذلك ولما رجع إلى شعيب مس الغنم فوجدها ملأى البطون

(١) تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل ناصر الدين البيضاوي ٢٣/٣

غزيرة اللبن فأخبره موسى ففرح وعلم أن لموسى والعصا شأنا وقال له إني وهبت لك من نتاج غنمي هذا العام كل أدرع ودرعاء فأوحي إليه في المنام أن أضرب بعصاك مسقى الغنم ففعل ثم سقى فوضعت كلهن أدرع ودرعاء فوفى له بشرطه." (١)

"مدين بن إبراهيم، وقيل: شعيب بن جذي بن سجن بن اللام بن يعقوب، وكذا قال ابن سمعان إلا أنه جعل مكان اللام لاوى ولا يعرف في أولاد يعقوب اللام فلعله تصحيف من لاوي، وقيل: شعيب بن صفوان بن عنقاء بن ثويب بن مدين بن إبراهيم، وقال الشريف النسابة الجواني: وهو المنتهى إليه في هذا العلم هو شعيب بن حبيش بن وائل بن مالك بن حرام بن جذام واسمه عامر أخو نجم وهما ولدا الحارث بن مرة بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن عابر هود عليه السلام فبينه وبين هود في هذا النسب الأخير ثمانية عشر أبا وبينهما في بعض النسب المذكور سبعة آباء لأنه ذكر فيه أنه شعيب بن ثويب بن مدين بن إبراهيم وإبراهيم هو ابن تارح بن ناحور بن ساروغ بن أرغو بن فالغ بن عابر وهو هود عليه السلام وكان يقال لشعيب: خطيب الأنبياء لحسن مراجعته قومه، قال قتادة: أرسل مرتين مرة إلى مدين ومرة إلى أصحاب الأيكة وتعلق إلى مدين وانتصب أخاهم بأرسلنا وهذا يقوي قول من نصب لوطا بأرسلنا وجعله معطوفا على الأنبياء قبله.

قد جاءتكم بينة من ربكم قرأ الحسن آية من ربكم وهذا دليل على أنه جاء بالمعجزة إذ كل نبي لا بد له من معجزة تدل على صدقه لكنه لم يعين هنا ما المعجزة ولا من أي نوع هي كما أنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم معجزات كثيرة جدا لم تعين في القرآن وقال قوم:

كان شعيب نبيا ولم تكن له بينة والبينة هنا الموعظة

وأنكر الزجاج هذا القول وقال: لا تقبل نبوة بغير معجزة ومن معجزاته أنه دفع إلى موسى عصاه وتلك العصا صارت تنينا ، وقال الزمخشري: ومن معجزات شعيب ما روي من محاربة عصا موسى **التنين** حين دفع إليه غنمه وولادة الغنم الدرع خاصة حين وعده أن يكون له الدرع من أولادها ووقوع عصا آدم على يده في المرات السبع وغير ذلك من الآيات لأن هذه كلها كانت قبل أن ينبأ موسى عليه السلام فكانت معجزات لشعيب،

وقال الزجاج: وأيضا قال لموسى عليه السلام هذه الأغنام تلد أولادا فيها سواد وبياض وقد وهبتها لك

فكان الأمر كما أخبر عنه وهذه الأحوال كلها كانت معجزة لشعيب عليه السلام لأن موسى عليه السلام في ذلك الوقت ما ادعى الرسالة انتهى، وما قاله الزمخشري متبعا فيه الزجاج هو قول المعتزلة وذلك أن الإرهاص وهو ظهور المعجزة على يد من سيصير نبيا ورسولا بعد ذلك مختلف في جوازه فالمعتزلة تقول: هو غير جائز فلذلك جعلوا هذه المعجزات لشعيب وأهل السنة يقولون بجوازه فهي إرهاص لموسى بالنبوة قبل الوحي إليه والحجج للمذهبين مذكورة في أصول الدين.." (٢)

---

(١) تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل النسفي، أبو البركات ٢/٦٤٠

(٢) البحر المحيط في التفسير أبو حيّان الأندلسي ٥/١٠٤

"ما لم يخلص إلى اليقين والهدى، فهو في قلق وحيرة وشك، فلا يزال في ريبة يتردد. فهذا من ضنك المعيشة.
قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿فإن له معيشة ضنكا﴾ قال: الشقاء.
وقال العوفي، عن ابن عباس: ﴿فإن له معيشة ضنكا﴾ قال: كل مال (١) أعطيته عبدا من عبادي، قل أو كثر، لا يتقيني فيه، فلا خير فيه، وهو الضنك في المعيشة. ويقال: إن قوما ضلالا أعرضوا عن الحق، وكانوا في سعة من الدنيا متكبرين، فكانت معيشتهم ضنكا؛ [و] (٢) ذلك أنهم كانوا يرون أن الله ليس مخلفا لهم معايشهم، من سوء ظنهم بالله والتكذيب، فإذا كان العبد يكذب بالله، ويسيء الظن به والثقة به اشتدت عليه معيشته، فذلك الضنك.
وقال الضحاك: هو العمل السيئ، والرزق الخبيث، وكذا قال عكرمة، ومالك بن دينار.
وقال سفيان بن عيينة، عن أبي حازم، عن أبي سلمة، عن أبي سعيد في قوله: ﴿معيشة ضنكا﴾ قال: يضيق عليه قبره، حتى تختلف أضلاعه فيه. قال أبو حاتم الرازي: النعمان بن أبي عياش (٣) يكنى أبا سلمة.
وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو زرعة، حدثنا صفوان، حدثنا الوليد، حدثنا عبد الله بن لهيعة، عن دراج، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قول الله عز وجل: ﴿فإن له معيشة ضنكا﴾ قال: "ضمة القبر" الموقوف أصح. (٤)
وقال ابن أبي حاتم أيضا: حدثنا الربيع بن سليمان، حدثنا أسد بن موسى، حدثنا ابن لهيعة، حدثنا دراج أبو السمح، عن ابن حجيرة -اسمه عبد الرحمن -عن أبي هريرة، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: المؤمن في قبره في روضة خضراء، ويرحب له في قبره سبعون ذراعا، وينور له قبره كالقمر ليلة البدر، أتدرون فيم أنزلت هذه الآية: ﴿فإن له معيشة ضنكا﴾ ؟ أتدرون ما المعيشة الضنك؟ " قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: عذاب الكافر في قبره، والذي نفسي بيده، إنه ليسلط عليه تسعة وتسعون تنينا، أتدرون ما التنين؟ تسعة وتسعون حية، لكل حية سبعة رؤوس، ينفخون في جسمه، ويلسعونه ويخدشونه إلى يوم يبعثون". (٥) .
رفعه منكر جدا.
وقال البزار: حدثنا محمد بن يحيى الأزدي، حدثنا محمد بن عمرو (٦) حدثنا هشام بن سعد، عن سعيد بن أبي هلال، [عن أبي حجيرة] (٧) عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم في قول الله عز وجل: ﴿فإن له معيشة ضنكا﴾ قال: "المعيشة الضنك الذي قال الله تعالى: أنه يسلط عليه تسعة وتسعون

---

(١) في هـ: "ما" والمثبت من ف، أ.
(٢) زيادة من ف.
(٣) في ف: "عياض".
(٤) والمرفوع في إسناده دراج عن أبي الهيثم وهو ضعيف.
(٥) ورواه أبو يعلى في مسنده (٥٢١/١١) من طريق ابن وهب عن عمرو بن الحارث عن دراج به.

(٦) في ف: "محمد بن عمر".

(٧) زيادة من ف، أ.." [1]

"عن ابن عباس: فإن له معيشة ضنكا قال: كلما أعطيته عبدا من عبادي قل أو كثر، لا يتقيني فيه، فلا خير فيه وهو الضنك في المعيشة، وقال أيضا: إن قوما ضلالا أعرضوا عن الحق وكانوا في سعة من الدنيا متكبرين، فكانت معيشتهم ضنكا، وذلك أنهم كانوا يرون أن الله ليس مخلفا لهم معايشهم من سوء ظنهم بالله والتكذيب، فإذا كان العبد يكذب بالله ويسيء الظن به والثقة به، اشتدت عليه معيشته، فذلك الضنك. وقال الضحاك: هو العمل السيئ والرزق الخبيث، وكذا قال عكرمة ومالك بن دينار.

وقال سفيان بن عيينة عن أبي حازم عن أبي سلمة عن أبي سعيد في قوله: معيشة ضنكا قال: يضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه فيه، وقال أبو حاتم الرازي: النعمان بن أبي عياش يكنى أبا سلمة. وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو زرعة، حدثنا صفوان، أنبأنا الوليد، أنبأنا عبد الله بن لهيعة، عن دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قول الله عز وجل فإن له معيشة ضنكا قال: ضمة القبر له، والموقوف أصح.

وقال ابن أبي حاتم أيضا: حدثنا الربيع بن سليمان، حدثنا أسد بن موسى، حدثنا ابن لهيعة، حدثنا دراج أبو السمح عن ابن حجيرة واسمه عبد الرحمن عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «المؤمن في قبره في روضة خضراء، ويفسح له في قبره سبعون ذراعا، وينور له قبره كالقمر ليلة البدر، أتدرون فيم أنزلت هذه الآية فإن له معيشة ضنكا أتدرون ما المعيشة الضنك؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «عذاب الكافر في قبره، والذي نفسي بيده إنه ليسلط عليه تسعة وتسعون تنينا. أتدرون ما **التنين؟** تسعة وتسعون حية، لكل حية سبعة رؤوس ينفخون في جسمه ويلسعونه ويخدشونه إلى يوم يبعثون» رفعه منكر جدا.

وقال البزار: حدثنا محمد بن يحيى الأزدي: حدثنا محمد بن عمرو، حدثنا هشام بن سعد عن سعيد بن أبي هلال عن ابن حجيرة، عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم في قول الله عز وجل:

فإن له معيشة ضنكا قال «المعيشة الضنك الذي قال الله أنه يسلط عليه تسعة وتسعون حية ينهشون لحمه حتى تقوم الساعة» . وقال أيضا: حدثنا أبو زرعة، حدثنا أبو الوليد، حدثنا حماد بن سلمة عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم فإن له معيشة ضنكا قال: «عذاب القبر» إسناد جيد.

وقوله: ونحشره يوم القيامة أعمى قال مجاهد وأبو صالح والسدي: لا حجة له، وقال عكرمة: عمي عليه كل شيء إلا جهنم، ويحتمل أن يكون المراد أنه يبعث أو يحشر إلى النار أعمى البصر والبصيرة أيضا، كما قال تعالى: ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما مأواهم جهنم [الإسراء: ٩٧] الآية، ولهذا يقول: رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا أي

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ٥/٣٢٣

في الدنيا قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى أي لما أعرضت عن آيات الله وعاملتها معاملة من لم يذكرها بعد بلاغها إليك، تناسيتها وأعرضت عنها." (١)

"قالوا: يا رسول الله ما ذنبهما؟

قال: "أما فلان فإئه كان لا يستبرئ من البول، وأما فلان أو فلانة فكان يأكل لحوم الناس ". وفي هذا الإسناد ضعف.

وخرج ابن جرير في "تفسيره"، من طريق أسباط، عن السدي قال: قال

البراء بن عازب: إن الكافر إذا وضع في قبره أتته دابة كأن عينيها قدران من

نحاس، معها عمود من حديد، فتضربه ضربة بين كتفيه، فيصيح، فلا يسمع

صوته أحد إلا لعنه، ولا يبقى شيء إلا سمع صوته إلا الثقلين الجن

والإنس.

ومن طريق جويبر، عن الضحاك، قال: الكافر إذا وضع في قبره ضرب

ضربة بمطراق، فيصيح صيحة، فيسمع صوته كل شيء إلا الثقلين الجن

والإنس، فلا يسمع صيحته شيء إلا لعنه.

وروى اللالكائي بإسناده، عن محمد بن المنكدر، قال: بلغني أن الله عز

وجل يسلط على الكافر في قبره دابة عمياء في يدها سوط من حديد، رأسها

مثل غرب البعير فتضربه بها إلى يوم القيامة، لا تراه ولا تسمع صوته

فترحمه.

ومنها: تسليط الحيات والعقارب عليه؛ وقد سبق ذلك من حديث أبي

هريرة.

وروى ابن وهب، حدثني عمرو بن الحارث، أن أبا السمح، حدثه عن

ابن حجيرة، عن أبي هريرة، عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه قال: "أتدرون فيما أنزلت هذه الآية: (فإن له معيشة ضنكا) ؟

تدرون ما المعيشة الضنك؟ "

قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: "عذاب الكافر في قبره، والذي نفسي بيده إنه ليسلط عليه تسعة وتسعون تنينا، أتدرون ما **التنين؟**

قال: تسعة وتسعون حية، لكل حية سبعة رؤوس،." (٢)

---

(١) تفسير ابن كثير ط العلمية ابن كثير ٥/٢٨٤

(٢) تفسير ابن رجب الحنبلي ابن رجب الحنبلي ٢/٣٦٥

"ط الله ط ربنا ط علما ط توكلنا وللعدول الفاتحين ه لخاسرون ه جاثمين ه ج إن وصل وقف على كأن لم يغنوا فيها على جعل الذين بدلا من الضمير في فأصبحوا وكأن لم يغنوا حال لمعنى الفعل في الجاثمين. وإن جعل الذين مبتدأ خبره كأن لم يغنوا وقف على جاثمين وعلى فيها ومن لم يقف على فيها وجعل الذين بدلا من الذين الأول وقف على شعيبا ويستأنف ب كانوا ولا يخلو من تعسف. الخاسرين ه ونصحت لكم ط لأن فكيف للتعجب فيصلح للابتداء مع أن فيه فاء التعقيب. كافرين ه والله أعلم.

التفسير:

القصة السادسة قصة شعيب ومدين اسم البلد. وقيل: اسم القبيلة لأنه شعيب بن توبب بن مدين بن إبراهيم خليل الرحمن وكان يقال له خطيب الأنبياء لحسن مراجعته قومه، وذلك أنه أمرهم بأشياء: الأول: عبادة الله، أمرهم بها ونهاهم عن عبادة غير الله وهذا أصل معتبر في شرائع جميع الأنبياء. الثاني: تصديق ما ادعاه من النبوة وأشار إليه بقوله قد جاءتكم بينة أي معجزة دالة على نبوتي. ففي الآية دلالة مجملة على أن لشعيب معجزة ظاهرة كما ينبغي لكل مدعي نبوة وإلا كان متنبئا، غير أن معجزته لم تذكر في القرآن كما لم يذكر أكثر معجزات نبينا صلى الله عليه وآله فيه. يحكى أنه دفع إلى موسى عصاه وتلك العصا ربت **التنين** وأيضا قال لموسى: إن هذه الأغنام تلد أولادا عنقها أسود وسائرها أبيض وقد وهبتها منك وكان الأمر كما أخبر. وكل ذلك قبل أن يستنبأ موسى. فقال أهل السنة: إن هذه الأمور علامات نبوة موسى ويسمى إرهاصا. وقالت المعتزلة: إنها معجزات شعيب بناء على أن الإرهاص عندهم غير جائز. الثالث قوله فأوفوا الكيل الآية. واعلم أن للأنبياء عليهم السلام أن يبدأوا في الموعظة بما يكون قومهم مقبلين عليه. وكان قوم شعيب مشغوفين بالبخس والتطفيف فكأنه يقول:

البخس عبارة عن الخيانة بالشيء القليل وهو أمر مستقبح في العقول ومع ذلك فقد جاءت البينة والشريعة الموجبة لتحريمه فلم يبق لكم فيه عذر فأوفوا الكيل والميزان. قال في الكشاف: لم يقل المكيال والميزان كما في سورة هود لأنه أراد بالكيل آلة الكيل وهو المكيال، أو سمى ما يكال به بالكيل كما قيل العيش لما يعاش به، أو أريد فأوفوا الكيل ووزن الميزان، أو الميزان مصدر كالميعاد والميلاد. الرابع ولا تبخسوا الناس أشياءهم يقال: بخسته حقه إذا نقصته إياه ومنه قيل للمكس البخس. وفي المثل تحسبها حمقاء وهي باخس. قال ثعلب: وإن شئت قلت باخسة وذلك بتأويل الإنسان أو النسمة يضرب لمن لا يعبأ به وفيه دهاء وجربزة. خص أولا ثم عمم ليشمل جميع أنواع الظلم كالغصب." (١)

"وعلى أن إلحاق الزيادة بالثمن والمثمن جائز، وعلى أن عقد النكاح لا يفسده الشروط التي لا يوجبها العقد. ويمكن أن يقال: إنه شرع من قبلنا فلا يلزمنا. وجوز في الكشاف أن يكون استأجره لرعية ثماني سنين بمبلغ معلوم ووفاه إياه ثم أنكحه ابنته. وجعل قوله على أن تأجرني عبارة عما جرى بينهما قال موسى ذلك الذي شارطتني عليه قائم بيني وبينك أيما الأجلين قضيت و «ما» مؤكدة لإبهام أي زائدة في شيوعها فلا عدوان علي أي لا يعتدي علي في طلب الزيادة فإن قضيت

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان النيسابوري، نظام الدين القمي ٣/٢٨٤

الثماني فلا أطالب بالزيادة وإن قضيت العشر باختياري فلم أطالب بالزيادة أيضا. وقيل: أراد أيهما قضيت فلا أكون متعديا.

روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه تزوج كبراهما

وقيل صغراهما ولا خلاف في أنه قضى أوفى الأجلين.

قال القاضي في قوله فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله آنس دليل على أنه لم يزد على العشرة وفيه نظر لأنه لا يفهم من هذا التركيب إلا أن الإيناس حاصل على عقيب مجموع الأمرين، ولا يدل على أن ذلك حصل عقيب أحدهما وهو قضاء الأجل ويؤيده ما روي عن مجاهد أنه بعد العشر المشروط مكث عشر سنين أخر. قال أهل اللغة: الجذوة بحركات الجم العود الغليظ كانت في رأسه نار أو لم تكن، وشاطيء الوادي جانبه، و «من» الأولى والثانية كلتاهما لابتداء الغاية أي أتاه النداء من شاطيء الوادي من قبل الشجرة، فالثانية بدل من الأولى بدل الاشتمال لأن الشجرة كانت نابتة على الشاطئ، ووصفت البقعة بالمباركة لأن فيها ابتداء الرسالة والتكليم. احتجت المعتزلة على مذهبهم أن الله تعالى يتكلم بكلام يخلقه في جسم بقوله من الشجرة وقال أهل السنة: مما وراء النهر إن الكلام القديم القائم بذات الله غير مسموع والمسموع من الشجرة وهو الصوت والحرف دال على كلام الله. وذهب الأشعري إلى أن الكلام الذي ليس بحرف ولا صوت يمكن أن يكون مسموعا كما أن الذات التي ليست بجسم ولا عرض يمكن أن تكون مرئية.

روي أن شعيبا كانت عنده عصي الأنبياء فقال لموسى بالليل: ادخل البيت فخذ عصا من تلك العصي فأخذ عصا هبط بها آدم من الجنة ولم تزل الأنبياء يتوارثونها حتى وقعت إلى شعيب فمسها وكان مكفوفا فشعر بها فقال: غيرها، فما وقع في يده إلا هي سبع مرات فعلم أن له شأنا.

وعن الكلبي: الشجرة التي منها نودي شجرة العوسج ومنها كانت عصاه، ولما أصبح قال له شعيب: إذا بلغت مفرق الطريق فلا تأخذ على يمينك وإن كان الكلأ هناك أكثر لأن فيها تنينا أخشاه عليك وعلى الغنم. فأخذت الغنم ذات اليمين ولم يقدر على منعها فمشى على أثرها فإذا عشب وريف لم ير مثله فنام فإذا **بالتنين** قد أقبل فحاربته العصا حتى قتلته وعادت إلى موسى دامية فارتاح لذلك. وحين رجع إلى شعيب مس الغنم فوجدها ملأى البطون غزيرة." (١)

"والله أعلم بصحته.

ويأجوج ومأجوج: قبيلان من بني آدم، لكنهم ينقسمون أنواعا كثيرة، اختلف الناس في عددها، واختلف في إفسادهم الذي وصفوهم به، فقيل: أكل بني آدم، وقالت فرقة: إفسادهم: هو الظلم والغشم وسائر وجوه الإفساد المعلوم من البشر، وهذا أظهر الأقوال، وقولهم: فهل نجعل لك خرجا: استفهام على جهة حسن الأدب، «والخرج» :

المجبى، وهو الخراج، وقرأ عاصم وحمزة والكسائي: «١» «خراجا» ، وروي في أمر يأجوج ومأجوج أن أرزاقهم هي من **التنين** يمطرون به، ونحو هذا مما لم يصح، وروي أيضا أن الذكر منهم لا يموت حتى يولد له ألف والأنثى كذلك، وروي أنهم يتسافدون في الطرق كالبهائم، وأخبارهم تضيق بها الصحف، فاختصرت ذلك لعدم صحته.

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان النيسابوري، نظام الدين القمي ٥/٣٤٠

ت: والذي يصح من ذلك كثرة عددهم على الجملة، على ما هو معلوم من حديث: «أخرج بعث النار» وغيره من الأحاديث.

وقوله: ما مكني/ فيه ربي خير المعنى: قال لهم ذو القرنين: ما بسطه الله لي من القدرة والملك خير من خراجكم، ولكن أعينوني بقوة الأبدان، وهذا من تأييد الله تعالى له، فإنه تهدى في هذه المحاورة إلى الأنفع الأنزه، فإن القوم لو جمعوا له الخراج الذي هو المال، لم يعنه منهم أحد، ولوكلوه إلى البنيان، ومعونتهم بالقوة أجمل به.

[سورة الكهف (١٨) : الآيات ٩٦ الى ٩٩]

آتوني زبر الحديد حتى إذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا حتى إذا جعله نارا قال آتوني أفرغ عليه قطرا (٩٦) فما اسطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبا (٩٧) قال هذا رحمة من ربي فإذا جاء وعد ربي جعله دكاء وكان وعد ربي حقا (٩٨) وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض ونفخ في الصور فجمعناهم جمعا (٩٩)

وقوله: آتوني زبر الحديد ... الآية: قرأ حمزة «٢» وغيره: «ائتوني» بمعنى «جيئوني» ، وقرأ نافع وغيره: «آتوني» بمعنى «أعطوني» ، وهذا كله إنما هو استدعاء

---

(١) الثابت أن الأخوين حسب من السبعة قرآ هذا الحرف هكذا، وإنما تابع المصنف ابن عطية في ذكره عاصما.

ينظر: «المحرر الوجيز» (٣/ ٥٤٢) ، و «السبعة» (٤٠٠) ، و «الحجة» (٥/ ١٧٤) ، و «إعراب القراءات» (١/ ٤١٩) ، و «معاني القراءات» (٢/ ١٢٤) ، و «شرح الطيبة» (٥/ ٢٢) ، و «العنوان» (١٢٤) ، و «حجة القراءات» (٤٣٣) ، و «شرح شعلة» (٤٨٠) ، و «إتحاف» (٢/ ٢٢٥- ٢٢٦) . [.....]

(٢) والمقصود أن حمزة قرأ: «ائتوني» الثانية من الآية هكذا، وإلا فإن الأولى قرأها أبو بكر، عن عاصم «ائتوني» ، دون حمزة، فلم يقرأها هكذا.." (١)

"تجري المياه لتسقي حيوان البر، وتروي عطاش الوحوش، يقع عليها طائر السماء إلى أن قال: وكل بحكمة صنعت، امتلأت الأرض من خليقتك، هذا البحر العظيم السعة فيه حيتان لا تحصى كبار وصغار، وفيه تسلك السفن، وهذا **التنين** الذي خلقته ليتعجب منه، والكل إياك يرجون لتعطيهم طعامهم في حينه، فإذا أنت أعطيتهم يعيشون، وعند بسط يدك بالطيبات يشبعون، وحين تصرف وجهك يجزعون، تنزع أرواحهم فيموتون، وإلى التراب يرجعون، ترسل روحك فيخلقون، وتجدد وجه الأرض دفعة أخرى، ويكون مجد الرب إلى الأبد - انتهى.

فكأن ذلك جواب لقول من لعله يقول للعرب من اليهود: إن الأمر كما تقولون في أنه لاقيامة - كما يقوله بعض زنادقتهم

---

(١) تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن الثعالبي، أبو زيد ٥٤٢/٣

كما ذكر عنهم في نص الإنجيل وكما نقل عنهم في سورة النساء أنهم قالوا: أنتم أهدى سبيلا، ودينكم خير من دين محمد، وفي الزبور – كما تقدم في أول السورة عن توراة موسى عليه الصلاة والسلام –." (١)

"نتوقعهم وننظر أن يطلع علينا أوائلهم من هذين الجبلين

فهل نجعل لك خرجا على أن تجعل بيننا وبينهم سدا قال: ما مكني فيه ربي خير فأعينوني بقوة أجعل بينكم وبينهم ردما اغدو إلى الصخور والحديد والنحاس حتى أرتاد بلادهم وأعلم علمهم وأقيس ما بين جبليهم

ثم انطلق يؤمهم حتى دفع إليهم وتوسط بلادهم فإذا هم على مقدار واحد

أنثاهم وذكرهم مبلغ طول الواحد منهم مثل نصف الرجل المربوع منا لهم مخاليب في مواضع الأظفار من أيدينا ولهم أنياب وأضراس كأضراس السباع وأنيابها وأحناك كأحناك الإبل قوة يسمع له حركة إذا أكل كحركة الجرة من الإبل أو كقضم الفحل المسن أو الفرس القوي وهم صلب عليهم من الشعر في أجسادهم ما يواريهم وما يتقون به من الحر والبرد إذا أصابهم ولكل واحد منهم أذنان عظيمتان إحداهما وبرة ظهرها وبطنها والأخرى زغبة ظهرها وبطنها

تسعانه إذا لبسهما يلبس إحداهما ويفترش الأخرى ويصيف في إحداهما ويشتو في الأخرى وليس منهم ذكر ولا أنثى إلا وقد عرف أجله الذي يموت فيه ومنقطع عمره وذلك أنه لا يموت ميت من ذكورهم حتى يخرج من صلبه ألف ولد ولا تموت الأنثى حتى يخرج من رحمها ألف ولد فإذا كان ذلك أيقن بالموت وتهيأ له

وهم يرزقون **التنين** في زمان الربيع ويستمطرونه إذا تحينوه كما يستمطر الغيث لحينه فيقذفون منه كل سنة بواحد فيأكلونه عامهم كله إلى مثلها من قابل فيعينهم على كثرتهم وما هم فيه فإذا أمطروا أخصبوا وعاشوا وسهئوا ورؤي أثره عليهم فدرت عليهم الإناث وشبقت منهم الذكور وإذا أخطأهم هزلوا وأحدثوا وجفلت منهم الذكور وأحالت الإناث وتبين أثر ذلك عليهم وهم يتداعون تداعي الحمام ويعوون عوي الذئاب ويتسافدون حيثما التقوا تسافد البهائم

ثم لما عاين ذلك منهم ذو القرنين انصرف إلى ما بين الصدفين فقاس ما بينهما – وهي في منقطع أرض الترك مما يلي الشمس – فوجد بعد ما بينهما مائة فرسخ فلما أنشأ في عمله حفر له أساسا حتى بلغ الماء ثم جعل عرضه خمسين فرسخا وجعل حشوه الصخور وطينه النحاس يذاب ثم يصب عليه فصار كأنه عرق من جبل تحت الأرض ثم علا وشرفه بزبر الحديد والنحاس المذاب وجعل خلاله عرقا من نحاس أصفر فصار كأنه محبر من صفرة النحاس وحمرته وسواد." (٢)

"وأخرج ابن أبي شيبة والبزار وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والحاكم من وجه آخر عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله: ﴿فإن له معيشة ضنكا﴾ قال: عذاب القبر

وأخرج ابن أبي الدنيا في ذكر الموت والحكيم الترمذي وأبو يعلى وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن حبان وابن مردويه

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور برهان الدين البقاعي ٤٤٨/١١

(٢) الدر المنثور في التفسير بالمأثور السيوطي ٤٤٢/٥

عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: المؤمن في قبره في روضة خضراءويرحب له قبره سبعين ذراعاويضيءحتى يكون كالقمر ليلة البدر

هل تدرون فيما أنزلت ﴿فإن له معيشة ضنكا﴾ قالوا: الله ورسوله أعلم
قال: عذاب الكافر في قبره يسلط عليه تسعة وتسعون تنينا

هل تدرون ما التنين تسعة وتسعون حية لكل حية سبعة رؤوس يخدشونه ويلسعونه وينفخون في جمسه إلى يوم يبعثون
وأخرج ابن أبي حاتم والطبراني والبيهقي في كتاب عذاب القبر عن ابن مسعود قال: إذا حدثتكم بحديث أنبأتكم بتصديق ذلك من كتاب الله إن المؤمن إذا وضع في قبره أجلس فيه فيقال له: من ربك وما دينك ومن نبيك فيثبته الله فيقول: ربي الله وديني الإسلام ونبيي محمد صلى الله عليه وسلم
فيوسع له في قبره ويروح له فيه
ثم قرأ عبد الله ﴿يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة﴾ فإذا مات الكافر أجلس في قبره فيقال له: من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول: لا أدري
قال: فيضيق عليه قبره ويعذب فيه
ثم قرأ: ﴿ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا﴾
وأخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله: ﴿معيشة ضنكا﴾ قال: الشقاء
وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله: ﴿معيشة ضنكا﴾ قال: شدة عليه في النار
وأخرج الطستي عن ابن عباس أن نافع بن الأزرق قال له: أخبرني عن قوله: ﴿معيشة ضنكا﴾ قال: الضنك الشديد من كل وجه
قال: وهل تعرف العرب ذلك
قال: نعم أما سمعت الشاعر وهو يقول: والخيل قد لحق بنا في مارق ضنك نواحيه شديد المقدم." (١)

"لا بد لمدعي النبوة من معجزة تشهد له وتصدقه وإلا لم تصح دعواه وكان متنبئا لا نبيا غير أن معجزته لم تذكر في القرآن كما لم تذكر أكثر معجزات نبينا صلى الله عليه وسلم فيه ومن معجزات شعيب عليه السلام الواردة في غير القرآن ما روي من محاربة عصا موسى التنين حين دفع إليه الغنم وولادة الغنم الدرع حين وعده أن يكون له الدرع من أولادها والدرع بوزن الصرد وهي الغنم التي أوائلها سواد وأواخرها بياض ووقوع عصا آدم عليه السلام على يده في المرات السبع وغير ذلك من الآيات لأن هذه كلها كانت قبل أن يستنبأ موسى عليه السلام فكانت معجزة لشعيب وهذا أولى من جعله كرامة لموسى أو إرهاصا وهو علامة تظهر قبل النبوة وقيل: أراد بالبينة الموعظة وهي قوله تعالى: ﴿فأوفو الكيل والميزان﴾

---

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور السيوطي ٦٠٨/٥

أي: أتموهما ﴿ولا تبخسوا﴾ أي: تنقصوا ﴿الناس أشياءهم﴾ فتطففوا الكيل والوزن يقال: بخس فلان الكيل والوزن إذا نقصه وطففه.

فإن قيل: هلا قال المكيال والميزان كما في سورة هود؟ أجيب: بأنه أراد بالكيل آلة الكيل وهو المكيال أو سمى ما يكال به بالكيل، أو أريد وأوفوا كيل المكيال ووزن الميزان وإنما قال ﴿أشياءهم﴾ لأنهم كانوا يبخسون الناس كل شيء في مبايعاتهم أو كانوا مكاسين لا يدعون شيئا إلا مكسوه كما يفعل أمراء الجور ﴿ولا تفسدوا في الأرض﴾ أي: بالكفر والمعاصي ﴿بعدإصلاحها﴾ أي: بعدما أصلح أمرها وأهلها الأنبياء وأتباعهم بالشرائع ﴿ذلكم﴾ أي: الذي ذكرت لكم وأمرتكم به من الإيمان ووفاء الكيل والميزان وترك المظالم والبخس ﴿خير لكم﴾ أي: مما أنتم عليه من الكفر وظلم الناس ﴿إن كنتم مؤمنين﴾ أي: مصدقين بما أقول لكم ومعنى ﴿خير لكم﴾ أي: في الإنسانية وحسن ما يتحدث به وجمع المال لأن الناس ترغب في متاجرتكم إذا عرفوا منكم الأمانة والتسوية.

﴿ولا تقعدوا بكل صراط﴾ أي: طريق من طرف الدين ﴿توعدون﴾ أي: تمنعون الناس من الدخول فيه وتهددونهم على ذلك وذلك أنهم كانوا يجلسون على الطرقات فيخبرون من أتى عليهم أن شعيبا الذي تريدونه كذاب فلا يفتنكم عن دينكم وقيل: كانوا يقطعون الطريق على الناس أو يقعدون لأخذ المكس منهم وقوله تعالى: ﴿وتصدون﴾ أي: تصرفون الناس ﴿عن سبيل الله﴾ أي: دينه ﴿من آمن به﴾ دليل على أن المراد بالطريق سبيل الحق.

فإن قيل: صراط الحق واحد قال تعالى: ﴿وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله﴾ (الأنعام، ١٥٣)

فكيف قيل: بكل صراط؟ أجيب: بأن صراط الحق وإن كان واحدا لكنه يتشعب إلى معارف وحدود وأحكام كثيرة مختلفة وكانوا إذا رأوا أحد يشرع في شيء منها أوعدوه وصدوه ﴿وتبغونها﴾ أي: تطلبون الطريق ﴿عوجا﴾ أي: تصفونها للناس بأنها سبيل معوجة عن الحق غير مستقيمة لتصدوهم عن سلوكها والدخول فيها أو يكون ذلك تهكما بهم وإنهم يطلبون لها ما هو محال فإن طريق الحق لا يعوج ﴿واذكروا﴾ نعمة الله عليكم وآمنوا به ﴿إذ كنتم قليلا فكثركم﴾ أي: كثر عددكم بعد القلة أو كثركم بالغنى بعد الفقر وكثركم بالقدرة بعد الضعف قيل: إن مدين بن إبراهيم تزوج بنت لوط عليهما السلام فولدت فرمى الله تعالى في نسلهما بالبركة والنماء فكثروا ونموا ﴿وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين﴾ قبلكم بتكذيبهم." (١)

"من ظلم بعضهم لبعض، وعلى الثاني آدم وذريته، وإبليس وذريته، وقوله تعالى: ﴿فإما﴾ فيه إدغام نون أن الشرطية في ما المزيدة ﴿يأتينكم مني هدى﴾ أي: كتاب ورسول ﴿فمن اتبع هداي﴾ الذي أسعفته به من أوامر الكتاب والرسول ﴿فلا يضل﴾ أي: بعد ذلك عن طريق السداد في الدنيا ﴿ولا يشقى﴾ في الآخرة؛ قال ابن عباس: من قرأ القرآن، واتبع ما فيه هداه الله تعالى من الضلالة، ووقاه الله تعالى يوم القيامة سوء الحساب، وذلك أن الله تعالى يقول: فمن اتبع هداي، فلا يضل ولا يشقى، ولما وعد تعالى من اتبع الهدى أتبعه بوعيد من أعرض فقال تعالى:

---

(١) السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير الخطيب الشربيني ٤٩٣/١

﴿ومن أعرض عن ذكري﴾ أي: عن القرآن، فلم يؤمن به ولم يتبعه ﴿فإن له معيشة ضنكا﴾ والضنك أصله الضيق والشدة، وهو مصدر، فكأنه قال: له معيشة ذات ضنك، واختلف في ذلك، فقال أبو هريرة وأبو سعيد الخدري وابن مسعود: المراد بالمعيشة الضنك عذاب القبر، وروى أبو هريرة أن عذاب القبر للكافر، قال: قال صلى الله عليه وسلم «والذي نفسي بيده ليسلط عليه في قبره تسعة وتسعون تنينا هل تدرون ما **التنين؟** تسعة وتسعون حية لكل حية تسعة رؤوس يخدشونه ويلسعونه، وينفخون في جسمه إلى يوم يبعثون» ، وقال الحسن وقتادة والكلبي: هو الضيق في الآخرة في جهنم، فإن طعامهم الضريع والزقوم، وشرابهم الحميم والغسلين، فلا يموتون فيها ولا يحيون، وقال ابن عباس: المعيشة الضنك هي أن يضيق عليه أبواب الخير فلا يهتدي لشيء منها، وعن عطاء: المعيشة الضنك هي معيشة الكافر؛ لأنه غير موقن بالثواب والعقاب، وروي عن علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «عقوبة المعصية ثلاثة؛ ضيق المعيشة والعسر في الشدة، وأن لا يتوصل إلى قوته إلا بمعصية الله» ، وذلك أن مع الدين التسليم والقناعة والتوكل على الله تعالى، وعلى قسمته، فهو ينفق ما رزقه الله تعالى بسماح وسهولة، فيعيش عيشا رفيعا كما قال الله تعالى: ﴿فلنحيينه حياة طيبة﴾ (النحل، ٩٧) ، والمعرض عن الدين مستول عليه الحرص الذي لا يزال يطمح به إلى الازدياد من الدنيا مسلط عليه الشح الذي يقبض يده عن الانفاق فعيشه ضنك، وحاله مظلمة، قال صلى الله عليه وسلم «لو كان لابن آدم واد من ذهب لابتغى إليه ثانيا، ولو كان له واديان لابتغى لهما ثالثا، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب، ويتوب الله على من تاب» متفق عليه. قال بعض الصوفية: لا يعرض أحد عن ذكر ربه إلا أظلم عليه وقته، وتشوش عليه رزقه، وقال تعالى: ﴿استغفروا ربكم إنه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا﴾ (نوح: ١٠، ١١)

الآية، وقال تعالى: ﴿وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا﴾ (الجن، ١٦)

. ثم ذكر حال المعرض في الآخرة بقوله تعالى: ﴿ونحشره يوم القيامة أعمى﴾ قال ابن عباس: إذا خرج من القبر خرج بصيرا، فإذا سيق إلى المحشر عمي، ولعله جمع بذلك بين هذا وبين قوله تعالى: ﴿أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا﴾ (مريم، ٣٨) ، وقال عكرمة: عمي عليه كل شيء إلا جهنم، وفي لفظ قال: لا يبصر إلا النار، وعن مجاهد المراد بالعمى عدم الحجة، ويؤيد الأول قوله تعالى:

﴿قال رب لم حشرتني أعمى﴾ في هذا اليوم؟ ﴿وقد كنت بصيرا﴾ أي: في الدنيا، أو في أول هذا اليوم، فكأنه قيل: بما أجيب؟ فقيل:

﴿قال﴾ له ربه ﴿كذلك﴾ أي: مثل ذلك فعلت، ثم فسره، فقال: ﴿أتتك آياتنا﴾ واضحة نيرة ﴿فنسيتها﴾ فعميت." (١)

"لم ير مثله فنام فإذا **بالتنين** قد أقبل فحاربته العصا حتى قتلته وعادت إلى جنب موسى دامية فلما أبصرها دامية **والتنين** مقتولا ارتاح لذلك، ولما رجع إلى شعيب مس الغنم فوجدها ملأى البطون غزيرة اللبن فأخبره موسى ففرح وعلم أن لموسى والعصا شأنا.

﴿فلما قضى موسى الأجل﴾ أي: أتمه وفرغ منه وزوجه ابنته، قال مجاهد مكث بعد ذلك عند صهره عشرا أخرى فأقام

---

(١) السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير الخطيب الشربيني ٤٩٠/٢

عنده عشرين سنة، ثم إن شعيبا عليه السلام أراد أن يجازي موسى على رعيته إكراما له وصلة لابنته فقال له إني وهبت لك من الجداء التي تضعها أغنامي هذه السنة كل أبلق وبلقاء فأوحى الله تعالى إلى موسى في المنام أن اضرب بعصاك الماء الذي في مستقى الأغنام قال فضرب موسى بعصاه الماء ثم سقى الأغنام منه فما أخطأت واحدة منها إلا وضعت حملها ما بين أبلق وبلقاء فعلم شعيب أن ذلك رزق ساقه الله عز وجل إلى موسى وامرأته فوفى له بشرطه وسلم الأغنام إليه، ثم إن موسى استأذنه في العود إلى مصر فأذن له فخرج ﴿وسار بأهله﴾ أي: امرأته راجعا إلى أقاربه بمصر ﴿آنس﴾ أي: أبصر من بعيد ﴿من جانب الطور﴾ اسم جبل ﴿نارا﴾ آنسته رؤيتها وكان في البرية في ليلة مظلمة شديدة البرد وأخذ امرأته الطلق حينئذ ﴿قال لأهله امكثوا﴾ أي: ههنا، وقرأ حمزة في الوصل بضم الهاء قبل همزة الوصل، وعبر موسى عليه السلام بضمير الذكور فلعل كان معه بنون فغلبهم على امرأته، وقد ذكرت غير ذلك في السورة التي قبل هذه، ثم علل ذلك بقوله مؤكدا لاستبعاد أن يكون في ذلك المكان القفر وفي ذلك الوقت الشديد البرد نارا ﴿إني آنست نارا﴾ فتح الياء نافع وابن كثير وأبو عمرو، وسكنها الباقون، كأنه قيل فماذا تعلم بها فقال معبرا بالترجي لأنه أليق بالتواضع ﴿لعلى آتيكم منها﴾ أي: من عندها ﴿بخبر﴾ أي: عن الطريق لأنه كان قد أخطأها ﴿أوجذوة﴾ أي: قطعة وشعلة ﴿من النار﴾ وقال قتادة ومقاتل: هو العود الذي احترق بعضه تنبيه: من النار صفة لجذوة ولا يجوز تعلقها بآتيكم كما تعلق به منها لأن هذه النار هي النار المذكورة، والعرب إذا قدمت نكرة وأرادت إعادتها أعادتها مضمرة أو معرفة بأل العهدية وقد جمع الأمرين هنا، وقرأ عاصم بفتح الجيم وحمزة بضمها، والباقون بالكسر وكلها لغات وجمعها جذى، ثم

استأنف قوله ﴿لعلكم تصطلون﴾ أي: لتكونوا على رجاء من أن تقربوا من النار فتعطفوا عليها للتدفؤ، وهذا دليل على أن الوقت كان شتاء.

﴿فلما أتاها﴾ أي: النار، وبنى ﴿نودي﴾ للمفعول لأن آخر الكلام يدل دلالة واضحة على أن المنادي هو الله تعالى ولما كان نداؤه تعالى لا يشبه نداء غيره بل يكون من جميع الجوانب ومع ذلك قد يكون لبعض المواضع مزيد شرف بوصف من الأوصاف إما بأن يكون أول السماع منه أو غيره ذلك أو يكون باعتبار موسى عليه السلام قال ﴿من شاطئ الواد﴾ فمن: لابتداء الغاية، وقوله تعالى ﴿الأيمن﴾ صفة للشاطئ أو للوادي، والأيمن من اليمن وهو البركة أو من اليمين المعادل لليسار من العضوين ومعناه على هذا بالنسبة إلى موسى أي: الذي يلي يمينك دون يسارك، والشاطئ ضفة الوادي والنهر أي: حافته وطرفه وكذا الشط والسيف والساحل كلها بمعنى، وجمع الشاطئ أشطأ قاله الراغب وشاطأ فلانا ماشيته سار بها على الشاطئ،." (١)

"الأعراف آية ٨٦

على سؤال نشأ عن حكاية إرساله إليهم كأنه قيل فماذا قال لهم فقيل قال ﴿يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره﴾ مر تفسيره مرارا ﴿قد جاءتكم بينة﴾ أي معجزة وقوله تعالى ﴿من ربكم﴾ متعلق بجاءتكم أو بمحذوف هو صلة لفاعله مؤكدة

---

(١) السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير الخطيب الشربيني ٩٦/٣

لفخامته الذاتية المستفادة من تنكيره بفخامته الإضافية أي بينة عظيمة ظاهرة كائنة من ربكم ومالك أموركم ولم يذكر معجزته عليه السلام في القرآن العظيم كما لم يذكر أكثر معجزات النبي صلى الله عليه وسلم فمنها ما روي من محاربة عصا موسى عليه السلام **التنين** حين دفع إليه غنمه ومنها ولادة الغنم الدرع خاصة حين وعد أن يكون له الدرع من أولادها ومنها وقوع عصا آدم عليه السلام على يده في المرات السبع لأن كل ذلك كان قبل أن يستنبأ موسى عليه السلام وقيل البينة مجيئه عليه السلام كما في قوله تعالى يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربى أي حجة واضحة وبرهان نير عبر بهما عما آتاه الله من النبوة والحكمة ﴿فأوفوا الكيل﴾ أي المكيال كما وقع في سورة هود يؤيده قوله تعالى ﴿والميزان﴾ قلإن المتبادر منه الآلة وإن جاز كونه مصدرا كالميعاد وقيل آلة الكيل والوزن على الإضمار والفاء لترتيب الأمر على مجيء البينة ويجوز أن تكون عاطفة على اعبدوا فإن عبادة الله تعالى موجبة للاحتناب عن المناهي التي معظمها بعد الكفر البخس الذي كانوا يباشرونه ﴿ولا تبخسوا الناس أشياءهم﴾ التي تشترونها بهما معتمدين على تمامهما أي شيء كان وأي مقدار كان فإنهم كانوا يبخسون الجليل والحقير والقليل والكثير وقيل كانوا مكاسين لا يدعون شيئا إلا مكسوه قال زهير ... أفي كل أسواق العراق إتاوة وفي كا ما باع امرؤ مكس درهم ﴿ولا تفسدوا فى الارض﴾ أي بالكفر والحيف ﴿بعد إصلاحها﴾ بعدما أصلح أمرها وأهلها الأنبياء وأتباعهم بإجراء الشرائع أو أصلحوا فيها وإضافته إليها كإضافة مكر الليل والنهار ﴿ذلكم خير لكم﴾ إشارة إلى العمل بما أمرهم به ونهاهم عنه ومعنى الخيرية إما الزيادة مطلقا أو في الإنسانية وحسن الأحدوثة وما يطلبونه من التكسب والربح لأن الناس إذا عرفوهم بالأمانة رغبوا في معاملتهم ومتاجرتهم ﴿إن كنتم مؤمنين﴾ أي مصدقين لي في قولي هذا." (١)

"القصص ٢٩ أي كما لا أطالب بالزيادة على العشر لا أطالب بالزيادة على الثمان أو أيما الأجلين قضيت فلا إثم علي يعني كما لا إثم علي في قضاء الأكثر لا إثم علي في قضاء الأقصر فقط وقرىء أي الأجلين ما قضيت فما مزيدة لتأكيد القضاء كما أنها في القراءة الأولى مزيدة لتأكيد إبهام أي وشياعها وقرىء أيما بسكون الياء كقول من قال تنظرت نصرا والسماكين أيهما علي من الغيث استهلت مواطره والله على ما نقول من الشروط الجارية بيننا ﴿وكيل﴾ شاهد وحفظ فلا سبيل لأحد منا إلى الخروج عنه أصلا وليس ما حكي عنهما عليهما الصلاة والسلام تمام ما جرى بينهما من الكلام في إنشاء عقد النكاح وعقد الإجارة وإيقاعهما بل هو بيان لما عز ما عليه واتفقا على ايفاعه حسبما يتوقف عليه مساق القصة إجمالا من غير تعرض لبيان مواجب العقدين في تلك الشريعة تفصيلا روي أنهما لما أتما العقد قال شعيب لموسى عليهما السلام ادخل ذلك البيت فخذ عصا من تلك العصي وكانت عنده عصي الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فأخذ عصا هبط بها آدم عليه الصلاة والسلام من الجنة ولم يزل الأنبياء يتوارثونها حتى وقعت إلى شعيب عليه السلام فمسها وكان مكفوفا فضن بها فقال خذ غيرها فما وقع في يده إلا هي سبع مرات فعلم أن له شأنا وقيل أخذها جبريل عليه السلام بعد موت آدم عليه السلام فكانت معه حتى لقي بها موسى عليه السلام ليلا وقيل أودعها شعيبا ملك في صورة رجل فأمر بنته أن تأتيه بعصا فأتته بها فردها سبع مرات فلم يقع في يدها غيرها فدفعها إليه ثم ندم لأنها وديعة فتبعه فاختصما فيها

(١) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود ٢٤٧/٣

ورضيا ان يحكم بينهما أول طالع فأتاهما الملك فقال ألقياها فمن رفعها فهي له فعالجها الشيخ فلم يطقها ورفعها موسى عليه السلام وعن الحسن رضي الله تعالى عنه ما كانت إلا عصا من الشجر اعترضها اعتراضا وعن الكلبي رحمة الله الشجرة التي منها نودي شجرة العوسج ومنها كانت عصاه ولما أصبح قال له شعيب صلوات الله وسلامه عليهما إذا بلغت مفرق الطريق فلا تأخذ على يمينك فإن الكلأ وإن كان بها أكثر إلا أن فيها تنينا أخشاه عليك وعلى الغنم فأخذت الغنم ذات اليمين فلم يقدر على كفها ومشى على أثرها فإذا عشب وريف لم ير مثله فنام فإذا **بالتنين** قد أقبل فحاربته العصا حتى قتلته وعادت إلى جنب موسى عليه السلام دامية فلما أبصرها دامية **والتنين** مقتولا ارتاح لذلك ولما رجع إلى شعيب عليهما السلام مس الغنم فوجدها ملأى البطون غزيرة اللبن فأخبره موسى عليه السلام بالشأن ففرح وعلم أن لموسى والعصا شأنا وقال له إني وهبت لك من نتاج غنمي هذا العام كل أدرع ودرعاء فأوحي إليه في المنام أن اضرب بعصاك مستقى الغنم ففعل ثم سقى فما أخطأت واحدة إلا وضعت أدرع ودرعاء فوفى له بشرطه والفاء في قوله تعالى." (١)

"أكلوه و يأكلون الحشرات والحيات والعقارب قال فى حياة الحيوان **التنين** ضرب من الحيات كاكبر ما يكون فيها وفى فمه أنياب مثل أسنة الرماح وهو طويل كالنخلة السحوق احمر العينين مثل الدم واسع الفم والجوف براق العينين يبتلع كثيرا من الحيوان يخافه حيوان البر والبحر إذا تحرك يموج البحر لشدة قوته وأول امره يكون حية متمردة تأكل من دواب البر ما ترى فاذا كثر فسادها احتملها ملك والقاها فى البحر فتفعل بدواب البحر ما كانت تفعل بدواب البر فيعظم بدنها حتى يكون رأسها كالتل العظيم فيبعث الله تعالى ملكا يحملها ويلقيها الى يأجوج ومأجوج قال فى قصص الأنبياء إذا قذفوا بها خصبوا والا قحطوا فهل [پس آيا] نجعل لك خرجا جعلا من أموالنا اى اجرا نخرجه لك والخرج والخراج واحد كالنول والنوال او الخراج ما على الأرض والزمة والخرج المصدر او الخرج ما كان على كل راس والخراج ما كان على البلد او الخرج ما تبرعت به والخراج ما لزمك أداؤه على أن تجعل [بشرط آنكه بكنى] بيننا وبينهم سدا حاجزا يمنعهم من الخروج والوصول إلينا قال ذو القرنين ما مكني بالإدغام وقرئ بالفك اى الذي مكننى وبالفارسية [آنچه دست رس داده مرا] فيه ربي وجعلني فيه مكينا قادرا من الملك والمال وسائر الأسباب خير مما تريدون ان تبذلوه الى من الخراج فلا حاجة لى اليه ونحوه قول سليمان عليه السلام فما آتاني الله خير مما آتاكم فأعينوني بقوة بفعلة وصناع يحسنون البناء والعمل وبآلات لا بد منها فى البناء أجعل جواب الأمر بينكم وبينهم ردما حاجزا حصينا وحجابا عظيما. وبالفارسية [حجابى سخت كه بعضى از ان بر بعضى مركب باشد] وهو اكبر من السد وأوثق يقال ثوب مردم اى فيه رقاع فوق رقاع وهذا اسعاف بمرامهم فوق ما يرجونه وفى التأويلات النجمية قوله تعالى آتوني زبر الحديد تفسير للقوة فيكون المراد بها ترتيب الآلات. وزبر جمع زبرة كغرف جمع غرفة وهى القطعة الكبيرة وهذا لا ينافى رد خراجهم لان المأمور به الإيتاء بالثمن والمناولة ولان إيتاء الآلة من قبيل الاعانة بالقوة دون الخراج على العمل قال فى القصص قالوا من اين لنا من الحديد ما يسع هذا العمل فدلهم على معدن الحديد والنحاس ولعل تخصيص الأمر بالايتاء بها دون سائر الآلات من الصخور ونحوها لما ان الحاجة إليها أمس إذ هى الركن فى السد قال الكاشفى [منقولست كه فرمود تا خشتها از آهن بساختند بفارغ دلى جابجا تن زدند همه

---

(١) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود ١١/٧

روز شب خشت آهن زدند وحكم كرد تا ميان آن كوه را چهار هزار قدم بود در شصت و پنج كز عرض بكنند تا بآب رسيد] وفى القصص قاس ما بين الصدفين فوجده ثلاثة أميال وقال بعضهم حفر ما بين السدين وهو مائة فرسخ حتى بلغ الماء وجعل الأساس من الصخر والنحاس المذاب بدل الطين لها والبنيان من زبر الحديد بين كل زبرتين الحطب والفحم حتى إذا [تا چون] ساوى بين الصدفين الصدف منقطع الجبل او ناحيته وبين مفعول كبين السدين اى آتوه إياها فجعل يبنى شيأ فشيأ حتى إذا جعل ما بين ناحيتي الجبلين مساويا لهما فى السمك يعنى ملأ ما بينهما الى أعلاهما وكان ارتفاعه مائتى ذراع وعرضه خمسين ذراعا ثم وضع المنافخ حوله قال." (١)

"عن يمينك فان الكلأ وان كان بها اكثر الا ان فيها تنينا أخشى منه عليك وعلى الغنم فاخذت الغنم ذات اليمين ولم يقدر على كفها ومشى على اثرها فاذا عشب وريف لم ير مثله فنام فاذا بالتنين قد اقبل فحاربته العصا حتى قتلته وعادت الى جنب موسى دامية فلما ابصر هادامية والتنين مقتولا سر ولما رجع الى شعيب أخبره بالشأن ففرح شعيب وعلم ان لموسى والعصا شأنا وقال انى وهبت لك من نتاج غنمى هذا العام كل ادرع ودرعاء والدرع بياض فى صدور الشاء ونحورها وسواد فى الفخذ وهى درعاء كما فى القاموس. فاوحى الله اليه فى المنام ان اضرب بعصاك الماء الذي هو فى مستقى الأغنام ففعل ثم سقى فما اخطأت واحدة الا وضعت ادرع ودرعاء فعلم شعيب ان ذلك رزق ساقه الله تعالى الى موسى وامرأته فوفى له بالشرط وسلم اليه الأغنام قال ابو الليث مثل هذا الشرط فى شريعتنا غير واجب الا ان الوعد من الأنبياء واجب فوفاه بوعده انتهى: وفى المثنوى

جرعه بر خاك وفا آنكس كه ريخت ... كى تواند صيد دولت زو كريخت «١»

پس پيمبر كفت بهر اين طريق ... باوفاتر از عمل نبود رفيق «٢»

كر بود نيكو ابد يارت شود ... ور بود بد در لحد بارت شود

فلما قضى موسى الأجل الفاء فصيحة اى فعقد العقدين وباشر ما التزمه فلما أتم الاجل المشروط بينهما وفرغ منه روى انه قضى ابعد الأجلين وهى عشر سنين: يعنى [ده سال شبانى كرد پس او را آرزوى وطن خاست] فبكى شعيب وقال يا موسى كيف تخرج عنى وقد ضعفت وكبرت فقال له قد طالت غيبتى عن أمي وخالتي وهارون أخي وأختي فى مملكة فرعون فقام شعيب وبسط يديه وقال يا رب بحرمة ابراهيم الخليل وإسماعيل الصفي وإسحاق الذبيح ويعقوب الكظيم ويوسف الصديق رد قوتي وبصري فامن موسى على دعائه فرد الله عليه بصره وقوته ثم أوصاه بابنته وسار موسى بإذن شعيب نحو مصر والسير المضي فى الأرض بأهله بامرأته صفوريا وولده فانها ولدت منه قبل السير كما فى كشف الاسرار وقال الكاشفى [وببرد كسان خود را] فالباء على هذا للتعدية قال ابن عطاء لما تم له أجل المحبة ودنت ايام القربة والزلفة واظهار أنوار النبوة عليه سار باهله ليشترك معه فى لطائف الصنع قال فى كشف الاسرار [نماز پيشين فراه بود همى رفت تا شب درآمد] وكان فى البرية والليلة مظلمة باردة فضرب خيمته على الوادي وادخل اهله فيها وهطلت السماء بالمطر والثلج [وأغنام از برف وباد ودمه متفرق شده يعنى أغنام كه او را شعيب داده بود] وقد كان ساقها معه وكانت امرأته

---

(١) روح البيان إسماعيل حقي ٢٩٨/٥

حاملا فاخذها الطلق فاراد ان يقدح فلم يظهر له نار فاغتم لذلك فحينئذ آنس من جانب الطور نارا اى ابصر من الجهة التي تلى الطور نارا يقال جانب الحائط للجهة التي تلى الجنب والطور اسم جبل مخصوص والنار يقال للهب الذي يبدو للحاسة وللحرارة المجردة ولنار جهنم قال بعضهم ابصر نارا دالة على الأنوار لانه رأى النور على هيئة النار لكون مطلبه النار والإنسان يميل الى الأشياء المعهودة المأنوسة ولا تخلو النار من الاستئناس خاصة فى الشتاء وكان شتاء تجلى الحق بالنور فى لباس النار على حسب

(١) در أوائل دفتر ١٢ نجم در بيان تفسير آيه الا الذين آمنوا إلخ

(٢) در أوائل دفتر ١٢ نجم در بيان معنى حديث شريف لا بد من قرين إلخ." (١)

"ليلة النصف من شعبان وكانت ليلة جمعة بت ثملا من الخمر ولم أصل صلاة العشاء فرأيت كأن أهل القبور قد خرجوا وحشر الخلائق وانا معهم فسمعت حسا من ورائي فالتفت فاذا انا بتنين عظيم أعظم ما يكون اسود ازرق قد فتح فاه مسرعا نحوى فمررت بين يديه هاربا فزعا مرعوبا فمررت في طريق بشيخ نقيء الثياب طيب الرائحة فسلمت عليه فرد على السلام فقلت له أجرني وأغثني فقال انا ضعيف وهذا أقوى مني وما أقدر عليه ولكن مر وأسرع فلعل الله يسبب لك ما ينجيك منه فوليت هاربا على وجهي فصعدت على شرف من شرف القيامة فاشرفت على طبقات النيران فنظرت الى أهلها فكدت أهوى فيها من فزع التنين وهو في طلبي فصاح بي صائح ارجع فلست من أهلها فاطمأننت الى قوله ورجعت ورجع التنين في طلبي فأتيت الشيخ فقلت يا شيخ سألتك ان تجيرني من هذا لتنين فلم تفعل فبكى الشيخ وقال انا ضعيف ولكن سر الى هذا الجبل فان فيه ودائع للمسلمين فان كان لك فيه وديعة فستنصرك فنظرت الى جبل مستدير فيه كوى مخرقة وستور معلقة على كل خوخة وكوة مصراعان من الذهب الأحمر مفصلان باليواقيت مكللان بالدر وعلى كل مصراع ستر من الحرير فلما نظرت الى الجبل هربت اليه والتنين ورائي حتى إذا قربت منه صاح بعض الملائكة ارفعوا الستور وافتحوا المصاريع وأشرفوا فلعل لهذا البائس فيكم وديعة تجيره من عدوه وإذا الستور قد رفعت والمصاريع قد فتحت فأشرف على أطفال بوجوه كالاقمار وقرب التنين مني فتحيرت في امرى فصاح بعض الأطفال ويحكم أشرفوا كلكم فقد قرب منه فأشرفوا فوجا بعد فوج فاذا با بنتي التي ماتت قد أشرفت على معهم فلما رأتني بكت وقالت أبي والله ثم وثبت في كفة من نور كرمية السهم حتى مثلث بين يدى فمدت يدها الشمال الى يدى اليمنى فتعلقت بها ومدت يدها اليمنى قولى هاربا ثم أجلستني وقعدت في حجرى وضربت بيدها اليمنى الى لحيتي وقالت يا أبت ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله فبكيت وقلت يا بنية وأنتم تعرفون القرآن فقالت يا أبت نحن اعرف به منكم قلت فأخبريني عن التنين الذي أراد أن يهلكنى قالت ذلك عملك السوء قويته فأراد أن يغرقك في نار جهنم قلت فاخبريني عن الشيخ الذي مررت به في طريقى قالت يا أبت ذلك عملك الصالح أضعفته حتى لم يكن له طاقة بعملك السوء قلت يا بنية وما تصنعون في هذا الجبل قالت نحن أطفال المسلمين قد اسكنا فيه الى أن تقوم الساعة ننتظركم تقدمون علينا فنشفع لكم فانتبهت فزعا فلما أصبحت فارقت

(١) روح البيان إسماعيل حقي ٤٠٠/٦

ما كنت عليه وتبت الى الله تعالى وهذا سبب توبتى

سر از جيب غفلت بر آور كنون ... كه فردا نماند بخجلت نكون

كنون بايد اى خفته بيدار بود ... چومرك اندر آرد ز خوابت چه سود

ز هجران طفلى كه در خاك رفت ... چه نالى كه پاك آمد و پاك رفت

تو پاك آمدى برحذر باش و پاك ... كه ننكست ناپاك رفتن بخاك

إن المصدقين والمصدقات اى المتصدقين والمتصدقات وأقرضوا الله قرضا حسنا." (١)

"يقول الحق جل جلاله: وأرسلنا إلى مدين أخاهم شعيبا، ومدين: قبيلة من أولاد مدين بن إبراهيم، شعيب بن ميكائل بن يشجر بن مدين بن إبراهيم الخليل، على ما قيل. وقد تقدم في البقرة أن مدين ومدان من ولد إبراهيم عليه السلام، وشعيب هذا يسمى خطيب الأنبياء لحسن مراجعته قومه.

قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره، قد جاءتكم بينة من ربكم يريد المعجزة التي كانت له، وليس في القرآن بيان ما هي معجزته. وحمل الواحدي البينة على الموعظة. وقال في الكشاف: ومن معجزات شعيب: ما روي من محاربة عصا موسى **التنين**، حين دفع إليه غنمه، وولادة الغنم الدرع خاصة، حين وعده أن يكون له الدرع من أولادها، ووقوع عصا آدم في يده في المرات السبع، وغير ذلك من الآيات. هـ. وفيه نظر لأن هذ وقعت بعد مقالته لقومه، وإنما كانت إرهاصات لموسى عليه السلام، وفي حديث البخاري: «ما بعث الله نبيا إلا وآتاه ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحيا، وأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة» «١» . وهو صريح في أنه لا بد من الآية لكل رسول، ولعل الله تعالى لم يذكر معجزة شعيب وهود في القرآن مع وجودها لظاهر الحديث.

ثم قال لهم: فأوفوا الكيل والميزان، وكانوا مطففين، أي: فأوفوا المكيال الذي هو آلة الكيل، أي: كبروها بدليل قوله: والميزان الذي هو الآلة، ويحتمل أن يريد بهما المصدر، أي: الكيل والوزن.

ولا تبخسوا الناس أشياءهم أي: لا تنقصوهم حقوقهم، وإنما قال: أشياءهم، للتعميم تنبيها على أنهم كانوا يبخسون الجليل والحقير، والقليل والكثير، وقيل: كانوا مكاسين لا يدعون شيئا إلا مكسوه.

ولا تفسدوا في الأرض بالكفر والظلم، بعد إصلاحها بإقامة الشرائع وظهور العدل، ذلكم خير لكم إن كنتم مؤمنين أي: ذلك الذي أمرتكم به ونهيتكم عنه هو خير لكم من إبقائكم على ما أنتم عليه، ومعنى الخيرية: الزيادة مطلقا إذ لا خير فيما هم فيه، أو: في الإنسانية وحسن الأحدوثة وجمع المال. قاله البيضاوي.

---

(١) أخرجه بنحوه البخاري فى (فضائل القرآن، باب كيف نزل الوحى) من حديث أبى هريرة رضى الله عنه.." (٢)

---

(١) روح البيان إسماعيل حقي ٣٦٦/٩

(٢) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٢٣٨/٢

"الأجلين: العشر أو الثماني، فلا عدوان علي أي: لا يتعدى علي في طلب الزيادة عليه، قال المبرد: قد علم أنه لا عدوان عليه في إتمامهما، ولكن جمعهما ليجعل الأقل كالأتم في الوفاء، وكما أن طلب الزيادة على الأتم عدوان فكذلك طلب الزيادة على الأقل. والله على ما نقول وكيل أي: رقيب وشهيد.

واختلف العلماء في وجوب الإشهاد في النكاح على قولين، أحدهما: أنه لا ينعقد إلا بشاهدين، وبه قال أبو حنيفة والشافعي، وقال مالك: ينعقد بدون شهود لأنه عقد معاوضة، فلا يشترط فيه الإشهاد، وإنما يشترط فيه الإعلان، والإظهار بالدف والدخان ليتميز من السفاح، ويجب عند الدخول.

روي أن شعيبا كانت عنده عصي الأنبياء- عليهم السلام-، فقال لموسى بالليل: ادخل ذلك البيت فخذ عصا من تلك العصي، فأخذ عصا هبط بها آدم من الجنة، ولم يزل الأنبياء- عليهم السلام- يتوارثونها، حتى وقعت إلى شعيب، فلما أخذها، قال له شعيب: ردها وخذ غيرها، فما وقع في يده إلا هي سبع مرات. - وفي رواية السدي: أمر ابنته أن تأتيه بعصا فجاءته بها، فلما رآها الشيخ قال: آتيه بغيرها، فألقتها لتأخذ غيرها، فلا تصير في يدها إلا هي، مرارا، فرفعتها إليه، فعلم أن له شأنا. ولما أصبح قال له شعيب: إذا بلغت مفرق الطريق فلا تأخذ على يمينك، فإن الكلأ، وإن كان بها أكثر، إلا أن فيها تنينا، أخشاه عليك وعلى الغنم، فأخذت الغنم ذات اليمين ولم يقدر على كفها، فمشى على أثرها، فإذا عشب وريف لم ير مثله، فنام، فإذا **التنين** قد أقبل، فحاربته العصا حتى قتلته، وعادت إلى جنب موسى دامي، فلما أبصرها دامية، **والتنين** مقتولا ارتاح لذلك. ولما رجع إلى شعيب بالغنم فوجدها ملأى البطون غزيرة اللبن، وأخبره موسى، فرح، وعلم أن لموسى شأنا، وقال له: إني وهبت لك من نتاج غنمي، هذا العام، كل أدرع ودرعاء- أي: كل جدي أبلق، وأنثى بلقاء- فأوحى الله تعالى إلى موسى في المنام: أن اضرب بعصاك الماء الذي تسقى منه الغنم، فضرب، ثم سقى الأغنام، فوضعت كلها بلقاء، فسلمها شعيب إليه.

وذكر الإمام اللجائي في كتابه (قطب العارفين) : أن موسى عليه السلام انتهى، ذات يوم، بأغنامه إلى واد كثير الذئاب، وكان قد بلغ به التعب، فبقي متحيرا، إن اشتغل بحفظ الغنم عجز عن ذلك لغلبة النوم عليه والتعب، وإن هو طلب الراحة، وثبت الذئاب على الغنم، فرمى السماء بطرفه، وقال: إلهي إنه أحاط علمك، ونفذت إرادتك، وسبق تقديرك، ثم وضع رأسه ونام. فلما استيقظ وجد ذئبا واضعا عصاه على عاتقه، وهو يرعى الغنم، فتعجب موسى من ذلك، فأوحى الله إليه: يا موسى كن لي كما أريد، أكن لك كما تريد. قال: فهذه إشارة تدل على أن:

من هرب من الله إلى الله كفاه الله، عز وجل، من دونه. هـ. والله تعالى أعلم.." (١)

"الأصل، وهذا الاستفهام معناه الإنكار بل أنتم قوم مسرفون (٨١) أي مجاوزين الحلال إلى الحرام، وأنتم قوم عادتكم الزيادة في كل عمل وما كان جواب قومه إلا أن قالوا أي ما كان جوابا من جهة قومه شيء من الأشياء في المرة الأخيرة من مرات المحاورة بينه وبينهم إلا قولهم لبعضهم الآخرين المباشرين لتلك الأمور معرضين عن مخاطبة لوط عليه السلام أخرجوهم أي لوطا وابنتيه زعورا وريثا من قريتكم سذوم إنهم أناس يتطهرون (٨٢) أي يتنزهون عن أدبار الرجال قالوا ذلك على سبيل

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٤/٢٤٦

السخرية بلوط وأهله، وعلى سبيل الافتخار بما هم فيه فأنجيناه أي لوطا وأهله وهم بنتاه إلا امرأته الكافرة واسمها واهلة كانت من الغابرين (٨٣) أي الباقين في ديارهم فهلكت في العذاب مع الهالكين فيها لأنها تسر الكفر موالية لأهل سذوم، وأما لوط فخرج مع بنتيه من أرضهم، وطوى الله له الأرض في وقته حتى نجا ووصل إلى إبراهيم وهو في فلسطين وأمطرنا عليهم مطرا أي وأرسلنا عليهم إرسال المطر آجرا محروقا معجونا بالكبريت والنار.

قال مجاهد: نزل جبريل عليه السلام وأدخل جناحه تحت مدائن قوم لوط، فاقتلعها ورفعها إلى السماء ثم قلبها فجعل أعلاها أسفلها، ثم أتبعوا بالحجارة. وقيل: المعنى وأنزلنا على الخارجين من المداين الخمسة حجارة من السماء معلمة عليها اسم من يرمى بها.

وروي أن تاجرا منهم كان في الحرم فوقف الحجر له أربعين يوما حتى قضى تجارته وخرج من الحرم فوقع عليه فانظر كيف كان عاقبة المجرمين (٨٤) أي فانظر يا من يتأتى منه النظر كيف أمطر الله حجارة من طين مطبوخ بالنار متتابع في النزول على من يعمل ذلك العمل المخصوص، وكيف أسقط مدائنها مقلوبة إلى الأرض وإلى مدين أخاهم أي وأرسلنا إلى أولاد مدين بن إبراهيم عليه السلام أخاهم في النسب لا في الدين شعيبا بن ميكيل. وقيل:

شعيب بن ثويب بن مدين بن إبراهيم قال لقومه وهم أهل كفر وبخس للمكيال والميزان:

يا قوم اعبدوا الله وحده ما لكم من إله غيره قد جاءتكم بينة أي معجزة من ربكم دالة على رسالة الله وعلى صدق ما جئت به ومن معجزات شعيب أنه دفع عصاه إلى موسى، وتلك العصا حاربت التنين وأنه قال لموسى: إن هذه الأغنام تلد أولادا فيها سواد في أوائلها وبياض في أواخرها، وقد وهبتها منك، فكان الأمر كما أخبر عنه، وأنه وقع على يده عصا آدم عليه السلام فإن جميع ذلك كان قبل استنباء موسى عليه السلام.

وقيل: إن المراد بالبينة نفس شعيب عليه السلام فأوفوا الكيل والميزان أي أتموا كيل المكيال ووزن الميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم أي ولا تنقصوا حقوق الناس بجميع الوجوه كالغصب والسرقة وأخذ الرشوة وقطع الطريق، وانتزاع الأموال بطريق الحيل. وقيل:." (١)

"القوابل والمراضع والقذف في اليم، وقتل القبطي، وأنهم يطلبونه ليقتلوه. فقال شعيب: لا تخف نجوت من القوم الظالمين، أي لأنا لسنا في مملكة فرعون.

وروي أن موسى لما دخل على شعيب فإذا الطعام موضوع، فقال شعيب: تناول يا فتى فقال موسى عليه السلام: أعوذ بالله. قال شعيب: ولم ذلك؟ قال: لأنا من أهل البيت لا نبيع ديننا بملء الأرض ذهبا ولا نأخذ على المعروف عوضا. فقال شعيب: عادتي وعادة آبائي إطعام الضيف، فجلس موسى فأكل وإنما كره أكل الطعام خشية أن يكون ذلك أجرة له على عمله.

قالت إحداهما- وهي التي دعته إلى أبيها، وهي التي تزوجها موسى- يا أبت استأجره اتخذه أجيرا لرعي أغنامنا إن خير من استأجرت القوي الأمين (٢٦) .

---

(١) مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد نووي الجاوي ٣٨٤/١

روي أن شعيبا أخذته الغيرة فقال: وما أعلمك بقوته وأمانته؟ فذكرت ما شاهدته منه عليه السلام من كيفية السقي ورفع الصخرة من فم البئر، ومن غض بصره حال ذودهما الماشية، وحال سقيه لهما، وحال مشيه أمامها إلى أبيها. قال أي شعيب لموسى عند ذلك: إني أريد أن أنكحك إحدى ابنتي هاتين أي الحاضرتين على أن تأجرني ثماني حجج أي مشروطا على أن تأجرني نفسك في رعي غنمي ثماني سنين فإن أتممت عشرا من السنين في العمل فمن عندك أي فالتمام من عندك بطريق التفضل لا من عندي بطريق الإلزام عليك، وما أريد أن أشق عليك بإلزام أتم الأجلين، ولا أكلفك الاحتياط الشديد في كيفية الرعي بل أساهلك فيها بقدر الإمكان، ستجدني إن شاء الله من الصالحين (٢٧) في حسن المعاملة وغيره، وإنما قال شعيب: إن شاء الله، للتبرك ولتفويض أمره إلى معونته تعالى، لا لتعليق صالحه بمشيته تعالى.

قال موسى: ذلك بيني وبينك أي ذلك الشرط ثابت بيننا جميعا لا يخرج عنه واحد منا، أيما الأجلين قضيت فلا عدوان علي أي أي أحد الوقتين وفيتكه بأداء الخدمة فيه فلا إثم علي فكما لا إثم علي في قضاء الأكثر لا إثم علي في قضاء الأقصر فقط. والله على ما نقول من الشرط الجاري بيننا وكيل (٢٨) ، أي شاهد، ولما تم العقد بينهما أمر شعيب ابنته أن تعطي موسى عصا يدفع بها السباع عن غنمه وفي بعض الأخبار أن موسى لما عقد العقد مع شعيب وأصبح من الغدو أراد الرعي، قال له شعيب عليه السلام: اذهب بهذه الأغنام فإذا بلغت مفرق الطريق، فخذ على يسارك ولا تأخذ على يمينك، وإن كان الكلأ بها أكثر فإن بها تنينا عظيما فأخشى عليك وعلى الأغنام منه، فذهب موسى بالأغنام فلما بلغ مفرق الطريق أخذت الأغنام ذات اليمين فاجتهد موسى على أن يردها فلم يقدر، فسار على أثرها فرأى عشبا كثيرا، ثم إن موسى عليه السلام نام والأغنام ترعى وإذا **بالتنين** قد جاء فقامت عصا موسى، فقاتلته حتى قتلته، وعادت إلى جنب موسى وهي دامية فلما استيقظ موسى، رأى العصا دامية **والتنين** مقتولا فارتاح لذلك، وعلم أن لله تعالى في تلك العصا آية، وعاد إلى شعيب وكان ضريرا فمس الأغنام، فإذا هي أحسن حالا مما." (١)

"المطر مجاز فيما يشبهه في الكثرة من خير وشر حسيين أو معنويين مما يجيء من السماء أو من الأرض. وما قال من قال: إنه خاص بالشر، إلا من تكرر الآيات في إرسال الحجارة على قوم لوط، وقوله تعالى

حكاية عن بعض كفار قريش: (وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم) (٨: ٣٢) وغفلوا عن قوله في سورة الأحقاف: (فلما رأوه عارضا مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا) (٤٦: ٢٤) .

نحن نؤمن بهذه الآية كما وردت في سور القرآن ولا نقول في حقيقتها وصفتها قولا جازما، ولكن يجوز عقلا أن يكون سبب إمطار الحجارة على قوم لوط إرسال إعصار من الريح حملتها وألقتها عليهم ومثل هذا معهود، وقد أخبرنا بعض أهل ساحل البحر أن السماء أمطرت عليهم مرة طينا ومرة سمكا – أي مع المطر – وسألوا: من أين جاء ذلك؟ فقلنا: أما التراب فأثارته السافياء من الريح فحملته إلى السحاب فنزل مع المطر طينا، وأما السمك فهذا الإعصار الذي يرى متدليا من السحاب إلى البحر أو مرتفعا من البحر إلى السحاب كعمود من الدخان وتسمونه **التنين**، هو الذي يرفع الماء من البحر إلى

---

(١) مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد نووي الجاوي ١٩٤/٢

السحاب، فاتفق أن كان فيما رفعه سمك حملته الريح إليكم لقربكم من البحر.
ويحتمل أن تكون تلك الحجارة من بعض النجوم المحطمة التي يسميها الفلكيون الحجارة النيزكية، وهي بقايا كوكب محطم تجذبه الأرض إليها إذا صارت بالقرب منها، وهي تحترق غالبا من سرعة الجذب وشدته وهي الشهب التي ترى في الليل، فإذا سلم منها شيء من الاحتراق ووصل إلى الأرض ساخ فيها، وكان لسقوطه صوت شديد، وقد اهتدى الناس إلى بعض هذه الحجارة ووضعوها في المتاحف، ولم يعهد أن تكون كثيرة، والآيات تخالف المعهود وتخترق المعتاد وإن كانت موافقة لسنن خفية في الكون بفعل الله عز وجل. وفي سورتي هود والحجر أنها حجارة من سجيل مسومة. واختلف رواة التفسير في تفسير السجيل، قال مجاهد: هو بالفارسية أولها حجارة وآخرها طين، وفي قوله: (مسومة) (١١: ٨٣) قال: معلمة. ومثله عن شيخه ابن عباس رضي الله عنه قال: حجارة فيها طين، وقال: السوم بياض في حمرة، وقال الراغب: والسجيل حجر وطين مختلط وأصله فيما قيل فارسي معرب اهـ. وهذا يرجح الوجه الأول، وهو كون تلك الحجارة من الأرض وقلعتها الأعاصير من أرض رطبة من المطر أو غيره، وحجارة النيازك لا تكون إلا جافة، بل تسقط حامية من شدة الجذب ثم تبرد. وقال الأستاذ الإمام في تفسير سورة الفيل: السجيل طين متحجر. والصواب الأول، وأنه فارسي الأصل. وسنعود إلى هذا البحث في تفسير سورة هود إن شاء الله
تعالى، وفيها أن الله تعالى جعل عالي تلك القرى سافلها، ونبين أن وقوع هذا وذاك بالسنن الإلهية الجلية أو الخفية لا ينافي كونها آية.." (١)

"(وكذلك نجزى من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه) أي وهكذا نعاقب من أسرف، فعصى ربه ولم يؤمن برسله وكتبه، فنجعل له معيشة ضنكا.

أخرج ابن أبى حاتم عن ابن عباس أنه قال فى الآية: يقول كل مال أعطيته عبدا من عبادى قل أو كثر لا يتقينى فيه فلا خير فيه وهو الضنك فى المعيشة.

وعن عكرمة ومالك بن دينار نحوه، وقيل إن تلك المعيشة له فى القبر بأن يعذب فيه، وقد روى ذلك عن جماعة منهم ابن مسعود وأبو سعيد الخدرى ومجاهد، وروى ذلك مرفوعا أيضا

فقد أخرج ابن جرير وابن المنذر وابن حبان وابن مردويه عن أبى هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «المؤمن فى قبره فى روضة خضراء، ويرحب له قبره سبعين ذراعا، ويضيء حتى يكون كالقمر ليلة البدر، وهل تدرون فيم أنزلت (فإن له معيشة ضنكا) ؟ قالوا: الله ورسوله اعلم، قال عذاب الكافر فى قبره يسلط عليه تسعة وتسعون تنينا، هل تدرون ما التنين؟ تسعة وتسعون حية لكل حية سبعة رءوس يخدشونه ويلسعونه وينفخون فى جسمه إلى يوم يبعثون» .

وأخرج ابن أبى حاتم عن ابن زيد قال: المعيشة الضنك فى النار شوك وزقوم وغسلين وضريع، وليس فى القبر ولا فى الدنيا معيشة، وما المعيشة والحياة إلا فى الآخرة.

(ولعذاب الآخرة أشد وأبقى) أي ولعذاب الآخرة فى النار أشد مما نعذبهم به فى الدنيا وأكثر بقاء، لأنه لا أمد له ولا نهاية.

(١) تفسير المنار محمد رشيد رضا ٨/٤٥٩

[سورة طه (٢٠) : الآيات ١٢٨ الى ١٣٢]
أفلم يهد لهم كم أهلكنا قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم إن في ذلك لآيات لأولي النهى (١٢٨) ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما وأجل مسمى (١٢٩) فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضى (١٣٠) ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى (١٣١) وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسئلك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى (١٣٢)." (١)

"أعينكما وتصيران كالآلهة وتعرفان الخير والشر. فأكلت حواء وأعطت بعلها فأكل.

فانفتحت أعينهما فعرفا أنهما عريانان فخاطا من ورق التين مآزر. وسمعا صوت الرب وهو يتمشى في الجنة فاختبآ من وجهه فنادى الرب آدم أين أنت؟ قال: إني سمعت صوتك فخشيت لأني عريان فاختبأت. قال فمن أعلمك أنك عريان؟ هل أكلت من الشجرة التي نهيتك عنها؟ قال: إن المرأة التي جعلتها معي أعطتني من الشجرة فأكلت. فسأل الرب المرأة فقالت أغوتني الحية، فغضب عليهما ربهما وأخرجهما من الجنة ليكدا ويتعبا في الأرض ويعرقا في سبيل أكل خبزهما بعد أن صنع لهما أقمصة من جلد، ولعن الحية وآذنها بعداوة دائمة ضارية بينها وبين ذرية آدم وحواء، وأنذر حواء بمشقة الحمل والولادة وآلامهما إلخ ...) .

وهذا الملخص يتسق مع ما جاء عن القصة في سورة الأعراف بشيء من التباين حيث ذكر في الآيات إبليس بدلا من الحية «١» وذكر فيها أمر الله للملائكة بالسجود لآدم وتمرد إبليس والحوار بينه وبين الله وبينه وبين آدم وحواء وهو ما لم يرد في سفر التكوين كما ترى في هذه الآيات: ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس لم يكن من الساجدين (١١) قال ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين (١٢) قال فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها فاخرج إنك من الصاغرين (١٣) قال أنظرني إلى يوم يبعثون (١٤) قال إنك من المنظرين (١٥) قال فبما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم (١٦) ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن

---

(١) في تفسير الخازن لآيات القصة في سورة الأعراف أن إبليس اتخذ الحية مطية للدخول إلى الجنة بعد طرده وتمكن بذلك من إغواء آدم وحواء. وفي تفسير البغوي لآيات القصة في سورة الأعراف أيضا أن حواء قالت إن الحية أغوتها وإن الحية قالت إن إبليس أمرها. وفي الإصحاح العشرين من سفر رؤيا القديس يوحنا أحد حواريي المسيح عليه السلام هذه العبارة: (فقبض الملاك على التنين الحية القديمة الذي هو إبليس والشيطان وقيده) . وهذا السفر من أسفار العهد الجديد المتداولة اليوم. والنص يفيد أن الكتابيين كانوا يتداولون قبل البعثة النبوية أن الذي أغرى آدم وحواء هو إبليس. وهذا متطابق مع ما

---

(١) تفسير المراغي المراغي، أحمد بن مصطفى ١٦٢/١٦

جاء في القرآن.

ولعلهم كانوا يتداولون أن إبليس تمثل لهما على صورة التنين أو الحية.." (١)

"ومنه:

احتل لحقدك فاللبي ... ب بلطفه يستل ثاره

أمضى الحديد أرقه ... والماء يثقب في الحجاره

والهجو بيت منه لا ... يطفى طويل المدح ناره

يخفى الكثير من الحلا ... وة في القليل من المراره

ومنه:

ولا غرو أن يبلى الشريف بناقص ... فمن ذنب التنين تنكسف الشمس

ومنه:

وإني وإعدادي لدهري محمدا ... كملتمس إطفاء نار بنافخ

ومنه:

فإن تكن الدنيا إنالتك ثروة ... فأصبحت ذا يسرو وقد كنت ذا عسر

فقد كشف الإثراء عنك خلائقا ... من اللؤم كانت تحت ثوب من الفقر

ومنه:

حيائي حافظ لي ماء وجهي ... ورفقي في مطالبتي رفيقي

ولو أني سمحت ببذل وجهي ... لكنت إلى الغني سهل طريقي

ومنه:

ما الناس إلا مع الدنيا وصاحبها ... فكيف ما انقلبت يوما به انقلبوا

يعظمون أخا الدنيا فإن وثبت ... عليه يوما بما لا يشتهى وثبوا

ومنه:

قالت وقد انتضت سيوف اللحظ ... والدر ممازح لذاك اللفظ

ذا حظك ما أنقصك قلت لها ... لو شئت لما كنت قليل الحظ

ومنه:

من منصفي من معشر ... كثروا علي وكبروا." (٢)

---

(١) التفسير الحديث محمد عزة دروزة ٢/٣٤٦

(٢) الفلاكة والمفلوكون، الدلجي، أحمد بن علي ص/١٣٤

"إلى الغصنين فإذا في أصلهما جرذان أسود وأبيض، وهما يقرضان الغصنين دائبين لا يفتران، فبينما هو في النظر لأمره والاهتمام لنفسه، إذ أبصر قريبا منه كوارة فيها عسل نحل؛ فذاق العسل؛ فشغلته حلاوته وألهته لذته عن الفكرة في شيء من أمره، وأن يلتمس الخلاص لنفسه؛ ولم يذكر أن رجليه على حيات أربع لا يدري متى يقع عليهن، ولم يذكر أن الجرذين دائبان في قطع الغصنين؛ ومتى انقطعا وقع على **التنين**. فلم يزل لاهيا غافلا مشغولا بتلك الحلاوة حتى سقط في فم **التنين** فهلك. فشبهت بالبئر الدنيا المملوءة آفات وشرورا، ومخافات وعاهات، وشبهت بالحيات الأربع الأخلاط الأربعة التي في البدن: فإنها متى هاجت أو أحدها كانت كحمة الأفاعي والسم المميت، وشبهت بالغصنين الأجل الذي لابد من انقطاعه؛ وشبهت بالجرذين الأسود والأبيض الليل والنهار اللذين هما دائبان في إفناء الأجل؛ وشبهت **بالتنين** المصير الذي لابد منه؛ وشبهت بالعسل هذه الحلاوة القليلة التي ينال منها الإنسان فيطعم ويسمع ويشم ويلمس، ويتشاغل عن نفسه، ويلهو عن شأنه، ويصد عن سبيل قصده. . .

عمرو بن العاص يصف حاله في احتضاره

قال عبد الله بن عباس: دخلت على عمرو بن العاص وقد احتضر، فدخل عليه ابنه عبد الله فقال: يا عبد الله، خذ ذلك الصندوق، فقال: لا حاجة لي فيه، قال: إنه مملوء مالا، قال: لا حاجة لي به، فقال عمرو:." (١)

"العسل، فشغلته حلاوته وألهته لذته عن الفكرة في شيء من أمره، وأن يلتمس الخلاص لنفسه؛ ولم يذكر أن رجليه على حيات أربع لا يدري متى يقع عليهن؛ ولم يذكر أن الجرذين دائبان في قطع الغصنين؛ ومتى انقطعا وقع على **التنين**. فلم يزل لاهيا غافلا مشغولا بتلك الحلاوة حتى سقط في فم **التنين** فهلك. فشبهت بالبئر الدنيا المملوءة آفات وشرورا، ومخافات وعاهات؛ وشبهت بالحيات الأربع الأخلاط الأربعة التي في البدن: فإنها متى هاجت أو أحدها كانت كحمة الأفاعي والسم المميت؛ وشبهت بالجرذين الأسود والأبيض الليل والنهار اللذين هما دائبان في إفناء الأجل؛ وشبهت **بالتنين** المصير الذي لا بد منه؛ وشبهت بالعسل هذه الحلاوة القليلة التي ينال منها الإنسان فيطعم ويسمع ويشم ويلمس، ويتشاغل عن نفسه، ويلهو عن شأنه، ويصد عن سبيل قصده. فحينئذ." (٢)

"قوة على الثعبان، فكيف **التنين**. أعفني من حية المهلب ثم اقتلني أي قتلة شئت.
إن احترست منك ألفيت لنفسي كدا شديدا، وغما طويلا، وطال اغترابي وافتراق ألافي، وتعرضت للعدو، وتحرشت بالسباع. فإن استرسلت إليك لم تر أن تقتلني إلا شر قتلة وآلمها، ولم تعذبني إلا بأشد النقم وأطولها. ولو أردت ذبحي لاخترت الكليل على المرهف، والتطويل على التذفيف، حتى كأني علمت عليك: " شاه مات "، أو أكلت سبعة وأطعمتك واحدة.
ولقد تقدمت في المكر واستظهرت علي في الكيد، حتى توليت ذلك في صغار كتبي وفيما لا تحفل به من دوام أمري، وعلمت أن الدرس لليل وأن الا.....للنهار، وأن الكتاب لايقرأ إلا ليلا والنيران زاهرة، والمصابيح مقربة. وعلمت أن كل

---

(١) الذخائر والعبقريات، البرقوقي ٢/٢٠

(٢) كليلة ودمنةابن المقفع ص/٩٠

من ضعف بصره وكل نظره، فإنه أبدا أقرب مصباحا واعظم نارا. وأن المحرور المحترق، والممرور الملتهب، والبائس المتهافت، إذا كان صاحب كتب ودرس، أنه لا يجد." (١)

"والأعشى «١» كان أعلم به حيث يقول:

وكأس شربت على لذة ... وأخرى تداويت منها بها

وهذا، حفظك الله، هو اليوم الذي كانوا لا يعاينون فيه لقمة واحدة، ولا يدخل أجوافهم من النقل ما يزن خردلة. وهو يوم سروره التام، لأنه قد ربح المرزئة «٢» وتمتع بالمنادمة.

واشترى مرة شبوطة وهو ببغداد وأخذها فائقة عظيمة، وغالى بها «٣» وارتفع في ثمنها، وكان قد بعد عهده بأكل السمك. وهو بصري لا يصبر عنه. فكان قد أكبر أمر هذه السمكة، لكثرة ثمنها ولسمنها وعظمها ولشدة شهوته لها. فحين ظن عند نفسه أنه قد خلا بها، وتفرد بأطايبها، وحسر عن ذراعيه وصمد صمدها، هجمت عليه ومعي السدري «٤» فلما رآه رأى الموت الأحمر والطاعون الجارف، ورأى الحتم المقضي «٥» ، ورأى قاصمة الظهر «٦» ، وأيقن بالشر، وعلم أنه قد ابتلي **بالتنين.**

فلم يلبثه السدري حتى قور السرة «٧» بالمبال «٨» فأقبل علي فقال لي:

يا أبا عثمان، السدري يعجبه السرر» ، فما فصلت الكلمة من فيه، حتى." (٢)

"في ذلك، وتمنعه بكل حيلة، لأنها تعلم وتحس بضعف ذلك الموضع منها، وهو مقتل. وما أكثر ما يكون في أعناقها تخصير [١] ، ولتندورها أغباب [٢] ، وذلك في الأفاعي أعم. وذلك الموضع المستدق [١] إنما هو شيء كهيئة الخريطة، وكهيئة فم الجراب، منضم الأثناء، مثنى الغضون. فإذا شئت أن تفتح انفتح لك فم واسع.

ولذلك قال إبراهيم بن هانئ: كان فتح فم الجراب يحتاج إلى ثلاثة أيد، ولولا أن الحمالين قد جعلوا أفواههم بدل اليد الثالثة لقد كان ذلك ممتنعا حتى يستعينوا بيد إنسان.

وهذا مما يعد في مجون ابن هانئ.

وكذلك حلوق الحيات وأعناقها وصدورها، قد تراها فتراها في العين دقيقة، ولا سيما إذا أفرطت في الطول.

١٠٦٢-[شراهة الحية والأسد]

وهي تبتلع فراخ الحمام. والحية أنهم وأشره من الأسد. والأسد يبلع البضعة العظيمة من غير مضع، وذلك لما فيه من فضل الشره. وكذلك الحية. وهما واثقان بسهولة وسعة المخرج.

١٠٦٣-[تنين أنطاكية]

ومما عظمها وزاد في فزع الناس منها، الذي يرويه أهل الشام، وأهل البحرين، وأهل أنطاكية، وذلك أني رأيت الثلث الأعلى من منارة مسجد أنطاكية أظهر جدة من الثلثين الأسفلين، فقلت لهم: ما بال هذا الثلث الأعلى أجد وأطرى؟ قالوا: لأن

---

(١) الرسائل للجاحظالجاحظ ٢٥١/١

(٢) البخلاء للجاحظالجاحظ ص/١٣٦

تنينا [٣] ترفع من بحرنا هذا، فكان لا يمر بشيء إلا أهلكه، فمر على المدينة في الهواء، محاذيا لرأس هذه المنارة، وكان أعلى مما هي عليه، فضربه بذنبه ضربة، حذفت من الجميع أكثر من هذا المقدار، فأعادوه بعد ذلك، ولذلك اختلف في المنظر. ولم يزل أهل البقاع يتدافعون أمر التنين. ومن العجب أنك تكون في مجلس

---

[١] تخصير: دقة.

[٢] أغباب: جمع غبب، وهو اللحم المتدلي تحت الحنك. (القاموس: غبب) .

[٣] التنين: ضرب من الحيات كأكبر ما يكون منها، وطوله نحو فرسخين. حياة الحيوان ١/٢٣٣.." (١)

"وفيه عشرون رجلا، فيجري ذكر التنين فينكره بعضهم. وأصحاب التثبت يدعون العيان. والموضع قريب، ومن يعاينه كثير. وهذا الاختلاف شديد.

١٠٦٤-[الحية الأصلة]

والأعراب تقول في الأصلة قولا عجيبا: تزعم أن الحية التي يقال لها الأصلة لا تمر بشيء إلا احترق. مع تهاويل كثيرة، وأحاديث شنيعة.

١٠٦٥-[الأجدهاني]

وتزعم الفرس أن الأجدهاني أعظم من البعير، وأن لها سبعة رؤوس، وربما لقيت ناسا فتبتلع من كل جهة فم ورأس إنسانا. وهو من أحاديث الباعة والعجائز.

١٠٦٦-[الحية ذات الرأسين]

وقد زعم صاحب المنطق أنه قد ظهرت حية لها رأسان. فسألت أعرابيا عن ذلك فزعم أن ذلك حق. فقلت له: فمن أي جهة الرأسين تسعى؟ ومن أيهما تأكل وتعض؟ فقال: فأما السعي فلا تسعى، ولكنها تسعى إلى حاجتها بالتقلب، كما يتقلب الصبيان على الرمل. وأما الأكل فإنها تتعشى بفم وتتغدى بفم. وأما العض فإنها تعض برأسيها معا!! فإذا به أكذب البرية. وهذه الأحاديث كلها، مما يزيد في الرعب منها، والاستهالة لمنظرها.

١٠٦٧-[فرانق الأسد]

ومثل شأن التنين مثل أمر فرانق [١] الأسد، فإن ذكره يجري في المجلس، فيقول بعضهم: أنا رأيته وسمعته!

١٠٦٨-[فزع الناس من الحية]

وربما زاد في الرعب منها والاستهالة لمنظرها قول جميع المحدثين: إن من أعظم ما خلق الله الحية والسرطان والسمك!

١٠٦٩-[طول عمر الحية]

وتقول الأعراب: إن الحية أطول عمرا من النسر، وإن الناس لم يجدوا حية قط ماتت حتف أنفها، وإنما تموت بالأمر يعرض لها. وذلك لأمور؛ منها قولهم: إن فيها شياطين، وإن فيها من مسخ، وإن إبليس إنما وسوس إلى آدم وإلى حواء من جوفها.

---

(١) الحيوانالجاحظ ٤/٣٣٤

[١] الفرانق: معرب بروانك. (القاموس: فرنق) .." (١)

"وحكوا عن عظم بعض الحيات، حتى ألحقوه بهما، وأكثروا في تعظيم شأن **التنين**؛ فليس لكم أن تدعوا للفيل ما ادعيتم.

٢٠٨٦-[رد صاحب الفيل على خصمه]

قال صاحب الهند والمعبر عن خصال الفيل «١» : أما الفيل وعلو سمكه، وعظم جفرته، واتساع صهوته، وطول خرطومه، وسعة أذنه، وكبر غرموله، مع خفة وطئه، وطول عمره، وثقل حمله، وقلة اكتراثه لما وضع على ظهره، فقد عاين ذلك من الجماعات من لا يستطيع الرد عليها إلا جاهل أو معاند. وأما ما ادعيتم من عظم الحية وأنا متى مسحنا طولها وثخنها، وأخذنا وزنها كانت أكثر من الفيل، فإنا لم نسمع هذا إلا في أحاديث الرقائين، وأكاذيب الحوائين، وتزيد البحريين.

وأما **التنين** فإنما سبيل الإيمان به سبيل الإيمان بعنقاء مغرب. وما رأيت مجلسا قط جرى فيه ذكر **التنين** إلا وهم ينكرونه ويكذبون المخبر عنه، إلا أنا في الفرط ربما رأينا بعض الشاميين يزعم أن **التنين** إعصار فيه نار يخرج من قبل البحر في بعض الزمان، فلا يمر بشيء إلا أحرقه، فسمى ذلك ناس **«التنين»** ، ثم جعلوه في صورة حية.

وأما السرطان فلم نر أحدا قط ذكر أنه عاينه، فإن كنا إلى قول بعض البحريين نرجع، فقد زعم هؤلاء أنهم ربما قربوا إلى بعض جزائر البحر، وفيها الغياض والأودية واللخاقيق «٢» ، وأنهم في بعض ذلك أوقدوا نارا عظيمة، فلما وصلت إلى ظهر السرطان هاج بهم وبكل ما عليه من النبات، حتى لم ينج منهم إلا الشريد.

وهذا الحديث قد طم على الخرافات والترهات «٣» وحديث الخلوة.

وأما السمك فلعمري إن السمكة التي يقال لها «البال» لفاحشة العظم. وقد عاينوا ذلك عيانا، وقتلوه يقينا. ولكن أحسبوا أن الشأن في البال على ما ذكرتم، فهل علمتم أن فيه من الحس والمعرفة، واللقن والحكاية، والطرب وحسن المواتاة وشدة القتال، والتمهد تحت الملوك، وغير ذلك من الخصال، كما وجدنا ذلك وأكثر منه في الفيل.." (٢)

"ومن شحذ الطبيعة، وتمكين حسن العادة.

ولو لم يكن في ذلك إلا الشغل عن خوض الخائضين، والبعد عن لهو اللاهين، ومن الغيبة للناس والتمني لما في أيديهم، لقد كان نفع ذلك كثيرا، وموقعه من الدين والفرض عظيما.

ومتى ثقل الدرس تثاقلت النفس، وتقاعسته الطبيعة. ومتى دام الاستثقال احدث الهجران. وإذا تطاول الكد رسخ الزهد. وفي ترك النظر عمى البصر، وفي اهمال الطبيعة كلال حد (الطبيعة. وعلى قدر الحاجات تكون الخواطر، كما انه على قدر غريزة العقل تصح الحوائج وتسقم، وعلى قدر كثرة الحاجة تتحرك الجارحة ويتصرف اللسان، ومع قلة الحركة وبعد العهد بالتصرف يحدث العي ويظهر العجز ويبطىء الخاطر. ومع ذهاب البيان يفسد البرهان. وفي فساد البرهان هلاك الدنيا

---

(١) الحيوانالجاحظ ٣٣٥/٤

(٢) الحيوانالجاحظ ٦٤/٧

وفساد الدين.

فقد بلغت ما أردت، ونلت ما حاولت، فحسبك الآن من شج من بأسوك، ومن قتل من يقتل فيك.

جعلت فداك. إنه ليس يومي منك بواجد، وأنا على عقابك أوجد. وليس ينجي منك معقل وعل، ولا مفازة سبع، ولا قعر بحر، ولا رأس طود، ولا دغل ولا دحل، ولا نفق ولا مغارة ولا مطمورة. وليس ينجيني منك إلا مفازة المهلب. فان اعرتني قلبه وعلمتني حيلته، وأمكنتني من سكينه.

وإلا فأنا أول من ابتلعته تلك الحية. ولا والله إن بي قوة على الثعبان، فكيف التنين. أعفني من حية المهلب ثم اقتلني أي قتلة شئت.

إن احترست منك ألفيت لنفسي كدا شديدا، وغما طويلا، وطال اغترابي وافتراق الالفي، وتعرضت للعدو، وتحرشت بالسباع. فإن استرسلت اليك لم تر أن تقتلني إلا شر قتلة وآلمها، ولم تعذبني إلا باشد النقم وأطولها. ولو اردت ذبحي لاخترت الكليل على المرهف، والتطويل." (١)

"العلا فعلا والزيادة فلتا، وما القول في النفس؟

وخبرني ما السحر وما الطلسم، وما الدنهش وما الخلقطير، وما الهيكل، وما الطوالق، وما قولهم في اللبان الذكر، وفي مراعاة المشتري، ولم توحشوا من الناس ولم باتوا بالبراح وأقاموا بالخراب واغتسلوا بالماء القراح، ولم قدموا التصديق وأخرجوا الصرة، ولم أجابوا وأكرموا، ولم منعوا وقتلوا.!؟

[١٤- اسئلة على الجن]

وخبرني من خانق الغريض وقاتل سعد يوم النفق، ومن الذي استهوى عمرو بن عدي، ومن صاحب عمارة بن الوليد، ومن يصرع منهم الأصحاء، ومن يبريء المرضى ويستوهي العقلاء، وعن فصل ما بين الشيطان والجني وما بين الجن والجن ومن طعامه الجدف. وخبرني عن أشعار الهاتف وما يسمع بالليل من جوائب الأخبار. وخبرني عن النميري صاحب الورقة، وعن تميم الداري صاحب الردم. وخبرني عن شقلون، وعن أهرمن، وعن كان وكان، ومره، وايددش، وافردش، وابرشارش، وابربارش، وخونرت بام، وكيف صارت خونرث هذه أعمر العوالم، وأيما أكثر يأجوج أم مأجوج، وأيما أقصر وأيما أطول عمارا، وأيما أفضل منكر أم نكير، وأيما أخبث هاروت أم ماروت، وأي حوت ابتلع يونس، وأي حية ابتلعت المهلب، ومن أي حية كانت سفينة نوح، ولم ملح الحمض، ولم طوقت الحمامة!

[١٥- أسئلة على الكيمياء]

وما فرق بين الطاس والكاس، وما كان سبب اتخاذ الأقبية، وما سبب صنعة الزجاج، وما قصة الرخام أكيمياء أم مخلوق، ولم امتنع عمل الذهب والزجاج أعجب منه، ومن صاحب المينا وتودين الحجارة، ومن صاحب التلطف، ومن صاحب النوشاذر، وما تقول في التنين وما فرانقث الاسد، وما." (٢)

---

(١) الرسائل الأدبيةالجاحظ ص/٣٣٩

(٢) الرسائل الأدبيةالجاحظ ص/٤٥٤

"قال الحكيم: وجدت مثل الدنيا والمغرور بالدنيا المملوءة آفات، مثل رجل ألجأه خوف إلى بئر تدلى فيها وتعلق بغصنين نابتين على شفير البئر، ووقعت رجلاه على شيء فمدهما. فنظر فإذا بحيات أربع قد أطلعن رءوسهن من جحورهن، ونظر إلى أسفل البئر فإذا بثعبان فاغرفاه نحوه، فرفع بصره إلى الغصن الذي يتعلق به فإذا في أصله جرذان أبيض وأسود يقرضان الغصن دائبين لا يفتران؛ فبينما هو مغتم بنفسه وابتغاء الحيلة في نجاته، إذ نظر فإذا بجانب منه جحر نحل قد صنعن شيئا من عسل، فتطاعم منه فوجد حلاوته، فشغلته عن الفكر في أمره والتماس النجاة لنفسه، ولم يذكر أن رجليه فوق أربع حيات لا يدري من تساوره منهن، وأن الجرذين دائبان في قرض الغصن الذي يتعلق به، وأنهما إذا قطعاه وقع في لهوة «١» **التنين**. ولم يزل لاهيا غافلا حتى هلك.

قال الحكيم: فشبهت الدنيا المملوءة آفات وشرورا ومخاوف بالبئر؛ وشبهت الأخلاط التي بني جسد الإنسان عليها، من المرتين والبلغم والدم بالحيات الأربع وشبهت الحياة بالغصنين اللذين تعلق بهما وشبهت الليل والنهار ودورانهما في إفناء الأيام والأجيال بالجرذين الأبيض والأسود اللذين يقرضان الغصن دائبين لا يفتران؛ وشبهت الموت الذي لا بد منه **بالتنين** الفاغر «٢» فاه؛ وشبهت الذي يرى الإنسان ويسمع ويطعم ويلبس فيلهيه ذلك عن عاقبة أمره وما إليه مصيره بالعسيلة التي تطاعمها.

من ضرب به المثل من الناس

قالت العرب: أسخى من حاتم، وأشجع من ربيعة بن مكدم، وأدهى من قيس ابن زهير. وأعز من كليب بن وائل. وأوفى من السموأل. وأذكى من إياس بن معاوية. وأسود من قيس بن عاصم. وأمنع من الحارث بن ظالم. وأبلغ من سحبان ابن وائل. وأحلم من الأحف بن قيس وأصدق من أبي ذر الغفاري. وأكذب من." (١)

"في كتاب كليلة ودمة: ينبغي للعاقل أن يقرن رجاء النجح والسلامة بخوف الإكداء والنكبة، ولا خير في الشيء الذي في عاجله مال وجاه وفي آجله الجائحة والتلف. وفي الأمثال: رب طلب قد جر إلى حرب، ورب مطمعة تعود ذباحا. وسقط العشاء به على سرحان. قيل ذلك لرجل خرج في طلب ما يتعشى به فأكله الذئب. وفي الأمثال كالباحث عن المدية.

وأصل ذلك أن تيسا بحث عن شيء يأكله فوقع على مدية ذبح بها. قال صالح بن عبد القدوس:

وكم من ملح على بغية ... وفيها منيته لو شعر

وكم تارك حظه بعدما ... أزيد من حظه واقتدر

قال بعض الحكماء: خل عما تهوى تنج مما تخشى. وفي كلام لبعض الأعراب: ربما أثمر الأمل أجلا ونتجت الأمنية منية وأنشدني الليث:

ورب سلامة تدعو ... إلى الآفات والعلل

ومطمعة بها حقا ... تكون بديهة الأجل

---

(١) العقد الفريدابن عبد ربه الأندلسي ٩/٣

وقال بعض الأعراب: طالب الفلاح كالضارب بالقداح سهم له وسهم عليه. وللفارسي: نه هر جاكه دوذ آيد دير برتك توكداني نهند. يقول: ليس كل دخان طبيخ ربما كان دخان كي.

المعنى: لا تطمع في كل شيء حتى تختبره. وللعرب في هذا: لا تطمع في كل ما تسمع. قال عبيد الله: من حاول أمرا بمعصية كان أفوت لما رجي وأقرب لمجيء ما اتقي. إن الحوائج جمة منها اليسيرة والمنيعة، فاحذر تنجز حاجة توفي على شرف القطيعة. انشدني هشام بن محمد للعتابي.

فإن جسيمات الأمور مشوبة ... بمستودعات في بطون الأساود

عبيد الله: أما بعد فإن الجد في الطلب يعرض صاحبه للعطب فتبصر في العواقب، فقد قيل: من لم ينظر في العواقب فليس للأمور بصاحب.

باب الإجمال في الطلب

قيل لبزر جمهر: متى يكون الإكداء خيرا من النجح؟. قال: إذا أكدى بك الإجمال وأنجح بك سوء الطلب. قال الحسن البصري: لا تجاهد الطلب جهاد المغالب واتكل على القدر اتكال المستسلم، فإن ابتغاء الفضل من السنة والإجمال في الطلب من العفة. وليست العفة بدافعة رزقا ولا الحرص بجالب فضلا، لكن الرزق مقدور واستعمال الحرص اكتساب المأثم. وفي كتاب كليلة ودمة: ينبغي للعاقل أن يكون إدخاله يده في فم التنين وابتلاعه سمه أهون عليه من مسألة اللئيم. قال إبراهيم بن حفصة لابنه: يا بني صن شكرك عمن لا يستحقه واطلب المعروف ممن يحسن طلبك إليه واستر ماء وجهك بقناعتك وتسل عن الدنيا كتجافيها عن الكرام.

قال علي بن أبي طالب عليه السلام: مسألة الرجل السلطان كمسألة والده لا يشينه ولا ينقصه. قال بزرجمهر: أشد من الحاجة أن تكون إلى غير أهلها. قال آخر: فوت الحاجة خير من طلبها إلى غير أهلها.

قال أكثم بن صيفي: خير ما فاتك ما توقي بفوته عرضك. ومن هنا أخذ الباهلي قوله:

ما سؤتني اذا وضعت الثقل عن عنقي ... بمنع رفدك اذا أخطأت في طلبي

اعتضت من ذاك عزا باقيا وحميا ... للعرض مني وإبقاء على حسبي

قال بعض الحكماء: لا تسأل من لا يشفع لك عنده رغبة في الشكر أو يعينك عليه نية في المعروف. وقيل: مكتوب في التوراة: ابن آدم لا تسأل الناس، فإن كنت لا بد فاعلا فسل معادن الخير ترجع مغبوطا محسودا.

للباهلي وقيل للعلوي البصري:

ولست بنظار الى جانب الغنى ... اذا كانت العلياء من جانب الفقر

آخر:

وأعسر أحيانا فتشتد عسرتي ... وأدرك ميسور الغنى ومعي عرضي

قال: وأتنشدني ابن أبي الأشعث:

سل الخير أهل الخير قدما ولا تسل ... فتى ذاق طعم العيش منذ قريب

قال بعض الحكماء: من أمل فاجرا كان ادنى عقوبته الحرمان.

قال أبو سعيد: سمعت أعرابيا يقول لأخيه: قد كنت نهيتك عن مسألة قوم أرزاقهم من ألسنة الموازين وأفواه المكاييل.

وأنشدني محمد بن إسحق:

لئن أخطأت في مدح ... ك ما أخطأت في منعي

فقد أحللت حاجاتي ... بواد غير ذي زرع

عربي:

أملي فيك غرني فأقلني ... مدحي فيك يا أبا عدنان

إن من ضيع الرجاء حقيق ... أن يجازى عليه بالحرمان

قال زيد بن نشيط لوهب الشاعر: ما الاجمال؟ قال: أن لا تسأل مثلك. وأنشدني وهب:

ولست بسائل الأعراب شيئا ... حمدت الله ان لم يأكلوني." (١)

"والمذهب، فدعا له ابراهيم بنطع وسيف وقد أخذ الشراب منه وانصرف الحسين غضبان فكتب ابراهيم يعتذر اليه ويسأله أن يجيبه «١» فقال الحسين:

نديمى غير منسوب ... إلى شىء من الحيف

سقانى مثل ما يشر ... ب فعل الضيف بالضيف

فلما دارت الكأس ... دعا بالنطع والسيف

كذا من يشرب الخمر ... مع التنين فى الصيف «٢»

فلم يعد لمنادمته مدة، ثم إن ابراهيم تحمل عليه ووصله، فعاد لمنادمته.

حدثنا أحمد بن محمد أبو اسحاق الطالقانى قال حدثنى عبيد الله ابن محمد بن عبد الملك الزيات قال لما وثب ابراهيم بن المهدى على الخلافة اقترض من مياسير التجار مالا فأخذ من عبد الملك جدى عشرة آلاف دينار، وقال أرادها إذا جاءنى مال، ولم يتم أمره واستخفى.

ثم ظهر فطولب بالاموال، فقال انما أخذتها للمسلمين وأردت أن اقضيها من أموالهم، والامر إلى غيرى. فعمل أبى محمد بن عبد الملك قصيدة يخاطب بها المأمون ومضى بها الى ابراهيم بن المهدى فأقرأه اياها وقال: والله لئن لم تعطنى المال الذى اقترضته من أبى." (٢)

"والمذهب فدعا له ابراهيم بنطع وسيف وقد أخذ الشراب منه وانصرف الحسين غضبان فكتب ابراهيم يعتذر إليه ويسأله أن يجيبه فقال الحسين:

نديمي غير منسوب ... إلى شيء من الحيف

---

(١) الآمل والمأمولابن المَرْزُبان الباحث ص/٧

(٢) الأوراق قسم أخبار الشعراءالصولي ٢٦/٣

سقاني مثل ما يشر ... ب فعل الضيف بالضيف

فلما دارت الكأس ... دعا بالنطع والسيف

كذا من يشرب الخمر ... مع **التنين** في الصيف

فلم يعد لمنادمته مدة، ثم إن إبراهيم تحمل عليه ووصله، فعاد لمنادمته.

حدثنا أحمد بن محمد أبو إسحاق الطالقاني قال حدثني عبيد الله ابن محمد بن عبد الملك الزيات قال لما وثب إبراهيم بن المهدي على الخلافة اقترض من مياسير التجار مالا فأخذ من عبد الملك جدي عشرة آلاف دينار، وقال أردها إذا جاءني مال، ولم يتم أمره واستخفى.

ثم ظهر فطولب بالأموال، فقال إنما أخذتها للمسلمين وأردت أن اقضيها من أموالهم، والأمر إلى غيري. فعمل أبي محمد بن عبد الملك قصيدة يخاطب بها المأمون ومضى بها إلى إبراهيم بن المهدي فأقرأه إياها وقال: والله لئن لم تعطني المال الذي اقترضته من أبي." (١)

"وقال:

وكان هو الجلد القوي فسلبته ... بحسن الجلاد المحض حسن التجلد

لعمري لقد غادرت حسي فؤاده ... قريب رشاء للقنا سهل مورد

فكان بعيد القعر من كل ماتح ... فغادرته يسقس ويشرب باليد

وهذا غاية في حسنه وصحته وحلاوته وغرابته.

وقال:

إلا تنل منويل أطراف القنا ... أو تثن عنه البيض وهي حرائر

فلقد تمنى أن كل مدينة ... جبل أصم وكل حصن غار

فانظر بعين شجاعة فلتنظرن ... أن المقام بحيث كنت فرار

هيهات جاذبك الأعنة باسل ... يعطي الشجاعة كل من تختار

فمضى لو أن النار دونك خاضها ... بالسيف إلا أن تكون النار

وقال يمدح الأفشين:

لاقاك بابك وهو يزأر فانثنى ... وزئيره قد عاد وهو أنين

لما رأى علميك ولى هاربا ... ولكفره طرف عليه سخين

ولى ولم يظلم وهل ظلم امرؤ ... حث النجاء وخلفه **التنين**." (٢)

---

(١) أشعار أولاد الخلفاء وأخبارهمالصولي ص/٢٦

(٢) الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتريالآمدي، أبو القاسم ٣/٣٥٤

"وقد سبق الناس «٤٠» إلى عيب هذا البيت قبلى، وهو من خسيس الكلام.

وقال «٤١» :

شاب رأسى، وما رأيت مشيب الرأس إلا من فضل شيب الفؤاد «٤٢» فيا سبحان الله! ما أقبح مشيب الفؤاد! وما كان أجرأه على الأسماع فى هذا وأمثاله.

وقال «٤٣» :

كان فى الأجفلى وفى النقرى عر ... فك نضر العموم نضر الوحاد

يقال: «دعاهم الجفلى» : إذا دعاهم كلهم فأجفلوا. ويقال: «دعاهم النقرى» إذا دعاهم واحدا واحدا، وهذا من الكلام البغيض والغريب المستكره من البدوى؛ فكيف به إذا جاء من ابن قرية متأدب؟

وقال فى وقعة لبابك انهزم فيها ومدح الافشين «٤٤» :

ولى ولم يظلم وما ظلم امرؤ ... حث النجاء وخلفه التنين

فلو كان أجهد نفسه فى هجاء الإفشين هل كان يزيده على أن يسميه التنين؟ وما سمعت أحدا من الشعراء شبه به ممدوحا بشجاعة ولا غيرها.

وقال فى مثل ذلك «٤٥» :

علوا بجنوب موجدات كأنها ... جنوب فيول ما لهن مضاجع." (١)

"وقوله «١٩٢» :

ولى ولم يظلم وهل ظلم امرؤ ... حث النجاء وخلفه التنين

وعابوا قوله:

خلق كالمدام أو كرضاب ال ... مسك أو كالعبير أو كالملاب «١٩٣»

وقالوا: الناس يقعون من الدون إلى الأعلى، وهذا من الأعلى إلى الدون [١٩٤] ، وجعل خلقه كالمدام أو المسك، ثم قال: أو كالعبير أو كالملاب.

وقوله «١٩٤» :

كذا فليجل الخطب وليفدح الأمر

وقالوا: لا يقال «كذا فليكن» إلا فى السرور.

وقوله:

ما كنت أحسب أن الدهر يمهلنى ... حتى أرى أحدا يهجوه لا أحد

وقالوا: كيف يكون لا أحد يهجو؟ وقد قال غيره:

وجاء بلحم لا شيء سمين ... فقربه على طبقى كلام

---

(١) الموشح في مآخذ العلماء على الشعراءالمرزباني ص/٣٨٣

فهذا أفحش؛ لأنه نعت ما ليس بشيء.

وقال مسلم:

فراس قل لى أين أنت من الورى ... لا أنت معلوم ولا مجهول

ولابد أن يكون من أحدهما.

وقال عباس الخياط:

لا شيء من ديناره أرجح." (١)

"١ شعاع ٣٩٦، خرفا ٣٨٢، ٤٢٤، فتفوفا ٣٨٥، فولفا ٣٨٥، وجيفا ٣٨٦، وصليفا ٣٨٩، الصوفا ٣٩٠، ٤٠٠، ٤٠٣، لفافه ٣٨٧، الخلافة ٣٨٩، يبدق ٣٨٠، ٣٩٩، فارق ٣٨٧، أبلق ٣٩٠، تلصق ٣٩٨، المنطق ٣٨٧، المآقى ٣٩٤، تتعلق ٣٩٣، المغدق ٤١٢، ٤٢٥، أهتبل ٣٨٦، حائل ٣٩٥، منخل ٣٩٧، جديلا ٣٨٧، أسافلا ٣٩٧، يتحولا ٣٩١، سحيلا ٣٩٦، الآجال ٤١٠، سؤاله ٣٧٢ فهم ٣٩١، استسلام ٣٩١، استغرام ٣٩٢، الإعدام، ٣٩٢، محموم ٣٩٣، ٤٠٣، العظلم ٣٩٧، غلام ٤٠٠، الأقدام ٤١٣، تنومها ٣٨٢، رجيم، ٣٧٩، ٣٩٩، للمكارم ٣٨٤، للديم ٣٩٤، الحرم ٣٩٤، المحطوم ٣٩٤، للقيم ٣٩٦، ومجترمة ٨١، **التنين** ٣٨٣، ٤٠٤، الحزن ٣٨٤، مساويه ٣٨١، الأبى ٣٨٩

الحجاف السلمى الشواجر ١٨٢، لائم ١٨٢

جرير لذابا ٣١٢، الرباب ١٦٣، الثواب ١٦٣، شهاب ١٧٢، لقاح ٣٠٧، سنادا ٢، مشهدا ١٧١، أهدى ١٦٢، جرير ١٥٩، الجوار ١٦٣، أمير ١٦٨، عمر ١٧٠، بالصبر ١٥٨، السمر ١٦٦، القناعيس ٥٣، مرموس ١٥٩، لامع ١٦٩، ١٧٠، ساطع ٢١٧، فوثيق ١٤٩، طويل ١٤١، ١٧٢، باطله ١٦٦، الأوعارا ١٦١، وميثلا ١٦٣، فأحالا ١٧٤، الأمثالا ١٧٤، ١٨٦، البالى ١٥٥، حال ١٦٤، لمام ١٦٧، بدائم ٣٢، بالمظالم ١٦٠، الأراقم ١٦٢، بسلام ١٦٧، ٢٠٩، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢٢، والمكارم ٢١٩، مرام ٢٢٠، قطينا ١٥٩، ١٦٠، ١٦٨، آخرين ١٧٥، عرين ١٤، ١٧٥، الدكان ١٥٩، دونى ١٦٠، ليا ٢١٦، مواليها ١٠٦، ١٦٧

جميل لب ٢٥٥، بالقوادح ٢٥٦، ويزيد ٢١١، طائر ٢٠٣، المرائر ٢٠٣، تقصر ٣٦٦، وتعيفوا ١٤٥، وقفوا ١٤٥، جمل ١٢٧، عقلى ٢١٠، ٢١١، كلامها ٢٢١، ٢٥٧

جنادة بن نجبة فينعاها ٢٠٥

جنى اللحد ٢٢٢، ساتره ٢٢٢، سالم ٢٢١، ٢٢٢

ظلام ٢٢٢

جواس بن هريم صقع ١١

(ح)

---

(١) الموشح في مآخذ العلماء على الشعراءالمرزباني ص/٤٠٤

حاتم الطائى تعطف ٣٢٣

الحارث بن حلزة كدا ٢٩٧

الحارث بن خالد المخزومى العقل ٢٦٨

الحارثى الفلوص ٢٣٣

حسان بن ثابت لحاء ٦٤، الأعاصير ١٠، مضمار ٤٠، مفخر ٣٥٠، العصافير ١٠، الظهر ١١٩، توصه ٦، والشيع ٧٣، أصولها ٧٢، سولها ٧٢، نزولها ٧٢، الكلوم ٧٣، دما ٦٩، مطعما ٧١

بنت حسان بن ثابت يقولها ٧٢

حسان بن يسار التغلبى طائر ٢٠٣

الحسين بن مطير ذاهب ٢٩٤، والرغائبا ٢٩٤

الحطيئة والبعد ١١٩، بدور ١١٧، حافره ١٠٩، مشافره ١١٩، الكاسى ٢٣، كثيف ١١٦، المجمعة ٤٤٥، علاها ١١٥

الحكم الخضرى الموقر ٢٩١، المنخر ٢٩١، يكف ٢٩٥، حكيم بن معية التميمى تنتا ١٢، وا ١٢

أبو حية النميرى." (١)

"مسلما/ أبو نواس/ ٣٤٧

آدما/ أبو نواس/ ٣٥٦

حراما/ شاعرهم/ ٣٩٥

النعما/ البحترى/ ٤١٢

(م)

العالم/ العجاج/ ٥، ١٩

بزمام/ امرأة من خثعم/ ١١

القضيم/-/ ١٢

الخصم/-/ ٢٠

سهم/-/ ٢٠

بدائم/ جرير/ ٣٢

فتفطم/ زهير بن أبى سلمى/ ٤٧

فينقم/ زهير بن أبى سلمى/ ٥١

فيهرم/ زهير بن أبى سلمى/ ٥١

المصلم/ الأعشى/ ٥٤

---

(١) الموشح في مآخذ العلماء على الشعراءالمرزباني ص/٤٩٠

يرتقينا/ عمرو بن الأيهم التغلبي/ ٦

الأريمين/ سحيم بن وثيل/ ١٥، ٣٥١." (١)

"وإذا جعلت) كاد (بمعنى) أراد (حسن دخول) أن (كما قال:

كادت وكدت وتلك خير إرادة ... لو عاد من وصل الحبيبة ما مضى

فقال: قد أخذا قوله: تعليقها الإسراج والإلجام من قول الأول:

تراد على دمن الحياض فإن تعف ... فإن المندى رحلة فركوب

فقلت له: هذا وإن كان آخذا على ما ذكرت، احسن من المأخوذ منه وأكشف للمعنى. قال: فأن الأعشى قد قال:

وفلاة كأنها ظهر ترس ... ليس إلا الرجيع فيها علاق

فقلت له: وهذا أيضا غير مكشوف كل الكشف، والسراج والإلجام أفصح وأوضح. فقال: أبو تمام الذي يقول:

ولى ولم يظلم وهل ظلم امرؤ ... حث النجاء وخلفه التنين

أرأيت إنسانا شبه بتنين؟ وإنما أراد قول كثير:

يقلب عيني حية بمحارة

أو قول الأخطل:

ضفادع في ظلماء ليل تجاوبت ... فدل عليها صوتها حية البحر

وهذا مذهب في المدح لم تزل ملوك بني أمية تتعلق به على شعرائها، وتنعاه في مداحها. فقلت له: يتسمح له بذلك لقوله:

جادت عليها من جماجم أهلها ... ديم أمارتها طلى وشؤون

بحر من الهيجاء يهفو ما له ... إلا الجماجم والضلوع سفين

ملك تضيء المكرمات إذا بدا ... لملك منه غرة وجبين

لانت مهزته فعز وإنما ... يشتد من متن الرمح حين يلين

فتركت أرشق وهي يدعى باسمها ... صم الصفا فتلين منه عيون

لاقاك بابك وهو يزأر فأنثنى ... وزئيره قد عاد وهو أنيشن

ورجا بلاد الروم فاستعصى بهش ... أجل أصم عن النجاء حرون

فقال: هو الذي يقول

كانوا رداء زمانهم فتصدعوا ... فكأنما لبس الزمان الصوفا

فقلت هو الذي يقول في هذه القصيدة:

يا منزلا أعطى الحوادث حكمها ... لا مطل في عدة ولا تسويفا

أرسى بناديك الندى وتنفست ... نفسا بعقوتك الرياح ضعيفا

---

(١) الموشح في مآخذ العلماء على الشعراءالمرزباني ص/٥١٦

شعف الغمام بعرصتيك وربما ... روت رباك الهائم المشعوفا

وفيها يقول:

أيام لا تسطو بأهلك نكبة ... إلا تراجع مصروفا

وإذا رمتك الحادثات بلحظة ... ردت ظباتك طرفها مطروفا

وفيها يقول:

إن غاض ماء المزن فضت ... كبد الزمان علي كنت رؤوفا

فقال أبو الطيب: وهو الذي يقول:

تسعون ألفا كآساد الشرى نضجت ... جلودهم قبل نضج التين والعنب

فقلت له: لهذا البيت نبأ أوجب قوله، ولو استقريته لما استجزت الطعن على قائله. ولو شاء قائل أن يقول: إنه لم تفتح قصيدة بأوجز ولا أخصر من قوله:

السف أصدق أنباء من الكتب ... في حده الحد بين الجد واللعب

لما عنف. فقال أليس هذا من قول الأول:

فلا تكثروا فيه الضجاج فإنه ... محا السيف ما قال ابن دارة أجمعا

فقلت: الأمر على ما ذكرته، وقد احتذيت هذا المعنى من أبي تمام فقلت:

) وهل تغني الرسائل في عدو ... إذا ما لم يكن ظبي رقافا (

وقلت: في هذه القصيدة يقول أبو تمام:

بكر فما افترعتها كف حادثة ... ولا ترقت إليها همة النوب

رمى بك الله برجيها فهدمها ... ولو رمى بك غير الله لم يصب

فقال: أما هذا في كتابكم؟ فكفر لعنه الله) وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى (قلت: وفيها يقول:

فتح تفتح أبواب السماء له ... وتبرز الأرض في أثوابها القشب

لم يغز يوما ولم ينهد إلى بلد ... إلا تقدمه جيش من الرعب

لما رأى الحب رأي العين توفلس ... والحرب مشتقة المعنى من الحرب

فقال أليس هذا من قول النابغة الجعدي:

ونستلب الدهم كان ربها ... ضنينا بها والحرب فيها الحائب

قلت: وفيها يقول:

بصرت بالراحة الكبرى فلم ترها ... تنال إلا على جسر من التعب." (١)

---

(١) الرسالة الموضحة في ذكر سرقات أبي الطيب المتنبي وساقط شعرهابن المظفر الحاتمي ص/٤٧

"البقر تلقي أسنانها لسنتين، وإذا كثر نزو الذكور منها وحمل الإناث يكون ذلك علامة شتاء وجود أمطار وخصب، وإناثها تطمث.

إناث الخيل تضع أولادها في أحد عشر شهرا، أو في الثاني عشر.

الحيات رغبة نهمة، قليلة شرب الماء، لأنها لا تضبط أنفسها، وإذا شمت الشراب فإنها تشتاق إليه جدا.

الأسد إذا بال رفع رجله كما يرفع الكلب.

البقر تشتهي شرب الماء الصافي النقي، والخيل على الضد فإنها تشرب مثل الجمال الماء الكدر الغليظ.

الغنم في الخريف تشرب الماء الذي تصيبه ريح الشمال، وذلك الوقت أوفق لها.

الدراج إذا هبت الريح شمالا تتزاوج وتخصب، وإن كانت جنوبا ساءت حالها ومرضت.

السمك الذي يأوي إلى الشطوط من ناحية البر ألذ من الذي يأوي اللجج وما كان منها مستطيل الجثة فهو يخصب في الصيف وهبوب الشمال، والعريض الجثة على ضد ذلك، وأكثر ما يصاد السمك قبل طلوع الشمس لكلبه على الرعي، وطلب الطعم.

والسمك الجاسي الجلد يخصب في السنة المطيرة، لأن ماء البحر يحلو فيها.

الكلب له ثلاثة أمراض: الكلب، والذبحة- وهو القاتل لها- والنقرس.

والداء الذي يقال له الكلب يعرض للجمال أيضا، فإذا كلب الجمل بخر ولم يؤكل لحمه.

الخيل إذا ألقت حوافرها وقت تنصل نبت لها حافر آخر عاجلا، لأن نباته يطلع مع نصول الحافر. وعلامة ذلك اختلاج الخصية اليمنى.

ويعرض للخيل داء شبيه بالكلب، وعلامته استرخاء آذانها إلى ناحية أعرافها، وامتناعها من العلف، وليس لهذا الداء علاج إلا التسكين.

لا يكون في بلد الهند خنزير. لا أنيس ولا بري، وفي أرض تعرف بكذا يجز البقر كما يجز الغنم، وفي أرض النوبة تولد الكباش نابتة القرون.

وإناث الكلاب السلوقية أسرع إلى الأدب من الذكور.

جميع أجناس الحيوان إناثها أقل جرأة وأجزع، ما خلا الذئبة، فإنها أصعب خلقا وأجرأ من الذكور.

العقاب **والتنين** يتقاتلان، والعقاب تأكل الحيات حيثما وجدتها.." (١)

"إن الفقير ظنين كان فما ... ينفك يرمى وإن لم يجن بالتهم

٩٧ - قال صاحب الكتاب: ويقال إذا افتقر الرجل اتهمه من كان له مؤتمنا وأساء به الظن من كان يحسنه فيه فان أذنب غيره اتهم وكان لسوء الظن موضعا.

---

(١) الإمتاع والمؤانسةأبو حيّان التوحيدي ص/١٢١

" ١٣٨ " قال عرزم الغفاري أيضا:

وكنت مصدقا في كل أمر ... أمينا ما غضبت وما رضيت

أزكى حين أذكر في فريق ... وأحمد إن بعدت وان دنوت

وذاك ليالي الإثراء مني ... على أبي الضنين بما حويت

فلما اجتاح مالي ريب دهري ذممت بحيث في بلد ثويت

فصرت لسوء ظنة من رماني ... ومتهمي الظنين بما رميت

٩٨ - قال صاحب الكتاب: ويقال ليس في الغني من خلة تحمد إلا وهي في الفقير تذم. فإن كان الفقير شجاعا قيل أهوج، وأن كان جوادا قيل متلاف، وان كان حليما قيل ضعيف، وان كان صموتا قيل عيي، وان كان لسنا قيل مهذار.

" ١٣٩ " قال ابن رعلاء الغساني: يشان القليل الوفر في الناس بالذي يزان به ذو المال وهو ذميم

فيمدح من قول وفعل بكل ما ... يذم به ذو الفقر وهو كريم

٩٩ - قال صاحب الكتاب: ويقال الفاقة تعدل الموت بل الموت خير من الفاقة التي تضطر صاحبها إلى المسألة ولا سيما أن تضطره إلى مسألى اللئام.

" ١٤٠ " قال ابن رعلاء الغساني ايضا:

ليس من مات فاستراح بميت ... انما الميت ميت الأحياء

إنما الميت من يعيش شقيا ... كاسفا باله قليل الرجاء

من أناس يمصصون شهادا ... وأناس حلوقهم في الماء

١٠٠ - قال صاحب الكتاب: ويقال لإدخال الكريم يده في فم التنين فيستخرج منه سما قانلا يقتات به أحب عليه من مسألة اللئيم الأنوك.

" ١٤١ " قال المساور بن هند بن قيس بن زهير العبسي:

لأكلي من فريسة ليث غاب ... مساوره عليها في مقام

أحب علي خطبا حين أبلى ... وأهون من مطالبة اللئام

١٠١ - قال صاحب الكتاب: ويقال من ابتلي بفرقه الإخوان والأحبة والغربة وابتلي بفاقة تضطره إلى المسألة فالحياة له موت وفي الموت له راحة.

" ١٤٢ " قال معبد بن حمران التميمي ومات بكابل هاربا من الحجاج وكان من كبار أصحاب ابن الأشعث:

وفارقت أحبابا وإخوان لذة ... وشطت بي الدار التي كنت أنزل

أخا فاقة تضطر أن أسأل الورى ... فأين مقامي أو إلى أين أرحل

فعيشي موت والممات فراحة ... لمثلي في الترحال أو حيث ينزل

١٠٢ – قال صاحب الكتاب: ويقال العداوة الباطنة الظاهرة الصداقة أشد ضررا من العداوة الظاهرة.

" ١٤٣ " قال عياض بن غنم التغلبي في عبد الملك بن مروان ينذره عداوة زفر بن الحارث الكلابي:

يكاشر بالصداقة وهو أعدى ... من الشيطان للرجل التقي

وذاك أضر من مبد بغيظ ... عداوته من المخفي الولي

وما أنت المعلم بل عليم ... فدونك حزم ذي الرأي الأبي

١٠٣ – قال صاحب الكتاب: ويقال العاقل يفي لمن صالح بما جعل له ولا يثق لنفسه بمثل ذلك من عدوه الذي لا تؤمن غائلته في بعد ولا قرب ويحترس منه كيف كان وما استطاع.

" ١٤٤ " قال جرير:

كن ذا وفاء لمرء قد شددت له ... حبلا بعقد ومن عاهدت من أحد

ولا تثق بالعدى في مثلها أبدا ... في حيث خيمت في قرب وفي بعد

١٠٤ – قال صاحب الكتاب: ويقال العاقل إذا رجا نفع العدو اظهر له الصداقة، وإذا خاف ضرره أظهر له العداوة.

" ١٤٥ " قال ذو الرمة:

ذو العقل يظهر ودا للعدو على ... نفع يرجيه فعل الحازم الخدع

وإن تخوف ضرا منه نابذه ... من العداوة بالمستفظع البشع

١٠٥ – قال صاحب الكتاب: ويقال ربما قطع الصديق صديقه الذي كان يصله فلا يخاف غائلته لأن أصل أمره لم يكن مبتدئا عن عداوة.

" ١٤٦ " قال الأخطل:

عتبت عليه فنابذته ... على غير حقد له كامن

فلم يخش غائلتي غائبا ... ولم أخشه ظنة الآمن." (١)

"فان الرجل ذا المروءة قد يكرم على غير مال كالاسد الذي يهاب وان كان رابضا. والغني الذي لا مروءة له يهان وان كثر ماله كالكلب الذي يهان وان طوق وخلخل " ك١٤١ ".

والرجل ذو المروءة قد يكرم على غير مال كالأسد يهاب وان كان عقيرا والرجل الذي لا مروءة له يهان وان كثر ماله

---

(١) مضاهاة أمثال كليلة ودمنةمحمد بن حسين اليمني ص/١٤

كالكلب الذي يهون على الناس وان طوق وخلخل " د٣٥ -
٣٦ ".
ما ارى التبع والاخوان والاهل الا مع المال ولا تظهر المروءة والرأي والمودة إلا به فاني وجدت من لا مال له إذا اراد ان يتناول امرا قعد به عنه العدم كالماء الذي يبقى في بطون الاودية عن مطر الصيف فلا هو إلى بحر ولا إلى نهر فيبقى في مكانه لأنه لا مادة له " ك١٣٧ ".
ما التبع والاعوان والصديق والحشم إلا للمال ولا يظهر المروءة الا المال ولا الرأي ولا القوة إلا بالمال " د٣٤ ".
ووجدت من لا اخوان له فلا أهل له ومن لا ولد له فلا ذكر له ومن لا عقل له فلا دنيا له ولا آخرة ومن لا مال له فلا عقل له لأن الرجل إذا اصابه الضر والحاجة رفضه اخوانه وقطع ذوو قرابته وده وهان عليهم واضطرته المعيشة وما يعالج منها لنفسه وعياله إلى التماس الرزق فيما يغرر فيه بنفسه ودينه وهلاك آخرته فإذا هو قد خسر الدنيا والآخرة " ك١٣٧ ".
ومن لا اخوان له فلا أهل له ومن لا اولاد له فلا ذكر له ومن لا عقل له فلا دنيا ولا آخرة ومن لا مال له فلا شي له " د٣٤ ".
فان الشجرة النابتة في السباخ المأكولة من كل جانب أمثل حالا من الفقير الذي يحتاج إلى ما في ايدي الناس " ك١٣٧ ".
فالفقر رأس كل بلاء وداعية المقت إلى صاحبه وهو مسلبة للعقل والمروءة ومذهبة للعلم والادب ومعدن للتهمة ومجمعة للبلايا " ك١٣٧ ".
والفقر داعية إلى صاحبه مقت الناس وهو مسلبة للعقل والمروءة ومذهبة للعلم والادب ومعدن التهمة ومجمعة للبلايا " د٣٤ ".
ووجدت الرجل إذا افتقر اتهمه من كان له مؤتمنا واساء به الظن من كان يظن به حسنا فإن اذنب غيره كان للتهمة موضعا " ك١٣٨ ".
فإذا افتقر الرجل اتهمه من كان له مؤتمنا وأساء به الظن من كان يظن به حسنا فان اذنب غيره اظنوه وكان للتهمة وسوء الظن موضعا " د٣٤ ".
وليس من خلة هي للغني مدح الا وهي للفقير ذم. فان كان جوادا سمي مفسدا وان كان حليما سمي ضعيفا وان كان وقورا سمي بليدا وان كان لسنا سمي مهذارا وان كان صموتا سمي عييا " ك١٣٨ ".
وليس خلة هي للغني مدح الا وهي للفقير عيب. فان كان شجاعا سمي اهوج وان كان جوادا سمي مفسدا وان كان حليما سمي ضعيفا وان كان وقورا سمي بليدا وان كان لسنا سمي مهذارا وان كان صموتا سمي عييا " د٣٤ -
٣٥ ".
وقرأت في كتاب للهند: ليس من خلة يمدح به الغني الا ذم بها الفقير فان كان شجاعا قيل اهوج وان كان وقورا قيل بليد وان كان لسنا قيل مهذار وان كان زميتا قيل عيي " ع١:
٢٣٩ " فالموت اهون من الفاقة التي تضطر صاحبها إلى المسألة.... ولا سيما مسألة الاشحاء الادنياء اللؤماء " ك١٣٨

."

فان الكريم لو كلف ان يدخل يده في فم التنين فيستخرج منه سما فيبتلعه كان اخف عليه من الطلب إلى اللئيم " ك١٣٨ ."

وقد قيل من ابتلي بمرض في جسده لا يفارقه او بفراق الاحبة والاخوان أو بالغربة حيث لا يعرف مبيتا ولا مقيلا ولا يرجو إيابا أو بفاقة تضطره إلى المسألة فالحياة له موت والموت له راحة " ك١٣٨ ".

وكان يقال: من ابتلي بمرض في جسده لا يفارقه أو بفراق الاحبة والاخوان أو بالغربة حيث لا يعرف مبيتا ولا مقيلا ولا يرجو ايابا أو بفاقة تضطره إلى المسألة فالحياة له موت والموت له راحة " د٣٥ ".

انه رب عداوة باطنة ظاهرها صداقة وهي أشد ضرا من العداوة الظاهرة " ك٢٣٤ ".

والعاقل يفي لمن صالح بما جعل له ويثق بذلك من نفسه ولا يثق ولا يثق لها بمثل ذلك من احد ولا يؤثر على البعد من عدوه ما استطاع شيئا " ك٢٣٥ ".

فان العاقل إذا رجا نفع عدو اظهر له الصداقة وإذا خاف ضر الصديق اظهر له العداوة " ك٢٣٤ ".

وربما قطع المرء عن صديقه بعض ما كان يصله بفضله فلم يخف شره لأن اصل امره لم يكن عداوة " ك٢٣٤ – ٢٣٥ ".

فاما من كان اصل امره عداوة وتحدث صداقة لحاجة حملته على ذلك فأنه إذا ذهب الأمر الذي احدث ذلك صار إلى اصل امره كالماء الذي يسخن بالنار فإذا رفع عنها عاد باردا " ك٢٣٥ ".." (١)

"ويقصر القمر أحيانا، فينزل بسعد بأثره، وهما كوكبان أسفل من سعد السعود، ثم ينزل بسعد الأخبية وهو أربعة كواكب، واحد منها في وسطها، ثم ينزل بعرقوة الدلو العليا، وهي كوكبان أزهران مفترقان يقال لهما فرغا الخريف، ويدعيان ناهزى الدلو المقدمين، والناهز الذي يحرك الدلو ليمتلئ، ثم ينزل بعرقوة الدلو السفلى وهي كوكبان أزهران مفرقان ويقال لهما فرعا الربيع ويدعيان ناهزى الدلو المؤخرين، ولسقوطهما بالغداة نوء أربع ليال، ولطلوعهما بالغداة بارح ليلة، ويقصر القمر أحيانا فينزل بالكرب، والكرب الذي في وسط العراق، وربما نزل ببلدة الثعلب وهي بين الدلو والسمكة عن يمين المرفق ثم ينزل ببطن السمكة وهو كوكب أزهر نير في وسط منها مما يلي الرأس، وصورة السمكة عن يمين المرفق ثم ينزل ببطن السمكة وهو كوكب أزهر نير في وسط منها مما يلي الرأس، وصورة السمكة التي في المجرى على حلقة السمكة كواكب تنفرج في فم السمكة فلا تزال تتسع كالجبلين إلى وسطها، ثم لا تزال تنضم إلى ذنبها ويعدل القمر أحيانا فينزل بالسمكة الصغرى وهي أعلاهما في الشمال على مثل صورتها إلا أنها أعرض وأقصر، وهي تحت نحر الناقة، ولها نوء ليلة عند العرب ولطلوعها بالغداة بارح ليلة. قد ذكرنا منازل القمر وما قيل من العرب في الأنواء والبوارج والمنازل ونذكر الآن صور الكواكب على مذهب المنجمين، ونسب كل كوكب عرفته العرب إلى موضعه منها بعون الله وتوفيقه. قالوا: إن جميع الكواكب المرصودة سوى الصغار التي لم ترصد ألف واثنان وعشرون كوكبا سوى الصغيرة وهي ثلاثة كواكب تجمعها ثمان وأربعون

---

(١) مضاهاة أمثال كليلة ودمنةمحمد بن حسين اليمني ص/٢٩

صورة، منها في النصف الشمالي إحدى وعشرون صورة وأسماؤها الدب الأصغر، والدب الأكبر، كوكبة **التنين**، قيقاوس العواء الذي يقال له الصياح، الإكليل الشمالي وهو الفكة، الجاثي على ركبته، الشلياق وهو النسر الواقع، الطائر وهو الدجاجة، ذات الكرسي، برشاوش وهو حامل رأس الغول، ممسك الأعنة، الحواء الذي يمسك الحية، حية الحواء، السهم، العقاب وهو النسر الطائر،." (١)

"قفزة تشبه أثر ظلفى الظبي، والقفزة الأولى وهي التي على الرجل اليمنى من الصورة تتبعها الصرفة وهو الكوكب النير الذي على ذنب الأسد، والضفيرة وهي الكواكب المجتمعة التي فوق الصرفة وهي التي تسميها العرب الهلبة، وبين الهلبة وبين القفزة الأولى من البعد مثل البعد ما بين كل قفزتين. تقول العرب: " ضرب الأسد بذنبه الأرض فقفزت الظباء ". وتسمى أيضا الثعيليات والقرائن. ويسمون الكواكب السبعة التي على العنق الصورة وصدرها، وهي كأنها نصف دائرة، تسمى سرير نبات النعش، والحوض والكواكب التي على الحاجب والعينين والأذن والحطم يسمى الظباء، يقولون: إن الظباء لما قفزت وردت الحوض. وفي الجملة الثانية الخارجة من الصورة كوكب تسمى: كبد الأسد وفيها أيضا كوكبان يسميان مع كواكب خفية كثيرة أولاد الظباء وأكثر كواكب هذه الصورة في السرطان غير الثلاثة التي على الذنب فإن اثنين منهما في الأسد، والثالث الذي على طرف الذنب في الأسد. كوكبة **التنين** وكواكبه أحد وثلاثون كوكبا كلها حزاء الصورة وعلى طرف لسانه كوكب تسميه العرب،: الراقص وعلى رأسه أربعة تسميه العوائد، وفي وسط العوائد كوكب صغير جدا يسمى الربع، وبين العوائد وبين الفرقدين كوكبان نيران يسميان الذئبين والجرين، والعوهقين، وفي أصل الذنب كوكب يسمى الذبح وقبلهما كوكبان خفيان يسميان أظفار الذئب، وقد وقعت العوائد بين الذئبين وبين النسر الواقع فشبهت العرب النيرين، بذئبين والراقص في العقرب واثنان من العوائد في العقرب، واثنان في القوس واحد من الأثافي في الحمل واثنان في الثور والذنبان والذيخ في السنبلة والأظفار في الأسد قد طمعا في استلاب الربع وشبهت العوائد بأربع أينق قد عطفن على الربع، والنسر أيضا يحامي عليه، وعلى وسط الصورة ثلاثة كواكب تسمى الأثافي وهو الملتهب. كوكبة قيقاوس وهو الملتهب كواكبه أحد عشر من الصورة واثنان من خارج الصورة وعلى جنبه الأيمن كوكب وعلى منكبه الأيسر اختلفت الروايات عن العرب فذكر بعضهم أنها تسميها كوكبى الفرق. وذكر آخرون أنهما كوكبي." (٢)

"حزيران

سلطان المرة الصفراء ثلاثون يوما، آيته ستة، وهو بالفارسية اردبهشت ماه، آيته ثلاثة وهو أول شهور القيظ، وله من البروج الجوزاء، وهو ذو جسدين وهو التوأمان من بروج الرياح، برج مذكر مغربي شرف رأس **التنين**، ربه بالنهار زحل وبالليل عطارد.

ويشاركه بالليل والنهار المشتري. الإقليم بربر وإفريقية، وله من النجوم ثلاثة: الهقعة- والهنعة- والذراع- وفي إحدى عشرة منه تطلع الهقعة وتسقط الشولة، وفي أربع وعشرين منه تطلع الهنعة ويسقط النعايم، ويرجع الشهر، ويهبط من صعودها

---

(١) نثر الدر في المحاضراتالآبي ١٩٣/٦

(٢) نثر الدر في المحاضراتالآبي ١٩٥/٦

الأعلى، وهو أطول يوم في السنة، وهو اليوم الذي ولد فيه يحيى بن زكريا عليهما السلام فيما زعموا ويزعم أهل العلم أن داود النبي عليه السلام فيه افتتن، وفي ثلاثين منه يطلع الذراع ويسقط البلدة، وفيه تسكن الرياح ويشتد الحر.

تموز

سلطان المرة الصفراء واحد وثلاثون يوما، آيته واحدة، وهو بالفارسية خرداد، آيته خمسة، وهو أوسط القيظ، وله من البروج السرطان برج منقلب أنثى من بروج الماء، وهو شرف المشتري وهبوط المريخ، ربه بالنهار المريخ وبالليل الزهرة، ويشاركه بالليل والنهار القمر. والإقليم الشام والجزيرة والروم، وله من النجوم النثرة- والطرف- وثلث الجبهة- ويشتد الحر فيه، ولسبع منه يطلع الذراع وتسقط البلدة. ويقوم سوق سليمة جمعتين، ويرتفع الطاعون بإذن الله تعالى، وفيه يحرث ما يصلح في تلك السنة من الزرع، وما يفسد منه، ويؤخذ لوح قبل أن تطلع الشعرى بتسع ليال، فيزرع عليه من كل صنف حتى إذا كان ليلة تطلع الشعرى وضع ذلك فوق بيت على مكان مرتفع لا يحول بينه وبين السماء شيء فما أصبح منه مخضرا فإنه يصلح بإذن الله تعالى، وتطلع الشعرى الغامضة في خمس منه. وفي عشرين منه تطلع النثرة ويسقط سعد الذابح، وفيه مولد السنة أبدا، فاحفظ منه أعلام الشتاء، ويزرع البطيخ الشتوي في أرض اليمن.

آب

سلطان المرة الصفراء واحد وثلاثون يوما، آيته أربعة، وهو بالفارسية تيرماه، آيته سبعة، وهو آخر شهور القيظ. وله من البروج الأسد، وهو برج ثابت مذكر مشرقي من بروج الملوك توافقا، وهو بيت الشمس، ربه بالنهار الشمس وبالليل المشتري، ويشاركه بالليل والنهار زحل، الإقليم بابل. وللأسد من النجوم ثلثا الجبهة- والخراتان- وثلثا الصرفة- في." (١)

"ثلاثة: زهر مصطفة متقوسة قد قطعت المجرة عرضا ويسمى: توابع العيوق. ويقال لها:

الأعلام أيضا. ويقال للذي تحته: رجل العيوق.

ومن أمثالهم فيما يبعد من الطمع: هو أبعد من العيوق، كما يقولون: هو أبعد من الثريا. وهناك سطر من كواكب امتدت في الشمال على انعطاف تسمى: الكف الجذماء لقصرها، ويقولون للثريا: الرأس فيما بين اليدين وفي اليمنى كواكب هي أنورها فيها العاتق وهو أقربها إلى الثريا، ثم المنكب بعده، ثم المرفق كويكب صغير يقال له: إبرة المرفق، وهنالك أيضا المابض. أما ابرة المرفق من الإنسان فهو طرف عظم الساعد وهو الذي يذرع بذراع والطرف الآخر الذي يثنى إذا قبضت ذراعك إليك يقال له: القبيح. حيث تلاقي الإبرة القبيحا.

ويقال لما بين المرفق والمعصم الساعد ويصغر فيقال: السويعد. ويقال ما بعد المعصم وهي الكف، الخضيب كف الثريا. وهناك كوكب نير قدر كوكبي المرفق والعضد فهو معهما في صورة مثلثة واسعة كل كوكب في زاوية من زواياها والمنجمون يسمون هذا الكوكب: رأس الغول. وقريب منه كوكب نير فيما بين قلب الحوت ومرفق الثريا يسمى:

عناق الثريا وهي غير العناق الذي في بنات نعش.

وروى ابن الأعرابي عن العرب: قال عند بنات نعش كوكب يقال له: رأس الحية ورأس الحية مثل رأس الخلخال، **والتنين** فيما

---

(١) الأزمنة والأمكنةالمرزوقي ص/٤٨٠

وصفه المنجمون هناك عند رأسه.

ويوجد من بنات نعش كوكب أحمر يقال له: الذبح. وهو ذكر الضباع. وهناك كواكب صغار فيما بين القرحة والجدي.

والراعي كوكب من كواكب الشاء. وكلب الراعي: كوكب صغير قريب منه.

وأسفل من بنات نعش كواكب كثيرة مختلطة يقال لها الضباع.

ويوجد كواكب صغار عن يمين الضباع بينها وبين بنات نعش. والخباء كواكب في مثل هيئة الخباء أسفل من أولاد الضباع.

وخلف العاتق كوكبان بينه وبين العنق يسميان: المرجف والبرجس.

وقال عن يمين الكف الجذماء البقر أسفل من الكف الجذماء متصلة بالثريا فهذه مشاهير الكواكب الشامية.

ونذكر الآن الكواكب اليمانية فمنها: منكبا الجوزاء وهما أيضا يداها. والأيمن منهما كوكب أحمر، وقد وضع في الاصطرلاب، والعرب تسميه مرزم الجوزاء، والهقعة بين." (١)

"وندمان ترادفه خمار ... فأورث في أنامله ارتعادا

فليس بمستقل الكأس مالم ... تكن يسراه لليمنى عمادا

وقال:

وندمان صدق باكر الراح سحرة ... فأضحى وما منه اللسان ولا القلب

فناولته كأسا جلت من خماره ... وأتبعته أخرى فثاب له لب

وقال الصنوبري:

ما دواء العقار [غير] العقار ... لعليل يدعى قتيل الخمار

فاشرب البكر من يد البكر واعلم ... أن خير الهوى هوى الأبكار

واصطبحها على ميادين خيري وورد ونرجس وبهار

جمعت زرقة البنفسج مع خضرة آس وحمرة الجلنار

وقال عبد الله بن المعتز:

قم يا نديمي قد قضيت لبانة ... في طول ليلك من رقادك فاقعد

فتداو من داء الخمار بشربة ... تنفي الهموم وإن بدا لك فازدد

قلت: الصبوح، فقال: هات، [فقلت] ها خذها، فقال: أبت تطاوعني يدي وقال آخر:

وصرعغة مخمور دفعت بقرقف ... وقد صرعتني بعد ذلك قرقف

فقام يداوي صرعتي متعطفا ... وكنت عليه قبلها أتعطف

نموت ونحيا تارة بعد تارة ... وتخلفنا لأيدي السقاة وتتلف

وقال ابن أبي فنن:

---

(١) الأزمنة والأمكنةالمرزوقي ص/٥٥١

لما بدا من أواخر الغلس ... أقبل صبح كغرة الفرس

نبهت ندماني إلى مسعد ... زين بكاس كشعلة القبس

فقلت خذ من أخيك صافية ... أطيب من نيل قبلة الخلس

فقام من شدة الخمار له ... كف فروق وقلب مفترس

وقال بعضهم:

إذا أنا ميزت الخمار وجدته ... يكدر ما في الخمر من لذة الخمر

فأحجم عن شرب النبيذ مخافة ... على جسدي من أن يئول إلى الضر

وإن امرءا يبتاع لهوا بصحة ... له سكرة تغنيه عن طلب السكر

ذكر ما جاء في العربدة

شرب الحسين بن الضحاك الخليع يوما عند إبراهيم بن المهدي فجرت بينهما ملاحاة في الدين والمذهب، فدعا إبراهيم بالنطع والسيف وقد أخذ منه الشراب، فانصرف الحسين غضبان، فكتب إليه إبراهيم يعتذر من ذلك وسأله أن يجيبه فكتب إليه الحسين:

نديمي ليس منسوبا ... إلى شيء من الحيف

سقاني مثل ما يشرب فعل الضيف بالضيف

فلما دارت الكأس ... دعا بالنطع والسيف

كذا من يشرب الراح مع التنين في الصيف

ولم يعد إلى منادمته [ثم أن إبراهيم تحمل عليه ووصله فعاد إلى منادمته] .

وكان إبراهيم بن المهدي يلقب بهذا البيت أو لقب به من قبل.

ويقال أن عمر بن هبيرة الفزاري كان إذا سكر عربد على ندمائه وكان قصيرا، فقال يوما لنديم له يقال له غيداق وكان طويلا: أينا أطول، أنا أم أنت؟ فقلت: وقعت والله في شر، إن قلت أنت قال تهزأ بي، وإن قلت أنا، قال تحقرني، فقلت: أيها الأمير أنا أقصر منك ظهرا وأنت أطول مني ساقا وفخذا، فقال لي: ما أحسن ما خلصت منها.

وقال محمد بن خالد الأصفهاني:

لعمري بالنبيذ وشاربيه ... إذا شربوه زادهم سكونا

وحيا بعضهم بعضا عليه ... ولم يلفوا عليه معربدينا

فإياك النبيذ أحال بعدي ... فأورث من يعاقره جنونا

أرى الندماء قد رذلوا فليسوا ... كما كان الندام الأولونا." (١)

---

(١) قطب السرور في أوصاف الأنبذة والخمورالرقيق القيرواني ص/١٠٠

"يحدث نفسه بمثل ذلك فقال أقسمت عليك بحياتى إلا أخبرتنى فقال يا سيدي إن الأموات يشتهونك فكيف الأحياء فأمر بقتله فلما جىء بالنطع والسيف أنشد أبو نواس يقول

(أميرى غير منسوب ... إلى شيء من الحيف)

(سقانى مثل ما يشرب ... فعل الضيف بالضيف)

(فلما دارت الكاس ... دعا بالنطع والسيف)

(كذا من يشرب الراح ... مع **التنين** فى الصيف)

فأمر بإعفائه ووصله ويقال إن صاحب هذه القصة هو أبو عيسى ابن الرشيد

ويروى أن رجلا حدق النظر إلى الأمين فهم به بعض الخدم فقال بعض الحاضرين لا تلمه على النظر إلى زينة الله تعالى فى عباده

وكان الرشيد يقول للمأمون يا عبد الله أحب المحاسن كلها لك حتى لو أمكننى أن أجعل وجه أبي عيسى لك لفعلت

وقال يوما لأبي عيسى وهو صبي ليت جمالك لعبد الله يعنى المأمون فقال على أن حظه منك لى فعجب من قوة جوابه على صباه وضمه إليه وقبله

وقرأت رسالة لأبي إسحاق الصابى لا أذكرها وقد ضرب المثل فيها بحسن وجه الأمين وغناء إبراهيم بن المهدى وبلاغة جعفر بن يحيي وحفظ الأصمعى وطيب عشرة ابن حمدون وشعر البحترى

وقال أبو الحسن الموسوى من قصيدة يمدح بها الطائع لله." (١)

"الباب الستون فى فنون مختلفة الترتيب على التوالى حروف الهجاء

الألف إرجاف العوام

أيام الشباب

أخبار الآحاد

أنفاس الحبيب

أنفاس الرياض

أسارى الثرى

أثافى الشر

الباء بكاء السرور

باب السماء

باب الآخرة

(١) ثمار القلوب في المضاف والمنسوبالثعالبي، أبو منصور ص/١٨٩

بكر بكرين

بيدق الشطرنج

بغلة الشطرنج

التاء تحلة القسم

ترهات البسابس

تقسيمات إقليدس

الثاء ثقل الفيل

ثقل الدين

ثقل الرصاص

الجيم جهد البلاء

جهد المقل

جلسة الآمن

جلسة الخطيب

جهل الصبا

الحاء حكم الصبى

حلم النائم

حب الظرف

حاسى الذهب

حمى الروح

الخاء خدعة الصبى

خطيب القدر

خبط الفيل

الدال دار القرار

داء الكرام

دينار يحيي

دعوة المظلوم

الذال ذل الفقر

ذل الهوى

ذل العز

ذل السؤال

الراء رشاء الحاجة

راكب الفيل

راكب التنين

ريق الدنيا

رقية الزنا." (١)

"وله:

ولا تفزعن من كل شيء مفزع ... فما كل تربيع البروج بضائر

وأتم الأشياء نورا وحسنا ... بكر شكر زفت إلى صهر بر

ما قران السعدين في الحوت أبهى ... منظرا من قران بر وشكر

وله:

دعاني إلى بيته سيد ... له الخلق الأشرف الأظرف

فلازمت بيتي ولا طفته ... بعذر هو الألطف الأظرف

عطارد نجمي ولا شك أن م ... عطارد في بيته أشرف

وله:

يا معشر الكتاب لا تتعرضوا ... لرئاسة وتصاغروا وتخادموا

إن الكواكب كن في أشرافها ... إلا عطارد حين صور آدم

وله:

لا تعجبن لدهر ظل في صبب ... أشرافه وعلا في أوجه السفل

وانقد لأحكامه أنى تقاربها ... فالمشتري السعد عال فوقه زحل

غيره:

ولا غرو أن يمنى أديب بجاهل ... فمن ذنب التنين تنكسف الشمس." (٢)

"فأنشد [وافر]

فلو أني بليت بهاشمي ... خؤولته بنو عبد المدان

صبرت على عداوته ولكن ... تعالوا وانظروا بمن ابتلاني

يقول: لو بليت بهذا من السفاح الذي أخواله كرام لكان أهون علي من أن أبلى به ممن أمه أمه، يعني المنصور.

---

(١) ثمار القلوب في المضاف والمنسوبالثعالبي، أبو منصور ص/٦٦٢

(٢) التمثيل والمحاضرةالثعالبي، أبو منصور ص/١٩٢

١٥٠-شعر: [طويل]

ولا غرو أن يبلى شريف بخامل ... فمن ذنب التنين تنكسف الشمس

١٥١-بث رجل في وجه أبي عبيدة مكروها فأنشأ يقول: شعر [طويل]

فلو أن لحمي إذا وهى لعبت به ... سباع كرام أو ضباع وأذؤب

لهون وجدي أو لسلى مصيبتي ... ولكنما أودى بلحمي أكلب." (١)

"لأن هذه الأبيات كلها إذا سمع الإنسان صدورها وكان قد عرف الروى المقصود فيها أن عرف الكلمة التي تكون قافية قبل الوصول إليها وأمثال هذا كثيرة. وسيأتي ذكرها في باب القوافي والأسجاع وترك التكلف والتعقيد في الكلام بمشيئة الله وعونه.

ومن وضع الألفاظ المعروفة للمدح بل يستعمل في جميع الأغراض الألفاظ اللائقة بذلك الغرض في موضعها أن لا تعبر عن المدح بالألفاظ المستعملة في الذم ولا في الذم موضع الجد ألفاظه وفي موضع الهزل ألفاظه ومثال ما استعمل من هذه الألفاظ في غير موضعه قول أبي تمام:

ما زال يهذى بالمكارم دائبا ... حتى ظننا أنه محموم

وقوله:

وتثفى الحرب منه حين تغلى ... مراجلها بشيطان رجيم

وقوله:

ولى ولم يظلم وهل ظلم امرؤ ... حث النجاء وخلفه التنين

وقول الحسين بن الضحاك:

كذا من يشرب الراح ... مع التنين في الصيف

وقول أبي نواس:

جاد بالأموال حتى ... حسبوه الناس حمقا

وقول العنبري:

ما كان يعطى مثلها في مثله ... إلا كريم الخيم أو مجنون

وقول أبي تمام:

يا أبا جعفر جعلت فداك ... فاق حسن الوجوه حسن قفاك

لأن يهذى والمحموم والشيطان الرجيم والتنين والحمق." (٢)

(١) الشكوى والعتاباالثعالبي، أبو منصور ص/٦٩

(٢) سر الفصاحةابن سنان الخفاجي ص/١٦١

"والجنون وذكر القفا من الألفاظ التي تستعمل في الذم وليست من ألفاظ المدح.

وقد كان بعض الأدباء يعيب قول ابن الرومي:

من شعرها من فضة ... وثغرها من ذهب

ويقول: إن التشبيه بالفضة والذهب إنما يقع في المدح وكان يجب أن يهجو هذه المرأة بما يستعمل من ألفاظ الذم وطرقه.

فإن قال قائل: إذا كان التنين هو الحية وكانوا كثيرا ما يشبهون الممدوح بالحية. ويقولون: هو صل صفاة وحية واد وأرقم وأسود وغير ذلك كما قال أبو الطيب:

يمد يديه في المفاضة ضيغم ... وعيناه من تحت التريكة أرقم[1]

وقال آخر:

إني على رأس العدو وتحته ... لغمام قسطلة وحية واد[2]

وقال الرضى:

نبهت مني يا أبا الغيداق ... أصم لا يسمع صوت الراقي

ذا ريقة تهزأ بالدرياق ... كأنما أم من الإطراق[3]

وقال حريث بن عناب:

أترجو الحياة يا بن بشر بن مسهر ... وقد علقت رجلاك في ناب أسودا

من الصم تكفى مرة من لعابه ... وما عاد إلا كان في العود أحمدا

---

١ المقاضة: الدرع الواسعة والتريكة البيضة تشبيها لها ببيضة النعامة إذا خرج منها الفرخ.

٢ اللغام: زبد أفواه الإبل والقسطلة: هدير الإبل.

٣ أم: شج في رأسه.." (١)

"وأمثال هذا كثيرة فكيف يكون ذكر التنين عيبا ولا يكون ذكر الأرقم والصل والأسود عيبا أن ومعنى الجميع واحد.

قيل له: إننا لم ننكر التنين لأجل معناه فيقال لنا: إن معنى التنين والحية واحد وإنما عبناه من أجل مدحه لأن هذه اللفظة لم تستعمل في المدح وتلك الألفاظ قد استعملت فيه وليس يمتنع أن يكون للشيء الواحد اسمان يستعمل أحدهما في موضع ويستعمل الآخر في موضع آخر وهذا شئ إنما أصله العرف والعادة دون أصل وضع الأسماء في اللغة ألا ترى أن الإنسان إذا مدح ذكر الرأس والكاهل والهامة وإذا هجا ذكر القفا والأخادع والقذال وإن كانت معاني الجميع متقاربة. وليس يحسن أن يخاطب الملوك فيقال لبعضهم وحق يا فوخك أو قمحدودتك أو أخادعك أو قذالك أو قفاك قياسا على أن يقال له وحق رأسك لأن الاستعمال يختلف في الألفاظ وإن كان المعنى فيها غير مختلف على ما قدمناه.

ومن هذا الجنس حسن الكناية عما يجب أن يكنى عنه في الموضع الذي لا يحسن فيه التصريح وذلك أصل من أصول

---

(١) سر الفصاحةابن سنان الخفاجي ص/١٦٢

الفصاحة وشرط من شروط البلاغة. وإنما قلنا في الموضع الذي لا يحسن فيه التصريح لأن مواضع الهزل والمجون وإيراد النوادر يليق بها ذلك ولا تكون الكناية فيها مرضية فإن لكل مقام مقالا أن ولكل غرض فنا وأسلوبا ومما يستحسن من الكنايات قول امرئ القيس:

فصرنا إلى الحسنى ودق كلامنا ... ورضت فذلت صعبة أي إذلال

لأنه كنى عن المباضعة بأحسن ما يكون من العبارة.

وروى عن أبي الحسين جعفر بن محمد بن ثوابة: أنه لما أجاب أبا الجيش خمارويه بن أحمد ابن طولون عن المعتضد بالله من كتابه بانفاذ ابنته التي زوجها منه. قال في الفصل الذي احتاج فيه إلى ذكرها وأما الوديعة." (١)

"قال أبو فراس:

ما للرجال من الذي ... يقضى به الله امتناع

ذدت الأسود عن الفرا ... ئس ثم تفرسني الضباع «١»

قال أبو سعيد بن نوقة وقد أجاد ما شاء:

ولا غرو إن يبلى شريف بخامل ... فمن ذنب التنين ينكسف البدر

اختيار ركوب القتل على التزام الظلم

قال محمد بن وهب:

فتى يتقي أن يخدش الذم عرضه ... ولا يتقي حد السيوف البواتر «٢»

قال المتلمس:

فلا تقلن ضيما مخافة ميتة ... وموتن بها حرا وجلدك أملس

قال أبو فراس:

أرى ملء عيني الردى وأخوضه ... إذا الموت قدامي وخلفي المعايب «٣»

وله:

والموت عند طروق الضيم مورود

قال ابن نباتة:

لأصحبت الحياة إن صحبتني ... في الملمات مهجة تستضام

الممتنع من احتمال الظلم

قال الزبرقان:

قد رامني الأقوام قبلك ... فامتنعت من المظالم

قال خالد بن زهير:

---

(١) سر الفصاحةابن سنان الخفاجي ص/١٦٣

فإن كنت تبغي للظلامة مركبا ... ذلولا فإني ليس عندي بعيرها

قال آخر:

فلان لا يسأم خطة الخسف ... ولا يحمل على مركب العنف

قال:

لا يعلف الضيم ذو مجد وذو شرف ... ولا يبيت بوادي الخسف مذموما «٤»." (١)

"ولعابدة المهلبية:

لا تسألن المرء ذات يديه ... فيحقرنك من رغبت إليه

المرء ما لم ترزه لك مكرم ... فإذا رزأت المرء هنت عليه «١»

وقال آخر:

استغن ما استطعت عن أخيك ولو ... أعشب كل البلاد عن مطره «٢»

وقيل: إياك والمسألة فإنها آخر كسب المرء.

قال أحدهم:

وذقت مرارة الأشياء جميعا ... فما طعم أمر من السؤال

وقال آخر:

ذل السؤال وثقل الشكر ما اجتمعا ... إلا أضرا بماء الوجه والبدن

وقال المخزومي:

ما أبعد المكرمات عن رجل ... على نوال الرجال يتكل

وقال آخر:

إن السؤال يريد وجه حديد

ومما يدخل في هذا الباب قول النبي صلى الله عليه وسلم: ما أتاك من هذا المال وأنت غير مشرف عليه ولا سائل فخذه ومالا فلا تتبعه نفسك.

النهي عن سؤال من تعوده

. قال شاعر:

فإن كنت لا بد مستطعما ... فمن غير من كان يستطعم «٣»

وقال آخر:

ولا تطلبن المال ممن أفاده ... حديثا ومن لم يورث المال وارثه «٤»

وقيل: إدخالك اليد في فم **التنين** أسهل من سؤال دنيء تعود المسألة.

---

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاءالراغب الأصفهاني ٢٧٤/١

ولعابدة المهلبية:

إذا ما طلبت نوال الفتى ... وقد نالك الدهر من شده

فلا تسألن فتى كالحا ... أصاب الرياسة من كده «٥»." (١)

"وأدن وضع صدرك لي ساعة ... إني امرؤ أنكح جلاسي

أفتريد أن تكون جليسه.

ولبعض الخاسرين:

لا أبغض منادمي إن نكته ... إني لنيك منادمي معتاد

وكذاك لست ألومه إن ناكني ... فلقد علمت كما أكيد أكاد

العربدة

قال الأصمعي: العربدة حية تنفخ ولا تؤذي، ومنه قيل لمعربد بوجهه خموش: ما هذه الكلوم؟ قال: آثار الكلام. وكان رجل معربد له يسار، وكان إذا عربد على واحد أعطاه خمسمائة درهم، فقال لإنسان: هل لك أن تنادمني؟ قال: على أن تعربد علي عربدة نحو مائتين، فإني لا أقوى على عربدة خمسمائة. وقال الحسين بن خليع: نادمت يوما إبراهيم بن المهدي فسكر وعربد علي، فدعا بالنطع والسيف، فتكلم في أصحابه فتجافى عني، ثم تأخرت عنه فدعاني، فكتبت إليه:

أمير غير منسوب ... إلى شيء من الحيف «١»

سقاني مثل ما يش ... رب فعل الحر بالضيف

فلما دارت الكاس ... دعا بالنطع والسيف

كذا من يشرب الراح ... مع التنين في الصيف «٢»

فدعاني وأرضاني.

ثم كان المأمون يضاحك إبراهيم بهذه الأبيات ويولع بها.

وسئل عبيد الله بن محمد عن طنبوري له، فقال: هو بليد حديد عربيد أن حث عثر وإن أمسك قصر، وان ابتدأ غلط، وإن اقترح عليه سخط، وإن دعي مطل وإن ترك تطفل.

وقيل: صاحب السكر يصير إما إلى قردية وهو الذي يضحك ويرقص ويحاكي، أو إلى كلبية وهو الذي يهارش، أو إلى خنزيرية وهو الذي يتقيأ ويخرأ ويتلوث فيه، أو إلى إنسانية وهو الذي يحسن خلقه. ولبعضهم يصف معربدا:

إذا انتشى خاصم في الدين وإن ... صادف إنسانا يماريه «٣»

ويدعى الشرب ويهذي به ... والقدح الواحد يكفيه

---

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاءالراغب الأصفهاني ٦٢٨/١

يحبس كاس القوم في كفه ... حتى إذا قالوا له إيه «٤»

أفضل ثلث الكاس في قعرها ... ومج ثلث الكاس من فيه." (١)

"قال الشاعر:

ضفادع في ظلماء ليل تجاوبت ... فدل عليها صوتها حية البحر

وقيل في الخرافيات إن الضفدع كان ذا ذنب فسلبه لما راهن على الصبر عن الماء.

وفي قرآن مسيلمة لعنه الله: يا ضفدع كم تنقين نصفك في الماء ونصفك في الطين. لا الماء تكدرين ولا الشراب تمنعين.

ونهى النبي صلى الله عليه وسلم عن قتله.

قال الخوارزمي:

أرقني والديك لم ينطق ... صوت غريق نصفه لم يغرق

وجاحظ العين ولما يخنق ... بلحظ مخنوق ولفظ أشرق

وفيه:

كعقد الناكح حين ينزل

التمساح

لا يكون إلا في نيل مصر، ويأكل الإنسان. وقيل: إن بطنه كقباء «١» مفروج وكل شيء يأكل بالمضغ دون الإبتلاع فإنه يحرك فكه الأسفل إلا التمساح فإنه يحرك الأعلى.

التنين

ينكره أكثر الناس إلا بعض الشاميين يزعم أنه إعصار فيه نار يخرج من بخار الأرض فلا يمر على شيء إلا أحرقه.

(٧) ومما جاء في أحوال الحيوانات وطبائعها

المتزاوجة من الحيوانات

ليس التزاوج إلا في ذي رجلين دون ذوات الأربع، وذلك في الإنسان والحمام وأجناسها. وأما الدجاج والحجل فإنها تمكن كل ذكر من نفسها.

البائضة والوالدة

كل ما لا أذن ظاهرة لجنسه فإنه يبيض وماله أذن ظاهرة فإنه يلد ولا يبيض. وما يبيض على ثلاثة أضرب: هوائي ومائي وأرضي. فالطائر منها ما يبيض في السقوف والأجذاع كالخطاطيف، ومنها ما يبيض على شعف الجبال، حيث لا يوصل إليه كالرخم." (٢)

---

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاءالراغب الأصفهاني ٧٩٩/١

(٢) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاءالراغب الأصفهاني ٧٣٠/٢

"٩٤- لا شيء أوجع للأحرار من الرجوع إلى الأشرار.

٩٥- أوحي إلى موسى عليه السلام: لئن تدخل يدك في فم التنين «١» إلى المرفق خير من أن تبسطها إلى غني قد نشأ في الفقر.

٩٦- قيل للأحنف «٢» : جئناك في حاجة لا ترزؤك «٣» ولا تنكؤك «٤» . قال: ليس مثلي يؤتى في حاجة لا ترزأ ولا تنكأ.

٩٧- أبو الشيص «٥» :

وصاحب كان لي وكنت له ... مثل ذراع شدت إلى عضد

حتى إذا استرفدت يدي يده ... كنت كمسترفد يد الأسد

٩٨- يد الأسد مثل في المناعة وصعوبة نيل ما فيها.

٩٩- سأل رجل معاوية حاجة فأبى، فسأله أخرى فقال:

طلب الأبيض العقوق فلما ... لم ينله أراد بيض الأنوق «٦»." (١)

"من دوحته، وشظاظ من سرحته. أنا رشاش من سجله «١» ، ورذاذ من وبله «٢» . أنا كمهدي الماء إلى لجة البحر، والرمل إلى الكثبان العفر «٣» .

كوز ماء أجاج «٤» تجهز إلى فرات عجاج «٥» . أنا كمهد إلى الشمس ضوءا.

وزائد في السماء نوءا فرق بين النبع والفقع «٦» .

٤٣-[شاعر] :

حديد سنان الزاعبي وزجه ... ولكن بعيد بين عال وسافل «٧»

وكم من نطفة عذبت فكانت ... أحب إلي من بحر أجاج «٨»

وزنا الكأس فارغة وملأى ... فكان الوزن بينهما سواء

٤٤- برج تلاقى به التنين والقمر، في فاضل وناقص اجتمعا في مكان. خبر يقبله الأكياس «٩» ويرده الأنكاس.." (٢)

"قليل ذنبه والذنب جم ... ولكن الغنى رب غفور

١٠٨- نزل جبرائيل على لقمان وخيره بين النبوة وبين الحكمة، فاختار الحكمة، فمسح جبرائيل جناحه على صدره، فنطق بها، فلما ودعه قال: أوصيك بوصية فاحفظها، يا لقمان، لئن تدخل يدك إلى مرفقك في فم التنين خير لك من أن تسأل فقيرا قد استغنى.

١٠٩- قال الحجاج لابن القرية «١» : أي المال أنفع؟ قال الذي قدمته في وجهه إلى الله في صحة البدن.

١١٠- قيل لخالد بن صفوان: مالك لا تنفق فإن مالك عريض؟

---

(١) ربيع الأبرار ونصوص الأخيارالزمخشري ١٨٤/٣

(٢) ربيع الأبرار ونصوص الأخيارالزمخشري ٢٣١/٤

قال: الدهر أعرض منه.

ودفع إلى سائل درهما فاستقله، فقال: أما علمت أن الدرهم عشر العشرة، والعشرة عشر المائة، والمائة عشر الألف؟ أما ترى كيف ارتفع الدرهم حتى بلغ ما بلغ.

١١١- قرىء عند المنصور قوله تعالى: والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا

«٢» . فقال: حد الله النفقة فنهى عن الإسراف والتقتير، وأمر بالقصد والتقدير.

١١٢- علي عليه السلام: إن المال والبنين حرث الدنيا، والعمل الصالح حرث الآخرة، وقد يجمعهما الله لأقوام.

١١٣- الحسن: رحم الله عبدا كسب طيبا، وأنفق قصدا، وقدم فضلا.." (١)

"والحصون: مخلع البسيط:: ٤: ٢٣١

وبيانه: الكامل: ابن نباتة السعدي: ٨: ١٣٤

التنين: الكامل: أبو تمام: ٧: ٣٠٣

عيون: الكامل: محمد بن هانىء: ٥: ٢٤٩

مفتون: الكامل: أبو تمام: ٧: ١٤٧

قرين: الكامل:: ٣: ١٢٨

مقرون: الكامل: أبو تمام: ٥: ٣٩٠

حنين: الكامل المجزوء: أبو القاسم المغربي: ٤: ٢٣٠

إحسان: الهزج: الفند الزماني: ٧: ١٠٩

ملآن: الهزج: ابن الحجاج: ٦: ٢١٧

الزمان: الرجز: ابن المعتز: ٥: ٢٧٥

شبان: الرجز: ابن الأعرابي: ٨: ٣١٢

الحصون: الوافر: عبد المسيح بن بقيلة: ٦: ٤٠

والحصون: الوافر: النابغة الذبياني: ٩: ٦٣

دفين: الوافر:: ٢: ٢٠٧

الزمان: الوافر: أبو مياس: ٥: ٧٦

يهونوا: الوافر: زهير بن أبي سلمى: ٨: ١٢٦

أحزان: الخفيف: ابن كشاجم: ٩: ٢٠

سكران: الخفيف: إبراهيم بن هرمة: ٧: ٢٣٢

الطيلسان: الخفيف: الحمدوني: ٥: ٤٣٧

---

(١) ربيع الأبرار ونصوص الأخيارالزمخشري ٥/٨٩

المنون: الخفيف: محمد بن الحصين الأنباري: ٣: ٧٣

معين: الخفيف: أبو الهول: ٥: ٣٧٣

الهوان: الخفيف: بكر بن خارجة: ٨: ٣٩٠

شياطينها: المتقارب: ابن زريق الكاتب: ٨: ١٤٤

بيان: الطويل: أبو الفرج الببغاء: ٥: ١٧

تبني: الطويل: الوليد بن يزيد بن عبد الملك: ٥: ٣٩

بناني: الطويل: أبو إسحاق الصابي: ٥: ٦٩." (١)

"٨٠١- قال المحاسبي [١] : لكل شيء جوهر، وجوهر الإنسان العقل، وجوهر العقل الصبر.

٨٠٢- بث رجل في وجه أبي عبيدة مكروها فقال: [من الطويل]

فلو أن لحمي إذ وهى لعبت به ... سباع كرام أو ضباع وأذؤب

لهون وجدي أو لسلى مصيبتي ... ولكن ما أودى بلحمي أكلب

«٨٠٣» - آخر: [من الوافر]

عذرت البزل إن هي خاطرتني ... فما بالي وبال ابن اللبون

٨٠٤- آخر: [من الطويل]

ولا غرو أن يبلى شريف بخامل ... فمن ذنب التنين تنكسف الشمس

«٨٠٥» - بلغ عمرو بن عتبة شماتة قوم به في مصائب فقال: والله لئن عظم مصابنا بموت رجالنا لقد عظمت النعمة علينا بما أبقى الله لنا: شبانا يشبون الحروب، وسادة يسدون المعروف، وما خلقنا ومن شمت بنا إلا للموت.

«٨٠٦» - السمهري العكلي: [من الطويل]

إذا حرسي قعقع الباب أرعدت ... فرائص أقوام وطارت قلوبها

فإن تك عكل سرها ما أصابني ... فقد كنت مصبوبا على من يريبها

---

[١] م: النجاشي.." (٢)

"وديك، فهي تجمع البيض لي وتحفظه عندها؛ فهذا قولي عندها أحسن من «قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل» عندك.

وهذا عذر غير واضح، وهو باستئناف ذنب أولى. وقد كان يسعه أن يقول ما تفهمه الأمة ولا يسقط هذا السقوط. وما الذي أحوجه إلى أن يدونه ويروى عنه؟ وأي حجة له في البيتين الأولين لولا الزلل والنقص المستوليان على البشر.

---

(١) التذكرة الحمدونيةابن حمدون ١٨١/١٠

(٢) التذكرة الحمدونيةابن حمدون ٣٢٤/٤

«١٢٢٤» – وأبو تمام، مع باهر فضله وبديع نظمه ونطقه بالشعر الذي لو سمي سحرا لكان أليق، يقول: [من الوافر]

خشنت عليه أخت بني خشين

ويظن ذلك من البديع الذي اخترعه وسلك مذهبه. ويقول يمدح رجلا ويصفه **بالتنين**: [من الكامل]

ولى ولم يظلم وهل ظلم امرؤ ... حث النجاء وخلفه **التنين**

وقال أيضا وهجن: [من الكامل]

كانوا رداء زمانهم فتصدعوا ... فكأنما لبس الزمان الصوفا

وأغار على زهير حيث يقول: [من الوافر]

«لمن طلل برامة لا يريم»

فقال: [من الوافر]

أرامة كنت مألف كل ريم." (١)

"ومنها:

فنجومه زهر ثوابت لم يرم ... تعديلها زيج ولا قانون

والمجلسان النيران تألقا ... هذا لهذا في البهاء قرين

كالمقلتين أو اليدين تأيدا ... والحسن يعضد أمره التحسين

ومنها:

عطفت حناياه وضمن بعضها ... بعضا وسحر ذلك التضمين

كتقاطع الأفلاك إلا أنه ... متباينان تحرك وسكون

فلكية لو أنها حركية ... لاعتد منها الرأس **والتنين**

تتعاقب الأعصار فيه وجوه ... أبدا به آذار أو تشرين

وكأن هرمس بث حكمته به ... وأدار فيه الفكر أفلاطون

وكأن راسم خطه إقليدس ... فسوائل الأشكال فيه فنون

من دائر ومكعب ومعين ... ومحجن تقويسه التحجين

وقسي محني سواريها لها ... نبل ولا يرمي بها فتبين

فهنالك التضعيف والتثليث وال ... تربيع والتسديس والتثمين

نسب جلت نسب الفناء لبعثها ... طرب النفوس وسمعها تعيين

وكأن طرفي مسمعي وكأنه صوت وشكل خطوطه تلحين

متلألئ فكأنما سال المها ... فيه وذاب اللؤلؤ المكنون

---

(١) التذكرة الحمدونيةابن حمدون ٣٠٣/٧

وكأن مبيض الخدود وضاءة ... صحن له لا المرمر المسنون

تغشى بمذهب لمعه فكأنما ... أبدى لديه كنوزه قارون

هو ثالث القمرين في ضوءيهما ... فيه تضيء لنا الليالي الجون." (١)

"بإقبال تاج الملة الملك الذي (١) ... بسؤدده في خطة المشتري حصص

تقنصت شكري بالجميل ولم أكن ... علمت بأن الحر بالبر يقتنص

وآنست أسنى فرصة فانتهزتها (٢) ... بلقياك إذ بالحزم تنتهز الفرص

وإن كنت بالببغا قديما ملقبا ... فكم لقب بالجور لا العدل مخترص (٣)

وبعد فما أخشى تقنص جارح ... وقلبك لي وكر وصدرك لي قفص (٤)

قال: فلما سمع أمير المؤمنين بقصتهما، فكانت خلاص الصابئ (٥).

٣٦٢ - وقيل: سمع المأمون يوما إبراهيم بن مهدي (٦) عمه لما حبسه ينشد في محبسه بصوت طرب (٧):

ولو أن خدا من وكوف مدامع (٨) ... يرى معشبا لا خضر خدي وأعشبا

على أنني لم أبك إلا مودعا ... بقية روح فارقتني لتذهبا

قال: فرق له واستشار أحمد بن محمد بن خالد (٩) في أمره، فقال: إن

---

(١) في المصدرين: برأفة تاج الملة.

(٢) في مصدري الخبر: وصادفت أدنى فرصة.

(٣) في مصدري الخبر: فإن كنت بالببغاء قدما. . . في الأصل: «لقبا».

(٤) في مصدري الخبر: ورأيك لي قفص.

(٥) في مصدري الخبر: فانتهى الابتداء والجواب إلى عضد الدولة، فأعجب بهما واستظرفهما، وكان ذلك أحد أسباب اطلاق أبي إسحاق.

٣٦٢ - مختصر تاريخ دمشق ٤/ ١٣٥.

(٦) إبراهيم بن محمد المهدي، أخو هارون الرشيد، ولاه الرشيد إمرة دمشق مرتين، دعا بالخلافة لنفسه، وبايعه أهل بغداد فطلبه المأمون فاستتر ست سنين وشهورا، حتى ظفر به المأمون فحبسه ستة أشهر ثم أطلقه، كان أسود حالك اللون عظيم الجثة، يعرف بالتنين وليس في أولاد الخلفاء قبله أفصح منه لسانا، ولا أجود شعرا، كان فاضلا حازما، حاذقا بصنعة الغناء. الأعلام.

(٧) كان إبراهيم إذا تنحنح، طرب من يسمعه، فإذا غنى، أصغت الوحوش. . . وكان إذا غنى لم يبق أحد إلا ذهل. سير أعلام النبلاء ١٠/ ٥٦٠.

---

(١) خريدة القصر وجريدة العصر - قسم شعراء المغرب والأندلس جـ ٢العماد الأصبهاني ص/٢٨٠

(٨) وكف الدمع: سال. انظر اللسان (وكف).

(٩) وهو أحمد بن أبي خالد الأحول، من الموالي، كان جليل القدر من عقلاء الرجال، -." (١)

"يده في فم **التنين** وابتلاعه سمه أهون عليه من سؤال الناس وقال إبراهيم بن حفصة لابنه يا بني صن شكرك عمن لا يستحقه واطلب المعروف ممن يحسن طلبك إليه واستر ماء وجهك بقناع قناعتك وتسل عن الدنيا بتجافيها عن الكرام وأنشده

هي القناعة فالزمه تكن ملكا ... لو لم يكن لك إلا راحة البدن

وانظر لمن ملك الدنيا بأجمعها ... هل راح منها بغير القطن والكفن

وقال لقمان لابنه يا بني لا تخلق وجهك بطلب الحوائج إلى من هو دونك فإنه إن ردك ساق إليك محنة وإن قضى حاجتك أتخذها عليك منة واسأل الله فإن الله يحب من يسأله ويبغض من لا يسأله شاعر

الله يغضب إن تركت سؤاله ... وبني آدم حين يسئل يغضب

وقد روى عن سفيان الثوري دعاء ككلام لقمان كان يدعو به إذا احتاج يقول اللهم يا من يحب أن يسئل ويغضب على من لا يسأل وأحب عباده إليه من سأله فأكثر سؤاله وليس أحد كذلك غيرك يا كريم أعطني كذا ويسأل حاجته وقال محمد بن الحنفية رضي الله عنه ما كرمت على عبد نفسه إلا هانت عليه الدنيا شاعر

الحر حر عزيز النفس حيث ثوى ... كالشمس في أي برج ذات أنوار

آخر

ما اعتاض باذل وجهه بسؤاله ... عوضا ولو نال الغنى بسؤال

وإذا السؤال مع النوال وزنته ... رجح السؤال وخف كل نوال." (٢)

"فانتحاه الثانى عشر ميمما، ورماه مصمما؛ فأصابه فى زوره، وحصله من فوره، وحصل له من السرور ما خرج به عن طوره.

والتحق به «شبيطر «١» » كأنه مدية مبيطر «٢» ؛ ينحط كالسيل ويكر على الكواسر كالخيل، ويجمع من لونه بين ضدين يقبل منهما بالنهار ويدبر بالليل؛ يتلوى فى منقاره الأيم «٣» ، تلوى **التنين** فى الغيم.

تراه فى الجو ممتدا وفى فمه ... من الأفاعى شجاع أرقم ذكر

كأنه قوس رام عنقه يدها ... ورأسه رأسها والحية الوتر

فصوب الثالث عشر إليه ببندقه، فقطع لحيه «٤» وعنقه؛ فوقع كالصرح الممرد، أو الطراف «٥» الممدد.

واتبعه «عناز «٦» » أصبح فى اللون ضده، وفى الشكل نده؛ كأنه ليل ضم الصبح إلى صدره، أو انطوى على هالة بدره.

---

(١) أنس المسجون وراحة المحزونصفي الدين الحلبي ص/١٤٥

(٢) غرر الخصائص الواضحةالوطواط ص/٣٧٢

تراه فى الجو عند الصبح حين بدا ... مسود أجنحة مبيض حيزوم

كأسود حبشى عام فى نهر ... وضم فى صدره طفلا من الروم." (١)

"وأما السادوران «١»

– فهو شيء أسود شبيه بالصمغ مثل حصى السبج «٢» يتكون فى التجويفات الكائنة فى أصول أشجار الجوز «٣» الكبار العتيقة اذا تجوفت أصولها، فإذا قطعت الشجرة وجد فى وسطها، ولونه محلولا الى الصفرة «٤» ، وله بصيص اذا كسر.

وأما دم الأخوين «٥»

– ويسمى القاطر «٦» – فقال أبو حنيفة الدينورى:

هو صمغ أحمر يؤتى به من جزيرة سقطرى «٧» ، ويسمى الأيدع، ودم التنين، ودم الثعبان. ويقال: إنه دموع شجرة كبيرة ببلاد الهند، معروفة هناك.." (٢)

"جريت هاهنا قط؟ قالت: لا يا نبى الله، وإنه آخر الدنيا وليس وراءه إلا علم الله تعالى. ثم أمر الريح فاحتملته حتى نظر إلى التنين المحدق بالعالم، فسار أياما على طرف من أطرافه فإذا هو بملك، فقال: يابن داود إن هذا التنين محيط بالعالم الذى هو مسيرة خمسمائة عام. ثم ارتفع إلى مستقر الغام ونظر إلى مجمع القطر، ونزل من هناك إلى مسكن الليل والنهار فاذا هو بملك يقول: اللهم أعط كل منفق خلفا وكل ممسك تلفا. ثم أمر الريح أن تحط بساطه إلى الأرض المقدسة، وكانت مدة غيبته مائة وثلاثين يوما. وكان فى طول سفرته هذه يرى شخصا بين يديه يسبق كل شيء، فسأله من هو؟ فأخبره أنه ملك الموت، فوقعت عليه الرعدة وتغير لونه وجعل ابنه رحبعم خليفته، وأوصى الناس بالسمع والطاعة له. وأخذ فى الصوم والصلاة طول ليله، فإذا أصبح خرج من محرابه إلى روضة هناك فيها نبات حسن يتسلى به. فخرج فى بعض الأيام فرأى نبتا غريبا لم يكن قد رآه قبل ذلك اليوم. فقال: أيها النبت ما أنت؟ قال: أنا الخرنوب الذى لا أنبت فى موضع إلا خربته. فقال سليمان: فما تصنع هاهنا فلست من نبات الرياض بل من نبات البرارى؟ قال: قد أمرت أن أنبت هاهنا. فعاد سليمان من الغد وهو على حاله وقد زاد نباته. فقال له سليمان: ألم آمرك أن تلحق بموضعك من البرراى!. قال الخرنوب: يا نبى الله. إن هذا الموضع سيخرب عن قريب، فسكت سليمان. فلما ضعف عن العبادة توكأ على عصاه. فبينا هو فى محرابه متوكئا قائما يتلو الزبور والتوراة إذ أتاه ملك الموت، فرفع رأسه إليه فناوله شمة فشمها فمات.

وبقى سليمان على حالته لم يسقط إلى الأرض ولم يتحرك ولا مال. فهابوه وما جسروا أن يتقدموا إليه. وقالوا: إنه لم يمت، ولم تزل الإنس والجن والشياطين والوحش." (٣)

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدبالنويري ٣٤٢/١٠

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدبالنويري ٣١٧/١١

(٣) نهاية الأرب في فنون الأدبالنويري ١٣٦/١٤

"فنملك ملكه ونرجو الحياة إلى أن يبعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم. فقال بلوقيا:

أليس قد سأل سليمان ربه: «رب هب لى ملكا لا ينبغى لأحد من بعدى» فأعطاه الله إياه على ما سأل، ولا ينال ملك سليمان إلى يوم القيامة لدعائه. فقال عفان:

يا بلوقيا اسكت إن الله معنا ومعنا اسم الله الأعظم، ولكن أنت يا بلوقيا فاقرأ التوراة. فتقدم عفان لينزع خاتم سليمان من إصبعه، فقال **التنين**: ما أجرأك على الله! إن غلبتنا باسم الله فنحن نغلبك بقوة الله. قال: فكلما نفخ **التنين** ذكر بلوقيا اسم الله، فلم تعمل نفخات **التنين** فيهما. ودنا عفان من السرير لينزع الخاتم من إصبع سليمان، فاشتغل بلوقيا بالنظر إلى نزول جبريل من السماء، فلما نزل صاح بهما صيحة ارتجت الأرض والجبال وتزلزت منها واختلطت مياه البحار وماجت والتطمت حتى صار كل عذب ملحا من شدة صيحته، وسقط عفان على وجهه، ونفخ **التنين** فخرجت من بطنه شعلة نار كأنها البرق الخاطف، فاحترق عفان وعادت نفخته فى البحر فما مرت البرقة بشىء إلا أحرقته ولا بماء إلا أجاشته وأغلته. وذكر بلوقيا اسم الله الأعظم فلم ينله مكروه، ثم تراءى له جبريل فى صورة رجل فقال له: يابن آدم ما أجرأك على الله تعالى! فقال له بلوقيا: من أنت رحمك الله؟ قال: أنا جبريل أمين رب العالمين. قال له يا جبريل، إنما خرجت حبا لمحمد ودينه ولم أقصد الخطأ ولم أتعمده. قال: فبذلك نجوت. ثم صعد جبريل إلى السماء، ومضى بلوقيا فطلى قدميه بذلك الدهن فأضل الطريق الذى جاء منه وأخذ فى طريق آخر، وسار فقطع ستة أبحر ووقع فى السابع فإذا هو بجزيرة من ذهب حشيشها الورس «١» والزعفران وأشجارها النخل والرمان. قال بلوقيا: ما أشبه هذا المكان بالجنة على ما وصفت!.

ثم دنا من بعض تلك الأشجار فتناول من ثمرها، فقالت الشجرة: يا خاطئ ابن الخاطئ." (١)

"وترك طلب المعيشة. قالوا: وهم يرزقون **التنين** فى أيام الربيع، يقذفه عليهم السحاب من البحر فى كل عام مرة. فإذا تأخر عنهم وقت عادته استمطروه كما يستمطر الغيث لحينه، فإن قذفوا به أخصبوا وسمنوا وتوالدوا وكثروا وأكلوا منه حولا كاملا لا يأكلون غيره، ويقددونه فيعمهم على كثرتهم. قال: وهم يتداعون تداعى الحمام، ويعوون عواء الذئاب، ويتسافدون تسافد البهائم حيث التقوا. فلما عاينهم ذو القرنين انصرف إلى ما بين الصدفين فقاس ما بينهما، ثم أوقد على ما جمع من الحديد والنحاس فصنع منه زبرا أمثال الصخور العظام، ثم أذاب النحاس فجعله كالطين وألاط به تلك الصخور الحديد ثم بناه.

قالوا: وكيفية بنائه على ما ذكره أهل السير: أنه لما قاس ما بين الجبلين وجد ما بينهما مائة فرسخ، ثم حفر له الأساس حتى بلغ الماء، وجعل عرضه خمسين فرسخا، ثم وضع الحطب بين الجبلين، ثم نسج عليه الحديد، ثم نسج الحطب على الحديد، فلم يزل يحول الحديد على الحطب والحطب على الحديد حتى ساوى بين الصدفين، وهما الجبلان، ثم أمر بالنار فأرسلت فيه، ثم قال انفخوا ثم جعل يفرغ القطر «١» وهو النحاس المذاب، فجعلت النار تأكل الحطب ويصير النحاس مكان الحطب حتى لزم الحديد النحاس، فصار كأنه برد «٢» حبرة من صفرة النحاس وحمرته، وسواد الحديد وغبرته؛ فصار سدا طويلا عظيما حصينا.

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدبالنويري ١٨٦/١٤

قال الله تعالى: فما اسطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبا «٣»

وقد روى أن رجلا قال يا رسول الله قد رأيت سد يأجوج ومأجوج. قال: «انعته لى» .

قال: كالبرد المحبر، طريقة سوداء، وطريقة حمراء. قال: «قد رأيته» .." (١)

"وحكى إبراهيم بن وصيف شاه فى كتاب العجائب الكبير: أن ذا القرنين لما سار إلى الظلمة مر بجزيرة فيها أمة رءوسهم رءوس الكلاب العظام بادية أنيابهم، يخرج من أفواههم مثل لهب النار، وأنهم خرجوا إلى مراكبه فحاربوه فتخلص منهم، وسار فرأى نورا ساطعا فقصده فاذا هو قد بلغ جزيرة القصر. قال: وهذه الجزيرة فيها قصر مبنى بالبلور الصافى عالى الطول يشف حتى يرى نوره على البعد، فأراد النزول بها، فمنعه بهرام فيلسوف الهند وعرفه أن من نزل اليها وقع عليه النوم وعزب عقله فلا يستطيع الخروج منها حتى يهلك. قال: ويقال إنه ظهر لهم منها قوم قصار زعر، لباسهم ورق الشجر. فسأل بهرام عن صبرهم على المقام بها، فعرفوه أن بها ثمرا اذا أكلوا منه زال عنهم ذلك، وذكروا أنهم إذا كان الليل ظهر بين شرف القصر مثل المصابيح تسرج إلى الصبح ثم تخمد نهارا إلى الليل فتوقد. قال:

ويقال إنه مر فى طريقه بجزيرة التنين «١» وإنها جزيرة فيها جبال وأنهار وأشجار وزروع وهى عامرة، وعلى مدينتها حصن عال، وبها تنين عظيم قد سام أهلها أقبح سوم.

فلما دخلها الإسكندر استغاثوا به من التنين وأنه أتلف مواشيهم حتى إنهم جعلوا له فى كل يوم ثورين ينصبونهما قريبا من موضعه، فيخرج فيبتلعهما. فأمر الإسكندر بثورين عظيمين فسلخا وحشا جلودهما زفتا وكبريتا وكلسا وزرنيخا، وجعل مع تلك الأخلاط كلاليب حديد، وجعلهما فى ذلك المكان. وخرج التنين وأقبل كالسحابة السوداء وعيناه [تلمعان «٢»] كالبرق، والنار تخرج من جوفه، فابتلعهما ومضى، فأضطرمت تلك الأشياء فى جوفه، فلما أحس بثقلها ذهب ليقذفها، فتشبكت." (٢)

"وسبب ذلك أن أبا العلاء سعيدا ضمن الموصل وديار ربيعة سرا، وكان بها ناصر الدولة أميرا. فلما وصل إلى الموصل خرج ابن أخيه للقائه فخالفه فى الطريق قصدا منه، فوصل أبو العلاء ودخل دار ابن أخيه وقعد ينتظره، فأنفذ ناصر الدولة جماعة من غلمانه فقبضوا عليه ثم أنفذ جماعة غيرهم فقتلوه.

ذكر مسير ابن مقلة الى الموصل وما كان بينه وبين ناصر الدولة

/ قال «١» : لما قتل ناصر الدولة عمه أبا العلاء واتصل خبره بالراضى بالله عظم ذلك عليه وأنكره، وأمر الوزير ابن مقلة بالمسير إلى الموصل، فسار إليها فى شعبان بالعساكر. فلما قاربها رحل عنها ناصر الدولة ودخل الزوزان «٢» ، وتبعه الوزير إلى جبل التنين «٣» ثم عاد عنه، وأقام بالموصل يجبى أموالها.

فلما طال مقامه بالموصل احتال بعض أصحاب ابن حمدان على ولد الوزير- وكان ينوب عنه فى الوزارة ببغداد- فبذل له عشرة آلاف دينار ليكتب إلى أبيه يستدعيه فكتب إليه يقول: إن الأمور بالحضرة قد اختلت وإن تأخره لم يؤمن معه

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدبالنويري ٣٠٨/١٤

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدبالنويري ٣١٥/١٤

حدوث ما يبطل أمرهم.

فانزعج الوزير لذلك، واستعمل على الموصل على بن خلف بن." (١)

"الخليفة يتضرع ويصلى وعليه البردة وبيده القضيب، وغرق من الجانب الغربى مقبرة أحمد بن حنبل ومشهد باب التنين وتهدم سوره، ودخل الماء من شبابيك البيمارستان العضدى.

ذكر وفاة القائم بأمر الله وشىء من سيرته

كانت وفاته فى ليلة الخميس ثالث عشر شعبان سنة سبع وستين وأربعمائة، وكان سبب وفاته أنه كان قد أصابه مأشر فافتصد «١» ونام، فانتفخ فصاده وخرج منه دم كثير ولم يشعر، فاستيقظ وقد ضعف وسقطت قوته. فأيقن بالموت وأحضر ولى عهده ووصاه وأحضر نقيب العباسيين ونقيب الطالبيين وقاضى القضاة وغيرهم مع الوزير ابن جهير وأشهدهم على نفسه/ أنه جعل ابن ابنه أبا القاسم ولى عهده.

ولما توفى غسله الشريف أبو جعفر بن أبي موسى الهاشمى، وصلى عليه المقتدى بأمر الله. ومات وله من العمر ست وسبعون سنة وثلاثة أشهر وخمسة أيام، ومدة خلافته أربع وأربعون سنة وثمانية أشهر إلا أياما. وقيل كان مولده فى ثامن عشر ذى القعدة سنة إحدى وتسعين وثلاثمائة فعلى هذا يكون عمره ستا وسبعين سنة وتسعة أشهر وخمسة أيام.

وكان جميلا أبيض مشربا بحمرة، حسن الوجه والجسم، ورعا دينا زاهدا عالما قوى اليقين بالله تعالى، وله عناية بالأدب ومعرفة." (٢)

"احتفى فيها المشتري واحتفل، وكفى الغمر سنى ترتيبها وكفل، واختال عطارد في حلل الجذل لها ورفل، واتضحت الحدود، وتهللت الوجوه [وتنافست لآلىء كانت تؤمل المظهر وترجوه] ونبه البيت على واجبه، وأشار لحظ الشرف بحاجبه، وأسرع نير التوبة في الأوبة، قائما بالاعتذار مقام التوبة، واستأثر بالبروج المولدة، بيت البنين، وتخطت خطى الغمر رأس الجوهر وذنب التنين، وساوى منها بحكم الأصل حذرك النعل بالنعل، تحويل السنين، وحقق هذا المولود نير الموالد، نسبة عمر الوالد، فتجاوز درجة المبين، واقترن بعاشره السعدان اقتران الجسد، وثبت بدقيقة من كر قلب الأسد، وسرق من بيت أعدائه، خرثى الغل والجسد، ونطقت طرق التيسير، كما يفعل بين يدي السادة عند المسير، وسقط الشيخ البهم من الدوح في البير، ودفع المقاتل إلى وبال كبير:

(لم لا تنال العلى أو يعقد التاج ... والمشتري طالع والشمس هيلاج)

(والسعد يركض في ميدانها مرحا ... جذلان والفلك الدوار هملاج)

كأن به والله بقية، قد انتقل من مهد التقويم، إلى النهج القويم، ومن أريكة الذراع، إلى تصريف اليراع، ومن كتد الداية، إلى

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدبالنويري ١٣١/٢٣

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدبالنويري ٢٤٠/٢٣

مقام الهداية، والغاية المختطفة البداية، جعل الله وقايته عليه عودة، وقسم حسدته قسمة محرم اللحم بين منخنقة ونطيحة، ومتردية، وموقوذة، وحفظ هلاله في البدار إلى تمه، وبعد تمه، وأقر عين أبيه فيه وأمه، غير أنني والله يغفر لسيدي، بيد." (١)

"قطر شحمه في الأذن الوجعة شفاها. وإذا أدمن تقطيره في الأذن نفع الصمم. ومرارته يكتحل بها للبياض الذي في العين فيذهب. وإذا علق شيء من أسنانه التي في الجانب الأيمن على الرجل، زاد جماعه. وقال القزويني، في عجائب المخلوقات: أول سن من الجانب الأيسر يشد على صاحب القشعريرة يذهبها. وكبده يبخر به صاحب الصرع يزول صرعه. وقطعة من جلده تشد على جبهة الكبش يغلب الكباش. وزبله الذي يوجد في بطنه يزيل البياض الحادث والقديم اكتحالا، ورائحته كرائحة المسك وتقول القبط إنه المسك إلا أنه فيه سهوكة.

التعبير:

التمساح في المنام عدو مسلط وهو نظير الأسد وقيل: التمساح لص مكابر ذو مكر وغدر وخديعة.

التميلة:

دويبة بالحجاز على قدر الهرة والجمع تملان قاله ابن سيده.

التنوط:

في الكفاية لابن الرفعة أنه بضم التاء وكسر الواو ويجوز فتح التاء المشددة وفتح النون وضم الواو المشددة. وقال غيره: هو طائر يجوز في واوه الضم والفتح قال الأصمعي: إنما سمي بذلك لأنه يدلي خيطا من شجرة يفرخ فيها الواحدة تنوطة. ومن شأن هذا الطائر أنه إذا أقبل عليه الليل يتنقل في زوايا بيته ويدور فيها ولا يأخذه قرار إلى الصبح خوفا على نفسه وهذا الطائر هو الصفا. وسيأتي في بابه إن شاء الله تعالى.

وحكمه:

الحل لأنه من نوع العصافير.

الخواص:

قال القزويني في عجائب المخلوقات: يذبح التنوط بسكين ويسقى دمه لمن يعربد في سكره فلا يعود إلى ذلك أبدا ومرارته تطبخ بالسكر وتسقى لصبي فيحسن خلقه.

وعظمه يعلق على الصبي وقت زيادة القمر فيبقى محبوبا إلى الناس ولو كان كريه اللقاء.

التنين:

ضرب من الحيات كأكبر ما يكون منها وكنيته أبو مرداس وهو أيضا نوع من السمك. وقال القزويني في عجائب المخلوقات: إنه شر من الكوسج، في فمه أنياب مثل أسنة الرماح. وهو طويل كالنخلة السحوق، أحمر العينين مثل الدم، واسع الفم والجوف، براق العينين يبتلع كثيرا من الحيوان، يخافه حيوان البر والبحر، إذا تحرك يموج البحر لشدة قوته وأول أمره يكون

---

(١) ريحانة الكتاب ونجعة المنتابلسان الدين بن الخطيب ١٧٨/٢

حية متمردة تأكل من دواب البر ما ترى، فإذا كثر فسادها، احتملها ملك وألقاها في البحر، فتفعل بدواب البحر ما كانت تفعله بدواب البر، فيعظم بدنها فيبعث الله إليها ملكا يحملها ويلقيها إلى يأجوج ومأجوج. روي عن بعضهم أنه رأى تنينا طوله نحو من فرسخين، ولونه مثل لون النمر مفلسا مثل فلوس السمك بجناحين عظيمين، على هيئة جناحي السمك، ورأسه كرأس الإنسان لكنه كالتل العظيم، وأذناه طويلتان وعيناه مدورتان كبيرتان جدا. روى ابن أبي شيبة عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يسلط الله على الكافر في قبره تسعة وتسعين تنينا تنهشه وتلدغه، حتى تقوم الساعة لو أن تنينا منها نفخ على الأرض ما نبتت خضرا» .

ورواه «١» الترمذي عنه مطولا. قال: دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم مصلاه، فرأى ناسا كأنهم يكشرون." (١)

"فقال: أما أنكم لو أكثرتم ذكر هاذم اللذات لشغلكم عما أرى، أكثروا ذكر هاذم اللذات فإنه لم يأت على القبر يوم إلا تكلم فيه فيقول: أنا بيت الغربة، أنا بيت الوحدة، أنا بيت التراب، أنا بيت الدود والهوام. فإذا دفن العبد المؤمن قال له القبر: مرحبا وأهلا، أما إن كنت لمن أحب من يمشي على ظهري إلي فمذ وليتك اليوم وصرت إلي فسترى صنيعي بك قال: فيتسع له قبره مد بصره، ويفتح له باب إلى الجنة وإذا دفن العبد الكافر أو الفاجر، يقول له القبر: لا مرحبا ولا أهلا أما إن كنت لمن أبغض من يمشي على ظهري إلي فمذ وليتك اليوم وصرت إلي فسترى صنيعي بك، فيلتئم عليه حتى يلتقي وتختلف أضلاعه. قال: وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: بأصابع يديه هكذا وشبكها. ثم يقيض له تسعون تنينا أو تسعة وتسعون تنينا لو أن واحدا منها نفخ في الأرض ما أنبتت شيئا ما بقيت الدنيا فتنهشه وتخدشه حتى يبعث إلى الحساب «١» » . قال: وقال «٢» رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنما القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار» . وروى الأئمة أن موسى عليه الصلاة والسلام لما قال لشعيب عليه الصلاة والسلام: أيما الأجلين

«٣» الآية.

أمره لما جن الليل أن يدخل بيتا عينه له، ويأخذ منه عصا من العصي التي فيه دخل موسى البيت، وأخذ العصا التي أخرجها آدم معه من الجنة، وكانت من آس الجنة، فتوارثها الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، حتى صارت إلى شعيب عليه السلام، فأمره أن يلقيها في البيت ويدخل ويأخذ عصا أخرى فدخل وأخرجها، كذلك سبع مرات فعلم شعيب أن لموسى شأنا، فلما أصبح قال له سق الأغنام إلى مفرق الطريق، ثم خذ عن يمينك، وليس بها عشب كثير، ولا تأخذ عن يسارك فإنها وإن كان بها عشب كثير، ففيها تنين كبير يقتل المواشي فساق موسى الأغنام إلى مفرق الطريق، فأخذت نحو اليسار ولم يقدر على ردها فسرحها في الكلأ، ثم نام فخرج التنين فحاربته العصا حتى قتلته فلما انتبه موسى رأى العصا مخضوبة بالدم والتنين مقتولا، فعاد إلى شعيب فأخبره الخبر فسر بذلك، وقال: كل ما ولدت هذه المواشي ذا لونين في هذه السنة فهو لك. فقدر الله تعالى أن ولدت كلها في تلك السنة ذا لونين. فعلم شعيب أن لموسى عند الله مكانة، فأقام عنده ثمانيا وعشرين سنة إلى أن تمت له أربعون سنة ثم خرج عنه بأهله.

وأما حكمه

---

(١) حياة الحيوان الكبرىالدَّمِيري ٢٣٨/١

: فعلى ما قال القزويني أكله حرام لكونه من جنس الحيات وعلى أنه سمك يؤذي بنابه فالظاهر التحريم أيضا كالتمساح.

الخواص:

زعموا أن أكل لحمه يورث الشجاعة ودمه إذا طلي به على الذكر وجامع امرأته حصل لها لذة عظيمة.

التعبير:

التنين في المنام ملك فإن كان له رأسان أو ثلاثة فهو أشد لشره. والمريض إذا رأى تنينا دل على موته. ومن الرؤيا المعبرة أن امرأة رأت في منامها كأنها وضعت تنينا فولدت ولدا زمنا وذلك لأن التنين يجر نفسه إذا مشى وكذلك الزمن يجر نفسه.." (١)

"إني والله يا أهل العراق، مما يقعقع لي بالشنان، ولا يغمز جانبي كتغماز التنين، ولقد فررت عن ذكاء، وفتشت عن تجربة، وإن أمير المؤمنين نثل كنانته، فعجم عيدانها عودا عودا فوجدني أمرها عودا، وأصلبها مكسرا، وأبعدها مرمى، فرماكم بي، لأنكم طالما أوضعتم في الفتنة، واضطجعتم في مراقد الضلال، والله لأحزمنكم حزم السلمة، ولأضربنكم ضرب غرابيب الإبل، فإنكم لكأهل قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون. وإني والله ما أقول إلا وفيت، ولا أهم إلا أمضيت، ولا أحلف إلا بريت وإن أمير المؤمنين أمرني بإعطائكم أعطياتكم، وأن أوجهكم لمحاربة عدوكم مع المهلب بن أبي صفرة، وإني أقسم بالله لا أجد رجلا تخلف بعد أن أخذ عطائه ثلاثة أيام، إلا ضربت عنقه. يا غلام اقرأ كتاب أمير المؤمنين فقرأ: بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عبد الملك بن مروان أمير المؤمنين إلى من بالكوفة من المسلمين سلام عليكم فلم يقل أحد شيئا فقال الحجاج: اكفف يا غلام، ثم أقبل على الناس، فقال: أيسلم عليكم أمير المؤمنين فلم تردوا سلامه؟ هذا أدب ابن سمية، أما والله لأودبنكم غير هذا الأدب، أو لتستقيمن. اقرأ يا غلام كتاب أمير المؤمنين فلما بلغ إلى قوله سلام عليكم لم يبق في المسجد أحد إلا قال وعلى أمير المؤمنين السلام. ثم نزل فوضع للناس أعطياتهم فجعلوا يأخذون، حتى أتاه شيخ يرعش كبرا فقال: أيها الأمير إني من الضعف على ما ترى ولي ابن هو أقوى مني على الأسفار أفتقبله مني بدلا فقال له الحجاج: نفعل أيها الشيخ. فلما ولى، قال له قائل: أتدري من هذا أيها الأمير؟ قال:

لا، قال: هذا عمير بن ضابىء البرجمي الذي يقول «١» أبوه:

هممت ولم أفعل وكدت وليتني ... تركت على عثمان تبكي حلائله

ودخل هذا الشيخ على عثمان رضي الله تعالى عنه، يوم الدار وهو مقتول، فوطىء بطنه وكسر ضلعين من أضلاعه، فقال: ردوه، فلما رد قال له الحجاج: أيها الشيخ هلا بعثت إلى أمير المؤمنين عثمان بن عفان بديلا يوم الدار. إن في قتلك إصلاحا للمسلمين: يا حرسي اضرب عنقه.

تفسير ما في خطبة الحجاج من الكلام: قوله: أنا ابن جلا إنما أراد المنكشف الأمر، ولم يصرف جلا لأنه أراد الفعل فحكى. والفعل إذا كان فيه فاعله مضمرا أو مظهرا لم يكن إلا حكاية. كقولك قرأت: اقتربت الساعة وانشق القمر «٢»

---

(١) حياة الحيوان الكبرىالدَّمِيري ١/٢٣٩

لأنك حكيت وكذلك الابتداء والخبر تقول قرأت: الحمد لله رب العالمين «٣» *
قال الشاعر:
والله ما زيد بنام صاحبه.
وهذه الكلمة لسحيم بن وثيل الرياحي، وإنما قالها الحجاج متمثلا وقوله طلاع الثنايا جمع ثنية والثنية الطريق في الجبل والطريق في الرمل، يقال لها: الجلد وإنما أراد جلد يطلع الثنايا في." (١)
"تزول عنه، وإن علق على من به وجع الأسنان نفعه وسكن وجعها. ولحمها يحفظ الحواس، ومرق لحمها يقوي البصر، ولحوم الحيات من حيث الجملة يسخن ويجفف وينقي البدن ويحلل منه أسقاما. وسلخها إذا وضع في ثياب لم تسوس، وإن أحرق وعجن بزيت طيب وحشي به الضرس المتآكل الوجع أبرأه. وإن سحق مع رأسها وجعل على داء الثعلب، أنبت الشعر. وقال يحيى بن ماسويه: يؤخذ سلخ حية مقلي وقشور أصل الكبر وزراوند طويل وبلادر، أجزاء متساوية، ويبخر به صاحب البواسير الظاهرة والباطنة المتعلقة، فإنها تسقط. وقال غيره: سلخ الحية ومقل أزرق يبخر بها البواسير الظاهرة والخفية فتبرأ. وبيض الحية يدق مع بورق وخل، ويطلى به البرص الجديد يقطعه. وسلخ الحية إذا عجن بثلاث تمرات وأطعم لمن به الثآليل ذهبت عنه، وإن أكله من ليس به ثآليل لم تخرج أبدا وقلبها يذهب حمى الربع تعليقا.
فائدة:
روى ابن أبي شيبة وغيره أن فريكا قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعيناه مبيضتان لا يبصر بهما شيئا فسأله صلى الله عليه وسلم ما أصابه؟ فقال: كنت أمرن جملا فوقفت على بيض حية، ولم أشعر فأصبت ببصري، فنفث رسول الله صلى الله عليه وسلم في عينيه، فأبصر فكان يدخل الخيط في الإبرة وهو ابن ثمانين سنة، وإن عينيه مبيضتان.
التعبير:
الحية في المنام تعبر بأشياء كثيرة فهي عدو ودولة وحياة وسيل وولد وامرأة. فمن نازع حية، وهي تريد أن تنهسه فإنه ينازع عدوا له لقوله «١» تعالى: اهبطوا منها جميعا
بعضكم لبعض عدو*
فإن رأى أنه أخذ حية ولم يخف منها، وصرفها حيث يشاء، فإنه ينال دولة ونصرة، لأن موسى عليه الصلاة والسلام، نال بها النصرة على فرعون. ومن رأى أن حية خرجت من فمه، وكان مريضا، فإنه يموت لأنها حياته وقد خرجت من فمه. ومن رأى حيات تمشي في خلاف الشجر أو الزرع، فإنها سيول لأنهم شبهوا جريان الماء بالحيات، هذا إذا كان جريها بلا نفخ ولا إحراق شيء. ومن قتل حية على فراشه ماتت امرأته. ومن رأى امرأته حاملا ووضعت حية، أتاه ولد عاق. ومن رأى حية ميتة فإنه عدو قد كفاه الله شره. ومن عضته حية فورم موضع العضة نال مالا لأن السم مال، والورم زيادة فيه. ومن أكل لحم حية مطبوخا، نال مال عدوه، ومن أكله نيأ اغتاب عدوه. ومن رأى حية نزلت من مكان فإن ذلك موت رئيس ذلك المكان. ومن رأى حية ابتلعته، فإنه ينال سلطانا ومن رأى كأنه يتخطى الحيات ولا تنهسه، فإنه يأمن أعداءه، وإن

---

(١) حياة الحيوان الكبرىالدَّمِيري ٢٤٤/١

كان مسجونا خرج من سجنه. ورؤية الحيات الكثيرة في الطرق وهي تمنع الناس بنفخها ونهسها فإن ذلك ظلم من السلطان. ومن رأى كأن الحيات قد فقدن من مكان، فإن الوباء والموت يكثر في ذلك المكان لأن الحيات هي الحياة ومن رأى كأن حية تكلمه، فإنه ينال سرورا. ومن رأى كأنه ملك حية ملساء، وصرفها حيث شاء، فإنه ينال غنى وسعادة. والسود من الحيات أعداء لهم قوة، فمن ملك حية سوداء نال ملكا وولاية. والبيض أعداء ضعاف، والثعبان يدل على العداوة في الأهل والأزواج والأولاد. وربما كان جارا شريرا حسودا. والتنين يدل على سلطان جائر مهاب أو نار محرقة. والأصلة تدل على امرأة ذات نسل وأصل وعمر طويل. والشجاع يدل على امرأة." (١)

---

(١) حياة الحيوان الكبربالدَّمِيري ١/٤٠٠

"وقالت ماجنة لمسحاقة أين أنت عن الأصلع الأقرع الأحدب المربوق الذي كأنه بوق العظيم الحوق الكثير العروق الذي يخرق الحزوق ويسد البشوق ويفتق ويرفو الشقوق ويقضي الحقوق ويأخذ بالخلوق الأجرد الأربد الذي كأنه الوتد أو رقبة الأسد الأحمر الأشقر المعجر الذي رأسه كالمحور وأصله كالانحر وفيه عرق أخضر كأنه عرق لحم البقر في رأسه كماة ووسطه قناة وفي أسفله مخلاة ولحيته في قفاه يراك من حيث لا تراه لو نطح الفيل كوره أو دخل البحر ثوره كأنه غصن بان أو سيف يمان أو صقلاني عريان أو زنجي غضبان بل كأنه شيطان أو راهب بحران أو هامة من هامان أو عنتر في الحرب أو حارس في درب أو رأس حمل أو ركبة جمل أو كوكب الذنب أو طن قصب أو ذنب التنين أو شوبك القيارين ينطح بغير قرنين ويمشي بغير رجلين ويبصر بغير عينين يدخل في الظلمات وهو أحد البليات في عنقه طوق من أسفل إلى فوق إذا ارتفع النهار يكون كالجلنار أتيه من ملك القندهار مدمج كالطومار يغوص في البحار ويثقب بالإبكار ويدخل في الأحجار إذا جنه الليل أطال القيام والناس نيام.

فقالت المساحقة أما علمت أن اللطف والنظافة والظرف واللباقة والتساحي والبراعة في السحق الذي هو سبعون ومائة واحدة منها العقبي والاستكلاب والطنبلسب والملح والمعوج والمقرطح والدارتردار والطاق برطاق والمخالف والمؤالف والشراعي

---

(١) حياة الحيوان الكبرىالدَّمِيري ٥١٦/١

وقبضه وبسطه وعقبه وضغطه والغطيط والصفدعي والتفن والرهز وغير هذه، وأما أنتم فكل شيء لكم النوم على القفا والإدخال في الأست فغذا جهدتم جهدكم كان لون آخر وهو القيام على أربع ويسمونه الحماري وتفتخرون به وأين هذا من أخذه سوقا وعمل وسؤال وعلل ورقدة وخلوة وحديث هند والزرقا ودعنا نبوران.." (١)

"ويقول:

أأترك حاجتي غرض التواني ... وأنت الدلو فيها والرشاء

ويقول:

ضاحي المحيا للهجير وللقنا ... تحت العجاج تخاله محراثا

ويقول:

تثفى الحرب منه حين تغلي ... مراجلها بشيطان رجيم

ويقول:

ولى ولم يظلم وما ظلم امرؤ ... حث النجاء وخلف التنين

فهو يجعل الممدوح تارة دلوا، وتارة محراثا، ومرة رشاء، وأخرى تنينا وشيطانا رجيما؛ وأظنه جسر على ذلك لما سمع قول جرير:

أيام يدعونني الشيطان من غزلي ... وهن يهوينني إذ كنت شيطانا

وما أبعد ما بين الكلامين، وأشد تفاوت ما بين الموضعين! ويقول:

كان الزمان بكم كلبا فغادركم ... بالسيف والدهر فيكم أشهر الحرم." (٢)

"الحسام المطرور «١» ، وأصول صيال الحنق الموتور، وإنما هي المصافحة والمكافحة بظبات السيوف وأسنة الرماح، والمعاودة لكم بسوء الصباح، فتاب تائب، وهدل «٢» خائب، والتوب مقبول، والإحسان مبذول، لمن عرف رشده وأبصر حظه. فانظروا لأنفسكم، وأقبلوا على حظوظكم، ولتكن أهل الطاعة يدا على أهل الجهل من سفهائكم، واستديموا النعمة التي ابتدأتكم برغيد عيشها ونفيس زينتها، فإنكم من ذلك بين فضيلتين: عاجل الخفض والدعة، وآجل الجزاء والمثوبة عصمكم الله من الشيطان وفتنته ونزغه «٣» ، وأمدكم بحسن معزته وحفظه انهضوا رحكم الله إلى قبض أعطياتكم غير مقطوعة عنكم، ولا مكدرة عليكم.

فخرج القوم من عنده بدارا كلهم يخاف أن تكون السطوة به.

ومن خطب الحجاج بن يوسف الثقفي عند قدومه الكوفة أميرا على العراق: يا أهل العراق أنا الحجاج بن يوسف!

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا ... متى أضع العمامة تعرفوني

والله يا أهل العراق: إني لأرى رؤوسا قد أينعت وحان قطافها، وإني لصاحبها! والله لكأني أنظر إلى الدماء بين العمائم

---

(١) مطالع البدور ومنازل السرورالغزولي ص/١٣٥

(٢) الوساطه بين المتنبي وخصومه ونقد شعرهالجرجاني، الشريف ص/٦٩

واللحى. يا أهل العراق! ما يغمز جانبي كتغماز **التنين**، ولا يقعقع لي بالشنان «٤» . ولقد فررت عن ذكاء، وفتشت عن تجربة، وأجريت من الغاية، وإن أمير المؤمنين عبد الملك نثر." (١)

"أبرص، النعمان بن المنذر، كان أحمر العينين والشعر. ومن الخلفاء عبد الملك بن مروان أبخر «١» ، يزيد بن عبد الملك أفقم «٢» ، هشام بن عبد الملك أحول، مروان الحمار «٣» أشقر أزرق، موسى الهادي شفته العليا متقلصة، حتى كان أبوه المهدي قد رتب له خادما يلازمه متى غفل وفتح فاه قال: موسى أطبق، إبراهيم بن المهدي كان أسود سمينا يلقب **بالتنين**.

ومن أشراف قريش وغيرهم أبو طالب أعرج، وأبو جهل أحول، أبو لهب كذلك، وكذلك زياد، وعدي بن زيد. الأحنف بن قيس، أحنف متراكب الأسنان، صعل الرأس «٤» ، مائل الذقن. والربيع بن زياد أبرص، وكذلك الحارث بن حلزة. وأيمن بن خريم، والحسن بن قحطبة، وكان عبيدة السلماني أصم، وكذلك ابن سيرين والكميت الشاعر، والمرقش الأكبر الشاعر أجدع.

أصحاب النوادر

ابن أبي عتيق «٥» ، أشعب الطمع «٦» ، أبو الغصن جحا «٧» ، أبو العبر «٨» ،." (٢)

"فاستقبله الحادي عشر ووثب، ورماه حين «١» حاذاه من كثب، فسقط كفارس تقطر عن جواده، أو وامق «٢» أصيبت حبة فؤاده؛ فحمله بساقه، وعدل به إلى رفاقه.

واقترن به مرزم له في السماء سمي «٣» معروف، ذو منقار كصدغ معطوف، كأن رياشه فلق اتصل به شفق، أو مآء صاف علق بأطرافه علق:

له جسم من الثلج ... على رجلين من نار:

إذا أقلع ليلا قلت ... برق في الدجى ساري!

فانتحاه الثاني عشر ميمما، ورماه مصمما، فأصابه في زوره، وحصله من فوره، وحصل له من السرور ما خرج به عن طوره. والتحق به سبيطر، كأنه [مدية] «٤» مبيطر؛ ينحط كالسيل، ويكر على الكواسر كالخيل، ويجمع من لونيه بين ضدين يقبل منهما بالنهار ويدبر بالليل؛ يتلوى في منقاره الأيم «٥» ، تلوي **التنين** في الغيم:

تراه في الجو ممتدا وفي فمه ... من الأفاعي شجاع أرقم ذكر:

كأنه قوس رام عنقه يدها ... ورجله رجلها «٦» والحية الوتر!

فصوب الثالث عشر إليه بندقه، فقطع لحيه وعنقه؛ فوقع كالصرح الممرد، أو الطراف الممدد.." (٣)

---

(١) صبح الأعشى في صناعة الإنشاءالقلقشندي ١/٢٦٢

(٢) صبح الأعشى في صناعة الإنشاءالقلقشندي ١/٥١٣

(٣) صبح الأعشى في صناعة الإنشاءالقلقشندي ١٤/٣٣٩

الثور الوحشي ٢/ ٤٢.

الثوم ٢/ ٢٠٠، ٤٥٢، ٣/ ٣٤٤، ٥٢٠، ٤/ ٢٥٤، ٥/ ٧٩، ٢٧٧.

الثياب الحمر ١/ ٤٨٧.

ثياب الخلافة ٣/ ٢٩١.

الثياب اليمانية ٤/ ٢٨٧.

- ج-

الجاروس (الجاورس) ٤/ ٤٦٧.

الجامات (اناء للشرب) ٤/ ٣٠٧.

الجامكية ٣/ ٥٢٤، ٥٢٦.

الجاموس ٢/ ٥١٥، ٤/ ٤٧٩، ٥/ ٧٨، ١٧١، ٢٧٦.

جان (شجر) ٥/ ٢٩٣.

الجباب (الجبة) ١/ ٤٥٣، ٣/ ٢٩٣.

الجبس (حجر) ٣/ ٣٧٩.

الجبلي (نوع من المسك) ٢/ ١٢٩.

جبة أطلس ٣/ ٢٩٤، ٥/ ١٣٧.

الجبهة (أفلاك) ٢/ ١٧٦، ٣٧٩، ٣٩٩، ٤٠٠.." (١)

"رضي الله تعالى عنه قال: كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم تسعة أو ثمانية أو سبعة فقال: ألا تبايعون رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فبسطنا أيدينا وكنا حديثي عهد بالمبايعة، فقلنا: قد بايعناك يا رسول الله، فعلام يا رسول الله نبايعك؟ قال: أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا، وتقيموا الصلوات الخمس، وتطيعوا الله، وأسر كلمة خفية وهي: ولا تسألوا الناس شيئا، فلقد رأيت بعض أولئك النفر يسقط سوط أحدهم، فما يسأل أحدا يناوله إياه، رواه مسلم.

وقال رجل لابنه: إياك أن تريق ماء وجهك عند من لا ماء في وجهه.

وكان لقمان يقول لولده: يا بني إياك والسؤال فإنه يذهب ماء الحياء من الوجه، وأعظم من هذا استخفاف الناس بك.

وأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام: لأن تدخل يدك فم التنين إلى المرفق خير لك من أن تبسطها إلى غني قد نشأ في الفقر.

وقيل لأعرابي: ما السقم الذي لا يبرأ والجرح الذي لا يندمل؟ قال: حاجة الكريم إلى اللئيم.

وقال أبو محلم السعدي:

إذا رماك الدهر في الضيق فانتجع ... قديم الغنى في الناس إنك حامده «١»

---

(١) صبح الأعشى في صناعة الإنشاءالقلقشندي ١٥/ ٤٩٣

ولا تطلبن الخير ممن أفاده ... حديثا ومن لا يورث المجد والده

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مسألة الناس من الفواحش ما أحل من الفواحش غيرها» . وقال عليه الصلاة والسلام:

«لأن يأخذ أحدكم حبله فيحتطب على ظهره خير له من أن يأتي رجلا فيسأله أعطاه أو منعه» .

قال الشاعر:

ما اعتاض باذل وجهه بسؤاله ... عوضا ولو نال الغنى بسؤال

وإذا السؤال مع النوال وزنته ... رجح السؤال وخف كل نوال

وقال أحمد الأنباري:

لموت الفتى خير من البخل للغنى ... وللبخل خير من سؤال بخيل

لعمرك ما شيء لوجهك قيمة ... فلا تلق إنسانا بوجه ذليل

وقال سلم الخاسر:

إذا أذن الله في حاجة ... أتاك النجاح على رسله

فلا تسأل الناس من فضلهم ... ولكن سل الله من فضله

ويقال: أحب الناس إلى الله من سأله وأبغض الناس إلى الناس من احتاج إليهم وسألهم، وفي هذا المعنى قيل:

لا تسألن من ابن آدم حاجة ... وسل الذي أبوابه لا تحجب «٢»

الله يغضب إن تركت سؤاله ... وبني آدم حين يسأل يغضب

وقال محمود الوراق:

شاد الملوك قصورهم وتحصنوا ... من كل طالب حاجة أو راغب

فارغب إلى ملك الملوك ولا تكن ... ياذا الضراعة طالبا من طالب

وقال ابن دقيق العيد:

وقائلة مات الكرام فمن لنا ... إذا عضنا الدهر الشديد بنابه

فقلت لها من كان غاية قصده ... سؤالا لمخلوق فليس بنابه

إذا مات من يرجى فمقصودنا الذي ... ترجينه باق فلوذي ببابه

وقال بعض أهل الفضل:

لما افتقرت لصحبي ما وجدتهمو ... لجأت لله لباني وأغناني

واها على بذل وجهي للورى سفها ... فلو بذلت إلى مولاي والاني

وسأل رجل رجلا حاجة فلم يقضها فقال: سألت فلانا حاجة أقل من قيمته، فردني ردا أقبح من خلقته.

وسأل عروة مصعبا حاجة فلم يقضها فقال: علم الله تعالى أن لكل قوم شيخا يفزعون إليه وأنا أفزع منك «٣» .." (١)

"(حرف الظاء) :

(ظبي)

واحد الغزلان، وهو ثلاثة أصناف الأول الآرام، وهو ظباء الرمل ولونها رمادي وهي سمينة العنق.

والثاني: العفر ولونها أحمر وهي قصيرة العنق.

والثالث: الأدم وهي طويلة العنق وتوصف بحدة البصر وقيل: إن الظبي يقضم الحنظل ويمضغه مضغا وماؤه يسيل من شدقيه ويرد الماء الملح فيشرب الماء الأجاج ويغمس خرطومه فيه كما تغمس الشاة لحييها في العذب، فأي شيء أعجب من حيوان يستعذب ملوحة البحر ويستحلي مرارة الحنظل.

الخواص: لسانه يجفف ويطعم للمرأة السليطة تزول سلاطتها، وبعره وجلده يحرقان ويسحقان ويجعلان في طعام الصبي يزيد ذكاؤه ويصير فصيحا ذلقا حافظا.

(ظربان)

دويبة فوق جرو الكلب منتنة الريح تزعم العرب أن من صادها وفست في ثوبه لا تزول الرائحة منه حتى يبلى الثوب ويحكى من شؤمها أنها تأتي بيت الظبي، فتفسو فيه ثلاث مرات فتقتل ما فيه، وتأكله بعد ذلك.

(حرف العين) :

(عجل) :

حيوان معروف وهو ذكر البقر وسمي بذلك لاستعجال بني اسرائيل بعبادته والسبب في ذلك أن موسى علي الصلاة والسلام وقت الله له ثلاثين ليلة ثم أتمها بعشر وكان فيهم شخص يسمى موسى بن ظفر السامري في قلبه من حب عبادة البقر شيء فابتلى الله به بني اسرائيل فقال:

ائتوني بحلى قال: فأتوه بجميع حليهم فصنع منه عجلا جسدا وألقى عليه قبضة من التراب أخذه من أثر فرس جبريل عليه السلام فصار له خوار كما أخبر الله تعالى، فعكفوا على عبادته من دون الله تعالى، وكانوا يأتون إليه ويرقصون حوله ويتواجدون فيخرج منه تصويت كهيئة الكلام فيتعجبون من ذلك ويظنون أنه تكلم، وإنما فعل ذلك بإغواء إبليس لعنه الله حتى يطغيهم.

فائدة: نقل القرطبي عن سيدي أبو بكر الطرطوشي رحمهما الله أنه سئل عن قوم يجتمعون في مكان فيقرأون من القرآن ثم ينشد لهم الشعر فيرقصون ويطربون، ثم يضرب لهم بعد ذلك بالدف والشبابة هل الحضور معهم حلال أم حرام فقال: مذهب الصوفية أن هذه بطالة وجهالة وضلالة وما الإسلام إلا كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأما الرقص والتواجد فأول من أحدثه أصحاب السامري لما اتخذوا العجل فهذه الحالة هي حالة عباد العجل وإنما كان النبي صلى الله

---

(١) المستطرف في كل فن مستطرفشهاب الدين الأبشيهي ص/٣٠٣

عليه وسلم مع أصحابه في جلوسهم كأنما على رؤسهم الطير مع الوقار والسكينة فينبغي لولاة الأمر وفقهاء الإسلام أن يمنعوهم من الحضور في المساجد وغيرها ولا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يحضر معهم ولا يعينهم على باطلهم هذا مذهب الشافعي وأبي حنيفة ومالك وأحمد بن حنبل رحمهم الله تعالى.

(عقرب) :

هو من الحشرات. قال الجاحظ: إنها تلد من فيها مرتين «١»

وتحمل أولادها على ظهرها وهم كهيئة القمل كثير العدد وقال غيره إذا حملت تسلط عليها أولادها فأكلوا بطنها وخرجوا «٢»

كهيئة الذر ثم يكثرون ويطوفون بالأرض ولها ثمانية أرجل ومن عجيب أمرها أنها لا تضرب النائم إلا إذا تحرك شيء منه والخنافس تأوي إليها وربما لسعت التنين العظيم فقتلته.

(غريبة) : قال ذو النون المصري بينما أنا في بعض سياحتي إذ مررت بشاطىء البحر فرأيت عقربا أسود قد أقبل إلى أن جاء إلى شاطىء البحر، فظننت أنه يشرب فقمت لأنظر فإذا بضفدع قد خرج من الماء وأتاه فحمله على ظهره وذهب به إلى ذلك الجانب، قال ذو النون فاتزرت بمئزري وعمت خلفه حتى إذا صعد من ذلك الجانب صعدت وسرت وراءه فما زال حتى جاء إلى شجرة، فوجدت تحتها غلاما نائما من شدة السكر قد أقبل عليه تنين عظيم، قال: فلصقت العقرب برأس التنين ولسعته فقتلته ثم رجعت إلى ظهر الضفدع فعبر بها إلى الماء وسار بها إلى المكان الذي جاءت منه قال ذو النون فتعجبت من ذلك وأنشدت:

يا راقدا والجليل يحفظه ... من كل سوء يكون في الظلم

كيف تنام العيون عن ملك ... يأتيك منه فوائد النعم

ثم أيقظت الغلام وأخبرته بذلك قال: فلما سمع ذلك قال: أشهدك على إني قد تبت عن هذه الخصلة ثم جرينا ذلك التنين ورميناه في البحر ولبس ذلك الغلام مسحا وساح إلى أن مات رحمة الله تعالى عليه، وما أحسن ما قال بعضهم:

إذا لم يسالمك الزمان فحارب ... وباعد إذا لم تنتفع بالأقارب." (١)

"جعفر بن محمد عن آبائه عن النبي صلى الله عليه وسلم: «لا يزداد المال إلا كثرة، ولا يزداد الناس إلا شحا، ولا تقوم الساعة إلا على شرار الخلق» . الحسن: إن صحبة الأشرار، تورث سوء الظن بالأخيار. لقمان: يا بني كذب من يقول: إن الشر يطفىء الشر، فإن كان صادقا فليوقد نارين ثم لينظر هل تطفىء إحداهما الأخرى؟ وإنما يطفىء الماء النار. سقراط: إذا وليت أمرا فأبعد عنك الأشرار فإن جميع عيوبهم منسوبة إليك. أبو العيناء: رأيت جارية في النخاسين تحلف أن لا ترجع إلى مولاها، فقلت لها: لم؟ فقالت: يا سيدي يواقعني من قيام ويصلي من قعود، ويشتمني بإعراب ويلحن في القرآن، ويصوم الاثنين والخميس ويفطر في رمضان، ويصلي الضحى ويترك الفجر.

أبو هريرة رضي الله عنه، رفعه: «إن للإيمان سربالا يسربله الله من يشاء، فإذا زنى العبد نزع الله منه سربال الإيمان، فإذا تاب

---

(١) المستطرف في كل فن مستطرفشهاب الدين الأبشيهي ص/٣٦٥

رده الله عليه» . وعنه رفعه:

«إن السموات السبع والأرضين السبع لتلعن العجوز الزانية والشيخ الزاني» . بلغ عثمان رضي الله عنه أن قوما على فاحشة، فأتاهم وقد تفرقوا، فحمد الله وأعتق رقبة. عن النبي صلى الله عليه وسلم: «أعدى عدوك نفيستك بين جنبيك» . أبو بكر رضي الله عنه: العداوة تتوارث. داود عليه السلام: لا تشتر عداوة واحد بصداقة ألف.

الحارث بن شمر الغساني: من اغتر بكلام عدو فهو أعدى عدو لنفسه. كان حاتم أسيرا في بلاد عنزة فلطمته أمة لهم فقال: لو ذات سوار لطمتني.

ولا غرو أن يبلى شريف بخامل ... فمن ذنب التنين تنكسف الشمس

السيد الحميري:

من كان أفضل خلق الله كلهم ... أمسى له الناس أعداء وحسادا." (١)

"عبد الملك بن عمير الليثي قال بينما نحن بالمسجد الجامع بالكوفة وأهل الكوفة يومئذ ذوو حالة حسنة يخرج الرجل منهم في العشرة والعشرين من مواليه إذ أتانا آت فقال هذا الحجاج قدم أميرا على العراق وإذا به قد دخل المسجد معتما بعمامة قد غطى بها أكثر وجهه متقلدا سيفا متنكبا قوسا يؤم المنبر فمال الناس نحوه حتى صعد المنبر فمكث ساعة لا يتكلم فقال بعض الناس لبعض قبح الله بني أمية كيف تستعمل مثل هذا على العراق حتى قال عمير بن ضابئ البرجمي ألا أحصبه لكم فقالوا أمهل حتى ننظر فلما رأى الحجاج أعين الناس تدور إليه حسر اللثام عن وجهه ونهض فقال أنا ابن جلا وأنشد البيت وقال يا أهل الكوفة إني لأرى رؤوسا قد أينعت وحان قطافها وإني لصاحبها وكأني أنظر إلى الدماء بين العمائم واللحى

(هذا أوان الشد فاشتدي زيم ... قد لفها الليل بسواق حطم)

(ليس براعي إبل ولا غنم ... ولا بجزار على ظهر وضم)

ثم قال

(قد لفا الليل بعصلبي ... أروع خراج من الدوي)

(مهاجر ليس بأعرابي ... معاود للطعن بالخطى)

ثم قال أيضا

(قد شمرت عن ساقيها فشدوا ... وجدت الحرب بكم فجدوا)

(والقوس فيها وتر عرد ... مثل ذراع البكر أو أشد)

إني والله يا أهل العراق لا يقعقع لي بالشنان ولا يغمر جانبي كتغماز التنين." (٢)

---

(١) روض الأخيار المنتخب من ربيع الأبرارالأماسي ص/٢٥٧

(٢) معاهد التنصيص على شواهد التلخيصأبو الفتح العباسي ٣٤٣/١

"وقعها وقللت تأثيرها وضرها.

فمنها إشعار النفس ما تعلمه من حلول الفناء، والمصير إلى الإنقضاء، إذ ليس للدنيا حال يدوم، ولا لمخلوق بقاء معلوم، ومنها أن تستشعر أن كل يوم يمر منها شطر، ويذهب منها جانب حتى تتخلى، وأنت عنها غافل، قال الشاعر:

تسل عن الهموم فليس شيء ... يقيم فما همومك بالمقيمة

لعل الله ينظر بعد هذا ... إليك بنظرة منه رحيمة

ومنه أن تعلم أن فيما وقي من الرزايا، وكفى من الحوادث والبلايا، ما هو أعظم من رزيته، وأشد من بليته.

ومنها أن تعلم أن طوارق الإنسان من دلائل فضله، ومحنه من شواهد نبله.

فعن أمير المؤمنين رضي الله عنه حذق المرء محسوب من رزقه، وقال الشاعر:

محن الفتى يخبرن عن فضل الفتى ... كالنار مخبرة بفضل العنبر

وقلما تكون محنة فاضل إلا على يد جاهل وبلية كامل إلا من جهة ناقص قال الشاعر:

فلا غرو أن يمنى أديب بجاهل ... فمن ذنب التنين تنكسف الشمس

ومنها علمه بأنه يعتاض من الإرتياض بنوائب دهره، والإرتماض بمصائب عصره صلابة عود، واستقامة عمود، وتجاربا لا يغتر معه برخاء، وثباتا لا يتزلزل بعده لكل شدة، وبأسا قال الشاعر:

نوائب الدهر أدبتني ... وإنما يوعظ الأديب

لم يمض بؤس ولا نعيم ... إلا ولي فيهما نصيب

ومنها التأسي بالأنبياء والأولياء السلف والصالحين، فإنه لم يخل أحدهم مدة عمره عن تواتر البلايا، وتفاقم الرزايا، وليشعر نفسه أن ينخرط بذلك في سلك أولئك الأقوام، وناهيك به من مقام يسمو على كل مقام.

سئل الحسن بن علي رضي الله عنهما: من أعظم الناس قدرا؟ فقال: من لم يبال بالدنيا بيد من كانت.." (١)

"لا يفطنون لعيب جارهم ... وهم لحفظ جوارهم فطن حلاهم هذه الغريزة التي ليست باستكراه ولا جعل، وأمير المؤمنين دام نصره قسيمهم فيها حذو النعل بالنعل، ثم هو عليهم وعلى من سواهم بالأوصاف الملوكية مستعل، ارفض مزنهم منه عن غيث ملث يمحو آثار اللزبة، وانشق غيلهم منه عن ليث ضار متقبض على براثنه للوثبة، فقل لسكان الفلا: لا تغرنكم أعدادكم وأمدادكم، فلا يبالي السرحان المواشي سواء مشى إليها النقرى أو الجفلى (١) ، بل يصدمهم صدمة تحطم منهم كل عرنين، ثم يبتلع بعد أشلائهم المعفرة ابتلاع التنين، فهو كما عرفوه، وعهدوه وألفوه، أخو المنايا، وابن جلا وطلاع الثنايا، مجتمع أشده، قد احتنكت سنه وبان رشده، جاد مجد، محتزم بحزام الحزم مشمر عن ساعد الجد:

لا يشرب الماء إلا من قليب دم ... ولا يبيت له جار على وجل (٢) أسدي القلب آدمي الرواء، لابس جلد النمر يزوي العناد والنواء (٣) :

وليس بشاوي (٤) عليه دمامة ... إذا ما سعى يسعى بقوس وأسهم ولكنه يسعى عليه مفاضة دلاص كأعيان الجراد المنظم

---

(١) الكشكولالبهاء العاملي ٥١/٢

فالنجاء النجاء سامعين له طائعين، والوحى الوحى (٥) لاحقين به خاضعين، قبل أن تساقوا إليه مقرنين في الأصفاد، ويعيا الفداء بنفائس النفوس والأموال على الفاد، حينئذ يعض ذو الجهل والفدامة، على يديه حسرة وندامة، إذا رأى

---

(١) النقري: الدعوة الخاصة، والجفلى: العامة، يعني وحده أو مع جماعة.

(٢) البيت لأبي سعيد المخزومي (أمالي القالي ١: ٢٥٩) .

(٣) انظر اللسان (شوه – عين) .

(٤) الشاوي: صاحب الشاء.

(٥) في ق ص: والوجل الوجل.." (١)

"وتوائمها توائم النجوم واللؤلؤ ما تشابك منها.

وبروجها معروف وتنينها التنين بياض خفي في السماء يكون جسده في ستة بروج وذنبه في البرج السابع الخ.

ومجرتها باب السماء أو شرجها.

ورجمها النجوم التي يرمى بها.

وأعلاطها أعلاط الكواكب الدراري التي لا أسماء لها: وإناثها الإناث صغار النجوم.

وخسائها النجوم لا تغرب كالجدي والقطب وبنات نعش والفرقدين.

وأنوائها النوء النجم مال للغروب أو سقوط النجم في المغرب مع الفجر وطلوع آخر يقابله من ساعته في المشرق. التي يرجع البصر عنها وهو كليل.

وإلى اختلاف سجن الناس ورؤوسهم. فإنك لا تكاد ترى سحنة بشر تشبه سحنة آخر غيره. ولا تجد بين رؤوسهم أي عقولهم رأسا يشبه غيره. فمن عباد الله هؤلاء من أختار المخالطة والمقارفة. والمحاشرة والمزاحمة والمضاغطة والمصادمة. والمباراة والمعاجمة. والملاهسة والمداحمة. والمجاحسة والمداغمة. والمزاعمة والمداهمة. والمساومة والمزاهمة. على اختلاف فيها. وذلك كالتجار والنساء. ومنهم من قابلهم بضد ذلك فاختار العزلة والانفراد كالنساك والزهاد. ومنهم من جعل دأبه التهافت على اليمين والافتراء. والغلو والإطراء. كالشعراء والمستأجرين لمدح الملوك فيما يطبعونه من هذه الوقائع الإخبارية –ومنهم من قابلهم بضده فآثر الصدق والتحري– والتحقيق والتروي. والقول الفصل والمطابقة بين الماضي والحاضر والآتي. وذلك كأهل الفلسفة والحكمة والرياضة. ومنهم من يعمل النهار كله ويكد بكلتا يديه وكلتا رجليه وربما لم ينطق بكلمة واحدة. وذلك كأصحاب الصنائع الشاقة، ومنهم من لا يحرك يده ولا رجله ولا كتفه ولا رأسه وإنما ينطق في بعض أيام الأسبوع بكلمات ثم يقضي سائر الأيام مستريحا متنعما –مترفها متترفا– وذلك كالخطباء والوعاظ والمرشدين إلى الدين. ومنهم من يفتك ويبطش ويجرح ويقتل كالجند. ومنهم من يعالج ويداوي ويشفي ويحي كالإساءة وأولياء الله تعالى أهل الكرامات والمعجزات. ومنهم من يستأجر للتطليق. ومنهم للتحليل. ومنهم للإيلاد. ومنهم للإلحاد. ومنهم للتفريق. ومنهم للتأليف

---

(١) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباسالمقري التلمساني ٥٤٦/٤

بين الآحاد. ومنهم من يتكوى في بيته فلا يكاد يخرج منه إلا لضرورة. ومنهم من يصعد الجبال والأدقال. والمنابر والأشجار. ومنهم من يهبط الأودية والبواليع والمراحيض. ومنهم من يسهر الليالي في تأليف كتاب. ومنهم من لا يذوق النوم حتى يحرقه. ومنهم من يسود ومن يساد. ومنهم من يقود أو يقاد. ومع هذا التنافي والتباين فمآل مساعيهم وحركاتها كلها إلى شيء واحد. وهو إدخال الإنسان خنابتيه غداة كل يوم في رائحة كريهة قبل أن يستنشق روائح الأزهار. ويتمتع بمتوع النهار.

وأعجب من جميع ما مر بك من هذه الأحوال حالتا أصحابنا السوقيين والخرجيين. فإن حرفتهم لما كانت لا تتوقف إلا على استعمال أداتين فقط. أي المخيلة والقسم دون افتقار إلى آلة أخرى. وكان مورد أقوالهم. ومصدر جدالهم. ومبنى انتحالهم. وجل رأس مالهم قولهم يحتمل أن يكون هذا الشيء من باب المجاز الإسناد أو اللغوي. أو من مجاز المجاز أو الكناية. أو من حمل النظير على النظير. أو النقيض. أو من باب ذكر اللازم وإرادة الملزوم أو بالعكس. أو من قبيل ذكر البعض. وإرادة الكل أو بالعكس أو من نوع أسلوب الحكيم. أو من باب التهكم. أو من طاقة التلميح. أو من كوة الالتفات. أو من خرق الحشو. أو من خرت الإدماج. أو من خصائص الاكتفاء. أو من شق الاحتباك. أو من سم عكس التشبيه. أو من خلل سوق المعلوم مساق غيره. أو من فتخات التجريد. أومن فرجة الاستطراد. أو من ثقوب التورية. لم يكن من اللائق بهم أن يخلطوا هذه الأوات وتلك اللوات بشيء.

من العرادات العرادة شيء أصغر من المنجنيق.

والدبابات الدبابة آلة تتخذ للحروب فتدفع في أصل الحصن فينقبون وهم في جوفها.

الدراجة الدبابة تعمل لحرب الحصار تدخل تحتها الرجال.

المنجنيق. المنجنيق آلة ترمي بها الحجارة كالمنجنوق معربة والمنجليق المنجنيق والنفاطات النفاطة أداة من نحاس يرمي فيها بالنفط.

والخطار المنجنيق والذي يطعن بالرمح.

والسبطانات السبطانة قناة جوفاء يرمي بها الطير.

والضبر جلد يغشى خشبا فيها رجال تقرب إلى الحصون للقتال.." (١)

"ألفا من الرجال غير النساء والأولاد زربابل ملكهم ويشوع كاهنهم. وعنهما قال ملاك الرب لزكريا النبي إن هذين ابنا الدلال وهما يقومان بين يدي رب العالمين. فصعدت هذه الشرذمة من بني إسرائيل في السنة الأولى من ملك كورش إلى أورشليم وهموا بعمارتها. ولأن الفلسطينيين مجاوريهم أعنتوهم كان تشييدهم الهيكل على التراخي في ست وأربعين سنة. وعظم كورش أيضا شأن دانيال وفوض إليه سياسة ملكه. فغار لله غيرة وكسر الصنم المسمى بيلا وقتل **التنين** معبود البابليين. فمقت ورمي في جب فيه سبعة أسد. وكان حبقوق النبي في الشام قد طبخ طبيخا ومضى يطعم الحواصيد. فأخذه ملاك الرب بشعر رأسه ووضعه في بابل على فم الجب فقال: دانيال دانيال قم خذ الطعام الذي أنفذ لك ربك. فقال دانيال: ذكرني الله ولم يهملني. وأخذ الملاك بحبقوق ووضعه في موضعه. ونجا دانيال من الجب بعد سبعة أيام وهلك مبغضوه. ثم

---

(١) الساق على الساق في ما هو الفارياقالشدياق ص/٦٩

رأى الرؤيا على نهر الفرات وعرفه ملاك الرب مدة السنين التي بقين من السبي ومن ظهور السيد المسيح وآلامه وموته. ومات دانيال ودفن في قصر شوشن أعني مدينة تستر

احشوروش واستر

٤٩٩ وجرى ملوك الفرس على سنة كورش في تكريم بني إسرائيل إلا قليلا في أيام أحشروش منهم. كان وزيره هامان وكان من." (١)

"٣٥ قال حكيم: وجدت مثل الدنيا والمغرور بالدنيا المملوءة آفات مثل رجل ألجأه خوف إلى نئر تدلى فيها وتعلق بغصنين نابتين على شفير البئر. ووقعت رجلاه على شيء فمدهما فنظر فإذا بحيات أربع قد أطلعن رؤوسهن من جحورهن. ونظر إلى أسفل البئر فإذا بثعبان فاغر فاه نحوه. فرفع بصره إلى الغصن الذي يتعلق به فإذا في أصله جرذان أبيض وأسود يقرضان الغصن دائبين لا يفتران. فبينما هو مهتم بنفسه ابتغاء الحيلة في نجاته إذ نظر فإذا بجانب منه حجر نحل قد وضعن شيئا عن عسل فتطاعم منه فوجد حلاوته. فشغلته عن الفكر في أمره والتماس النجاة لنفسه. ولم يذكر أن رجليه فوق أربع حيات لا يدري من تساوره منهن وأن الجرذين دائبان في قرض الغصن الذي يتعلق به وأنهما إذا أوقعاه وقع في لهوات **التنين**. ولم يزل لاهيا غافلا حتى هلك. قال الحكيم: فشبهت الدنيا المملوءة آفات وشرورا ومخاوف بالبئر. وشبهت الحياة الأربع بالأخلاط الأربع التي في جسد الإنسان من المرتين والبلغم والدم. وشبهت الغصن الذي تعلق به بالحياة. وشبهت الجرذين الأبيض والأسود الذين يقرضان الغصن دائبين لا يفتران بالليل والنهار ودورانهما في إفناء الأيام والآجال. وشبهت الثعبان الفاغر فاه بالموت الذي لا بد منه. وشبهت العسلة التي تطاعمها بالذي يرى الإنسان ويسمع ويلبس فيلهيه ذلك عن عاقبة أمره. (لابن عبد ربه) .." (٢)

"قال الراوي: وسكت الشيخ، فعلقت به الأبصار، ووقفت أنفاس الناس على شفاههم، وكأنما ماتت لحظات من الزمن لذكر موت الطفلة، وخامر المجلس مثل السكر بهذه الكأس المذهلة؛ ولكن الطفلة دبت من عالم الغيب كما كانت تصنع، وجذبت الكأس وأهرقتها، فانتبه الناس وصاحوا: ماتت فكان ماذا؟

قال الشيخ: فأكمدني الحزن عليها، ووهن جأشي، ولم يكن لي من قوة الروح والإيمان ما أتأسى به، فضاعف الجهل أحزاني، وجعل مصيبتي مصائب. والإيمان وحده هو أكبر علوم الحياة، يبصرك إن عميت في الحادثة، ويهديك إن ضللت عن السكينة، ويجعلك صديق نفسك تكون وإياها على المصيبة، لا عدوها تكون المصيبة وإياها عليك، وإذا أخرجت الليالي من الأحزان والهموم عسكر ظلامها لقتال نفس أو محاصرتها، فما يدفع المال ولا ترد القوة ولا يمنع السلطان، ولا يكون شيء حينئذ أضعف من قوة القوي، ولا أضيع من حيلة المحتال، ولا أفقر من غنى الغني، ولا أجهل من علم العالم، ويبقى الجهد والحيلة والقوة والعلم والغنى والسلطان للإيمان وحده؛ فهو يكسر الحادث ويقلل من شأنه، ويؤيد النفس ويضاعف

---

(١) مجاني الأدب في حدائق العربلويس شيخو ٢٧٥/١

(٢) مجاني الأدب في حدائق العربلويس شيخو ٢٩/٢

من قوتها، ويرد قدر الله إلى حكمة الله؛ فلا يلبث ما جاء أن يرجع، وتعود النفس من الرضا بالقدر والإيمان به، كأنما تشهد ما يقع أمامها لا ما يقع فيها.

قال الشيخ: ورجعت بجهلي إلى شر مما كنت فيه، وكانت أحزاني أفراح الشيطان؛ وأراد -أخزاه الله- أن يفتن في أساليب فرحه، فلما كانت ليلة النصف من شعبان -وكانت ليلة جمعة، وكانت كأول نور الفجر من أنوار رمضان- سول لي الشيطان أن أسكر سكرة ما مثلها؛ فبت كالميت مما ثملت، وقذفتني أحلام إلى أحلام، ثم رأيت القيامة والحشر، وقد ولدت القبور من فيها، وسيق الناس وأنا معهم، وليس وراء ما بي من الكرب غاية؛ وسمعت خلفي زفيرا كفحيح الأفعى، فالتفت فإذا بتنين عظيم ما يكون أعظم منه؛ طويل كالنخلة السحوق، أسود أزرق، يرسل الموت من عينيه الحمراوين كالدم، وفي فمه مثل الرماح من أنيابه، ولجوفه حر شديد لو زفر به على الأرض ما نبتت في الأرض خضراء، وقد فتح فاه ونفخ جوفه وجاء مسرعا يريد أن يلتقمني، فمررت بين يديه هاربا فزعا؛ فإذا أنا بشيخ هرم يكاد يموت ضعفا، فعذت به وقلت: أجرني وأغثني.

فقال: أنا ضعيف كما ترى، وما أقدر على هذا الجبار، ولكن مر وأسرع، فلعل الله أن يسبب لك أسبابا بالنجاة.

فوليت هاربا وأشرفت على النار وهي الهول الأكبر، فرجعت أشتد هربا **والتنين** على أثري؛ ولقيت ذلك الشيخ مرة أخرى، فاستجرت به فبكى من الرحمة." (١)

"لي وقال: أنا ضعيف كما ترى، وما أقدر على هذا الجبار، ولكن اهرب إلى هذا الجبل، فلعل الله يحدث أمرا.

فنظرت فإذا جبل كالدار العظيمة، له كوى عليها ستور، وهو يبرق كشعاع الجوهر؛ فأسرعت إليه **والتنين** من ورائي، فلما شارفت الجبل فتحت الكوى، ورفعت الستور، وأشرفت علي وجوه أطفال كالأقمار، وقرب **التنين** مني، وصرت في هواء جوفه وهو يتضرم علي، ولم يبق إلا أن يأخذني؛ فتصايح الأطفال جميعا: يا فاطمة! يا فاطمة!

قال الشيخ: فإذا ابنتي التي ماتت قد أشرفت علي، فلما رأت ما أنا فيه صاحت وبكت، ثم وثبت كرمية السهم، فجاءت بين يدي، ومدت إلي شمالها فتعلقت بها، ومدت يمينها إلى **التنين** فولى هاربا، وأجلستني وأنا كالميت من الخوف والفزع، وقعدت في حجري كما كانت تصنع في الحياة، وضربت بيدها إلى لحيتي وقالت: يا أبت ... ﴿ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق﴾ [الحديد: ١٦] .

فبكيت وقلت: يا بنية، أخبريني عن هذا **التنين** الذي أراد هلاكي. قالت: ذاك عملك السوء الخبيث، أنت قويته حتى بلغ هذا الهول الهائل، والأعمال ترجع أجساما كما رأيت. قلت: فذاكالشيخ الضعيف الذي استجرت به ولم يجرني؟ قالت: يا أبت، ذاك عملك الصالح، أنت أضعفته فضعف حتى لم يكن له طاقة أن يغيثك من عملك السيئ؛ ولو لم أكن لك هنا، ولو لم تكن اتبعت قول رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فيمن فرح بناته المسكينات الضعيفات؛ لما كانت لك هنا شمال تتعلق بها، ويمين تطرد عنك.

قال الشيخ: وانتبهت من نومي فزعا ألعن ما أنا فيه، ولا أراني أستقر، كأني طريدة عملي السيئ؛ كلما هربت منه هربت به؛ وأين المهرب من الندم الذي كان نائما في القلب واستيقظ للقلب؟

---

(١) وحي القلمالرافعي ، مصطفى صادق ١/٢١١

وأملت في رحمة الله أن أربح من رأس مال خاسر، وقلت في نفسي: إن يوما باقيا من العمر هو للمؤمن عمر ما ينبغي أن يستهان به؛ وصححت النية على التوبة، لأرجع الشباب إلى ذلك الشيخ الضعيف، وأسمن عظامه، حتى إذا استجرت به أجارني ولم يقل: "أنا ضعيف كما ترى! ".
وسألت فدللت على أبي سعيد الحسن بن أبي الحسن البصري، سيد البقية من التابعين؛ وقيل لي: إنه جمع كل علم وفن إلى الزهد والورع." (١)

"استخدام أسطورتي أورفيوس وبرسيوس رمزا على طبيعة الفن. وبعد أن صدر الكتاب، كتب ديلمور شفارتز مقالا عن ولسن ذهب فيه إلى أن عددا من الأساطير القديمة ومن بينها بيجاسوس واورفيوس وأوديب، يمكن استعماله لتوضيح بعض المناحي في عملية الإبداع، شأنه في ذلك شأن أسطورة فيلوكتيتس، وربما كانت أسطورة أوديب أعظم دلالة منها في هذا المجال. ولعل شفارتز كان قد ألم بفكرة كنث بيرك التي أشرنا إليها سابقا. ولا ريب في أن جميع هذه الأساطير القديمة، بل كل قصة نموذجية، يمكن أن تطور حتى تغدو نظرية صالحة لتفسير طبيعة الفن، صلاح تلك. فكما أن الفنان يجمع بين قواه السحرية وعجزه البغيض، كذلك فإنه يهبط إلى الجحيم ليسترد من عالم النسيان، تلك التي أحبها (١) ، وهو كذلك عاجز عن مواجهة ذلك التنين الأفعواني الرأس، دون أن يتحول إلى حجر، غير أنه في مأمن إذا راقب صورة التنين معكوسة في المرآة (٢) ، وهكذا. وليست هذه الأساطير وغرها متساوية في النفع فقط، فإن قصة فيلوكتيتس، كما ذكر شفارتز وغرانفل هكس (٣) ،

---

(١) إشارة إلى أسطورة اورفيوس الذي هبط إلى الجحيم ليسترد حبيبته يوروديكي.
(٢) إشارة إلى أسطورة برسيوس الذي قتل ميدوسا التي حول أثينا شعرها إلى أفاعي. وكان يحمل درع أثينا الذي يلمع كالمرآة، وكان ينظر إليه ليرى وجه ميدوسا فيه خشية أن يتحول إلى حجر إذا حدق في وجهها.
(٣) وذلك في مقالة له بعنوان " عناد ادموند ولسن "، ظهرت في " مجلة إنطاكية " Antioch Review عدد الشتاء لسنة ١٩٤٦ – ١٩٤٧. وأنا مدين لها بعدد من الحقائق والأفكار. وأعتقد أن مقالة هكس هي خير دراسة نشرت عن ولسن. ولا يعيبها سوى المبالغة في تقدير إمكاناته، فهو يعتبر " أفضل ناقد في البلاد " و " ذكاء نقديا من الطراز الأول " وما إلى ذلك. ولقد غشى على بصيرته عمى عجيب، جعله يرى تجارة ولسن العنيدة نوعا من " الاستقامة "." (٢)

"كذلك لأن القصيدة لا بد أن تقرأ على ضوء أزمة تاريخية مرت بها الأمة العربية، والسنة المقترنة باسم لعازر (١٩٦٢) تشير بوضوح إلى تلك الأزمة، واليها يومئ خليل حين يقول في مقدمة القصيدة مخاطبا لعازر " لئن كنت وجه المناضل الذي انهار أمس، فأنت الوجه الغالب على واقع جيل، بل واقع أجيال يبتلى فيها القوي الخير بالمحال، فيتحول أبلى نقيضه، ويتقمص الخضر طبيعة التنين الجلاد والفاسق وتكون المذلة مصدر تعاظمه ". أن النفور من العودة إلى الحياة

---

(١) وحي القلمالرافعي ، مصطفى صادق ٢١٢/١
(٢) النقد الأدبي ومدارسه الحديثةستانلي هايمن ٦٩/١

في القصيدة؟ أو الاستسلام الكلي للزمن – لهو صورة مرحلية لا تمثل عمق التفاؤل بالبعث وبعودة المنقذ في شعر خليل. وقد كان من الممكن أن نستشرف هذا التغير في موقف الشاعر من الزمن، منذ أول قصيدة في الديوان، وهي قصيدة " البحار والدرويش " فإن الدرويش يمثل الحقيقة الثابتة التي تتحدى الزمن والموت، وبكوخه يستريح التوأمان: " الله والدهر والسحيق "، وهو الذي شهد؟ في حالة خلوده – تتابع الحضارات، وفعل الزمن " ذلك الطفل – الغول الذي تلده الثواني "، بينما هو؟ أي الدرويش – قابع في ضفة " الكنج "، شاهد لا تمتد إليه يد الفناء، وأما البحار الذي يرمز إلى الشاعر المسافر، فإنه يعانق الأشياء الزائلة، يموت مع الطين الموات، وقد ماتت منارات الطريق بعينيه، وفي سياق ذلك الخلاص من قبضة الزمن، نجد؟ في النهاية – أن البحار أتحد بالدرويش أو كاد، وأعلن؟ بالبعث والتجدد – انتصاره على الزمن، وإذا لم يستطع أن يكون هو " الخضر " فإنه؟ على الأقل – لم يعد فريسة " للتنين ".

من ذلك يتضح أن الاتجاه الشعري عند خليل حاوي لن يفهم على حقيقته إلا عندما يتضح موقفه من الزمن، فإذا." (١)

"غير أن الشجر الباكي على أرض المدينه

عاشق يسكن قلبي ويغني أغنياتي، –

هدأت صيحة الرجوع:

أمضي وتمضي معي السماء

تحملني الرايات

في موكب العرائس الطيور والعرائس الحيات

تتبعني عينان من مجامر السنين

أرقص في خواصر **التنين**

مع نجمة سوداء.

غير أن الصواري

نغم جارح القرار:

" أن جسمي ومالكيه بأرض

وفؤادي ومالكيه بأرض. " (١)

هدأت صيحة الرجوع

غير أن الصواري

وطن للدموع:

"؟ ولو أنها عقلت، إذن لبكت

ماء الفرات ومنبت النخل. " (٢)

---

(١) اتجاهات الشعر العربي المعاصرإحسان عباس ص/٨٨

هدأت صيحة الرجوع:

---

(١) من شعر عبد الرحمن الداخل.

(٢) من شعر عبد الرحمن الداخل.." (١)

"وبعد تكوين السطح الحساس يأتي دور التصوير لنقل صورة الأصل على اللوح الزجاجي الحساس وبذلك يتم عمل السالبية.

ثانيا: طبع الصورة على اللوح المعدني، وذلك بتغطية سطح المعدن بطبقة غرائية بيكروماتية حساسة للضوء، ثم لصق السالبية على هذه السطح المعدني الحساس وتعريضهما معا لضوء أبيض ناصع يحتوي على كمية كبيرة من الأشعة البنفسجية وفوق البنفسجية. وتمتاز مصابيح الأقواس الكهربائية المقفلة بأنها ترسل كمية كبيرة من الأشعة فوق البنفسجية، أما المصابيح المفتوحة فلا ترسل كمية كبيرة من الأشعة فوق البنفسجية كالتي ترسلها المصابيح المقفلة، ولكنها غنية بالأشعة المنظورة، ولذلك فهي تصلح لتصوير الأصول الملونة. ولما كانت أجزاء الرسم في الأصل قد أصبحت شفافة في السالبية فإنها تسمح بمرور الضوء خلالها، ونتيجة لذلك تتصلب المواضع المقابلة لها من الطبقة الغرائية البيكروماتية، وتصبح غير قابلة للذوبان في الماء، أما الأجزاء البيضاء في الأصل والتي أصبحت معتمة في السالبية فإنها لا تسمح بمرور الضوء خلالها، وبذلك تحمي الطبقة الغرائية البيكروماتية المقابلة لها من التصلب بفعل الضوء، ومن ثم تكون قابلة للذوبان في الماء بسهولة. وعلى هذا الأساس تتحدد بدقة الأجزاء الطباعية التي تبقى بارزة، والأجزاء غير الطباعية التي تصبح منخفضة بفعل تآكل الحامض.

ثالثا: عملية الحفر، وهي تتم بعد طلاء اللوح المعدني بالمادة المقاومة للحامض. وقد تكون هذه المادة في شكل مسحوق أحمر أو في شكل محلول "دم **التنين**"١، ثم يسخن اللوح المعدني ويبرد لتبدأ عملية الحفر الأول بواسطة حامض النيتريك بالنسبة لألواح الزنك أو بمحلول كلوريد الحديديك إذا استعملت ألواح النحاس. ويصبغ اللوح المعدني عادة بالصبغة البنفسجية لكي تظهر الأجزاء الطباعية بوضوح فيسهل مراجعتها على الأصل. على أن قسم الحفر لا يعتمد على تأثير الحامض وحده، وإنما يلجأ إلى استخدام الإبرة الميكانيكية

لعمل اللمسات الأخيرة، كتعميق بعض الفراغات حتى لا تحمل الحبر أثناء عملية الطبع.

رابعا: وبعد الانتهاء من عملية التهذيب تأتي مرحلة التجهيز النهائي بوضع اللوح على قاعدة معدنية أو خشبية، بحيث يكون ارتفاعها مساويا لارتفاع الحرف الطباعي.

---

١ DRAGON.htm'S BLOOD.." (٢)

---

(١) اتجاهات الشعر العربي المعاصرإحسان عباس ص/٢٥٣

(٢) دراسات في الفن الصحفيإبراهيم إمام ص/٢٨٤

"ولما سئل عن خطبته في القدح والذم في توفيق والمناداة بخلعه، لم يتجللج لسانه، ولم ينكر ما حدث وقال "ما كان من الممكن قبول هذه اللائحة، ولو أدى ذلك لخلعه، وكنت أنا وكل الناس على هذا الرأي"١.

ويحكم على عرابي بالسجن، ونراه في سجنه أشجع زملائه، ويرد بمقال قوي على اتهام الجوائب له ولزملائه بأنهم عصاة مارقون، وتنشر له جريدة "التيمس" رده هذا، وفي آخره يقول: "إننا كنا ندافع عن وطننا بطريقة تقرها شريعة الله والإنسان، وكل من يقول غير هذا كائنا من كان، فهو عبد للهوى والمال.

يا دعاة الحق! أمن العدل أن يحرم أبناء الوطن من كل وظيفة، ويأخذ الأجانب أماكنهم، ومن حضر إلى مصر من الشراكسة والألبان والبلقان؟.. ولكننا سنجد بين حماة الإنسانية من يدافعون عن الحق في وجه طغيان هذا العهد الذي يسود منه وجه الإنسان"٢.

ونراه حين يجرد من ألقابه وأمواله يقول: "لا أعبأ بآلامي ولا بالسجن، ولا بالسباب ولا بأي شيء يوجه إلي بعد ذلك، ما دمت قد وقفت نفسي على حرية بلادي، ولا شيء يهمني الآن إلا أن أنقذ بلادي من هذه الهوة المملوءة بالأفاعي السامة، وأن أنتشلهم من مخالب هذا التنين الفظيع.

وإني لا أعبأ بهذه الألقاب العارضة التي لم أكن أرغب فيها في أي وقت من الأوقات، وإني مكتف بشرفي الشخصي الذي سوف يلازمني ما حييت، ويبقى بعدي إذا مت، وسوف يرضيني دائما أن أنادى بأحمد عرابي المصري فقط، وبغير ألقاب"٣.

ثم ينفى عرابي فما جزع حين ترك مصر، ولا تضعضع في المنفى، بل كان أهل سرنديب ينظرون إليه نظرة إكبار وإجلال، ويعده المسلمون هناك من زعماء الإسلام والأبطال، وكان يرد على الصحف المصرية والأجنبية التي تتهجم عليه

---

١ نصوص المحاكمة في مخطوط عرابي، وفي الجزء السابع من كتاب "مصر للمصريين".

٢ أحمد عرابي الزعيم المفترى عليه، ص٥٠٦.

٣ التاريخ السري، ص٤١٢.." (١)

"العربية جاءت من اسم شخص من بني عذرة يدعى بهذا الاسم، كان يروي حكايات غريبة.

ويقول فاروق سعد محرر رسالة (تداعي الحيوانات على الإنسان التي وضعها إخوان الصفا): إن تلك الرسالة تعد نموذجا راقيا لملحمة الحيوان، وهي تقوم على اكتمال العناصر الشكلية والموضوعية التي يتميز بها هذا النوع الأدبي، ومسرح أحداث هذه الملحمة هو جزيرة يقال لها "بلاسارون" تقع في وسط البحر الأخضر مما يلي خط الاستواء، وتتميز بطيب هوائها، وكثرة مياهها وزروعها، ولا تقتصر شخصيات هذه الملحمة على البشر والحيوان فقط، بل تجمع أيضا الجن ممثلين في شخص رئيس المحكمة الملك "بيوراس" الحكيم وأعضائها، أما البشر فهم نحو سبعين رجلا من بلدان شتى بينهم عراقي وهندي وعبراني وسرياني وعربي ويوناني وفارسي وحجازي.

أما الحيوانات فقد اجتمعت كلها في المحكمة على اختلاف ألوانها وأجناسها، فالسباع وملكها الأسد، والطيور وملكها

---

(١) في الأدب الحديثعمر الدسوقي ٣٥١/١

السيمرن، والجوارح وملكتهم العنقاء، وحيوان البحر وملكهم التنين، والهوام وملكها الثعبان، والحشرات وملكهم اليعسوب. لقد طرحت العاصفة سفينة من سفن البحر إلى ساحل تلك الجزيرة، وكان فيها قوم من التجار والصناع وأهل العلم وسائر أبناء الناس، فخرجوا وساحوا في تلك الجزيرة، فوجدوها كثيرة الأشجار والفواكه، والثمار والمياه العذبة، تتميز بالهواء الطيب والتربة الحسنة، والبقول، والرياحين، وألوان الزروع والحبوب، وبعد أن وجدوا الحيوانات متآلفة معا، طمعوا فيها فاستأنسوا بعضها، وهرب منهم البعض الآخر، حتى ضجت الحيوانات منهم وفزعت إلى ملك الجزيرة." (١)

"دخلت العربية آلاف الألفاظ الجديدة، وبعضها مستعار من هذه اللغة الأجنبية أو تلك، دون تغيير مثل: أوكسجين وهيدروجين وسينما وراديو وتليفزيون وموتور وميكروكروم وفيلم وإنترنت وكمبيوتر وسوبر ماركت، وبعض هذا المستعار قد تم تعريبه، أي: إعطاؤه شكلا عربيا بإجرائه على وزن من أوزاننا الصرفية، مثل: البترول والتلفاز والتقنية والقرصان والبنزين والرنة واللامة والفاكس وتلفن فلانا أي كلمه في الهاتف، ومنتج أي: قام بالمونتاج وتمكيجت المرأة، أي: وضعت مساحيق الزينة على وجهها ... إلى آخره.

وبعض ثالث ترجم إلى العربية ترجمة: كالقطار والمذياع والمرناء والسيارة والباخرة والغواصة والدبابة والطيارة والحاسوب أو الكاتوب –كما أحب أن أسميه– والهاتف والشطيرة، وشمعة الاحتراق، والكابح والتكييف والصحيفة والمجلة والمرأب والرأسمالية والاشتراكية والشيوعية والبنيوية والعولمة والخصخصة والتطبيع والرأي العام وتصادم الحضارات والكتلة الشرقية والكتلة الغربية والحرب الباردة والدب الروسي والتنين الصيني والعم سام والتنويم المغناطيسي والتحالف الدولي، وهو ما يصعب تقصيه وإحصاؤه. كذلك عرفت لغتنا التوسع في ألفاظ المصدر الصناعي في مجال المذاهب والأديان، والاتجاهات الفلسفية والاجتماعية والأدبية، التي غزت اللغة العربية غزوا في العصر الحديث، مثل: القنفشيوسية والشنتوية والطوطمية والمحسوبية والتقليدية والرجعية والذرائعية والوجودية والماركسية والنازية والفاشية والصهيونية والمادية والمثالية والعقلانية والسفالينية والناصرية والقومية والإنسانية والكلاسيكية والرومانسية والأسلوبية والبنيوية والشعرية والنجومية. وهلم جرا.

ومن هذه الاشتقاقات التي انتشرت في لغتنا في العصر الحالي أيضا تلك الأسماء والصفات المبدوءة بلا. مثل: لا ديني ولا أدري ولا مركزي ولا مبالاة." (٢)

---

(١) الأدب المقارن – جامعة المدينة (بكالوريوس)جامعة المدينة العالمية ص/٥٧٨

(٢) الأدب المقارن – جامعة المدينة (ماجستير)جامعة المدينة العالمية ص/٣٨٢

١-"تؤمل الحظ وترجوه، ونبه البيت على واجبه، وأشار لحظ الشرف بحاجبه، وأسرع نير النوبة في الأوبة، قائما في الاعتذار مقام التوبة، واستأثر بالبروج المولدة بيت البنين، وتخطت خطا القمر رأس الجوزهر وذنب التنين، وساوق منها حكم الأصل، حذوك النعل بالنعل، تحويل السنين، وحقق هذا المولود بين". (١)

٢-"هو كذلك إذ برز إليه تنين أحمر العينين فاتح فاه فلما رآه الهمسيع رجع هاربا إلى خلفه، فسكن حس التيني فوقف العادي وقال في نفسه: قدر رآني ولو كان حيوانا لم يدعني وما هو إلا طلسم فرجع له ثانية حتى ظهر له، فسار نحوه فسمع له دويا عظيما فهرب فأقبل يسمع الدوى فإذا هو في رجوع التنين كما قاله في إدباره فعلم إنه طلسم فأخذ حذره من صدمته وأقبل يمشي قليلا قليلا ويخفف وطأ قدميه حتى وضع قدمه في موضع فتحرك التنين ودوى، فأخذ قدوما كان معه فحفر على الموضع حتى ظهرت له سلاسل على بكرات. فأجنه الليل فأسرع الخروج من الكهف وجمع حطبا من الغيضة وأضرمها نارا وبات عند بابا الكهف، فلما غشيه ظلام الليل سمع بكاء وحنينا داخل الكهف فلم يزل ينظر ويرتقب وينظر حتى نظر إلى نار عظيمة خارجة إليه من داخل الكهف، فلما رآها لم يبرح من موضعه حتى غشيته فصبر لها فلم تؤلم فيه شيئا ثم أتته أخرى ثانية أكبر من الأولى فصبر لها
كذلك، فلما مالت عنه أخذ مقياس النيران التي أضرمها وأقبل يضرب بها حيطان الكهف يمينا وشمالا حتى سمع نداء من داخل الكهف يهتف: يا هميسع لا حاجة لنا في دخولك. فأقام حتى أصبح فدخل باب الكهف إلى أن وصل إلى البابا الذي رأى فيه التنين، ثم حفر على بقية حد التنين حتى قلعه وسقط التنين، فسار إليه فقلع عينيه فإذا هما ياقوتتان حمراوان لا قيمة لهما، وسار حتى انتهى إلى بابا هو أعظم هولا وأشد وحشة فلما هم أن يفتحه سمع دويا عظيما وبدا له أسد عظيم فرجع أيضا إلى خلفه فرجع عنه الأسد بدوي عظيم فحفر على موضع حركته كما صنع بالتنين حتى أبطل حركته وقلع عينيه فإذا هما ياقوتتان حمراوان لا قيمة لهما، ثم دخل الباب فإذا هو بدار عظيمة وفيها بيت في وسطه سرير من ذهب شيخ على رأسه لوح". (٢)

٣-"إني نذرت يمينا لا أفندها ... حتى أجاور قبر العالم الهادي
جدجاد ابنته بكر في حجره لم يكن في وقتها أجمل منها ووهبة أحدى نسائه لم يكن لها نظير وإن جعفر بن قرط قال للأسرى الذين في يده: أقيموا حتى أقارع التنين - وإن التنين آتاه في الوقت الذي كان يأتيه فيه - فأخذ بيده شجرة أم غيلان وأخذ بيمينه خشبة عظيمة، فإذا هجم عليه التنين أدخل الشجرة في فمه وضربه بالخشبة في الرأس، فلم يزل يقاتله حتى كل التنين وانصرف، وانه كان كذلك يفعل وهبت ريح باليمن فهدت الصخر من قنن الجبال وخددت الأرض ونقلت أحقاف الرمل من مكان إلى مكان فزعم أهل اليمن أنها كالريح العقيم هبت من جور عمرو ذي الاذعار فكشف تلك

(١) رحلة ابن خلدون ص/١٧٦

(٢) التيجان في ملوك حمير ص/٧٧

الريح جبلا من رمل من منبر هود النبي صلى الله عليه وسلم فقال جعفر بن قوط: يا جدجاد دافعت عنكم أهل الدنيا وبأس أهل الأرض ولا دافع لأمر الله وغلبت الرياح النصيح، وأنشأ يقول:

لم يبق يا جدجاد من لذاتي ... إلا نزال الجحفل الكماء

والصفرة الصدق من اللمات ... وراحة النفس إلى الميقات

كم مشهد ارتاع من إبانتي ... وفيلق أزور من قناتي

امنع من نجران والجنات ... ومسقط البحر إلى السفرات

ما واحد قرني ولا عداني ... يرجون مني أسرع الغايات

قارعتهم بالموت بالساعات ... إذ لا زعيم ضامن حياتي

وكل جمع فإلى شتات ... وكل حي في يد الممات

ما جاز حر الشعر عن أبياتي ... بلغت غاية الصفات". (١)

٤-"أوطنوا الجزع جزع بيت أبي مو ... سى إلى النخل بين حجر وقاب

من ملوك متوجين لديه ... وكهول أعفة وشباب

وبهاليل كالليوث مصا ليس ... ت مغاوير في الحروب اللجاب

بحلوم رواجح وبهاء ... واقتدار على الأمور الصعاب

ونساء حواصل عاطلات ... وبدور مجوبة في القباب

نازلات بين الحجون إلى الخي ... ف خرا عيب كالدمى اتراب

ها هم نازلون بالذكر فيه ... حين غابوا به مغيب الشهاب

أسعدتهم أيامهم ثم ولوا ... ما على الدهر بينهم من عتاب

فهم المطمعون جودا فعادوا ... طعمة للثرى وصم الخضاب

فلي الويح بعدهم وعليهم ... وإليهم من بعد ذاك مآبي

كل حي يموت حقا فيفني ... سبب غالب على الأسباب

قال: ثم قال لي: يا بني أعطني تلك القارورة التي في تلك الكوة، فأعطيته إياها فشرب نصفها وأطلى بنصفها جسده. ثم قال لي: يا بني إذا أتيت أخوتك وقومك فقالوا لك: من أين لك هذا المال؟ فقل لهم: أن الشيخ الذي حملت الحارث بن مضاض الجرهمي، فهم يكذبونك، فقل لهم: هذه آية لكم فمر بهم على الحجر المدفون بجوار زمزم فقل لهم: إن مقام إبراهيم في هذا الحجر الأحمر وإن شعر الحارث في هذا الحجر الآخر وهو قوله: كان لم يكن بين الحجون إلى الصفا. قال ثم قال لي: أعطني القارورة الأخرى فأعطيته إياها فشربها، ثم صاح صيحة ما ظننت إلا أن أهل الدنيا سمعوها، ثم مات مكانه، ثم

---

(١) التيجان في ملوك حمير ص/١٥٥

تمكن على سريره وهجم علي التنين واستدار". (١)

٥-"وبدا في ضحرته متواضعا وجلا يلبس ملفعة بسيطة موشاة الأطراف ويضع كفه تجاه فمه في هيئة التوسل والدعاء، وظهرت خلفه ربته بثوب بسيط رقيق ذي خطوط طويلة، وقد رفعت يديها إجلالا لربها الأكبر وتشفعا لربيبها جوديا عنده، وظهر من خلفها تنين خرافي مجنح بجسم أسد ورأس ثعبان وساقي نسر. ونجح الفنان في الحالين في تمثيل ملامح شخوصه بوضوح وفي تحقيق التناسب في صورهم وفي التمييز بين شموخ المعبود وخشوع المتعبد ورجاء الشفيع وقوسة التنين١.

واحتفظت إحدى لوحات عهده بتصوير ممتع لفتى وفتاة يدقان على طبل كبير في حفل ديني. كما بقيت كأس كبيرة باسمه صنعت من حجر الحية، جسدت على سطوحها الخارجية بالنقش البارز هيئات حيوانات خرافية مجنحة قرناء تقف على سيقانها الخلفية وتمسك عمدا ذات مقابض تشبه مقابض السيوف، وأفاع ضخمة قائمة متقابلة تلتف حول محور رأسي وقد رقشت أجسادها جميعها بقطع حجرية صغيرة وطعمت رءوسها بمواد ملونة٢.

وصاحب تعمير المعابد ورقي الفنون في عهد جوديا نشاط عمراني، كان من صورة الاهتمام بوسائل الري، وبقي من نصوص عهده ما يتحدث عن شق قناة نسبت إلى رب لجش وسميت "نين جيرسو أوشومجال" ويبدو أن حفرها كان عملا ذا بال بحيث أرخ به في سنته٣.

وظل خلفاء جوديا يرددون ذكراه، وساعدت كثرة تماثيله في معبد لجش وكثرة الأوقاف المرصودة على قرابينها، على استمرار تبجيله أو تقديسه بعد عهده.

واحتفظت فنون لجش بمستواها الرفيع في عهد "أورنين جيرسو" بن جوديا، واحتفظت له أرضها ببضعة تماثيل صغيرة ممتعة تشبه تماثيل أبيه، صوره بعضها حليق الشارب واللحية على عادة الكهان، بينما صوره بعضها الآخر بشعر طويل ولحية، واستغل الفنانون بعض قواعد هذه التماثيل لنقش صور عدد من المتعبدين يتقدمون بقرابينهم وهم جثاة٤.

---

١ ديلابورت: المرجع السابق – شكل ٣١ Frankfort, Op. Cit., ٤٩.

٢ Ibid., Pl. ٥١ " And See Iraq, I "Louvre Archives Photographiques", B. ١٩٣٤ ," ٦٠ F.

٣ ديلابورت: المرجع السابق ص١٢٨

٤ Parrot, Op. Cit., Pl. Xxiii A-C". (٢)

---

(١) التيجان في ملوك حمير ص/٢١٢

(٢) الشرق الأدنى القديم في مصر والعراق ص/٤٢١

٦-"الخدين ودقة تمثيل ركن العين ومسطحات الجفنين وخطوط الشفتين وتعبيرهما عن شخصية صلبة مجربة[١].

وعبر النقش عن جانب التقوى في شخصية حمورابي في صورته أمام ربه شمش في الجزء العلوي من النصب الكبير الذي سجلت تشريعاته عليه. فصوره واقفا بعباءة محبوكة انسابت خطوطها المشدودة مع خطوط جسده، يحيي مولاه برفع يده ويواجهه في هيئة المقدر لجلاله، ولكنها مواجهة كريمة تشبه مواجهة الوزير لمليكه. وصور المعبود شمش نفسه أقرب إلى عالم الدنيا منه إلى عالم الخيال، لولا لحيته شديدة الكثافة والطول، وتاجه الطريف ذو الأربعة أزواج من القرون، وألسنة اللهب التي تشع من كتفيه. وصوره يمسك بالعصا والحلقة رمزي العدالة، وكأنه مع حمورابي أشبه برجلين متحدث ومستمع، وإن بدت شفتاهما مطبقتين. واستطاع الفنان أن يوازي بين جلسة المعبود وبين وقفة الملك، بالجمع بين استقامة جذع الإله واستقامة عصاه وبين استقامة جسم الملك[٢].

وثمة تمثال برونزي صغير ذهب إلى أبعد من ذلك في تمثيل العلاقة بين الإنسان وربه، وهو لشيخ ربعة يركع على ركبته اليمنى ويقيم اليسرى، ويضم مجمع ثوبه بيده اليسرى ويجمع أصابع يمناه ويقربها من شفتيه كأنه يدعو بها أو يتمنى. والطريف أن نفس حركة اليد على الفم لا زال يؤديها بعض المسلمين حين الدعاء خلال الاستماع إلى أذان الصلاة .. وقد عبرت شفتا صاحب التمثال عن استبشاره باستجابة ربه لأمنيته. ولا يخلو التمثال من عيوب يسيرة تتمثل في اتساع العينين وقلة تناسق الجزء الأسفل من الساق مع بقية الجسم، ولكنه في مجمله رائع التعبير، وغشي وجهه ويداه برقائق ذهبية، وثمة احتمال بتمثيله للملك حمورابي نفسه. وقد تكررت هيئته نقشا على قاعدته وسجل نص معه يذكر إهداءه إلى المعبود أمورو "من أجل حياة حمورابي"[٣].

وكشفت الأبحاث الأثرية عن أطلال مشرقة من أحياء مدينة بابل في عهد حمورابي، قامت فوقها مباني قرى القصر وتل عمران والمركز الحالية. وشيدت بيوتها على نسق البيوت التي سبقت عهده، فبنيت أساساتها ومداميكها السفلى من الآجر؛ بينما شيدت مداميكها العليا من قوالب اللبن العادية. وكشفت الأبحاث كذلك عن أطلال بعض أحياء مدينة أكد من العهد نفسه؛ ويفهم منها أنها خضعت لتخطيط منظم وتميز فيها طريق مقدس يؤدي إلى معبد إشتار "عشتار" ووازته بضعة شوارع رئيسية تعامدت عليها شوارع أخرى[٤].

وارتفع شأن مردوك معبود بابل بارتفاع شأن مدينته، وكان يعتبر من قبل ولدا للمعبود إنكي، ثم تعمد البابليون تعظيم شأنه ليكفلوا لمدينتهم زعامة دينية إلى جانب زعامتها السياسية وبحيث تنافس المدن الدينية الأخرى القديمة؛ فنسبوا إليه هزيمة التنين تيامة "رمز ملوحة البحر وأخطاره" وأضافوا أن انتصاره هذا

---

١ توجد الرأس بمتحف اللوفر – ويبلغ ارتفاعها نحو ١٥ سم.

.١٦٣See, Frakfort, The Art And Architecture…, Pl.

٢ .F ١٦٨Cf. H. A. Corenewegen-H. Frankfort, Arrest And Movement…,

٣ في متحف اللوفر – وارتفاعه نحو ٢٠ سم.

.٦٤See, Frankfort, The Art And Architecture…, Pl.

٤ ديلابورت: المرجع السابق – ص٤٩ – ٥٠.". (١)

٧-"بالطريق جداران وتطل على جانبيه أبراج متباعدة. ويبدو أن بعض واجهات جدارية كسيت بأفاريز من الخزف الملون نقشت نقشا بارزا بما يمثل الكائنات الحارسة وبخاصة الأسود.

ويخترق طريق المواكب بوابة إشتار "قاهرة أعدائها" وكان لها أصل قديم ثم جددت في العصر الكلداني وزيد ارتفاعها حتى بلغ أربعين قدما، فأصبحت من معالمه الرئيسية. وتقع في الركن الشمالي الشرقي من الحصن الجنوبي لبابل وتؤدي في الوقت نفسه إلى صرحين كبيرين يرتبط بهما جسر معلق يصلهما بالقصر الملكي. وتألفت البوابة من صرحين رئيسين علتهما زخرفة معمارية مسننة. وكسيت مساحة كبيرة من جوانبها الكلدانية المستحدثة بقوالب الآجر ذات السطوح الخزفية الزرقاء، وتعاقبت على سطوحها هذه تسعة صفوف نقشت بالنقش الغائر، مثل بعضها ثيرانا ذات أشكال محورة، ومثل بعضها صور حيوانات خرافية متباعدة، وجمع بعضها الآخر في صوره بين أجزاء **التنين** والنسر والأسد والأفعوان ووحيد القرن. وعبرت هذه الصور في مجموعها عن رموز حيوانية للمعبودين أداد ومردوك، وسمي بعضها باسم سيروش، وتعاقبت في جسومها وشعورها وقرونها وأقدامها ومخالبها ألوان صفراء وخضراء وزرقاء بدرجات متفاوتة، وتعاقبت ظلالها فوق أرضية زرقاء، وبهذا أكسبت بوابتها طابع الجمال وخدمت غرض الدين وغرض الزخرف معا، وزادها جمالا أنه أحاطت بها أطر منقوشة تتألف من مربعات زخرفية وزهيرات كبيرة رقيقة. وكانت جدران البوابة القديمة قد تضمنت قبل العصر الكلداني صور الحيوانات نفسها، ولكن بعضها كان منقوشا فوق الآجر العادي. وعندما رفع رجال نبوخذ نصر مستوى طريق المواكب غطت هذه التعلية على جزء كبير من صور البوابة القديمة، وكان ذلك لحسن حظها إذ بقي عدد منها كاملا حتى الآن، بينما لم يبق من مناظر الآجر الخزفي التي شكلت في عهد نبوخذ نصر نفسه غير أسافلها التي حالت ألوانها. ويبدو أن الصور القديمة والحديثة قد بلغ عددها حين اكتماله نحو ٥٧٥ صورة.

وصاحب الاهتمام بمعابد العاصمة بابل اهتمام مماثل بمعابد المدن الأخرى ذات الشهرة الدينية، فجددت في مدينة بورسيا "برص نمرود الحالية"، إلى الجنوب الغربي من بابل بنحو سبعة أميال، زقورة تشبه زقورة بابل، كانت بعض مداميك الآجرر فيها مزججة، وكانت مسطحاتها ملونة بألوان مختلفة، وتحدثت نصوص العصر نفسه عن عربة "صغيرة" للربة إنانا "أو إشتار" ربة الوركاء، شدت إليها سبعة أسود. أعادها نبوخذ نصر إلى معبدها "إيانا" بعد أن أبعدها عن أهل المدينة في عهد الملك إربا مردوك أحد ملوك الأسرة البابلية الثامنة وأقاموا لها تمثالا مزيفا، وترتب على فعلتهم هذه أن هجرت المعبودة معبدهم واعتكفت في مكان قصي كما روى نص الملك١.

---

(١) الشرق الأدنى القديم في مصر والعراق ص/٤٦١

١ See, Anet, ٣٩٩.". (١)

٨-"أنشئت في القرن السابع أو الثامن، واحتفظ بها لنا مخطوط يرجع تاريخه إلى عام ١٠٠٠ يوجد الآن في المتحف البريطاني. ويبدو أن أبياتها البالغ عددها ٣١٨٣ بيتا هي القصيدة بأكملها والشعر غير مقفى ولكنه موزون متجانسة أوائل ألفاظه، مصوغ في لهجة سكسونيا الغربية لا نستطيع أن نفهمها في هذه الأيام. والقصة نفسها كأنها عبث الأطفال، وخلاصتها أن بيولف أمير القيط (القوط؟) في جنوبي السويد يعبر البحر ليطلق سراح هرنجار Hrothgar ملك الدنمرقة من التنين جرندل Grendel؛ وبعد أن يغلب جرندل وأم جرندل نفسها، يعود بطريق البحر إلا قيطلاند Geatland ويحكمها حكما عادلا مدة خمسين عاما. ويظهر وقتئذ تنين ثالث يقذف باللهب ويعيث فسادا في أرض القيط، فيهاجمه بيولف، ويصاب في هذا الهجوم بجرح مميت، فيخف صديقه وجلاف Wiglaf إلى معونته ويتعاونان على قتل التنين. ويموت بيولف من أثر جرحه، وتحرق جثته على كومة الحريق. وليست القصة من السذاجة كما تبدو لنا من روايتنا هذه؛ فالتنين الذي تتحدث عنه آداب العصور الوسطى يمثل الحيوان البري الذي يكمن في الغابات المحيطة بمدن أوربا، وفي وسعنا أن نعفو عن خيال الناس الذين صور لهم الفزع هذه الوحوش في تلك الصورة الخرافية، ولقد نسجوا حولها كثيرا من الأقاصيص يعبرون بها عن شكرهم للرجال الذين تغلبوا على هذه الوحوش حتى أمنت القرى والنجوع شرهم.
وبعض فقرات القصيدة مسيحية الصبغة لا تنسجم مع بقية أجزائها، كأنما أراد ناشر رحيم من الرهبان أن يحفظ هذه القصيدة الوثنية الرائعة بأن يضيع في أجزاء متفرقة منها سطرا يشعر بالتقي والصلاح. غير أن جو القصيدة وحوادثها جو وثني خالص وحوادث وثنية خالصة. ولقد كان الحب، والحياة، والمعارك الحربية على الأرض هي التي تعني بها أولئك "النساء الحسان والرجال البواسل"، ولم يكونوا يعنون بجنة هادئة وراء القبور. ويقول المؤلف في بداية القصيدة بعد". (٢)

٩-"التنينات، والقنطروسات، والنمورة، والآساد ... وأولئك المقاتلين، ومناظر الصيد التي تغطي الجدران؟ ... وماذا تعمل تلك المخلوقات التي نصفها وحوش ونصفها أناسي؟ ... إنا لنرى هنا عدة أجسام تحت رأس واحد، وعدة رؤوس فوق جسم واحد، ونرى في مكان ما حيوانا من ذوات الأربع له رأس ثعبان، وفي مكان آخر سمكة لها رأس حيوان من ذوات الأربع، ونرى في مكان غيره جوادا من الأمام وماعزا من الخلف (٤).
وقد دمر دير كلوني في أثناء اضطرابات الثورة الفرنسية، ولكن أثره المعماري انتشر في الألفين من الأديرة المنتسبة إليه. ولا يزال جنوبي فرنسا غنيا بالكنائس الرومنسية، فقد كانت التقاليد الرومانية فيها قوية في الفن كما كانت قوية في القوانين، وظلت زمنا طويلا تقاوم الطراز "البربري" القوطي الذي أقبل عليها من الشمال. وإذ كان الرخام نادرا في فرنسا فقد عوضت نقص البريق الخارجي بكثرة الصور المنحوتة، وإن ما تمتاز به التماثيل من قوة التعبير لمما يثير الدهشة- ففيها يتبين الناظر

(١) الشرق الأدنى القديم في مصر والعراق ص/٥٥٠
(٢) قصة الحضارة ٢٨٢/١٤

العزم على نقل الإحساس بدل نقل المنظر، ولهذا فإن صورة القديس بطرس القائمة عند باب دير مواساك Moissac، (١١٥٠) بوجهها المعذب وساقيها العنكبوتيتين لم تكن تهدف بلا ريب إلى إبراز خطوط البناء بقدر ما كانت تهدف إلى التأثير في خيال الناظر إليها وبث الرعب في قلبه. وتدل صور النبات الدقيقة الواقعية في تيجان أعمدة مواساك على أن المثالين قد عمدوا عن قصد إلى تشويها يرسمون من الصور. وخير ما يوجد من هذه الواجهات الرومنسية في فرنسا هو المدخل الغربي لكنيسة القديس تروفيم St. Trophime في آرك (١١٥٢)، المزدحمة بصور الحيوانات والأولياء الصالحين. وشادت أسبانيا ضريحا رومنسيا فخما في كنيسة سنتياجو دي كمبستسلا (١٠٧٨ - ١٢١١) الذي يحتوي "باب المجد Portico de Glorira فيها". (١)

١٠-"لعلاج تضخم الغدة الدرقية إلى الذهب الذي كان يتعاطى "لتسكين آلام الأطراف" (٦٤) - ويظهر أن هذه هي طريقتنا الحديثة لعلاج التهاب المفاصل. ويكاد كل عضو من أعضاء الحيوان يكون له عمل في أقرباذين العصور الوسطى - قرون الغزال، دماء **التنين**، وصفراء الأفاعي، ومني الضفادع؛ وكان براز الحيوان يوصف في بعض الأوقات (٦٥). وكان أكثر العقاقير استعمالا هو الترياق theriacum، وهو مزيج غريب من نحو سبع وخمسين مادة أشهرها لحم الأفاعي السامة. وكانت عقاقير كثيرة تستورد من بلاد الإسلام وظلت محتفظة بأسمائها العربية.
ولما ازداد عدد الأطباء المدربين شرعت الحكومات تنظم صناعة الطب. من ذلك أن روجر الثاني صاحب صقلية قصر مهنة الطب على الذين ترخص لهم الدولة، وأكبر الظن أ، ه حذا في ذلك حذو السوابق الإسلامية القديمة. وحتم فردريك الثاني (١٢٢٤) على من يريد ممارسة هذه المهنة أن يحصل على ترخيص بذلك من مدرسة سلرنو؛ فإذا أراد إنسان أن يحصل عليها وجب أن يتلقى منهاجا يدوم ثلاث سنين في العلوم المنطقية Scientia logicali١ - ونظن أن معنى هذا اللفظ العلوم الطبيعية والفلسفة؛ وكان عليه بعدئذ أن يدرس الطب في المدرسة لمدة خمس سنين، وينجح في امتحانين، ويتمرن عاما تحت إشراف طبيب مجرب (٦٦).
وكانت كل مدينة ذات شأن تدفع أجور الأطباء لعلاج الفقراء مجانا (٦٧). وكان في بعض المدن أطباء موظفون. من ذلك أنه كان في أسبانيا المسيحية في القرن الثالث عشر طبيب تستأجره البلدية للعناية بقسم خاص من الأهلين، فكان يفحص في فترات محددة كل شخص في الإقليم المخصص له، ويسدي النصيحة له حسب ما يكشف عنه الفحص. وكان يعالج الفقراء في مستشفى عام، ويجبر". (٢)

١١-"ثماني عشرة قدما، ثم دخل في خدمة أحد الملوك لأنه سمع أن هذا الملك أقوى رجل في العالم. وحدث في يوم من الأيام أن رسم الملك على نفسه علامة الصليب حين ذكر بعضهم أمامه اسم الشيطان، فاستدل كرستفر من هذا على

---

(١) قصة الحضارة ٢٧٧/١٦

(٢) قصة الحضارة ١٩٠/١٧

أن الشيطان أقوى من الملك، ولم يكن منه إلا أن دخل في خدمة الشيطان. ولكن الشيطان رأى علامة الصليب إلى جانب الطريق فولى هاربا، واستدل كرستفر من هذا على أن عيسى (عليه السلام) أقوى بلا شك من الشيطان، فوهب نفسه للمسيح. ووجد الرجل مشقة في الصوم المسيحي، فقد كان جسمه الضخم يتطلب الطعام الكثير، وكان لسانه الكبير يتعثر في أبسط الصلوات. ووضعه ناسك صالح على شاطئ مخاضة أغرق تيارها السريع كثيرين ممن حاولوا اجتيازها. وحمل كرستفر المسافرين على ظهره ونقلهم إلى الشاطئ الآخر في أمان دون أن يبتلوا بالماء، حتى كان في يوم من الأيام يحمل طفلا صغيرا ليعبر به المجرى، فوجده ثقيلا؛ ولما سأله عن السبب أجابه الطفل بأنه يحمل ثقل العالم كله؛ ولما وصل هذا الطفل إلى بر السلامة شكر له حسن صنيعه وقال له: "أنا المسيح عيسى" ثم اختفى؛ وفي هذه اللحظة أزهرت فجاءة عصا كرستفر وكان قد غرسها في الرمل (٣). ثم لينظر القارئ إلى قصة القديس جورج شفيع بريطانيا. فمن هو هذا القديس؟ لقد كان بالقرب من سيلينم Silenum في ليبيا تنين يقدم له في كل عام شاب أو شابة طعاما له؛ وكان هذا الشاب (أو الشابة) يختار بالقرعة ويقدم للتنين حتى لا يسمم القرية بنفسه. ووقعت القرعة في أحد الأعوام على ابنة الملك العذراء؛ ولما أقبل اليوم الموعود مشت نحو البركة التي يقيم فيها التنين، فرآها القديس جورج وسألها عن سبب بكائها، فأجابته الفتاة قائلة: "أيها الشاب، أرى أن لك قلبا كبيرا نبيلا، ولكني أرجوك أن تبادر بالابتعاد عني". وأبى الشاب أن يجيبها إلى ما طلبت، وما زال بها حتى أجابته عن سؤاله، فلما فعلت قال لها:". (١)

١٢-""لا تخافي فإني سأساعدك باسم عيسى المسيح". وخرج التنين من الماء في هذه اللحظة ورسم جورج علامة الصليب، ونادى باسم المسيح، وهجم على التنين، وطعنه بحربته، وأمر الفتاة أن تلقى بمنطقتها حول عنق التنين الجريح، ففعلت ما أمرها به؛ وخضع التنين لسحر جمالها الفتان كما يخضع له كل شهم من الرجال، وسار خلفها مطيعا ذليلا طوال حياتها. وجمع ياقوبو ده فوراجين Jacopo de Voragine كبير أساقفة جنوى هاتين القصتين وأمثالهما في كتاب ذائع الصيت نشر حوالي ١٢٩٠؛ فكان يروى لكل يوم من أيام السنة قصة قديسها المخصص هذا اليوم له، وسمى كتابه قراءات عن القديسين Legenda sanctorum. وصارت مجموعة قصص ياقوبو من الكتب المحببة للقراء في العصور الوسطى، وأطلقوا عليها اسم القراءات الذهبية. وأشارت الكنيسة بوجوب الاحتياط في تصديق بعض هذه القصص (٤)، ولكن الناس أحبوها وصدقوها كلها، ولعلهم لم يكونوا في هذا أكثر انخداعا في الحياة عن السذج من الناس الذين يصدقون القصص الخرافية هذه الأيام.

وكان الشعر أحسن ما كتب باللغة اللاتينية في العصور الوسطى، ولم يكن الكثير منه شعرا إلا بالاسم فحسب، لأن جميع المواد التلقينية على اختلاف أنواعها - من تاريخ، وقصص، ورياضة، ومنطق، ودين، وطب. كانت تكتب في أبيات موزونة مقفاة، ليسهل بذلك استظهارها. وكتبت أيضا ملاحم تافهة عظيمة الطول مثل ملحمة الكسندريس Alexandreis (١١٧٦) التي نظمها ولتر الشاتيوني Walter of Chatillon؛ وتبدو لنا هذه الملاحم الآن مملة بقدر ما تبدو

---

(١) قصة الحضارة ٢٣٤/١٧

قصيدة الفردوس المفقود Paradise Lost. وكتب أيضا جدل شعري . بين الجسم والنفس، والموت والإنسان، والرحمة والصدق، والفلاح والقس، والمرأة والرجل، والنبيذ والماء، والنبيذ والجعة، والورد والبنفسج، والطالب الفقير والقس". (١)

١٣-"قصص الفلسنجاساجا Volsungasaga. وقد وردت قصصها في صورة باكرة في الإدا الكبرى أو الإدا الشعرية؛ وأحدث صورة لها هي التي وردت في خاتم النبلنجيين تأليف فاجنر Wagner.

والفلسنج Volsung هو كل من تناسل من ويلز Waels، وويلز هذا ملك من ملوك الشمال، وهو ابن حفيد أودين وجد سيجورد Sigurd (سيجفريد Siegreied) . والنيبلنجيون حسب نص النيبلنجيد Nibelungenlied ملوك برغنديون، أما في الفلسنجاساجا فهم سلالة من الأقزام يحرسون في بلاد الرين كنزا وخاتما من الذهب يجلان من التقدير، ولكنهما يجلبان النقمة لكل من يمتلكها. ويقتل سيجورد فهنير Fahnir التنين الذي يحرس الكنز ويستولي عليه، ويصل في تجواله إلى تل تحيط به النيران وتنام عليه برندهلد Brundhild الفلكيرية Valkyrie (نصف الإلهة التي هي من نسل أودين). وتلك إحدى صور قصة الجميلة النائمة Sleeping Beauty. ويفتتن سيجورد بجمالها وتفتتن هي به، ويقسمان يمين الوفاء، ثم يتركها ويواصل أسفارها – كما يفعل الرجال في كثير من فصص العصور الوسطى. ويلتقي في بلاط جيوكي Guki أحد ملوك بلاد الرين بالأميرة جدرون Gudrun، وتسقيه أمها شرابا مسحورا ينسيه برندهلد ويتزوج جدرون؛ ثم يتزوج جنار Gunnar بن جيوكي برندهلد ويأتي بها إلى بلاط أبيه، ويسوؤها نسيان سيجورد إياها فتعمل على قتله، ثم تندم على فعلتها فتعلو كرمة حريقه، وتنتحر بسيفه وتحترق معه.

وأحدث صورة لهذه القصص الأيسلندية هي قصة أنجال المحترق Njal (حوالي ١٢٢٠). وشخصيات هذه القصة واضحة تحدد أعمالهم وأقوالهم أكثر مما يحدهم وصفهم. والقصة محكمة البناء وتنتقل حوادثها المثيرة تنقلا يحتمه السياق حتى تصل إلى الكارثة التي تدور حولها حوادثها – وهي احتراق بيت". (٢)

١٤-"العرض ومقتل الأحد عشر ألفا وواحدة جميعهن. ووفقت هذه القصة خيال كرباتشيو، فقد كان يسره أن يرسم جماعات العذارى والحاشية، وقد جعل كل من رسمه منهم تقريبا أرستقراطيا حسن الوجه ذا ثياب زاهية؛ ولم يجيء إلى هذه المناظر بعلمه بالتصوير فحسب بل جاء معه بعلمه بالأشياء الواقعية – كالعمارة، ونقل البضائع في الخلجان، وانتقال السحب في السماء على مهل.

وفي خلال التسع السنين التي كان كرباتشيو يعمل فيها في تصوير أرسولا رسم لمدرسة القديس يوحنا الإنجيلي صورة شفاء المحسوس بتأثير الصليب المقدس. ثم بدا لفتوري أن يصور منظرا على قناة في البندقية يناظر فيه جنتلي بليني، وملأه بالناس؛ وقوارب النزهة، والقصور، فكان فيه بذلك كل ما عند جنتلي من واقعية وتفاصيل مصقولة صقلا براقا فوق متناول أرجل

---

(١) قصة الحضارة ١٧/٢٣٥

(٢) قصة الحضارة ١٧/٢٥٦

العجوز. ثم طلبت مدرسة القديس جورج شفيع السلافونيين إلى كرباتشيو أن يخلد لها شفيعها القديس على جدران محرابهم في البندقية مدفوعين إلى هذا الطلب بما لقيه من نجاح، واستغرق هذا العمل تسع سنين أخرى رسم فيها تسعة مناظر، لا تبلغ ما بلغته مناظر أرسولا، ولكنها تدل على أن كرباتشيو وهو في العقد السادس من عمره لم يفقد ميله إلى رسم الأجسام الرشيقة في مجموعات متناسقة، ومن ورائها العمائر الخيالية في التفكير والمقنعة في التصوير. ونرى في الصورة القديس جورج يهاجم التنين هجوما عنيفا ولكن القديس جيروم يظهر على النقيض من هذا في صورة العالم الهادئ المنهمك في الدرس في حجرة تدهش الناظر بجمالها، وليس معه رفيق غير أسده. وقد رسم كل مظهر من مظاهر الحجرة بأمانة ودقة ولم يترك حتى العلامات الموسيقية الواضحة على ملف ساقط في الحجرة وضوحا حولها ملمينتي Malmenti إلى نغمات على البيان. وفي عام ١٥٠٨ عين كرباتشيو واثنان آخران من المصورين المغمورين". (١)

١٥-"وتيشيان. وساور مديرو المدرسة بعض الخوف حين شاهدوا ما في التصوير من واقعية مجسمة، وأخذوا يتناقشون في هل يليق بهم أن يعلقوا الصورة على جدرانهم، فما كان من نتورتو إلا أن اختطف الصورة من أيديهم في عنف وكبرياء، وأخذوها إلى منزله. فجاءوه وتوسلوا إليه أن يعيدها لهم، فتركهم قليلا من الوقت تأديبا لهم، ثم أعادها إليهم، وبعث إليه أريتينو كلمة ثناء، ومن ذلك الوقت تفتحت الأبواب أمام مواهبه.

وانهالت عليه الطلبات مجتمعة، فطلبت إليه نحو ست كنائس ودعاه نحو اثني عشر من الأعيان، وستة من الأمراء، ومثل هذا العدد من الدول للقيام بأعمال فنية. وقص لهؤلاء مرة أخرى في مائة من الصور الملحمة المسيحية الكبرى ملحمة خلق العالم، والدين، وفلسفة الموت والبعث والدار الآخرة، من بدء الخليقة إلى يوم الحساب ... ولم يكن نتورتو مسيحيا متدينا، – وقلما كان من الفنانين في هذا القرن السادس عشر في البندقية من هو متدين– فقد أثرت في نفوسهم وعقيدتهم المبادئ المنتشرة في بلاد الشرق والإسلام. وكان دينه هو الفن، يقرب له القرابين بالليل والنهار، ولكن أي موضوعات يستطيع المصور أن يتخيلها أرق وأظرف من قصص آدم وحواء، وقصة مريم وطفلها، مأساة الصلب، وتعذيب القديسين وأعمالهم العجيبة، ثم تلك الغاية التاريخية الرهيبة وهي جمع الأحياء والأموات في صعيد واحد أمام قضاء المسيح؟ (١) وخير ما في هذه المجموعة كلها هي صورة

(١) وهاهي ذي طائفة مختارة من صور نتورتو الدينية ليس فيها صور اسكولا دي سان ركو (وجميع الكنائس المذكورة هنا في البندقية): ١ – مناظر من العهد القديم: خلق الحيوانات (البندقية)؛ آدم وحواء (البندقية) – وتمثل منظرا طبيعيا يسقط عليه الضوء بطريقة فذة؛ قابيل وهابيل (البندقية)؛ تضحية إبراهيم (أفيدسي)؛ يوسف وزوجة قوطيفار (برادو)؛ العثور على موسى (الاسكوريال)؛ العجل الذهبي (مادنا دل أورتو)؛ جمع المن (سان جيورجيو مجيوري) – وهيمزيج بديع من المناظر الطبيعية، والرجال، والنساء، والحيوان. ٢ – صور العذراء: مولد العذراء (مانتوا) وهي لا تكاد تقل رشاقة عن صورة كريجيو؛

(١) قصة الحضارة ١٩/٢٣٧

البشارة؛ الزيارة (بولونيا)؛ العذراء والطفل (كليفلند)؛ العذراء والقديسون (فيرار) – وهي صورة رائعة غير أن القديسين يبدون كأنهم مصارعون تجاوزوا من الثمانين وقد صوروا على طريقة ميكل أنجيلو؛ صعود العذراء (١ – جزويتي)، وتبدو ضعيفة شاحبة اللون إذا قورنت بالصورة التي رسمها تيشيان الموجودة في فيرارا والتي تعد آية من آيات الفن. ٣ – من حياة المسيح: الختان (سانتا ماريا دل كارميني؛ التعميد (سان سلفيسترو، وتوجد نسخة منها في برادو)؛ يسوع في بيت مرثا (ميونخ) – وهي ذات جمال منقطع النظير؛ الزواج في قانا الجليل (مادنا دل سالوتي)؛ المسيح في بحر الجليل (واشنجتن) – وهي تكاد تكون دراسة انطباعية في اللونين الأزرق والأخضر؛ المرأة يقبض عليها وهي تزني (روما، المعرض الأهلي Galleri Nazionale) – وتصور زانية جميلة في صورة مسرفة في مسرحيتها؛ المسيح يغسل أقدام الرسل (الإسكوريال)؛ بعث لعازر (ليبزج)؛ معجزة الخبز والسمك (نيويورك)؛ المسيح والمرأة السامرية (أفيدسي)؛ العشاء الأخير (سان تروفازو، والأخرى في سان استيفانو، وثالثة في سان جيورجيو مجيوري، ورسم بديع في معرض أفيدسي)؛ للصلب (سان كاسيانو)، الخلع (البندقية، وبارما، وميلان، ومعرض بتي)؛ دفن المسيح (سان جيورجيو مجيوري)؛ الهبوط إلى الأعراف (سان كاسيانو)، البعث (مجموعة فارر)؛ في يوم الحساب (مادتا دل أورقو) ــ وهي ومحاولة مخفقة لزيادة ما أحدثه ميكل أنجيلو من اضطراب وسخافات في مظلمات معبد ستيني. ٤ – القديسون: القديس أوغسطين يشفي ضحايا الطاعون (نيويورك)؛ معجزة القديس أجنيس (مادتا دل أورتو)؛ القديس جورج والتنين (لندن) وهي دراسة في الضوء والظل كأنها حرب في ظلام الليل؛ زواج القديسة كترين (قصر الدوق)؛ استشهاد القديسة كترين (البندقية) – وفي كلتا الصورتين نرى امرأة جميلة لا يريد قتلها إلا ذو جنة؛ نقل جسم القديس مرقص (البندقية)، والعثور على جسم القدس مرقص (ميلان)، والثانية آية من آيات فن المنظور تمثل نيفا مظلما في كنيسة، ورجلا من الأشراف راكعا في وجل وخشوع قدسي، وصبيا وسيما فاتنا يمسك بركبتيه صبي يتظاهر بالخوف، وصورة رائعة للقديس مرقص يقف منتصبا فوق جثته.". (١)

١٦–"المنقور ببراعة في المقابر، وبالمحفة في كنيسة برو، حيث تبدو سيبيل أجربا، في شكل لا يقل جمالا عما هي في شارترز أو ريمز. ولكن الفنانين الإيطاليين كانوا يعيدون في الوقت نفسه، صياغة النحت الفرنسي على طراز عصر النهضة، استقلالا وانسجاما ورشاقة. وزاد الاتصال بين فرنسا وإيطاليا بفضل زيارة رجال الدين والسفراء والتجار والرحلة، وقامت الأشياء الفنية الإيطالية المستوردة وبخاصة الأدوات الصغيرة المصنوعة من لبرونز، مقام المبعوثين من عصر النهضة من الذوق والشكل الكلاسيين. وتحولت الحركة، بمجيء شارل الثامن وجورج وشارل صاحب امبواز، إلى تيار كتدفق والفنانون الإيطاليون هم الذين أنشأوا "مدرسة امبواز" ذات التأثير الإيطالي في المقر الريفي للملوك. وتعد مقابر الملوك الفرنسيين، في كنيسة سانت دينيس، سجلا أثريا، للتحول، ومن جلال النحت القوطي الجهم، إلى الأناقة الرقيقة والزخرف الذي ينم على المرح، الذين اتسم بهما تصميم عصر النهضة، معلنة المجد محتفلة بالجمال حتى في انتصار الموت.

ويتجسم هذا التحول في شخص ميكيل كولومب. ولد عام ١٤٣١، ووصف عام ١٤٦٧ بأنه "أعظم نحات في المملكة

(١) قصة الحضارة ٢٦١/٢١

الفرنسية قبل أن تغزو فرنسا إيطاليا وتبتلعها بزمن طويل. وكان النحت الغالي من الآن فصاعدا، كله تقريبا من الحجر، فاستورد كولومب رخام جنوا، وحفر عليها صورا لا تزال عابسة جامدة بمسحة قوطية واضحة، لكنها وضعت في أطر زاخرة بالزينة الكلاسيكية. لقد نقش لقصر جايون، نقشا بارزا مرتفعا يمثل "القديس جورج **والتنين**"-في صورة فارس لا حياة فيه على صهوة جواد ناشط خفيف الحركة، وهما محاطان بأعمدة وأفاريز ورفرف في تصميم عصر النهضة. وبدأ في "عذراء العمود" المنقوشة على الحجر، لكنيسة سانت جالمييه، وأن كولومب حقق الوداعة الكاملة التي يتسم بها الأسلوب الإيطالي في بساطة الملامح ولطفها، وفي الخطوط الناعمة للشعر المرجل. وربما". (١)

١٧-""يدا رسول يصلي". وأخيرا فثمة دراسات رائعة في الأساطير القديمة مثل لوحة أبولو وصورة أورفيوس. وقد حول ديرر نحو ٢٥٠ من رسوماته إلى أعمال من الخشب المحفور المنحوت ومائة إلى حفر، وهاتان المجموعتان تمثلان أروع جانب يستحق التقدير من تراثه. ولقد حفر بنفسه التصميمات حتى مدار القرن، ثم عهد فيما بعد بحفر الخشب إلى آخرين. وما كان، بغير هذا التعاون، ليستطيع أن يصور مثل هذا القطاع الواسع من الحياة. وقد بدأ بتصوير رسوم لكتب مثل الفارس "فون تورن"و"الطيش" لسباستيان برانت، ورسم بعد عشرين عاما صورا هامشية لكتاب الصلوات الخاص بماكسمليان. وجرب ريشته في رسم الجسم العاري، ونجح نجاحا عظيما في لوحة "حمام الرجال" ولم يبلغ الشأن نفسه في صورة "حمام النساء"، وقد أفاد في كليهما كدافع ثوري للفن الألماني الذي كان قد أعرض عن رسم الجسم العاري باعتباره عملا فاضحا أو تبديدا للأوهام. واشتهرت أعمال الحفر في الخشب، التي صورت حياة العذراء وآلام المسيح عند الصلب، فقد غدا في وسع النساء المتعبدات وقتذاك أن يتأملن، وهن يصطلين بجوار مدافئهن، صورة مطبوعة تبين خطبة يوسف ومريم، وكان الألمانيون العمليون يسرهم أن يجدوا في صورة إقامة العائلة المقدسة في مصر كل التفاصيل المريحة للألفة والجد اللذين عرف بهما الشعب التيوتوني-مريم تحيك الثياب، ويوسف يعمل وهو جالس على دكته، وأطفال عليهم مسحة ملائكية يحضرون الحطب دون أن يطلب أحد ذلك منهم. وثمة سبع وثلاثون صورة من أعمال حفر الخشب الصغير- "آلام المسيح الصغرى"- وإحدى عشرة صورة أكبر-"آلام المسيح الكبرى"- عرضت قصة تعذيب المسيح ووفاته في آلاف البيوت، ونبه شوق الرأي العام لترجمة لوثر للعهد الجديد. وثمة سلسلة أخرى من الصور زينت سفر الرؤيا وبعضها حفر على الخشب مثل "الفرسان الأربعة في سفر الرؤيا" والقديس مايكل يقاتل **التنين** وكانت من النضارة والوضوح". (٢)

١٨-"ولقد كان أولريخ زونجلي في ذلك الوقت يكسب إلى صفه مجلس زيورخ الكبير، ويستميله لآرائه البروتستانتية، التي تضمنت إشراف السلطات الزمنية على الدين، وناشد "الإخوان" أن يخففوا من كراهيتهم للدولة وأن يقبلوا التعميد في الطفولة، ولكنهم أبوا. واستدعاهم المجلس إلى مناظرة عامة (١٧ يناير سنة ١٥٢٥)، وعندما فشل في تحويلهم عن آرائهم،

---

(١) قصة الحضارة ١٧٨/٢٢

(٢) قصة الحضارة ٢٥٦/٢٣

أمر بأن يغادر المدينة آباء الأطفال الذين لم يعمدوا. وندد اللامعمدانيون بالمجلس، وأطلقوا على زونجيلي لقب التنين العجوز، وتظاهروا في الطرقات وهم يصيحون "الويل لزيورخ! " (٥٣). واعتقل زعمائهم ونفوا عن المدينة، وأتاح لهم هذا نشر عقائدهم، وتولى سانت – جول وابنتسيل الحركة، وأثارت هذه برن وبازيل وكسب هيبماير إلى صفه والدشوت بأسرها، وجلس في ابنتسيل ١٢٠٠ رجل وامرأة ممن ارتضوا حرفيا كلمات المسيح: "لا تحمل هما لطعامك" وأخذوا ينتظرون أن يأتي الله ويطعمهم (٥٤).

وليس من شك فبي أن النجاح الظاهر الذي أحرزته حرب الفلاحين في ربيع عام ١٥٢٥ وقد رفع من شأن هذه التحولات، ولكن فشلها شجع طبقات الملاك في المدن السويسرية على اتخاذ إجراءات قمع مشددة، واعتقل مجلس زيورخ مانز (يوليو)، ثم جريبل، ثم هيبماير، وأمر بزج كل اللامعمدانيين المتشبثين بآرائهم في سجن البرج، ليعيشوا على الخبز القفار والماء وان "يتركوا حتى يموتوا وتبلى أجسادهم" (٥٥). وحدث هذا لجريبل وأغرق مانز، أما هيبماير فقد عدل عن رايه واطلق سراحه، وأنكر ردته وأخذ على عاتقه أن يهدي أهل أوجسبورج ومورافيا، وقطع رأس هيتزر في كونستانس بتهمة اللامعمدانية والزنى – وأظهرت المقاطعات التي تدين بالبروتستانتية والكاثوليكية أنها لم تكن أقل نشاطا في قمع هذه الطائفة، وما أن حل عام ١٥٣٠ حتى لم يبق في سويسرة إلا عصابات سرية لا يؤبه لها.". (١)

١٩–"وأسبغت الحكومة نفسها الحماية على الصناعة بالتعريفات الجمركية. وأفاد أصحاب المصانع من رخص أجر العمل، الذي تيسر بهجرة الفلاحين للمدن، وأعادت الطرق الرأسمالية تنظيم صناعة النسيج، ورفعت طبقة جديدة من الأثرياء، لتقف إلى جانب التجار في مساندة الملك. وحل القماش محل الصوف باعتباره أهم صادرات إنجلترا. وكانت معظم الصادرات من الضروريات التي تنتجها الطبقة الدنيا، وكانت معظم الواردات من سلع الترف التي لا يحصل عليها إلا الأغنياء (٣٧).

وأفادت التجارة والصناعة من قانون صدر عام ١٥٣٦ يغير أسعار الفائدة بواقع ١٠ في المائة. وكان ارتفاع الأثمان السريع في صالح المشروع وبمثابة عقاب حكم به على العمال والفلاحين واللوردات الإقطاعيين من النمط القديم. وارتفعت الإيجارات إلى ١٠٠٠ في المائة بين عامي ١٥٠٠ و ١٥٧٦ (٣٨). وارتفعت أسعار الطعام من ٢٥٠ إلى ٣٠٠ في المائة، وارتفعت الأجور بمقدار ١٥٠ في المائة (٣٩). وكتب توماس ستار في حوالي عام ١٥٣٧: "أن الفقر يسود الآن إلى حد يقف فيه أمام أي خير حقيقي ومزدهر للجماعة (٤٠) ".

ووجد أعضاء الطوائف الحرفية شيئا من الفرج في التأمين والمساعدة المتبادلة، زودهم بما يسد رمقهم، أمام الفقر والنار، غير أن هنري صادر عام ١٥٤٥ أملاك الطوائف الحرفية (٤١).

٤ – التنين يتقاعد

---

(١) قصة الحضارة ٩٩/٢٤

أي ضرب من الرجال كان هذا الملك الغول؟ لقد رسم هولبين الصغير، الذي جاء إلى إنجلترا حوالي عام ١٥٣٦، صورا شخصية لهنري وجين سيمور. فالكساء الفاخر يكاد يخفي بدانة الملك، والأحجار الكريمة". (١)

٢٠-"الصين على الزخرفة الفارسية التنين والعنقاء وأشكال السحاب وهالات القداسة والوجوه الشبيهة بالأقمار، وزاوجوا بينها، بطريقة خلاقة، وبين الأساليب الفارسية في اللون الشفاف والخط الخالص. وكانت الأساليب المختلطة متماثلة إلى حد بعيد، فإن رسامي المنمنمات الصينيين والفرس، على حد سواء، رسموا لطبقة الأرستقراطيين الذين يحتمل أن ذوقهم كان رفيعا جدا، والأرجح أنهم حاولوا إرضاء الخيال والحواس أكثر من تمثيل الأشكال الموضوعية.

وكانت المراكز العظمى للزخرفة الإسلامية في هذا العصر هي تبريز وشيراز، هراة. ويحتمل أنه قد جاء من تبريز في عهد الأيلخانات، للورقات الخمس والخمسون من كتاب "شاه نامه"، (كتاب الملوك للفردوسي) – وهي من عمل رسامين مختلفين في القرن الرابع عشر. ولكن رسم المنمنمات الفارسية بلغ الذروة في هراة على عهد التيموريين، وقد استخدم شاه رخ طائفة كبيرة من الفنانين، وأسس ابنه بيسنقر ميرزا كلية خاصة بالخط والمنمنمات. ومن مدرسة هراة هذه جاءت الشاهنامة (١٤٢٩) وهي معجزة اللون البراق والجمال الدافق، وهي الآن محفوظة بعناية في مكتبة قصر جلستان في طهران، وتكاد لا يمسها أحد إلا إجلالا وتعظيما. إن رؤيتها لأول مرة أشبه شيء باكتشاف قصائد كيتس (الشاعر الإنجليزي Keats).

وكان كمال الدين بهزاد، هو كيتس الزخرفة الحقيقي أو رافائيل الشرق. لقد عركته تجارب الحياة، وويلات الحرب وتقلباتها، فعكس هذا كله بالفن، ولد بهزاد في هراة حوالي سنة ١٤٤٠، ودرس في تبريز، ثم عاد إلى هراة ليرسم للسلطان حسين بن بيقرة، ووزيره المتعدد الجوانب (شاعر وموسيقي ومصور) مير على شيرنوائي. وعندما أصبحت هراة مركزا للأوزبك ولحملات المصورين، قصد بهزاد ثانية إلى تبريز. وكان من بين أوائل المصورين الفرس الذين وقعوا على أعمالهم، ولكن بقايا فنه قليلة فعلا". (٢)

٢١-"كونت بالاتين، يبلغ ارتفاعه ست بوصات ونصفا، وعرضه مثل هذا لبدانته، وله وجه وليد أعوام من النهم. هنا ترى الفكاهة الألمانية أكثر ما تكون انطلاقا.

أما فخر الفن الألماني فقد ظل في التصوير. فقد أدرك هولبين دورر، ثم لحق بهما كراناخ، وألف بالدونج جرين، وألتدورفر، وأمبرجر، صفا ثانيا مشرفا. فأما هانز بالدونج جرين فقد اكتسب شهرته برسم لوحة لمذبح كاتدرائية فرايبورج إيم- برايسجاو، ولكن لوحة "العذراء ذات الببغاء" أكثر جاذبية، وتبدو فيها فتاة تيوتونية ممتلئة الوجه ذات شعر ذهبي، وببغاء تنقر خديها. وأما كرستوفر أمبرجر فرسم صورا أنيقة، ويحتفظ متحف ليل بلوحة "شارل الخامس" التي يبدو فيها مخلصا، ذكيا، في أول

---

(١) قصة الحضارة ١٤٣/٢٥

(٢) قصة الحضارة ٧١/٢٦

عهده بالتعصب. وفي "صورة رجل" المحفوظة بمعهد الفن بشيكاغو وجه مهذب دقيق القسمات. وأما ألبرشت التدورفر فيتميز بين هذه المجموعة الصغيرة بغنى مناظره الطبيعية. ففي لوحته "القديس جورج" يكاد الفارس والتنين يختفيان وسط محيط من الشجر المتزاحم، وحتى لوحته "معركة أرابيلا" يتوه فيها الجيشان المقتتلان وسط الكثير من الأبراج والجبال والمياه والسحاب والضياء. وتعد هاتان اللوحتان، مضافا إليهما لوحته "وقفة خلال الهروب إلى مصر"، ومن طلائع التصوير الصادق للمناظر الطبيعية في عصرنا الحديث.

اتخذ لوكاس كراناخ الأب اسمه من مسقط رأسه كروناخ في فرانكونيا العليا. ولا نكاد نعرف عنه أكثر من هذا إلى أن عين في الثانية والثلاثين من عمره مصورا للبلاط لدى الناخب فردريك الحكيم في فتنبرج (١٥٠٤). وقد احتفظ بوظيفته في البلاط السكسوني، سواء في فتنبرج أو في فايمار، زهاء خمسين عاما. وقابل لوثر، وأعجب به،". [(١)]

٢٢-"مثل هذه الرقابة. فماذا يجدي خلع ملك وتحطيم نظام أسقفي استبدادي قاس، إذا استمر البرلمان والكنيسة على التدقيق والتحقيق في كل كلمة يتفوه بها الإنجليز؟. وفي ٢٤ نوفمبر ١٦٤٣ أخرج درن تسجيل أو إجازة أروع أعماله النثرية "أريوباجيتيكا: حديث من جون ملتون عن حرية المطبوعات دون إجازة، إلى برلمان إنجلترا" (١) وليس في هذا الحديث قذف ولا طعن ولا نقد لاذع، بل كان على مستوى عال من اللغة والفكر وفيه يطلب إلى البرلمان بكل إجلال واحترام، أن يعيد النظر في قانون الرقابة، من حيث أنه ينزع إلى "تثبيط الهمم في سبيل العلم والمعرفة، ويعوق بل يقضي على أي إبداع واكتشاف يمكن أن يخرج في المستقبل إلى حيز الوجود في مجال الحكمة الدينية والمدنية كليهما. " ثم يستطرد في قطعة مشهورة قيمة:

لست أنكر أنه من أعظم صلاحيات الكنيسة والدولة أن ترقب بعين يقظة كيف تحط الكتب من قدرها ومن أقدار الناس، ومن ثم يحتجز أو تسجن أو تطبق أقصى ما تقضي به العدالة على عوامل الشر لأن الكتب ليست أشباه ميتة إطلاقا، بل أن فيها من الفعالية والحيوية مل يجعلها نشيطة في مثل نشاط النفس التي أنتجتها. ليس هذا فحسب، بل أنها كذلك، تحفظ، وكأنما تحفظ في قنينة، أبقى عصارة ودقة مؤثرة للفكر الحي الذي نماها وأبدعها. وإني لأدرك أنها نشيطة قوية الإنتاج مثل أسنان التنين الخرافية إذا نثرت على الأرض هنا وهناك انبعث منها رجال مسلحون (هكذا تقول الخرافة). ومن جهة أخرى، فإنه إذا لم يكن ثمة حيطة وحذر، فأن قتل الإنسان يعدل تقريبا قتل الكتاب الجيد. إن من يقتل رجلا يقتل مخلوقا عاقلا على صورة الله، على حين أن من يدمر الكتاب الجيد، يقتل العقل نفسه، بل يقتل صورة الله، في صميمها. وكم من إنسان

---

(١) Areopagitica- يقصد بها المسائل المتعلقة بالمحكمة العليا في أثينا، واسمها أريوباجوس، نسبة إلى الجبل الذي

---

(١) قصة الحضارة ٩١/٢٧

كانت تجتمع عليه. واقتبس ملتون هذا العنوان من رسالة وجهها آيزوقراط ٣٥٥ ق. م. إلى هذه المحكمة.". (١)

٢٣-"(١٦٤٢) أسس المهاجرون الملكيون لأنفسهم مستعمرة في فرنسا، وربما أخذ هوبز عنهم مزيدا من التعاطف مع الملكية، فإنه لمدة عامين (١٦٤٦ ١٧٤٨slash) اشتغل بتدريس الرياضيات لأمير ويلز المنفي، الملك شارل الثاني فيما بعد. وجاءت حركة الفروند ضد لويس الرابع عشر في فرنسا- وكانت مثل الثورة في إنجلترا، تهدف إلى الحد من سلطة الملك- فأكدت اقتناعه بأن الملكية المطلقة وحدها هي التي يمكن أن تحافظ على الاستقرار والأمن الداخلي.
وفي بطء شديد وصل هوبز إلى صياغة محددة واضحة لفلسفته. ويقول أوبري: "أنه سار طويلا وأعمل الفكر وتأمل، وكان في رأس عصاه قلم ومحبرة، وكان يحمل في جيبه دائما كراسة، حتى إذا عرضت له فكرة، فسرعان ما كان يدونها على الفور حتى لا تضيع (٣) " وأصدر سلسلة من التأليف الأقل قيمة (١)، التي ليس لها الآن ذكر، ولكنه- في ١٦٥١ جمع كل أفكاره في كتاب يجمع بين طرافة الفكر والأسلوب وعدم المبالاة، هو "لواياثان" (**التنين**) أو "المادة والشكل"، و "سلطة الدولة دينية ومدنية" (**التنين**) أو "المادة في تاريخ الفلسفة، وجدير بنا أن نتوقف عنده في شيء من التروي.

ب - المنطق وعلم النفس
يكاد أسلوب هوبز يقارب أسلوب بيكون في الجودة، ولكنه ليس غنيا بالصور الوضاءة مثله، ولكنه قوي متميز فعال صريح مثله تماما، مع شيء من التهكم اللاذع بين الحين والحين. وليس فيه زخرف ولا تظاهر بالبلاغة والفصاحة، فما هو إلا تعبير واضح عن فكر واضح، مع اقتصاد حكيم في الوسائل اللفظية. يقول هوبز "إن الكلمات بالنسبة للعقلاء ليست سوى أنضاد "فيشات" أي وسائط للعد

---

(١) أهمها "المواطن" (١٦٤٢ ١٦٤٧slash) و "مبادئ القانون" الذي طبع ١٦٥٠ في جزأين: "الطبيعة الإنسانية" و "الهيئة السياسية"، ومبادئ "الفلسفة" (١٦٥١)، "الأصول الفلسفية" ١٦٥٥ ١٦٥٨slash وهي ثلاثية استنباطية عن الجسم والإنسان والمجتمع هذا إلى جانب شذرات كثيرة في الرياضيات، وترجمة للالياذة والاوديسية. ثم "بهيموث" (١٦٧٠) وهو عبارة عن تاريخ الحرب الأهلية مفسرا على ضوء آرائه عن الإنسان والمجتمع، ثم تاريخ حياته شعرا باللاتينية.". (٢)

٢٤-"ولكن الذي يجري على الارض يمكن اقتناصه، والذي يسبح في الماء يمكن صيده، والذي يطير في الجو يمكن اصابته بالسهام. غير أن هناك تنينا مهولا- ولست أستطيع أن أقول كيف يركب الريح ويخترق به السحاب ويعلو في أجواز الفضاء. لقد قابلت اليوم لو- دزه، ولست أستطيع أن أجد له مثيلا غير **التنين"**. ثم خرج المعلم الجديد ليؤدي رسالته،

---

(١) قصة الحضارة ٧٢/٣٢
(٢) قصة الحضارة ٥/٣٤

وليكون أعظم فلاسفة التاريخ أثرا.". (١)

٢٥-"كان يعرض عليهم أن يشرحوا بالرسم بيتا من أبيات الشعر هو: "وعاد حافر جواده مثقلا بعبير ما وطئه من الأزهار". وكان المتسابق الذي أحرز قصب السبق في هذا المضمار فنانا رسم صورة فارس ومن حول كعوب جواده سرب من الفرش.

ولما كان الشكل كل شيء فإن من الممكن أن يكون الموضوع أي شيء. وقلما كان الرجال مركز الصورة أو جوهرها؛ وإذا ما ظهروا فيها كانوا في كل الأحوال تقريبا شيوخا وكانوا كلهم متقاربين في الشبه. وقلما كان المصور الصيني ينظر إلى العالم بعيني الشاب وإن لم يكن قط واضح التشاؤم في تصويره. ولقد رسم المصورون صورا لبعض الأفراد ولكنها كلها صور لم تبلغ ما بلغه غيرها من الجودة والإتقان؛ ذلك أن الفنان الصيني لم يكن يعنى بالأفراد، وما من شك في أنه كان يحب الأزهار والحيوانات أكثر مما يحب الرجال، ولذلك أطلق لنفسه العنان في تصويرها؛ فترى هواي - دزونج وهو الذي كانت تأتمر بأمره إمبراطورية متسعة الأرجاء يهب نصف حياته لتصوير الطيور والأزهار. وكانت الأزهار والحيوانات كالأزورد **والتنين** تتخذ رموزا غير مقصودة لذاتها في بعض الأحيان؛ لكنها في الأغلب الأعم كانت ترسم لأن سر الحياة وسحرها يتمثلان فيها كاملين كما يتمثلان في الإنسان نفسه، وكان الحصان محببا للفنانين الصينيين بنوع خاص، ومن أجل هذا ترى فنانين كبارا مثل هان كان لا يكادون يعملون شيئا غير رسم شكل في أثر شكل لهذا المخلوق الذي هو جسم حي للتخطيط الفني.

ولسنا ننكر أن التصوير في الصين قد لاقى الأمرين من جراء التقاليد الدينية أولا ومن القيود التي وضعها العلماء بعدئذ، وأن تقليد الأساتذة القدامى والنسج على منوالهم كانا من العوامل المعوقة في تدريب طلاب الفن، وأن الفنان كان في كثير من الأحوال يقيد بعدد من المسائل لا يسمح له أن يلجأ إلى". (٢)

٢٦-"عاجزة عن الوفاء بحاجة أهلها الأقوياء، فاندفع المغول (أي البواسل) إلى شن الغارات المستيئسة لامتلاك بلاد أخصب من بلادهم وأوفر منها أرزاقا. وكان نجاحهم في غاراتهم سببا في تقوية روحهم العسكرية ونزعتهم الحربية، فلم يقفوا في فتوحهم إلا بعد أن اكتسحت جحافلهم بلاد آسية كلها إلا القليل منها، وأجزاء من أوربا. وتقول الروايات إن قائدهم الجبار جنكيز خان قد ولد وفي كفه جلطة من الدماء، فلما بلغ الثالثة عشرة من عمره أخذ يؤلف بين قبائل المغول ويجمعها تحت لوائه، واتخذ الإرهاب وسيلة إلى هذا الجمع، فكان يصلب الأسرى على حمير من الخشب، أو يقطعهم إربا، أو يقلي أجسامهم في القدور، أو يسلخ جلودهم وهم أحياء. ولما تلقى من إمبراطور الصين تنج دزونج رسالة يدعوه فيها للخضوع بصق في اتجاه عرش **التنين**، وبدأ من فوره حملته مجتازا ألفا ومائتين من الأميال في قلب صحراء جوبي، وهجم على ولايات

(١) قصة الحضارة ٣٩/٤

(٢) قصة الحضارة ٢٠٤/٤

الصين الغربية، ودمر من مدائنها تسعين مدينة سواها بالأرض حتى يستطيع الفرسان أن يسيروا فوق الأراضي المخربة في الظلام دون أن تعثر خيولهم. وظل "عاهل العالم" خمس سنين كاملة يخرب في بلاد الصين الشمالية. ثم أزعجه اقتران كوكبين من الكواكب رأى في اقترانهما نذير شؤم، فقفل راجعا إلى قريته، ولكنه مرض ومات في الطريق.

وواصل خلفاؤه أو جوداي، ومانجو، وكوبلاي حملاته بقوة همجية؛ وكان الصينيون قد أهملوا فنون الحرب ووجهوا همهم كله مدة قرون عدة إلى الثقافة، فلم يثبتوا أمام الغزاة بل خروا صرعى يجللهم العار القومي والبطولة الفردية، وثبت أحد حكام الصين في جويتنج – فو وصمد للحصار حتى قتل المحاصرون كل من كان في المدينة من الشيوخ والعاجزين وأكلوا لحومهم، وهلك جميع القادرين على القتال ولم يبق لحراسة الأسوار إلا النساء، ثم أشعل النار في المدينة واحترق هو نفسه في قصره. واجتاحت جيوش كوبلاي بلاد الصين حتى وقفت أمام". (١)

٢٧-"واخترع تشانج هنج آلة لتسجيل الزلازل (سيمسغرافا) في عام ١٣٢م (١). ولكن علم الطبيعة الصيني قد ضلت معظم أبحاثه في دياجير الفنج جوي السحرية واليانج والين من أبحاث ما وراء الطبيعة (٢). وأكبر الظن أن علماء الرياضة الصينيين قد أخذوا الجبر عن علماء الهند، ولكنهم هم الذين أنشئوا علم الهندسة في بلادهم مدفوعين إلى هذا بحاجتهم إلى قياس الأرض (٧٠). وكان في وسع الفلكيين في أيام كنفوشيوس أن يتنبئوا بالخسوف والكسوف تنبؤا دقيقا، وأن يضعوا أساس التقويم الصيني بتقسيم اليوم إلى اثنتي عشرة ساعة وتقسيم السنة إلى اثني عشر شهرا يبدأ كل منها بظهور الهلال، وكانوا يضيفون شهرا آخر في كل بضع سنين لكي يتفق التقويم القمري مع الفصول الشمسية (٧١). وكانت حياة الصينيين على الأرض تتفق والحياة في السماء؛ وكانت أعياد السنة تحددها منازل الشمس والقمر، بل إن نظام المجتمع من الناحية الأخلاقية كان يقوم على منازل الكواكب السيارة والنجوم.

وكان الطب في الصين خليطا من الحكمة التجريبية والخرافات الشعبية. وكانت بدايته فيما قبل التاريخ المدون، ونبغ فيه أطباء عظماء قبل عهد أبقراط بزمن طويل، وكانت الدولة من أيام أسرة جو تعقد امتحانا سنويا للذين يريدون الاشتغال بالمهن الطبية، وتحدد مرتبات الناجحين منهم في الامتحان حسب ما يظهرون من جدارة في الاختبارات. وقد أمر حاكم صيني في القرن الرابع

---

(١) وكانت الآلة التي اخترعها تتركب من ثمانية تنينات من النحاس قائمة على لوالب دقيقة حول وعاء تجثم في وسطه ضفدعة فاغرة فاها. وكان كل تنين يمسك في فمه كرة من النحاس؛ فإذا حدث زلزال سقطت الكرة من أقرب **التنينات** إلى مركزها في فم الضفدعة؛ وحدث مرة أن سقطت الكرة من أحد **التنينات** وإن كان الناس لم يحسوا بهزة زلزال فسخروا من تشانج هنج وقالوا أنه مشعوذ حتى جاءهم رسول وقال لهم إن زلزالا وقع في أحد الأقاليم النائية.

(٢) كان الفنج جي (الريح والماء) فنا واسع الانتشار في الصين الغرض منه التوفيق بين مواضع البيوت والقبور في الإقليم

---

(١) قصة الحضارة ٢٢٣/٤

ومهاب الريح وتيارات الماء فيه.". [1]

٢٨-"وقامت في شمال أثينة في بؤوتية Boeotia حاضرة أخرى تنافسها، وكان لها مثلها تاريخ مثير للمشاعر، قدر له أن يكون محور المسرحيات اليونانية في عصر البلاد الأدبي. فقد أنشأ الفينيقيون أو الكريتيون، أو كادموس Cadmus أحد أمراء المصريين في أواخر القرن الرابع عشر مدينة طيبة، عند ملتقى الطرق التي تعبر بلاد اليونان من الشرق إلى الغرب ومن الشمال إلى الجنوب، وعلم منشئوها أهلها الحروف الهجائية، وقتلوا **التنين** (ولعل هذا رمز قديم لوباء معد أو فتاك) الذي كان يمنع الأهلين من الانتفاع بماء العين الأرية Areian. وخرج من أسنان **التنين** التي غمرها كدموس في الأرض رجال مسلحون، أخذوا يقتتلون كما يقتتل اليونان في عصورهم التاريخية حتى لم يبق منهم إلا خمسة؛ وهؤلاء الخمسة هم الذين أنشئوا المدينة المالكة، على حد قول طيبة نفسها. وكان مركز حكومة المدينة حصنا يدعى كدمية Cadmeia أقيم على ربوة عثر فيها في هذه الأيام على "قصر كدموس" (١)، وحكم بعد كدموس من هذا الحصن نفسه ابنه بوليدوروس Polydorus، ثم حفيده ليدكوس Labdacus، ثم ابن حفيده لايوس Laius، وهو الذي قتله ابنه أوديبوس (أوديب) Oedipus كما يعرف العالم كله وتزوج أمه. ولما مات أوديب تنازع الملك أبناؤه كما يتنازع الأمراء على الدوام، وطرد إيتوكليز Eteocles أخاه بولينيسيز، فذهب هذا إلى أدراستوس Adrastus ملك أرجوس وأقنعه بالعمل على تنصيبه ملكا. وحاول أدراستوس أن يقوم بهذه المهمة (حوالي ١٢١٣ ق. م) وشن على أثينة حرب (الأحلاف) السبعة، ثم عاد إلى حربها مرة أخرى بعد ستة عشر عاما من ذلك الوقت في حرب الإبجوني Epigoni أو الأبناء السبعة. وفي هذه الحرب قتل إتيوكليز وبولينيسيز وحرقت طيبة عن آخرها.

---

(١) يرجع المؤرخون تاريخ هذا العصر إلى ما بين ١٤٠٠، ١٢٠٠ ق. م. وقد عثروا فيه على كتابة قليلة بحروف لم تحل رموزها بعد، ولعلها متفرعة من أصل كريتي.". [2]

٢٩-"وقد أضاف جون ناش Nash إلى العمارة البريطانية المتجهمة لمسة من مرح الروكوكو rococo (لمسة من الزخارف ذات الطابع المرح) وأتى ول Well وأعقبه همفري ربتون Humphry Repton ليقوم بدور بستاني فصمم القصور والمباني الواقعة في المزارع الريفية واضعا في اعتباره توزيع الأكواخ والعرائش والزرائب على الطراز الفرنسي والهندي والصيني· وقد أمتعت هذه التصميمات النبلاء الذين كانوا قد برموا بحياتهم، وأفراد الطبقة العليا · وأصبح ناش Nash ثريا ورعاه الأمير السخي · وفي سنة ١٨١١ عهد إليه إعادة تشييد ميل من شارع الوصي على العرش (ريجنت ستريت Regent Street. بدءا من دار كارلتون Carlton House ثم في قوس كبير (شامل) إلى المناطق الريفية· ونوع

---

[1] قصة الحضارة ٢٥٣/٤

[2] قصة الحضارة ٨٠/٦

ناش في خطوط مشروعه مستخدما الأهلة والشرفات جاعلا مساحات مكشوفة من الحشائش والأشجار بين مجموعات المباني واستخدم الأعمدة ذوات الطرز الأيونية لإضفاء البهجة على قوس الطريق (في وقت لاحق تم تدمير معظم هذا العمل للسماح بمزيد من المباني على حساب الحشائش والأشجار)، لقد كان مشروعا عبقريا في تخطيط المدن لكن تكاليفه صدمت الشعب الذي كان صابرا على الجوع أملا في إلحاق الهزيمة بنابليون٠

ومع هذا فإن الوصي على العرش كان مبتهجا بعمل ناش فعهد إليه بتجديد الجناح الملكي في بريتون Brighton الذي كان مكانا أثيرا للأمير وأصدقائه، فأنجز ناش العمل فيما بين عامي ١٨١٥ و١٨٢٣ بتكلفة بلغت ١٦٠,٠٠٠ جنيه إسترليني لقد أعاد بناء الجناح على الطراز الهندي الإسلامي بمآذن ذات اليمين وأخرى ذات الشمال٠ ومبان أخرى ذوات قباب وكانت صالة المآدب ذات سقف محدب وزخارف صينية، وبها ثريات على هيئة اللوتس والتنين، وتكلفت هذه الصالة ٤,٢٩٠ جنيها إسترلينيا ٠ وكان الانطباع الأول الذي يأخذه المرء عند رؤيتها هو الفخامة الغريبة، وكان الحكم النهائي عليها أنها عمل مسرف سواء في النفقات أم في الزينات والزخارف ٠". (١)

٣٠-"قال ابن زولاق: سمعت بعض علماء مصر يقول: إن منف كانت ثلاثين ميلا بيوتا متصلة، وفيها قصر فرعون قطعة واحدة، وسقفه وفرشه وحيطانه حجر أخضر. وقال أيضا: دخلت منف فرأيت عثمان بن صالح جالسا على باب كنيسة، فقال لي: أتدري ما هذا المكتوب على هذا الباب؟ قلت: لا ! قال: عليه مكتوب: لا تلوموني على صغرها فإني اشتريت كل ذراع بمائتي دينار لشدة العمارة. وقال أيضا: على باب هذه الكنيسة وكر موسى، عليه السلام، القبطي فقضى عليه.

ومن عجائبها كنيسة الأسقف وهي من عجائب الدنيا، لا يعرف طولها وعرضها مسقفة بحجر واحد.

منية هشام

قرية بأرض طبرية، حكى الثعالبي أن بها عينا يجري ماؤها سبع سنين دائما، ثم ينقطع سبع سنين هكذا على وجه الدهر، وانه مشهور عندهم.

موتة

قال الجيهاني: مؤتة من أعمال البلقاء من حدود الشام، أرضها لا تقبل اليهود ولا يتهيأ أن يدفنوا بها.

ومن عجائبها أن لا تلد بها عذراء، فإذا قربت المرأة ولادتها خرجت منها، فإذا وضعت عادت إليها. والسيوف المشرفية منسوبة إليها لأنها من مشارف الشام؛ قال الشاعر:

أبى الله للشم الأنوف كأنهم ... صوارم يجلوها بمؤتة صيقل

مورجان

---

(١) قصة الحضارة ملحق/٧٨١

من أعمال فارس. بها جبل فيه كهف يقطر الماء من سقفه، زعموا أن عليه طلسما، إن دخل ذلك الكهف واحد خرج من الماء ما يكفيه، وإن خرج ألف خرج قدر حاجة الألف، والله الموفق.

المهدية

مدينة بافريقية بقرب القيروان، اختطها المهدي المتغلب على تلك البلاد في سنة ثلاثمائة. قيل: إنه كان يرتاد موضعا يبني فيه مدينة حصينة، خوفا من خارجي يخرج عليه، حتى ظفر بهذا الموضع. وكانت جزيرة متصلة بالبر كهيئة كف متصلة بزند، فوجد فيها راهبا في مغارة فسأله عن اسم الموضع فقال: هذه تسمى جزيرة الخلفاء. فأعجبه هذا الاسم فبنى بها بناء وجعلها دار مملكة، وحصنها بسور عال وأبواب حديد، وبنى بها قصرا عاليا. فلما فرغ من إحكامها قال: الآن آمنت على الفاطميات ! يعني بناته.

وحكي انه لما فرغ من البناء أمر راميا أن يرمي سهما إلى جهة المغرب، فرمى فانتهى إلى موضع المصلى فقال: إلى هذا الموضع يصل صاحب الحمار ! يعني أبا يزيد الخارجي لأنه يركب حمارا. فقالوا: ان الأمر كان كما قال، وان أبا يزيد وصل إلى موضع السهم ووقف ساعة، ثم رجع ولم يظفر، ثم أمر بعمارة مدينة أخرى إلى جانب المهدية وجعل بين المدينتين طول ميدان، وأفردها بسور وأبواب وسماها زويلة، وأسكن أرباب الصناعات والتجارات فيها، وأمر أن تكون أموالهم بالمهدية وأهاليهم بزويلة. قال: إن أرادوني بكيد بزويلة فأموالهم عندي بالمهدية، وإن أرادوني بالمهدية خافوا على أهاليهم بزويلة، فإني آمن منهم ليلا ونهارا ! وشرب أهلها من الصهاريج، ولهم ثلاثمائة وستون صهريجا على عدة أيام السنة، يكفيهم كل يوم صهريج إلى تمام السنة ومجيء مطر العام المقبل.

ومرساها منقورة في حجر صلد تسع مائتي مركب، وعلى طرف المرسى برجان بينهما سلسلة حديد إذا أريد إدخال سفينة أرسل الحراس أحد طرفي السلسلة لتدخل الخارجة ثم يمدها.

ثم تناقصت حال ملوكها مع حصانة الموضع حتى استولى عليها الفرنج سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة، وبقيت في يدهم اثنتي عشرة سنة حتى قدم عبد المؤمن افريقية سنة خمس وخمسين وخمسمائة واستعادها. وهي في يد بني عبد المؤمن إلى الآن.

نابلس

مدينة مشهورة بأرض فلسطين بين جبلين مستطيلة لا عرض لها، وبها اجتماع السامرة، وهم طائفة من اليهود، واليهود بعضهم يقول: انهم مبتدعة ملتنا ! ومنهم من يقول: انهم كفار ملتنا ! ذكر بعض مشايخ نابلس انه ظهر هناك تنين عظيم فتوسل الناس في هلاكه، وكان شيئا هلائلا له ناب عظيم، فعلقوا نابه هناك ليتعجب الناس من عظمها وليس باصطلاحهم التنين، فعرف الموضع بها وقيل نابلس. بظاهر المدينة مسجد يقولون: ان آدم، عليه السلام، سجد لربه هناك. وبها جبل يقول اليهود ان الخليل، عليه السلام، أمر بذبح ولده عليه، لأن في اعتقادهم أن الذبيح كان إسحق، عليه السلام. وبها عين تحت كهف تعظمه السامرة. وبها بيت عبادة للسامرة يسمى كزيرم.

ناصرة". (١)

٣١-"يتكلمون بمثل كلام الطير وطعامهم من نبات يشبه القطور (١) والكمأة ويشربون من غدران هناك.
وجزيرة **التنين** فيها جبال وأنهار وزروع وهي عامرة وعلى مدينتهم حصن عالي، وكان تنين عظيم قد سام (٢) أهلها (أقبح) سوم فيقال إن الاسكندر وصلها، وإن اهلها استغاثوا به، وذكروا عنه أنه أتلف مواشيهم حتى جعلوا له ضريبة في كل يوم ثورين ينصبوهما قرسا من موضعه، فيخرج فيبتلع الثورين ويعود إلى موضعه، ثم يعود من غد، فقال لهم أروني مكانه، فلما أصبح أقفوا الاسكندر في موضع يشرف عليه ونصبوا له الثورين فأقبل كأنه سحابة سوداء وعيناه كالبرق، والنار تخرج من جوفه فابتلع الثورين، وعاد إلى موضعه، فأمر الاسكندر بثورين عظيمين فسلخهما، ثم أمر فملئت جلودهما زفتا وكبريتا وجبسا وزرنيخا، ومزج تلك الاخلاط كلاليب حديد واجسادا، ثم نصبها في ذلك الموضع، فأقبل **التنين** على عادته فابتلعها ومضى لوجهه، فلم يلبث الا قليلا فاضطربت تلك الاخلاط في حلقه فخر مستلقيا لا يملك من نفسه، وفتح فاه ليستروح، فأمر الاسكندر بقطع الحديد فأحميت وجعلت على ألواح من حديد فقذفت في حلقة فمات في الوقت واستراح اهل ذلك البلد منه فرحوا لموته وانكفأوا (٣) للاسكندر وحملوا إليه من طريف (٤) ما عندهم.
وكان فيما حلوه إليه دابة في خلق الارنب وبرها (٥) اصفر يبرق كما يبرق الذهب يسمونه بتراح (٦) وفي رأسها قرن واحد أسود، فإذا الاسود والسباع

---

١) ت: القطن.
٢) ب: سام: اهلها سوم، ت: شام: أهلها اقبح شوم.
٣) ت: وأظافوا - لعلها: وأضافوا.
٤) ت: ظرائف.
٥) في ب: شعرها.
٦) في ت: نفواخ.
(*) ما بينها وبين * * سقط في ت.
) (*)". (٢)

٣٢-"وما أدراك ما هرمجدون .. إنها الواقعة العظيمة والحرب النووية المدمرة .. إنها المنازلة الاستراتيجية الضخمة .. إنها الحرب التحالفية العالمية التي ينتظرها جميع أهل الأرض اليوم .. إنها المواجهة الدينية السياسية .. إنها الحرب الصليبية

---

(١) آثار البلاد وأخبار العباد ص/١١٠
(٢) أخبار الزمان ص/٥٣

الجديدة .. إنها معركة **التنين** متعددة الأطراف .. إنها أعنف وأشرس حروب التاريخ .. إنها بداية النهاية .. إنها الحرب التي يعم قبلها" السلام المشبوه " فيقول الناس حل السلام حل الأمن ..

إنها هرمجون !!!

ثم يبين لنا أنها سميت بهذا الاسم نسبة إلى وادي مجيدو بفلسطين وأما أدلة المؤلف على ذلك فهي :

(١) أقوال الساسة الغربيين : أمثال رونالد ريجان الرئيس الأمريكي الأسبق وجيري فولويل زعيم الأصوليين المسيحيين والكتابة جريس هالسل والكاتب أورال روبرتسن والكاتب هال ليندسي وغيرهم .

(٢) نصوص الإنجيل المحرف :

فنقل عن سفر الرؤيا (١٦ / ١٦) ونقل من إنجيل لوقا (١٢ / ٢٥ – ٣٧) وسفر زكريا (٨٩ /١٣) وفيه أن اليهود سيموت ثلثاهم في هذه المعركة ونقل عن سفر حزقيال (١٢ / ٣٩) واستشهد بسفر دانيال كما نقله من كتاب " يوم الغضب " .

(٣) وأخيرا ذكر حديثا واحدا وهو حديث الملحمة المعروف .

وحاول تطبيعه على نصوص الإنجيل والساسة الغربيين ، فقلب الموازين رأسا على عقب ، بعد أن كان يستدل بنصوص المسلمين أولا ثم يستأنس بنصوص أهل الكتاب – بزعمه – إذا هو يجعل الأصل نصوص أهل الكتاب ويستأنس لهم بهذا الحديث في آخر بحثه بعد أن قرر أن هرمجدون هذه حقيقة لا يجادل فيها أحد ، فكأنه ذكر الحديث ذرا للرماد في العيون ونحن نبطل بحول الله وقوته مزاعم المؤلف ونكشف تلبيسه فنقول وبالله التوفيق .". (١)

٣٣–"سلطان الدم واحد وثلاثون يوما، آيته ثلاثة، وهو بالفارسية فروردين ماه آيته واحدة، وهو من شهور الصيف وهو النيروز رأس سنة القمر، وهو عيد المجوس الأكبر ثمانية أيام، له من البروج الثور وهو برج أنثى من بروج الأرض وهو بيت الزهرة وشرف القمر، ربه بالنهار الزهرة وبالليل القمر، ويشاركه بالليل والنهار المريخ، الإقليم الترك والخزرج. وله من النجوم ثلثا الثريا والدبران وثلثا الهقعة. وفي ثلث منه يطلع البطين ويسقط الزبانيان. وفي اليوم السابع تطلع الغميصاء، ويكون فيه ريح ومطر، وفي اليوم الرابع عشر يجري الماء في منتهى العيون، وفي ستة عشر منه تطلع الثريا ويسقط الإكليل وهو أول يوم من الصيف وآخر الربيع، وبطلوعها يطيب ركوب البحر، ويبدأ أول السمائم ويفرك القمح ويبرد نيل مصر، وتغور المياه، ويخرج الجراد وتهيج الصبا. وفي أربع وعشرين منه يكون النهار أربع عشرة ساعة، والليل عشر ساعات، ينقص ساعة لتمام ثلاثين يوما. وتزرع الذرة والدخن بأرض تهامة واليمن وأرض النوبة. وفي سبع وعشرين منه يرتفع الطاعون بإذن الله تعالى من كل أرض، ولتسع وعشرين منه يطلع الدبران ويسقط القلب وتهيج فيها البوارح والسمائم، ويسود أول العنب وتستبين زيادة نيل مصر وتهب الشمال.

حزيران

---

(١) الأخبار المطموسة في كتاب هرمجدون ص/٧٥

سلطان المرة الصفراء ثلاثون يوما، آيته ستة، وهو بالفارسية ارد بهشت ماه، آيته ثلاثة وهو أول شهور القيظ، وله من البروج الجوزاء، وهو ذو جسدين وهو التوأمان من بروج الرياح، برج مذكر مغربي شرف رأس **التنين**، ربه بالنهار زحل وبالليل عطارد. ويشاركه بالليل والنهار المشتري. الإقليم بربر وإفريقية، وله من النجوم ثلاثة: الهقعة والهنعة والذراع وفي إحدى عشرة منه تطلع الهقعة وتسقط الشولة، وفي أربع وعشرين تطلع الهنعة ويسقط النعايم، ويرجع الشهر، ويهبط من صعودها الأعلى، وهو أطول يوم في السنة، وهو اليوم الذي ولد فيه يحيى بن زكريا عليهما السلام فيما زعموا ويزعم أهل العلم أن داود النبي عليه السلام فيه افتتن، وفي ثلاثين منه يطلع الذراع ويسقط البلدة، وفيه تسكن الرياح ويشتد الحر.

تموز

سلطان المرة الصفراء واحد وثلاثون يوما، آيته واحدة، وهو بالفارسية خرداد، آيته خمسة، وهو أوسط القيظ، وله من البروج السرطان برج منقلب أنثى من بروج الماء، وهو شرف المشتري وهبوط المريخ، ربه بالنهار المريخ وبالليل الزهرة، ويشاركه بالليل والنهار القمر. والإقليم الشام والجزيرة والروم، وله من النجوم النثرة والطرف وثلث الجبهة ويشتد الحر فيه، ولسبع منه يطلع الذراع وتسقط البلدة. ويقوم سوق سليمة جمعتين، ويرتفع الطاعون بإذن الله تعالى، وفيه يحرث ما يصلح في تلك السنة من الزرع، وما يفسد منه، ويؤخذ لوح قبل أن تطلع الشعرى بتسع ليال ، فيزرع عليه من كل صنف حتى إذا كان ليلة تطلع الشعرى وضع ذلك فوق بيت على مكان مرتفع لا يحول بينه وبين السماء شيء فما أصبح منه مخضرا فإنه يصلح بإذن الله تعالى، وتطلع الشعرى الغامضة في خمس منه. وفي عشرين منه تطلع النثرة ويسقط سعد الذابح، وفيه مولد السنة أبدا، فاحفظ منه أعلام الشتاء، ويزرع البطيخ الشتوي في أرض اليمن.

آب". (١)

٣٤-"ظن أن الثريا تركت طريقها وعاندت إلى العيوق وذلك من أجل البعد الذي بينهما في المطلع والقرب الذي بينهما في وسط السماء، وهو فيعول من العوق والعيق جميعا والعوق الذي لا حر فيه.

ويقال: العيق وهو من قولهم ما يعيق به حر ولا يليق. ووراء العيوق غير بعيد كواكب ثلاثة: زهر مصطفة متقوسة قد قطعت المجرة عرضا ويسمى: توابع العيوق. ويقال لها: الأعلام أيضا. ويقال للذي تحته: رجل العيوق.

ومن أمثالهم فيما يبعد من الطمع: هو أبعد من العيوق، كما يقولون: هو أبعد من الثريا. وهناك سطر من كواكب امتدت في الشمال على انعطاف تسمى: الكف الجذماء لقصرها، ويقولون للثريا: الرأس فيما بين اليدين وفي اليمنى كواكب هي أنورها فيها العاتق وهو أقربها إلى الثريا، ثم المنكب بعده، ثم المرفق كويكب صغير يقال له: إبرة المرفق، وهنالك أيضا المابض.

أما إبرة المرفق من الإنسان فهو طرف عظم الساعد وهو الذي يذرع بذراع والطرف الآخر الذي يثنى إذا قبضت ذراعك إليك يقال له: القبيح. حيث تلاقي الإبرة القبيحا.

ويقال لما بين المرفق والمعصم الساعد ويصغر فيقال: السويعد. ويقال ما بعد المعصم وهي الكف، الخضيب كف الثريا.

---

(١) الأزمنة والأمكنة ص/٢٤٧

وهناك كوكب نير قدر كوكبي المرفق والعضد فهو معهما في صورة مثلثة واسعة كل كوكب في زاوية من زواياها والمنجمون يسمون هذا الكوكب: رأس الغول. وقريب منه كوكب نير فيما بين قلب الحوت ومرفق الثريا يسمى: عناق الثريا وهي غير العناق الذي في بنات نعش.

روى ابن الأعرابي عن العرب: قال عند بنات نعش كوكب يقال له: رأس الحية ورأس الحية مثل رأس الخلخال، **والتنين** فيما وصفه المنجمون هناك عند رأسه.

ويوجد من بنات نعش كوكب أحمر يقال له: القبح. وهو ذكر الضباع. وهناك كواكب صغار فيما بين القرحة والجدي. والراعي كوكب من كواكب الشاء. وكلب الراعي: كوكب صغير قريب منه. وأسفل من بنات نعش كواكب كثيرة مختلطة يقال لها الضباع.

ويوجد كواكب صغار عن يمين الضباع بينها وبين بنات نعش. والخباء كواكب في مثل هيئة الخباء أسفل من أولاد الضباع. وخلف العاتق كوكبان بينه وبين العنق يسميان: المرجف والبرجس. وقال عن يمين الكف الجذماء البقر أسفل من الكف الجذماء متصلة بالثريا فهذه مشاهير الكواكب الشامية.

ونذكر الآن الكواكب اليمانية فمنها: منكبا الجوزاء وهما أيضا يداها. والأيمن منهما كوكب أحمر، وقد وضع في الاصطرلاب، والعرب تسميه مرزم الجوزاء، والهقعة بين المنكبين وهي عند العرب رأس الجوزاء لأن الجوزاء في المنظر شبيهة بصورة الإنسان. وربما سموا المنكب الأيسر الناجذ.

وأما الكواكب البيض المستعرضة في وسط الجوزاء الوباضة فإن العرب تسميها النظم وتسميها أيضا: نطاق الجوزاء وفقار الجوزاء. ويسمون الكواكب الثلاثة المنحدرة من عند هذه الأولى الجواري وكأنها في موضع الرجل من ظاهر الصورة.

وهناك كوكب أبيض وباض في مثل القدم يقال له: رجل الجوزاء اليسرى وقد وضعه المنجمون للقياس، ورجلها اليمنى كوكب أبيض أصغر من الأول وقال الشاعر:

فلما رأى الجوزاء أول صابح

وضرتها الكواكب التي معها. وقال الآخر فيهما جميعا. وفتية غيد من التسهيد. الأبيات. وقد مضت في الباب السادس والخمسين، ومن نظر إليها وهي على الأفق بان له حسنها.

وتحت كل واحدة من رجل الجوزاء كواكب أربعة تسمى كرسي الجوزاء، وأحد الكرسيين أبين من الآخر، ويسمى كرسي الجوزاء النهل.

وفوق رأس الجوزاء كواكب صغار كالعقد الموزج يسمى تاج الجوزاء ويسميها العرب أيضا ذوائب الجوزاء. وأسفل من الجوزاء على يسارك إذا نظرت إليها الشعرى العبور، وهي الكوكب العظيم الوباض، وقد ذكرنا الأخرى في منازل القمر، وإن المجرة تمر بين الشعريين وأسفل من كرسي الجوزاء.

ومن الشعرى العبور ثلاثة كواكب بيض مختلفة التثليث تشبهها العرب عذرة الجوزاء وقد يجعلها قوم خمسة كواكب. وهناك

كواكب إن ضم بعضها إلى الثلاثة صارت خمسة، وقد تسميها العرب: العذارى وهي في حاشية المجرة الغربية.". [1]

٣٥-" الأنوف من الطراز الأول إليهم في الشدائد والاستناد وعليهم في الأزمات المعول ولهم في الوفاء والصفاء والاحتفاء والعناية والحماية والرعاية الخطو الواسع والباع الأطول كأنما عناهم بقوله جرول

(أولئك قوم إن بنو أحسنوا البنا ** وإن عاهدوا وفوا وإن عقدوا شدوا)

(وإن كانت النعماء فيهم جزوا بها ** وإن أنعموا لا كدروها ولا كدوا)

(وتعذلني أبناء سعد عليهم ** وما قلت إلا بالذي علمت سعد)

وبقول الوثيق مبناه البليغ معناه

(قوم إذا عقدوا عقدا لجارهم ** شدوا العناج وشدوا فوقه الكربا)

يزيحون عن النزيل كل نازح قاصم وليس له منهم عائب ولا واصم فهو أحق بما قاله في منقر قيس بن عاصم

(لا يفطنون لعيب جارهم ** وهم لحفظ جوارهم فطن)

حلاهم هذه الغريزة التي ليست باستكراه ولا جعل وأمير المؤمنين دام نصره قسيمهم فيها حذو النعل بالنعل ثم هو عليهم وعلى من سواهم بالأوصاف الملوكية مستعل ارفض مزنهم منه عن غيث ملث يمحو آثار اللزبة وانشق عيلهم منه عن ليث ضار منقبض على براثنه للوثبة فقل لسكان الفلا لا تغرنكم أعدادكم وأمدادكم فلا يبالي السرحان المواشي سواء مشي إليها النقرا أو الجفلى بل يصدمهم صدمة تحطم منهم كل عرنين ثم يبتلع بعد أشلاءهم المعفرة ابتلاع التنين فهو هو كما عرفوه وعهدوه وألفوه وأخو المنايا وابن جلا وطلاع الثنايا مجتمع أشده قد احتنكت سنه وبان رشده جاد مجد محتزم بحزام الحزم مشمر عن ساعد الجد

(لا يشرب الماء إلا من قليب دم ** ولا يبيت له جار على وجل)

(أسدى القلب آدمي الروا لابس ** جلد النمر يزني العناد والنوى)

(وليس بشاري عليه دمامة ** إذا ما سعى يسعى بقوس وأسهم)

(ولكنه يسعى عليه مفاضة ** دلاص كأعيان الجراد المنظم)

فالنجاء النجاء سامعين له طائعين والوجل الوجل لاحقين به خاضعين

". [2]

---

(١) الأزمنة والأمكنة ص/٢٨١

(٢) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ١٣٣/٤

٣٦-"ويضاف إلى ذلك التطابق في سفر **التنين** السومري والبابلي والتوراتي، وفي الجنة السومرية والبابلية والتوراتية.. حتى الوهم المزروع في الأذهان بأن اليهودية ديانة توحيدية(ويختلف هذا من سفر إلى آخر) يؤكد بأن التوراة سرقت ما يشير إلى التوحيد من الديانةالأخناتونية (الأثونية) حتى أن القارئ البسيط يدرك التطابق شبه الكامل في النص وقرائنه بين المزمور ١٠٤ وصلاة أخناتون، وقد أورد تلك المقارنة الباحث العربي فراس سواح، في كتابه " مغامرة العقل الأولى " وحتى فرويد يذكر في كتابه "موسى والتوحيد" بأن اليهود لم يحضروا معهم إلى سورية الجنوبية ثقافة خاصة بهم (وهذا ما يدعم بجملة الاكتشافات الأركيولوجية المعاصرة كما أسلفناه أعلاه) فقد عاشوا في مصر عيشة العبيد الأذلاء، وفروا منها استجابة لدعوة رجل فولاذي هو موسى..

وقد تضاربت الآراء حول هذه الشخصية الفذة، ولعل أكثر الآراء إثارة النظرية القائلة ان موسى مصري الأصل، وليس عبرانيا، وأنه قائد عسكري من أتباع ديانة أتون، وهي أول ديانة توحيدية أسسها الفرعون أخناتون، ولما هلك أخناتون، ودمر كهنة الديانات التقليدية كل ما بناه تفرق أتباعه وأهله، إلا أن موسى التابع المخلص لأخناتون أخذ على عاتقه متابعة الرسالة، فقام باختيار اليهود تلك الفئة الغريبة للتبشير بينهم، ولعل هذا الاختيار الذي قام به موسى هو الذي أعطى فكرة اختيار الإله يهوه لشعبه في التوراة(١٧).". (١)

٣٧-" ومشيئتك وأنت الذي في السماء إله وفي الأرض إله تتجلى لما تشاء مثل تجليك في مشيئتك كأحسن الصورة والصورة فيها الروح الناطقة بالعلم والبيان والقدرة ثم إني أوعزت إلى شاهدك لأني في ذاتك الهوى كيف أنت إذا مثلت بذاتي عند حلول لذاتي ودعوت إلى ذاتي بذاتي وأبديت حقائقي علومي ومعجزاتي صاعدا في معارجي إلى عروش أزلياتي عند التولي عن برياتي إني احتضرت وقتلت وصلبت وأحرقت واحتملت سافيات الذاريات ولجحت في الجاريات وأن ذرة من ينجوج مكان هالوك متجلياتي لأعظم من الراسيات ثم أنشأ يقول ... أنعى إليك نفوسا طاح شاهدها ... فيما ورا الحيث بل في شاهد القدم ... أنعى إليك قلوبا طالما هطلت ... سحائب الوحى فيها أبحر الحكم ... أنعى إليك لسان الحق منك ومن ... أودى وتذكاره في الوهم كالعدم ... أنعى اليك بيانا يستكين له ... أقوال كل فصيح مقول فهم ... أنعى إليك إشارات العقول معا ... لم يبق منهن إلا دارس العلم ... أنعى وحبك أخلاقا لطائفة ... كانت مطاياهم من مكمد الكظم ... مضى الجميع فلا عين ولا أثر ... مضى عاد وفقدان الأولى إرم ... وخلفوا معشرا يحذون لبستهم ... أعمى من البهم بل أعمى من النعم ... قالوا ولما أخرج الحلاج من المنزل الذي بات فيه ليذهب به إلى القتل أنشد ... طلبت المستقر بكل أرض ... فلم أر لي بأرض مستقرا ... وذقت من الزمان وذاق مني ... وجدت مذاقه حلوا ومرا ... أطعت مطامعي فاستعبدتني ... ولو أني قنعت لعشت حرا ... وقيل إنه قالها حين قدم إلى الجذع ليصلب والمشهور الأول فلما أخرجوه للصلب مشى إليه وهو يتبختر في مشيته وفي رجليه ثلاثة عشر قيدا وجعل ينشد ويتمايل ... نديمي غير منسوب ... إلى شيء من الحيف ... سقاني مثل ما يشر ... ب قعل الضيف الضيف ... فلما دارت الكأس ... دعا بالنطع

(١) الانتربولوجية المعرفية العربية ص/٢٥٤

والسيف ... كذا من يشرب الراح ... مع التنين في الصيف ... ثم قال يستعجل بها الذي لا يؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون أنها الحق ثم لم ينطق بعد ذلك حتى فعل به ما فعل قالوا ثم قدم فضرب ألف سوط ثم قطعت يداه ورجلاه وهو في ذلك كله ساكت ما نطق بكلمة ولم يتغير لونه ويقال إنه جعل يقول مع كل سوط أحد أحد قال أبو عبدالرحمن سمعت عبدالله بن علي يقول سمعت عيسى القصار يقول آخر كلمة تكلم بها الحلاج حين قتل أن قال حسب الواحد إفراد الواحد له فما سمع بهذه الكلمة أحد من المشايخ إلا ". (١)

٣٨-" ابن جماعة وعلى الفارقي بالخطابة وعلى الأمير ركن الدين بيبرس العلاوي بشد الدواوين وهنأهم الناس وحضر نائب السلطنة والأعيان المقصورة لسماع الخطبة وقرئ تقليد ابن صصرى بعد الصلاة ثم جلس في الشباك الكمالي وقرئ تقليده مرة ثانية وفي جمادي الاولى وقع بيد نائب السلطنة كتاب مزور فيه ان الشيخ تقي الدين بن تيمية والقاضي شمس الدين بن الحريري وجماعة من الأمراء والخواص الذين بباب السلطنة يناصحون التتر ويكاتبوهم ويرويدون تولية قبجق على الشام وأن الشيخ كمال الدين بن الزملكاني يعلمهم بأحوال الأمير جمال الدين الأفرم وكذلك كمال الدين بن العطار فلما وقف عليه نائب السلطنة عرف ان هذا مفتعل ففحص عن واضعه فإذا هو فقير كان مجارا بالبيت الذي كان مجاور محراب الصحابة يقال له اليعفوري وآخر معه يقال له أحمد الغناري وكانا معروفين بالشر والفضول ووجد معهما مسودة هذا الكتاب فتحقق نائب السلطنة ذلك فعزرا تعزيرا عنيفا ثم وسطا بعد ذلك وقطعت يد الكاتب الذي كتب لهما هذا الكتاب وهو التاج المناديلي وفي أواخر جمادي الأولى انتقل الأمير سيف الدين بلبان الجوكندار المنصوري الى نيابة القلعة عوضا عن ارجواش

عجيبة من عجائب البحر

قال الشيخ علم الدين البرزالي في تاريخه قرأت في بعض الكتب الواردة من القاهرة أنه لما كان بتاريخ يوم الخميس رابع جمادي الآخرة ظهرت دابة من البحر عجيبة الخلقة من بحر النيل الى أرض المنوفية بين بلاد منية مسعود واصطباري والراهب وهذه صفتها لونها لون الجاموس بلا شعر وآذانها كآذان الجمل وعيناها وفرجها مثل الناقة يغطي فرجها ذنب طوله شبر ونصف كذنب السمكة ورقبتها مثل غلظ التنين المحشو تبنا وفمها وشفتاها مثل الكربال ولها أربعة أنياب اثنان من فوق واثنان من أسفل طول كل واحد دون الشبر في عرض اصبعين وفي فمها ثمان وأربعون ضرسا وسن مثل بيادق الشطرنج وطول يديها من باطنها الى الارض شبران ونصف ومن ركبتها الى حافرها مثل بطن الثعبان اصفر مجعد ودور حافرها مثل السكرجة بأربعة أظافير مثل أظافير الجمل وعرض ظهرها مقدار ذراعين ونصف وطولها من فمها الى ذنبها خمسة عشر قدما وفي بطنها ثلاثة كروش ولحمها أحمر وزفر مثل السمك وطعمه كلحم الجمل وغلظه أربعة أصابع ما تعمل فيه السيوف وحمل جلدها على خمسة جمال في مقدار ساعة من ثقله على جمل بعد جمل وأحضروه الى بين يدي السلطان بالقلعة وحشوه تبنا وأقاموه بين يديه والله أعلم

---

(١) البداية والنهاية ١٤٢/١١

وفي شهر رجب قويت الأخبار بعزم التتار على دخول بلاد الشام فانزعج الناس لذلك واشتد خوفهم جدا وقنت الخطيب في الصلوات وقرئ البخاري وشرع الناس في الجفل الى الديار المصرية ". (١)

٣٩-"يكذبه في ذلك، وهم به ليقتله فامتنع منه بأهل أردبيل فلما تحقق الخليفة كذب منكجور بعث إليه بغا الكبير فحاربه وأخذه بالأمان، وجاء به إلى الخليفة.

وفي هذه السنة مات ياطس الرومي الذي كان نائبا على عمورية حين فتحها المعتصم ونزل من حصنه على حكم المعتصم، فأخذه معه أسيرا، فاعتقله بسامرا حتى توفي في هذا العام.

وفي رمضان منها توفي إبراهيم بن المهدي بن المنصور، عم المعتصم، ويعرف بابن شكلة، وقد كان أسود اللون، ضخما فصيحا فاضلا، قال ابن ماكولا: وكان يقال له: التنين يعني لسواده وقد ترجمه الحافظ ابن عساكر في تاريخه ترجمة حافلة، وذكر أنه ولي إمرة دمشق نيابة عن أخيه الرشيد مدة سنتين، ثم عزل عنها، ثم أعيد إليها الثانية، وأقام بها أربع سنين، وذكر من عدله وصرامته أشياء حسنة، وأنه أقام للناس الحج سنة أربع وثمانين، ثم عاد إلى دمشق وكان قد بايعه أهل بغداد في أول خلافة المأمون سنة ثنتين". (٢)

٤٠-"طلبت المستقر بكل أرض فلم أر لي بأرض مستقرا

أطعت مطامعي فاستعبدتني ولو أني قنعت لعشت حرا

وقيل: إنه قالها حين قدم إلى الجذع ليصلب، والمشهور الأول، ثم مشى وهو يتبختر في مشيته وفي رجليه ثلاثة عشر قيدا، وجعل ينشد ويتمايل:

نديمي غير منسوب إلى شيء من الحيف

سقاني مثل ما يشر ب فعل الضيف بالضيف

فلما دارت الكأس دعا بالنطع والسيف

كذا من يشرب الراح مع التنين في الصيف

ثم قال: يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون أنها الحق [الشورى: ١٨] ثم لم ينطق بعد ذلك حتى فعل به ما فعل، قالوا: ثم قدم فضرب ألف سوط ثم قطعت يداه ورجلاه وهو في ذلك كله ساكت ما نطق بكلمة، ولم يتغير لونه، ويقال: إنه جعل يقول مع كل سوط أحد أحد.". (٣)

---

(١) البداية والنهاية ٢٢/١٤

(٢) البداية والنهاية (٧٧٤) ٢٦٤/١٤

(٣) البداية والنهاية (٧٧٤) ٨٣٩/١٤

٤١-"بالطاعة والتباعة بيننا وبينها وبلغت الخيرات إلى مداها وانتهت الركاب إلى منتهاها حتى سكن سكون دور دورين واستنزعنا ماكس ماكسين وطلعت شمس الانس للشمسانية وأشرقت الآفاق بالأنوار السلطانية وتحصن بعزنا الحصين وفدانا الفدين وثبت المجد للمجدل وأخذ للبزاة الشهب منا قنص الاجدل وقطعنا نهر الخابور على قنطرة **التنينير** وانتظمنا عليها في الزحام نظم النثير ونشر عبورنا بها نشر العبير ذكر الوصول إلى نصيبين

ولما جزنا الخابور وأتممنا العبور أخذنا الطريق إلى نصيبين يسرة واستخرنا الله في قصدنا واستجدينا منه نصره ونصبنا بنصيبين خيامنا بعد ثلاث وسلكنا في مسالك سهول وأوعاث وأزلنا جدبها وجورها بغيث وغيات وعزائم حثاث وصرائم ذات انبعاث على أن الانفس من خوف الالتباث لوخمها ذات التياث ودخلنا المدينة وانزلنا بها السكينة وجئنا إلى قلعتها وقد تحصنت وبمنعتها تحسنت وسائر اسوارها مصفوفة وعرائس مجانيقها مزفوفة واشفقنا في حصرها من سفك الدم وهتك الحرم فوكلنا بها من يمنع من الدخول والخروج وسلطنا والى اللجاج على واليها اللجوج فمني بمصاب المصابرة وعرف انه لا محيص من المحاصرة فأرسل بعد مضي برهة من

". (١)

٤٢-"وقد قال نامق كمال بفكرة الحقوق الطبيعية التي هي الأساس الفلسفي للحضارة الغربية المعاصرة، وقدم نامق كمال- مشروعا للدستور العثماني، الى مدحت باشا وكان متأثرا بالدستور الفرنسي (دستور نابليون الثالث عام ١٨٥٢م). ورأى نامق كمال أن هذا هو المناسب تماما لظروف الدولة العثمانية في ذلك الوقت وكان نامق كمال صديقا لمدحت باشا ولذلك تأثر بقرار السلطان عبدالحميد في عزله وقد تحدث السلطان عبدالحميد عن نامق كمال في مذكراته: (كان كمال بك أكثر من لفت انتباهي من بين عدة أشخاص أطلقوا على أنفسهم "العثمانيون الجدد". كان إنسانا مضطربا جدا. لاتتوافق حياته العائلية مع حياته الخاصة، ولاتتوافق حياته القلمية مع حياته الفكرية.

يمكن أن تجزم بأن إنسانا ما، يستطيع عمل أمر ما، أو لا يستطيع. لكنك لاتستطيع القطع بهذا بشكل من الأشكال، وأنت تفكر في كمال بك. ذلك لأنه هو نفسه لايعرف نفسه تستطيع القول أنه واحد من الأشخاص النادرين، الذين يحيون حياتين مزدوجتين ، كل حياة تختلف عن الأخرى حسب مزاجه. من يعرفونه عن قرب، يعرفون أنه: عندما كان على وئام مع السراي كتب (التاريخ العثماني) وعندما فسدت هذه العلاقة، يعرفون أنه قطع رأس **التنين** بقوله: (كلب هو الذي يأمن لخدمة صياد غير منصف). إنه إنسان متقلب. ربما كان إنسانا مخلصا جدا، يمكنك خلال ساعات أن تجعله يفكر مثلك، ولا يمكنك معرفة عدد الساعات أو الأيام التي سيحمل فيها هذه الأفكار)(١).

(١) البرق الشامي ٥/٣٠

(١) مذكرات السلطان عبدالحميد، ص٤٧.". [١]

٤٣-"مشببا بعتبة محبوبته ... في كتب التاريخ ذكر قصته

لابنته علية شعر فشا ... وقصة في شأن طل ورشا

وكان يشتد على الزنادقه ... ومن غلا يرضي بذاك خالقه

إذ كان في العدل إماما مقسطا ... حتى أتاه حينه فاعتبطا

فولي الهادي ابنه من بعده ... فسار في سيرته وقصده

عدلا إلى أن ذهبت أيامه ... فعاق عن مأموله حمامه

فصار هارون الرشيد تاليا ... للملك الهادي إماما واليا

فشيد الملك وأعلى كعبه ... حزما وعزما وأذل صعبه

واستوزر البرامك الأمجادا ... فاستوسق الأمر بهم وزادا

حتى دهاهم حادث الأيام ... وكل عيش فإلى انصرام

ثم دهى الحين الرشيد فاخترم ... والموت حتم في العباد قد حتم

ثم ولي محمد الأمين ... في طالع حل به **التنين**

فلم يزل مشتغلا باللهو ... في غرة ومهملة وزهو

ينشده أبو نواس الحسن ... وكان ممن شأنه التمجن

أشعاره في الخمر والغلمان ... فيحتذي ما قاله ابن هاني

حتى أتاه الحتف بالمأمون ... فصار رهنا في يد المنون

أنحى عليه طاهر فاغتاله ... قتلا وعن سلطانه أزاله

ودارت الحروب في بغداد ... وآل أمرها إلى الفساد

فجاءها المأمون عبد الله ... فانزاح عنها كل أمر داه". [٢]

٤٤-"سلا عن سلا هل من علي حقيقة ... فإني في أحشاء قورية سر

ألا إنما الدنيا علي وقربه ... وإلا فإن الأرض عامرها قفر

بعدل علي تعمر الأرض كلها ... وتتسع الدنيا ولو أنها قبر

حنيني إليه موثقا ومسرحا ... كما جن للبر الذي يغرق البحر وله من قصيدة في قاضي الجماعة أبي عبد الله بن حمدين:

---

(١) الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط ٢/٩٠

(٢) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ٢/٩٣٥

من معشر حمدوا فأحمد سعيهم ... (١) فلذاك ما سموا بني حمدين

مضت القرون ومرت الدنيا ومن ... فيها وما جاءت لهم بقرين

لله درك أيها القاضي فما ... حبل الرجاء لديك غير متين

ولقد ذكرتك والعدو يعضني ... والعلج يلطم صفحتي وجبيني

يوم العذاب وللكلاب تضور ... حولي ونشاب الردى ترميني

وتوهمني بالغنى وأضر بي ال ... مال الذي أخذوه إذ أخذوني

قالوا: اعطنا ألفا فقلت مضاعفا ... لما رأيت الموت ملء جفوني

فبقيت عاما في الإسار مصفدا ... بسلاسل ضربا من التنين

لما يئست ولم تكن لي حيلة ... أرسلت في ابن أبي فكان ضميني

(٢) وتركته بيد العدو موثقا ... في ذل أغلال وضيق سجون

وردت رسائله علي فتارة ... يشكو إلي وتارة يشكوني

فقلوبهم كالقلب في خفقانه ... وعيونهم في جريها كعيون

فأتيت نحوك والرجاء يقودني ... وجميل ذكرك خلفه يحدوني

---

(١) شر البيت ص: ٢٢٢.

(٢) س: مثقفا.". [1]

٤٥-"الليف مجلفطة بدقيق اللبان ودهن كلاب البحر المعد لذلك، ونواتية هذه المراكب لهم آلات محكمة موضوعة في أعلى الصاري (١) الذي يكون في مقدم المركب فيجلس النوتي يبصر ما لاح أمامه من التروش التي تحت الماء مخفية فيقول للماسك: خذ إليك وادفع عنك، ولولا ذلك ما عبره أحد وآفاته كثيرة في المراكب، والمسافرون يأوون كل ليلة إلى مواضع يلجأون إليها خوفا من معاطبه (٢) ، وينزلون بها نهارا ويقلعون نهارا، حالا دائمة سير النهار واقامة الليل، وهو بحر مظلم كريه الريح.

جزيرة البركان (٣) :

هي جزيرة في قطعة من البحر الشامي ليست بالكبيرة فيها جبل يقذف في بعض الأحايين نارا عظيمة وقليلا ما تفتر، وإذا هاجت هذه النار قذفت بالحجارة موقدة وسمع لها دوي يرتاع له ويسمع دويها من بعيد كأنما هي رعود قاصفة، وفي هذه الجزيرة معز برية، وبينها وبين أقرب بر من صقلية خمسة عشر ميلا.

جزيرة السعالي (٤) :

---

(١) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ٨١٧/٤

بقرب البحر المظلم الغربي فيها خلق كخلق النساء ولهم أنياب بادية وعيونهم كالبرق وسوقهم كالخشب المحرقة يتكلمون بكلام لا يفهم ويحاربون الدواب البحرية، ولا فرق بين الرجال منهم والنساء إلا بالفروج والذكور لا غير ولا لحى لرجالهم، ولباسهم ورق الشجر.

جزيرة المستشكين (٥) :

بقرب البحر المظلم الغربي أيضا، عامرة فيها جبال وأنهار وزروع، وعلى المدينة حصن عال، وكان فيها فيما سلف على عهد (٦) الإسكندر تنين عظيم يبتلع كل من مر به من إنسان أو ثور أو حمار، فلما دخلها الإسكندر واستغاث به أهلها وشكوا إليه إضرار التنين بهم وأنه قد أتلف مواشيهم وأبقارهم حتى أنهم جعلوا له ضريبة في كل يوم ثورين ينصبونهما بمقربة من موضعه فيخرج إليهما فيبتلعهما ثم يعود إلى موضعه ثم يأتون من الغد فيفعلون له ذلك، فقال لهم الإسكندر: يأتيكم هذا التنين من مكان واحد أو من أمكنة كثيرة. قالوا: من مكان واحد،

فقال لهم: أروني مكانه، فانطلقوا به إلى قرب من موضعه ثم نصبوا له الثورين، فأقبل التنين كالسحابة السوداء وعيناه تلمعان كالبرق، فابتلع الثورين وعاد إلى موضعه فأمرهم الإسكندر أن يجعلوا له في اليوم الثاني عجلين وفي الثالث مثل ذاك، فاشتد جوعه، فأمر الإسكندر عند ذلك بثورين عظيمين فسلخا وحشيت جلودهما زفتا وكبريتا ونحاسا (٧) وزرنيخا وجعلهما في ذلك المكان فخرج التنين إليهما على عادته فابتلعهما ومضى، فاضطربت تلك الأشياء في جوفه فلما أحس باشتعالها وكان قد جعل في تلك الأخلاط كلاليب حديد، فذهب يتقيأ ذلك من جوفه فتشبكت الكلاليب في حلقه فخر واقعا وفتح فاه يستروح، فأمر عند ذلك الإسكندر فحميت قطع الحديد وجعلت على ألواح حديد وقذفت في حلق التنين، فاشتعلت الأخلاط في جوفه، فمات وفرج الله تعالى عن أهل تلك الجزيرة، فشكروا الإسكندر عند ذلك وألطفوه وكان فيما حملوه إليه من الألطاف دابة في خلق الأرنب يبرق شعره في صفرة كالذهب في رأسه قرن واحد أسود إذا رأته الأسود وسباع الوحش والطير وكل دابة هربت عنه.

جزيرة قلهان (٨) :

بقرب البحر المظلم أيضا، فيها خلق كخلق الإنسان إلا أن رؤوسهم مثل رؤوس الدواب يغوصون في البحر ويخرجون ما قدروا عليه من دوابه فيأكلونها.

جزيرة الأخوين (٩) :

بالموضع المذكور، كانا ساحرين، أحدهما شرهام والآخر شرام، كانا بهذه الجزيرة يقطعان على المراكب التي تمر عليهما ويأخذان أهلها وأموالهم، فمسخهما الله تعالى لظلمهما حجرين على ضفة البحر نائمين، ثم عمرت هذه الجزيرة بالناس وهي تقابل مرسى آسفي، ويقال إن الصفاء إذا عم البحر ظهر دخانها من البر.

جزيرة لاقة (١٠) :

في البحر المحيط الغربي، يقال إن فيها شجر العود كثيرا ولكنه لا رائحة له، فإذا خرج عنها وحمل في البحر طابت روائحه، وهو في ذاته أسود رزين، وكان التجار يقصدونها ويستخرجون العود منها، فيباع في أرض المغرب الأقصى من ملوكه

(١) ص ع: الصواري.

(٢) ص ع: موضع... إليه... معاطبها.

(٣) الإدريسي (م): ١٧.

(٤) نزهة المشتاق: ٧٣، وابن الوردي: ٦٥.

(٥) نزهة المشتاق: ٧٣، والبكري (مخ): ٣٧ جزيرة التنين، وابن الوردي: ٦٠.

(٦) نزهة المشتاق: من قبل عهد.

(٧) نزهة المشتاق: وكلسا.

(٨) نزهة المشتاق: ٧٣، وابن الوردي: ٦١.

(٩) نزهة المشتاق: ٧٣، وابن الوردي: ٦١.

(١٠) نزهة المشتاق: ٧٤، وابن الوردي: ٦١.". [1]

٤٦-"النجاغة (١) :

من مدن الحبشة صغيرة على ضفة النهر، أهلها فلاحون يزرعون الذرة والشعير ومنه يعيشون ومتاجرها قليلة، والسمك عندهم كثير ممكن والألبان غزيرة، وبينها وبين مركطة ستة أيام انحدارا في النهر، وفي الصعود أزيد من عشرة أيام على قدر الإمكان وليس بعد هاتين المدينتين في جهة الجنوب شيء من العمارات ولا شيء يعول عليه.

نجران:

من بلاد اليمن، سميت بنجران بن زيد بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان.

وممن كان (٢) في الفترة أصحاب الأخدود، وكانوا بنجران، وبلغ ذا نواس أن قوما بنجران على دين المسيح، وكان هو يهوديا، فنهض إليهم بنفسه، وحفر لهم أخاديد وأضرمها نارا ثم دعاهم إلى اليهودية فمن أبى قذفه في الأخاديد، فأتي بامرأة معها طفل ابن سبعة أشهر فأبت أن ترجع عن دينها، فأدنيت من النار فجزعت، فأنطق الله تعالى الطفل فقال: امضي على دينك فلا نار بعدها فألقيت في النار، فسلط الله تعالى عليهم الحبشة وغلبوهم على أرض اليمن إلى أن كان من أمر ابن ذي يزن واستجارته بكسرى أنوشروان ما كان.

وبنجران (٣) كان عبد الله بن الثامر من أهل دين عيسى عليه السلام، وكان بها بقايا من أهل دينه على الإنجيل أهل فضل واستقامة، وعبد الله بن الثامر رأس لهم، وكان أصل ذلك الدين بنجران، مع أن العرب كانوا أصحاب أوثان، أن رجلا من بقايا ذلك الدين يقال له فيميون وقع بين أظهرهم فحملهم عليه فدانوا به، وكان صالحا مجتهدا زاهدا في الدنيا مجاب الدعوة، وكان سائحا ينزل القرى ولا يعرف في قرية إلا خرج منها إلى قرية لا يعرف بها، وكان لا يأكل إلا من كسب يده وكان بناء

---

(١) الروض المعطار في خبر الأقطار ص/١٦٦

يعمل الطين، وكان يعظم الأحد فلا يعمل فيه شيئا، فخرج إلى فلاة من الأرض يصلي بها حتى يمسي، وكان في قرية من قرى الشام، ففطن لشأنه رجل من أهلها يقال له صالح، فأحبه حبا شديدا وكان يتبعه حيث ذهب فلا يفطن له فيميون حتى خرج في يوم أحد إلى فلاة من الأرض كما كان يصنع، فاتبعه صالح وهو لا يدري بمكانه، وقام فيميون يصلي فأقبل نحوه **التنين**، الحية ذات الرؤوس السبعة، فلما رآها فيميون دعا عليها فماتت، فرآها صالح ولم يدر ما أصابها، فخافها عليه، فعيل صبره فصرخ: يا فيميون، **التنين** قد أقبل نحوك، فلم يلتفت إليه وأقبل على صلاته حتى فرغ منها وأمسى وانصرف، وعرف أنه قد عرف، وعرف صالح أنه قد رأى مكانه فقال له: يا فيميون، اعلم أني ما أحببت شيئا قط حبك، وقد أردت صحبتك والكينونة معك حيث كنت، قال: إما شئت، أمري كما ترى، فإن علمت أنك تقوى عليه فنعم، فلزمه صالح. وكان إذا جاءه أحد به الضر دعا له فشفي، وإذا دعي إلى أحد به ضر لم يأته، وكان لرجل من أهل القرية ابن ضرير، فسأل عن شأن فيميون، فقيل له إنه لا يأتي أحدا دعاه ولكنه رجل يعمل للناس البنيان بالأجرة، فعمد الرجل إلى ابنه ذلك فوضعه في حجرته وألقى عليه ثوبا، ثم جاءه فقال: يا فيميون إني أردت أن أعمل في بيتي عملا فانطلق معي إليه حتى تنظر إليه، فأشارطك عليه (٤) ، فانطلق معه حتى دخل حجرته ثم قال: ما تريد أن تعمل في بيتك هذا. قال كذا وكذا، ثم أزال الرجل الثوب عن الصبي وقال: يا فيميون عبد من عباد الله أصابه ما ترى فادع الله له، فدعا له فيميون فقام الصبي ليس به بأس وعرف فيميون أنه قد عرف فخرج من القرية واتبعه صالح، فبينما هو يمشي في بعض الشام إذ مر بشجرة عظيمة، فناداه منها رجل فقال: أفيميون؟ قال: نعم قال: ما زلت أنتظرك وأقول: متى هو جاء، حتى سمعت صوتك فعرفت أنك هو، لا تبرح حتى تقوم علي فإني ميت الآن، قال: فمات وقام عليه حتى واراه ثم انصرف، وتبعه صالح حتى وطئا بعض أرض العرب، فعدوا عليهما فاختطفتهما سيارة من بعض العرب فخرجوا بهما حتى باعوهما بنجران، وأهل نجران يومئذ على دين العرب يعبدون نخلة طويلة بين أظهرهم لها عيد في كل سنة، فإذا كان ذلك العيد علقوا عليها كل ثوب حسن وجدوه وحلي النساء، ثم خرجوا إليها وعكفوا عليها يوما، فابتاع فيميون رجل من أشرافهم، وابتاع صالحا آخر، فكان فيميون إذا قام الليل في بيت له أسكنه إياه سيده يصلي استسرج له البيت نورا حتى يصبح من غير مصباح، فرأى ذلك سيده فأعجبه ما يرى منه، فسأله عن دينه فأخبره به، وقال له فيميون: إنما أنتم في باطل، إن هذة النخلة لا تضر ولا تنفع ولو

---

(١) ع: النجاعة، وكذلك هي في أصول نزهة المشتاق، الإدريسي (د): ٢٤ (OG: ٤٣).

(٢) البكري (مخ): ٢١.

(٣) السيرة ١: ٣١ وما بعدها؛ والطبري ١: ٩٢٠.

(٤) ص ع: فأشار عليه.". (١)

---

(١) الروض المعطار في خبر الأقطار ص/٥٧٣

٤٧-"وفي سابع عشرة: سافر الصاحب أمين الدين بن الغنام على البريد إلى طرابلس ناظرا. وسبب ذلك أنه لما طالت عطلته اجتمع بالأمير سيف الدين البوبكري وحط على كريم الكبير وأنه قد استولى على الأموال وأنفقها على مماليك السلطان ليصانع بها عن نفسه. فعرف البوبكري السلطان عنه ما قال، فأعلم به كريم الدين فقال هو يا خوند معذور، فأنه قد بطل، ولابد له من شغل يأكل فيه صدقة السلطان. وعينه لنظر طرابلس. فبعث السلطان إليه في الحال بخلعة وبريدي، وخرج لوقته.

وفي حادي عشريه: عزل الأمير بدر الدين محمد بن التركماني من شد الدواوين، ونزل إلى داره.

وفيه عوفي قاضي القضاة بدر الدين محمد بن جماعة، وركب إلى القلعة، وترك معلوم القضاة تنزها عنه، فخلع عليه وباشر بغير معلوم.

وفي يوم الثلاثاء ثاني عشريه: خلع على الأمير سيف الدين طغاي الحسامي الكبير، وسفر على خيل البريد لنيابة صفد عوضا عن بكتمر الحاجب. وسبب ذلك كثرة دالته على السلطان، وتحكمه في الأمراء والمماليك، وقوة حرمته، وتعرضه على السلطان فيما يفعله من ملاذه. وخرج معه مغلطاي الجمالي، فوصل صفد في تاسع عشر ربيع أول، وقدم الأمير بكتمر الحاجب إلى القاهرة.

وفيه قدم البريد بأنه في يوم الأربعاء ثاني صفر هبت ريح شديدة بأرض طرابلس، ومرت على أبيات مقدم التركمان بالجون فكسرتها، وصارت عمودا أغبر هيئة تنين متصل بالسحاب، ومر ذلك العمود على أبيات علاء الدين طوالي بن اليكي مقدم التركمان، وتلوى يمينا وشمالا، فلم يترك هناك شيئا حتى أهلكه، وطوالي يصيح: " يا رب قد أخذت الرزق، وتركت العيال بغير رزق، فإيش أطعمهم،، فعاد ذلك التنين إليه بعد ما كان خرج عنه، وأهلكه وامرأته و أولاده وثلاثة عشر نفسا. وحملت الريح جملين حتى ارتفعا في السماء قدر عشرة أرماح، وأتلفت القدور الحديد. ومرت على عربان هناك فاحتملت لهم أربعة جمال حتى غابت عنهم في اليوم، ثم نزلت مقطعة. وعقب هذا الريح مطر وبرد زنة البردة الواحدة منه ثلاث أواق دمشقية.

وفيه أجلس السلطان جماعة من مقدمي الحلقة الشيوخ في أوقات المشورة مع الأمراء، وسمع كلامهم.

وفيه سأل النصارى في رم جدران كنيسة بربارة بحارة الروم، فأذن لهم السلطان في رمها. فاجتمع لعمارتها جماعة كثيرة من النصارى، وأحضر الأقباط لهم الآلات، وأقاموا على عملها عدة من المسلمين شادين ومستحثين، فجاءت كأحسن المباني. فشق ذلك على جيران الكنيسة من المسلمين، وشكوا أمرها إلى الأمير أرغون النائب والفخر ناظر الجيش، وأن ذلك وقع بجاه كريم الدين الكبير وكريم الدين الصغير، ورفعوا عدة قصص إلى السلطان بدار العدل. فساعد النائب والفخر عند قراءة القصص في الإنكار على بناء الكنيسة، إلى أن رسم لمتولي القاهرة على علم الدين سنجر الخازن بخراب ما جدد فيها من البناء، فنزل إليها علم الدين، واجتمع إليه من الناس عدد لا يحصيه إلا الله، وهدم ما جدد فيها، ومضى لسبيله. فقامت طائفة من المسلمين وبنوا الجانب الذي هدم محرابا، وأذنوا فيه أوقات الصلوات، وصلوا وقرأوا هناك القرآن، ولزموا الإقامة فيه. فحنق النصارى من ذلك، وشكوا أمرهم إلى كريم الدين، فرفع كريم الدين ذلك للسلطان، وأغراه ممن فعل ذلك، وأنه

يريد نهب النصارى وأخذ أموالهم، وشنع القول. فرسم السلطان للخازن بهدم المحراب وإعادة البناء، وقبض أهل حارة الروم وعملهم في الحديد، فلما توجه الخازن لذلك اجتمع الناس وصاحوا به، فساس الأمير وتركهم، وأهمل ذلك الموضع حتى صار كوم تراب.

وفيه تجهز السلطان لركوب الميدان، وفرق الخيول على جميع الأمراء واستجد بركوب الأوشاقية بكوافي زركش على صفة الطاسات، وهم الذين عرفوا باسم الجفتاوات. واستجد النداء في البحر على أرباب المراكب ألا يركبوا أحدا من مماليك السلطان في مركب يوم الميدان، وشدد الإنكار على الطواشي المقدم في غفلته عن المماليك.

وفيه شدد على الأمراء المسجونين ببرج السباع من قلعة الجبل، وهم: طوغان نائب البيرة، وعلم الدين سنجر البرواني، وبيبرس المجنون، وفخر الدين أياز نائب قلعة الروم، والحاج بيليك، وسيف الدين طاجا، والشيخ على مملوك سلار، ومنع حريمهم من الإقامة عندهم.". (١)

٤٨-"ثم يقول: ﴿﴿ حتى المكتب السياسي للحزب الشيوعي السوفيتي يعمل على تغيير صفحة الصهيونية المجرمة... ﴾﴾ إلى آخر الكلام، ولا نريد الإطالة فيه، وإنما ننتقل إلى الحديث -كما قلنا- عن هذه المنظمة: بانيات ، أي: منظمة الذكرى ؛ وهي منظمة قومية روسية، هاهو أن اليهود بدءوا يتمكنون بشكل علني واضح في الاتحاد السوفيتي منذ قيام جورباتشوف وعملية إعادة البناء -كما تسمى- فأخذت تدافع عن الماضي القومي لروسيا القيصرية، وتريد إحياء الصليبية القيصرية، ولاحظوا بين فكين: فك الصهيونية اليهودية وفك الصليبية القيصرية أيضا؛ وكلاهما نحن سندفع الثمن إن انتصرا أو تفوقا.

وهذه مقتطفات قصيرة: ﴿﴿ النائب الأول لوزير الخارجية السوفيتية ذكر أن الإشاعات قد تكون وراءها عناصر قريبة لإسرائيل ﴾﴾ والإشاعات هي عن المجازر والمذابح التي قد يؤدي إليها هذا الصراع.

﴿﴿ وأصبحت منظمة بانيات تنظيما قويا له مئات الآلاف من المناصرين، ويعد أعضاؤه بعشرات الآلاف وهم يرتدون في اجتماعاتهم قمصانا سودا، رسم عليها ناقوس -لاحظوا الصليبية كيف تعود- يرمز إلى أن الوقت حان لاستيقاظ روسيا من سباتها، وتتخذ المنظمة شعارا لها رسما للقديس وهو يطعن **التنين** ﴾﴾ ويذكر أن الإشاعات عن المذابح ضد اليهود تحدد الخامس من آيار مايو المقبل موعدا لها، وفي هذا اليوم من كل عام يحتفل المسيحيون الروس الأرثوذكس بعيد لتقديس جورج ، يعني: وعدت هذه المنظمة بأنه في آيار مايو -لعلنا نرى ماذا يجري عندها- يوم الاحتفال بذكرى هذا القديس وهو من القديسين الكبار الأرثوذكس فيالاتحاد السوفيتي ، في يوم عيده سوف تقوم هذه المنظمة بعمليات مجازر أو عمليات دامية ضد اليهود في روسيا .

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك ٤١٣/١

المهم انظروا كيف أن هذه الحقائق التي أراد الله تعالى أن تكشف على يد هذه المنظمة وأمثالها.". (١)

٤٩-"يقول: ﴿ سألت الحياة فاسولين -زعيم المنظمة- عن مغزى اختيار منظمته لهذا القديس شعارا لها، أي: لماذا اخترتم هذا القديس النصراني شعارا لكم؟ -فقال: إن أوروبا - أي: أوروبا الغربية- التي خبرت الفكر اليهودي الماسوني عبر الثورة الفرنسية رحلت هذا الفكر إلى روسيا بعد أن ألبسته رداء ماركسيا، وأوروبا التي تنتهل اليوم كرامتنا القومية هي سبب مصائبنا على رغم أن روسيا كانت الحصن المنيع الذي وقاها من الجحافل الآسيوية ﴾ وهذا تصريح واضح بأن الماسونية هي وراء الثورة الفرنسية، وأنها هي وراء الحركة الشيوعية ووراء ما جرى في الثورة -كما سيأتي من كلامه-

إذا يقول: ﴿ إن أوروبا التي خبرت الفكر اليهودي الماسوني -وهذه حقيقة- عبر الثورة الفرنسية رحلت هذا الفكر إلى روسيا ﴾.

ثم يقول: ﴿ إن روسيا هي التي حمت أوروبا من الجحافل الآسيوية ﴾ ما المقصود بالجحافل الآسيوية التي وقفت روسيا صدا منيعا دون دخول هؤلاء أوروبا ؟

الدولة العثمانية قرون طويلة وهي تكاد أن تجتاح أوروبا ، وأكبر عدو كان يقف في وجهها هو روسيا القيصرية، وهذه حقيقة فعلا، فهم يجعلون هذه جحافل آسيوية وأوروبا التي تعتبر العالم في الحقيقة هو أوروبا وما عداه فهم همج لا قيمة لهم، ولا سيما العالم الإسلامي.

يقول فاسولين : ﴿ وما حصل عام (١٩١٧م) وهو عام قيام الثورة الشيوعية كان انقلابا منافيا للقانون، وكان للصهاينة دورهم فيه، وإثر ذلك أحيطت بلادنا بأسلاك شائكة وقطعت جذور الأمة، وأبيد عقلها وضميرها، وحورب الدين الذي يعتنقه شعبها، والقديس جورج الذي يطعن **التنين**، يرمز إلى انتفاض شعبنا ضد العدو ﴾ فهي انتفاضة صليبية ضد السيطرة الصهيونية -كما يقول-

﴾". (٢)

٥٠-"قال الصولي: من أعجب ما شاهدت من تقلب الدنيا وتصاريف الأمور أنني رأيت العباس بن الحسن في أول الأربعاء قبل أن يموت الوزير القاسم بن عبيد الله وقد حضر إلى داره قبل يد ولده، ثم في آخر اليوم المذكور مات القاسم وخلع المكتفي على العباس بن الحسن واستوزره، فجاء ولد الوزير القاسم بن عبيد الله فقبل يده.

---

(١) العالم الإسلامي في ظل الوفاق الدولي ص/١٠

(٢) العالم الإسلامي في ظل الوفاق الدولي ص/١١

كان العباس بن الحسن ذا دهاء ومكر وأدب وافر، وكان ضعيفا في الحساب، ولم تكن سيرته محمودة، وكان عاكفا على لذاته والأمور مهملة، وكان يقول لنوابه بالأعمال: أنا أوقع إليكم وأنتم افعلوا ما فيه المصلحة. ولم تزل الأمور تضطرب في أيامه حتى وثب عليه الحسين بن حمدان وجماعة من الجند فقتلوه، وذلك في أيام المقتدر.

انقضت أيام المكتفي ووزرائه ثم ملك بعده المقتدر بالله.

؟خلافة المقتدر بالله

هو أبو الفضل جعفر بن المعتضد، بويع له بالخلافة في سنة خمس وتسعين ومائتين، وعمره ثلاث عشرة سنة وكان المقتدر سمحا كريما كثير الإنفاق، رد رسوم الخلافة من التجمل وسعة الإدرارات والمعاش وكثرة الخلع والصلات. وكان في داره أحد عشر ألف خادم خصي من الروم والسودان، وكانت خزانة الجوهر في أيامه مترعة بالجواهر النفيسه، فمن جملتها الفص الياقوت الذي اشتراه الرشيد بثلثمائة ألف دينار، والدرة اليتيمة التي كان وزنها ثلاثة مثاقيل، إلى غير ذلك من الجواهر النفيسة، ففرقه جميعه وأتلفه في أيسر مدة .

وفي أيامه قتل الحلاج.

قتل الحلاج : شرح الحال في ذلك: كان الحلاج، واسمه الحسين بن منصور ويكنى أبا الغيث، أصله مجوسي من أهل فارس، ونشأ بواسط، وقيل بتستر وخالط الصوفية وتتلمذ لسهل التستري، ثم قدم بغداد ولقي أبا القاسم الجنيدي، وكان الحلاج مخلطا يلبس الصوف والمسوح تارة، والثياب المصبغة تارة، والعمامة الكبيرة والدراعة تارة، والقباء وزي الجند تارة، وطاف بالبلاد ثم قدم في آخر الأمر بغداد وبنى بها دارا، واختلفت آراء الناس واعتقاداتهم فيه وظهر منه تخليط، وتنقل من مذهب إلى مذهب، واستغوى العامة بمخاريق كان يعتمدها، منها أنه كان يحفر في بعض قوارع الطرقات موضعا ويضع فيه زقا فيه ماء ثم يحفر في موضع آخر ويضع فيه طعاما، ثم يمر بذلك الموضع ومعه أصحابه فيحتاجون هناك إلى ماء يشربونه ويتوضأون به. فيأتي هو إلى ذلك الموضع الذي قد حفره وينبش فيه بعكاز فيخرج الماء فيشربون ويتوضأون، ثم يفعل كذلك في الموضع الآخر عند جوعهم فيخرج الطعام من بطن الأرض، ويوهمهم أن ذلك من كرامات الأولياء، وكذلك كان يصنع بالفواكه يدخرها ويحفظها ويخرجها في غير وقتها، فشغف الناس به، وتكلم بكلام الصوفية، وكان يخلطه بما لا يجوز ذكره من الحلول المحض، وله أشعار، فمنها:

حبيبي غير منسوب ... إلى شيء من الحيف

سقاني مثلما يشر ... ب فعل الضيف بالضيف

فلما دارت الكأس ... دعا بالنطع والسيف

كذا من يشرب الراح ... مع التنين في الصيف

وكثر شغف الناس به وميلهم إليه حتى كانت العامة تستشفي ببوله، وكان يقول لأصحابه: أنتم موسى وعيسى ومحمد وآدم، انتقلت أرواحهم إليكم. فلما نمى هذا الفساد منه تقدم المقتدر إلى وزيره حامد بن العباس بإحضاره ومناظرته، فأحضره الوزير وجمع له القضاة والأئمة ونوظر فاعترف بأشياء أوجبت قتله، فضرب ألف سوط على أن يموت، فما مات، فقطعت

يداه ورجلاه وحز رأسه وأحرقت جثته. وقال لأصحابه عند قتله: لا يهولنكم هذا، فإني أعود إليكم بعد شهر. قالوا: وأنشد قبل قتله:

طلبت المستقر بكل أرض ... فلم أر لي بأرض مستقرا

أطعت مطامعي فاستعبدتني ... ولو أني قنعت لكنت حرا

وذلك في سنة تسع وثلثمائة. وقبره ببغداد بالجانب الغربي قريب من مشهد معروف بالكرخي، رضي الله عنه.

وفي تلك الأيام اقتلع القرامطة الحجر الأسود ومكث في أيديهم أكثر من عشرين سنة حتى رد على يد الشريف يحيى بن الحسين بن أحمد بن عمر ابن يحيى بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، عليهم السلام.". (١)

٥١-"@ ١٠٢ @ ذليل إن أحسنت فلمن لك وإن أسأت فبيدك عقوبتي جعلتني للبلاء غرضا فقد وقع علي البلاء لو سلطته على جبل لضعف عن حمله فكيف يحمله ضعفي ذهب المال فصرت أسأل بكفي فيطعمني من كنت أعوله اللقمة الواحدة فيمنها علي ويعيرني هلك أولادي ولو بقي أحدهم أعانني قد ملني أهلي وعقني أرحامي فتنكرت معارفي ورغب عني صديقي وجحدت حقوقي ونسيت صنائعي اصرخ فلا يصرخونني واعتذر فلا يعذرونني دعوت غلامي فلم يجبني وتضرعت إلى أمتي فلم ترحمني وإن قضاءك هو الذي آذاني وأقمأني وإن سلطانك هو الذي أسقمني فلو أن ربي نزع الهيبة التي في صدري وأطلق لساني حتى أتكلم ملء فمي ثم كان ينبغي للعبد ان يحاج مولاه عن نفسه لرجوت أنتعافيني عند ذلك ولكنه القاني وعلا عني فهو يراني ولا أراه ويسمعني ولا أسمعه لا نظر إلي فرحمني ولا دنا مني فاتكلم ببراءتي وأخاصم عن نفسي # فلما قال أيوب ذلك أظلتهم غمامة ونودي منها يا أيوب إن الله يقول قد دنوت منك ولم أزل منك قريبا فقم فأدل بحجتك وتكلم ببراءتك وقم مقام جبار فغنه لا ينبغي أن يخاصمني إلا جبار تجعل الزيار في فم الأسد واللجام في فم التنين وتكيل مكيالا من النور وتزن مثقالا من الريح وتصرصرة من الشمس وتردامس لقد منتك نفسك امرا لا تبلغه بمثل قوتك أردت أن تكابرني بضعفك أم تخاصمني بعيبك أم تحاجني بخطلك أين أنت مني يوم خلقت الأرض هل علمت بأي مقدار قدرتها ابن كنت معي يوم رفعت السماء سقفا في الهواء لا بعلائق ولا بدعائم تحملها هل تبلغ حكمتك ان تجري نورها أو تسير نجومها أو يختلف بأمرك ليلهاونهارها وذكر أشياء من مصنوعات الله # فقال أيوب قصرت عن هذا الأمر ليت الأرض انشقت لي فذهبت فيها ولم أتكلم بشيء يسخطك إلهي اجتمع علي البلاء وأنا أعلم أن كل الذي ذكرت صنع يديك وتدبير حكمتك لا يعجزك شيء ولا تخفي عليك خافية تعلم ما تخفي القلوب وقد علمت في بلائي ما لم أكن اعلمه كنت أسمع بسطوتك سمعا فاما الآن فهو نظر العين إنما تكلمت بما تكملت به لتعذرني وسكت لترحمني وقد وضعت يدي على فمي وعضضت على لساني والصقت بالتراب خدي فدسست فيه وجهي". (٢)

---

(١) الفخري في الآداب السلطانية ص/٩٦

(٢) الكامل في التاريخ ١٠٢/١

٥٢-"@ ٣٢٩ @ # وبنجران بقايا من أهل دين عيسى بن مريم على استقامة لهم رئيس يقال له عبد الله بن التامر وكان أصل النصرانية بنجران # قال وهب بن منبه إن رجلا من بقايا أهل دين عيسى يقال له فيميون وكان رجلا صالحا مجتهدا زاهدا في الدنيا مجاب الدعوة وكان سائحا لا يعرف بقرية إلا خرج منها إلى غيرها وكان لا يأكل إلا من كسب يده وكان يعمل الطين ويعظم الأحد لا يعمل فيه شيئا ويخرج إلى الصحراء يصلي جميع نهاره فنزل قرية من قرى الشام يعمل عمله ذلك مستخفيا ففطن به رجل اسمه صالح فأحبه حبا شديدا وكان يتبعه حيث ذهب لا يفطن به فيميون حتى خرجلا مرة يوم الأحد إلى الصحراء واتبعه صالح وفيميون لا يعلم فجلس صالح منه منظر العين مستخفيا وقام فيميون يصلي فبينما هو يصلي إذ أقبل نحوه تنين فلما رآه فيميون دعا عليه فمات ورآه صالح ولم يدر ما أصابه فخاف على فيميون فصاح يا فيميون التنين قد أقبل نحوك فلم يلتفت إليه وأقبل على صلاته حتى أمسى وعرف أن صالحا عرفه فكلمه صالح وقال له يعلم الله إنني ما أحببت شيئا حبك قط وقد أردت صحبتك حيثما كنت قال افعل فلزمه صالح وكان إذا ما جاءه العبد به ضر شفي إذا دعا له وإذا دعي إلى أحد به ضر لم يأته وكان لرجل من أهل القرية ابن ضرير فجعل ابنه في حجرة ألقى عليه ثوبا ثم قال لفيميون قد أردت أن تعمل في بيتي عملا فانطلق إليه لأشارطك عليه فانطلق معه فلما دخل الحجرة ألقى الرجل الثوب عن ابنه وطلب إليه أن يدعو له فدعى فابصر وعرف فيميون أنه قد عرف بالقرية فخرج هو وصالح ومر بشجرة عظيمة بالشام فناده رجل وقال ما زلت أنتظرك لا تبرح حتى تقوم علي فإني ميت قال فمات فواراه فيميون وانصرف ومعه صالح حتى وطئا بعض أرض العرب وأخذهما بعض العرب فباعوهما بنجران وأهل نجران على دين العرب تعبد نخلة طويلة بين أظهرهم لها عيد كل سنة تعلق عليها كل ثوب حسن وحلى جميل فعلقوا عليها يوما فابتاع رجل من أشرافهم فيميون وابتاع رجل صالحا فكان فيميون إذا قام من الليل يصلي في بيته استسرج له البيت حتى يصبح من غير مصباح فلما رأى سيده ذلك أعجبه فسأله عن دينه فأخبره وعاب دين سيده وقال له لو دعوت إلهي". (١)

٥٣-"@ ٢٤٢ @ $ ثم دخلت سنة اثنتين وستين ومائة $ $ ذكر قتل عبد السلام الخارجي $ # وفي هذه السنة قتل عبد السلام بن هاشم اليشكري يقنسرين وكان قد خرج بالجزيرة فاشتدت شوكته وكثر أتباعه فلقيه عدة من قواد المهدي فيهم عيسى بن موسى القائد فقتله في عدة ممن معه وهزم جماعة من القواد فيهم شبيب بن واج المروروذي فندب المهدي إلى شبيب ألف فارس وأعطى كل رجل منهم ألف درهم معونة فوافوا شبيبا فخرج بهم في طلب عبد السلام فهرب منه فأدركه بقنسرين فقاتله فقتله بها $ ذكر عدة حوادث $ # في هذه السنة وضع المهدي ديوان الأزمة وولي عليها عمرو بن مربع مولاه وأجرى المهدي على المجذمين وأهل السجون الأرزاق في جميع الأفاق # وفيها خرجت الروم إلى الحدث فهدموا سورها وغزا الصائفة الحسن بن قحطبة في ثمانين ألف مرتزق سوى المتطوعة فبلغ حمة أذرولية واكثر التحريق والتخريب في بلاد الروم ولم يفتح حصنا ولا لقي جمعا وسمته الروم التنين وقالوا إنما أتى الحمة ليغتسل من مائها للوضح الذي به ورجع

(١) الكامل في التاريخ ٣٢٩/١

الناس سالمين وفيها غزا". (١)

٥٤-"@ ١١٥ @ $ ذكر مسير ابن مقلة إلى الموصل وما كان بينه وبين ناصر الدولة $ # لما قتل ناصر الدولة عمه أبا العلاء واتصل خبره بالراضي عظم ذلك عليه وأنكره وأمر ابن مقلة بالمسير إلى الموصل فسار إليها في العساكر في شعبان فلما قاربها رحل عنها ناصر الدولة بن حمدان ودخل الزوزان وتبعه الوزير إلى جبل التنين ثم عاد عنه وأقام بالموصل يجبي مالها ولما طال مقامه بالموصل احتال بعض أصحاب ابن حمدان على ولد الوزير وكان ينوب عنه في الوزارة ببغداد فبذل له عشرة آلاف دينار ليكتب إلى أبيه يستدعيه فكتب إليه يقول إن الأمور بالحضرة قد اختلت وإن تأخرت لم نأمن حدوث ما يبطل الأمر فانزعج الوزير لذلك واستعمل على الموصل علي بن خلف بن طباب وماكرد الديلمي وهو من الساجية وانحدر إلى بغداد منتصف شوال # فلما فارق الموصل عاد ناصر الدولة بن حمدان فاقتتل وهو وماكرد الديلمي فانهزم ابن حمدان ثم عاد وجمع عسكرا آخر فالتقوا على نصيبين في ذي الحجة فانهزم ماكرد إلى الرقة وانحدر منها إلى بغداد وانحدر أيضا ابن طباب واستولى ابن حمدان على الموصل والبلاد وكتب إلى الخليفة يسأله الصفح وأن يضمن البلاد فأجيب إلى ذلك واستقرت البلاد عليه $ ذكر فتح جنوة وغيرها $ # في هذه السنة سير القائم العلوي جيشا من أفريقية في البحر إلى ناحية الفرنج ففتحوا مدينة جنوة ومروا بسردانية فأوقعوا بأهلها وأحرقوا مراكب كثيرة ومروا بقرقيسيا فأحرقوا مراكبها وعادوا سالمين $ ذكر القرامطة $ # في هذه السنة خرج الناس إلى الحج فلما بلغوا القادسية اعترضهم أبو طاهر القرمطي ثاني عشر ذي القعدة فلم يعرفوه فقاتله أصحاب الخليفة وأعانهم الحجاج ثم التجؤا إلى القاديسة فخرج جماعة من العلويين بالكوفة إلى أبي طاهر فسألوه أن يكف عن الحجاج فكف عنهم وشرط عليهم أن يرجعوا إلى بغداد فرجعوا ولم يحج بهده السنة من العراق أحد وسار أبو طاهر إلى الكوفة فأقام بها عدة أيام ورحل عنها". (٢)

٥٥-"@ ١٤١ @ من أصحابه خلق كثيرا وانحاز إلى موقان فأكرمه اصبهبذها ويعرف بابن دولة وأحسن ضيافته وجمع لشكري وسار نحو ديسم وساعده ابن دولة فهرب ديسم وعبر نهر ارس وعبر بعض أصحاب لشكري إليهم فانهزم ديسم وقصد وشمكير وهو بالري وخوفه من لشكري وبذل له مالا كل سنة ليسير معه عسكرا فأجابه إلى ذلك وسير معه عسكرا وكاتب عسكر لشكري وشمكير يعلمونه بما هم عليه من طاعته وأنهم متى رأوا عسكره صاروا معه على لشكري فظفر لشكري بالكتب فكتم ذلك عنهم فلما قرب منه عسكر وشمكير جمع أصحابه وأعلمهم ذلك وأنه لا يقوى بهم وأنه يسير بهم نحو الزوزان وينهب من على طريقه من الأرمن ويسير نحو الموصل ويستولي عليها وعلى غيرها فأجابوه إلى ذلك فسار بهم إلى أرمينية وأهلها غافلون فنهب وغنم وسبى وانتهى إلى الزوزان ومعهم الغنائم فنزل بولاية إنسان أرمني وبذل له مالا ليكف عنه وعن بلاده فأجابوه إلى ذلك ثم أن الأرمني كمن كمينا في مضيق هناك وأمر بعض الأرمن أن ينهب شيئا

---

(١) الكامل في التاريخ ٢٤٢/٥

(٢) الكامل في التاريخ ١١٥/٧

من أموال لشكري ويسلك ذلك المضيق ففعلوا وبلغ الخبر إلى لشكري فركب في خمسة أنفس فسار وراءهم فخرج عليه الكمين فقتلوه ومن معه ولحقه عسكره فرأوه قتيلا ومن معه فعادوا وولوا عليهم ابنه لشكرستان واتفقوا على أن يسيروا على عقبة **التنين** وهي تجاوز الجودي ويحرزوا سوادهم ويرجعوا إلى بلد طرم الأرمني فيدركوا آثارهم فبلغ ذلك طرم فرتب الرجال على تلك المضايق يرمونهم بالحجارة ويمنعونهم العبور فقتلوا منهم خلقا كثيرا وسلم القليل منهم وفيمن سلم لشكرستان وسار فيمن معه إلى ناصر الدولة بن حمدان بالموصل فأقام بعضهم عنده وانحدر بعضهم إلى بغداد فأما أقاموا بالموصل فسيرهم مع ابن عم أبي عبد الله الحسين بن سعيد بن حمدان إلى ما بيده إلى أذربيجان لما أقبل نحوه ديسم ليستولي عليه وكان أبو". (١)

٥٦-"@ ٢٢٢ @ وشوهد في آخرها مثل **التنين** يضرب إلى السود وبقي ساعة وذهب # وفيها كانت ظلمة عظيمة اشتدت حتى إن الإنسان كان لا يبصر جليسه واخذ بأنفاس الخلق # فلو تأخر انكشافها لهلك أكثرهم # وفيها قبض على الوزير أبي سعد بن عبد الرحيم وزير جلال الدولة وهي الوزارة السادسة وفيها في رمضان توفي رافع بن الحسين بن مقن وكان حازما شجاعا وخلف بتكريت ما يزيد على خمسمائة ألف دينار فملكها ابن أخيه خميس بن ثعلب وكان طريدا في أيام عمه وحمل إلى جلال الدولة ثمانين ألف دينار فأصلح بها الجند وكانت يده قد قطعها بعض عبيد بني عمه كان يشرب معه فجرى بينه وبين آخر خصومة وجردوا سيوفهم فقام رافع ليصلح بينهم فضرب العبد يده فقطعها غلطا ولرافع فيها شعر ولم تمنعه من قتال عمل له كفا أخرى يمسك بها العنان ويقاتل وله شعر جيد من ذلك قوله # (لها ريقة أستغفر الله إنها ٪ ألذ وأشهى في النفوس من الخمر) # (وصارم طرف لا يزايل جفنه ٪ ولم أر سيفا قط في جفنه بفري) # (فقلت لها والعيس تحدج بالضحى ٪ أعدي لفقدي ما استطعت من الصبر) # (سأنفق ريعان الشبيبة آنفا ٪ على طلب العلياء أو طلب الأجر) # (أليس من الخسران أن لياليا ٪ تمر بلا نفع وتحسب من عمري) # وفيها في صفر أمر القائم بأمر الله بترك التعامل بالدنانير المغربية وأمر الشهود أن لا يشهدوا في كتاب ابتياع ولا غيره يذكر فيها هذا الصنف من الذهب فعدل الناس إلى القادرية والسابورية والقاسانية". (٢)

٥٧-"محمد الشيخ الصالح الورع صدر الدين الإمام بجامع القلعة مصر، الحنفي أثنى عليه الشعراوي، ولم يؤرخ وفاته قلت وقرأت بخطه، أن مولده ليلة الجمعة تاسع عشر صفر سنة ثمان وعشرين وتسعمائة وأنه أخذ عن قاضي القضاة شهاب الدين أحمد بن عبد العزيز الفتوحي الحنبلي، وعن شيخ الإسلام نور الدين الطرابلسي الحنفي، والبرهمتوشي، والشيخ أبي الحسن البكري، والشيخ نجم الدين الغيطي قلت: كان موجودا في سنة ثلاث وتسعين وتسعمائة رحمه الله تعالى.

محمد البنوفري

محمد الشيخ الإمام العلامة شيخ الإسلام الورع الزاهد الخاشع الناسك العابد، الشيخ شمس الدين البنوفري المالكي شيخ

---

(١) الكامل في التاريخ ١٤١/٧

(٢) الكامل في التاريخ ٢٢٢/٨

المالكية بمصر، أخذ العلم عن جماعة، منهم الشيخ ناصر الدين اللقاني، والشيخ عبد الرحمن الأجهوري، وكان يحبه ويثني عليه كثيرا. ويصفه بالزهد ومنهم الشيخ فتح الله الدميري، والشيخ نور الدين الديلمي وأجازوه بالإفتاء والتدريس، وحدثنا جماعات عن كثرة صلاته بحيث بالغوا في شدة إسراعه في الركوع والسجود، وبلغني أنه سئل عن شدة سرعته فقال: يا بني اقرأ الفاتحة وسورة في كل ركعة، وعدوا ذلك من كراماته، وإن ذلك كان من طي الزمان، وكان مكبا على العلم والعمل غير ملتفت إلى شيء من الدنيا طارحا للتكلف مؤثرا للخمول، وكان يقسم السنة ثلاثة أقسام أربعة أشهر يحج، وأربعة أشهر يرابط، وأربعة أشهر يقريء العلوم ويصلي، وكانت وفاته أواخر القرن العاشر رحمه الله تعالى رحمة واسعة.

محمد بن الرسام

محمد بن الرسام الشاهد بالكبري بدمشق، مات يوم الجمعة رابع عشري صفر سنة أربع وتسعين وتسعمائة بتقديم المثناة فيهما رحمه الله تعالى رحمة واسعة.

محمد بن الخيوطي

محمد القاضي شمس الدين الموصلي المالكي، عرف بابن الخيوطي نائب الباب بدمشق، توفي يوم الجمعة تاسع عشري شعبان سنة أربع وتسعين بتقديم المثناة وتسعمائة وجلس مكانه القاضي علاء الدين ابن المرحل مفتي المالكية رحمه الله تعالى رحمة واسعة.

محمد إمام القلعة

محمد الشيخ الفاضل الصالح، الشيخ نجم الدين الصفدي الحنفي، إمام وخطيب الجامع بقلعة دمشق، كان ممن لحق سيدي عبد القادر بن حبيب الصفدي، وأخذ عنه، وكان شيخ الإسلام الوالد يكرمه وكف بصره ففرغ عن الإمامة والخطابة للشيخ عبد الرحيم الزبداني، ثم زوجه بنته فأولدها ولده محمدا وتوفي في حدود أربع وتسعين بتقديم التاء وتسعمائة رحمه الله تعالى.

محمد الفارضي الحنبلي

محمد الشيخ العلامة شمس الدين القاهري الحنبلي، المعروف بالفارضي، الشاعر المشهور. أخذ عن جماعة من علماء مصر واجتمع بشيخ الإسلام الوالد حين كان بالقاهرة سنة اثنتين وخمسين، وكان بدينا سمينا فقال الوالد يداعبه:

الفارضي الحنبلي الرضى ... في النحو والشعر عظيم المثيل

قيل ومع ذا فهو ذو خفة ... فقلت كلا بل رزين ثقيل

واستشهد الشيخ شمس الدين العلقمي بكلامه، في شرح الجامع الصغير، فمن ذلك قوله في معنى ما رواه الدينوري في المجالسة، والسلفي في بعض تخاريجه عن سفيان الثوري قال: أوحى الله تعالى إلى موسى عليه الصلاة والسلام لأن تدخل يدك إلى المنكبين في فم التنين خير من أن ترفعها إلى ذي نعمة قد عالج الفقر:

إدخالك اليد في التنين تدخلها ... لمرفق منك مستعد فيقضمها

خير من المرء يرجى في الغنى وله ... خصاصة سبقت قد كان يسنمها

ومن بدائع شعره:

إذا ما رأيت الله للكل فاعلا ... رأيت جميع الكائنات ملاحا

وإن لا ترى إلا مضاهي صنعه ... حجبت فصيرت المساء صباحا

ومن محاسنه أنه صلى شخص إلى جانبه ذات يوم، فخفف جدا فنهاه فقال: أنا حنفي فقال الفارضي:

معاشر الناس جمعا حسبما رسمت ... أهل الهدى والحجى من كل من نبها

ما حرم العلم النعمان في سند ... يوما طمأنينة أصلا ولا كرها

وكونها عنده ليست بواجبة ... لا يوجب الترك فيما قرر الفقها

فيا مصرا على تفويتها أبدا ... عد وانتبه رحم الله الذي انتبها". (١)

"٥٨-

التنوري بفتح التاء المثناة من فوق وضم النون بعدهما الواو وفي آخرها الراء - هذه النسبة إلى التنور وعمله وبيعه والمشهور بهذه النسبة أبو معاذ أحمد بن إبراهيم الجرجاني المعروف بالتنوري روى عنه الإمام أبو بكر الإسماعيلي وكان غير ثقة

التنيسي بكسر التاء المثناة من فوقها وكسر النون المشددة والياء المثناة من تحت والسين المهملة - نسبة إلى مدينة بديار مصر وسميت بتنيس بن حام ابن نوح كان منها جماعة من العلماء منهم أبو زكريا يحيى بن ابي حسان التنيسي الشامي أصله من دمشق وسكن تنيس يروي عن الليث بن سعد وغيره روى عنه الشافعي وأهل مصر والشام وتوفي سنة ثمان ومائتين

التنيني بكسر التاء ثالث الحروف وتشديد النون المكسورة وبعدها الياء آخر الحروف وفي آخرها النون - هذا لقب أبي إسحاق إبراهيم بن المهدي ابن المنصور أمير المؤمنين أمه شكلة نسب إليها وكانت سوداء وكان شديد السواد عظيم الجسم يلقب التنين لذلك ولد سنة اثنتين وستين ومائة وتوفي سنة أربع وعشرين ومائتين وقيل ثلاث وعشرين بسر من رأى

* باب التاء والواو *

التواسي بضم التاء ثالث الحروف وفي آخرها السين المهملة - والمشهور بهذه النسبة أبو الحسن علي بن الحسن الفقيه التواسي روى عن خلف بن عمرو العكبري وقيل الصواب النواسي بفتح النون وتشديد الواو وهم مشهورون بناحية نسوى ينسبون إلى جد لهم يقال له ابو نواس بفتح النون وهو من شيوخ أبي الحسن يوسف القاضي م

التوبني بضم التاء المثناة من فوق وفتح الباء الموحدة وفي آخرها النون -

". (٢)

(١) الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة ص/٣٩٦

(٢) اللباب في تهذيب الأنساب ٢٢٦/١

٥٩-"٢٩٤ و قد اختلف الناس في **التنين**، فمنهم من رأى أنه ريح سوداء تكون في قعر البحر فتظهر إلى الجو فتلحق بالسحاب كالزوبعة إذا ثارت من الأرض و استدارت و أثارت معها الغبار و هشيم الأرض و النبات ثم ذهبت في الجو صعداء، فيتوهم الناس أنها حيات سوداء لسواد السحاب و ذهاب الضوء و ترادف الرياح. و منهم من رأى أنها دواب تكون في قعر البحر فتعظم و ترعى دواب البحر، فيبعث الله عليها ملائكة و سحبا فتخرجها منه، و هي على صورة الحية السوداء لها بريق و لمعان، لا يمر ذنبه بشي ء إلا أتى عليه من بناء أو شجر أو جبال، و ربما تنفس فأحرق الأشجار الكثيرة، فتلقيه السحب في بلاد ياجوج و ماجوج. يروي عن ابن عباس. و قال قوم إنها حية البر تلقيها السيول في البحر فتعظم و تطول أعمارها فيبقى عمر الواحدة خمسمائة عام.

و الفرس تزعم أن له رؤوسا سبعة و تسميه الأجدهاق. و هذا من الأخبار التي رواها حشوية أصحاب الحديث أن قبة في وسط البحر الأخضر على أربعة أركان من الياقوت الأحمر و الأخضر و الأصفر و الأزرق ينحدر من كل ركن من هذه الأركان نهر ينقسم إلى جهات أربع في ذلك البحر غير مخالط و لا ممايع «١» حتى ينتهي إلى سواحل البر، أحدها النيل و الثاني سيحان و الثالث جيحان و الرابع الفرات.

٢٩٥ و منها [أن] الملك الموكل بالبحر يضع عقبه [في] أقاصي بحر الصين فيفور البحر و يكون المد، ثم يشيل عقبه فيرجع الماء إلى مركزه. و إن كان كل ما ذكرنا عنه ممكنا فإنه من طريق الأفراد و لم يجي ء مجي ء التواتر الموجب للعلم و العمل، فإذا صحت هذه الآثار وجب التسليم و الانقياد. و سيأتي ذكر بناء الباب إن شاء الله.

المسالك و الممالك(البكرى)، ج ١، ص: ٢٠٧". (١)

٦٠-"٣١٩ و فيها جزيرة **التنين** كان بها تنين قد نال أهلها بكل مكروه، فلما دخلها الإسكندر استغاثوا به و ذكروا له أن **التنين** أتلف مواشيهم حتى جعلوا له ثورين كل يوم ضريبة ينصبونهما في موضعه، فيخرج فيبتلع الثورين، ثم يعود إلى مكانه. قال: أروني موضعه، فنصبوا له الثورين و أقبل كأنه السحابة السوداء و عيناه كالبرق اللامع و النار تلهب من فيه، فابتلع الثورين و عاد إلى موضعه. فأمر الإسكندر بثورين عظيمين فسلخا و حشي جلودهما زفتا و كبريتا و كلسا و زرنيخا، و جعل مع تلك الأخلاط كلاليب حديد كثيرة و جعلها في ذلك [المكان]. و خرج **التنين** على عادته فالتقمهما و انصرف، فانضربت تلك الأخلاط في جوفه، فلما أحس بثقلها ذهب ليلقيها، فتشبثت تلك الكلاليب في حلقه فخرج و فغرفاه يستروح. فأمر الإسكندر بقطع الحديد، فحميت و حملت على ألواح من حديد و قذفت في حلقه فمات. فكان ذلك فتحا عظيما لأهل تلك الجزيرة، فألطفوا الإسكندر و حملوا إليه من طرائف «١» ما عندهم. فكان من ذلك دابة في خلق الأرنب شعره أصفر يبرق كما يبرق الحديد أو الذهب، و في رأسه قرن واحد يسمونه نفواج «٢»، و هوام الأرض إذا رأته و الأسد و الوحش كلها و الطير هربت «٣» منه.

المسالك و الممالك(البكرى)، ج ١، ص: ٢١٩

(١) المسالك والممالك . البكري ١٧٢/١

٣٢٠ و بهذا البحر جزيرة تظهر ستة أشهر و تغيب ستة أشهر بمن فيها، و هي جزيرة مدورة. و به جزيرة ملكان، و هي دابة عظيمة بحرية قد استوطنت تلك الجزيرة و عرفت بها، و لهذه الدابة رؤوس كثيرة و وجوه مختلفة. و قيل إنها مركب لبعض ملوك البحر لأن لها جناحين إذا أقامتهما و جمعت بينهما صار كأنه رف عظيم منكس يظل من الشمس. و قد ذكرتها الأوائل و هي مثل الجبل العظيم الضخم.

٣٢١ و منها جزيرة صيدون، و هي مسيرة شهر في مثله. و صيدون هذا ملك.". (١)

٦١-"٩٦٢ و ملك بعده ابنه كلكلن «١» فعقد تاج الملك على رأسه بالأسكندرية بعد موت أبيه و أقام بها شهرا و رجع الى منف. و كان يحب الحكمة و إظهار العجائب و تقرب أهلها، و لم يزل يعمل الكيمياء طول ملكه، فخزن أموالا عظيمة و استغنى أهل ذلك الزمان عن معادن الذهب، (فلم يثيروها) «٢» و لم يكن الذهب قط أكثر منه في وقته. و كان يطرح المثقال الواحد على القناطير الكثيرة فيصبغها. و تحكي القبط عنه أنه اخترع أشياء تخرج عن العقل حتى كانوا يسمونه حكيم الملوك، و غلب على جميع الكهنة في علومهم حتى كان يخبرهم بما يغيب عنهم، فخافوه و احتاجوا الى علمه.
٩٦٣ و في وقته كان نمرود إبراهيم عليه السلام. و كان جبارا مشوه الخلق يسكن سراة العراق، و كان قد أوتي قوة و بطشا فغلب على أكثر الأرض، فاستزار النمرود كلكلن فوجه اليه كلكلن أن يلقاه منفردا عن أهله و حشمه بموضع كذا، فسار النمرود الى الموضع «٣» الذي ذكره، فأقبل كلكلن تحمله أربعة أفراس ذوات أجنحة، و قد أحاط به (نور كالنار) «٤» و صور مهيبة قد خيل بها، و هو متوشح تنينا عظيما و التنين فاغرفاه، و معه قضيب آس، فكلما رفع التنين رأسه ضربه بالقضيب. فلما رآه النمرود هاله أمره و اعترف له بجليل حكمته و سأله أن يكون له ظهيرا.
المسالك و الممالك(البكرى)، ج ٢، ص: ٥٨١". (٢)

٦٢-" وهو يقول ... نديمى غير منسوب ... الى شيء من الحيف ... سقانى مثل ما يشر ... ب فعل الضيف بالضيف ... فلما دارت الكأس ... دعا بالنطع والسيف ... كذا من يشرب الراح ... مع التنين فى الصيف ...
وضرب الف سوط ثم قطعت يده ثم رجله وحز رأسه واحرقت جثته والقى رماده فى دجلة اخبرنا القزاز اخبرنا الخطيب حدثنا عبيد الله بن احمد بن عثمان الصيرفى قال قال لنا ابو عمر ابن حيويه لما خرج الحلاج ليقتل مضيت فى جملة الناس ولم ازل ازاحم حتى رايته فقال لأصحابه لا يهولنكم هذا فانى عائد اليكم بعد ثلاثين يوما قال المؤلف وهذا الاسناد صحيح لا يشك فيه وهو يكشف حال هذا الرجل انه كان ممخرنا يستخف عقول الناس الى حال الموت اخبرنا القزاز اخبرنا احمد بن على اخبرنا القاضى ابو العلاء قال لما اخرج الحسين ابن منصور ليقتل انشد ... طلبت المستقر بكل ارض ... فلم ار لى بأرض مستقر ... اطعت مطامعى فاستعبدتنى ... ولو أنى قنعت لكنت حرا ...

---

(١) المسالك والممالك - البكري ١/١٨٣

(٢) المسالك والممالك - البكري ١/٤٧٧

٢٦٦ – حامد بن محمد بن شعيب ابن زهير ابو العباس البلخى المؤدب حدث عن سريج بن يونس روى عنه ابو بكر الشافعى قال الدارقطنى هو ثقة توفى فى محرم هذه السنة

٢٦٧ – محمد بن احمد بن موسى ابو عبد الله المصيصى يعرف بالسوابيطى قدم بغداد وحدث بها عن على بن بكار وغيره وتوفى وهو متوجه الى بلده برأس العين فى هذه السنة ". (١)

٦٣–" ٢٢٠ – محمد بن زيد

ابن على بن جعفر بن محمد بن مروان ابو عبد الله الابزارى روى عنه الازهرى والتنوخى والجوهرى

اخبرنا القزاز اخبرنا احمد بن على اخبرنا احمد بن محمد العتيقى قال سنة سبع وسبعين وثلثمائة فيها توفى ابو عبد الله ابن مروان بالكوفة فى صفر وكان ثقة مأمونا انتقى عليه الدارقطنى وسمعنا منه ببغداد

٢٢١ – محمد بن محمد

ابن عبد الله بن ادريس بن الحسن بن متويه ابو عبد الله الاستراباذى سمع من ابيه وجده وسافر الكثير وتفقه وكان من افاضل الناس دينا وزهدا وامانة وورعا متهجدا بالليل متمسكا بمكارم الاخلاق وتوفى فى رمضان هذه السنة

سنة ٣٧٨

ثم دخلت سنة ثمان وسبعين وثلثمائة

فمن الحوادث فيها غلاء الاسعار وعدم الاقوات وظهور الموت والاغلال فى المحرم وبيعت الكارة الدقيق بستين درهما

وفى هذا الوقت تقدم السلطان شرف الدولة برصد الكواكب السبعة فى مسيرها وتنقلها فى بروجها على مثل ما كان المأمون فعله فى ايامه فبنى بيتا فى دار المملكة فى آخر البستان محكما ورصد ما كتب به محضرا اخذ فيه خطوط من يعرف الهندسة بحسن صناعة هذا الموضع لهذا البيت

وفى شعبان كثرت الرياح العواصف وجاءت بفم الصلح وقت العصر من يوم الخميس لخمس بقين منه ريح شبهت بالتنين حتى خرقت دجلة حتى ذكرانه بانت ارضها من مر الريح وهدمت قطعة من المسجد الجامع واهلكت جماعة من الناس وغرقت كثيرا من السفن الكبيرة المملوءة بالامتعة واحتملت زورقا منحدرا وفيه دواب وعدة سفن وطرحت ذلك فى ارض جوخى فشوهد ". (٢)

٦٤–" وفي ضحوة نهار يوم السبت لثمان بقين من رجب انقض كوكب غلب ضوءه على ضوء الشمس وشوهد في آخره مثل التنين ازرق يضرب الى السواد وبقي نحو ساعة

ذكر من توفي في هذه السنة من الاكابر

---

(١) المنتظم ٦/١٦٤

(٢) المنتظم ٧/١٤١

١٠٢ – الحسن بن وهب

ابن موصلايا الكاتب المجود توفي في هذه السنة

١٠٣ – علي ابو الحسن بن الحاكم

صاحب مصر الملقب بالظاهر لاعزاز دين الله في يوم الاحد النصف من شعبان هذه السنة وكان عمره ثلاثين سنة الا شهر فكانت ولايته ست عشرة سنة وتسعة اشهر وولى بعده ولده ولقب المصتنصر بالله

١٠٤ – محمد بن ابراهيم

ابن احمد ابو بكر الأردستاني اخبرنا القزاز اخبرنا الخطيب قال كان الاردستاني يسكن اصبهان وكان رجلا صالحا يكثر السفر الى مكة ويحج ماشيا وحدث ببغداد عن الدارقطني وغيره وكان ثقة يفهم الحديث قال وبلغنا انه مات بهمذان في سنة سبع وعشرين واربعمائة

١٠٥ – محمد بن الحسين

ابن عبيدالله بن عمر بن حمدون ابو يعلى الصيرفي المعروف بابن السراج ولد في سنة ثلاث وسبعين وثلثمائة وسمع ابا الفضل الزهري وكان ثقة فهما يعلم القرآن والنحو وتوفي ليلة الجمعة الثامن والعشرين من ذي الحجة من هذه السنة ودفن بمقبرة باب حرب

٤٢٨

– ثم دخلت سنة ثمان وعشرين واربعمائة ". (١)

٦٥–"ولما ملك بدارس بن صا الأحياز كلها بعد أبيه، وصفا له ملك مصر بنى في غربي مدينة منف بيتا عظيما لكوكب الزهرة، وأقام فيه صنما عظيما من لازورد مذهب، وتوجه بذهب يلوح بزرقة وسوره بسوارين من زبرجد أخضر، وكان الصنم في صورة امرأة لها ضفيرتان من ذهب أسود مدبر. وفي رجليها خلخالان من حجر أحمر شفاف، ونعلان من ذهب وبيدها قضيب مرجان، وهي تشير بسبابتها كأنها مسلمة على من في الهيكل، وجعل بحذائها تمثال بقرة ذات قرنين، وضرعين من نحاس أحمر مموه بذهب موشحة بحجر اللازورد، ووجه البقرة تجاه وجه الزهرة، وبينهما مطهرة من أخلاط الأجساد على عمود رخام مجزع، وفي المطهرة ماء مدبر يستنشق به من كل داء وفرش الهيكل بحشيشة الزهرة يبدلونها في كل سبعة أيام، وجعل في الهيكل كراسي للكهنة قد صفحت بالذهب والفضة، وقرب لهذا الصنم ألف رأس من الضأن والمعز والوحش والطير، وكان يحضر يوم الزهرة ويطوف به وفرش الهيكل وستره، وجعل فيه تحت قبة صورة رجل راكب على فرس له جناحان ومعه حربة في سنانها رأس إنسان معلق.

ولم يزل هذا الهيكل إلى أن هدمه بخت نصر في أيام ماليق بن تدارس، وكان موحدا على دين قبطيم ومصرايم خرج في جيش عظيم في البر والبحر فغزا البربر، وأرض إفريقية، وبلاد الأندلس وأرض الإفرنج إلى البحر، وعمل في البحر أعلا ما زبر عليها

(١) المنتظم ٩٠/٨

اسمه ومسيره، ورجع فهابه ملوك الأرض وكان في غربي مصر مدينة يقال لها: قرميدة بها قوم قد ملكوا عليهم امرأة ساحرة فغزاهم، فلم ينل منهم قصدا، ورجع فأرادت ملكتهم إفساد مصر، فعملت من سحرها وأمرت، فألقي في النيل ففاض الماء على المزارع حتى أفسدها وكثرت التماسيح والضفادع، وفشت الأمراض في الناس، وانبثت فيهم الثعابين والعقارب، فأحضر ماليق الكهنة والحكماء في دار حكمتهم وألزمهم بالنظر لذلك. فنظروا في نجومهم فرأوا أن هذه الآفة أتتهم من ناحية الغرب، وإن امرأة عملته وألقته في النيل، فعلموا حينئذ أنه من فعل تلك الساحرة، واجتهدوا في دفع ذلك بما عندهم من العلم حتى انكشف عنهم الماء الفاسد، وهلكت الدواب المضرة وجهزوا قائدا في جيش إلى المدينة فلم يجدوا بها غير رجل واحد فأخذوا من الأموال والجواهر والأصنام ما لا يحصى.

فمن ذلك صورة كاهن من زبرجد أخضر على قائمة من حجر الأسباديم، وصورة روحاني من ذهب رأسه من جوهر أحمر، وله جناحان من دور في يده مصحف فيه كثير من علومهم في دفتين مرصعتين بجوهر، ومطهرة من ياقوت أزرق على قاعدة زجاج أخضر فيها ماء لدفع الأسقام، وفرس من فضة إذا عزم عليه بعزائمه ودخن بدخنته وركبه أحد طار به فأحضر ذلك وغيره من عجائب السحرة وأصنامهم والأموال والجواهر إلى مصر، ومعهم الرجل، فسأله الملك عن أعجب أعمالهم قال: قصدهم بعض ملوك البربر بجمع كثيف، وتخاييل هائلة. فأغلق أهل مدينتنا حصنهم ولجوا إلى الأصنام، فأتى الكاهن إلى بركة عظيمة بعيدة القعر كانوا يشربون منها، فجلس على حافتها وأحاط رؤساء الكهنة بها. وأخذ يزمزم على الماء حتى فار وخرج من وسطه نار في وسطها وجه كدارة الشمس لها ضوء فخر الجماعة لها سجودا، وتلك الصورة تعظم حتى صعدت وخرقت القبة، وسمع منها قد كفيتم شر عدوكم، فقاموا وإذا بعدوهم قد هلك وسائر من معه وذلك أن صورة الشمس التي ظهرت من الماء مرت فصاحت عليهم صيحة هلكوا بها.

ولما ملك كلكن مصر بعد أبيه خريبا، كان النمرود في وقته، فاتصل بنمرود خبر حكمته وسحره فاستزاره، ووجه إليه أن يلقاه، وكان النمرود يسكن سواد العراق وغلب على كثير من الأمم فأقبل كلكن على أربعة أفراس تحمله لها أجنحة قد أحاطت به كالنار، وحوله صور هائلة، فدخل بها وهو متوشح بثعبان ومحزم ببعضه وذلك التنين فأغرفاه، ومعه قضيب آس أخضر كلما حرك التنين رأسه ضربه بالقضيب، فلما رأى النمرود ذلك هاله، واعترف له بجليل الحكم. وتقول القبط: إن كلكن كان يرتفع فيجلس على الهرم الغربي في قبة تلوح على رأسه، وكان أهل البلد إذا دهمهم أمر اجتمعوا حول الهرم، ويقولون: إنه ربما أقام على رأس الهرم أياما لا يأكل ولا يشرب، ثم إنه استتر مدة حتى توهموا أنه هلك فطمع الملوك في مصر.". (١)

٦٦-"فلما رأى فرعون ذلك سره ما رأى هو ومن حضره واعتم موسى ومن آمن به، حتى أوحى الله إليه لا تخف إنك أنت الأعلى، وألق ما في يمينك تلقف ما صنعوا. وكان للحسرة ثلاثة رؤساء، ويقال بل كانوا سبعين رئيسا، فأسر إليهم موسى: " قد رأيت ما صنعتم، فإن قهرتكم أتؤمنون بالله؟ " فقالوا نفعل. فغاظ فرعون مسارة موسى لرؤساء السحرة،

---

(١) المواعظ والاعتبار ١/٤٥

هذا والناس يسخرون من موسى وأخيه ويهزؤون بهما، وعليهما دراعتان من صوف وقد احتز ما بليف، فلوح موسى بعصاه حتى كابت عن الأعين وأقبلت في هيئة تنين عظيم له عينان يتوقدان، والنار تخرج من فيه ومنخريه، فلا يقع على أحد إلا برص، ووقع من ذلك على ابنة فرعون فبرصت، وصار **التنين** فاغرا فاه فالتقط جميع ما عملته السحرة، ومائتي مركب كانت مملوءة حبالا وعصيا وسائر من فيها من الملاحين، وكانت في النهر الذي يتصل بدار فرعون، وابتلع عمدا كثيرة وحجارة قد كانت حملت إلى هناك ليبنى بها، ومر **التنين** إلى قصر فرعون ليبتلعه، وكان فرعون جالسا في قبة على جانب القصر ليشرف على عمل السحرة، فوضع نابه تحت القصر ورفع نابه الآخر إلى أعلاه، ولهب النار يخرج من فيه حتى أحرق مواضع من القصر، فصاح فرعون مستغيثا بموسى عليه السلام، فزجر موسى **التنين** فانعطف ليبتلع الناس، ففروا كلهم من بين يديه، وانساب يريدهم. فأمسكه موسى وعاد في يده عصا كما كان، ولم ير الناس من تلك المراكب وما كان فيها من الحبال والعصي والناس، ولا من العمد والحجارة وما شربه من ماء النهر حتى بانت أضه أثرا.

فعند ذلك قالت السحرة: ما هذه من عمل الآدميين، وإنما هو من فعل جبار قدير على الأشياء. فقال لهم موسى: أوفوا بعهدكم وإلا سلطته عليكم يبتلعكم كما ابتلع غيركم، فآمنوا بموسى وجاهروا فرعون وقالوا: هذا من فعل إله السماء وليس هذا من فعل أهل الأرض. فقال: قد عرفت أنكم قد واطأتموه علي وعلى ملكي حسدا منكم لي، وأمر فقطعت أيديهم وأرجلهم من خلاف وصلبوا، وجاهرته امرأته والمؤمن الذي كان يكتم إيمانه، وانصرف موسى فأقام بمصر يدعو فرعون أحد عشر شهرا، من شهر أيار إلى شهر نيسان المستقبل وفرعون لا يجيبه، بل اشتد جوره على بني إسرائيل واستعبادهم واتخاذهم سخريا في مهنة الأعمال، فأصابت فرعون وقومه الجوائح العشر، واحدة بعد أخرى، وهو يثبت لهم عند وقوعها ويفزع إلى موسى في الدعاء بانجلائها، ثم يلح عند انكشافها، فإنها كانت عذابا من الله عز وجل، عذب الله بها فرعون وقومه.". (١)

٦٧-"اعلم أن ناحية أدرنكة هي من قرى النصارى الصعايدة، ونصاراها أهل علم في دينهم، وتفاسيرهم في اللسان القبطي، ولهم أديرة كثيرة في خارج البلد من قبليها مع الجبل، وقد خرب أكثرها وبقي منها: دير بوجرج: وهو عامر البناء وليس به أحد من الرهبان ويعمل فيه عيد في أوانه.

دير أرض الحاجر ودير ميكائيل ودير كرفونه: على اسم السيدة مريم، وكان يقال له ارافونه واغرافونا ومعناه النساخ، فإن نساخ علوم النصارى كانت في القديم تقيم به وهو على طرف الجبل، وفيه مغاير كثيرة منها ما يسير الماشي بجنبه نحو يومين.

دير أبي بغام: تحت دير كرفونة بالحاجر، وقد كان أبو بغام جنديا في أيام ديقلطيانوس فتنصر وعذب ليرجع عن دينه، ثم قتل في ثامن عشري كانون الأول، وثاني كيهك.

دير بوساويرس: بحاجر أدرنكة، كان على اسم السيدة مريم، وكان ساويرس من عظماء الرهبان فعمل بطركا، وظهرت آية عند موته، وذلك أنه أنذرهم لما سار إلى الصعيد بأنه إذا مات ينشق الجبل وتقع منه قطعة عظيمة على الكنيسة فلا تضرها، فلما كان في بعض الأيام سقطت قطعة عظيمة من الجبل كما قال، فعلم رهبان هذا الدير بأن ساويرس قد مات، فأرخوا

---

(١) المواعظ والاعتبار ٢٤٠/٣

ذلك فوجدوه وقت موته فسموا الدير حينئذ باسمه.
دير تادرس: تحت دير بوساويرس، وتادرس اثنان كانا من أجناد ديقلطيانوس، أحدهما يقال له قاتل التنين والآخر الاسفهسلار، وقتلا كما قتل غيرهما.
دير منسى آك: ويقال منساك، وبني ساك وايساآك، ومعنى ذلك إسحاق، وكان على اسم السيدة ماريهام يعني مارمريم، ثم عرف بمنساك، وكان راهبا قديما له عندهم شهرة، وبهذا الدير بئر تحته في الحاجر منها شرب الرهبان فإذا زاد النيل شربوا من مائه.
دير الرسل: تحت دير منساك، ويعرف بدير الأثل، وهو لأعمال بوتيج، ودير منساك لأهل ربقة هو ودير ساويرس، ودير كرفونة لأهل سيوط، ودير بوجرج لأهل أدرنكة، ودير الأثل كان في خراب فعمر بجانبه كفر لطيف عرف بمنشأة الشيخ، لأن الشيخ أبا بكر الشاذلي أنشأه وأنشأ بستانا كبيرا، وقد وجد موضعه بئرا كبيرة وجد بها كنزا، أخبرني من شاهد من ذهبه دنانير مربعة بأحد وجهيها صليب وزنة الدينار مثقال ونصف. وأديرة أدرنكة المذكورة قريب بعضها من بعض، وبينها مغاير عديدة منقوش على ألواح فيها نقوشات من كتابة القدماء، كما على البرابي، وهي مزخرفة بعدة أصباغ، ملونة تشتمل على علوم شتى، ودير السبعة جبال ودير المطل ودير النساخ خارج سيوط في المقابر، ويقال أنه كان في الحاجرين ثلاثمائة وستون ديرا، وأن المسافر كان لا يزال من البدرشين إلى أصفون في ظل البساتين، وقد خرب ذلك وباد أهله.
دير موشه: وموشه خارج سيوط من قبليها بني على اسم توما الرسول الهندي، وهو بين الغيطان قريب من ربقة، وفي أيام النيل لا يوصل إليه إلا في مركب، وله أعياد والأكلب على نصارى هذه الأديرة معرفة القبطي الصعيدي، وهو أصل اللغة القبطية، وبعدها اللغة القبطية البحرية، ونساء نصارى الصعيد وأولادهم لا يكادون يتكلمون إلا بالقبطية الصعيدية، ولهم أيضا معرفة تامة باللغة الرومية.
دير أبي مقروفة: وأبو مقروفة اسم للبلدة التي بها هذا الدير، وهو منقور في لحف الجبل وفيه عدة مغاير وهو على اسم السيدة مريم، وبمقروفة نصارى كثيرة غنامة ورعاة أكثرهم همج، وميهم قليل من يقرأ ويكتب، وهو دير معطش.
دير بومغام: خارج طما وأهلها نصارى وكانوا قديما أهل علم.
دير بوشنوده: ويعرف بالدير الأبيض، وهو غربي ناحية سوهاي وبناؤه بالحجر وقد خرب ولم يبق منه إلا كنيسته، ويقال إن مساحته أربعة فدادين ونصف وربع، والباقي منه نحو فدان وهو دير قديم.
الدير الأحمر: ويعرف بدير أبي بشاي، وهو بحري الدير الأبيض بينهما نحو ثلاث ساعات، وهو دير لطيف مبني بالطوب الأحمر، وأبو بشاي هذا من الرهبان المعاصرين لشنوده، وهو تلميذه، وصار من تحت يده ثلاث آلاف راهب، وله دير آخر في برية شبهات.". (١)

---

(١) المواعظ والاعتبار ٢٩٢/٣

٦٨-"قيل ان بلوقيا الاسرائيلي طاف في الأرض فمر بالبحر الثاني فرأى جبلا فيه كهف فدخل في ذلك الكهف فرأى سريرا من الذهب وعليه رجل ملقى على قفاه ويده على صدره والأخرى على بطنه وهو كالنائم وفي أصبعه خاتم عليه أربعة أسطر ورأى عند رأسه تنينين عظيمين فأراد بلوقيا أن يأخذ الخاتم من أصبعه فقام إليه **التنينان** وصعدت من أفواههما النار وسمع قائلا يقول ويلك يا بلوقيا أتجسر على نبي الله سليمان وتنزع خاتمه من أصبعه فخرج بلوقيا مرعوبا. قال الثعلبي أوحى الله إلى داود عليه السلام أن يتخذ في بيت المقدس مسجدا فشرع في بنائه ومات قبل أن يستكمله فلما توفي داود أوصى ابنه أن يتمه فجمع سليمان الأنس والجن وقسم عليهما الأعمال في البناء والسقوف والرخام ثم أنه جعل فيه اثني عشر رباطا وأنزل كل سبط في رباط وأمر الجن أن يأتوه بمعادن الذهب والفضة والرخام الملون ومعادن الحديد والنحاس والخشب وغير ذلك ثم جعل في وسط المسجد قبة وجعل فيها عمودا أحمر من الذهب يتلألأ كالشمس فتستضئ به المسافرون في الليل وجعل تحت القبة اصطبلا لدوابه ووضع فيه المعالف لخيوله وهى باقية الى الآن تزار وجعل طول ذلك المسجد سبعمائة ذراع بذراع العمل وجعل عرضه أربعمائة وخمسين ذراعا ثم سقفه بخشب الساج وصفحع بالذهب والفضة ووضع فيه الجواهر واليواقيت من سائر المعادن وجعل فوق ذلك السقف ألواحا من الرصاص لأجل حفظه من الأمطار وفرش أرض المسجد بالرخام الملون فلم يكن يومئذ أحسن منه بناء فلما فرغ من بنائه صنع لجنوده وليمه حافلة. قال السدي وكان بهذا المسجد من العجائب لوح من الرخام الأبيض اذا نظر فيه إنسان وكان ولد زنا أسود وجهه فيفتضح بين الناس وكان به عصا من الآبنوس اذا مسها أحد وكان من أولاد الأنبياء لم تضره واذا مسها أحد وكان من نسل غير الأنبياء احترقت يده وكان كلب من الخشب اذا مر به من كان عنده شئ من علم السحر نبح عليه فيعلم الناس أنه ساحر ويسلب منه علم السحر وكان فى المسجد باب اذا دخل منه ظالم ضاق عليه ذلك الباب حتى يتوب وكان بهذا المسجد السلسلة المتقدم ذكرها وكان به عجائب كثيرة لا يسمع بمثلها. قال العزيزي أقام سليمان في بناء هذا المسجد أربعين سنة وكان فيه من البنائين سبعون ألف بناء ومن الحجارين ثمانون ألفا وكان له في كل ليلة ألف رطل دمشقي من الزيت برسم القناديل. قال كعب الأحبار كان يجئ لهذا المسجد من البلاد كل سنة ستمائة قنطار من الذهب والفضة لا سيما من بلاد الروم وروي في بعض الأخبار أن صخرة ببيت المقدس يخرج من تحتها ماء عذب من سائر البحار العذبة ثم تتفرق في الأرض وفيه دفن كثير من الأنبياء ولم يزل هذا المسجد عامرا حتى ظهر بختنصر وخرب البلاد فخربه في جمله ما خربه. قال الثوري لما خرب بختنصر المسجد حمل منه ألف جمل من الذهب والفضة والجواهر أنتهى.

ذكر بختنصر البابلي". (١)

٦٩-"تاريخ الإسلام للذهبي الجزء الثالث عشر الصفحة ٤٤٧

قال: فكنت إذا جئته بالعطاء في كل شهر حدثني بخمسة.) قال قاسم الحرمي: كان سفيان يتعجب من حفظ وكيع ويقول: تعال يا رؤآسي، ويتبسم. قال ابن عمار: سمعت وكيعا يقول: ما نظرت في كتاب منذ خمس عشرة سنة، إلا في

---

(١) بدائع الزهور في وقائع الدهور ص/٨٧

صحيفة يوما. فقلت له: عدوا عليك بالبصرة أربعة أحاديث غلطت فيها. قال: وحدثتهم بعبادان بنحو من ألف وخمسمائة حديث. أربعة ما هي كثيرة في ذلك. قال ابن معين: سمعت وكيعا يقول: ما كتبت عن الثوري: حدثنا قط. إنما كنت أحفظ، فإذا رجعت كتبتها. قال يحي بن يمان: نظر سفيان في عيني وكيع فقال: لا يموت هذا حتى يكون له شأن. فمات سفيان وجلس وكيع مكانه. قال سليمان الشاذكوني: قال لنا أبو نعيم: ما دام هذا **التنين** حيا ما يفلح أحد معه. يعني وكيعا. وقال يحي بن أيوب العابد: حدثني صاحب لوكيع أن وكيعا كان لا ينام حتى يقرأ ثلث القرآن، ثم يقوم في آخر الليل فيقرأ المفصل، يجلس فيأخذ في الاستغفار حتى يطلع الفجر.". (١)

٧٠-"تاريخ الإسلام للذهبي الجزء الخامس عشر الصفحة ٢٣٦

وقيل: إن المأمون نظر إلى عمه إبراهيم بن المهدي وكان يلقب **بالتنين**، فقال: ما أظنك عشقت قط. ثم أنشد:

(وجه الذي يعشق معروف .... لأنه أصفر منحوف)

(ليس كمن يأتيك ذا جثة .... كأنه للذبح معلوف)

وعن المأمون قال: أعياني جواب ثلاثة. صرت إلى أم ذي الرئاستين أعزيها فيه، فقلت: لا تأسي عليه فإني عوضه لك. قالت: يا أمير المؤمنين وكيف لا أحزن على ولد أكسبني مثلك. وأتيت بمتنبيء فقلت: من أنت قال: أنا موسى بن عمران. قلت: ويحك، موسى كانت له آيات فأتني بها حتى أؤمن بك. فقال: إنما أتيت بتلك المعجزات فرعون، إذ قال أنا ربكم الأعلى. فإن قلت كذلك أتيتك بالآيات. قال: وأتى أهل الكوفة يشكون عاملهم فقال خطيبهم: هو شر عامل. فأما في أول سنة فإنا بعنا الأثاث والعقار، وفي الثانية بعنا الضياع، وفي الثالثة نزحنا عن بلدنا وأتيناك نستغيث بك. فقلت: كذبت، بل هو رجل قد حمدت مذهبه، ورضيت دينه، واخترته معرفة مني بقديم سخطكم على العمال. قال: صدقت يا أمير المؤمنين وكذبت أنا. فقد خصصتنا به هذه المدة دون باقي البلاد، فاستعمله على بلد آخر ليشملهم من عدله وإنصافه مثل الذي شملنا. فقلت: قم في غير حفظ الله، قد عزلته عنكم. ومما ينسب إلى المأمون من الشعر قوله:)". (٢)

٧١-"تاريخ الإسلام للذهبي الجزء التاسع والعشرون الصفحة ٣٧

والعامة. وكان عنده المرتضى، والزينبي، والماوردي، فاستشارهم في العبور إلى الكرخ كما فعل تلك لامرة، فقالوا: ليس الأمر كما كان، وأحداث الموضع قد ذهبوا. وحول الغلمان خيامهم إلى حول الدار وأحاطوا بها. وبات الناس على أصعب خطة، فخرج الملك في نصف الليل إلى زقاق غامض، فنزل إلى دجلة، وركب سميرية فيها بعض حاشيته، ومضى إلى دار المرتضى، وبعث حرمه إلى دار الخلافة. ونهب الأجناد دار الملك حتى الأبواب وساجها. وراسلوا الخليفة أن تقطع خطبة جلال الدولة، فقيل لهم: سننظر. وخرج الملك إلى أوانا، ثم إلى كرخ سامراء. ثم خرجوا إليه واعتذروا ومشي الحال.

---

(١) تاريخ الإسلام للإمام الذهبي ١٣/٤٤٧

(٢) تاريخ الإسلام للإمام الذهبي ١٥/٢٣٦

٤ (الظلمة في بغداد)

وفي جمادى الآخرة وردت ظلمة طبقت البلد، حتى كان الرجل لا يرى صاحبه، وأخذت بالأنفاس حتى لو تأخر انكشافها لهلكوا

٤ (انقضاض كوكب)

وفي رجب ضحوة نهار انقض كوكب غلب ضوؤه ضوء الشمس، وشوهد في آخره شيء مثل **التنين** بلون الدخان. وبقي نحو ساعة. فسبحان الله العظيم ما أكثر البلاء بالمشرق.". (١)

٧٢-"تاريخ الإسلام للذهبي الجزء الثامن والأربعون الصفحة ١٢٩

قال شيخنا: وحكى المراغي أنه اجتمع بالشيخ المجد فأورد عليه نكتة، فقال المجد: الجواب عنها من ستين وجها، الأول كذا، والثاني كذا، وسردها إلى آخرها. ثم قال للبرهان: قد رضينا منك بإعادة الأجوبة. فخضع وانبهر. قال: وكان الشيخ نجم الدين ابن حمدان مع براعته في المذهب وتوسعه فيه يقول: كنت أطالع على الدرس وما أبقي ممكنا، فإذا أصبحت وحضرت عند الشيخ ينقل أشياء كثيرة لم أعرفها ولم أطلع عليها. قال شيخنا: وكان جدنا عجبا في حفظ الأحاديث وسردها وحفظ مذاهب الناس وإيرادها بلا كلفة. وحدثني شيخنا أبو محمد بن تيمية أن جده ربي بتيماء، وأنه سافر مع ابن عمه إلى العراق ليخدمه ويشتغل وله ثلاث عشرة سنة، فكان يبيت عنده فيسمعه يكرر على مسائل الخلاف فيحفظ المسألة. فقال الفخر إسماعيل: أيش حفظ هذا **التنين**، يعني الصبي، فبدر وقال: حفظت يا سيدي الدرس. وعرضه في الحال. فبهت منه الفخر وقال لابن عمه: هذا يجيء منه شيء، وحرضه على الاشتغال. فشيخه في الخلاف الفخر إسماعيل. وعرض عليه مصنفه ' جنة الناظر '. وكتب له عليه في سنة ست وستمائة: عرض علي الفقيه الإمام العالم أوحد الفضلاء، أو مثل هذه العبارة، وأخرى نحوها، وهو ابن ستة عشر. وشيخه في الفرائض والعربية أبو البقاء العكبري، وشيخه في القراءآت عبد الواحد المذكور ؛ وشيخه في الفقه أبو بكر بن غنيمة صاحب ابن المني. وأقام ببغداد ست سنين يشتغل، ثم قدم حران واشتغل بها أيضا على الشيخ الفخر. ثم رحل إلى بغداد سنة بضع عشرة، فازداد بها من العلوم، وصنف التصانيف. توفي إلى رحمة الله في يوم عيد الفطر بحران. ٧٥ - عبد العزيز بن أبي بكر بن علي بن نجا بن أبي القاسم. عز الدين، أبو محمد بن الميلق الإسكندراني، الكاتب.". (٢)

٧٣-" قال هشام زرعة ذو نواس فلما تهود سمي يوسف وهو الذي خد الأخدود بنجران وقتل النصارى

حدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة قال حدثنا محمد بن إسحاق عن المغيرة بن أبي لبيد مولى الأخنس عن وهب بن منبه اليماني أنه حدثهم أن موقع ذلك الدين بنجران كان أن رجلا من بقايا أهل دين عيسى بن مريم قال له فيميون وكان

---

(١) تاريخ الإسلام للإمام الذهبي ٣٧/٢٩

(٢) تاريخ الإسلام للإمام الذهبي ١٢٩/٤٨

رجلا صالحا مجتهدا زاهدا في الدنيا مجاب الدعوة وكان سائحا ينزل القرى لا يعرف بقرية إلا خرج منها إلى قرية لا يعرف فيها وكان لا يأكل إلا من كسب يده وكان بناء يعمل الطين وكان يعظم الأحد فإذا كان الأحد لم يعمل فيه شيئا وخرج إلى فلاة من الأرض فصلى بها حتى يمسي وكان في قرية من قرى الشأم يعمل عمله ذلك مستخفيا إذ فطن لشأنه رجل من أهلها يقال له صالح فأحبه صالح حبا لم يحبه شيئا كان قبله فكان يتبعه حيث ذهب ولا يفطن له فيميون حتى خرج مرة في يوم الأحد إلى فلاة من الأرض كما كان يصنع وقد اتبعه صالح وفيميون لا يدري فجلس صالح منه منظر العين مستخفيا منه لا يحب أن يعلم مكانه وقام فيميون يصلي فبينا هو يصلي إذ اقبل نحوه التنين الحية ذات الرؤوس السبعة فلما رآها فيميون دعا عليها فماتت ورآها صالح ولم يدر ما أصابها فخافها عليه فعيل عوله فصرخ يا فيميون التنين قد أقبل نحوك فلم يلتفت إليه وأقبل على صلاته حتى فرغ وأمسى وانصرف وعرف أنه قد عرف وعرف صالح أنه قد رأى مكانه فكلمه فقال يا فيميون يعلم الله ما أحببت شيئا حبك قط وقد أردت صحبتك والكينونة معك حيثما كنت قال ما شئت أمري كما ترى فإن ظننت أنك تقوى عليه فنعم فلزمه صالح وقد كاد أهل القرية أن يفطنوا لشأنه وكان إذا فاجأه العبد به ضر دعا له فشفي وإذا دعي إلى أحد به الضر لم يأته وكان لرجل من أهل القرية ابن ضرير فسأل عن شأن فيميون فقيل له إنه لا يأتي أحدا إذا دعاه ولكنه رجل يعمل للناس البنيان بالأجر فعمد الرجل إلى ابنه ذلك فوضعه في حجرته وألقى عليه ثوبا ثم جاءه فقال له يا فيميون إني قد أردت أن أعمل في بيتي عملا فانطلق معي حتى تنظر إليه فأشارطك عليه فانطلق معه حتى دخل حجرته ثم قال ما تريد أن تعمل في بيتك قال كذا وكذا ثم انتشط الرجل الثوب عن الصبي ثم قال يا فيميون عبد من عباد الله اصابه ما ترى فادع الله له فقال فيميون حين رأى الصبي اللهم عبد من عبادك دخل عليه عدوك في نعمتك ليفسدها عليه فاشفه وعافه وامنعه منه فقام الصبي ليس به بأس

وعرف فيميون أنه قد عرف فخرج من القرية واتبعه صالح فبينما هو يمشي في بعض الشأم مر بشجرة عظيمة فناداه منها رجل فقال أفيميون قال نعم قال ما زلت أنتظرك وأقول متى هو جاء حتى سمعت صوتك فعرفت أنك هو لا تبرح حتى تقوم علي فإني ميت الآن قال فمات وقام عليه حتى واراه ثم انصرف ومعه صالح حتى وطئا بعض أرض العرب فعدي عليهما فاختطفتهما سيارة من بعض العرب فخرجوا بهما حتى باعوهما بنجران وأهل نجران يومئذ على دين العرب تعبد نخلة طويلة بين أظهرهم لهم عيد كل سنة إذا كان ذلك العيد علقوا عليها كل ثوب حسن وجدوه وحلي النساء ثم خرجوا فعكفوا عليها يوما فابتاع رجل من أشرافهم فيميون وابتاع رجل آخر صالحا فكان فيميون إذا قام من الليل في بيت له أسكنه إياه سيده الذي ابتاعه يصلي استسرج له البيت نورا حتى يصبح من غير مصباح فرأى ذلك سيده فأعجبه ما رأى فسأله عن دينه فأخبره به فقال له فيميون إنما أنتم في باطل ". (١)

٧٤-" ثم دخلت سنة اثنتين وستين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

---

(١) تاريخ الأمم والرسل والملوك- الطبري ١/٤٣٤

فمن ذلك ما كان من مقتل عبد السلام الخارجي بقنسرين

ذكر الخبر عن مقتله

ذكر أن عبد السلام بن هاشم اليشكري هذا خرج بالجزيرة وكثر بها أتباعه واشتدت شوكته فلقيه من قواد المهدي عدة منهم عيسى بن موسى القائد فقتله في عدة ممن معه وهزم جماعة من القواد فوجه إليه المهدي الجنود فنكب غير واحد من القواد منهم شبيب بن واج المروروذي ثم ندب إلى شبيب ألف فارس أعطى كل رجل منهم ألف درهم معونة وألحقهم بشبيب فوافوه فخرج شبيب في أثر عبد السلام فهرب منهم حتى أتى قنسرين فلحقه بها فقتله

وفيها وضع المهدي دواوين الأزمة وولى عليها عمر بن بزيع مولاه فولى عمر بن بزيع النعمان بن عثمان أبا حازم زمام خراج العراق

وفيها أمر المهدي أن يجرى على المجذمين وأهل السجون في جميع الآفاق

وفيها ولي ثمامة بن الوليد العبسي الصائفة فلم يتم ذلك

وفيها خرجت الروم إلى الحدث فهدموا سورها

وغزا الصائفة الحسن بن قحطبة في ثلاثين ألف مرتزق سوى المطوعة فبلغ حمة أذرولية فأكثر التخريب والتحريق في بلاد الروم من غير أن يفتح حصنا وسمته الروم **التنين** وقيل إنه إنما أتى هذه الحمة الحسن ليستنقع فيها للوضح الذي كان به ثم قفل بالناس سالمين وكان على قضاء عسكره وما يجتمع من الفيء حفص بن عامر السلمي

قال وفيها غزا يزيد بن أسيد السلمي من باب قاليقلا فغنم وفتح ثلاثة حصون وأصاب سبيا كثيرا وأسرى

وفيها عزل علي بن سليمان عن اليمن وولي مكانه عبد الله بن سليمان

وفيها عزل سلمة بن رجاء عن مصر ووليها عيسى بن لقمان في المحرم ثم عزل في جمادى الآخرة ووليها واضح مولى المهدي ثم عزل في ذي القعدة ووليها يحيى الحرشي ". (١)

٧٥-"الباب الثامن والعشرون إذا أردت أن تعلم كم جزءا بين رأس الحمل والطالع من أجزاء المطالع في كل بلد.

الباب التاسع والعشرون إذا أردت أن تعلم لكل مدينة وبلد من أي الأقاليم هي.

الباب الثلاثون إذا أردت أن تعلم عرض القمر، أو كوكب من الكواكب.

الباب الحادي والثلاثون إذا أردت أن تقوم خط وسط السماء في موضعه من سمت كل بلد. الباب الثاني والثلاثون إذا أردت أن تعرف طول الكواكب وعرضها بعد معرفتك بجري وسط السماء.

الباب الثالث والثلاثون إذا أردت أن تعرف موضع رأس **التنين** وذنبه، وهل تلتقي بفلكي الشمس والقمر.

الباب الرابع والثلاثون إذا أردت أن تعرف المطالع من قبل ساعات الما.

الباب الخامس والثلاثون إذا أردت أن تعرف مجرى الفلك الذي فيه الكواكب الثابتة.

---

(١) تاريخ الأمم والرسل والملوك- الطبري ٤/٥٦٤

الباب السادس والثلاثون إذا أردت أن تعرف تشريق الكواكب وتغريبها.
الباب السابع والثلاثون إذا أردت أن تعرف طول مدينة من المدن.
الباب الثامن والثلاثون في معرفة أجزاء طول المدن.
الباب التاسع والثلاثون في استخراج القوس من حساب الجبر، فهذه أبواب ذات الحلق.
وأما كتاب في ذات الصفائح، وهي الأسطرلاب، فإنه يبتدىء بذكر عملها وكيف تعمل، وحدودها، ومقاديرها، وتركيب حجرها، وصفائحها، وعنكبوتها، وعضادتها، وكيف تجزأ وتقسم وتحفظ على قسمة أجزائها، ومقنطراتها، وميلها، ويشرح ذلك، ويصفه صفيحة إقليم إقليم، وطول كل إقليم وعرضه، ومواضع الكواكب والساعات فيها، والطالع والغارب والمائل، والجنوبي والشمالي، ورأس الجدي، ورأس السرطان، ورأس الحمل، ورأس الميزان، ثم يذكر العمل بها.
فالباب الأول امتحانها حتى تصح. الباب الثاني في امتحان طرفي العضادة.
الباب الثالث في علم ما مضى من النهار من ساعة وأي برج ودرجة الطالع.
الباب الرابع في علم ما مضى من ساعات الليل، وما الطالع من البروج والدرج.
الباب الخامس في معرفة موضع الشمس من البروج والدرج.
الباب السادس في علم مواضع القمر في أي برج ودرجة هو، وأين الكواكب السبعة.
الباب السابع في علم عرض القمر.
الباب الثامن في علم مطالع البروج الاثني عشر في الأقاليم السبعة، ومعرفة كل برج منها. الباب التاسع في قطع المطالع للفلك المستقيم، وما يصيب كل درجة من درج السواء.
الباب العاشر في علم ساعات الليل والنهار كم تكون في كل زمان، في كل إقليم.
الباب الحادي عشر في علم مقدار نهار كل كوكب من الكواكب الثابتة، وما يجري في الفلك من حين طلوع الكواكب إلى حين غروبها.
الباب الثاني عشر في معرفة طول الكواكب وعرضها.
الباب الثامن عشر في معرفة زوال الكواكب الثابتة، فإنها تزول في كل سنة من سني القمر درجة.
الباب الرابع عشر في معرفة ميل البروج عن خط الاستواء الذي هو مدار الحمل والميزان. الباب الخامس عشر في معرفة المدائن أيها أقرب إلى الشمال وإلى الجنوب.
الباب السادس عشر في معرفة أقرب المدائن من المشرق وأقربها إلى المغرب.
الباب السابع عشر في معرفة عرض كل إقليم.
الباب الثامن عشر في علم أي إقليم أنت فيه.
الباب التاسع عشر في علم عرض الإقليم وأي المدائن أردت.
الباب العشرون في علم تقدير الطرائق، وهي خمس، وكيف مجاريها، ويشرح في كل باب من هذه الأبواب شرحا طويلا بين فيه ما يحتاج إليه وإلى معرفته.

فهذه أغراضه في ذات الصفائح.

وأما كتابه القانون في علم النجوم وحسابها، وقسمة أجزائها، وتعديلها، فمن أتم كتب النجوم وأوضحها، وكان أول ما ابتدأ به في ذكر دور السماء التي تدور فيها هذه الكواكب.

باب في علم مسير الكواكب في كل يوم، فيقول: إن مسير الشمس في كل يوم يكون تسعا وخمسين دقيقة، ومسير أوج القمر سبع دقائق، ومسير رأس التنين، وهو الجوزهر، ثلاث دقائق، ومسير زحل دقيقتان، ومسير المشتري خمس دقائق، ومسير المريخ إحدى وثلاثون دقيقة، ومسير الزهرة درجة وست وثلاثون دقيقة، ومسير عطارد أربع درج وخمس دقائق، و مسير قلب الأسد ست ثوان.

باب في علم أوساط الكواكب، وتقويمها، وتعديلها، إذا كانت لا تمكن أن تقوم إلا بأوساطها. باب في تحريك أرباع الفلك على ما ذكر أصحاب الطلسمات، أن أرباع الفلك تتحرك ثمانية أجزاء مقبلة، وثمانية أجزاء مدبرة، والجزء درجة فتقبل في كل ثمانين سنة، وتدبر على كل ثمانين سنة جزءا.". (١)

٧٦-"وتوفي أبو عبد الله جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب وأمه أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر بالمدينة سنة ١٤٨ وله ست وستون سنة وكان أفضل الناس وأعلمهم بدين الله وكان من أهل العلم الذين سمعوا منه إذا رووا عنه قالوا: أخبرنا العالم.

قال سفيان: سمعت جعفرا يقول: الوقوف عند كل شبهة خير من الاقتحام في الهلكة وترك حديث لم نروه أفضل من روايتك حديثا لم تحصه إن على كل حق حقيقة وعلى كل صواب نورا فما وافق كتاب الله فخذوه وما خالفه فدعوه.

وقال جعفر: ثلاثة يجب لهم الرحمة: غني افتقر وعزيز قوم ذل وعالم تلاعب به الجهال.

وقال: من أخرجه الله من ذل المعاصي إلى عز التقوى أغناه الله بغير مال وأعزه الله بغير عشيرة ومن خاف الله أخاف الله منه كل شيء ومن لم يخف الله أخافه الله من كل شيء ومن رضي من الله باليسير من الرزق رضي منه باليسير من العمل ومن لم يستح من طلب الحلال خفت مؤونته ونعم أهله ومن زهد في الدنيا أثبت الله الحكمة في قلبه فأطلق لسانه من أمور الدنيا دائها ودوائها وأخرجه منها سالما.

وروي أنه قال لما نزلت على رسول الله: لا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم الآية قال: ومن لم يتعز بعزاء رسول الله صلى الله عليه وسلم تقطعت نفسه على الدنيا حسرات ومن اتبع طرفة ما في أيدي الناس طال همه ولم يشف غيظه ومن لم ير الله عليه نعمة إلا في كل مأكل ومشرب فقد قصر عمره ودنا عذابه وقال: ما أنعم الله على عبد نعمة فعرفها بقلبه وشكرها بلسانه إلا ما أعطي خير مما أخذ.

وقال: إن مما ناجى الله عز وجل به موسى: يا موسى لا تنسني على حال ولا تفرح بكثرة المال فإن نسياني يميت القلب وعند كثرة المال تكثر الذنوب يا موسى كل زمان يأتي بالشدة بعد الشدة وبالرخاء بعد الرخاء والملك بعد الملك وملكي

---

(١) تاريخ اليعقوبي ص/٥٥

قائم لا يزول ولا يخفى على شيء في الأرض ولا في السماء وكيف يخفى على ما كان ابتداؤه مني وكيف لا تكون همتك فيما عندي وأنت ترجع لا محالة إلي.

وقال: خلتان من لزمهما دخل الجنة فقيل: وما هما قال: احتمال ما تكره إذا أحبه الله وترك ما تحب إذا كرهه الله فقيل له: من يطيق ذلك فقال: من هرب من النار إلى الجنة.

وقال: فعل المعروف يمنع ميتة السوء والصدقة تطفئ غضب الرب وصلة الرحم تزيد في العمر وتنفي الفقر وقول لا حول ولا قوة إلا بالله كنز من كنوز الجنة.

وقال: ما توسل إلي أحد بوسيلة ولا تذرع بذريعة هي أحب إلي ولا أقرب مني من يد أسلفته إياها أتبع بها أختها لأحسن ريها وحفظها إذا كان منع الأواخر يقطع لسان شكر الأوائل وما سمحت نفسي برد بكر من الحوائج وقال: أوحى الله إلى موسى بن عمران: أدخل يدك في فم **التنين** إلى المرفق فهو خير لك من مسألة من لم يكن للمسألة بمكان.

وقال: لا تخالطن من الناس خمسة: الأحمق فإنه يريد أن ينفعك فيضرك والكذاب فإن كلامه كالسراب يقرب منك البعيد ويباعد منك القريب والفاسق فإنه يبيعك بأكلة أو شربه والبخيل فإنه يخذلك أحوج ما تكون إليه والجبان فإنه يسلمك ويتسلم الدية. وقال: المؤمنون يألفون ويؤلفون ويغشى رحلهم.

وقال: من غضب عليك ثلاث مرات فلم يقل فيك سوءا فاتخذه لك خلا ومن أراد أن تصفو له مودة أخيه فلا يمارينه ولا يمازجنه ولا يعده ميعادا فيخلفه.

وكان لجعفر بن محمد من الولد إسماعيل وعبد الله ومحمد وموسى وعلي والعباس.

قال إسماعيل بن علي بن عبد الله بن عباس: دخلت على أبي جعفر المنصور يوما وقد اخضلت لحيته بالدموع فقال لي: ما علمت ما نزل بأهلك فقلت: وما ذلك يا أمير المؤمنين قال: فإن سيدهم وعالمهم وبقية الأخيار منهم توفي فقلت: ومن هو يا أمير المؤمنين قال: جعفر بن محمد فقلت: أعظم الله أجر أمير المؤمنين وأطال لنا بقاءه فقال لي: إن جعفرا كان ممن قال الله فيه: ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا وكان ممن اصطفى الله وكان من السابقين بالخيرات.". (١)

٧٧-"" داريوش المادي " واليونانيون يسمونه نابونبذس. ملك سنة واحدة. وقيل تسع سنين. وبه بطلت مملكة النبط الكلدانيين منتقلة إلى الفرس المجوس. وهذا الملك استولى على الملك وهو من أبناء اثنتين وستين سنة. وحسنت منزلة دانيال النبي عنده. وأقام في ولايته مائة وعشرين قائدا ورأس عليهم ثلاثة رجال أحدهم دانيال. وكان يرجع في سرائره إليه. فساء ذلك أرباب الدولة وجعلوا يطلبون عليه حجة يوقعونه بها عن مرتبته. فلم يظفروا منه بهفوة غير إنه يدين بغير دين الملك. فساروا إلى الملك وقالوا: إن دانيال يعبد إلها غريبا. وفي سنتنا أن من دان في أرضنا بدين غير ديننا وتعدى سنة أهل ماه وفارس قذف به في جب الأسد. فلما لم يقدر الملك على إبطال شريعة قومه تقدم بقذف دانيال في جب الأسد وقال له: إلهك ينجيك. وانصرف إلى منزله وبات طاويا وطار عنه نومه إشفاقا على دانيال. وكان حبقوق النبي في الشام قد طبخ

---

(١) تاريخ اليعقوبي ص/٢٦٥

طبيخا ومضى يطعم الحواصيد فأخذه ملاك الرب بشعر رأسه ووضعه في بابل على فم الجب فقال: دانيال دانيال قم خذ الطعام الذي أنفذ لك ربك. فقال دانيال: ذكرني الله ولم يهملني. وأخذ الملاك لحبقوق ووضعه في موضعه. وجاء الملك داريوش بعد سبعة أيام ليبكي على دانيال لكثرة اهتمامه له. فلما دنا من الجب ناداه: يا دانيال هل قدر معبودك أن ينجيك من السباع. أجابه دانيال قائلا: أيها الملك عش خالدا إن الهي بعث لي ملاكة وسد أفواه الأسد فلم تهلكني. فحسن موقع ذلك من الملك جدا وأخرج دانيال من الجب وألقى وشاته فيه مع نسائهم وبنيهم وذريتهم. فما استقروا في قرار الجب إلا ومزقتهم الأسد ورضت عظامهم رضا.

وفي هذا الزمان اشتهر فراخوديس مصنف القصص معلم فيثاغورس.

"كورش الفارسي " ملك إحدى وثلاثين سنة واستولى على ملك العراق وخراسان وأرمينية والشام وفلسطين وغزا بلاد الهند وقتل ملكها. هذا كورش تزوج أخت زوربابيل ابن شلاثيل بن يوياخين بن يوياقيم ملك يهوذا. ولما دخل بها ارتفعت عنده وقال لها: اطلبي مني ما شئت. فطلبت منه عود بني إسرائيل إلى أورشليم وأن يأذن لهم بعمارتها. فجمعهم كورش الملك وخيرهم قائلا: من اختار الصعود فليصعد ومن أباه فليقم. فكان عدد مؤثري الصعود خمسين ألفا من الرجال غير النساء والأولاد. فحصل زوربابيل ملكهم ويشوع بن يوزاداق كاهنهم. وعنهما قال ملاك الرب لزخريا النبي: إن هذين ابنا الدلال وهما يقومان بين يدي رب العالمين. فصعدت هذه الشرذمة من بني إسرائيل في السنة الأولى من ملك كورش إلى أورشليم وهموا بعمارتها. ولأن الفلسطينيين مجاوريهم اعنتوهم كان تشييدهم الهيكل على التراخي في ست وأربعين سنة كما قال يوحنا الإنجيلي. ولاختلاط كورش بنسل داود قال عنه اشعيا النبي قبل ولاده: قال الله لمسيحه كورش الذي عضدت بيمينه. وعظم كورش أيضا شأن دانيال وفوض إليه سياسة ملكه. فغار لله غيرة وكسر الصنم المسمى بيل وقتل التنين معبود البابليين. فمقت ورمي في جب فيه سبعة أسد ونجا منها وهلك مبغضوه. ثم رأى الرؤيا على نهر الفرات وعرفه ملاك الرب مدة السنين التي بقين من السبي ومن ظهور السيد المسيح وآلامه وموته. ومات دانيال ودفن في قصر شوشن اعني مدينة ششتر.

" قمباسوس بن كورش " ملك ثماني سنين. وفي أيامه كانت يهوديث المرأة العبرية التي احتالت على الفرنا الماجوجي صاحب جيش قمباسوس وقطعت رأسه وأمنت اليهود بأسه.

وفي هذا الزمان كان زرادشت معلم المجوسية وأصله من بلد أذربيجان. وقيل: من بلاد أثور. وقيل: إنه من تلامذة اليا النبي. وهو عرف الفرس بظهور السيد المسيح وأمرهم بحمل القرابين إليه وأخبرهم أن في آخر الزمان بكرا تحمل بجنين من غير أن يمسها رجل وعند ولادته يظهر كوكب يضيء بالنهار ويرى في وسطه صورة صبية عذراء. وانتم يا أولادي قبل كل الأمم تحسون بظهوره. فإذا شاهدتم الكوكب امضوا حيث يهديكم واسجدوا لذلك المولود وقربوا قرابينكم فهو الكلمة مقيمة السماء.". (١)

---

(١) تاريخ مختصر الدول ص/٢٥

٧٨-"ورئيس تلك الحصون يركب في كل جمعة في كبكبة عظيمة حتى يأتي الباب، وبأيديهم مرزبات من حديد فيضربون بها على ذلك الباب، فتدوي تلك الأرض ليسمع من خلف الباب من يأجوج ومأجوج، فيعلمون أن هناك حفظة وحراسا. وبعد ضرب الباب ينصتون بآذانهم مستمعين فيسمعون من وراء الباب دويا كدوي الرعد.

وبقرب هذا السد حصن طوله عشرة أذرع في عشرة، ومع هذا الباب من الجانبين حصنان كل واحد منهما مائة ذراع في مائة ذراع. وبين هذين الحصنين عين ماء عذب. وفي أحد الحصنين بقية من آلات البناء، وهي قدور من حديد ومغارف من حديد، وهي فوق دكك مرتفعة، وعلى كل دكة أربع قدور وهي أكبر من قدور الصابون. وهناك أيضا بقايا من اللبن الحديد وقد لصق بعضها ببعض من الصدأ، طول كل لبنة ذراع ونصف في عرض ذراع وارتفاع شبرين. وأما الباب المذكور والدروند الذي في أعلاه، والقفل، فكأنما فرغ الصانع من عمله الآن، وهي غير صدئة ولا بالية، قد دهنت بأدهان الحكمة المانعة من الصدأ.

قال سلام الترجمان: سألت من هناك هل رأيتم قط أحدا منهم ؟ فأخبروا أنهم رأوا منهم عددا كثيرا فوق شرفات السد، فهبت بهم ريح عاصف فرمت منهم ثلاثة، كل واحد منهم طوله دون ثلاثة أشبار، ولهم مخاليب موضع الأظفار، وأنياب وأضراس كالسباع، وإذا أكلوا بها يسمع لأكلهم حركة قوية، ولهم أذنان عظيمتان يفترشون الواحدة ويلتحفون الأخرى.

فكتب سلام هذه الصفات كلها في كتاب ورجع إلى الخليفة الواثق بالله.

وقد ذكر بعض أهل العلم أن يأجوج ومأجوج يرزقون **التنين**، يقذفه عليهم السحاب فيأكلونه، وإنما يقذف عليهم ذلك في أيام الربيع في كل عام، فإذا تأخر ذلك عن وقته المعهود استمطروه كما يستمطر الناس الغيث. وحكى صاحب كتاب العجائب أن في داخل بلاد يأجوج ومأجوج نهرا يسمى المسهر لا يعرف له قعر، وإذا تقاتلوا وأسر بعضهم طرحوا الأسرى في ذلك النهر فيرون عند ذلك طيورا عظاما تخرج إلى من يطرح في ذلك النهر من كهوف هناك في جانبي الوادي، فتخطفهم قبل أن يصلوا إلى الماء وترتفع بهم إلى تلك الكهوف فتأكلهم هناك. ويقال إن بهذا الوادي نارا تتأجج طول الزمان بقدرة الله تعالى وليس وراء يأجوج ومأجوج إلا المحيط والله سبحانه وتعالى أعلم: " وما يعلم جنود ربك إلا هو وما هي إلا ذكرى للبشر " . " ويخلق ما لا تعلمون، وعلى الله قصد السبيل " .

انتهى فصل البلدان والأقطار ولنسرع الآن في ذكر الجبال والبحار والجزائر والآبار وما بها من العجائب للاعتبار.

فصل في

المحيط وعجائبه

اعلم أن المحيط هو البحر الأعظم الذي منه مادة سائر البحار المتصلة والمنقطعة وهو بحر لا يعرف له ساحل ولا يعلم عمقه إلا الله عز وجل، والبحار على وجه الأرض خلجان منه. وفي هذا البحر عرش إبليس لعنه الله وفيه مدائن تطفو على وجه الماء وفيها أهلها من الجن في مقابلة الربع الخراب من الأرض، وفيه حصون وفيه قصور على وجه الماء طافية ثم تغيب، وتظهر فيه الصور العجيبة والأشكال الغريبة، ثم تغيب في الماء وفيه الأصنام التي وضعها أبرهة ذو المنار الحميري، قائمة على وجه البحر وهي ثلاثة أصنام: أحدها أخضر، وهو يومئ بيده كأنه يخاطب من ركب البحر يأمره بالرجوع، والصنم الثاني

أحمر كأنه يشير إلى نفسه ويخاطب من ركب هذا البحر أن يقف عنده ولا يجاوزه. والصنم الثالث أبيض يومئ بأصبعه إلى البحر: من جاء وجاوز هذا المكان هلك. وعلى صدر كل صنم مكتوب بالأسود: هذا وضعه أبرهة ذو المنار تبع الحميري لسيدته الشمس تقربا غليها. وفي البحر ينبت شجر المرجان كسائر الأشجار في الأرض، وفيه من الجزائر المسكونة والخالية ما لا يعلمه إلا الله تعالى.". (١)

٧٩-"والخليج الآخر: نيطش، ومبدؤه من البحر الشامي حيث فم أيدة، وعرض فوهته رمية سهم، ويمر بينه مجاز رمية سهم، فيتصل بالقسطنطينية فيكون هناك عرضه ستة أميال، ويمر نحو نيطش من جهة الشرق فيتصل في جهة الجنوب بأرض قلعية إلى سواحل أطرابدية إلى أرض أشكلة إلى أرض لايته، وينتهي طرف هذا الخليج هناك حيث الخزرية، ومن هناك ينعطف راجعا إلى مطرحه ويتصل ببلاد الروسية وبلاد برحان، ولا يزال حتى ينتهي إلى مضيق فم خليج قسطنطينية ويتصل به ويمر شرقي مقدونية إلى أن يتصل بالموضع الذي منه ابتدأ، وبين ساحله وبين أرض الترك أرضون وجبال مجهولة. وطول بحر نيطش وهو بحر القلزم من فم المضيق إلى حيث انتهاؤه ألف وثلاثمائة ميل.
وأما بحر جرجان والديلم: فهو بحر الخزر، فإنه يخرج منقطعا لا يتصل بشيء من البحار المذكورة وتقع فيه أنهار وعيون دائمة الجريان. وذكر الجواليقي أن هذا البحر مظلم القعر، وأنه يتصل ببحر نيطش من تحت الأرض، ويتصل بهذا البحر من جهة الغرب بلاد أذربيجان ومن جهة الجنوب بلاد طبرستان، ومن جهة الشرق أرض العرب، ومن جهة الشمال أرض الخزر وطوله ألف ميل وعرضه من ناحية جرجان إلى وضع نهر أيلة ستمائة ميل وخمسون ميلا، وفي كل بحر من هذه البحور جزائر وأمم مختلفة ونباتات وحيوانات مختلفة وجبال وغير ذلك. ونحن نفصل ما وصل إليه علم الناس إن شاء الله تعالى.
فصل في
بحر الظلمة
وهو بالحر المحيط الغربي
ويسمى المظلم، لكثرة أهواله وصعوبة متنه فلا يمكن أحدا من خلق الله أن يلج فيه، إنما يمر بطول الساحل لأن أمواجه كالجبال الرواسي وظلامه كدر، وريحه ذفر، ودوابه متسلطة، ولا يعلم ما خلفه إلا الله تعالى ولا وقف منه بشر على تحقيق خبر، وفي ساحل هذا البحر يوجد العنب الأشهب الجيد، وحجر البهت وهو حجر من حمله أقبل الخلق عليه بالمحبة والتعظم وفضيت حوائجه وسمع كلامه وانعقدت عنه ألسنة الأضداد. ويوجد أيضا بساحله حجارة مختلفة الألوان يتنافس أهل تلك البلاد في أثمانها ويتوارثونها ويذكرون لها خواص عظيمة. وفي البحر من الجزائر العامرة والخراب ما لا يعلمه إلا الله تعالى، وقد وصل الناس منها إلى سبع عشرة جزيرة.
فمنها الخلدتان: وهما جزيرتان فيهما صنمان مبنيان بالحجر الصلد طول كل صنم مائة ذراع، وفوق كل صنم صورة من نحاس تشير بيدها إلى خلف، يعني: ارجع فما ورائي شيء. بناهما دو المنار الحميري من التبابعة، وهو ذو القرنين المذكور في

---
(١) خريدة العجائب وفريدة الغرائب ص/٤٣

القرآن.

ومنها جزيرة العوس: بها أيضا صنم وثيق البناء لا يمكن الصعود إليه بناه أيضا ذو القرنين المذكور. وبهذه الجزيرة مات الباني وقبره بها في هيكل مبنى بالمرمر والزجاج الملون. وبهذه الجزيرة دواب هائلة تنكرها المسامع.

ومنها جزيرة السعالي: وهي جزيرة عظيمة بها خلق كالنساء إلا إن لهم أنيابا طوالا بادية، وعيونهم كالبرق الخاطف ووجوههم كالأخشاب المحترقة، يتكلمون بكلام لا يفهم ولا فرق بين الرجال والنساء عندهم إلا بالذكر والفرج، ولباسهم ورق الشجر ويحاربون الدواب البحرية و يأكلونها.

وجزيرة حسرات: وهي جزيرة واسعة فيها جبل عال، وفي سفحه أناس سمر قصار لهم لحى طوال تبلغ ركبهم، وجوههم عراض ولهم آذان كبار وعيشتهم من الحشيش، وعندهم نهر صغير عذب.

وجزيرة العرر: وهي جزيرة طويلة عريضة، كثيرة الأعشاب والنباتات والأشجار والثمار.

جزيرة المستشكين: وتعرف بجزيرة التنين. وهي عظيمة بها أشجار وأنهار وثمار، وبها مدينة عظيمة، وكان بها التنين العظيم الذي قتله الاسكندر. وكان من حديثه أنه ظهر بها تنين عظيم، فكاد أن يهلك الجزيرة وما بها من السكان والحيوان، فاستغاث الناس منه إلى الإسكندر وكان الإسكندر قد قارب تلك الأرض، وشكوا إليه أن التنين قد أكل مواشيهم وأتلف أموالهم وقطع الطريق على الناس وأن له عليهم في كل يوم ثورين عظيمين ينصبونهما فيأتي إليهما كالسحابة السوداء وعيناه تتوقدان كالبرق الخاطف، والنار والدخان يخرجان من فيه فيبتلع الثورين ويرجع إلى مكانه.". (١)

٨٠-"فسار الإسكندر إلى المدينة وأمر بالثورين فسلخا وحشا جلودهما زفتا وكبريتا وزرنيخا وكلسا ونفطا وزئبقا، وجعل مع ذلك كلاليب من حديد وأقامهما في المكان المعهود، فجاء التنين من الغد إليهما على العادة فابتلعها، فأضرمت النار في جوفه وتعلقت الكلاليب بأحشائه، وسرى الزئبق في جسده ورجع مضطربا إلى مقره. فانتظروه من الغد فلم يأت ولم يخرج، فذهبوا إليه فإذا هو ميت وقد فتح فاه كأوسع قنطرة وأعلاها. ففرحوا وشكروا سعي الإسكندر إليهم وحملوا إليه هدايا عجيبة منها دابة عجيبة يقال لها المعراج مثل الأرنب، أصفر اللون وعلى رأسه قرن واحد أسود لم يرها شيء من السباع الضواري والوحوش الكاسرة إلا هرب منها.

جزيرة قلهات: وهي جزيرة كبيرة وبها خلق مثل خلق الإنسان، إلا أن وجوههم وجوه الدواب يغوصون في البحر فيخرجون ما يقدرون عليه من الدواب البحرية فيأكلونها.

جزيرة الأخوين الساحرين: أحدهما شرهام والآخر شبرام، وكانا بهذه الجزيرة يقطعان الطريق على التجار، فمسخا حجرين قائمين في البحر، وعمرت الجزيرة بعدهما.

جزيرة الطيور: ويقال إن فيها جنسا من الطيور في هيئة العقبان، حمر ذوات مخاليب تصيد دواب البحر. وبهذه الجزيرة ثمر يشبه التين، أكله ينفع من جميع السموم. حكى الجواليقي أن ملكا من ملوك فرنجة أخبر بذلك فوجه إليها مركبا ليجلب له

---

(١) خريدة العجائب وفريدة الغرائب ص/٤٥

من ذلك الثمر ويصاد له من تلك الطيور، لأنه كان عالما بمنافع تلك الطيور ودمها وأعضائها ومرائرها، فانكسرت المركب في البحر وهلكت السفينة ومن فيها ولم بعد إليه أحد.

جزيرة الصاصيل: طولها خمسة عشر يوما في عرض عشرة. وكان بها ثلاث مدن مسكونه عامرة وكان التجار يسيرون إليها ويشترون منها الأغنام والأحجار الملونة المثمنة، فوقع الشر بين أهلها حتى فني غالبهم وبقي منهم قليل، فانتقلوا إلى بلاد الروم.

جزيرة لاقة: وهي جزيرة كبيرة وبها شجر العود كالحطب وليس له هناك قيمة ولا رائحة حتى يخرج من تلك الأرض فيكتسب الرائحة؛ وكانت عامرة مسكونة والآن قد خرجت فيها حيات كبار وتغلبت على أرضها فخربت بمثل ذلك.

جزيرة ثورية: بها أشجار وأنهار ولكنها خالية الديار، وبهذا البحر دواب عظيمة مختلفة الأشكال هائلة المنظر، يقال إن السمكة يمر رأسها كالجبل العظيم الشامخ ثم يمر ذنبها بعد مدة، ويقال إن مسافة ما بين رأسها وذنبها أربعة أشهر.

بحر الصين وجزائره وما به من العجائب والغرائب: ويسمى هذا البحر بأسماء عديدة: بحر الصين وبحر الهند صنجي، وهو متصل بالمحيط من المشرق: وليس على وجه الأرض بحر أكبر منه إلا المحيط، وهو كثير الموج عظيم الاضطراب بعيد القعر، فيه المد والجزر، كما في بحر فارس؛ ويستدل على هيجان هذا البحر بأن يطفو السمك على وجهه قبل هيجانه بيوم واحد، ويستدل على سكونه ببيض طائر معروف يبيض على وجه الماء في مجتمع القذى، وهو طائر لا يأوي الأرض أبدا ولا يعرف إلا لجة البحر، في هذا البحر مغاص اللؤلؤ يطلع منه الحب الجيد الذي لا قيمة له، وفي هذا البحر من الجزائر ما لا يعلمه إلا الله عددا إلا أن بعضها مشهور يصل إليه الناس، قيل إن فيه اثني عشر ألف جزيرة عامرة مسكونة وبها عدة ملوك، وفي بعض جزائره ينبت الذهب ويكثر في بعض السنين ويقل في بعضها كالنبات.

فمن جزائره جزيرة زانج وتشمل جزائر كثيرة في آخر حدود الصين وأقصى بلاد الهند، عامرة خصبة ليس فيها خراب، يسافرون فيها بلا ماء ولا زاد لكثرة الخصب والعمارة، وهي نحو مائة فرسخ.

قال محمد بن زكريا: وملك هذه الجزيرة يسمى المهراج، وله جباية تقطع في كل يوم ثلاثمائة من من الذهب، في كل من ستمائة درهم فيتحصل له في كل يوم ما يزيد على مائة ألف مثقال وخمسة وعشرين ألف مثقال، يتخذ منها لبنا ويطرحه في البحر وهو خزانته.". (١)

٨١-"جزيرة سرندوسة: وهي كبيرة عامرة، بها أشجار وأنهار وثمار، وعند أهلها من الذهب ما لا يكيف: فماعونهم ذهب، وآنيتهم ذهب، وقدورهم ذهب، وخوابيهم ذهب، وسلاحهم ذهب، ولهم ملك يدفع لهم كل من يقصدهم أو يقصد الخروج من عندهم بشيء من ذلك. وعجائب هذا البحر كثيرة: وذكر أن العنبر الخالص ينبت في قعر هذا البحر كما ينبت القطن في الأرض، فإذا اضطرب البحر قذف به، وربما أكل منه الحوت العظيم الجرم فيموت فيطفو على وجه الماء في اليوم الثالث فيجذبه أهل المراكب بالكلاليب إلى الساحل فيأخذون العنبر من جوفه.

---

(١) خريدة العجائب وفريدة الغرائب ص/٤٦

وملكان: نوع من السمك يطفو على وجه البحر في ثالث عشر كانون الثاني، يدل ذلك على خروج ريح يضطرب لها البحر حتى يصل الاضطراب إلى بحر فارس، ويشتد هيجانه ويتكدر لونه وتنعقد ظلمته بعد طفو هذا السمك بيوم واحد.
ومنها الأمشور: وهو سمك يأتي بالبصرة في وقت معين، فيبقى مدة شهرين وينقطع فلا يعود إلا في ذلك الوقت بعينه من العام القابل.
والجراف: أيضا سمك وأوانه مثل أوانه وانقطاعه.
ومنها: حيوان يعرف **بالتنين** شر من الكوسج، طوله كالنخلة السحوق، أحمر العينين كريه المنظر، له أنياب كأسنة الرماح، يقهر الحيوانات كلها حتى الكوسج.
ومنها: سمكة خضراء أطول من ذراع؛ لها خرطوم طويل عظيم كالمنشار تضرب به من عارضها فتقده؛ وفي هذا البحر دردور صغير.
حكى القزويني: أن رجلا من أصفهان ركبته ديون كثيرة ففارق أصفهان وركب هذا البحر صدفة مع تجار فتلاطمت بهم الأمواج حتى حلوا في الدردور ببحر فارس، فقال التجار للرئيس: هل تعرف لنا سبيلا إلى الخلاص فنسعى فيه ؟ فقال: إن سمح أحدكم بنفسه تخلصنا. فقال الرجل الأصفهاني المديون في نفسه: كلنا في موقف الهلاك وأنا قد كرهت الحياة وسئمت البقاء.
وكان في السفينة جمع من التجار الأصفهانيين، فقال الرجل لهم: هل تحلفون لي بوفاء ديوني وخلاص روحي وأقديكم بروحي وأوثركم بحياتي وتحسنون إلى عيالي ما استطعتم ؟ فحلفوا له على ذلك وفوق ما شرط، فقال الأصفهاني للرئيس: ما تأمرني أن أفعل فقد سلمت نفسي لله طلبا لخلاصكم إن شاء الله تعالى، فقال له الرئيس: آمرك أن تقف ثلاثة أيام على ساحل هذا البحر وتضرب على هذا الدهل ليلا ونهارا ولا تفتر عن الضرب أبدا، قلت: أفعل إن شاء الله تعالى. فأعطوني من الماء والزاد ما أمكن.
قال الأصفهاني فأخذت الدهل والماء والزاد وتوجهوا بي نحو الجزيرة وأنزلوني بساحلها فأخذت وشرعت في ضرب الدهل فتحركت المياه وجرى المركب وأنا أنظر إليهم حتى غاب المركب عن بصري، فجعلت أطوف في تلك الجزيرة وإذا أنا بشجرة عظيمة وعليها شبه سطح فلما كان الليل وإذا بهدة عظيمة فنظرت فإذا طائر عظيم في الخلقة قد سقط على ذلك السطح الذي في الشجرة فاختفيت خوفا منه، فلما كان الفجر انتفض بجناحيه وطار، فلما كان الليل جاء أيضا وحط مكانه الذي حط فيه البارحة فدنوت منه فلم يتعرض لي بسوء ولا التفت إلي أصلا وطار عند الصباح.
فلما كان ثالث ليلة وجاء الطائر على عادته وقعد مكانه جئت حتى قعدت عنده من غير خوف ولا دهشة إلى أن نفض جناحيه فتعلقت بإحدى رجليه بكلتا يدي فطار بي إلى أن ارتفع النهار، فنظرت إلى تحتي فلم أر إلا لجة ماء البحر فكدت أن أترك رجله وأرمي بنفسي من شدة ما لقيت من التعب، فتصبرت زمانا، وإذا بالقرى والعمارة تحتي ففرحت وذهب ما كان بي من الشدة، فلما دنا الطائر من الأرض رميت نفسي على صبرة تبن في بيدر، وطار الطائر فاجتمع الناس حولي وتعجبوا مني وحملوني إلى رئيسهم وأحضروا لي من يفهم كلامي، فأخبرتهم قصتي فتبركوا بي وأكرموني وأمروا لي بمال وأقمت

عندهم أياما.
فخرجت يوما لأتفرج وإذا أنا بالمركب الذي كنت فيه قد أرسى؛ فلما رأوني أسرعوا إلي وسألوني عن أمري فأخبرتهم فحملوني إلى أهلي وأقاموا لي بالمال وفوق الشرط، فعدت بخير وغنى وسلامة.

فصل في

بحر القلزم

وجزائره وما به من العجائب

وهذا البحر شعبة من بحر الهند، جنوبيه بلاد بربر والحبشة؛ وعلى ساحله الشرقي بلاد العرب وعلى ساحله الغربي بلاد اليمن. والقلزم اسم لمدينة على ساحله؛ وهو البحر الذي غرق فيه فرعون؛ وهو بحر مظلم موحش لا خير فيه باطنا ولا ظاهرا؛ وفي هذا البحر جزائر كثيرة وغالبها غير مسكونة ولا مسلوكة.". (١)

٨٢-"وسمكة: يقال لها الخطاف: على ظهرها جناحان تخرج من الماء وتطير حيث شاءت ثم تعود إلى الماء.
وسمكة تعرف بالمنارة. وهذه السمكة تخرج ببدنها من الماء وتقف على عجزها كالمنارة ثم ترمي بنفسها على المركب العظيم فتغرقه وتهلك أهله، فإذا أحسوا بها ضربوا الطبول والبوقات وأضرموا مكاحل النفط فتهرب عنهم.
وسمكة كبيرة إذا نقص عنها الماء بقيت على الطين ملقاة ولا تزال تضرب إلى مقدار ست ساعات، ثم تنسلخ من جلدها ويظهر لها جناحان من تحت إبطها فتطير مع عظمتها إلى بحر آخر. وهذا من أعظم عجائب القدرة.
ومنها التنانين: وهي كثيرة في هذا البحر، ولا سيما عند طرابلس واللاذقية.

فصل في

بحر الخزر

وهو بحر الأتراك، وهو في جهة الشمال، شرقيه جرجان وطبرستان وعلى شماله بلاد الخزر، وغربيه اللان وجبال القبق، وعلى جنوبه الجبل والديلم. وهو بحر واسع ولا اتصال له بشيء من البحار، وهو بحر صعب خطر المسلك سريع الهلاك شديد الاضطراب والأمواج، لا جزر فيه ولا مد، وليس فيه شيء من اللآلئ والجواهر.
ذكر السمرقندي في كتابه: أن ذا القرنين أراد أن يعرف ساحل هذا البحر، فبعث قوما في مركب وأمرهم بالمسير فيه سنة كاملة لعل أن يأتوه بخبر ساحل؛ فساروا بالمركب سنة كاملة فلم يروا شيئا سوى سطح الماء وزرقة السماء، فأرادوا الرجوع فقال بعضهم: نسير شهرا آخر لعلنا أن نرجع بخبر. فساروا شهرا آخر فإذا هم بمركب فيه أناس فالتقى المركبان ولم يفهم أحدهم كلام الآخر، فدفع قوم ذي القرنين إليهم امرأة وأخذوا منهم رجلا ورجعوا إلى الإسكندر وأخبروه بالأمر. قال: فزوج الإسكندر الرجل بامرأة من عسكره فأتت بولد يفهم كلام الوالدين، فقال له: سل أباك من أين جئت ؟ فسأله فقال: جئت من ذلك الجانب. فقيل له فهل هناك ملك ؟ قال: نعم أعظم من هذا الملك. قيل: فكم لكم في البحر ؟ قال: سنتين

---

(١) خريدة العجائب وفريدة الغرائب ص/٥٦

وشهرين.

وقيل: إن دور هذا البحر ألفان وخمسمائة فرسخ، وطوله ثمانمائة فرسخ وعرضه ستمائة فرسخ، وهو مدور الشكل، إلى الطول أميز.

وبهذا البحر عجائب كثيرة:

منها: ما ذكره أبو حامد عن سلام الترجمان رسول الخليفة إلى ملك الخزر، قال: لما توجهت من عند الخليفة إليهم أقمت عندهم مدة فرأيتهم يوما قد اصطادوا سمكة عظيمة فجذبوها بالكلاليب والحبال، فانتفخت أذن السمكة فخرج منها جارية بيضاء حمراء طويلة الشعر، سوداؤه، حسنة الصورة طويلة القامة كأنها القمر البدر، وهي تضرب وجهها وتنتف شعرها وتصيح، وفي وسطها غشاء لحمي كالثوب الضيف من سرتها إلى ركبتها كأنه إزار مشدود عليها. فما زالت كذلك حتى ماتت.

ومنها **التنين**: ذكروا أنه يرتفع من هذا البحر تنين عظيم يشبه السحاب الأسود وينظر إليه الناس. وزعموا أنها دابة عظيمة في البحر تؤذي دوابه فيبعث الله عليها سحابا من سحب قدرته فيحملها ويخرجها من البحر. وهي صفة حية سوداء لا يمر ذنبها على شيء من الأبنية العظام إلا سحقته وهدمته، ولا من الأشجار إلا هدتها. وربما تنفست فاحترقت الأشجار والنبات.

قال: فيلقيها السحاب في الجزائر التي بها يأجوج ومأجوج فتكون لهم غذاء. وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما هذا القول.

وحكي أن الإسكندر لما أن فرغ من السد وأحكمه سر بذلك سرورا عظيما، وأمر بسرير فنصب له على السد فرقي عليه وحمد الله تعالى وأثنى عليه ثم قال: يا رب الأرباب ومسهل الصعاب، أنت ألهمتني بسد هذا المكان صونا للبلاد وراحة للعباد وقمعا لهذا العدو المطبوع على الفساد، فأحسن لي المثوبة في يوم المعاد، ورد غربتي وأحسن أوبتي. ثم سجد سجدة أطال فيها ثم استوى على فراشه واستلقى على ظهره لانتعاشه، وقال: الآن قد استرحت من سطوة الخزر ومقاساة الأتراك.". (١)

٨٣-"الجسر ويضربه ألف سوط ويقطع يديه ورجليه ففعل ذلك به ثم أحرقه بالنار وذلك * * * له كتبا وفيها أنه إذا صام الانسان ثلاثة أيام بلياليها ولم يفطر وأخذ في اليوم الرابع ورقات هندبا فأفطر عليها أغناه عن صوم رمضان وإذا صلى في ليلة واحدة ركعتين من أول الليل إلى الغداة أغنتاه عن الصلاة بعد ذلك وإذا تصدق في يوم واحد بجميع ملكه في ذلك اليوم أغناه عن الزكاة وإذا بنى بيتا وصام أياما ثم طاف حوله عريانا مرارا أغناه عن الحج وإذا صار إلى قبور الشهداء بمقابر قريش فاقام فيها عشرة أيام يصلى ويدعو ويصوم ولا يفطر إلا على يسير من الخبز الشعير والملح الجريش أغناه ذلك عن العبادة في باقى عمره فأحضر الفقهاء والقضاة بحضرة حامد فقيل له أتعرف هذا الكتاب قال هذا كتاب السنن للحسن

---

(١) خريدة العجائب وفريدة الغرائب ص/٦١

البصري فقال له حامد ألست تدين بما في هذا الكتاب فقال بلى هذا كتاب أدين الله بما فيه فقال له أبو عمر القاضى هذا نقض شرائع الاسلام ثم جاراه في كلام إلى أن قال له أبو عمر يا حلال الدم وكتب باحلال دمه وتبعه الفقهاء فأفتوا بقتله وأباحوا دمه وكتب إلى المقتدر بذلك فكتب إذا كانت القضاة قد أفتوا بقتله وأباحوا دمه فليحضر محمد بن عبد الصمد صاحب الشرطة وليضربه ألف سوط وإن تلف وإلا ضربت عنقه فأحضر بعد العشاء الآخرة ومعه جماعة من أصحابه على بغال مولية يجرون مجرى الساسة ليجعل على واحد منها ويدخل في غمار القوم فحمل وباتوا مجتمعين حوله فلما أصبح يوم الثلاثاء لست بقين من ذى القعدة أخرج ليقتل فجعل يتبختر في قيده ويقول: نديمى غير منسوب * إلى شئ من الحيف سقاني مثل ما يشرب * كفعل الضيف بالضيف فلما دارت الكاس * دعا بالنطع والسيف كذا من يشرب الراح * مع التنين في الصيف فضرب ألف سوط ثم قطعت يده ثم رجله وحز رأسه وأحرقت جثته وألقى رماده في دجلة أخبرنا عبد الرحمن بن محمد أخبرنا أحمد بن على بن ثابت حدثنا عبيد الله بن عثمان الصيرفى قال قال لنا أبو عمرو بن حيويه لما أخرج الحلاج ليقتل مضيت في جملة الناس ولم أزل أزاحم حتى رأيته فقال لاصحابه". (١)

٨٤-"وقد ذكر بعض أهل العلم أن يأجوج ومأجوج يرزقون التنين، يقذفه عليهم السحاب فيأكلونه، وإنما يقذف عليهم ذلك في أيام الربيع في كل عام، فإذا تأخر ذلك عن وقته المعهود استمطروه كما يستمطر الناس الغيث(١). وحكى صاحب كتاب العجائب أن في داخل بلاد يأجوج ومأجوج نهرا يسمى المسهر لا يعرف له قعر، وإذا تقاتلوا وأسر بعضهم طرحوا الأسرى في ذلك النهر فيرون عند ذلك طيورا عظاما تخرج إلى من يطرح في ذلك النهر من كهوف هناك في جانبي الوادي، فتخطفهم قبل أن يصلوا إلى الماء وترتفع بهم إلى تلك الكهوف فتأكلهم هناك. ويقال إن بهذا الوادي نارا تتأجج طول الزمان بقدرة الله تعالى وليس وراء يأجوج ومأجوج إلا المحيط والله سبحانه وتعالى أعلم: "وما يعلم جنود ربك إلا هو وما هي إلا ذكرى للبشر"(٢). "ويخلق ما لا تعلمون، وعلى الله قصد السبيل"(٣).

تم بحمد الله

الفهرس

---

(١) صلة تاريخ الطبري ص/٧٣

الملاحق ....

قائمة المصادر والمراجع...

قائمة المصادر والمراجع

- أسد الغابة فى معرفة الصحابة، لابن الأثير – ط. جمعية المعارف ١٢٨٠هـ.

- الإصابة فى تمييز الصحابة، لابن حجر – ط. القاهرة ١٣٢٣هـ وما بعدها.

- تاريخ الطبرى. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم – ط. دار المعارف ١٩٦١م وما بعدها.

---

(١) الغيث : المطر .

(٢) سورة المدثر: آية ٣١.

(٣) سورة النحل: آية ٩.". (١)

٨٥-"وبلغ من أمر أسقليبيوس أن أبرأ المرضى الذين يئس الناس من برئهم، ولما شاهده الناس من أفعاله ظن العامة أنه يحيي الموتى، وأنشد فيه شعراء اليونانيين الأشعار العجيبة، وضمنوها أنه يحيي الموتى، ويرد كل من مات إلى الدنيا، وزعموا أن الله تعالى رفعه إليه تكرمة له وإجلالا، وصيره في عديد الملائكة، ويقال أنه إدريس عليه السلام.

وقال يحيى النحوي أن أسقليبيوس عاش تسعين سنة، منها صبي وقبل أن تفتتح له القوة الإلهية خمسين سنة، وعالم معلم أربعين سنة، وخلف ابنين ماهرين في صناعة الطب، وعهد إليهما أن لا يعلما الطب إلا لأولادهما وأهل بيته، وأن لا يدخلا في صناعة الطب غريبا، وعهد إلى من يأتي بعده كذلك وأمرهم بأمرين أحدهما أن يسكنوا وسط المعمور من أرض اليونانيين، وذلك في ثلاث جزائر منها قو جزيرة ابقراط، والثاني أن لا تخرج صناعة الطب إلى الغرباء، بل يعلمها الآباء الأبناء.

قال جالينوس وأما صورته فصورة رجل ملتح متزين بجمة ذات ذوائب، ومما يبحث من أمر السبب في تصويره ملتحيا وتصوير أبيه أمرد، فبعض الناس يقول إنه صور وصيغ بهذه الحال، لأنه في وقت ما أصعده الله إليه كان كذلك، والبعض قال إن السبب في ذلك أن صناعته تحتاج إلى العفة والشيخوخة، وبعض الناس قال إن السبب في تجاوزه، في الحذق بصناعة الطب، أباه، وإذا تأملته وجدته قائما متشمرا مجموع الثياب، فيدل بهذا الشكل على أنه ينبغي للأطباء أن يتفلسفوا في جميع الأوقات، وترى الأعضاء منه التي يستحى من تكشفها مستورة، والأعضاء التي يحتاج إلى استعمال الصناعة بها معراة مكشوفة، ويصور آخذا بيده عصا، معوجة ذات شعب، من شجرة الخطمي فيدل بذلك على أنه يمكن في صناعة الطب أن يبلغ بمن استعملها من السن أن يحتاج إلى عصا يتكئ عليها؛ أو لأن من أعطاه الله تبارك وتعالى بعض العطايا يؤهل لإعطاء عصا، بمنزلة ما وهب لإيفاسطس وزوس وهرمس، وبهذه العصا نجد زوس يقر أعين من يحب من الناس، فينبه بها أيضا النيام، وأما تصويرهم تلك العصا من شجر الخطمي، فلأنه يطرد وينفي كل مرض، وقال جالينوس وأما أعوجاجها

---

(١) عجائب البلدان من خلال مخطوط خريدة العجائب وفريدة الغرائب ص/١٧٠

وكثرة شعبها فتدل على كثرة الأصناف والتفنن الموجود في صناعة الطب، ولن نجدهم أيضا تركوا تلك العصا بغير زينة ولا تهيئة، لكنهم صوروا عليها صورة حيوان طويل العمر، ملتف عليها وهو **التنين**، ويقرب هذا الحيوان من اسقليبيوس لأسباب كثيرة، أحدها أنه حيوان حاد النظر، كثير السهر، لا ينام في وقت من الأوقات، وقد ينبغي لمن قصد تعلم صناعة الطب أن لا يتشاغل عنها بالنوم، ويكون في غاية الذكاء ليمكنه أن يتقدم فينذر بما هو حاضر، وبما من شأنه أن يحدث، وذلك أنك تجد أبقراط يشير بهذا الفعل في قوله إني أرى أنه من أفضل الأمور أن يستعمل الطبيب سابق النظر، وذلك أنه إذا سبق فعلم وتقدم، فانذر المرضى بالشيء الحاضر مما بهم، وما مضى وما يستأنف". (١)

٨٦-"وقد يقال أيضا في تصوير **التنين** على العصا، الماسك لها اسقليبيوس، قول آخر وهو هذا قالوا هذا الحيوان، أعني **التنين**، طويل العمر جدا، حتى أن حياته يقال أنها الدهر كله؛ وقد يمكن في المستعملين لصناعة الطب أن تطول أعمارهم، من ذلك أنا نجد ديموقريطس وأيرودوطس عندما استعملوا الوصايا التي تأمر بها صناعة الطب طالت حياتهم جدا، فكما أن هذا الحيوان، أعني **التنين**، يسلخ عنه لباسه الذي يسميه اليونانيون الشيخوخة، كذلك أيضا قد يمكن الناس، باستعمال صناعة الطب إذا سلخوا عنهم الشيخوخة التي تفيدهم إياها الأمراض، أن يستفيدوا الصحة، وإذا صوروا أسقليبيوس جعل على رأسه إكليل متخذ من شجر الغار، لأن هذه الشجرة تذهب بالحزن، ولهذا نجد هرمس إذ سمي المهيب كلل بمثل هذا الإكليل، فإن الأطباء ينبغي لهم أن يصرفوا عنهم الأحزان كذلك كلل اسقليبوس بأكليل يذهب بالحزن، أو لأن الأكليل كان يعم صناعة الطب والكهانة، رأوا أنه ينبغي أن يكون الإكليل الذي يتكلل به الأطباء والمتكهنون إكليلا واحدا بعينه؛ أو لأن هذه الشجرة أيضا فيها قوة تشفي الأمراض، من ذلك أنك تجدها إذا ألقيت في بعض المواضع هربت من ذلك الموضع الهوام ذوات السموم وكذلك أيضا النبت المسمى قونورا، وثمرة هذه الشجرة أيضا وهي التي تسمى حب الغار، إذا مرخ بها البدن فعلت فيه شبيها بفعل الجند بيدستر، وإذا صوروا ذلك **التنين** جعلوا بيده بيضه، يومون بذلك إلى أن هذا العالم كله يحتاج إلى الطب، ومثال الكل مثال البيضة.

وقد ينبغي لنا أن نتكلم أيضا في الذبائح التي تذبح باسم أسقليبيوس تقربا إلى الله تبارك وتعالى، فنقول أنه لم يوجد أحد قرب لله قربانا باسم أسقليبيوس، في وقت من الأوقات، شيئا من الماعز، وذلك لأن شعر هذا الحيوان لا يسهل غزله بمنزلة الصوف، ومن أكثر من لحمه سهل وقوعه في أمراض الصرع لأن الغذاء المتولد عنه رديء الكيموس، مجفف غليظ حريف، يميل إلى الدم السوداوي.

قال جالينوس بل إنما نجد الناس يقربون إلى الله تبارك وتعالى باسم أسقليبيوس ديكة، ويرون أيضا أن سقراط قرب له هذه الذبيحة فبهذه الحال علم هذا الرجل الإلهي الناس صناعة الطب، قنية ثابتة أفضل كثيرا من الأشياء التي استخرجها ديونوسس وديميطر، قال حنين يعني باستخراج ديونوسس الخمر، وذلك أن اليونانيين يرون أن أول من استخرج الخمر ديونوسس ويومي الشعراء بهذا الاسم إلى القوة، التي إذا غيرت الماء في الكرمة أعدته ليكون الخمرة والسرور المتولد عنها في

---

(١) عيون الأنباء في طبقات الأطباء ص/١٣

شرابها.
وأما استخراج ديميطر فالخبز وسائر الحبوب التي يتخذ منها، ولهذا نجدهم يسمون هذه الحبوب بهذا الاسم، وقد تسمي الشعراء بهذا الاسم أيضا الأرض المخرجة للحبوب.
وأما استخراج اسقليبيوس فيعني به الصحة، وهي التي لا يمكن دونها أن يقتني شيء من الأشياء التي ينتفع بها أو يلتذ.
قال جالينوس وذلك أن ما استخرجه هذان لا ينتفع به ما لم يكن استخراج اسقليبيوس موجودا.
وأما صورة الكرسي الذي يقعد عليه اسقليبيوس فصورة القوة التي تستفاد بها الصحة، وهي أشرف القوى.وإذا تأملت صورة أسقليبيوس وجدته قاعدا متكئا على رجال مصورين حوله، وذلك واجب لأنه ينبغي أن يكون ثابتا لا يزول من بين الناس، ويصور عليه تنين ملتف حوله وقد خبرت سبب ذلك فيما تقدم.
ومن الآداب والحكم التي لأسقليبيوس مما ذكره الأمير أبو الوفاء المبشر بن فاتك في كتاب مختار الحكم ومحاسن الكلم قال أسقليبيوس من عرف الأيام لم يغفل الاستعداد.وقال المتعبد بغير معرفة كحمار الطاحون يدور ولا يبرح، ولا يدري ما هو فاعل.
وقال فوت الحاجة خير من طلبها إلى غير أهلها.
وقال إعطاء الفاجر تقوية له على فجوره؛ والصنيعة عند الكفور أضاعة للنعمة؛ وتعليم الجاهل ازدياد في الجهل؛ ومسألة اللئيم أهانة للعرض.
وقال إني لأعجب ممن يحتمي من المآكل الرديئة مخافة الضرر، ولا يدع الذنوب مخافة الآخرة.
وقال أكثروا من الصمت فإنه سلامة من المقت، واستعملوا الصدق فإنه زين النطق.
وقيل له صف لنا الدنيا فقال أمس أجل، واليوم عمل، وغدا أمل، وقال المشفق عليكم يسيء الظن بكم، والزاري عليكم كثير العتب لكم، وذو البغضاء لكم قليل النصيحة لكم". (١)

٨٧-"إن هذه الدولة اليهودية (الصغيرة) بل الحقيرة تمسك بتلابيب الغرب النصراني مبتزة إياه باقتنائها المتفلت لأسلحة الدمار الشامل، وهي تفرض بذلك هواجس دائمة بأنها تملك جره إلى حرب مباشرة، كما حدث في حرب ١٩٧٣م عندما هددت (إسرائيل) في بدايتها باستعمال السلاح النووي مما دفع الرئيس الأمريكي الأسبق إلى أن يعلن استنفارا نوويا من الدرجة الثالثة من الاستعداد في كل أنحاء العالم، وتكرر هذا الابتزاز في حرب الخليج عندما أطلق صدام حسين صواريخه على تل أبيب؛ ولكن اليهود مع هذا يعلمون أنهم سيكونون أول ضحايا حرب نووية في المنطقة، ولهذا؛ فإنهم يعتمدون ما يسمى ب (الخيار شمشون)(١) ومعناه: أنهم سيضحون بالجميع إذا ترجح عندهم أنهم يواجهون خطر الاستئصال.
الأخطاء المقصودة والعصمة المفقودة:
وفي ظل هذا الواقع الرهيب -إن كان له ظل- هل يملك المالكون لأزمة الآلة العسكرية في بلاد الغرب أو الشرق الأوسط

---
(١) عيون الأنباء في طبقات الأطباء ص/١٤

أو الأدنى أو الأقصى، هل يملكون عصمة تمنعهم من فتح أبواب الجحيم الدنيوي ولو على سبيل الخطأ ؟!
إن من سوء حظ البشرية تحت القيادة الغربية، أن الشواهد كلها تدل على أن السيطرة الكاملة على **التنين** النووي ذي الرؤوس الذرية –إلى ما لا نهاية– أمر مستحيل؛ فنحن أمام حقيقة تقول: إما أن تفني البشرية هذا الخطر أو يفنيها، إلا أن يشاء الله –تعالى– الرحيم بعباده شيئا آخر ينقذ به الإنسانية من الشر الكامن فيها؛ وإلا فإفناء البشرية لترسانات الدمار الشامل يحتاج إلى قوة رشيدة عاقلة ذات دين، وأين هي الآن؟! فاللهم رحماك!

---

(١) يراجع في ذلك كتاب: (الخيار شمشون –أسرار وخفايا الترسانة النووية الإسرائيلية) تأليف سيمور هيرش، دار الكتاب العربي، وشمشون هو أحد (أبطال) الأساطير اليهودية الذي هدم المعبد عليه وعلى أعدائه.". [١]

٨٨–"هذه أسئلة مهمة أجيب عنها بإذن الله في المقال القادم..
وأسأل الله تعالى أن يعز الإسلام والمسلمين.

المصدر/ موقع قصة الاسلام
٢٠٠٩/٧/٣٠

لبيك تركستان!!

د. راغب السرجاني

لعلنا في المقالات الثلاثة السابقة: "قصة الإسلام في الصين" و"كنوز التركستان الشرقية" و"الصين الشيوعية والتركستان المسلمة" قد ألقينا بعض الضوء على هذه القصة المؤلمة لقطر إسلامي عزيز يتعرض للضيم والقهر، ويفتتن في دينه، ويمر بأزمة لعلها من أشد أزمات العالم ضراوة.
ومع ذلك فالكلام وحده لا يجدي، والمعرفة بمفردها لا تنفع، وإنما يجب على المسلمين أن يتحركوا بإيجابية لحل قضاياهم الكبرى بشكل يرضي الله ورسوله. وأنا أعلم أن مشاكل الأمة كثرت، وأن كل واحد من المخلصين والمخلصات من أبناء هذه الأمة الكريمة مشغول بعشرات ومئات القضايا المهمة الأخرى، لكن يبقى هناك دوما أدوار يمكن لنا أن نفعلها لمساعدة إخواننا وأخواتنا هناك. ولا شك أننا لو كنا في مكانهم لتمنينا أن يقف العالم الإسلامي كله معنا، ولا يدري أحد على من تدور الدائرة غدا!!
ثلاث مسائل مهمة

---

(١) قبل ان يهدم الاقصى–عبدالعزيز كامل ص/١٠٣

ولا شك أن المعظم من المتابعين للأحداث يجد أن الإعانة لهم أمر صعب وشاق، وسبب ذلك أن الذي يضطهدهم هو **التنين** الصيني العملاق، وهي دولة قوية بإمكانات جبارة. ولكن دعوني أقف مع هذه النقطة وقفة سريعة؛ لألفت انتباه القراء الأعزاء إلى ثلاث مسائل مهمة قبل الخوض في وسائل مساعدة المسلمين في التركستان..". (١)

٨٩-"هذا الرقم المهول يزداد كل عام بمقدار ٤٠٪ يمثل فيه الخليج نحو نصفه، وتمثل دولة كالإمارات ثلث نسبة دول مجلس التعاون الخليجي، والتي تحوي سوق **التنين** الصيني بدبي وهو أكبر سوق صيني خارج الصين في العالم. وقبل ثلاثة أسابيع كانت ١١٠٠ شركة صينية تعرض بضائعها في معرض منتجات الصين الثالث، والذي قال عنه المدير العام لشركة جلوبال سورسز لمنطقة الشرق الأوسط بيل جانيري "أن المعرض يأتي في الوقت الذي تعتبر الإمارات حاليا الوجهة الرئيسية للصادرات الصينية، في الوقت الذي يشهد نشاط الأسواق الغربية تباطؤا بسبب الركود العالمي." أي أنه جاء منقذا في لحظة اقتصادية عالمية متعثرة؛ فالصين أزاحت الولايات المتحدة عن صدارة موردي الإمارات فيما صعدت الصين إلى المرتبة الثانية بعد الولايات المتحدة بالنسبة لموردي السعودية، وهي بلد تستورد ما يقدر بنحو مائة مليار دولار سنويا.

ويزور آلاف المستثمرين العرب والمسلمين الصين للاستيراد منها يوميا وينفقون هناك عشرات المليارات من الدولارات..

كل هذا لا أثر له على قرار آمر الشرطة الصينية عندما أصدره بفتح نيران أسلحته على صدور المسلمين العزل!! هذا بالطبع مما لا ينتظر ألا يمر دون نظر أولي النهي لاسيما أن المسلمين في العالم متطلعون لنخوة الشعوب العربية، منتظرون ما هو أكثر من هذا من الحكام العرب وجامعتهم ومنظمة المؤتمر الإسلامي التي يهيمن على قراراتها العرب أيضا، ومؤسسات دينية عريقة كالأزهر ورابطة العالم الإسلامي وغيرها.

إن لدينا من أوراق الضغط الكثير، لا ندركها ولا نتعاطى بها، مع الأخذ بالاعتبار أن هذه الأوراق لا تضير لاعبيها لأننا الطرف الذي يمكنه أن يفرض إرادته على الصينيين لو أراد، ولا يحاذر من مشكلات عسكرية واستعمارية معه.". (٢)

٩٠-"ومع كل هذه الخيرات الربانية والثروات الطبيعية فإن ٨٠٪ من الإيغور المسلمين في تركستان الشرقية يعيشون تحت خط الفقر حيث يبلغ معدل دخل الفرد السنوي نحو ٥٠ دولارا، ولا يعمل في شركات النفط والغاز في مدينة (قارماي) سوى ١٢٪ من المسلمين الأويغور بينما باقي الوظائف تذهب لعرق الهان من الصينيين الشيوعيين. ويحرم الأويغور المسلمين من التعليم حيث لا تتعدى نسبة الطلاب الأويغور في الجامعات والكليات الفنية ١٠٪ . ومن المحزن أن تتخذ الحكومة الصينية أراضي تركستان الشرقية مركزا لإجراء تجاربها وتفجيراتها النووية دون اكتراث لأخطار التلوث النووي التي قد تصيب المواطنين من الأويغور المسلمين وهو ما وقع فعلا حيث تتزايد حالات الإصابة بأمراض السرطان وتشوهات الأجنة وعدم القدرة على الإنجاب وغير ذلك من الأمراض.

---

(١) مجزرة تركستان الشرقية-فلسطين الشرق ص/١٤٧

(٢) مجزرة تركستان الشرقية-فلسطين الشرق ص/١٦١

وبالمختصر المفيد فإن خيرات تركستان الشرقية تذهب لعرق الهان المستوطنين والويلات تكون من نصيب الإيغور وهم السكان الأصليون للبلاد .

إن الثروات الهائلة التي تتمتع بها تركستان الشرقية تفسر سبب رفض الصين المطلق لحق المسلمين الأويغور في تقرير المصير، وهو ذات السبب الذي يفسر قوة أوراق الضغط التي يمكن لأرباب المال العالمي تحريكها من أجل ترويض التنين الاقتصادي الصيني، هذا الضغط الذي جعل الرئيس الصيني يغادر على عجل اجتماعات دول الثماني لمتابعة مجريات الأحداث في بلاده ، وأما نحن فليس منا فعل ولا حتى رد فعل سوى تركيا التي اعتبرت ما يجري للأويغور إبادة جماعية، وباكستان التي استنكرت محاولات وقف تقدم الصين ولو على حساب دماء المسلمين الزكية ، قاتل الله البراغماتية السياسية !! .". (١)

٩١-"وتمثل هذا الواجب أيضا في أهمية وضرورة مقاطعة البضائع الصينية التي تغزو أسواقنا، فهي تفتقد للجودة، وتنطوي على أمراض كثيرة، كالتي عثر عليها في دمى ولعب الأطفال، وفي الحليب المستورد من الصين، وغيرها من الصناعات الصينية البائسة.

ثانيا: التعريف بقضية المسلمين في تركستان وآسيا الوسطى والقوقاز بنفس قدر تغطية أحداث العالم الإسلامي.

ثالثا: محاولة الضغط على الصين بالقدر المتاح لتخفيف ضغطها على المسلمين في تركستان الشرقية وغيرها. فمن غير اللائق أن تستمر الصين في اضطهادها للمسلمين، ونحن نساعدها بشراء سلعها التي تذهب أثمانها لتمويل العدوان على المسلمين. فالمسلمون هناك لا يريدون أكثر من أن يعيشوا بكرامة وحرية في أرضهم. فهم ليسوا صينيين، وتركستان ليست، سينكيانغ. وعلى أحرار العالم كسر الحصار المفروض على تركستان، إعلاميا واقتصاديا وسياسيا، فهناك يتعرضون لابادة ثقافية ولغوية واقتصادية وعلى كل الأصعدة.

المصدر :«موقع المسلم»، " لواء الشريعة"

تاريخ النشر : ١٠ يوليو، ٢٠٠٩ م

مسلمو الأويغور.. بأي ذنب قتلوا؟!

علاء البشبيشي

مسلمو الأويغور يصطلون بنيران التنين الصيني، فقد قتل منهم العشرات، واعتقل من بينهم المئات، وحرم حتى شيوخهم من صلاة الجمعة بعد أن أغلقت مساجدهم؛ بحجة احتواء "الشغب".. فماذا لو كانوا مسيحيين؟! وأين إخوانهم المسلمون الذين يفوق عددهم المليار حول العالم؟! وما الذي تمثله هذه البقعة للصين حتى تراق من أجلها الدماء، وترتكب بسببها المذابح؟! السؤال الرابع، الأكثر إيلاما، هو: ماذا يعرف عامة المسلمين أصلا عن هذه القضية؟!

---

(١) مجزرة تركستان الشرقية-فلسطين الشرق ص/٢٤٠

إطلالات أربع على هذه المأساة..

(١)

(ماذا لو كان الأويغور مسيحيين وليسوا مسلمين؟)، تساؤل طرحه "جلين جرينولد"، في مقال نشرته صحيفة صالون الأمريكية جاء فيه:". (١)

٩٢-""تركستان الغربية" أو آسيا الوسطى التي تشغل الثلث الشمالي من قارة آسيا، ويحدها من الشرق "جبال تيان شان"، ومن الغرب "جبال الأورال" و"بحر قزوين"، ومن الشمال سلاسل جبلية قليلة الارتفاع، ومن الجنوب هضبة.

تركستان الشرقية الخاضعة الآن للصين، وقد أطلق الصينيون عليها اسم "شينجيانج"، وتعني الوطن الجديد، أو المستعمرة الجديدة، يحدها من الشمال الغربي ثلاث جمهوريات إسلامية هي: كازاخستان، وقيرغيزستان، وطاجيستان، ومن الجنوب: أفغانستان، وباكستان، ومن الشرق أقاليم التبت الصينية.

وتحتل القومية الأويغورية المكانة الأولى داخلها؛ حيث يمثلون النسبة الأعلى من السكان، وأما عاصمتها فهي مدينة كاشغر، الواقعة في الجنوب، قرب الحدود الصينية الغربية، وهي مدينة يعتنق معظم سكانها الدين الإسلامي، ولا زالت تحتشد فيها آلاف المساجد.

هؤلاء هم مسلمو الأويغور الذين أحرقهم **التنين** الصيني حقدا، وتخلى عنهم إخوانهم المسلمون تخاذلا، فوجدوا أنفسهم بين مطرقة القمع وسندان التجاهل، وهو ما دفع، حتى الأطفال، إلى التساؤل.. بأي ذنب يقتلون؟!

المصدر/ البشير للأخبار

٢٥ رجب ١٤٣٠ الموافق ١٨ يوليو ٢٠٠٩

حملة صينية متواصلة لطمس هوية تركستان الشرقية الإسلامية

دبي- محمد عبيد

سلطت أحداث العنف الدامي، الذي شهده إقليم شينجيانغ (تركستان) الصيني أو ما يعرف تاريخيا باسم "تركستان الشرقية" خلال الأيام القليلة الماضية والذي أوقع حسب تقديرات رسمية نحو ١٦٠ قتيلا غالبيتهم من طائفة الأويغور المسلمين، الضوء على حجم المعاناة التي تعانيها تلك الأقلية وتاريخ الإقليم وما مر به من أحداث ومحاولات التهميش التي تعرض لها مسلمو الإقليم من طائفة الأويغور وهي العرقية الأكثر عددا في الإقليم.". (٢)

---

(١) مجزرة تركستان الشرقية-فلسطين الشرق ص/٢٤٧

(٢) مجزرة تركستان الشرقية-فلسطين الشرق ص/٢٥٠

٩٣-"فأما نيطش فإنه يمتد من بلاد لاذقة إلى القسطنطينية وطوله ألف ومائةميل، وعرضه في الأصل ثلثمائة ميل، وفيه يصب النهر العظيم المعروف بأطنابس، وقد قدمنا ذكره، ومبدأ هذا البحر من الشمال، وعليه كثير من ولد يافث بن نوح، وخروجه من بحيرة عظيمة في الشمال من أعين وجبال، ويكون مقدار جريانه على وجه الأرض نحو ثلثمائة فرسخ عمائر متصلة لولد يافث، ويسير بحر مانطش فيما زعم قوم من أهل العناية بهذا الشأن حتى يصب في بحر نيطش، وهذا البحرعظيم فيه أنواع من الأحجار والحشائش والعقاقير، وقد ذكره جماعة ممن تقدم من الفلاسفة، ومن الناس من يسمى بحرمانطش بحيرة، ويجعل طوله ثلثمائة ميل،وعرضه مائة ميل، ومنه ينفجرخليج القسطنطينية الذي يصب إلى بحر الروم، وطوله ثلثمائة ميل، وعرضه نحو من خمسين ميلا، وعليه القسطنطينية والعمائر من أوله إلى آخره، والقسطنطينية من الجانب الغربي من هذا الخليج، متصلة ببر رومية والأندلس وغيرهما فيجب والله أعلم على قول المنجمين من أصحاب الزيجات وغيرهم ممن تقدم، أن بحر البلغر والروس، وبجنى وبجناك وبغرد، وهم ثلاثة أنواع الترك هو بحر نيطش، وسيأتي ذكر هؤلاء الأمم فيما يرد من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى على حسب استحقاقهم في ذكرهم، واتصال عمائرهم، ومن يركب هذا البحر منهم ومن لا يركبه، والله أعلم.

ذكر بحر الباب والأبواب والخزر وجرجان

وجمل من الأخبارعلي ترتيب البحار

بحر الأعاجم

فأما بحر الأعاجبم الذي عليه دورها ومساكنها فهو معمور بالناس من جميع جهاته، وهو المعروف ببحر الباب والأبواب والخزر والجيل والديلم وجرجان وطبرستان، وعليه أنواع من الترك، وينتهي في إحدى جهاته نحو بلاد خوارزم، وطوله ثمانمائة ميل، وعرضه ستمائة ميل، وهو مدور الشكل إلى الطول، وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب جملا من ذكرالأمم المحيطة بهذه البحار المعمورة، وهذا البحر الذي هو بحر الأعاجم كثير التنانين، وكذلك بحر الروم فالتنان فيهما كثيرة، وكثيرا ما تكون مما يلي بلاد طرابلس واللاذقية والجبل الأقرع من أعمال أنطاكية، وتحت هذا الجبل معظم ماء البحر وأكثره، ويسمى عجز البحر، وغايته إلى ساحل أنطاكية ورشيد والإسكندرية وحصن المثقب وذلك في سفح جبل اللكام وساحل المصيصة، وفيه مصب نهر جيحان، وساحل أذنة، وفيه مصب سيحان، وساحل طرسوس، وفيه مصب نهر بردان،وهو نهر طرسوس،ثم البلد الخالي من العمارات الخراب بين الروم والمسلمين مما يلي مدينة قلمية إلى قبرص وقريطس وقراسيا، ثم بلاد سلوقية ونهرها العظيم الذي يصب في هذا البحر، ثم حصون الروم إلى خليج القسطنطينية. وقد أعرضنا عن ذكر أنهار كثيرة بأرض الروم ومما يصب إلى هذاالبحر كنهر البارد ونهر العسل وغيرهما من الأنهار.

والعمارة على هذا البحر من المضيق الذي قدمنا ذكره، وهو الخليج الذي عليه طنجة، متصلة بساحل المغرب وبلاد إفريقية والسوس وطرابلس المغرب والقيروان وساحل برقة والرفادة وبلاد الإسكندرية ورشيد وتنيس ودمياط وساحل الشام وساحل الثغور الشامية ثم ساحل الروم مارا متصلا إلى بلاد رومية إلى أن يتصل بساحل الأندلس، إلى أن ينتهي إلى ساحل الخليج الضيق المقابل لطنجة طى ما ذكرنا لا تنقطع من هذا البركله ألعمائر التي وصفناها من الإسلام والروم إلا الأنهار الجارية إلى البحر وخليج القسطنطينية، وعرضه نحو من ميل، وخلجانات اخر داخلة في البرلا منفذ لها؛ فجميع ما ذكرنا على شاطىء

هذا البحر الرومي متصلو الديار غير منفصلين بما يقطعهم أو يمنعهم إلا ما ذكرنا من الأنهار وخليج القسطنطينية، ومثال هذا البحر الرومي، ومثال ما ذكرنا من العمائر عليه إلى أن ينتهي إلى مبدأ الخليج الضيق الآخذ من أوقيانوس الذي عليه المنارة النحاس، ويلي الأعلى من طنجة، وساحل الأندلس: مثل الكرنيب، في قبضة الخليج، والكرنيب على ضفة البحر، إلا أنه ليس بمدور الشكل، لما ذكرنا من طوله.وليس تعرف التنانين في البحرالحبشي، ولا في شيء من خلجانه من حيث وصفنا في نهاياته، وأكثرها يظهر مما يلي بحر أوقيانوس.

التنين وآراء الناس فيه". (١)

٩٤-"وقد اختلف الناس في **التنين**: فمنهم من رأى أنه ريح سوداء تكون في قعر البحر فتظهر إلى النسيم، وهو الجو، فتحلق السحب كالزوبعة، فإذا صارت من الأرض واستدارت وأثارت معها الغبار ثم استطالت في الهواء ذاهبة الصعداء توهم الناس أنها حيات سود قد ظهرت من البحر لسواد السحاب، وذهاب الضوء وترادف الرياح.ومنهم من رأى أنها دواب تتكون في قعر البحر، فتعظم وتؤذي دواب البحر، فيبعث الله عليها السحاب والملائكة فيخرجونها من بينها، وأنها على صورة الحية السوداء لها بريق وبصيص، لا تمر بمدينة إلا أتت على ما لا يقدر عليه من بناء عظيم أوشجرأوجبل، وربما تتنفس فتحرق الشجرة الكبيرة فيلقيه السحاب في بلد يأجوج ومأجوج، ويمطر السحاب عليهم، فيقتل **التنين**، فمنه يتغذى يأجوج ومأجوج، وهذا القول يعزى إلى ابن عباس.وقد ذكر قوم في **التنين** غير ما ذكرنا، وكذلك حكى قوم من أهل السير وأصحاب القصص أموراً في ما ذكرنا أعرضنا عن ذكرها، منها خبر عمران بن جابر الذي صعد في النيل، فألمحرك غايته، وعبر البحر على ظهردابة تعلق بشعرها وهي دابة ينجر منها على الأرض شبر من قوائمها تغادي قرن الشمس من مبدأ طلوعها إلى حال غروبها فاغرة فاها نحوها لتبتلع عند نفسها - الشمس فعبرعلى وصفنا من تعلقه بشعرها البحر، ودار بدورانها طلبا لعين الشمس، حتى صار إلى ذلك الجانب، فرأى النيل منحدرا من قصور الذهب من، الجنة، وأعطاه الملك العنقود العنب، وأنه أتى الرجل الذي رآه في ذهابه، ووصف له كيف يفعل في وصوله إلى مبدأ النيل، فجم! ميتا، وخبر إبليس معه والعنقود العنب، وغير ذلك من خرافات حشوية عن أصحاب الحديث، ومنها ما روي أن قبة من الذهب وأنواع الجوهر فى وسط البحر الأخضر على أربعة أركان من الياقوت الأحمر ينحدر من كل ركن من هذه الأركان ماء عظيم من رشحه فقسم إلى جهات أربع في ذلك البحر الأخضر غير مخالط له، ولا متماس به، ثم ينتهي إلى جهات من البر من سواحل ذلك البحر، أحدها النيل، والثاني سيحان، والثالث جيحان، والرابع الفرات، ومنها أن الملك الموكك بالبحار يضع عقبه في أقصى بحر الصين فيفر منه البحر، فيكون منه المد، ثم يرفع عقبه من البحرفيرجع الماء إلى مركزه، ويطلب قعره، فيكون الجزر، ومثلوا ذلك بإناء فيه ماء في مقدار النصف منه، فيضع الإنسان يده أورجله فيملأ الماء الإناء، فإذا رفعها رجع الماء إل حده، وانتهى إلى غايته، ومنهم من رأأن الملك يضع إبهامه من كفه اليمنى في البحر فيكون منه المد، ثم يرفعها فيكون الجزر وما ذكرنا فغير ممتنع كونه، ولا واجب، وهو داخل فى حيز الممكن والجائزلأن طريقه في النقل طريق الأفراد

(١) مروج الذهب ٤٦/١

والآحاد، ولم يرد مورد التواتر والاستفاضة كالأخبار الموجبة للعم، والعلل القاطعة للعذر في النقل، فإن قارنها دلائل توجب صحتها وجب التسليم لها، والانقياد إلى ما أوجب اللة عز وجل علينا من أخبار الشريعة والعمل بها؛ لقوله عز وجل " وما آتاكم الرسول فخنوه، وما نهاكم عنه فانتهوا " ، وإن لم يصح ما ذكرنا فقد وصفنا آنفا ما قال الناس في ذلك، وإنما ذكرنا هذا ليعلم من قرأ هذا الكتاب أنا قد اجتهدنا فيما أوردناه في هذا الكتاب وغيره من كتبنا، ولم يعرب عنا فهم ما قاله الناس في سائر ما ذكرنا، وبالله التوفيق.

جملة البحار". (١)

٩٥-"قال المسعودي: فهؤلاء الملوك الذين أتينا على ذكرهم، وأسمائهم،ومدة مملكتهم، وقد رسمت أسماؤهم هكذا في كتب التواريخ السالفة، وهم الذين شيدوا البنيان، ومدنوا المدن، وكوروا الكور، وحفروا الأنهار، وغرسوا الأشجار، واستنبطوا المياه، وأثاروا الأرضين، واستخرجوا المعادن من الحديد والرصاص والنحاس وغير ذلك، وطبعوا السيوف، واتخذوا عدة الحرب، وغير ذلك من الحيل والمكايد، ونصبوا قوانين الحرب بالقلب والميمنة والميسرة والأجنحة، وجعلوا ذلك مثالا لأعضاء جسد الإنسان، ورتبوا لكل جزء نوعا من الأمة لا يوازيها غيرها فجعلوا أعلام القلب على صورة الفيل **والتنين** وما عظم من أجناس الحيوان، وجعلوا أعلام الميمنة والميسرة على صورة السباع على حسب عظمها واختلافها في أنواعها، وجعلوا في الأجنحة صور ما لطف من السباع كالنمر والذئب، وجعلوا صور أعلام الكمناء، على صور الحيات والعقارب، وما خفي فعله من هوام الأرض، وجعلوا ألوان كل نوع منها من السواد وغيره من الألوان الستة، وهي: السواد والبياض، والصفرة والحمرة والخضرة، ولون السماء.

بحث في الألوان

وقد ذكر قوم أن الألوان ثمانية على حسب الموضع المستحق لها،ومنعوا أن تكون الحمرة تشوب شيئا من ذلك إلا ما لطف من أجزائها داخلا في جملة الأكثر من أشباه الحيوان من تلك الأعلام، وعموا أن قضية القياس توجب أن تكون سائر أعلام الحرب حمراء؛ إذ كانت أليق وأشكل بلون الدم، وأكثر ملاءمة، إذ كان لونهما واحدا، لكن منع من ذلك استعمالها في خال الزينة والطرب وأوقات السرور، واستعمال النساء والصبيان لها، وفرح النفوس بها، وأوجب ترك ذلك، وإن حس البصر مشاكل للون الحمرة، إذا كان من شأنه أنه إذا أدركها انبسط نوره في إدراكها، وإذا وقع البصر على اللون الأسود نوره ولم ينبسط في إدراكه انبساطه في الحمرة، وأن النسبة الواقعة بين بصر الناظر وبين لون الحمرة الاشتراك، والمباينة الضدية بين نور البصر ولون السواد.وتكلم هؤلاء القوم في مراتب الألوان من الحمرة والسواد والبياض وغيرها، ومراتب الأنوار، وما وجه ذلك من أسرار الطبيعة، والحد المشترك بين نورية حس البصر وبين لون الحمرة والبياض، والضد المباين بين السواد وبين نور البصر، دون سائر الألوان من الحمرة والخضرة والصفرة والبياض، وتغلغل القوم في هذه المعاني إلى ما علا من الأجسام السماوية من النيرين والخمسة، واختلافها في ألوانها، وإلى غير ذلك من الأشخاص العلوية.وقد أتينا على ما قالوه من ذلك

---

(١) مروج الذهب ٤٧/١

فيما سلف من كتبنا، وأتينا على سير هؤلاء الملوك وأخبارهم واختلافهم في كتابنا أخبار الزمان، وفي الكتاب الأوسط.وقد ذهبت طائفة من الناس إلى أن هؤلاء الملوك كانوا من النبط وغيرهم من الأمم، وأنه كان يرأس بعضهم غيره من ملوك الفرس ممن كان مقيما ببلخ، والأشهر ما قدمناه، وسنورد فيما يرد من هذا الكتاب لمعا من أخبار النبط وأنسابهم.

ذكر ملوك الفرس الأولى

وجمل من سيرهم وأخبارهم

أصل الفرس

الفرس تخبر مع اختلاف آرائها وبعد أوطانها وتباينها في ديارها وما ألزمته أنفسها من حفظ أنسابها، ينقل ذلك باق عن ماض، وصغير عن كبير أن أول ملوكهم كيومرث ثم تنازعوا فيه فمنهم من زعم أنه ابن آدم، والأكبر من ولده، ومنهم من زعم وهم الأقلون عددا – أنه أصل النسل وينبوع النرء، وقد ذهبت طائفة منهم إلى أن كيومرث هو أميم بن لاوذ بن إرم بن سام بن نوح، لأن أميما أول من حل بفارس من ولد نوح، وكان كيومرث ينزل بفارس، والفرس لا تعرف طوفان نوح، والقوم الذين كانوا بين آدم ونوح عليهما السلام كان لسانهم سريانيا. ولم يكن عليهم ملك، بل بهانوا في مسكن واحد، والله أعلم بذلك.

كيومرث أول الملوك". (١)

٩٦-" اللبس السطور الراي الليف اللبيس الأبرميس الاتونس اللباء العميان المناقير القلميدس الحلبوة الرقاص القريدس الجبر هو كباره الصيح المجزع الدلينس الأشبال المساك الأبيض الزقزوق أم عبيد السلور أم الأسنان الأبسارية اللجاة

وينسب إليها خلق كثير من أهل العلممنهم محمد بن علي بن الحسين بن أحمد أبو بكر التنيسي المعروف بالنقاش قال أبو القاسم الدمشقي سمع بدمشق محمد بن حريم ومحمد بن عتاب الزفتي وأحمد بن عمير بن جوصا وحمامة بن محمد وسعيد بن عبد العزيز والسلام بن معاذ التميمي ومحمد بن عبد الله مكحولا البيروتي وأبا عبد الرحمن السناني وأبا القاسم البغوي وزكرياء بن يحيى الساجي وأبا بكر الباغندي وأبا يعلى الموصلي وغيرهم روى عنه الدارقطني وغيره ومات سنة ٣٦٩ في شعبان ومولده في رمضان سنة ٢٨٢ وأبو زكرياء يحيى بن أبي حسان التنيسي الشامي أصله من دمشق سكن تنيس يروي عن الليث بن سعد وعبد الله بن الحسن بن طلحة بن إبراهيم بن محمد بن يحيى بن كامل أبو محمد البصري المعروف بابن النحاس من أهل تنيس قدم دمشق ومعه ابناه محمد وطلحة وسمع الكثير من أبي بكر الخطيب وكتب تصانيفه وعبد العزيز الكناني وأبي الحسن بن أبي الحديد وغيرهم ثم حدث بها وببيت المقدس عن جماعة كثيرة فروى عنه الفقيه المقدسي وأبو محمد بن الأكفاني ووثقه وغيرهما وكان مولده في سادس ذي القعدة سنة ٤٠٤ ومات بتنيس سنة ٤٦١ وقيل ٤٦٢

تنيضبة تصغير تنضبة بالضاد المعجمة والباء الموحدة شجر يتخذ منه السهام وهو ماء لبني سعيد بن قرط من أبي بكر بن كلاب قرب النير

---

(١) مروج الذهب ٩٤/١

تنين بكسرتين وتشديد النون وياء ساكنة ونون أخرى جبل **التنين** مشهور قرب جبل الجودي من أعمال الموصل

تنينير تصغير تنور اسم لبلدتين من نواحي الخابور تنينير العليا وتنينير السفلى وهما على نهر الخابور رأيت العليا غير مرة

باب التاء والواو وما يليهما

توارن بالضم وضم الراء وآخره نون قرية من أجإ أحد جبلي طيء لبني شمر من بني زهير

تؤام بالضم ثم فتح الهمزة بوزن غلام اسم قصبة عمان مما يلي الساحل وصحار قصبتها مما يلي الجبل ينسب إليها الدر قال سويد لا ألاقيها وقلبي عندها غير إلمام إذا الطرف هجع كالتؤامية إن باشرتها قرت العين وطاب المضطجع وبها قرى كثيرة والتؤام جمع توأم جمع عزيز قال ابن السكيت ولم يجيء شيء من الجمع على فعال إلا أحرف ذكر منها تؤام جمع تؤأم وأصل ذلك من المرأة إذا ولدت اثنين في بطن ويقال هذا توأم هذا إذا كان مثله وقال نصر تؤام قرية بعمان بها منبر لبني سامة

و تؤام موضع باليمامة يشترك به عبد القيس والأزد وبنو حنيفة

وتؤام موضع بالبحرين كذا في كتاب نصر وما أظن الذي بالبحرين إلا هو الذي ينسب إليه اللؤلؤ لأن عمان لا لؤلؤ بها ". (١)

٩٧-" وأنيابها وأحناك كأحناك الإبل وعليهم من الشعر ما يواري أجسادهم ولكل واحد أذنان عظيمتان إحداهما على ظاهرها وبر كثير وباطنها أجرد والأخرى باطنها وبر كثير وظاهرها أجرد يلتحف إحداهما ويفترش الأخرى وليس منهم ذكر ولا أنثى إلا ويعرف أجله والوقت الذي يموت فيه وذلك أنه لا يموت حتى يلد ألف ولد وهم يرزقون **التنين** في أيام الربيع ويستمطرونه إذا أبطأ عنهم كما نستمطر المطر إذا انقطع فيقذفون في كل عام بواحد فيأكلونه عامهم كله إلى مثله من قابل فيكفيهم على كثرتهم وهم يتداعون تداعي الحمام ويعوون عواء الكلاب ويتسافدون حيث ما التقوا تسافد البهائم وفي رواية أن ذا القرنين إنما عمل السد بعد رجوعه عنهم فانصرف إلى ما بين الصدفين فقاس ما بينهما وهو منقطع أرض الترك مما يلي الشمس فوجد بعد ما بينهما مائة فرسخ فحفر له أساسا بلغ به الماء وجعل عرضه خمسين فرسخا وجعل حشوه الصخور وطينه النحاس المذاب يصب عليه فصار عرقا من جبل تحت الأرض ثم علاه وشرفه بزبر الحديد والنحاس المذاب وجعل خلاله عرقا من نحاس أصفر فصار كأنه برد محبر من صفرة النحاس وسواد الحديد فلما أحكمه انصرف راجعا وأما ذكر **التنين** فرأينا منه بنواحي حلب ما ذكرته في ترجمة كلز وجعلته حجة على ما أورده ههنا من خبره وشجعني على كتابته فإن الإنسان شديد التكذيب بخبر ما لم ير مثله روي عن شداد بن أفلح المقري أنه قال عدت عمر البكالي فذكرنا لون **التنين** فقال عمر البكالي أتدرون كيف يكون **التنين** قلنا لا قال يكون في البر حية متمردة فتأكل حيات البر فلا تزال تأكلها وتأكل غيرها من الهوام وهي تعظم وتكبر ثم يزيد أمرها فتأكل جميع ما تراه من الحيوان فإذا عظم أمرها ضجت

---

(١) معجم البلدان ٢/٥٤

دواب البر منها فيرسل الله تعالى إليها ملكا فيحتملها حتى يلقيها في البحر فتفعل بدواب البحر مثل فعلها بدواب البر فتعظم ويزداد جسمها فتضج دواب البحر منها أيضا فيبعث الله إليها ملكا حتى يخرج رأسها من البحر فيتدلى سحاب فيحتملها فيلقيها إلى يأجوج ومأجوج وحدث المعلى بن هلال الكوفي قال كنت بالمصيصة فسمعتهم يتحدثون أن البحر ربما مكث أياما وليالي تصطفق أمواجه ويسمع لها دوي شديد فيقولون ما هذا إلا بشيء آذى دواب البحر فهي تضج إلى الله تعالى قال فتقبل سحابة حتى تغيب في البحر ثم تقبل أخرى حتى تعد سبع سحابات ثم ترتفع جميعا في السماء وقد حملن شيئا يرون أنه **التنين** حتى يغيب عنا ونحن ننظر إليه يضطرب فيها فربما وقع في البحر فتعود السحابة إلى البحر بالرعد الشديد الهائل والبرق العظيم حتى تغوص في البحر وتستخرجه ثانية فتحمله فربما اجتاز وهو في السحاب وذنبه خارج عنها بالشجر العادي والبناء الشامخ فيضربه بذنبه فيهدم البناء من أصله ويقلع الشجر بعروقه ولقد احتمله السحاب من بحر أنطاكية فضرب بذنبه بضعة عشر برجا من أبراج سورها فرمى بها ويقال إن السحاب الموكل به يختطفه حيثما رآه كما يختطف حجر المغناطيس الحديد فهو لا يطلع رأسه من الماء خوفا من السحاب ولا يخرج إلا في الفرط إذا صحت الدنيا وذكر بقراط الحكيم اليوناني في كتاب الثراء أنه كان في بعض السواحل فبلغه أن هناك قرى كثيرة قد فشا فيها الموت فقصدها ليعرف السبب في ذلك فلما فحص عن الأمر إذا هو بتنين قد احتمله السحاب من البحر فوقع على نحو عشرين فرسخا من هذه القرى فنتن ". (١)

٩٨-" أولئك معشري وهم خيالي وجدي في كتيبتهم ومجدي هم قتلوا عزيزا يوم لحج وعلقمة بن سعد يوم نجد

نجران بالفتح ثم السكون وآخره نون والنجران في كلامهم خشبة يدور عليها رتاج الباب وأنشدوا وصيت الباب في النجران حتى تركت الباب ليس له صرير وقال ابن الأعرابي يقال لأنف الباب الرتاج ولدرونده النجاف والنجران والمترسه المفتاح قال ابن دريد نجران الباب الخشبة التي يدور عليها ونجران في عدة مواضع منها نجران في مخاليف اليمن من ناحية مكة قالوا سمي بنجران بن زيدان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان لأنه كان أول من عمرها ونزلها وهو المرعف وإنما صار إلى نجران لأنه رأى رؤيا فهالته فخرج رائدا حتى انتهى إلى واد فنزل به فسمي نجران به كذا ذكره في كتاب الكلبي بخط صحيح زيدان بن سبإ وفي كتاب غيره زيد روى ذلك الزيادي عن الشرقي وأما سبب دخول أهلها في دين النصرانية قال ابن إسحاق حدثني المغيرة بن لبيد مولى الأخنس عن وهب بن منبه اليماني أنه حدثهم أن موقع ذلك الدين بنجران كان أن رجلا من بقايا أهل دين عيسى يقال له فيميون بالفاء ويروى بالقاف وكان رجلا صالحا مجتهدا في العبادة مجاب الدعوة وكان سائحا ينزل بالقرى فإذا عرف بقرية خرج منها إلى أخرى وكان لا يأكل إلا من كسب يديه وكا بناء يعمل في الطين وكان يعظم الأحد فلا يعمل فيه شيئا فيخرج إلى فلاة من الأرض فيصلي بها حتى يمسي ففطن لشأنه رجل من أهل قرية بالشام كان يعمل فيها فيميون عمله وكان ذلك الرجل اسمه صالح فأحبه صالح حبا شديدا فكان يتبعه حيث ذهب ولا يفطن له فيميون حتى خرج مرة في يوم الأحد إلى فلاة من الأرض كما كان يصنع وقد اتبعه صالح فجلس منه منظر العين

---

(١) معجم البلدان ١٩٨/٣

مستخفيا منه فقام فيميون يصلي فإذا قد أقبل نحوه تنين وهو الحية العظيمة فلما رآها فيميون دعا عليها فماتت ورآها صالح ولم يدر ما أصابها فخاف عليه فصرخ يا فيميون التنين قد أقبل نحوك فلم يلتفت إليه وأقبل على صلاته حتى فرغ منها فخرج إليه صالح وقال يا فيميون يعلم الله أنني ما أحببت شيئا قط مثل حبك وقد أحببت صحبتك والكينونة معك حيث كنت فقال ما شئت أمري كما ترى فإن علمت أنك تقوى عليه فنعم فلزمه صالح وقد كان أهل القرية يفطنون لشأنه وكان إذا جاءه العبد وبه ضر دعا له فشفي وكان إذا دعي لمنزل أحد لم يأته وكان لرجل من أهل تلك القرية ولد ضرير فقال لفيميون إن لي عملا فانطلق معي إلى منزلي فانطلق معه فلما حصل في بيته رفع الرجل الثوب عن الصبي وقال له يا فيميون عبد من عباد الله أصابه ما ترى فادع الله له فدعا الله فقام الصبي ليس به بأس فعرف فيميون أنه عرف فخرج من القرية واتبعه صالح حتى وطئا بعض أراضي العرب فعدوا عليهما فاختطفهما سيارة من العرب فخرجوا بهما حتى باعوهما بنجران وكان أهل نجران يومئذ على دين العرب يعبدون نخلة لهم عظيمة بين أظهرهم لها عيد في كل سنة فإذا كان ذلك العيد علقوا عليها كل ثوب حسن وجدوه وحلي النساء فخرجوا إليها يوما وعكفوا عليها يوما فابتاع فيميون رجل من أشرافهم وابتاع صالحا آخر فكان فيميون إذا قام بالليل في بيت له أسكنه إياه سيده استسرج له البيت نورا حتى يصبح ". (١)

٩٩-"بذلك جماعة من أصحابه وجزيرة السعالي فيها خلق كخلق النساء لهم أنياب بادية وعيونهم كالبرق وسوقهم كالخشب المحرق يتكلمون بكلام لا يفهم ويحاربون الدواب البحرية ولا فرق بين الرجال منهم والنساء إلا بالذكور والفروج لا غير ورجالهم لا لحى لهم ولباسهم ورق الشجر ومنها جزيرة حسران وهي أرض واسعة وفيها جبل عال في سفحه ناس سمر قصار ولهم لحى تبلغ ركبهم ووجوههم عراض ولهم آذان كبيرة وطعامهم وعيشهم مما تنبته الأرض هناك من الحشيش وموافق النبات مثل ما تأكله البهائم وعندهم نهر صغير عذب يجري من تحت الجبل وفيه جزيرة الغور وهي كبيرة الطول والعرض كثيرة الأعشاب والنبات وفيها أنهار وغدران وآجام تأوي إليها حمر وبقر لها قرون طوال جدا وفيه جزيرة المستشكين يذكر أنها جزيرة عامرة فيها جبال وأنهار وأشجار وثمار وزروع وعلى المدينة حصن عال وفيما يحكى من أمر هذه الجزيرة أنه كان فيها فيما سلف من قبل عهد الإسكندر تنين عظيم يبتلع كل من مر به من إنسان أو ثور أو حمار أو ما أشبهها فيقال إن الإسكندر لما دخلها استغاث به أهلها وشكوا إليه أضرار التنين بهم وإنه قد أتلف مواشيهم وأبقارهم حتى أنهم جعلوا له ضريبة في كل يوم ثورين ينصبونهما بمقربة من موضعه فيخرج إليهما فيبتلعهما ثم يعود إلى موضعه وكذلك يأتي من الغد فيفعلون له ذلك فقال لهم الإسكندر يأتيكم هذا التنين من مكان واحد أو من أمكنة كثيرة قالوا من مكان واحد قال لهم أروني مكانه فانطلقوا به إلى قرب من موضعه ثم نصبوا له الثورين فأقبل التنين كالسحابة السوداء وعيناه تلمعان كالبرق والنار تخرج من جوفه فابتلع الثورين وعاد إلى موضعه فأمرهم الإسكندر أن يجعلوا له في اليوم الثاني عجلين وفي اليوم الثالث مثل ذلك فاشتد جوعه فأمر الإسكندر عند ذلك بثورين عظيمين فسلخا وحشيت جلودهما زفتا وكبريتا كلسا وزرنيخا وجعلهما في ذلك المكان المعلوم فخرج التنين إليهما على حسب عادته فابتلعهما ومضى فاضطرمت تلك الأشياء في جوفه

(١) معجم البلدان ٥/٢٦٦

فلما أحس باشتعالها وكان قد جعل في تلك الأخلاط كلاليب حديد فذهب ليتقيأ ذلك من جوفه فتشبكت الكلاليب في حلقه فخر واقعا وفتح فمه ليستروح فأمر عند ذلك الإسكندر فحميت قطع الحديد وحملت على ألواح حديد وقذفت في حلق التنين فاشتعلت الأخلاط في جوفه فمات ففرج الله بذلك من أهل تلك الجزيرة فشكروا الإسكندر عند ذلك والطفوه ووهبوه من طرائف ما عندهم وكان فيما حملوه إليه من طرائف ما عندهم دابة في خلق الأرنب يبرق شعره في صفرة كما يبرق الذهب يسمى بغراج وفي رأسه قرن واحد أسود إذا رأته الأسود وسباع الوحش والطير وكل دابة هربت عنه.

وفي هذا البحر جزيرة قلهان فيها أمة مثل خلق الناس إلا أن رؤوسهم مثل رؤوس الدواب يغوصون في البحر ويخرجون ما قدروا عليه من دوابه فيأكلونها وفي هذا البحر أيضا جزيرة الأخوين الساحرين اللذين يسمى أحدهما شرهام والثاني شرام ويقال إنهما كانا بهذه الجزيرة يقطعان على المراكب المحط التي تمر بها ويهلكان جميع أهلها ويأخذان أموالهم فمسخ الله بهما لظلمهما وبقيا حجرين على ضفة البحر قائمين ثم عمرت هذه الجزيرة بالناس وهي تقابل مرسى آسفى ويقال إن الصفاء إذا عم البحر ظهر دخانها من البر وكان أخبر بذلك أحمد بن عمران المعروف بدقم الإوز وكان واليا لأمير المسلمين على بن يوسف بن تاشفين على جملة من أسطوله فعزم على الدخول إليها بما معه من المراكب فأدركه قبل الدخول إليها الموت ولم يبلغ أمله في ذلك ولهذه الجزيرة قصة غريبة أخبر عنها المغررون من أهل مدينة اشبونة بالأندلس حين أسقطوا إليها بمراكبهم وكيف سميت آسفى بهم وهي مرسى وحديثها طويل وسنأتي به في موضعه عند ذكرنا لمدينة اشبونة إن شاء الله.". (١)

١٠٠-"يا ساكني جبلي شمام لعله ... يوفي بما عاهدتم الميثاق

قوموا إلى الإنسي قومة ثائر ... فلعله قد حان منه فراق

فولى الآخر هاربا، وتجاسر [الهميسع] حتى دخل الباب الثالث، فبرز تني عظيم أحمر العينين فاتح فاه، فولى الهميسع هاربا فسكن حس التنين، فعلم أنه طلسم إذ لو كان حيوانا لتبعه، فرجع إليه، وصبر قلبه عليه، فقلع عينيه فإذا هما ياقوتتان لا قيمة لهما. ودخل البيت فإذا في وسطه سرير من ذهب، وعليه شيخ على رأسه تاج من ذهب معلق بسقف البيت مرصع بأصناف اليواقيت، وعلى رأسه لوح من ذهب فيه مكتوب: أنا شداد بن عاد، عشت خمسمائة عام، وافتضضت ألف بكر، وقتلت ألف مبارز، وركبت ألف جواد، [وهأنذا] حيث أنا. وتحت مكتوب:

يا ويح شداد بن عاد أصبحت ... آماله مهزومة الأقدام

يامن رآني إنني لك عبرة ... من بعد ملك الدهر والأعوام

فكأنني ضيف ترحل مسرعا ... وكأنني حلم من الأحلام

ثم وجد لوحا آخر فيه مكتوب: أنا حبة، وهذه أختي لبة بنتا شداد بن عاد، أتت علينا أزمات طلبنا فيها صاعا من بر بصاع من در فلم نجده.

---

(١) نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ص/٦٤

فأخذ الهميسع ما وجده، وفاز به.

أخوه لقمان بن عاد

من التيجان: "ولي بعد أخيه، وهو تبع متوج، وأعطاه الله قوة مائة رجل، وبصر مائة رجل، وكان طوالا لا يقاربه أحد من أهل زمانه".

ويقال: "إنه كان نبيا غير مرسل. قال وهب بن منبه: "لقيت عامة من العلماء يقولون إن ذا القرنين ولقمان ودانيال أنبياء غير مرسلين، وعامة يقولون: عباد صالحون".

قال وهب: وتسمية حمير الرائش؛ لأنه راشهم وأحسن إليهم، وكان متواضعا لله، ولم يتتوج على عادة من كان قبله من الملوك. وكان يدعو قبل كل صلاة وفي عقبها، فيقول:

اللهم يا رب البحار الخضر

والأرض ذات النبت بعد القطر

سألك عمرا فوق كل عمر". (١)

١٠١-"شكرت مسارعا خير الأيادي ... لخير الناس كلهم إياد

ثم حفر الأرض حتى بلغ إلى صخرة فقلعها، ودخل في سرب وإياد معه، فإذا بحيات تصفر عن اليمين والشمال، حتى أفضيا إلى دار تحت الأرض! قال إياد: فعجبت من ضيائها من أين يكون، ثم أدخلني إلى بيت قبلي لجهة مكة، وإذا فيه أربعة أسرة: ثلاثة عليها ثلاثة رجال، وواحد ليس عليه شيء؛ وفي وسط البيت كرسي من در وياقوت ولجين وعقيان، فقال لي: خذ وقر جملك ليس لك غيره، قال: ثم قال لي: أتدري من هؤلاء الموتى؟ فقلت: لا؛ قال: هذا مضاض أبي، وهذا عبد المسيح أبوه، وهذا نفيلة أبوه. وكان على رأس كل واحد منهم ما تقدم ذكره من النظم والنثر.

قال: ثم نظرت إلى اللوح الذي على السرير الخالي، فإذا فيه مكتوب: أنا الحارث بن مضاض، عشت أربعمائة عام، وجلت في الأرض مائة عام مغتربا بعد هلاك قومي جرهم، وتحته شعر. قال: ثم قال لي: أعطني القارورة التي في تلك الكوة، فأعطيته إياها، فشرب بعضا ثم انطلى ببعضها على جسده، ثم قال لي: إذا أنت أتيت إخوتك فقالوا لك: من أين هذا المال؟ فقل لهم: إن الشيخ الذي حملته هو الحارث بن مضاض الجرهمي؛ فهم يكذبونك، فقل لهم: آية ذلك أن تعمدوا إلى الحجر المدفون بجوار زمزم، فتجدوا فيه مقام إبراهيم، وتجدوا في الحجر الآخر شعر الحارث بن مضاض الذي بكى به أهله وملكه ووطنه:

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا ... أنيس ولم يسمر بمكة سامر

بلى نحن كنا أهلها فأذا لنا ... صروف الليالي والجدود العواثر

فما فرج آت بما أنت خائف ... وما حذر ينجيك مما تحاذر

(١) نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب ص/٣٢

وكنا ولاة البيت من بعد نابت ... نطوف بهذا البيت والخير ظاهر

فأخرجنا منها المليك بقدرة ... كذاك بآمر الله تجري المقادر

قال إياد: ثم حرم علي أن أعود إلى الموضع بعدها. وامتد الحارث على ذلك السرير، وصاح صيحة ما ظننت إلا أن أهل مكة سمعوها، ثم مات. وهجم **التنين** فاستدار في وسط البيت على ما بقي من المال.". (١)

١٠٢-"فإذا مرضت ... ولا مرضت فإنه مرض الرياح يطيب فيه نثاها

ولحين تعرفي هذا النبأ لم أطعم النوم هنيا، ولا اقتطفت الأمل جنيا، ولا زلت بتحقيق نبأ الإبلال معنيا، حتى ثبت سنده، واستقام أوده، وكثر من راويه عدده، فكتبت أهنئ نفسي بسلامة شقتها، ومظنة مقتها، وحفظ ثمالها، وحراسة رأس مالها، ولو تمثلت لي القوى الطبيعية في الخارج لعرفت حقدي، ورابها في سوء التصرف نقدي، أو نسي... لعتبتها، أو النصبة المباركة لقررتها بنظري ورتبتها، لكن أحوال تشذ عن الاستطاعة، ولا تدين في غير سبيل البخت والاتفاق بالطاعة، فلنسأل الله خير ما لديه، ونثق به في حفظ ذلك الجلال ونتوكل عليه.وقد كنت تعرفت أن سيدي زاد عنده مولود مبارك، فبادرت بما يصله، فإن كان الخبر حقا، لم يكن مني إغفال، وإن كان منتظرا فهو فال والسلام.

هنيئا أبا الفضل الرضا أو أبا زيد ... وأمنت من بغي تخاف ومن كيد

بطالع يمن طال في السعد شأوه ... فما هو من عمرو الرجال ولا زيد

وقيد بشكر الله أنعمه التي ... أوابدها تأبى سوى الشكر من قيد

أهلا بدري المكاتب، وصدري المراتب، وعتبي الزمان العاتب، وبكر المشتري والكاتب، ومرحبا بالطالع، في أسعد المطالع، والثاقب في أحلى المراقب، وسهلا بغني البشير، وعزة الأهل والعشير، وتاج المفخر الذي يقصر عنه تاج كسرى وأردشير. الآن اعتضدت الحلة الحضرمية بالفارس، وأمن السارح في حمى الحارس، وسعدت بالنير الكبير أفلاك التدوير من حلقات المدارس، وقرت بالجني الكريم عين الغارس واحتقرت أنظار الآبلي وأبحاث ابن الدارس، وقيل للمشكلات: طالما ألفت الخمرة وأمضيت على الأذهان الإمرة، فتأهبي للغارة المبيحة لحماك، وتحيزي إلى فئة البطل المستأثر برشف لماك. ولله من نصبة احتفى فيها المشتري واحتفل، وكفى القمر سني تربيتها وكفل، واختال عطارد في حلل الجذل لها ورفل، واتضحت الحدود وتهللت الوجوه، وتنافست المثلثات تؤمل الحظ وترجوه، ونبه البيت على واجبه، وأشار لحظ الشرف بحاجبه، وأسرع نير النوبة في الأوبة، قائما في الاعتذار مقام التوبة، واستأثر بالبروج المولدة بيت البنين، وتخطت خطا القمر رأس الجوزهر وذنب **التنين**، وساوق منها حكم الأصل حذوك النعل بالنعل تحويل السنين، وحقق هذا المولود بين الموالد نسبة عمر الوالد، فتجاوز درجة المئين، واقترن بعاشره السعدان اقتران الجسد، وثبت بدقيقة مركزة قلب الأسد، وسرق من بيت أعدائه خرثي الغل والحسد، ونظفت طرق التسيير، كما يفعل بين يدي السادة عند المسير، وسقط الشيخ الهرم من الدرج في البير، ودفع المقاتل إلى وبال كبير.

---

(١) نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب ص/١١٨

لم لا تنال العلى أو يعقد التاج ... والمشتري طالع والشمس هيلاج

والسعد يركض في ميدانه مرحا ... جذلان والفلك الدوار هملاج". (١)

١٠٣-"٣٤١ - ع: وكيع بن الجراح بن مليح، الإمام أبو سفيان الرؤاسي الأعور الكوفي، [الوفاة: ١٩١ - ٢٠٠ هـ]

أحد الأعلام.

ورؤاس بطن من قيس عيلان.

ولد سنة تسع وعشرين ومائة، وأصله من خراسان.

سمع: من الأعمش، وهشام بن عروة، وإسماعيل بن أبي خالد، وابن عون، وابن جريج، وداود بن يزيد الأودي، وأسود بن شيبان، ويونس بن أبي إسحاق، وهشام بن الغاز، والأوزاعي، وشعبة، والثوري، وإسرائيل، وجعفر بن برقان، وحنظلة بن أبي سفيان، وزكريا بن أبي زائدة، وطلحة بن عمرو المكي، وطلحة بن يحيى التيمي، وفضيل بن غزوان، وموسى بن علي، وهشام الدستوائي، وأبي جناب الكلبي، وخلق.

وعنه: ابن المبارك وهو أكبر منه، وعبد الرحمن بن مهدي، ويحيى بن آدم، والحميدي، ومسدد، وأحمد بن حنبل، وإسحاق، وابن المديني، وابن معين، وأبو خيثمة، وابنا أبي شيبة، وأبو كريب، وعبد الله بن هاشم الطوسي، وإبراهيم بن عبد الله القصار، وأمم سواهم.

وكان رأسا في العلم والعمل، وكان أبوه الجراح بن مليح بن عدي بن فرس بن جمجمة ناظرا على بيت المال بالكوفة.

وقد أراد الرشيد أن يولي وكيعا القضاء فامتنع.

قال يحيى بن يمان: لما مات الثوري جلس وكيع موضعه.

قال القعنبي: كنا عند حماد بن زيد، فلما خرج وكيع قالوا: هذا راوية سفيان. فقال حماد: إن شئتم قلت: أرجح من سفيان.

وعن يحيى بن أيوب المقابري قال: ورث وكيع من أمه مائة ألف درهم.

وقال الفضل بن محمد الشعراني: سمعت يحيى بن أكثم يقول: صحبت وكيعا في الحضر والسفر، وكان يصوم الدهر ويختم القرآن كل ليلة.

قال يحيى بن معين: وكيع في زمانه كالأوزاعي في زمانه. -[١٢٣١]-

وقال أحمد بن حنبل: ما رأيت أوعى للعلم ولا أحفظ من وكيع.

وقال أحمد بن سهل بن بحر النيسابوري الحافظ: دخلت على أحمد بن حنبل بعد المحنة، فسمعته يقول: كان وكيع إمام المسلمين في وقته.

وروى نوح بن حبيب عن عبد الرزاق قال: رأيت الثوري ومعمرا ومالكا، فما رأت عيناي مثل وكيع قط.

---

(١) نفاضة الجراب في علالة الاغتراب ص/٣٢

وقال ابن معين: ما رأيت أفضل من وكيع؛ كان يحفظ حديثه، ويقوم الليل، ويسرد الصوم، ويفتي بقول أبي حنيفة، وكان يحيى القطان يفتي بقول أبي حنيفة أيضا.

وقال قتيبة: سمعت جريرا يقول: جاءني ابن المبارك، فقلت: من رجل الكوفة اليوم؟ فسكت عني ثم قال: رجل المصرين ابن الجراح؛ يعني وكيعا.

قال سلم بن جنادة: جالست وكيعا سبع سنين، فما رأيته بزق ولا مس حصاة، ولا جلس مجلسا فتحرك، ولا رأيته إلا مستقبل القبلة، وما رأيته يحلف بالله.

وقد روى غير واحد أن وكيعا كان يترخص في شرب النبيذ، قال إسحاق بن بهلول الحافظ: قدم علينا وكيع – يعني الأنبار – فنزل في المسجد على الفرات، فصرت إليه لأسمع منه، فطلب مني نبيذا فجئته به، فأقبل يشرب وأنا أقرأ عليه، فلما نفد طفا السراج، فقلت: ما هذا؟ قال: لو زدتنا لزدناك.

وقال أبو سعيد الأشج: كنا عند وكيع، فجاءه رجل يدعوه إلى عرس، فقال: أثم نبيذ؟ قال: لا. قال: لا نحضر عرسا ليس فيه نبيذ. قال: فإني آتيكم به. فقام.

قال ابن معين: سال رجل وكيعا أنه شرب نبيذا، فرأى في النوم كأن رجلا يقول له: إنك شربت خمرا. فقال وكيع: ذاك الشيطان.

وقال نعيم بن حماد: سمعت وكيعا يقول: هو عندي أحل من ماء الفرات.

ويروى عن وكيع أن رجلا أغلظ له، فدخل بيتا فعفر وجهه ثم خرج إلى الرجل وقال: زد وكيعا بذنبه، فلولاه ما سلطت عليه. -[١٢٣٢]-

وقال إبراهيم بن شماس: لو تمنيت كنت أتمني عقل ابن المبارك وورعه، وزهد فضيل ورقته، وعبادة وكيع وحفظه، وخشوع عيسى بن يونس، وصبر حسين الجعفي.

وقال نصر بن المغيرة البخاري: سمعت إبراهيم بن شماس يقول: رأيت أفقه الناس وكيعا، وأحفظ الناس ابن المبارك، وأورع الناس فضيل بن عياض.

وقال مروان بن محمد الطاطري: ما رأيت فيمن رأيت أخشع من وكيع، وما وصف لي أحد قط إلا رأيته دون الصفة إلا وكيعا؛ فإني رأيته فوق ما وصف لي.

قال سعيد بن منصور: قدم وكيع مكة وكان سمينا، فقال له الفضيل بن عياض: ما هذا السمن وأنت راهب العراق؟! قال: هذا من فرحي بالإسلام! فأفحمه.

وقال محمد بن عبد الله بن عمار: ما كان بالكوفة في زمان وكيع أفقه ولا أعلم بالحديث منه.

وقال أبو داود: ما رؤي لوكيع كتاب قط، ولا لهشيم، ولا لحماد، ولا لمعمر.

قال أحمد بن حنبل: ما رأت عيني مثل وكيع قط؛ يحفظ الحديث، ويذاكر بالفقه فيحسن، مع ورع واجتهاد، ولا يتكلم في أحد.

قال حماد بن مسعدة: قد رأيت سفيان الثوري، فما كان مثل وكيع.

وقال أحمد أيضا: ما رأيت أوعى للعلم من وكيع، كان حافظا حافظا.

وقال ابن أبي خيثمة وغيره: سمعنا يحيى بن معين يقول: من فضل عبد الرحمن بن مهدي على وكيع فعليه، فذكر اللعنة.

قلت: ما أدري ما عذر يحيى في هذا اللعن.

وقال أبو حاتم: وكيع أحفظ من ابن المبارك. -[١٢٣٣]-

وقال أحمد بن حنبل: عليكم بمصنفات وكيع.

وقال علي ابن المديني: كان وكيع يلحن، ولو حدثت عنه بألفاظه لكان عجبا، كان يقول: عن عيشة.

وروى أبو هشام الرفاعي وغيره عن وكيع قال: من زعم أن القرآن مخلوق فقد كفر.

قال وكيع: الجهر بالبسملة بدعة. سمعها أبو سعيد الأشج منه.

قال أحمد بن زهير: حدثنا محمد بن يزيد قال: حدثني حسين أخو زيدان قال: كنت مع وكيع، فأقبلنا جميعا من المصيصة أو طرسوس فأتينا الشام، فما أتينا بلدا إلا استقبلنا واليها، وشهدنا الجمعة بدمشق، فلما سلم الإمام أطافوا بوكيع، فما انصرف إلى أهله، فحدثت به مليحا ولده فقال: رأيت في جسده آثارا خضراء مما زحم.

قال الفضل بن عنبسة: ما رأيت مثل وكيع من ثلاثين سنة.

محمود بن غيلان: سمعت وكيعا يقول: اختلفت إلى الأعمش سنتين.

قال ابن راهويه: حفظي وحفظ ابن المبارك تكلف، وحفظ وكيع أصلي، قام وكيع واستند فحدث بسبعمائة حديث حفظا.

وقال محمود بن آدم: تذاكر بشر بن السري ووكيع ليلة وأنا أراهما من العشاء إلى أن نودي بالصبح، فقلت لبشر: كيف رأيته؟ قال: ما رأيت أحفظ منه. وكذا قال سهل بن عثمان: ما رأيت أحفظ من وكيع.

وقال عبد الله بن أحمد: سمعت أبي يقول: وكيع مطبوع الحفظ، كان حافظا حافظا، كان أحفظ من عبد الرحمن بكثير.

وقال ابن نمير: كانوا إذا رأوا وكيعا سكتوا؛ يعني في الحفظ والإجلال.

وقال أبو حاتم: سئل أحمد عن وكيع ويحيى وابن مهدي، فقال: كان وكيع أسردهم. -[١٢٣٤]-

قال أبو زرعة الرازي: سمعت أبا جعفر الجمال يقول: أتينا وكيعا، فخرج بعد ساعة وعليه ثياب مغسولة، فلما بصرنا به فزعنا من النور الذي رأينا يتلألأ من وجهه، فقال رجل بجنبي: أهذا ملك؟ فتعجبنا من ذلك النور.

قال أحمد بن سنان القطان: رأيت وكيعا إذا قام في الصلاة ليس يتحرك منه شيء، لا يزول ولا يميل على رجل دون الأخرى.

قال أحمد بن أبي الحواري: سمعت وكيعا يقول: ما نعيش إلا في سترة، ولو كشف الغطاء لكشف عن أمر عظيم. وسمعته يقول: الصدق النية.

قال صالح بن أحمد: قلت لأبي: أيهما أصلح؛ وكيع أو يزيد؟ فقال: ما منهما والحمد لله إلا كل، لكن وكيع لم يختلط بالسلطان.

قال الفلاس: ما سمعت وكيعا ذاكرا أحدا بسوء قط.

وقال ابن عمار: أحرم وكيع من بيت المقدس.

وقال ابن سعد: كان وكيع ثقة مأمونا رفيعا كثير الحديث حجة.

وقال محمد بن خلف التيمي: أخبرنا وكيع قال: أتيت الأعمش فقلت: حدثني. قال: ما اسمك؟ قلت: وكيع. قال: اسم نبيل، وما أحسب إلا سيكون لك نبأ، أين تنزل من الكوفة؟ قلت: في بني رؤاس. قال: أين من منزل الجراح؟ قلت: هو أبي. وكان على بيت المال، قال: اذهب فجئني بعطائي، وتعال حتى أحدثك بخمسة أحاديث. فجئت أبي فقال: خذ نصف العطاء واذهب، فإذا حدثك بالخمسة فخذ النصف الآخر حتى تكون عشرة. فأتيته بذلك، فأملي علي حديثين، فقلت: وعدتني خمسة. قال: فأين الدراهم كلها؟ أحسب أن أباك أمرك بهذا ولم يدر أن الأعمش مدرب قد شهد الوقائع. قال: فكنت إذا جئته بالعطاء في كل شهر حدثني بخمسة.

قال قاسم الحرمي: كان سفيان يتعجب من حفظ وكيع ويقول: تعال يا رؤاسي، ويتبسم.

قال ابن عمار: سمعت وكيعا يقول: ما نظرت في كتاب منذ خمس عشرة -[١٢٣٥]- سنة، إلا في صحيفة يوما. فقلت له: عدوا عليك بالبصرة أربعة أحاديث غلطت فيها. قال: وحدثتهم بعبادان بنحو من ألف وخمسمائة حديث، أربعة ما هي كثيرة في ذلك.

قال ابن معين: سمعت وكيعا يقول: ما كتبت عن الثوري حديثا قط؛ إنما كنت أحفظ، فإذا رجعت كتبتها.

قال يحيى بن يمان: نظر سفيان في عيني وكيع فقال: لا يموت هذا حتى يكون له شأن. فمات سفيان وجلس وكيع مكانه.

قال سليمان الشاذكوني: قال لنا أبو نعيم: ما دام هذا **التنين** حيا ما يفلح أحد معه؛ يعني وكيعا.

وقال يحيى بن أيوب العابد: حدثني صاحب لوكيع أن وكيعا كان لا ينام حتى يقرأ ثلث القرآن، ثم يقوم في آخر الليل فيقرأ المفصل، ثم يجلس فيأخذ في الاستغفار حتى يطلع الفجر.

قال إبراهيم بن وكيع: كان أبي يصلي الليل، فلا يبقي في دارنا أحد إلا صلي، حتى جارية لنا سوداء.

ابن معين: سمعت وكيعا يقول: أي يوم لنا من الموت. وأخذ وكيع في قراءة كتاب " الزهد "، فلما بلغ حديثا منه قام فلم يحدث، وكذا فعل من الغد. وهو حديث: "كن في الدنيا كأنك غريب ".

الدارقطني: حدثنا القاضي أبو الحسن محمد بن علي ابن أم شيبان، عن أبيه، عن أبي عبد الرحمن بن سفيان بن وكيع، عن أبيه قال: كان أبي يجلس لأصحاب الحديث من بكرة إلى ارتفاع النهار، ثم ينصرف فيقيل، ثم يصلي الظهر ويقصد طريق المشرعة التي يصعد منها أصحاب الروايا، فيريحون نواضحهم، فيعلمهم من القرآن ما يؤدون به الفرض إلى حدود العصر، ثم يرجع إلى مسجده فيصلي العصر، ثم يجلس يتلو ويذكر الله إلى آخر النهار، ثم يدخل منزله فيفطر على نحو عشرة أرطال نبيذ، فيشرب منها، ثم يصلي ورده، كلما صلي ركعتين شرب منها حتى ينفدها ثم ينام. -[١٢٣٦]-

قال نعيم بن حماد: تعشينا عند وكيع، فقال: أي شيء تريدون؟ أجيئكم بنبيذ الشيوخ أو نبيذ الفتيان؟ فقلت: تكلم بهذا؟! قال: هو عندي لأحل من ماء الفرات.

قلت: ماء الفرات لم يختلف فيه، وقد اختلف في هذا.

وقال الفسوي: قد سئل أحمد إذا اختلف وكيع وعبد الرحمن؟ فقال: عبد الرحمن يوافق أكثر خاصة في سفيان، وعبد الرحمن كان يسلم عليه السلف ويجتنب المسكر، ولا يرى أن يزرع في أرض الفرات.

وقال عباس: قلت لابن معين: إذا اختلف وكيع وأبو معاوية في حديث الأعمش؟ قال: يوقف حتى يجيء من يتابع أحدهما. ثم قال: كانت الرحلة إلى وكيع في زمانه.

قال ابن معين: لقيت عند مروان بن معاوية لوحا فيه: فلان رافضي، وفلان كذا، ووكيع رافضي، فقلت لمروان: وكيع خير منك. فبلغ وكيعا ذلك، فقال: يحيى صاحبنا. وكان بعد ذلك يعرف لي ويرحب.

قال أحمد بن سنان: كان وكيع يكونون في مجلسه كأنهم في صلاة، فإن أنكر من أحد شيئا قام. وكان عبد الله بن نمير يغضب ويصيح، وإذا رأى من يبري قلما تغير وجهه غضبا.

قال تميم بن محمد الطوسي: سمعت أحمد يقول: عليكم بمصنفات وكيع.

وروى عبد الله بن أحمد عن أبيه قال: أخطأ وكيع في خمسمائة حديث.

قال أبو هشام الرفاعي: سمعت وكيعا يقول: من زعم أن القرآن مخلوق فقد زعم أنه محدث، ومن زعم أن القرآن محدث فقد كفر. فيقول: احتج بعض المبتدعة بقول الله تعالى: (ما يأتيهم من ذكر ربهم محدث)، وبقوله تعالى: (لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا)، وهذا قال فيه علماء السلف معناه: إنه أحدث إنزاله إلينا، وكذا في الحديث الصحيح: " إن -[١٢٣٧]- الله يحدث من أمره ما شاء ". وإن مما أحدث أن لا تكلموا في الصلاة، فالقرآن العظيم كلام الله ووحيه وتنزيله، وهو غير مخلوق.

قال أحمد بن أبي الحواري: سمعت وكيعا يقول: ما أحدث حديثا قط عرضا.

قال ابن أبي الحواري: ذكرت لابن معين وكيعا، فقال: وكيع عندنا ثبت.

وقال عبد الرحمن بن الحكم بن بشير: وكيع عن سفيان غاية الإسناد، ليس بعده شيء، ما أعدل بوكيع أحدا. فقيل له: أبو معاوية؟ فنفر من ذلك.

نوح بن حبيب: حدثنا وكيع قال: حدثنا عبد الرحمن بن مهدي قال: حضرت موت سفيان، فكان عامة كلامه: ما أشد الموت. قال نوح: فأتيت ابن مهدي فقلت: حدثنا وكيع عنك، وحكيت له الكلام، وكان متكئا فقعد، فقال: أنا حدثت أبا سفيان؟ جزى الله أبا سفيان خيرا، ومن مثل أبي سفيان، وما يقال لمثل أبي سفيان.

علي بن خشرم: حدثنا وكيع، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن عبد الله البهي أن أبا بكر الصديق جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم بعد وفاته، فأكب عليه فقبله وقال: بأبي وأمي، ما أطيب حياتك ومماتك. ثم قال البهي: وكان النبي ترك يوما وليلة حتى ربا بطنه وأنثنت خنصراه. قال ابن خشرم: فلما حدث وكيع بهذا بمكة اجتمعت قريش وأرادوا صلبه، ونصبوا خشبة ليصلبوه، فجاء ابن عيينة فقال لهم: الله الله، هذا فقيه أهل العراق وابن فقيهه، وهذا حديث معروف. قال: ولم أكن سمعته، إلا أني أردت تخليص وكيع.

قال ابن خشرم: سمعته من وكيع بعدما أرادوا صلبه، فتعجبت من جسارته، وأخبرت أن وكيعا احتج فقال: إن عدة من الصحابة منهم عمر قالوا: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يمت، فأحب الله أن يريهم آية الموت.

رواها أحمد بن محمد بن علي بن رزين الباشاني عن علي بن خشرم، ورواه قتيبة عن وكيع.

وهذه هفوة من وكيع كادت تذهب فيها نفسه، فما له ولرواية هذا الخبر -[١٢٣٨]- المنكر المنقطع، وقد قال النبي صلى

الله عليه وسلم: "كفى بالمرء إثما أن يحدث بكل ما سمع "، ولولا أن الحافظ ابن عساكر وغيره ساقوا القصة في تواريخهم لتركتها ولما ذكرتها، ولكن فيها عبرة.

قال الفسوي في تاريخه: وفي هذه السنة حدث وكيع بمكة عن إسماعيل عن البهي، وذكر الحديث. قال: فرفع إلى العثماني فحبسه، وعزم على قتله، ونصبت خشبة خارج الحرم، وبلغ وكيعا وهو محبوس، قال الحارث بن صديق: فدخلت عليه لما بلغني وقد سبق إليه الخبر. قال: وكان بينه وبين سفيان بن عيينة يومئذ متباعد، فقال: ما أرانا إلا قد اضطررنا إلى هذا الرجل واحتجنا إليه؛ يعني سفيان. فقلت: دع هذا عنك، فإن لم يدركك قتلت. فأرسل إليه وفزع إليه، فدخل سفيان على العثماني فكلمه فيه، والعثماني يأبى عليه، فقال له سفيان: إني لك ناصح، إن هذا رجل من أهل العلم، وله عشيرة، وولده بباب أمير المؤمنين، فتشخص لمناظرتهم. قال: فعمل فيه كلام سفيان، فأمر بإطلاقه. فرجعت إلى وكيع فأخبرته، وأخرج، فركب حمارا، وحملنا متاعه، وسافر، فدخلت على العثماني من الغد وقلت: الحمد لله الذي لم تبتل بهذا الرجل، وسلمك الله. قال: يا حارث، ما ندمت على شيء ندامتي على تخليته، خطر ببالي هذه الليلة حديث جابر بن عبد الله قال: حولت أبي والشهداء بعد أربعين سنة فوجدناهم رطابا يثبتون، لم يتغير منهم شيء.

قال الفسوي: فسمعت سعيد بن منصور يقول: كنا بالمدينة، فكتب أهل مكة إلى أهل المدينة بالذي كان من وكيع، وقالوا: إذا قدم عليكم فلا تتكلوا على الوالي، وارجموه حتى تقتلوه. قال: فعرضوا علي ذلك، وبلغنا الذي هم عليه، فبعثنا بريدا إلى وكيع أن لا يأتي المدينة، ويمضي من طريق الربذة. وكان قد جاوز مفرق الطريقين، فلما أتاه البريد رد، ومضى إلى الكوفة.
-[١٢٣٩]-

وقد ساق ابن عدي هذه الواقعة في ترجمة عبد المجيد بن أبي رواد، ونقل أنه هو الذي أفتى بقتل وكيع، فقال: أخبرنا محمد بن عيسى المروزي فيما كتب إلي قال: حدثنا أبي عيسى بن محمد قال: حدثنا العباس بن مصعب قال: حدثنا قتيبة قال: حدثنا وكيع قال: حدثنا ابن أبي خالد، فساق الحديث. ثم قال قتيبة: حدث وكيع بهذا بمكة سنة حج الرشيد، فقدموه إليه، فدعا الرشيد سفيان بن عيينة وعبد المجيد، فأما عبد المجيد فإنه قال: يجب أن يقتل، فإنه لم يرو هذا إلا من في قلبه غش للنبي صلى الله عليه وسلم. وقال سفيان: لا قتل عليه، رجل سمع حديثا فرواه، المدينة شديدة الحر، توفي النبي صلى الله عليه وسلم فترك ليلتين؛ لأن القوم كانوا في إصلاح أمر الأمة، واختلفت قريش والأنصار، فمن ذلك تغير. قال قتيبة: فكان وكيع إذا ذكر فعل عبد المجيد قال: ذاك جاهل، سمع حديثا لم يعرف وجهه فتكلم بما تكلم.

عن مليح بن وكيع قال: لما نزل بأبي الموت أخرج يديه فقال: يا بني، ترى يدي ما ضربت بها شيئا قط.

قال مليح: فحدثني داود بن يحيى بن يمان قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم، فقلت: يا رسول الله، من الأبدال؟ قال: الذين لا يضربون بأيديهم شيئا، وإن وكيعا منهم.

قلت: بل من ضرب بيديه في سبيل الله فهو أفضل.

قال علي بن عثام: مرض وكيع فدخلنا عليه، فقال: إن سفيان أتاني فبشرني بجواره، فأنا مبادر إليه.

غنجار في تاريخه: حدثنا أحمد بن سهل، سمعت قيس بن أنيف، سمعت يحيى بن جعفر، سمعت عبد الرزاق يقول: يا أهل خراسان، إنه نعي لي إمام خراسان؛ يعني وكيعا. قال: فاهتممنا لذلك. ثم قال: بعدا لكم يا معشر الكلاب، إذا سمعتم من

أحد شيئا اشتهيتم موته.

قلت: ومن جسارته كونه حج بعد تيك المحنة.

قال أبو هشام الرفاعي: مات وكيع سنة سبع وتسعين ومائة يوم عاشوراء، ودفن بفيد؛ يعني راجعا من الحج. -[١٢٤٠]-

وقال أحمد: حج وكيع سنة ست وتسعين، ومات بفيد.". (١)

١٠٤-"٢١٢ - عبد الله المأمون ابن هارون الرشيد ابن محمد المهدي ابن عبد الله المنصور، أبو العباس الهاشمي.

[الوفاة: ٢١١ - ٢٢٠ هـ]

ولد سنة سبعين ومائة عندما استخلف أبوه الرشيد، وقرأ العلم في صغره،

وسمع من: هشيم، وعباد بن العوام، ويوسف بن عطية، وأبي معاوية الضرير، وطبقتهم.

وبرع في الفقه والعربية وأيام الناس. ولما كبر عني بالفلسفة وعلوم الأوائل ومهر فيها، فجره ذلك إلى القول بخلق القرآن.

روى عنه: ولده الفضل، ويحيى بن أكثم، وجعفر بن أبي عثمان الطيالسي، والأمير عبد الله بن طاهر، وأحمد بن الحارث الشيعي، ودعبل الخزاعي، وآخرون.

وكان من رجال بنى العباس حزما وعزما، وحلما وعلما، ورأيا ودهاء، وهيبة وشجاعة، وسؤددا وسماحة، وله محاسن وسيرة طويلة. -[٣٥٢]-

قال ابن أبي الدنيا: كان أبيض، ربعة، حسن الوجه، تعلوه صفرة، وقد وخطه الشيب. أعين، طويل اللحية رقيقها. ضيق الجبين، على خده خال.

وقال الجاحظ: كان أبيض فيه صفرة. وكان ساقاه دون جسده صفراوين، كأنهما طليتان بالزعفران.

وقال ابن أبي الدنيا: قدم الرشيد طوس سنة ثلاث وتسعين، فوجه ابنه المأمون إلى سمرقند. فأتته وفاة أبيه وهو بمرو.

وقال غيره: لما خلع الأمين أخاه المأمون من ولاية العهد غضب المأمون ودعا إلى نفسه بخراسان، فبايعوه في أول سنة ثمان وتسعين ومائة.

وقال الخطبي: كان يكنى أبا العباس، فلما استخلف اكتنى بأبي جعفر. وأمه أم ولد اسمها مراجل، ماتت أيام نفاسها به.

وقال أيضا: دعي للمأمون بالخلافة والأمين حي في آخر سنة خمس وتسعين، إلى أن قتل الأمين، فاجتمع الناس عليه، وتفرقت عماله في البلاد، وأقيم الموسم سنة ست وسنة سبع باسمه، وهو مقيم بخراسان. واجتمع الناس عليه ببغداد في أول سنة ثمان. وأتاه الخبر بمرو، فولي العراق الحسن بن سهل، فقدمها سنة تسع، ثم بايع المأمون بالعهد لعلي بن موسى الرضا الحسيني رحمه الله، ونوه بذكره، وغير زي آبائه من لبس السواد، وأبدله بالخضرة. فغضب بنو العباس بالعراق لهذين الأمرين وخلعوه، وبايعوا إبراهيم عمه ولقبوه " المبارك ".

فحاربه الحسن بن سهل، فهزمه إبراهيم وألحقه بواسط. وأقام إبراهيم بالمدائن. ثم سار جيش الحسن وعليهم حميد الطوسي،

---

(١) تاريخ الإسلام ت بشار ١٢٣٠/٤

وعلي بن هشام، فهزموا إبراهيم، فاختفى وانقطع خبره إلى أن ظهر في وسط خلافة المأمون، فعفا عنه.
وكان المأمون فصيحا مفوها. وكان يقول: معاوية بعمره، وعبد الملك بحجاجه، وأنا بنفسي. وقد رويت هذه عن المنصور.
وقيل: كان نقش خاتمه: المأمون عبد الله بن عبيد الله.
وروي عنه أنه ختم في بعض الرمضانات ثلاثا وثلاثين ختمة.
وقال الحسين بن فهم الحافظ: حدثنا يحيى بن أكثم قال: قال لي المأمون: أريد أن أحدث، فقلت: ومن أولى بهذا من أمير المؤمنين؟ فقال: -[٣٥٣]- ضعوا لي منبرا. ثم صعد، فأول حديث: حدثنا عن هشيم، عن أبي الجهم، عن الزهري، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة، رفع الحديث وقال: " امرؤ القيس صاحب لواء الشعراء إلى النار ".
ثم حدث بنحو من ثلاثين حديثا ثم نزل فقال لي: كيف رأيت يا يحيى مجلسنا، قلت: أجل مجلس، تفقه الخاصة والعامة، فقال: ما رأيت لكم حلاوة. إنما المجلس لأصحاب الخلقان والمحابر.
وقال السراج: حدثنا محمد بن سهل بن عسكر قال: تقدم رجل غريب بيده محبرة إلى المأمون فقال: يا أمير المؤمنين صاحب حديث منقطع به، فقال: ما تحفظ في باب كذا؟ فلم يذكر فيه شيئا، قال: فما زال المأمون يقول: حدثنا هشيم، وحدثنا يحيى، وحدثنا حجاج، حتى ذكر الباب، ثم سأله عن باب آخر، فلم يذكر فيه شيئا، فقال المأمون: حدثنا فلان، وحدثنا فلان، إلى أن قال لأصحابه: يطلب أحدهم الحديث ثلاثة أيام ثم يقول أنا من أصحاب الحديث، أعطوه ثلاثة دراهم.
ومع هذا فكان المأمون مسرفا في الكرم، جوادا ممدحا، جاء عنه أنه فرق في ساعة ستة وعشرين ألف ألف درهم.
وكان يشرب النبيذ. وقيل:، بل كان يشرب الخمر، فيحرر ذلك.
وجاء إنه أجاز أعرابيا مرة لكونه مدحه بثلاثين ألف دينار.
وأما ذكاؤه فمتوقد. روى مسروق بن عبد الرحمن الكندي: حدثني محمد بن المنذر الكندي جار عبد الله بن إدريس قال: حج الرشيد، فدخل الكوفة وطلب المحدثين. فلم يتخلف إلا عبد الله بن إدريس، وعيسى بن يونس، فبعث إليهما الأمين والمأمون. فحدثهما ابن إدريس بمائة حديث، فقال المأمون: يا عم، أتأذن أن أعيدها من حفظي؟ قال: افعل، فأعادها، فعجب من حفظه، ومضيا إلى عيسى فحدثهما، فأمر له المأمون بعشرة آلاف درهم، -[٣٥٤]- فأبى أن يقبلها وقال: ولا شربة ماء على حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم.
وروى محمد بن عون، عن ابن عيينة أن المأمون جلس فجاءته امرأة فقالت: يا أمير المؤمنين مات أخي وخلف ستمائة دينار، فأعطوني دينارا، وقالوا: هذا نصيبك، فحسب المأمون وقال: هذا نصيبك. هذا خلف أربع بنات، قالت: نعم، قال: لهن أربعمائة دينار. وخلف والدة فلها مائة دينار. وخلف زوجة فلها خمسة وسبعون دينارا. بالله ألك اثنا عشر أخا؟ قالت: نعم، قال: لكل واحد ديناران ولك دينار.
وقال ابن الأعرابي: قال لي المأمون: أخبرني عن قول هند بنت عتبة:
نحن بنات طارق ... نمشي على النمارق
من طارق هذا؟ قال: فنظرت في نسبها فلم أجده، فقلت: ما أعرف، قال: إنما أرادت النجم، انتسبت إليه لحسنها. ثم دحى إلي بعنبرة بعتها بخمسة آلاف درهم.

وقال بعضهم عن المأمون: من أراد كتابا سرا فليكتب بلبن حليب حلب لوقته، ويرسله إلى من يريد فيعمد إلى قرطاس فيحرقه ويذر رماده على الكتابة، فيقرأ له.

وقال الصولي: كان المأمون قد اقترح في الشطرنج أشياء. وكان يحب اللعب بها.

وعن بعضهم قال: استخرج المأمون كتب الفلاسفة واليونان من جزيرة قبرس، وقدم الشام غير مرة.

وقال أبو معشر المنجم: كان أمارا بالعدل، محمود السيرة، ميمون النقيبة، فقيه النفس، يعد مع كبار العلماء.

وعن الرشيد قال: إني لأعرف في عبد الله حزم المنصور، ونسك المهدي، وعزة الهادي، ولو أشاء أن أنسبه إلى الرابع، يعني نفسه، لنسبته. وقد قدمت محمدا عليه، وإني لأعلم أنه منقاد إلى هواه، مبذر لما حوته يده، -[٣٥٥]- يشارك في رأيه الإماء والنساء. ولولا أم جعفر وميل بني هاشم إليه لقدمت عبد الله عليه.

وعن المأمون قال: لو عرف الناس حبي للعفو لتقربوا إلي بالجرائم، وأخاف أن لا أؤجر فيه. يعني لكونه طبعا له.

وعن يحيى بن أكثم قال: كان المأمون يحلم حتى يغيظنا.

وقيل: إن ملاحا مر فقال: أتظنون أن هذا ينبل في عيني وقد قتل أخاه الأمين؟ فسمعها المأمون فتبسم، وقال: ما الحيلة حتى أنبل في عين هذا السيد الجليل؟.

وعن يحيى بن أكثم قال: كان المأمون يجلس للمناظرة في الفقه يوم الثلاثاء، فجاء رجل عليه ثياب قد شمرها ونعله في يده. فوقف على طرف البساط وقال: السلام عليكم. فرد عليه المأمون، فقال: أتأذن لي في الدنو؟ قال: ادن وتكلم، قال: أخبرني عن هذا المجلس الذي أنت فيه. جلسته باجتماع الأمة أم بالمغالبة والقهر؟ قال: لا بهذا ولا بهذا. بل كان يتولى أمر المسلمين من عقد لي ولأخي. فلما صار الأمر لي علمت أني محتاج إلى اجتماع كلمة المسلمين في الشرق والغرب على الرضى بي. فرأيت أني متى خليت الأمر اضطرب حبل الإسلام ومرج عهدهم، وتنازعوا، وبطل الجهاد والحج، وانقطعت السبل. فقمت حياطة للمسلمين إلى أن يجمعوا على رجل يرضون به، فأسلم إليه الأمر. فمتى اتفقوا على رجل خرجت له من الأمر، فقال: السلام عليكم ورحمة الله، وذهب، فوجه المأمون من يكشف خبره. فرجع وقال: يا أمير المؤمنين مضى إلى مسجد فيه خمسة عشر رجلا في مثل هيئته، فقالوا له: ألقيت الرجل؟ قال: نعم. وأخبرهم بما جرى، قالوا: ما نرى بما قال بأسا. وافترقوا. فقال المأمون: كفينا مؤونة هؤلاء بأيسر الخطب.

وقيل: أهدى ملك الروم إلى المأمون تحفا سنية منها مائة رطل مسك، ومائة حلة سمور. فقال المأمون: أضعفوها له ليعلم عز الإسلام وذل الكفر.

وقيل: دخل رجل من الخوارج على المأمون، فقال: ما حملك على الخلاف؟ قال قوله تعالى: ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾. قال: ألك علم بأنها منزلة؟ قال: نعم. قال: ما -[٣٥٦]- دليلك؟ قال: إجماع الأمة. قال: فكما رضيت بإجماعهم في التنزيل، فارض بإجماعهم في التأويل. قال: صدقت، السلام عليك يا أمير المؤمنين.

وقال محمد بن زكريا الغلابي: حدثنا مهدي بن سابق قال: دخل المأمون يوما ديوان الخراج، فمر بغلام جميل على أذنه قلم. فأعجبه حسنه فقال: من أنت؟ قال: الناشئ في دولتك، وخريج أدبك، والمتقلب في نعمتك يا أمير المؤمنين، الحسن بن رجاء، فقال: يا غلام بالإحسان في البديهة تفاضلت العقول، ثم أمر برفع مرتبه عن الديوان، وأمر له بمائة ألف درهم.

وعن إسحاق الموصلي قال: كان المأمون قد سخط على الخليع الشاعر لكونه هجاه عندما قتل الأمين. فبينا أنا ذات يوم عند المأمون إذ دخل الحاجب برقعة، فاستأذن في إنشادها. فأذن له، فقال:

أجرني فإني قد ظمئت إلى الوعد ... متى تنجز الوعد المؤكد بالعهد

أعيذك من خلف الملوك فقد ترى ... تقطع أنفاسي عليك من الوجد

أيبخل فرد الحسن عني بنائل ... قليل وقد أفردته بهوي فرد

إلى أن قال:

رأى الله عبد الله خير عباده ... فملكه والله أعلم بالعبد

ألا إنما المأمون للناس عصمة ... مميزة بين الضلالة والرشد

فقال له: أحسنت، قال: يا أمير المؤمنين أحسن قائلها، قال: ومن هو؟ قال: عبيدك الحسين بن الضحاك، فقال: لا حياه الله ولا بياه. أليس هو القائل:

فلا تمت الأشياء بعد محمد ... ولا زال شمل الملك فيها مبددا

ولا فرح المأمون بالملك بعده ... ولا زال في الدنيا طريدا مشردا

هذه بتلك، ولا شيء له عندنا، قال الحاجب: فأين عادة عفو أمير المؤمنين، قال: أما هذه فنعم. ائذنوا له، فدخل، فقال له: هل عرفت يوم قتل أخي هاشمية هتكت؟ قال: لا، قال: فما معنى قولك:

ومما شجى قلبي وكفكف عبرتي ... محارم من آل الرسول استحلت

ومهتوكة بالجلد عنها سجوفها ... كعاب كقرن الشمس حين تبدت -[٣٥٧]-

فلا بات ليل الشامتين بغبطة ... ولا بلغت آمالهم ما تمنت

فقال: يا أمير المؤمنين، لوعة غلبتني، وروعة فاجأتني، ونعمة سلبتها بعد أن غمرتني. فإن عاقبت فبحقك، وإن عفوت فبفضلك. فدمعت عينا المأمون وأمر له بجائزة.

حكى الصولي أن المأمون كان يحب اللعب بالشطرنج، واقترح فيه أشياء، وكان ينهى أن يقال: تعال نلعب، ويقول:، بل نتناقل، ولم يكن بها حاذقا، فكان يقول: أنا أدبر أمر الدنيا واتسع لها، وأضيق عن تدبير شبرين. وله فيها:

أرض مربعة حمراء من أدم ... كما بين إلفين معروفين بالكرم

تذاكرا الحرب فاحتالا لها حيلا ... من غير أن يأثما فيها بسفك دم

هذا يغير على هذا وذاك على ... هذا يغير وعين الحزم لم تنم

فانظر إلى فطن جالت بمعرفة ... في عسكرين بلا طبل ولا علم

وقيل: إن المأمون نظر إلى عمه إبراهيم بن المهدي وكان يلقب **بالتنين**، فقال: ما أظنك عشقت قط. ثم أنشد:

وجه الذي يعشق معروف ... لأنه أصفر منحوف

ليس كمن يأتيك ذا جثة ... كأنه للذبح معلوف

وعن المأمون قال: أعياني جواب ثلاثة. صرت إلى أم ذي الرياستين أعزيها فيه، فقلت: لا تأسي عليه فإني عوضه لك، قالت: يا أمير المؤمنين وكيف لا أحزن على ولد أكسبني مثلك، وأتيت بمتنبئ فقلت: من أنت؟ قال: أنا موسى بن عمران، قلت: ويحك، موسى كانت له آيات فأتني بها حتى أؤمن بك، قال: إنما أتيت بهذه المعجزات فرعون، إذ قال أنا ربكم الأعلى. فإن قلت كذلك أتيتك بالآيات.

قال: وأتى أهل الكوفة يشكون عاملهم فقال خطيبهم: هو شر عامل. أما في أول سنة فإنا بعنا الأثاث والعقار، وفي الثانية بعنا الضياع، وفي الثالثة نزحنا عن بلدنا وأتيناك نستغيث بك. فقلت: كذبت، بل هو رجل قد حمدت مذهبه، ورضيت دينه، واخترته معرفة مني بكم وتقديم سخطكم على العمال. قال: صدقت يا أمير المؤمنين وكذبت أنا. فقد خصصتنا به هذه المدة دون باقي البلاد، فاستعمله على بلد آخر ليشملهم من عدله وإنصافه مثل الذي -[٣٥٨]- شملنا. فقلت: قم في غير حفظ الله، قد عزلته عنكم.

ومما ينسب إلى المأمون من الشعر:

لساني كتوم لأسراركم ... ودمعي نموم لسري مذيع

فلولا دموعي كتمت الهوى

ولولا الهوى لم تكن لي دموع

وكان قدوم المأمون من خراسان إلى بغداد في سنة أربع ومائتين. دخلها في رابع صفر بأبهة عظيمة، وتجمل زائد.

قال إبراهيم بن محمد بن عرفة النحوي في تاريخه: حكى أبو سليمان داود بن علي، عن يحيى بن أكثم قال: كنت عند المأمون وعنده جماعة من قواد خراسان، وقد دعا إلى خلق القرآن حينئذ، فقال لأولئك القواد: ما تقولون في القرآن؟ فقالوا: كان شيخونا يقولون: ما كان فيه من ذكر الحمير والجمال والبقر فهو مخلوق، وما كان من سوى ذلك فهو غير مخلوق. فأما إذا قال أمير المؤمنين هو مخلوق، فنحن نقول كله مخلوق، فقلت للمأمون: أتفرح بموافقة هؤلاء؟ قال ابن عرفة: أمر المأمون مناديا فنادى في الناس ببراءة الذمة ممن ترحم على معاوية أو ذكره بخير.

وكان كلامه في القرآن سنة اثنتي عشرة. فكثر المنكر لذلك، وكاد البلد يفتتن ولم يلتئم له من ذلك ما أراد، فكف عنه. يعني كف عنه إلى بعد هذا الوقت.

ومن كلام المأمون: الناس ثلاثة، فمنهم مثل الغذاء لا بد منه على حال من الأحوال، ومنهم كالدواء يحتاج إليه في حال المرض، ومنهم كالداء مكروه على كل حال.

وعن المأمون قال: لا نزهة ألذ من النظر في عقول الرجال.

وقال: غلبة الحجة أحب إلي من غلبة القدرة. لأن غلبة الحجة لا تزول، وغلبة القدرة تزول بزوالها.

وكان المأمون يقول: الملك يغتفر كل شيء إلا القدح في الملك، وإفشاء السر، والتعرض للحرم.

وقال: أعيت الحيلة في الأمر إذا أقبل أن يدبر، وإذا أدبر أن يقبل. -[٣٥٩]-

وقيل للمأمون: أي المجالس أحسن؟ قال: ما نظر فيه إلى الناس. فلا منظر أحسن من الناس.

وكان المأمون معروفا بالتشيع، فروى أبو داود المصاحفي قال: سمعت النضر بن شميل يقول: دخلت على المأمون فقال: إني

قلت اليوم:

أصبح ديني الذي أدين به ... ولست منه الغداة معتذرا

حب علي بعد النبي ولا ... أشتم صديقه ولا عمرا

وابن عفان في الجنان مع الأبرار ... ذاك القتيل مصطبرا

وعائش الأم لست أشتمها ... من يفتريها فنحن منه برا

وقد نادى المأمون بإباحة متعة النساء، ثم لم يزل به يحيى بن أكثم حتى أبطلها، وروى له حديث الزهري، عن ابني الحنفية، عن أبيهما محمد، عن علي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن متعة النساء يوم خيبر. فلما صحح له الحديث رجع إلى الحق.

وأما مسألة خلق القرآن فلم يرجع عنها وصمم عليها في سنة ثمان عشرة. وامتحن العلماء، فعوجل ولم يمهل. توجه غازيا إلى أرض الروم فلما وصل إلى البذندون مرض واشتد به الأمر فأوصى بالخلافة إلى أخيه المعتصم.

وكان قد افتتح في غزوته أربعة عشر حصنا، ورد فنزل على عين البذندون، فأقام هناك واعتل.

قال المسعودي: أعجبه برد ماء العين وصفاؤها، وطيب الموضع وكثرة الخضرة، وقد طرح له درهم في العين، فقرأ ما عليه لفرط صفائها. ولم يقدر أحد أن يسبح فيها لشدة بردها. فرأى سمكة نحو الذراع كأنها الفضة. فجعل لمن يخرجها سيفا، فنزل فراش فاصطادها وطلع، فاضطربت وفرت إلى الماء فتنضح صدر المأمون ونحره وابتل ثوبه. ثم نزل الفراش ثانية وأخذها. فقال المأمون: تقلى الساعة. ثم أخذته رعدة فغطي باللحف وهو يرتعد ويصيح. فأوقدت حوله نار. ثم أتي بالسمكة فما ذاقها لشغله بحاله. فسأل المعتصم بختيشوع وابن ماسويه عن مرضه، فجساه، فوجدا نبضه خارجا عن الاعتدال، -[٣٦٠]- منذرا بالفناء، ورأيا عرقا سائلا منه كلعاب اللاعية فأنكراه ولم يجداه في كتب الطب، ثم أفاق المأمون من غمرته، فسأل عن تفسير اسم المكان بالعربي، فقيل: " مد رجليك ". فتطير به. وسأل عن اسم البقعة، فقيل الرقة. وكان فيما علم من مولده أنه يموت بالرقة. فكان يتجنب النزول بالرقة. فلما سمع ذلك من الروم عرف وأيس، وقال: يا من لا يزول ملكه ارحم من قد زال ملكه، وأجلس المعتصم عنده من يلقنه الشهادة لما ثقل. فرفع الرجل بها صوته، فقال له ابن ماسويه: لا تصيح، فوالله ما يفرق الآن بين ربه وبين ماني. ففتح عينيه وبهما من عظم التورم والاحمرار أمر شديد، وأقبل يحاول بيديه البطش بابن ماسويه، ورام مخاطبته فعجز، فرمق بطرفه نحو السماء وقد امتلأت عيناه دموعا، وقال في الحال: يا من لا يموت ارحم من يموت. ثم قضى ومات في يوم الخميس لاثنتي عشرة ليلة بقيت من رجب سنة ثماني عشرة. فنقله ابنه العباس وأخوه المعتصم لما توفي إلى طرسوس، فدفن هناك في دار خاقان خادم أبيه.". (١)

١٠٥-"٤٥ - إبراهيم بن المهدي محمد بن المنصور أبي جعفر عبد الله بن محمد بن علي أبو إسحاق العباسي الهاشمي الأسود، الملقب بالمبارك. ويلقب أيضا **بالتنين** لسمنه وضخامته. [الوفاة: ٢٢١ - ٢٣٠ هـ]

---

(١) تاريخ الإسلام ت بشار ٣٥١/٥

كان فصيحا مفوها بارع الأدب والشعر. بارعا إلى الغاية في الغناء ومعرفه الموسيقى. ويقال له: ابن شكلة، وهي أمه. -[٥٢١]-

روى عن: المبارك بن فضالة، وحماد بن يحيى الأبح.

وعنه: ابنه هبة الله، وحميد بن فروة، وأحمد بن الهيثم، وغيرهم.

قال علي بن المغيرة الأثرم: حدثني إبراهيم بن المهدي أنه ولي إمرة دمشق سنتين، ثم أربع سنين لم يقطع على أحد في عمله طريق. وأخبرت أن الآفة كانت في قطع الطريق من دعامة والنعمان موليان لبني أمية، ويحيى بن أرميا من يهود البلقاء. وأنهم لم يضعوا أيديهم في يد عامل. فلما وليت كاتبتهم، قال: فكتب إليه النعمان بالأيمان المحرجة أنه لا يفسد في عمله ما دام واليا، قال: ودخل إلى دعامة سامعا مطيعا، وأعلمني أن النعمان قد صدق وأنه يفي. وأعلمني أن اليهودي كتب إليه: أني خارج إلى مناظرتك فاكتب لي أمانا تحلف لي فيه أنك لا تحدث في حدثا حتى تردني إلى مأمني. فأجبته، قال: فقدم علي شاب أشعر أمعر، عليه أقبية ديباج ومنطقة وسيف محلى. فدخل علي إلى دار معاوية، وكنت في صحنها. فسلم من دون البساط. فقلت: ارتفع، فقال: أيها الأمير إن للبساط ذماما، أخاف أن يلزمني جلوسي عليه، ولست أدري ماذا تسومني. فقلت له: أسلم واسمع وأطع، فقال: أما الطاعة فأرجو. وأما الإسلام فلا سبيل إليه. فأعلمني بما لي عندك إذا لم أدخل في دينك، قال: لا بد من أداء الجزية، فقال: يعفيني الأمير، قال: فقلت: لا سبيل إلى ذلك، قال: فأنا منصرف على أماني، فأذنت له، وأمرتهم بأن يسقوا فرسه عند خروجه إليه. فلما رأى ذلك دعا بدابة شاكرية، فركبها وترك دابته، وقال: ما كنت لآخذ معي شيئا قد أرتفق منكم بمرفق فأحاربكم عليه، قال: فاستحسنت منه ذلك وطلبته، فلما دخل قلت: الحمد لله الذي أظفرني بك بلا عقد ولا عهد، قال: وكيف ذاك؟ قلت: لأنك قد انصرفت من عندي ثم عدت إلي، قال شرطك أن تصرفني إلى مأمني. فإن كان دارك مأمني فلست بخائف، وإن كان مأمني داري فردني إلى البلقاء، فجهدت به أن يجيبني إلى أداء الجزية، على أن أهبه في السنة ألفي دينار، فلم يفعل. فأذنت له في الرجوع إلى مأمنه. فرجع فأسعر الدنيا شرا، ثم حمل إلى عبيد الله بن المهدي مال من مصر فخرج اليهودي متعرضا له، فكتب إلي النعمان بذلك، فكتبت إليه آمره بمحاربة اليهودي إن عرض للمال. فخرج النعمان متلقيا للمال، ووافاه اليهودي، ومع كل واحد منهما جماعته. فسأل النعمان اليهودي -[٥٢٢]- الانصراف، فأبى وقال: إن شئت خرجت إليك وحدي وأنت في جماعتك، وإن شئت تبارزنا، فإن ظفرت بك انصرف أصحابك إلي وكانوا شركائي في الغنيمة، وإن ظفرت بي صار أصحابي إليك. فقال له النعمان: يا يحيى، ويحك أنت حدث، وقد بليت بالعجب. ولو كنت من أنفس قريش لما أمكنك معارة السلطان. وهذا الأمير هو أخو الخليفة. وإنا وإن فرقنا الدين أحب أن لا يجري على يدي قتل فارس من الفرسان، فإن كنت تحب ما أحب من السلامة فأخرج إلي، ولا يبتلى بك وبي من يسوؤنا قتله، قال: فخرجا جميعا وقت العصر، فلم يزالا في مبارزة إلى الظلام، فوقف كل منهما على فرسه، واتكأ على رمحه، إلى أن غلبت النعمان عيناه، فطعنه اليهودي، فوقع سنان رمحه في منطقة النعمان، فدارت المنقطة وصار السنان يدور بدوران المنطقة إلى الظهر، واعتنقه النعمان وقال له: أغدرا يا ابن اليهودية؟ فقال له: أومحارب ينام يا ابن الأمة؟ واتكأ عليه النعمان عند معانقته إياه، فسقط فوقه، وكان النعمان ضخما، فصار فوق اليهودي، فذبحه وبعث إلي برأسه. فلم يختلف علي بعدها أحد. ثم ولي بعدي دمشق سليمان بن المنصور، فانتهبه أهل دمشق وسبوا

حرمه، ثم ولي بعده أخوه منصور، فكانت على رأسه الفتنة العظمى. ثم لم يعط القوم طاعة بعد ذلك، إلى أن افتتح دمشق عبد الله ابن طاهر سنة عشر ومائتين.

وكان السبب في صرفي عن دمشق للمرة الأولى أنني اشتهيت الاصطباح فأغلقت الأبواب. قال: فحضر الكاتب، فصار إليه بعض الحشم، فسأله أن يكتب له إلى صاحب النزل، فلم يمكن إخراج الدواة، واستعجله ذلك الغلام، فأخذ فحمة، وكتب في خزفة بحاجته، فأخذ سليم حاجبي تلك الفحمة فكتب على الحائط: كاتب يكتب بفحمة في الخزف، وحاجب لا يصل. فوافى صاحب البريد، فقرأ ما كتب سليم، فكتب بذلك إلى الرشيد، فوافى كتابه الرقة يوم الرابع، فساعة وقع بصره على الكتاب عزلني، وحبسني مائة يوم، ثم رضي عني بعد سنة. ثم قال لي بعد سنتين: بحقي عليك لما تخيرت ولاية أوليكها، فقلت: دمشق، فسألني عن سبب اختياري لها، فأخبرته باستطابتي هواءها، واستمرائي ماءها، واستحساني مسجدها وغوطها، فقال: قدرك اليوم -[٥٢٣]- عندي يتجاوز ولاية دمشق، ولكن أجمع لك مع ولاية الصلاة والمعادن ولاية الخراج، فعقد لي عليها.

وقال الخطيب: بويع إبراهيم بن المهدي بالخلافة زمن المأمون، وقاتل الحسن بن سهل، فهزمه إبراهيم، فتوجه نحو حميد الطوسي فقاتله فهزمه حميد واستخفى إبراهيم زمانا حتى ظفر به المأمون، فعفا عنه، وكان أسود حالكا، عظيم الجثة. لم ير في أولاد الخلفاء قبله أفصح منه ولا أجود شعرا، وكان وافر الأدب، جوادا حاذقا بالغناء معروفا به.

وفيه يقول دعبل:

نفر ابن شكلة بالعراق وأهلها ... وهفا إليه كل أطلس مائق

إن كان إبراهيم مضطلعا بها ... فلتصلحن من بعده لمخارق

وقال ابن ماكولا: ولد سنة اثنتين وستين ومائة.

وقال الخطبي: بايع أهل بغداد لإبراهيم في داره، ولقبوه المبارك، وقيل: المرضي، في أول سنة اثنتين ومائتين. فغلب على الكوفة وبغداد والسواد. فلما أشرف المأمون على العراق ضعف إبراهيم. قال: وركب إبراهيم بأبهة الخلافة إلى المصلى يوم النحر، فصلى بالناس وهو ينظر إلى عسكر المأمون. ثم انصرف من الصلاة وأطعم الناس بقصر الرصافة، ثم استتر وانقضى أمره، قال: وظفر به المأمون في سنة عشر، فعفا عنه وبقي مكرما إلى أن توفي في رمضان سنة أربع وعشرين.

وروى المبرد عن أبي محلم قال: قال إبراهيم بن المهدي حين أدخل على المأمون: ذنبي أعظم من أن يحيط به عذر، وعفوك أعظم من أن يتعاظمه ذنب.

وعن حميد بن فروة: أن المأمون قال لعمه إبراهيم: يا إبراهيم أنت المتوثب علينا تدعي الخلافة؟ فقال: يا أمير المؤمنين أنت ولي الثأر، والمحكم في القصاص، والعفو أقرب للتقوى. وقد جعلك الله فوق كل ذي -[٥٢٤]- ذنب. فإن أخذت أخذت بحقك، وإن عفوت عفوت بفضل. ثم ذكر له حديثا في العفو فقال: قد قبلت الحديث وعفوت عنك. ها هنا يا عم ها هنا يا عم.

وقال ابن الأنباري: حدثنا أحمد بن الهيثم، قال: حدثنا إبراهيم بن المهدي، قال: حدثنا حماد بن الأبح، عن ابن أبي مليكة، عن عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من نوقش الحساب عذب». كذا أخرجه الحافظ ابن عساكر في

صدر ترجمة إبراهيم، وهو إبراهيم بن مهدي المصيصي إن شاء الله.
وقال إبراهيم الحربي: نودي سنة ثمان ومائتين أن أمير المؤمنين قد عفا عن عمه إبراهيم. وكان إبراهيم حسن الوجه، حسن الغناء، حسن المجلس، رأيته وأنا مع القواريري يوما، وكان على حمار، فقبل القواريري فخذه.
وقال داود بن سليمان الأنباري: حدثنا ثمامة بن أشرس، قال: قال لي المأمون: قد عزمت على تفزيع عمي، قال: فحضرت، فبينا نحن على السماط إذ سمعت صلصلة الحديد، فإذا بإبراهيم موقوف على البساط، ممسوك بضبعيه، مغلولة يده إلى عنقه، قد تهدل شعره على عينيه، فسلم، فقال المأمون: لا سلم الله عليك، أكفر يا إبراهيم بالنعمة وخروج على أمير المؤمنين؟! فقال: يا أمير المؤمنين، إن القدرة تذهب الحفيظة. ومن مد له في الاغترار هجمت به الأناة على التلف. وقد رفعك الله فوق كل ذي ذنب، كما وضع كل ذي ذنب دونك، فإن تعاقب فبحقك، وإن تعف فبفضلك، فقال: إن هذين قد أشارا علي بقتلك، وأومأ إلى المعتصم أخيه، وإلى العباس ابنه، فقال: أشارا عليك بما يشار به على مثلك، وفي مثلي من حسن السياسة، وإن الملك عقيم، ولكنك تأبى أن تستجلب نصرا إلا من حيث عودك الله، وأنا عمك، والعم صنو الأب. وبكى فتغرغرت عينا المأمون، ثم قال: يا ثمامة، إن الكلام كلام كالدر، يا غلمان حلوا عن عمي، وغيروا من حالته في أسرع وقت، وجيئوني به، ففعلوا ذلك، فأحضره مجلسه، ونادمه، وسأله أن يغني، فأبى وقال: نذرت لله عند خلاصي تركه، فعزم عليه، وأمر أن يوضع العود في حجره، فغنى.
وعن منصور بن المهدي قال: كان أخي إبراهيم إذا تنحنح طرب من -[٥٢٥]- يسمعه، فإذا غنى أصغت الوحوش ومدت أعناقها إليه حتى تضع رؤوسها في حجره. فإذا سكت نفرت وهربت. وكان إذا غنى لم يبق أحد إلا ذهل، ويترك ما في يده حتى يفرغ.
وقال عبد الله بن العباس بن الفضل بن الربيع: ما اجتمع أخ وأخت أحسن غناء من إبراهيم بن المهدي وعلية. وكانت علية تقدم عليه.
وقال عون بن محمد: استتر إبراهيم، فكان يتنقل في المواضع، فنزل بقرب أخت له، فوجهت إليه بجارية حسناء لتخدمه، وقالت: أنت له. ولم يدر إبراهيم، فأعجبته، فقال:
بأبي من أنا قد أصبح ... ت مأسورا لديه
والذي أجللت خدي ... ه فقبلت يديه
والذي يقتلني ظلما ... ولا يعدى عليه
أنا ضيف وجزا ... ء الضيف إحسان إليه
ومن شعره:
قد شاب رأسي ورأس الحرص لم يشب ... إن الحريص على الدنيا لفي تعب
لو كان يصدقني ذهني بفكرته ... ما أشتد غمي على الدنيا ولا نصبي
بالله ربك كم بيت مررت به ... قد كان يعمر باللذات والطرب
طارت عقاب المنايا في جوانبه ... فصار من بعدها للويل والخرب

وقيل: إن المأمون شاور في قتله أحمد بن خالد الوزير فقال: يا أمير المؤمنين إن قتلته فلك نظراء، وإن عفوت فما لك نظير.
قلت: لا يعد إبراهيم من الخلفاء، لأنه شق العصا وكانت أيامه سنتين إلا شهرا. وله ترجمة طويلة في " تاريخ دمشق " تكون في سبع عشرة ورقة.". (١)

١٠٦-"-سنة تسع وثلاث مائة

فيها جري بين أبي جعفر محمد بن جرير الطبري وبين الحنابلة كلام، فحضر أبو جعفر عند علي بن عيسى لمناظرتهم، فلم يحضروا.
وفيها: قدم مؤنس من حرب صاحب القيروان، فخلع عليه المقتدر، ولقبه بالمظفر. وسار ثمل الخادم من طرسوس في البحر إلى الإسكندرية فأخذها من جيش المغاربة.
وفيها: عزل تكين عن مصر بأبي قابوس محمود بن حمك، فأقام ثلاثة أيام، ثم عزل وأعيد تكين.
وفيها: عسكر مؤنس وتكين والقواد وساروا إلى الفيوم لحرب عساكر القائم، فرجع القائم إلى إفريقية من غير قتال، وذلك في أوائل السنة.
وفيها: قتل الحلاج، وقد مر من أخباره في سنة إحدى وثلاث مائة؛ وهو -[١٧]- أبو عبد الله الحسين بن منصور بن محمي، وقيل: أبو مغيث. وكان محمي مجوسيا فارسيا.
نشأ الحسين بواسط، وقيل: بتستر، وتلمذ لسهل بن عبد الله التستري. ثم قدم بغداد وأخذ عن الجنيد والنوري، وابن عطاء، وأخذ في المجاهدة ولبس المسوح. ثم كان في وقت يلبس الأقبية، وفي وقت يلبس المصبوغ. وقيل: كان أبوه حلاجا. وقيل: أنه تكلم على الناس، فقيل: هذا حلاج الأسرار. وقيل: إنه مر على حلاج، فبعثه في شغل له، فلما عاد الرجل وجده قد حلج كل قطن في الدكان.
وقد دخل الهند وأكثر الأسفار وجاور.
قال حمد ابنه: مولد أبي بطور البيضاء، ومنشأه بتستر. ودخل بغداد فكان يلبس المسوح، ومرة يلبس الدراعة والعمامة، ومرة القباء، ووقتا يمشي بخرقتين. وخرج إلى عمرو بن عثمان المكي وإلى الجنيد وصحبهما. ثم وقع بين الجنيد وبين أبي لأجل مسألة، ونسبه الجنيد إلى أنه مدعي. فرجع بأمي إلى تستر، فوقع له بها قبول. ولم يزل عمرو بن عثمان المكي يكتب الكتب فيه بالعظائم، حتى غضب ورمى بزي الصوفية ولبس قباء، وصحب أبناء الدنيا. ثم سافر عنا خمس سنين، بلغ إلى ما وراء النهر؛ ثم رجع إلى فارس، وأخذ يتكلم ويدعو إلى الله. وصنف لهم، وتكلم على الخواطر، ولقب حلاج الأسرار. ثم قدم الأهواز فحملت إليه، ثم خرج إلى البصرة ثم إلى مكة، ولبس المرقعة، وخرج معه خلق، فتكلم فيه أبو يعقوب النهرجوري وحسده، فقدم الأهواز، وحمل أمي وجماعة من رؤسائها إلى بغداد، فبقي بها سنة، ثم قصد الهند وما وراء النهر ثانيا، ودعا إلى الله، وصنف لهم كتبا، ثم رجع، فكانوا يكاتبونه من الهند بالمغيث، ومن بلاد تركستان بالمقيت، ومن خراسان، بالمميز،

---

(١) تاريخ الإسلام ت بشار ٥/٥٢٠

ومن فارس بأبي عبد الله الزاهد، ومن خوزستان بالشيخ حلاج الأسرار. وكان ببغداد قوم يسمونه: المصطلم، وبالبصرة المحير. ثم كثرت الأقاويل عليه بعد رجوعه من هذه السفرة، فحج وجاور سنتين وجاء. وتغير عما كان عليه في الأول، واقتنى العقار ببغداد، وبنى دارا ودعا الناس إلى معنى لم أقف عليه، بل على شطر منه، حتى خرج عليه محمد بن داود وجماعة من أهل العلم، وقبحوا صورته. ووقع بين علي بن عيسى وبينه لأجل نصر القشوري، ثم وقع بينه وبين الشبلي وغيره من المشايخ، فقيل: هو -[١٨]- ساحر، وقيل: هو مجنون، وقيل: بل له كرامات، حتى حبسه السلطان. روى هذا ابن باكويه الشيرازي، قال: أخبرني حمد بن الحلاج، فذكره.

وقال الحسين بن محمد المزاري: سمعت أبا يعقوب النهرجوري يقول: دخل الحسين إلى مكة فجلس في صحن المسجد سنة لا يبرح من موضعه الا لطهارة أو طواف، ولا يبالي بالشمس ولا بالمطر، ويفطر على أربع عضات من قرص يؤتى به، ثم إنه سافر إلى الهند، وتعلم السحر.

وقال أحمد بن يوسف التنوخي الأزرق: كان الحلاج يدعو كل وقت إلى شيء على حسب ما يستبله طائفة. أخبرني جماعة من أصحابه أنه لما افتتن الناس به بالأهواز ونواحيها لما يخرجه لهم من الأطعمة في غير حينها والدراهم، ويسميها دراهم القدرة. وحدث أبو علي الجبائي بذلك فقال: هذه الأشياء يمكن الحيل فيها، ولكن أدخلوه بيتا من بيوتكم، وكلفوه أن يخرج منه جرزتين شوكا فبلغ الحلاج، فخرج عن الأهواز.

وعن محمد بن يحيى الرازي قال: سمعت عمرو بن عثمان المكي يلعن الحلاج ويقول: لو قدرت عليه لقتلته؛ قرأت آية فقال: يمكنني أن أؤلف مثله.

وقال أبو يعقوب الأقطع: زوجت بنتي من الحلاج، فبان لي بعد مديدة أنه ساحر محتال.

وقال أبو عمر بن حيويه: لما أخرج الحلاج ليقتل مضيت وزاحمت حتى رأيته، فقال لأصحابه: لا يهولنكم، فإني عائد إليكم بعد شهر.

هذه حكاية صحيحة توضح أنه ممخرق حتى عند القتل.

وقال أبو بكر الصولي: جالست الحلاج، فرأيت جاهلا يتعاقل، وعييا يتبالغ، وفاجرا يتزهد. وكان ظاهره أنه ناسك، فإذا علم أن أهل بلد يرون الاعتزال صار معتزليا، أو يرون التشيع تشيع، أو يرون التسنن تسنن. وكان يعرف الشعبذة والكيمياء والطب. وكان حينا ينتقل في البلاد، ويدعي الربوبية، ويقول للواحد من أصحابه: أنت آدم؛ ولذا: أنت نوح؛ ولذا: أنت محمد. ويدعي التناسخ، وأن أرواح الأنبياء انتقلت إليه.

وروى علي بن أحمد الحاسب، عن أبيه قال: وجهني المعتضد إلى الهند، وكان معنا في السفينة رجل يقال له الحسين بن منصور، فقلت له: فيم جئت؟ قال: أتعلم السحر، وأدعو الخلق إلى الله. -[١٩]-

وقال أبو بكر الصولي: قبض علي بن أحمد الراسبي الأمير على الحلاج وأدخله بغداد وغلاما له على جملين مشهورين سنة إحدى وثلاث مائة. وكتب يذكر أن البينة قامت عنده أنه يدعي الربوبية ويقول بالحلول. فأحضره علي بن عيسى الوزير، وأحضر العلماء فناظروه، فأسقط في لفظه، ولم يجده يحسن من القرآن شيئا ولا من غيره. ثم حبس مدة.

قال الصولي: وكان يري الجاهل شيئا من شعبذته، فإذا وثق به دعاه إلى أنه إله، فدعا فيمن دعا أبا سعيد بن نوبخت، فقال

له، وكان أقرع: أنبت في مقدم رأسي شعرا. ثم ترقت به الحال، ودافع عنه نصر الحاجب لأنه قيل إنه سني، وإنما تريد قتله الرافضة. قال: وكان في كتبه: إني مغرق قوم نوح ومهلك عاد وثمود. وكان حامد بن العباس الوزير قد وجد له كتبا فيها أنه إذا صام الإنسان وواصل ثلاثة أيام وأخذ في اليوم الرابع ورقات هندباء فافطر عليها أغناه عن صوم رمضان. وإذا صلي في ليلة واحدة ركعتين طول الليل أغنته عن الصلاة ما بقي. وإذا تصدق في يوم بجميع ما يملكه أغناه عن الزكاة. وإذا بنى بيتا وصام أياما وطاف به أغناه عن الحج. فأحضر حامد القضاة وأحضره وقال: أتعرف هذا الكتاب؟ قال: هذا كتاب " السنن " للحسن البصري. فقال: ألست تدين بما فيه؟ قال: بلى. هذا كتاب أدين الله بما فيه. فقال له أبو عمر القاضي: هذا فيه نقض شرائع الإسلام. ثم جاراه في الكلام إلى أن قال له أبو عمر: يا حلال الدم، من أي كتاب نقلت هذا؟ قال: من كتاب " الإخلاص " للحسن البصري. قال: كذبت يا حلال الدم، قد سمعنا الكتاب، وليس فيه شيء من هذا. فقال حامد لأبي عمر القاضي: قد أفتيت بأنه حلال الدم، فضع خطك بهذا. فدافع ساعة، فمد حامد يده إلى الدواة وقدمها للقاضي وألح عليه، فكتب بأنه حلال الدم، وكتب الفقهاء والعلماء بذلك خطوطهم، والحلاج يقول: يا قوم، لا يحل لكم إراقة دمي. فبعث حامد بخطوطهم إلى المقتدر، وأستأذنه في قتله، فتأخر عنه الجواب، فخاف أن يبدو للمقتدر فيه رأي لما قد استمال من الخواص بزهده وتعبده في الحبس، فنفذ إلي المقتدر أنه قد ذاع كفره وادعاؤه الربوبية، وإن لم يقتل افتتن الناس، وتجرأ قوم على الله تعالى والرسل. فأذن المقتدر في قتله. فطلب حامد صاحب الشرطة محمد بن عبد الصمد، وأمره أن يضربه ألف سوط، فإن مات وإلا يقطع يديه ورجليه. -[٢٠]-

فلما كان يوم الثلاثاء لست بقين من ذي القعدة أحضر الحلاج مقيدا إلى باب الطاق وهو يتبختر بقيده ويقول:

حبيبي غير منسوب ... إلى شيء من الحيف

سقاني مثل ما يشرب ... فعل الضيف بالضيف

فلما دارت الكاس ... دعا بالنطع والسيف

كذا من يشرب الراح ... مع التنين في الصيف

فضرب ألف سوط، ثم قطعت يده ورجله، ثم حز رأسه وأحرقت جثته.

وذكر ابن حوقل قال: ظهر من إقليم فارس الحسين بن منصور الحلاج، ينتحل الشك والتصوف، فما زال يترقى طبقا عن طبق حتى آل به الحال إلى أن زعم أنه من هذب في الطاعة جسمه، وشغل بالأعمال الصالحة قلبه، وصبر على مفارقة اللذات، ومنع نفسه عن الشهوات يترق في درج المصافاة حتى يصفوا عن البشرية طبعه، فإذا صفى حل فيه روح الله الذي كان منه إلى عيسى ابن مريم عليه السلام، فيصير مطاعا، يقول للشيء: كن فيكون فكان الحلاج يتعاطى ذلك، ويدعو إلى نفسه، حتى استمال جماعة من الوزراء والأمراء وملوك الجزيرة والجبال والعامة.

وقال أبو الفرج ابن الجوزي: قد جمعت كتابا سميته " القاطع لمحال اللجاج بحال الحلاج "، وقال: قد كان هذا الرجل يتكلم بكلام الصوفية فتندر له كلمات حسان، ثم يخطلها بأشياء لا تجوز. وكذلك أشعاره، قال: فمنها:

سبحان من أظهر ناسوته ... سر سنا لاهوته الثاقب

ثم بدا في خلقه ظاهرا ... في صورة الآكل والشارب

حتى لقد عاينه خلقه ... كلحظة الحاجب بالحاجب

قال: ولما حبس ببغداد استغوى جماعة، فكانوا يستشفون ببوله، ويقولون: إنه يحيي الموتى.

وقال ثابت بن سنان: انتهى إلى حامد بن العباس في وزارته أمر الحلاج، وأنه قد موه على جماعة من الخدم والحشم وأصحاب المقتدر -[٢١]- وعلى خدم نصر ابن الحاجب بأنه يحيي الموتى، وأن الجن يخدمونه ويحضرون إليه ما يريد، وأن حمد بن محمد الكاتب قال: إنه مرض فشرب بوله، فعوفي، وكان محبوسا بدار الخلافة.

وسعي إلى حامد برجل يعرف بالسمري وبجماعة، فقبض عليهم وناظرهم، فاعترفوا أن الحلاج إله وأنه يحيي الموتى. ووافقوا الحلاج وكاشفوه فأنكر. وكانت ابنة السمري صاحب الحلاج قد أقامت عنده في دار السلطان مدة، وكانت عاقلة حسنة العبارة. فدعاها حامد فسألها عن أمره فقالت: قال لي يوما: قد زوجتك من سليمان ابني وهو بنيسابور، وليس يخلو أن يقع بين المرأة وزوجها خلاف، فإن جرى منه ما تكرهينه، فصومي يومك، واصعدي آخر النهار إلى السطح، وقومي على الرماد، وأفطري على الملح، واذكري ما أنكرته منه، فإني أسمع وأرى. قالت: وكنت نائمة ليلة وهو قريب مني، وابنته عندي، فما أحسست به إلا وقد غشيني، فانتبهت فزعة فقلت: ما لك؟ قال: إنما جئت لأوقظك للصلاة. وقالت لي بنته يوما: اسجدي له. فقلت: أو يسجد أحد لغير الله؟ وهو يسمع كلامنا، فقال: نعم إله في السماء وإله في الأرض. وذكر القصة إلى أن قال: فسلمه حامد الوزير إلى صاحب الشرطة وقال: اضربه ألف سوط، فإن مات فحز رأسه وأحرق جثته، وإن لم يتلف فاقطع يديه ورجليه، وأحرق جسده، وانصب رأسه على الجسر. ففعل به ذلك، وبعث برأسه إلى خراسان، وطيف به، وأقبل أصحابه يعدون أربعين يوما ينتظرون رجوعه. وزعم بعضهم أنه لم يقتل، وأن عدوا له ألقي عليه شبهة. وبعضهم ادعى أنه راه في غد ذلك اليوم في طريق النهروان راكبا على حمار وهو يقول: قولوا لهؤلاء البقر الذين ظنوا أنني أنا الذي قتلت ما أنا ذاك.

وأحضر حامد الوزير الوراقين واستحلفهم أن لا يبيعوا شيئا من كتب الحلاج ولا يشتروها.

وقيل: إن الحلاج لم يتأوه في ضربه.

وقيل: إن يده لما قطعت كتب الدم على الأرض: الله الله، وليس ذلك بصحيح.

وسائر مشايخ الصوفية ذموا الحلاج إلا ابن عطاء، ومحمد بن خفيف الشيرازي، وإبراهيم بن محمد النصراباذي، فصححوا حاله ودونوا كلامه.

ثم وقفت على الجزء الذي جمعه ابن باكويه في حال الحلاج فقال: -[٢٢]- حدثني حمد بن الحلاج، وذكر فصلا قد تقدم قطعة منه، إلى أن قال: حتى أخذه السلطان وحبسه، فذهب نصر القشوري واستأذن الخليفة أن يبني له بيتا في الحبس، فبنى له دارا صغيرة بجنب الحبس، وسدوا باب الدار، وعملوا حواليه سورا، وفتحوا بابه إلى الحبس، وكان الناس يدخلون عليه سنة، ثم منعوا، فبقي خمسة أشهر لا يدخل عليه أحد، إلا مرة رأيت أبا العباس بن عطاء الأدمي دخل عليه بالحيلة. ورأيت مرة أبا عبد الله بن خفيف وأنا برا عند والدي بالليل والنهار عنده. ثم حبسوني معه شهرين، وعمري يومئذ ثمانية عشر عاما. فلما كانت الليلة التي أخرج من صبيحتها، قام فصلى ركعات، ثم لم يزل يقول: مكر مكر؛ إلى أن مضى أكثر

الليل. ثم سكت طويلا ثم قال: حق، حق. ثم قام قائما، وتغطى بإزار، واتزر بمئزر، ومد يديه نحو القبلة، وأخذ في المناجاة. وكان خادمه حاضرا، فحفظنا بعضها. فكان من مناجاته:

نحن شواهدك، نلوذ بسنا عزتك، لتبدي ما شئت من شأنك ومشيئتك، أنت الذي في السماء إله وفي الأرض إله، يا مدهر الدهور، ومصور الصور، يا من ذلت له الجواهر، وسجدت له الأعراض، وانعقدت بأمره الأجسام، وتصورت عنده الأحكام. يا من تجلى لما شاء، كما شاء، كيف شاء، مثل التجلي في المشيئة لأحسن الصورة. وفي نسخة: مثل تجليك في مشيئتك كأحسن الصورة. والصورة: هي الروح الناطقة التي أفردته بالعلم والبيان والقدرة. ثم أوعزت إلى شاهدك الآني في ذاتك الهوي اليسير لما أردت بدايتي، وأظهرتني عند عقيب كراتي، ودعوت إلى ذاتي بذاتي، وأبديت حقائق علومي ومعجزاتي، صاعدا في معارجي إلى عروش أوليائي، عند القول من برياتي، إني أحتضر وأقتل وأصلب وأحرق، وأحمل على السافيات الذاريات. وإن لذرة من ينجوج مظان هيكل متجلياتي لأعظم من الراسيات.

ثم أنشأ يقول:

أنعى إليك نفوسا طاح شاهدها ... فيما وراء الغيب أو في شاهد القدم

أنعى إليك قلوبا طالما هطلت ... سحائب الوحي فيها أبحر الحكم -[٢٣]-

أنعى إليك لسان الحق مذ زمن ... أودى وتذكاره في الوهم كالعدم

أنعى إليك بيانا تستسر له ... أقوال كل فصيح مقول فهم

أنعى إليك إشارات العقول معا ... لم يبق منهن الا دارس العلم

أنعى وحقك أحلاما لطائفة ... كانت مطاياهم من مكمد الكظم

مضى الجميع فلا عين ولا أثر ... مضي عاد وفقدان الأولى إرم

وخلفوا معشرا يجدون لبستهم ... أعمى من البهم بل أعمى من النعم

ثم سكت، فقال خادمه أحمد بن فاتك: أوصني يا سيدي. فقال: هي نفسك إن لم تشغلها شغلتك. فلما أصبحنا أخرج من الحبس، فرأيته يتبختر في قيده ويقول:

نديمي غير منسوب. . . الأبيات.

ثم حمل وقطعت يداه ورجلاه، بعد أن ضرب خمس مائة سوط، ثم صلب، فسمعته وهو على الجذع يناجي ويقول: إلهي، أصبحت في دار الرغائب أنظر إلى العجائب، إلهي إنك تتودد إلى من يؤذيك، فكيف لا تتودد إلى من يؤذى فيك. ثم رأيت أبا بكر الشبلي وقد تقدم تحت الجذع، وصاح بأعلى صوته يقول: أولم أنهك عن العالمين. ثم قال له: ما التصوف؟ قال: أهون مرقاة فيه ما ترى. قال: فما أعلاه؟ قال: ليس لك إليه سبيل، ولكن سترى غدا ما يجري، فإن في الغيب ما شهدته وغاب عنك. فلما كان بالعشي جاء الإذن من الخليفة بأن تضرب رقبته، فقالوا: قد أمسينا ويؤخر إلى الغداة. فلما أصبحنا أنزل وقدم لتضرب رقبته، فسمعته يصيح ويقول بأعلى صوته: حسب الواحد إفراد الواحد له. وقرأ هذه الآية: ﴿يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون أنها الحق﴾. وهذا آخر كلامه. ثم ضربت رقبته، ولف في بارية، وصب عليه النفط وأحرق، وحمل رماده إلى رأس المنارة لتسفيه الرياح. وسمعت أحمد بن فاتك تلميذ والدي

يقول بعد ثلاث من قتل والدي، قال: رأيت رب العزة في المنام، وكأني واقف بين يديه، قلت: يا رب ما فعل الحسين بن منصور؟ فقال: كاشفته بمعنى، فدعا الخلق إلى نفسه، فأنزلت به ما رأيت.

قال ابن باكويه: سمعت أبا القاسم يوسف بن يعقوب النعماني يقول: -[٢٤]- سمعت الإمام ابن الإمام أبا بكر محمد بن داود الفقيه الإصبهاني يقول: إن كان ما أنزل الله على نبيه حق فما يقول الحلاج باطل. وكان شديدا عليه.

قال: وسمعت أبا الفوارس الجوزقاني بقرميسين يقول: سمعت إبراهيم بن شيبان يقول: من أحب أن ينظر إلى ثمرات الدعاوى فلينظر إلى الحلاج وما جرى عليه.

سمعت عيسى القزويني يسأل أبا عبد الله بن خفيف: ما تعتقد في الحلاج؟ فقال: اعتقد فيه أنه رجل من المسلمين فقط. فقال له: قد كفره المشايخ وأكثر المسلمين! فقال: إن كان الذي رأيته منه في الحبس لم يكن توحيدا، فليس في الدنيا توحيد.

قلت: قول ابن خفيف لا يدل على شيء، فإنه لا يلزم أن المبطل لا يعمل بالحق؛ بل قد يكون سائر عمله حق وعلى الحق، ويكفر بفعلة واحدة، أو بكلمة تحبط عمله.

قال ابن باكويه: سمعت علي بن الحسن الفارسي بالموصل قال: سمعت أبا بكر بن سعدان يقول: قال لي الحسين بن منصور: تؤمن بي، حتى أبعث إليك بعصفورة تطرح من ذرقها وزن حبة على كذا منا من نحاس، فيصير ذهبا؟ قلت: بل أنت تؤمن بي حتى أبعث إليك بفيل يستلقي، فتصير قوائمه في السماء، فإذا أردت أن تخفيه أخفيته في عينك؟ قال: فبهت وسكت. ثم قال ابن سعدان: هو مموه مشعوذ. سمعت عيسى بن بزول القزويني، وسأل أبا عبد الله بن خفيف عن هذه الأبيات:

سبحان من أظهر ناسوته

الأبيات الثلاثة، فقال ابن خفيف: على قائلها لعنة الله. فقال عيسى: هي للحلاج. فقال: إن كانت اعتقاده فهو كافر، الا أنه لم يصح أنه له، ربما يكون مقولا عليه.

سمعت محمد بن علي الحضرمي بالنيل يقول: سمعت والدي يقول: كنت جالسا عند الجنيد، إذ ورد شاب حسن الوجه، عليه خرقتان، فسلم وجلس ساعة، ثم أقبل عليه الجنيد فقال: سل ما تريد. فقال: ما الذي باين الخليقة عن رسوم الطبع؟ فقال الجنيد: أرى في كلامك فضولا، لم لا تسأل -[٢٥]- عما في ضميرك من الخروج والتقدم على أبناء جنسك؟ فسكت، وسكت الجنيد ساعة، ثم أشار إلى أبي محمد الجريري أن قم، فقمنا، وتأخرنا قليلا، فأقبل الجنيد يتكلم عليه، وأقبل هو يعارضه، إلى أن قال: أي خشبة تفسدها؟ فبكى وقام، فتبعه الجريري إلى أن خرج إلى مقبرة وجلس، فقال لي أبو محمد الجريري: قلت في نفسي: هو في حدة شبابه واستوحش منا، وربما به فاقة. فقصدت صديقا لي فقلت: اشتر خبزا وشواء وفالوذج بسكر، واحمله إلى موضع كذا وكذا، مع ثلجية ماء وخلال، وقليل أشنان. وبادرت إليه، فسلمت وجلست عنده، وكان قد جعل رأسه بين ركبتيه، فرفع رأسه وانزعج، وجلس بين يدي، وأخذت ألاطفه وأداريه إلى أن جاء صديقي. ثم قلت له: تفضل. فمد يده وأكل قليلا. ثم قلت له: من أين القصد ومن أين الفقير؟ قال: من البيضاء، إلا أني ربيت بخوزستان والبصرة. فقلت: ما الاسم؟ قال: الحسين بن منصور. وقمت وودعته، ومضى على هذا خمس وأربعون سنة، ثم سمعت أنه صلب وفعل به ما فعل.

وقد ذكره السلمي في تاريخه، ثم قال: فهذه أطراف مما قال المشايخ فيه من قبول ورد، والله أعلم بما كان عليه. وهو إلى الرد أقرب.

وقد هتك الخطيب حال الحلاج في " تاريخه الكبير "، وشفى وأوضح أنه كان ساحرا مموها سيئ الاعتقاد.". (١)

١٠٧-"-سنة سبع وعشرين وأربعمائة

في المحرم كبس العيارون دارا فأخذوا ما فيها، ورد أبو محمد ابن النسوي لكشف العملة، فأخذ هاشميا فقتله، فثار أهل الناحية ورفعوا المصاحف على القصب، ومضوا إلى دار الخلافة، وجرى خطب طويل.

وفي ربيع الآخر دخل العيارون بغداد في مائة نفس من الأكراد والأعراب، فأحرقوا دار ابن النسوي، وفتحوا خانا وأخذوا ما فيه، وخرجوا بالكارات على رؤوسهم، والناس ينظرون.

وشغب الجند على جلال الدولة وقالوا: هذا البلد لا يحملنا وإياك، فاخرج فإنه أولى بك. قال: كيف يمكنني الخروج على هذه الصورة؟ أمهلوني ثلاثة أيام حتى آخذ حرمي وولدي وأمضي. فقالوا: لا تفعل.

ورموه بآجرة، فتلقاها بيده، وأخرى في كتفه، فاستجاش بالحاشية والعامة، وكان عنده المرتضى، والزينبي، والماوردي، فاستشارهم في العبور إلى الكرخ كما فعل تلك المرة، فقالوا: ليس الأمر كما كان، وأحداث الموضع قد ذهبوا.

وحول الغلمان خيامهم إلى حول الدار وأحاطوا بها، وبات الناس على أصعب خطة، فخرج الملك في نصف الليل إلى زقاق غامض، فنزل إلى دجلة، وركب سميرية فيها بعض حاشيته، ومضى إلى دار المرتضى، وبعث حرمه إلى دار الخلافة، ونهب الأجناد دار الملك حتى أبوابها وساجها، وراسلوا الخليفة أن تقطع خطبة جلال الدولة، فقيل لهم: سننظر، وخرج الملك إلى أوانا، ثم إلى كرخ سامراء. ثم خرجوا إليه واعتذروا ومشى الحال.

وفي جمادى الآخرة وردت ظلمة طبقت البلد، حتى كان الرجل لا يرى صاحبه، وأخذت بالأنفاس حتى لو تأخر انكشافها لهلكوا.

وفي رجب ضحوة نهار انقض كوكب غلب ضوؤه ضوء الشمس، وشوهد في آخره شيء مثل **التنين** بلون الدخان، وبقي نحو ساعة. فسبحان الله العظيم ما أكثر البلاء بالمشرق.". (٢)

١٠٨-"٧٢٨٤ - وكيع بن الجراح بن مليح بن عدي بن فرس بن جمجمة هكذا نسبه أبو أحمد الحافظ النيسابوري، ولم يزد على هذا، وغيره رفع نسبه، إلا أنه لم يذكر جمجمة، وقد سقناه عند ذكر الجراح بن مليح، وكنية وكيع: أبو سفيان الرؤاسي الكوفي، من قيس عيلان، قيل: إن أصله من قرية من قرى نيسابور، وقيل: بل أصله من السغد.

سمع: إسماعيل بن أبي خالد، وهشام بن عروة، وسليمان الأعمش، وعبد الله بن عون، وابن جريج، والأوزاعي، وسفيان

---

(١) تاريخ الإسلام ت بشار ١٦/٧

(٢) تاريخ الإسلام ت بشار ٣٥٣/٩

الثوري، وإسرائيل، وشعبة.
روى عنه: عبد الله بن المبارك، ويحيى بن آدم، وقتيبة بن سعيد، وأحمد بن حنبل، ويحيى بن معين، وعلي ابن المديني، وأبو خيثمة زهير بن حرب، وأبو بكر، وعثمان ابنا أبي شيبة، وأحمد بن جعفر الوكيعي، وعباس بن غالب الوراق، ويعقوب الدورقي، وغيرهم، وقدم بغداد، وحدث بها.
أخبرنا بشرى بن عبد الله الرومي، قال: أخبرنا أحمد بن جعفر بن حمدان، قال: حدثنا محمد بن جعفر الراشدي، وأخبرنا إبراهيم بن عمر البرمكي، قال: أخبرنا محمد بن عبد الله بن خلف الدقاق، قال: حدثنا عمر بن محمد الجوهري، قالا: حدثنا أبو بكر الأثرم، قال: سمعت أبا عبد الله، يقول: ولد وكيع سنة تسع وعشرين، يعني: ومائة أخبرني الحسين بن علي الطناجيري، قال: أخبرنا محمد بن زيد بن علي بن مروان الكوفي، قال: أخبرنا محمد بن محمد بن عقبة الشيباني، قال: حدثنا هارون بن حاتم، قال: سأل داود بن يحيى بن يمان وكيعا، وأنا أسمع، فقال: يا أبا سفيان، متى ولدت؟ قال: سنة ثمان وعشرين ومائة أخبرنا علي بن الحسن بن محمد الدقاق، قال: أخبرنا أحمد بن إبراهيم بن الحسن، قال: حدثنا عمر بن محمد بن شعيب الصابوني، قال: حدثنا حنبل بن إسحاق، قال: سمعت أبا عبد الله، يقول: قدم وكيع بغداد، وكان أبوه على بيت المال، قلت: وورد وكيع بغداد بعد هذه المرة هو وعبد الله بن إدريس، وحفص بن غياث، وأراد الرشيد أن يولي أحدهم القضاء، فامتنع عليه وكيع وابن إدريس، وأجابه حفص، وقد ذكرنا ذلك في أخبار حفص بن غياث، وورد بغداد مرة أخرى أخبرني أبو الفرج الطناجيري، قال: حدثنا أحمد بن منصور النوشري، قال: حدثنا محمد ابن مخلد، قال: حدثني محمد بن يوسف الجوهري، قال: سمعت بشر بن الحارث، إن شاء الله، وسأله عباس العنبري عن الاعتكاف، فقال: أما ههنا، فلا، يعني: بغداد، قال له عباس: قد اعتكف وكيع أربعين يوما، وحدثهم بحديثه كله.
قال: قد كنت عنده، أحسبه قال: في شهر رمضان، فقال له عباس: وهو معتكف؟ قال: نعم أخبرنا أحمد بن محمد بن عبد الله الكاتب، قال: أخبرنا محمد بن حميد المخرمي، قال: حدثنا علي بن الحسين بن حبان، قال: وجدت في كتاب أبي بخط يده: قال أبو زكريا: حدثنا وكيع ببغداد، عن سفيان، عن خصيف، عن عكرمة ﴿السماء منفطر به﴾، قال: مثقلة به موقرة، ثم قال: حدثنا وكيع بالكوفة، عن سفيان، عن جابر، عن عكرمة ﴿السماء منفطر به﴾
أخبرنا العتيقي، قال: حدثنا محمد بن العباس، قال: أخبرنا أبو أيوب، سليمان بن إسحاق الجلاب، قال: قال إبراهيم الحربي: حدث وكيع وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة، وحدث ابن مهدي وهو ابن أقل من خمس وثلاثين سنة أخبرني الجوهري، والأزهري، والطناجيري، قال الجوهري: أخبرنا، وقالا: حدثنا علي بن محمد بن لؤلؤ، قال: حدثنا محمد بن سويد الزيات، قال: حدثنا أبو يحيى الناقد، قال: حدثنا محمد بن خلف التيمي، قال: سمعت وكيعا، يقول: أتيت الأعمش، فقلت: حدثني، فقال لي: ما اسمك؟ فقلت: وكيع، قال: اسم نبيل، ما أحسب إلا سيكون لك نبأ، أين تنزل من الكوفة؟ قلت: في بني رؤاس، قال: أين من منزل الجراح بن مليح؟ قال: قلت: ذاك أبي، وكان على بيت المال، قال: فقال لي: اذهب فجئني بعطائي، وتعال حتى أحدثك بخمسة أحاديث، قال: فجئت إلى أبي فأخبرته، فقال: خذ نصف العطاء فاذهب به، فإذا حدثك بالخمسة فخذ النصف الآخر، فاذهب به حتى يكون عشرة.
قال: فأتيته بنصف عطائه، فأخذه، فوضعه في كفه، وقال: هكذا، ثم سكت، فقلت: حدثني، قال: اكتب، فأملى علي

حديثين، قال: قلت وعدتني خمسة، قال: فأين الدراهم كلها؟ أحسب أن أباك أمرك بهذا، ولم يعلم أن الأعمش مدرب قد شهد الوقائع، اذهب فجئني بتمامها وتعال أحدثك بخمسة أحاديث، قال: فجئته، فحدثني بخمسة، قال: فكان إذا كان كل شهر جئته بعطائه فحدثني بخمسة أحاديث أخبرنا عثمان بن محمد بن يوسف العلاف، قال: أخبرنا محمد بن عبد الله بن إبراهيم الشافعي، وأخبرنا محمد بن عبد الله بن أبان الهيتي، قال: حدثنا أحمد بن سلمان النجاد، قالا: حدثنا معاذ بن المثنى، قال: حدثنا الأخنسي، قال: سمعت يحيى بن يمان، يقول: نظر سفيان إلى عيني وكيع، فقال: ترون هذا الرؤاسي؟ لا يموت حتى يكون له شأن أخبرنا إبراهيم ابن مخلد المعدل، قال: حدثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم الحكيمي، قال: حدثنا أحمد بن يوسف، هو التغلبي، قال: حدثنا الاخنسي، قال: سمعت يحيى بن يمان، يقول: مات سفيان الثوري، فجلس وكيع بن الجراح في موضعه وأخبرنا إبراهيم بن مخلد، قال: حدثنا محمد بن أحمد الحكيمي، قال: حدثنا أحمد بن محمد بن محمد البرتي، قال: حدثنا القعنبي، قال: كنا عند حماد بن زيد سنة سبعين، وكان عنده وكيع، فلما قام، قالوا: هذا راوية سفيان؟ فقال: هذا، إن شئتم، أرجح من سفيان أخبرنا البرقاني، قال: أخبرنا محمد بن عبد الله بن خميرويه الهروي، قال: أخبرنا الحسين بن إدريس، قال: قال ابن عمار: أخبرت عن شريك، أن رجلا قدم إليه رجلا، فادعى عليه مائة ألف دينار، قال: فأقر به، قال: فقال شريك: أما إنه لو أنكر لم أقبل عليه شهادة أحد بالكوفة إلا شهادة وكيع بن الجراح، وعبد الله بن نمير أخبرنا عثمان بن محمد العلاف، قال: أخبرنا محمد بن عبد الله الشافعي، قال: حدثنا محمد بن غالب، قال: حدثنا يحيى بن أيوب، قال: حدثني رجل من أهل بيت وكيع، قال: أورثت وكيعا أمه مائة ألف، قال: وما قاسم وكيع ميراثا قط، قال يحيى بن أيوب: فأخبرني معاوية الهمداني، قال: قلت: أيش صنعتم؟ قال: كما كنا نصنع في الميراث، قال: وكان يؤتى بطعامه ولباسه، ولا يسأل عن شيء ولا يطلب شيئا، وكان لا يستعين بأحد ولا على وضوء، كان إذا أراد ذلك قام هو أخبرنا الأزهري، قال: حدثنا عبيد الله بن عثمان الدقاق، قال: حدثنا علي بن محمد المصري، قال: حدثني عبد الرحمن بن حاتم المرادي، قال: حدثني أسد بن عفير، أخو سعيد بن عفير، قال: أخبرني رجل من أهل هذا الشأن، ثقة، من أهل المروءة والأدب، قال: جاء رجل إلى وكيع بن الجراح، فقال له: إني أمت إليك بحرمة، قال: وما حرمتك؟ قال: كنت تكتب من محبرتي في مجلس الأعمش، قال: فوثب وكيع، فدخل منزله، فأخرج له صرة فيها دنانير، فقال: اعذرني فإني لا أملك غيرها أخبرنا البرقاني، قال: قرئ على إسحاق النعالي، وأنا أسمع: حدثكم عبد الله بن إسحاق المدائني، قال: حدثنا علي بن عثمان النفيلي، قال: قلت له، يعني: أحمد بن حنبل: إن أبا قتادة كان يتكلم في وكيع، وعيسى بن يونس، وابن المبارك، فقال: من كذب أهل الصدق فهو الكاذب أخبرنا ابن رزق، قال: أخبرنا عثمان بن أحمد، قال: حدثنا حنبل بن إسحاق، قال: سمعت يحيى بن معين، قال: رأيت عند مروان بن معاوية لوحا فيه أسماء شيوخ: فلان رافضي، وفلان كذا، وفلان كذا، ووكيع رافضي، قال يحيى: فقلت له: وكيع خير منك، قال: مني؟ قلت: نعم، قال: فما قال لي شيئا، ولو قال لي شيئا لوثب أصحاب الحديث عليه، قال: فبلغ ذلك وكيعا، فقال وكيع: يحيى صاحبنا، قال: فكان وكيع بعد ذلك يعرف لي ويوجب أخبرنا أبو طالب عمر بن إبراهيم الفقيه، قال: حدثنا محمد بن العباس الخزاز، قال: حدثنا عبيد الله بن ثابت الحريري، قال: سمعت عباسا الدوري، يقول: ذاكرت أحمد بن حنبل بحديث عن الأعمش، فقال: حدثناه وكيع، قلت: يا أبا عبد الله، حدثناه عن أبي معاوية، فقال لي: حدثنا وكيع بن الجراح، ولو رأيت وكيعا لعلمت أنك ما رأيت مثله أخبرني محمد بن أحمد

بن يعقوب، قال: أخبرنا محمد بن نعيم الضبي، قال: سمعت إسماعيل بن محمد بن الفضل الشعراني، يقول: سمعت جدي، يقول: سمعت يحيى بن أكثم القاضي، يقول: صحبت وكيعا في السفر والحضر، فكان يصوم الدهر، ويختم القرآن كل ليلة أجاز لنا إبراهيم ابن مخلد، قال: أخبرنا مكرم بن أحمد القاضي، ثم قال: أخبرنا الصيمري، قراءة قال: أخبرنا عمر بن إبراهيم المقرئ، قال: حدثنا مكرم، قال: أخبرنا علي بن الحسين بن حبان، عن أبيه، قال: سمعت يحيى بن معين، قال: ما رأيت أفضل من وكيع بن الجراح، قيل له: ولا ابن المبارك؟ قال: قد كان لابن المبارك فضل، ولكن ما رأيت أفضل من وكيع، كان يستقبل القبلة، ويحفظ حديثه، ويقوم الليل، ويسرد الصوم، ويفتي بقول أبي حنيفة، وكان قد سمع منه شيئا كثيرا، قال يحيى بن معين: وكان يحيى بن سعيد القطان يفتي بقوله أيضا.

أخبرنا عثمان بن محمد العلاف، قال: أخبرنا محمد بن عبد الله الشافعي، قال: حدثنا محمد بن غالب، قال: حدثنا يحيى بن أيوب، قال: حدثني بعض أصحاب وكيع، الذين كانوا يلزمونه، قالوا: كان لا ينام، يعني: وكيعا، حتى يقرأ جزءه في كل ليلة ثلث القرآن، ثم يقوم في آخر الليل فيقرأ المفصل، ثم يجلس، فيأخذ في الاستغفار حتى يطلع الفجر، فيصلي الركعتين.

أخبرنا علي بن طلحة المقرئ، قال: أخبرنا محمد بن إبراهيم الغازي، قال: أخبرنا محمد بن محمد بن داود الكرجي، قال: حدثنا عبد الرحمن بن يوسف بن خراش، قال: حدثنا أبو سعيد الأشج، قال: حدثني إبراهيم بن وكيع، قال: كان أبي يصلي الليل، فلا يبقى في دارنا أحد إلا صلى، حتى إن جارية لنا سوداء لتصلي.

قال: وبلغني عن أبي نعيم، قال: لا نفلح وذاك الكبش في بني رؤاس.

حدثت عن أبي الحسن الدارقطني، قال: حدثني القاضي أبو الحسن محمد بن صالح بن علي ابن أم شيبان الهاشمي، قال: حدثني أبي، قال: حدثنا عبد الرحمن بن سفيان بن وكيع بن الجراح، قال: حدثني أبي، قال: كان أبي وكيع يصوم الدهر، فكان يبكر فيجلس لأصحاب الحديث إلى ارتفاع النهار، ثم ينصرف، فيقيل إلى وقت صلاة الظهر، ثم يخرج فيصلي الظهر ويقصد طريق المشرعة التي كان يصعد فيها أصحاب الروايا، فيريحون نواضحهم، فيعلمهم من القرآن ما يؤدون به الفرائض إلى حدود العصر، ثم يرجع إلى مسجده فيصلي العصر، ثم يجلس فيدرس القرآن ويذكر الله إلى آخر النهار، ثم يدخل إلى منزله فيقدم إليه إفطاره، وكان يفطر على نحو عشرة أرطال من الطعام، ثم يقدم له قربة فيها نحو من عشرة أرطال نبيذا، فيشرب منها ما طاب له على طعامه، ثم يجعلها بين يديه، ويقوم فيصلي ورده من الليل، وكلما صلى ركعتين أو أكثر من شفع أو وتر شرب منها حتى ينفذها، ثم ينام.

قرأت على التنوخي، عن أبي الحسن أحمد بن يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن البهلول الأنباري، قال: حدثني أبي، قال: حدثني جدي إسحاق بن البهلول، قال: قدم علينا وكيع بن الجراح، فنزل في مسجد على الفرات، فكنت أصير إليه لاستماع الحديث منه، فطلب مني نبيذا، فجئته بمخيسة ليلا، فأقبلت أقرأ عليه الحديث وهو يشرب، فلما نفذ ما كنت جئته به أطفأ السراج، فقلت له ما هذا؟ فقال لو زدتنا لزدناك أخبرنا هلال بن محمد بن جعفر الحفار، قال: أخبرنا إسماعيل بن محمد الصفار، قال: حدثنا جعفر بن محمد، يعني: الطيالسي، قال: سمعت يحيى بن معين، يقول: سمعت رجلا يسأل وكيعا، فقال يا أبا سفيان، شربت البارحة نبيذا، فرأيت فيما يرى النائم كأن رجلا يقول: إنك شربت خمرا؟ فقال: وكيع ذاك الشيطان أخبرنا ابن الفضل، قال: أخبرنا دعلج، قال: أخبرنا أحمد بن علي الأبار، قال: حدثنا محمد بن يحيى، قال: قال نعيم بن

حماد: تعشينا عند وكيع، أو قال: تغدينا، فقال: أي شيء تريدون أجيئكم به، نبيذ الشيوخ أو نبيذ الفتيان؟ قال: قلت: تتكلم بهذا؟ قال: هو عندي أحل من ماء الفرات، قلت له: ماء الفرات لم يختلف فيه، وقد اختلف في هذا أخبرنا البرقاني، قال: أخبرنا ابن خميرويه، قال: أخبرنا الحسين بن إدريس، قال: قال ابن عمار: كان وكيع يصوم الدهر، وكان يفطر يوم الشك والعيد، قال: فأخبرت أنه كان يشتكي إذا أفطر في هذه الأيام، قال: وولد، إما قال: لوكيع، وإما قال: لابن وكيع، ولد، قال: فأطعم وكيع الناس الخبيص، قال: وأخرج ثمان جفان خبيص في المسجد، وأراه قال: في البيت، قال: فجعل يدخل يده فيه ويسويه كما يسوي اللقمة، ويقول: كل يا موصلي، ولا يذوق منه شيئا لأنه كان صائما، وكان يصوم الدهر (٤٥٨٣) -[١٥: ٦٥٥] أخبرنا محمد بن عبد الواحد، قال: أخبرنا محمد بن العباس، قال: أخبرنا أحمد بن سعيد بن مرابا، قال: حدثنا عباس بن محمد، قال: سمعت يحيى بن معين، يقول: سمعت وكيعا، يقول كثيرا: وأي يوم لنا من الموت؟ قال يحيى: ورأيت وكيعا أخذ في كتاب الزهد يقرءه، فلما بلغ حديثا منه ترك الكتاب، ثم قام فلم يحدث، فلما كان الغد وأخذ فيه بلغ ذلك الحديث، قام أيضا ولم يحدث، حتى صنع ذلك ثلاثة أيام، قلت ليحيى: وأي حديث هو؟ قال: حديث مجاهد، قال: أخذ عبد الله بن عمر ببعض جسدي، وقال: أخذ رسول الله، صلى الله عليه وسلم ببعض جسدي، فقال: " يا عبد الله بن عمر، كن في الدنيا كأنك غريب، أو عابر سبيل "، ثم ذكر الحديث أخبرنا علي بن محمد بن عبد الله المعدل، قال: أخبرنا عثمان بن أحمد الدقاق، قال: حدثنا محمد بن أحمد بن البراء، قال: حدثنا أحمد بن محمد، قال: أخبرني بعض أصحابنا عن وكيع، قال: أغلظ رجل لوكيع بن الجراح، فدخل وكيع بيتا، فعفر وجهه بالتراب، ثم خرج إلى الرجل، فقال: زد وكيعا بذنبه، فلولاه ما سلطت عليه أخبرنا محمد بن أبي علي الأصبهاني، قال: حدثنا محمد بن إسحاق القاضي بالأهواز، قال: حدثنا عيسى بن سليمان وراق داود بن رشيد، قال: حدثنا داود، قال: سمعت إبراهيم بن الشماس، يقول: لو تمنيت، كنت أتمنى عقل ابن المبارك وورعه، وزهد ابن فضيل ورقته، وعبادة وكيع وحفظه، وخشوع عيسى بن يونس، وصبر حسين الجعفي، صبر ولم يتزوج ولم يدخل في شيء من أمر الدنيا أخبرنا البرقاني، قال: حدثني أبو الحسن بن لؤلؤ الوراق، قال: سمعت أحمد بن محمد بن عبد الخالق، يقول: سمعت عباسا الدوري، قال: قال يحيى بن معين: رأيت ستة أو سبعة يحدثون ديانة، قلت: من هم؟ قال: سعيد بن عامر، وأبو داود الحفري، وحسين الجعفي، ووكيع بن الجراح، وعبد الله ابن المبارك، والقعنبي أخبرنيه الأزهري، قال: حدثنا محمد بن عبد الله بن جامع الدهان، قال: حدثنا أحمد بن علي بن العلاء، قال: سمعت عباسا، يقول: سمعت يحيى بن معين، يقول: رأيت من يحدث لله ستة: وكيع، وابن المبارك، وسعيد بن عامر، وحسين الجعفي، وأبو داود الحفري، وعبد الله بن مسلمة القعنبي أخبرنا أبو نعيم الحافظ، قال: حدثنا محمد بن علي بن حبيش، قال: حدثنا الهيثم بن خلف، قال: حدثنا محمد بن نعيم، هو البلخي، قال: سمعت يحيى بن معين، يقول: والله ما رأيت أحدا يحدث لله تعالى غير وكيع بن الجراح، وما رأيت رجلا قط أحفظ من وكيع، ووكيع في زمانه كالأوزاعي في زمانه أخبرني الأزهري، قال: ذكر القاضي أبو الحسن علي بن الحسن الجراحي، أن أحمد بن محمد بن سعيد، حدثهم قال: حدثنا عبد الله بن إبراهيم بن قتيبة، قال: سمعت يحيى بن معين، وذكر وكيعا، فقال: ثقات الناس، أو أصحاب الحديث أربعة: وكيع، ويعلى بن عبيد، والقعنبي، وأحمد بن حنبل أخبرنا محمد بن أحمد بن رزق، قال: أخبرنا محمد بن أحمد بن الحسن الصواف، قال: حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، قال: سمعت أبي، وذكر وكيعا، فقال: ما رأيت أحدا أوعى للعلم

منه ولا أحفظ أخبرنا علي بن محمد بن عبد الله المعدل، قال: أخبرنا أبو علي ابن الصواف، قال: أخبرنا عبد الله بن أحمد إجازة، قال: سمعت أبي، يقول: كان وكيع مطبوع الحفظ، كان حافظا حافظا.

قرأت على الحسن بن أبي بكر، عن أحمد بن كامل القاضي، قال: حدثنا بشر بن موسى، قال: سمعت أبا عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، يقول: ما رأيت رجلا قط مثل وكيع في العلم، والحفظ، والإسناد، والأبواب، مع خشوع وورع أخبرني إبراهيم بن عمر البرمكي، قال: حدثنا عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان العكبري، قال: حدثنا محمد بن أيوب بن المعافى، قال: سمعت إبراهيم الحربي، يقول: سمعت أحمد بن حنبل ذكر يوما وكيعا، فقال: ما رأت عيني مثله قط، يحفظ الحديث جيدا، ويذاكر بالفقه فيحسن، مع ورع واجتهاد، ولا يتكلم في أحد حدثني علي بن أحمد الهاشمي، قال: هذا كتاب جدي عيسى بن موسى بن أبي محمد ابن المتوكل على الله، فقرأت فيه: حدثني محمد بن داود النيسابوري، قال: سمعت أبا بكر الجارودي، يقول: سمعت إسحاق، وذكر من حفظ وكيع شيئا لم أحفظه، ثم ختم بهذا، فقال: إن حفظ وكيع طبعيا، وحفظنا تكلف.

أخبرنا البرقاني، قال: أخبرنا ابن خميرويه، قال: أخبرنا الحسين بن إدريس، قال: سمعت ابن عمار، يقول: سمعت قاسما الجرمي، قال: كان سفيان يدعو وكيعا وهو غلام، فيقول: يا رؤاسي تعال، أي شيء سمعت؟ فيقول: حدثني فلان كذا، قال: وسفيان يتبسم ويتعجب من حفظه.

قال ابن عمار: ما كان بالكوفة في زمان وكيع بن الجراح أفقه ولا أعلم بالحديث من وكيع، كان وكيع جهبذا.

قال ابن عمار: وسمعت وكيعا، يقول: ما نظرت في كتاب منذ خمس عشرة سنة، إلا في صحيفة يوما فنظرت في طرف منه ثم أعدته مكانه.

قال ابن عمار: قلت لوكيع: عدوا عليك بالبصرة أربعة أحاديث غلطت فيها، قال: وحدثتهم بعبادان بنحو من ألف وخمس مائة حديث، وأربعة أحاديث ليس بكثير في ألف وخمس مائة حديث.

أخبرنا العتيقي، قال: أخبرنا محمد بن عدي البصري في كتابه، قال: حدثنا أبو عبيد محمد بن علي الآجري، قال: سمعت أبا داود سليمان بن الأشعث، يقول: ما رؤي لوكيع كتاب قط، وأملى عليهم وكيع حديث سفيان عن الشيوخ، ثم قال: لا عدت لهذا المجلس أبدا.

أخبرني محمد بن الحسن بن أحمد الأهوازي، قال: أخبرنا أبو علي الحسين بن محمد الشافعي بالأهواز، قال: أخبرنا أبو عبيد محمد بن علي الآجري، قال: وسمعته، يعني: أبا داود، يقول: ما رؤي لوكيع كتاب قط، ولا لهيثم، ولا لحماد، ولا لمعمر، قلت: حماد هو: ابن زيد.

أخبرنا علي بن طلحة المقرئ، قال: أخبرنا أبو الفتح محمد بن إبراهيم الغازي، قال: أخبرنا محمد بن محمد بن داود الكرجي، قال: حدثنا عبد الرحمن بن يوسف بن خراش، قال: وكيع لم ير في يده كتاب قط، وابن عيينة، والثوري، وشعبة لم ير في أيديهم كتاب قط.

أخبرنا ابن الفضل، قال: أخبرنا عبد الله بن جعفر، قال: حدثنا يعقوب بن سفيان، قال: بلغني عن يحيى بن معين، قال: سمعت وكيعا، يقول: ما كتبت عن الثوري حديثا قط، كنت أحفظه، فإذا رجعت إلى المنزل كتبته.

أخبرنا ابن رزق، قال: أخبرنا عثمان بن أحمد، قال: حدثنا حنبل بن إسحاق، قال: سمعت يحيى بن معين، يقول: سمعت وكيعا، يقول: ما كتبت عن سفيان الثوري حديثا قط، كنت أحفظ، فإذا رجعت إلى المنزل كتبته.

أخبرني محمد بن علي المقرئ، قال: أخبرنا محمد بن عبد الله النيسابوري الحافظ، قال: سمعت محمد بن صالح بن هانئ، يقول: سمعت أبا سعيد، محمد بن شاذان، يقول: سمعت أبا رجاء، قتيبة بن سعيد، يقول: ألحوا يوما على أبي بكر بن عياش، فقال: ما تريدون؟ عليكم بهذا الغلام الذي في بني رؤاس، عنى به: وكيعا.

أخبرنا البرقاني، قال: قرأت على أبي إسحاق إبراهيم بن محمد المزكي: أخبركم السراج، قال: سمعت أبا رجاء، يقول: سمعت جريرا، يقول: جاءني ابن المبارك، فقلت له: يا أبا عبد الرحمن، من رجل الكوفة اليوم؟ فسكت عني، ثم قال لي: رجل المصرين، يعني: وكيعا.

وأخبرنا البرقاني، قال: قرأت على أبي القاسم ابن النخاس: حدثكم ابن أبي داود، قال: حدثني أبي، عن شيخ ذكره، قال: سمعت عيسى بن يونس، يقول: خرجت من الكوفة وما بها أحد أروى عن إسماعيل بن أبي خالد مني، إلا غليم من بني رؤاس، يقال له: وكيع.

أخبرنا محمد بن عبد الواحد، قال: أخبرنا محمد بن العباس، قال: أخبرنا أحمد بن سعيد بن مرابا، قال: حدثنا عباس بن محمد، قال: سئل يحيى بن معين عن وكيع، وابن أبي زائدة، فقال وكيع أثبت من ابن أبي زائدة.

أخبرنا البرقاني، قال: قرأت على أبي العباس بن حمدان: حدثكم تميم بن محمد الطوسي، قال: سمعت أحمد بن حنبل، يقول: عليكم بمصنفات وكيع بن الجراح.

حدثني إبراهيم بن عمر البرمكي، وعبد العزيز بن علي الأزجي، قالا: أخبرنا علي بن عبد العزيز البرذعي، قال: حدثنا عبد الرحمن بن أبي حاتم، قال: حدثنا أبي، قال: حدثنا أحمد بن أبي الحواري، قال: أشهد على أحمد بن حنبل، أنه قال: الثبت عندنا بالعراق: وكيع بن الجراح، ويحيى بن سعيد، وعبد الرحمن بن مهدي.

كتب إلي عبد الرحمن بن عثمان الدمشقي، وحدثنا عبد العزيز بن أبي طاهر عنه، قال: أخبرنا أبو الميمون البجلي، قال: حدثنا أبو زرعة، قال: أخبرني أحمد بن أبي الحواري، قال: سمعت أحمد بن حنبل، يقول: الثبت بالعراق: يحيى، وعبد الرحمن، ووكيع.

قال: فذكرت ذلك ليحيى بن معين، فقال: الثبت بالعراق: وكيع.

أخبرنا القاضي أبو العلاء الواسطي، قال: حدثنا علي بن الحسن الجراحي، قال: حدثنا أحمد بن محمد بن الجراح، قال: حدثنا محمد بن علي الوراق، قال: سألت أحمد بن حنبل، فقلت: أيما أحب إليك، وكيع بن الجراح، أو عبد الرحمن بن مهدي؟ فقال: أما وكيع، فصديقه حفص بن غياث النخعي، فلما ولي حفص القضاء ما كلمه وكيع حتى مات، وأما عبد الرحمن بن مهدي، فصديقه معاذ بن معاذ العنبري، فلما ولي معاذ القضاء ما زال عبد الرحمن صديقه حتى مات أخبرنا ابن رزق، قال: أخبرنا محمد بن أحمد بن الحسن الصواف، قال: حدثنا عبد الله بن أحمد، قال: سمعت أبي، يقول: ابن مهدي أكثر تصحيفا من وكيع، ووكيع أكثر خطأ من ابن المهدي، وكيع قليل التصحيف.

أخبرنا البرقاني، قال: أخبرنا الحسين بن علي التميمي، قال: حدثنا أبو عوانة يعقوب بن إسحاق الإسفراييني، قال: حدثنا

أبو بكر المروذي، قال: قلت، يعني: لأحمد بن حنبل: من أصحاب الثوري؟ قال يحيى: ووكيع، وعبد الرحمن، وأبو نعيم، قلت: قدمت وكيعا على عبد الرحمن؟ قال: وكيع شيخ أخبرنا أبو بكر أحمد بن محمد الأشناني، قال: سمعت أحمد بن محمد بن عبدوس الطرائفي، يقول: سمعت عثمان بن سعيد الدارمي، يقول: قلت ليحيى بن معين: فعبد الرحمن أحب إليك أو وكيع؟ فقال: وكيع، قلت: فوكيع أحب إليك أو أبو نعيم؟ فقال: وكيع كتب إلي عبد الرحمن بن عثمان الدمشقي، وحدثنا عبد العزيز بن أبي طاهر عنه، قال: حدثنا أبو الميمون البجلي، قال: حدثنا أبو زرعة، قال: قلت ليحيى بن معين: وكيع فوق أبي نعيم؟ قال: نعم أخبرنا محمد بن عبد الواحد، قال: أخبرنا محمد بن العباس، قال: أخبرنا ابن مرابا، قال: حدثنا عباس، قال: سمعت يحيى بن معين، يقول: وكيع أثبت من عبد الرحمن بن مهدي في سفيان، وقال يحيى، قال وكيع: ما كتبت عن سفيان حديثا قط، إنما كنت أعدها، يعني: أحفظها.

وقال عباس: سمعت يحيى، وذكر له عبد الرحمن بن مهدي، ووكيع، فقال له رجل: تقدمون عبد الرحمن بن مهدي؟ فقال يحيى: من قدم عبد الرحمن بن مهدي على وكيع فعليه لعنة الله، والملائكة، والناس أجمعين.

وقيل ليحيى: إن قوما يقولون: الفضل بن دكين أقل خطأ من وكيع، فدعا على من قال هذا أخبرنا البرقاني، قال: أخبرنا ابن خميرويه، قال: أخبرنا الحسين بن إدريس، قال: قال ابن عمار في وكيع، وأبي معاوية: وكيع أثبت، قال: وسمعت ابن عمار، يقول: سمعت أبا نعيم، يقول: لا نفلح ما دام هذا الرؤاسي حيا، يعني: وكيعا حدثنا أبو طالب يحيى بن علي الدسكري، لفظا بحلوان قال: أخبرنا أبو بكر ابن المقرئ بأصبهان، قال: حدثنا محمد بن علي المؤدب بطرسوس، قال: حدثنا محمد بن عبد الله المخرمي، قال: قال عبد الرحمن: وكيع، ويحيى يخالفاني، وهما أحفظ مني أخبرني الأزهري، قال: حدثنا محمد بن المظفر، قال: حدثنا عبد الله بن محمد بن جعفر، قال: حدثنا إبراهيم بن أورمة الأصبهاني، قال: حدثني عباس العنبري، عن علي ابن المديني، قال: جاء رجل إلى عبد الرحمن بن مهدي، فجعل يعرض بوكيع، قال: وكان بين عبد الرحمن بن مهدي وبين وكيع بعض ما يكون بين الناس.

قال: فقال عبد الرحمن للذي جعل يعرض بوكيع: قم عنا، بلغ من الأمر أن تعرض بشيخنا؟ وكيع شيخنا وكبيرنا، ومن حملنا عنه العلم أخبرنا العتيقي، قال: أخبرنا محمد بن عدي البصري في كتابه، قال: حدثنا أبو عبيد محمد بن علي، قال: سئل أبو داود: أيما أحفظ، وكيع أو عبد الرحمن؟ فقال: وكيع كان أحفظ من عبد الرحمن بن مهدي، وكان عبد الرحمن أقل وهما، وكان أتقن، وسمعت أبا داود، يقول: التقى وكيع وعبد الرحمن في المسجد الحرام بعد عشاء الآخرة، فتواقفا حتى سمعا أذان الصبح أخبرنا أبو عثمان سعيد بن العباس القرشي الهروي، قال: حدثنا أبو عبد الله محمد بن العباس العصمي، إملاء قال سمعت أبا الفضل يعقوب بن إسحاق الفقيه الحافظ، يقول: أخبرنا صالح بن محمد البغدادي، قال: سمعت يحيى بن معين، يقول: ما رأيت أحدا أحفظ من وكيع، فقال له رجل: ولا هشيم؟ فقال: وأين يقع حديث هشيم من وكيع؟ فقال له الرجل: فإني سمعت علي ابن المديني، يقول: ما رأيت أحدا أحفظ من يزيد بن هارون، قال: كان يزيد بن هارون يتحفظ من كتاب، كانت له جارية تحفظه من كتاب أخبرنا علي بن محمد بن عبد الله المعدل، قال: أخبرنا أبو علي ابن الصواف، قال: حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، قال: قال أبي: ما رأيت وكيعا قط شك في حديث إلا يوما واحدا، فقال: أين ابن أبي شيبة؟ كأنه أراد أن يسأله أو يستثبته، قال أبي: وما رأيت مع وكيع قط كتابا ولا رقعة أخبرنا محمد بن أحمد بن أبي طاهر الدقاق،

وعثمان بن محمد بن يوسف العلاف، قال محمد: أخبرنا، وقال عثمان: حدثنا، علي بن أحمد بن محمد القزويني، قال: حدثنا الحسن بن الليث الرازي، قال: سمعت أبا هشام الرفاعي محمد بن يزيد، قال: دخلت مسجد الحرام، فإذا رجل جالس يحدث، والناس مجتمعون عليه كثير، قال: فاطلعت، فإذا عبيد الله بن موسى، قال: فقلت: يا أبا محمد، كثر الزبون، كثر الزبون، قال: فدخلت الطواف، فطفت أسبوعا واحدا، قال: فخرجت، فإذا عبيد الله وحده قاعد، وإذا رجل خلف اسطوانة الحمراء قاعد يحدث، وقد اجتمع عليه زحام مثل ما على عبيد الله وزيادة، فاطلعت فنظرت، فإذا وكيع بن الجراح، فقلت لعبيد الله: ما فعل الناس؟ أين زبونك؟ قال: قدم التنين فأخذهم، قدم وكيع بن الجراح، تركوني وحدي أخبرنا أبو نعيم الحافظ، قال: حدثنا محمد بن علي بن حبيش، قال: حدثنا الهيثم بن خلف، قال: حدثنا محمد بن نعيم البلخي، قال: سمعت مليح بن وكيع، يقول: لما نزل بأبي الموت أخرج إلي يديه، فقال: يا بني، ترى يدي؟ ما ضربت بهما شيئا قط، قال مليح وحدثني داود بن يحيى بن يمان، قال " رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم، فقلت: يا رسول الله، من الأبدال؟ قال: الذين لا يضربون بأيديهم شيئا، وإن وكيع بن الجراح منهم " أخبرنا حمزة بن محمد بن طاهر، قال: حدثنا الوليد بن بكر، قال: حدثنا علي بن أحمد بن زكريا الهاشمي، قال: حدثنا أبو مسلم صالح بن أحمد بن عبد الله العجلي، قال: حدثني أبي، قال: وكيع بن الجراح كوفي ثقة، عابد، صالح، أديب، من حفاظ الحديث، وكان يفتي أخبرنا العتيقي، قال: حدثنا محمد بن العباس، قال: أخبرنا أبو أيوب سليمان بن إسحاق الجلاب، قال: قال لي إبراهيم الحربي: حج وكيع، فكان لا يفتي بمنى حتى يرجع إلى مكة، فجاءه رجل إلى منى وهو عند قرن الثعالب محتبي، فقال: يا أبا سفيان، بت البارحة بمكة، وكان جاء إلى طواف الزيارة، فنام بمكة، قال: فقال لرجل بجنبه خراساني: قل له ذلك، قل له، قال: فقال لي: إن أبا سفيان لا يفتي بمنى، قال: فقلت: يا أبا سفيان أنا رجل منك وإليك، أفتني، قال: فقال للرجل الذي بجنبه: قل له والك، قل له، قال: فقال لي الرجل أن أبا سفيان لا يفتي بمنى، قال: فقلت له: هو ذا أقول لك، فإن كان علي دم فقل لي برأسك: نعم، وإن لم يكن علي شيء فقل لي برأسك: لا، قال: فقال للذي بجنبه: قل له والك، قل له، قال: فقال لي: أبا سفيان لا يفتي بمنى، قال: فانصرفت، فجئته بمكة، والناس حوله حلق، قال: فقلت له: يا أبا سفيان، ما تقول في رجل جاء إلى طواف الزيارة، فنام بمكة؟ قال: فعرفني، وقال: ادخل، ادخل، فدخلت إليه، فقال لي: هات مسألتك، قال: فقلت له: جئت إلى طواف الزيارة فبت بمكة، قال: فأكثر الليل أين كنت، بمكة أو بمنى؟ قلت: بمنى، قال: قم، ليس عليك شيء، قال إبراهيم: لم يقل هذا أحد إلا مغيرة، عن إبراهيم، ومجاهد، قالا: " من بات من وراء العقبة فعليه دم ".

وكأن أبا إسحاق الحربي ذهب إلى قول وكيع: " إذا كان أكثر الليل بمنى فليس عليه شيء ".

قال إبراهيم: فحج في تلك الحجة، ثم أخذه البطن فما زال به البطن إلى فيد، فكان ينزل في كل ميل مرارا، فمات بفيد، ودفن في الجبل آخر القبور، سنة ثمان وتسعين ومائة في آخرها، وثم قبر عبد الرحمن بن إسحاق القاضي أخبرنا علي بن محمد بن عبد الله المعدل، قال: أخبرنا أبو علي ابن الصواف، قال: قال أبو عبد الرحمن، عبد الله بن أحمد بن حنبل: وكيع كان بينه وبين أبي نعيم سنة، هو أسن من أبي نعيم بسنة، ولد وكيع سنة تسع وعشرين، وأبو نعيم سنة ثلاثين أخبرنا علي بن محمد بن عبد الله المعدل، قال: أخبرنا عثمان بن أحمد الدقاق، قال: قرئ على محمد بن أحمد بن البراء، وأنا حاضر،

قال: قال علي بن عبد الله بن جعفر بن نجيح المديني: ووكيع بن الجراح بن مليح بن عدي بن فرس، ويكنى: أبا سفيان، مات سنة سبع وتسعين ومائة أخبرنا ابن الفضل، قال: أخبرنا جعفر بن محمد الخلدي، قال: حدثنا محمد بن عبد الله الحضرمي، قال: حدثنا محمد بن عبد الله بن نمير، قال.

وأخبرني الحسين بن علي الطناجيري، قال: حدثنا عمر بن أحمد الواعظ، قال: حدثنا محمد بن سليمان الباهلي، قال: سمعت محمد بن الحجاج الضبي، يقول.

وأخبرنا ابن رزق، قال: أخبرنا أحمد بن إسحاق بن وهب البندار، قال: حدثنا أبو غالب علي بن أحمد بن النضر، قال: مات وكيع سنة سبع وتسعين، زاد ابن الفضل، والطناجيري: ومائة أخبرنا ابن الفضل، قال: حدثنا دعلج، قال: أخبرنا أحمد بن علي الأبار، قال: سألت أبا هشام، فقال: مات وكيع سنة سبع وتسعين ومائة يوم عاشوراء، ودفن بفيد أخبرنا الأزهري، قال: أخبرنا محمد بن العباس، قال: أخبرنا إبراهيم بن محمد الكندي، قال: حدثنا أبو موسى محمد بن المثنى، قال: ومات وكيع في سنة ثمان وتسعين ومائة في طريق مكة بفيد أخبرنا بشرى بن عبد الله الرومي، قال: أخبرنا أحمد بن جعفر بن حمدان، قال: حدثنا محمد بن جعفر الراشدي، وأخبرنا البرمكي، قال: أخبرنا محمد بن عبد الله بن خلف، قال: حدثنا عمر بن محمد الجوهري، قالا: حدثنا أبو بكر الأثرم، قال: سمعت أبا عبد الله، قال: ومات وكيع وهو ابن ست وستين سنة". (١)

١٠٩-"قوائمه في السماء، فإذا أردت أن تخفيه أخفيته في إحدى عينيك؟ قال: فبهت وسكت.

أنبأنا إبراهيم بن مخلد، قال: أخبرنا إسماعيل بن علي الخطبي في تاريخه، قال: وظهر أمر رجل يعرف بالحلاج، يقال له: الحسين بن منصور وكان في حبس السلطان بسعاية وقعت به في وزارة علي بن عيسى الأولى، وذكر عنه ضروب من الزندقة، ووضع الحيل على تضليل الناس من جهات تشبه الشعوذة والسحر، وادعاء النبوة، فكشفه علي بن عيسى عند قبضه عليه، وأنهى خبره إلى السلطان، يعني المقتدر بالله، فلم يقر بما رمي به من ذلك، وعاقبه، وصلبه حيا أياما متوالية في رحبة الجسر في كل يوم غدوة، وينادى عليه بما ذكر عنه، ثم ينزل به.

ثم حبس فأقام في الحبس سنين كثيرة ينقل من حبس إلى حبس حتى حبس بأخرة في دار السلطان، فاستغوى جماعة من غلمان السلطان، وموه عليهم واستمالهم بضروب من حيله حتى صاروا يحمونه ويدفعون عنه، ويرفهونه، ثم راسل جماعة من الكتاب، وغيرهم ببغداد وغيرها، فاستجابوا له، وتراقى به الأمر حتى ذكر أنه ادعى الربوبية، وسعي بجماعة من أصحابه إلى السلطان فقبض عليهم، ووجد عند بعضهم كتب له تدل على تصديق ما ذكر عنه، وأقر بعضهم بلسانه بذلك، وانتشر خبره، وتكلم الناس في قتله فأمر أمير المؤمنين بتسليمه إلى حامد بن العباس، وأمر أن يكشفه بحضرة القضاة، ويجمع بينه، وبين أصحابه فجرى في ذلك خطوب طوال، ثم استيقن السلطان أمره، ووقف على ما ذكر له عنه فأمر بقتله، وإحراقه بالنار فأحضر مجلس الشرطة بالجانب الغربي يوم الثلاثاء لسبع بقين من ذي القعدة سنة تسع وثلاث مائة فضرب بالسياط

---

(١) تاريخ بغداد ت بشار ٦٤٧/١٥

نحوا من ألف سوط، وقطعت يداه، ورجلاه، وضربت عنقه، وأحرقت جثته بالنار، ونصب -[٧٠٦]- رأسه للناس على سور السجن الجديد، وعلقت يداه، ورجلاه إلى جانب رأسه.

حدثني محمد بن أبي الحسن الساحلي، عن أبي العباس أحمد بن محمد النسوي، قال: سمعت محمد بن الحسين الحافظ يقول: سمعت إبراهيم بن محمد الواعظ، يقول: قال أبو القاسم الرازي: قال أبو بكر بن حمشاذ: حضر عندنا بالدينور رجل، ومعه مخلاة فما كان يفارقها بالليل، ولا بالنهار ففتشوا المخلاة فوجدوا فيها كتابا للحلاج عنوانه من الرحمن الرحيم إلى فلان بن فلان فوجه إلى بغداد، قال: فأحضر، وعرض عليه، فقال: هذا خطي وأنا كتبته.

فقالوا: كنت تدعي النبوة فصرت تدعي الربوبية؟ فقال: ما أدعي الربوبية، ولكن هذا عين الجمع عندنا، هل الكاتب إلا الله، وأنا واليد فيه آلة، فقيل: هل معك أحد؟ فقال: نعم ابن عطاء، وأبو محمد الجريري، وأبو بكر الشبلي، وأبو محمد الجريري يستتر، والشبلي يستتر فإن كان فابن عطاء فأحضر الجريري فسئل، فقال: هذا كافر يقتل، ومن يقول هذا؟ وسئل الشبلي، فقال: من يقول هذا يمنع.

ثم سئل ابن عطاء عن مقالة الحلاج، فقال بمقالته فكان سبب قتله.

أخبرنا إسماعيل بن أحمد الحيري، قال: أخبرنا أبو عبد الرحمن السلمي، قال: سمعت محمد بن عبد الله الرازي يقول: كان الوزير حيث أحضر الحسين بن منصور للقتل، حامد بن العباس فأمره أن يكتب اعتقاده فكتب اعتقاده، فعرضه الوزير على الفقهاء ببغداد فأنكروا ذلك، فقيل للوزير: إن أبا العباس بن عطاء يصوب قوله، فأمر أن يعرض ذلك على أبي العباس بن عطاء، فعرض عليه، فقال: هذا اعتقاد صحيح، وأنا أعتقد هذا الاعتقاد، ومن لا يعتقد هذا فهو بلا اعتقاد.

فأمر الوزير بإحضاره فأحضر، وأدخل عليه فجلس في صدر المجلس فغاظ الوزير ذلك، ثم أخرج ذلك الخط، فقال: هذا -[٧٠٧]- خطك، فقال: نعم، فقال: تصوب مثل هذا الاعتقاد، فقال: مالك ولهذا، عليك بما نصبت له من أخذ أموال الناس، وظلمهم، وقتلهم مالك ولكلام هؤلاء السادة، فقال الوزير: فكيه، فضرب فكاه، فقال أبو العباس: اللهم إنك سلطت هذا علي عقوبة لدخولي عليه، فقال: الوزير خفه يا غلام فنزع خفه، فقال: دماغه فما زال يضرب رأسه حتى سال الدم من منخريه، ثم قال: الحبس، فقيل: أيها الوزير يتشوش العامة لذلك، فحمل إلى منزله، فقال أبو العباس: اللهم اقتله أخبث قتلة، واقطع يديه ورجليه، فمات أبو العباس بعد ذلك بسبعة أيام، وقتل حامد بن العباس أفظع قتل وأوحشها بعد أن قطعت يداه ورجلاه وأحرق داره، وكانوا يقولون: أدركته دعوة أبي العباس بن عطاء.

أخبرنا محمد بن علي بن أبي الفتح، قال: أخبرنا محمد بن الحسين النيسابوري، قال: سمعت أبا بكر بن غالب يقول: سمعت بعض أصحابنا، يقول: لما أرادوا قتل الحسين بن منصور أحضر لذلك الفقهاء، والعلماء، وأخرجوه، وقدموه بحضرة السلطان، فسألوه فقالوا مسألة، فقال: هاتوا، فقالوا له: ما البرهان؟ فقال: البرهان شواهد يلبسها الحق أهل الإخلاص، يجذب النفوس إليها جاذب القبول.

فقالوا بأجمعهم: هذا كلام أهل الزندقة! وأشاروا على السلطان بقتله.

قلت: قد أحال هذا الحاكي عن الفقهاء بأن هذا كلام أهل الزندقة، وهو رجل مجهول، وقوله غير مقبول، وإنما أوجب الفقهاء قتله بأمر آخر.

حدثني مسعود بن ناصر، قال: أخبرنا محمد بن عبد الله بن باكو الشيرازي، قال: سمعت عيسى بن بزول القزويني، وقد سأل أبا عبد الله بن حفيف، عن معنى هذه الأبيات:

-[٧٠٨]-

سبحان من أظهر ناسوته سر سنا لاهوته الثاقب

ثم بدا في خلقه ظاهرا في صورة الآكل والشارب

حتى لقد عاينه خلقه كلحظة الحاجب بالحاجب

فقال الشيخ: على قائلها لعنه الله، فقال عيسى بن بزول: هذا للحسين بن منصور، فقال: إن كان هذا اعتقاده فهو كافر. إلا أنه لم يصح أنه له، ربما يكون مقولا عليه.

قال ابن باكوا: سمعت أبا القاسم يوسف بن يعقوب النعماني يقول: سمعت والدي يقول: سمعت أبا بكر محمد بن داود الفقيه الأصبهاني يقول: إن كان ما أنزل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم حقا، وما جاء به حق فما، يقول الحلاج باطل. وكان شديدا عليه.

أخبرنا ابن الفتح، قال: أخبرنا محمد بن الحسين، قال: سمعت أبا بكر الشاشي، يقول: قال أبو الجديد، يعني المصري: لما كان الليلة التي قتل في صبيحتها الحسين بن منصور قام من الليل فصلى ما شاء الله، فلما كان آخر الليل قام قائما فتغطى بكسائه، ومد يديه نحو القبلة فتكلم بكلام جائز الحفظ، وكان مما حفظت أن قال: نحن شواهدك فلو دلتنا عزتك لتبدي ما شئت من شانك ومشيئتك، وأنت الذي في السماء إله وفي الأرض إله، تتجلى لما تشاء مثل تجليك في مشيئتك كأحسن الصورة، والصورة فيها الروح الناطقة بالعلم، والبيان، والقدرة ثم أوعزت إلى شاهدك، الآني في ذاتك الهوى، كيف أنت إذا مثلت بذاتي عند عقيب كراتي، ودعوت إلى ذاتي بذاتي، وأبديت حقائق علومي، ومعجزاتي صاعدا في معارجي إلى عروش أزلياتي، عند القول من برياتي إني احتضرت وقتلت، وصلبت، وأحرقت، واحتملت سافياتي الذاريات، ولجت بي الجاريات، وإن ذرة من ينجوج مكان هاكول -[٧٠٩]- متحلياتي، لأعظم من الراسيات، ثم أنشأ، يقول:

أنعي إليك نفوسا طاح شاهدها فيما ورا الحيث أو في شاهد القدم

أنعي إليك قلوبا طالما هطلت سحائب الوحي فيها أبحر الحكم

أنعي إليك لسان الحق مذ زمن أودى وتذكاره في الوهم كالعدم

أنعي إليك بيانا يستكين له أقوال كل فصيح مقول فهم

أنعي إليك إشارات العقول معا لم يبق منهن إلا دارس الرمم

أنعي وحبك أخلاقا لطائفة كانت مطاياهم من مكمد الكظم

مضى الجميع فلا عين ولا أثر مضى عاد وفقدان الألى إرم

وخلفوا معشرا يجرون لبستهم أعمى من البهم بل أعمى من النعم

حدثني محمد بن علي الصوري، قال: سمعت إبراهيم بن جعفر بن أبي الكرام البزاز بمصر يقول: سمعت أبا محمد الياقوتي، يقول: رأيت الحلاج عند الجسر، وهو على بقرة، ووجهه على عجزها فسمعته يقول: ما أنا بالحلاج ألقى على شبهه

وغاب، فلما أدنى إلى الخشبة ليصلب عليها سمعته يقول: يا معين الضنا علي أعني على الضنا.

أخبرنا القاضي أبو العلاء الواسطي، قال: لما أخرج الحسين بن منصور الحلاج ليقتل أنشد:

طلبت المستقر بكل أرض فلم أر لي بأرض مستقرا

أطعت مطامعي فاستعبدتني ولو أني قنعت لكنت حرا

أخبرنا إسماعيل الحيري، قال: أخبرنا أبو عبد الرحمن السلمي، قال: -[٧١٠]- سمعت محمد بن أحمد بن الحسن الوراق يقول: سمعت أبا إسحاق إبراهيم بن محمد القلانسي الرازي يقول: لما صلب الحسين بن منصور، وقفت عليه وهو مصلوب، فقال: إلهي أصبحت في دار الرغائب أنظر إلى العجائب إلهي إنك تتودد إلى من يؤذيك، فكيف لا تتودد إلى من يؤذى فيك.

وقال السلمي: سمعت عبد الواحد بن علي يقول: سمعت فارسا البغدادي يقول: لما حبس الحلاج قيد من كعبه إلى ركبته بثلاثة عشر قيدا، وكان يصلي مع ذلك في كل يوم وليله ألف ركعة! قال: وسمعت فارسا يقول: قطعت أعضاؤه يوم قتل عضوا عضوا وما تغير لونه.

وقال السلمي: سمعت أبا عبد الله الرازي يقول: سمعت أبا بكر العطوفي يقول: كنت أقرب الناس من الحلاج فضرب كذا، وكذا سوطا، وقطعت يداه، ورجلاه فما نطق! أخبرنا ابن الفتح، قال: أخبرنا محمد بن الحسين، قال: سمعت الحسين بن أحمد، يعني الرازي، يقول: سمعت أبا العباس بن عبد العزيز يقول: كنت أقرب الناس من الحلاج حين ضرب، وكان، يقول مع كل صوت: أحد، أحد.

حدثنا عبيد الله بن أحمد بن عثمان الصيرفي، قال: قال لنا أبو عمر بن حيويه: لما أخرج حسين الحلاج ليقتل مضيت في جملة الناس، ولم أزل أزاحم حتى رأيته، فقال لأصحابه: لا يهولنكم هذا، فإني عائد إليكم بعد ثلاثين يوما، ثم قتل.

أخبرنا محمد بن أحمد بن عبد الله الأردستاني، بمكة، قال: أخبرنا أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين السلمي بنيسابور، قال: سمعت أبا العباس الرزاز يقول: كان أخي خادما للحسين بن منصور، فسمعته يقول: لما كانت الليلة التي وعد من الغد قتله، قلت له: يا سيدي أوصني، فقال لي: عليك -[٧١١]- نفسك إن لم تشغلها شغلتك، قال: فلما كان من الغد فأخرج للقتل، قال: حسب الواجد أفراد الواحد له، ثم خرج يتبختر في قيده، ويقول:

نديمي غير منسوب إلى شيء من الحيف

سقاني مثل ما يشرب فعل الضيف بالضيف

فلما دارت الكأس دعا بالنطع والسيف

كذا من يشرب الراح مع **التنين** في الصيف

ثم قال: ﴿يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون أنها الحق﴾، ثم ما نطق بعد ذلك حتى فعل به ما فعل.

أخبرنا ابن الفتح، قال: أخبرنا محمد بن الحسين، قال: سمعت عبد الله بن علي يقول: سمعت عيسى القصار يقول: آخر

كلمة تكلم بها الحسين بن منصور عند قتله وصلبه أن قال: حسب الواجد أفراد الواحد له فما سمع بهذه الكلمة أحد من المشايخ إلا رق له واستحسن هذا الكلام منه.

أخبرنا إسماعيل الحيري، قال: أخبرنا أبو عبد الرحمن السلمي، قال: سمعت أبا بكر البجلي يقول: سمعت أبا الفاتك البغدادي، وكان صاحب الحلاج، قال: رأيت في النوم بعد ثلاث من قتل الحلاج، كأني واقف بين يدي ربي تعالى فأقول: يا رب ما فعل الحسين بن منصور؟ فقال: كاشفته بمعنى فدعا الخلق إلى نفسه، فأنزلت به ما رأيت.

ذكر أخبار الحلاج بعد حصوله في يد حامد بن العباس وشرحها على التفصيل إلى حين مقتله

قد ذكرنا ما انتهى إلينا من أخبار الحلاج المنثورة، وأنا أسوق هاهنا قصته ببغداد مفصلة، وسبب القبض عليه، وشرح ما بعد ذلك إلى أن قتل: فبلغنا أنه أقام ببغداد في أيام المقتدر بالله زمانا يصحب الصوفية وينتسب -[٧١٢]- إليهم، والوزير إذ ذاك حامد بن العباس فانتهى إليه أن الحلاج قد موه على جماعة من الحشم والحجاب في دار السلطان، وعلى غلمان نصر القشوري الحاجب وأسبابه بأنه يحيي الموتى، وأن الجن يخدمونه، ويحضرون ما يختاره، ويشتهيه، وأظهر أنه قد أحيا عدة من الطير، وأظهر أبو علي الأوارجي لعلي بن عيسى أن محمد بن علي القنائي، وكان أحد الكتاب يعبد الحلاج، ويدعو الناس إلى طاعته، فوجه علي بن عيسى إلى محمد بن علي القنائي من كبس منزله، وقبض عليه، وقرره علي بن عيسى فأقر أنه من أصحاب الحلاج، وحمل من داره إلى علي بن عيسى دفاتر، ورقاعا بخط الحلاج فالتمس حامد بن العباس من المقتدر بالله أن يسلم إليه الحلاج ومن وجد من دعاته، فدفع عنه نصر الحاجب، وكان يذكر عنه الميل إلى الحلاج، فجرد حامد في المسأله، فأمر المقتدر بالله أن يدفع إليه فقبضه، واحتفظ به، وكان يخرجه كل يوم إلى مجلسه، ويتسقطه ليتعلق عليه بشيء يكون سبيلا له إلى قتله فكان الحلاج لا يزيد على إظهار الشهادتين، والتوحيد، وشرائع الإسلام، وكان حامد قد سعى إليه بقوم أنهم يعتقدون في الحلاج الإلهيه، فقبض حامد عليهم، وناظرهم فاعترفوا أنهم من أصحاب الحلاج ودعاته، وذكروا لحامد أنهم قد صح عندهم أنه إله، وأنه يحيي الموتى، وكاشفوا الحلاج بذلك فجحده وكذبهم، وقال: أعوذ بالله أن أدعي الربوبية أو النبوة، وإنما أنا رجل أعبد الله، وأكثر الصوم، والصلاة، وفعل الخير، ولا أعرف غير ذلك.

فأخبرني علي بن المحسن القاضي، عن أبي القاسم إسماعيل بن محمد بن زنجي الكاتب، عن أبيه، وهو المعروف بزنجي مما أسوقه من أخبار الحلاج إلى حين مقتله، وكان زنجي يلازم مجلس حامد بن العباس، ويرى الحلاج، ويسمع مناظرات أصحابه، قال زنجي: كان أول ما انكشف -[٧١٣]- من أمره في أيام وزارة حامد بن العباس أن رجلا شيخا حسن السمت يعرف بالدباس تنصح فيه، وذكر انتشار أصحابه، وتفرق دعاته في النواحي، وأنه كان ممن استجاب له، ثم تبين مخرقته ففارقه، وخرج عن جملته، وتقرب إلى الله بكشف أمره، واجتمع معه على هذه الحال أبو علي هارون بن عبد العزيز الأوارجي الكاتب الأنباري، وكان قد عمل كتابا ذكر فيه مخاريق الحلاج، والحيلة فيها، والحلاج حينئذ مقيم عند نصر القشوري في بعض حجره موسع عليه مأذون لمن يدخل إليه، وللحلاج اسمان: أحدهما الحسين بن منصور، والآخر محمد بن أحمد الفارسي.

وكان قد استغوى نصرا وجاز تمويهه عليه حتى كان يسميه العبد الصالح ويحدث الناس أن علة عرضت للمقتدر بالله في

جوفه وقف نصر على خبرها فوصفه له، واستأذنه في إدخاله إليه فأذن له، ووضع يده على الموضع الذي كانت العلة فيه، وقرأ عليه فاتفق أن زالت العلة ولحق والدة المقتدر بالله مثل تلك العلة، وفعل بها مثل ذلك فزال ما وجدته فقام للحلاج بذلك سوق في الدار، وعند والدة المقتدر، والخدم، والحاشية، وأسباب نصر خاصة، ولما انتشر كلام الدباس وأبي علي الأوارجي في الحلاج بعث به المقتدر بالله إلى أبي الحسن على ابن عيسى ليناظره فأحضره مجلسه، وخاطبه خطابا فيه غلظة فحكي في ذلك الوقت أنه تقدم إليه، وقال له فيما بينه وبينه: قف حيث انتهيت ولا تزد عليه شيئا وإلا قلبت الأرض عليك أو كلاما في هذا المعنى، فتهيب علي بن عيسى مناظرته، واستعفى منه، ونقل حينئذ إلى حامد، وكانت بنت السمري صاحب الحلاج قد أدخلت إليه، وأقامت عنده في دار السلطان مدة، وبعث بها إلى حامد ليسألها عما وقفت عليه، وشاهدته من أحواله فدخلت إلى حامد في يوم شات بارد، وهذه المرأة بحضرته، وكانت حسنة العبارة عذبة الألفاظ مقبولة الصورة فسألها عن أمره فذكرت أن أباها السمري حملها إليه، وأنها لما دخلت عليه، وهب لها أشياء كثيرة، عددت أصنافها منها ريطة خضراء، وقال لها: قد -[٧١٤]- زوجتك من ابني سليمان، وهو أعز ولدي علي، وهو مقيم بنيسابور في موضع قد ذكرته، وأنسيته، وليس يخلو أن يقع بين المرأة، وزوجها خلاف أو تنكر منه حالا من الأحوال، وقد أوصيته بك فمتى جرى شيء تنكرينه من جهته فصومي يومك، واصعدي آخر النهار إلى السطح، وقومي على الرماد، واجعلي فطرك عليه، وعلى ملح جريش، واستقبليني بوجهك، واذكري لي ما أنكرته منه فإني أسمع وأرى، قالت: وكنت ليلة نائمة في السطح، وابنة الحلاج معي في دار السلطان، وهو معنا فلما كان في الليل أحسست به، وقد غشيني فانتبهت مذعورة منكرة لما كان منه، فقال: إنما جئتك لأوقظك للصلاة، ولما أصبحنا نزلت إلى الدار، ومعي بنته، ونزل هو فلما صار على الدرجة بحيث يرانا، ونراه، قالت بنته: اسجدي له، فقلت لها: أو يسجد أحد لغير الله، وسمع كلامي لها، فقال: نعم إله في السماء، وإله في الأرض، قالت: ودعاني إليه، وأدخل يده في كمه، وأخرجها مملوءة مسكا فدفعه إلي، وفعل هذا مرات، ثم قال: اجعلي هذا في طيبك، فإن المرأة إذا حصلت عند الرجل احتاجت إلى الطيب، قالت: ثم دعاني وهو جالس في بيت البواري، فقال: ارفعي جانب البارية، وخذي من تحته ما تريدين، وأومأ إلى زاوية البيت فجئت إليها، ورفعت البارية فوجدت الدنانير تحتها مفروشة ملء البيت، فبهرني ما رأيت من ذلك.

قال زنجي: وأقامت هذه المرأة معتقلة في دار حامد إلى أن قتل الحلاج.

ولما حصل الحلاج في يد حامد جد في طلب أصحابه، وأذكى العيون عليهم، وحصل في يده منهم حيدرة، والسمري، ومحمد بن علي القنائي، والمعروف بأبي المغيث الهاشمي، واستتر المعروف بابن حماد، وكبس منزله، وأخذت منه دفاتر كثيرة، وكذلك من منزل محمد بن علي القنائي في ورق صيني، وبعضها مكتوب بماء الذهب مبطنة بالديباج، والحرير مجلدة بالأديم الجيد، وكان فيما خاطبه به حامد أول ما حمل إليه: ألست تعلم أني -[٧١٥]- قبضت عليك بدور الراسبي، وأحضرتك إلى واسط فذكرت لي دفعة أنك المهدي، وذكرت في دفعة أخرى أنك رجل صالح تدعو إلى عبادة الله، والأمر بالمعروف فكيف ادعيت بعد الإلهية؟! وكان في الكتب الموجودة عجائب من مكاتباته أصحابه النافذين إلى النواحي، وتوصيتهم بما يدعون الناس إليه، وما يأمرهم به من نقلهم من حال إلى أخرى، ومرتبة إلى مرتبة حتى يبلغوا الغاية القصوى، وأن يخاطبوا كل قوم على حسب عقولهم، وأفهامهم، وعلى قدر استجابتهم، وانقيادهم، وجوابات لقوم كاتبوه بألفاظ مرموزة لا يعرفها

إلا من كتبها، ومن كتبت إليه، ومدارج فيها ما يجري هذا المجرى، وفي بعضها صورة فيها اسم الله تعالى مكتوب على تعويج، وفي داخل ذلك التعويج مكتوب: علي عليه السلام كتابة لا يقف عليها إلا من تأملها.

وحضرت مجلس حامد وقد أحضر السمري صاحب الحلاج، وسأله عن أشياء من أمر الحلاج، وقال له: حدثني بما شاهدته منه، فقال له: إن رأى الوزير أن يعفيني فعل فأعلمه أنه لا يعفيه، وعاود مسألته عما شاهده فعاود استعفاءه، وألح عليه في السؤال فلما تردد القول بينهما، قال: أعلم أني إن حدثتك كذبتني، ولم آمن مكروها يلحقني فوعده أن لا يلحقه مكروه، فقال: كنت معه بفارس فخرجنا نريد اصطخر في زمان شات، فلما صرنا في بعض الطريق أعلمته بأني قد اشتهيت خيارا، فقال: لي في هذا المكان، وفي مثل هذا الوقت من الزمان، فقلت: هو شيء عرض لي، ولما كان بعد ساعات، قال لي: أنت على تلك الشهوة، فقلت: نعم، قال: وسرنا إلى سفح جبل ثلج فأدخل يده فيه، وأخرج إلي منه خيارة خضراء، ودفعها إلي، فقال له حامد: فأكلتها، قال: نعم، فقال له: كذبت يابن مائة ألف زانية في مائة ألف زانية، أوجعوا فكه، فأسرع الغلمان إليه وامتثلوا ما أمرهم به، وهو يصيح أليس من هذا خفنا؟ ثم أمر به فأقيم من المجلس، وأقبل حامد يتحدث عن قوم من -[٧١٦]- أصحاب النيرنجات كانوا يغدون بإخراج التين، وما يجرى مجراه من الفواكه فإذا حصل ذلك في يد الإنسان، وأراد أن يأكله صار بعرا.

وحضرت مجلس حامد، وقد أحضر سفط خيار لطيف حمل من دار محمد بن علي القنائي، أكبر ظني، فتقدم بفتحه ففتح فإذا فيه قدر جافة خضر، وقوارير فيها شيء يشبه لون الزئبق، وكسر خبز جافة، وكان السمري حاضرا جالسا بالقرب من أبي فعجب من تلك القدر، وتصييرها في سفط مختوم، ومن تلك القوارير، وعندنا أنها أدهان، ومن كسر الخبز، وسأل أبي السمري، عن ذلك فدافعه عن الجواب، واستعفاه منه، وألح عليه في السؤال فعرفه أن تلك القدر رجيع الحلاج، وأنه يستشفي به، وأن الذي في القوارير بوله، فعرف حامد ما قاله فعجب منه وعجب من كان في المجلس، واتصل القول في الطعن على الحلاج، وأقبل أبي يعيد ذكر تلك الكسر، ويتعجب منها، ومن احتفاظهم بها حتى غاظ السمري ذلك، فقال له: هو ذا أسمع ما تقول، وأرى تعجبك من هذه الكسر، وهي بين يديك فكل منها ما شئت، ثم انظر كيف يكون قلبك للحلاج بعد أكلك ما تأكله منها فتهيب أبي أن يأكلها، وتخوف أن يكون فيها سم، وأحضر حامد الحلاج، وسأله عما كان في السفط، وعن احتفاظ أصحابه برجيعه وبوله؟ فذكر أنه شيء ما علم به، ولا عرفه.

وكان يتفق في كثير من الأيام جلوس الحلاج في مجلس حامد إلى جنبي فأسمعه يقول دائما: سبحانك لا إله إلا أنت عملت سوءا، وظلمت نفسي فاغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، وكانت عليه مدرعة سوداء من صوف، وكنت يوما، وأبي بين يدي حامد، ثم نهض عن مجلسه، وخرجنا إلى دار العامة، وجلسنا في رواقها، وحضر هارون بن عمران الجهبذ فجلس بين يدي أبي، -[٧١٧]- ولم يحادثه فهو في ذاك إذ جاء غلام حامد الذي كان موكلا بالحلاج، وأومأ إلى هارون بن عمران أن يخرج إليه فنهض، عن المجلس مسرعا، ونحن لا ندري ما السبب فغاب عنا قليلا، ثم عاد، وهو متغير اللون جدا فأنكر أبي ما رآه منه، وسأله عنه، فقال: دعاني الغلام الموكل بالحلاج فخرجت إليه فأعلمني أنه دخل إليه، ومعه الطبق الذي رسم أن يقدمه إليه في كل يوم فوجده ملأ البيت من سقفه إلى أرضه، وملأ جوانبه فهاله ما رأى من ذلك، ورمى بالطبق من يده، وخرج من البيت مسرعا، وأن الغلام ارتعد وانتفض وحم! وبقي هارون يتعجب من ذلك.

وبلغ حامدا عن بعض أصحاب الحلاج أنه ذكر أنه دخل إليه إلى الموضع الذي هو فيه، وخاطبه بما أراده فأنكر ذلك كل الإنكار، وتقدم بمسألة الحجاب والبوابين عنه وقد كان رسم أن لا يدخل إليه وضرب بعض البوابين فحلفوا بالإيمان المغلظة أنهم ما أدخلوا أحدا من أصحاب الحلاج إليه ولا اجتاز بهم، وتقدم بافتقاد السطوح، وجوانب الحيطان فافتقدوا ذلك أجمع، ولم يوجد له أثر ولا خلل، فسأل الحلاج عن دخول من دخل إليه، فقال: من القدرة قد نزل ومن الموضع الذي وصل إلي منه خرج، وكان يخرج إلى حامد في كل يوم دفاتر مما حمل من دور أصحاب الحلاج ويجعل بين يديه فيدفعها إلى أبي، ويتقدم إليه بأن يقرأها عليه فكان يفعل ذلك دائما فقرأ عليه في بعض الأيام من كتب الحلاج، والقاضي أبو عمر حاضر، والقاضي أبو الحسين بن الأشناني كتابا حكى فيه أن الإنسان إذا أراد الحج، ولم يمكنه إفراد في داره بيتا لا يلحقه شيء من النجاسة، ولا يدخله أحد، ومنع من تطرقه فإذا حضرت أيام الحج طاف حوله طوافه حول البيت فإذا انقضى ذلك، وقضى من المناسك ما يقضى بمكة مثله جمع ثلاثين يتيما وعمل لهم أمرأ ما يمكنه من الطعام وأحضرهم إلى ذلك البيت، وقدم إليهم ذلك الطعام، وتولى خدمتهم بنفسه فإذا فرغوا من أكلهم، وغسل أيديهم كسا كل واحد منهم قميصا ودفع إليه سبعة دراهم أو ثلاثة، الشك مني، فإذا فعل ذلك قام له مقام -[٧١٨]- الحج، فلما قرأ أبي هذا الفصل التفت أبو عمر القاضي إلى الحلاج، وقال له: من أين لك هذا؟ قال: من كتاب الإخلاص للحسن البصري، فقال: له أبو عمر كذبت يا حلال الدم، قد سمعنا كتاب الإخلاص للحسن البصري بمكة، وليس فيه شيء مما ذكرته، فلما قال أبو عمر: كذبت يا حلال الدم، قال له حامد: اكتب بهذا، فتشاغل أبو عمر بخطاب الحلاج، فأقبل حامد يطالبه بالكتاب بما قاله، وهو يدافع ويتشاغل إلى أن مد حامد الدواة من بين يديه إلى أبي عمر، ودعا بدرج فدفعه إليه، وألح عليه حامد بالمطالبة بالكتاب إلحاحا لم يمكنه معه المخالفة فكتب بإحلال دمه، وكتب بعده من حضر المجلس، ولما تبين الحلاج الصورة، قال: ظهري حمى ودمي حرام، وما يحل لكم أن تتأولوا علي بما يبيحه واعتقادي الإسلام ومذهبي السنة وتفضيل أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وطلحة، والزبير، وسعد، وسعيد، وعبد الرحمن بن عوف، وأبي عبيدة بن الجراح، ولي كتب في السنة موجودة في الوراقين، فالله الله في دمي، ولم يزل يردد هذا القول، والقوم يكتبون خطوطهم إلى أن استكملوا ما احتاجوا إليه ونهضوا عن المجلس ورد الحلاج إلى موضعه الذي كان فيه، ودفع حامد ذلك المحضر إلى والدي، وتقدم إليه أن يكتب إلى المقتدر بالله بخبر المجلس، وما جرى فيه، وينفذ الجواب عنها فكتب الرقعتين، وينفذ الفتوى درج الرقعه ويستأذنه في قتله، ويكتب رقعة إلى نصر الحاجب يسأله فيها إيصال الرقعة إلى المقتدر بالله، وأبطأ الجواب يومين فغلظ ذلك على حامد، ولحقه ندم على ما كتب به، وتخوف أن يكون قد وقع غير موقعه، ولم يجد بدا من نصرة ما عمله فكتب بخط والدي رقعة إلى المقتدر بالله في اليوم الثالث، يقتضى فيها ما تضمنته الأولى، ويقول إن ما جرى في المجلس قد شاع، وانتشر، ومتى لم يتبعه قتل الحلاج افتتن الناس به، ولم يختلف عليه اثنان، ويستأذن في ذلك، وأنفذ -[٧١٩]- الرقعة إلى مفلح، وسأله إيصاله، وتنجز الجواب عنها، وإنفاذه إليه فعاد الجواب من المقتدر بالله من غد ذلك اليوم من جهة مفلح بأن القضاة إذا كانوا قد أفتوا بقتله، وأباحوا دمه فلتحضر محمد بن عبد الصمد صاحب الشرطة، وليتقدم إليه بتسلمه، وضربه ألف سوط فإن تلف تحت الضرب، وإلا ضرب عنقه فسر حامد بهذا الجواب، وزال ما كان عليه من الإضطراب، وأحضر محمد بن عبد الصمد، وأقرأه إياه، وتقدم إليه بتسلم الحلاج فامتنع من ذلك، وذكر أنه يتخوف أن ينتزع فأعلمه حامد أنه يبعث معه غلمانه حتى يصيروا

به إلى مجلس الشرطة في الجانب الغربي، ووقع الاتفاق على أن يحضر بعد عشاء الآخرة، ومعه جماعة من أصحابه، وقوم على بغال مؤفكة يجرون مجرى الساسة ليجعل على واحد منها ويدخل في غمار القوم، وأوصاه بأن يضربه ألف سوط فإن تلف حز رأسه واحتفظ به وأحرق جثته، وقال له حامد: إن قال لك أجري لك الفرات ذهبا وفضة فلا تقبل منه، ولا ترفع الضرب عنه فلما كان بعد عشاء الآخرة، وافى محمد بن عبد الصمد إلى حامد، ومعه رجاله، والبغال المؤكفة فتقدم إلى غلمانه بالركوب معه حتى يصل إلى مجلس الشرطة، وتقدم إلى الغلام الموكل به بإخراجه من الموضع الذي هو فيه، وتسليمه إلى محمد بن عبد الصمد فحكى الغلام أنه لما فتح الباب عنه، وأمره بالخروج، وهو وقت لم يكن يفتح عنه في مثله، قال له: من عند الوزير، فقال: محمد بن عبد الصمد، فقال: ذهبنا والله، وأخرج وأركب بعض تلك البغال المؤكفة، واختلط بجملة الساسة، وركب غلمان حامد معه حتى أوصلوه إلى الجسر، ثم انصرفوا، وبات هناك محمد بن عبد الصمد، ورجاله مجتمعون حول المجلس فلما أصبح يوم الثلاثاء لست بقين من ذي القعده أخرج الحلاج إلى رحبة المجلس، وأمر الجلاد بضربه بالسوط، واجتمع من العامة -[٧٢٠]- خلق كثير لا يحصى عددهم فضرب إلى تمام الألف سوط، وما استعفى، ولا تأوه بل لما بلغ ست مائة سوط، قال لمحمد بن عبد الصمد: ادع بي إليك فإن عندي نصيحة تعدل فتح قسطنطينية، فقال له محمد: قد قيل لي إنك ستقول هذا، وما هو أكثر منه، وليس إلى رفع الضرب عنك سبيل، ولما بلغ ألف سوط قطعت يده، ثم رجله، ثم يده، ثم رجله، وحز رأسه، وأحرقت جثته، وحضرت في هذا الوقت، وكنت واقفا على ظهر دابتي خارج المجلس، والجثة تقلب على الجمر والنيران تتوقد ولما صارت رمادا ألقيت في دجلة، ونصب الرأس يومين ببغداد على الجسر، ثم حمل إلى خراسان، وطيف به في النواحي وأقبل أصحابه يعدون أنفسهم برجوعه بعد أربعين يوما، واتفق أن زادت دجلة في تلك السنة زيادة فيها فضل فادعى أصحابه أن ذلك بسببه، ولأن الرماد خالط الماء، وزعم بعض أصحاب الحلاج أن المضروب عدو للحلاج ألقى شبهه عليه، وادعى بعضهم أنهم رأوه في ذلك اليوم بعد الذي عاينوه من أمره، والحال الذي جرت عليه، وهو راكب حمارا في طريق النهروان ففرحوا به، وقال لعلكم مثل هؤلاء البقر الذين ظنوا أني أنا هو المضروب والمقتول، وزعم بعضهم أن دابة حولت في صورته، وكان نصر الحاجب بعد ذلك يظهر الترثي له ويقول إنه مظلوم، وإنه رجل من العباد، وأحضر جماعة من الوراقين، وأحلفوا على أن لا يبيعوا شيئا من كتب الحلاج، ولا يشتروها.". (١)

١١٠-"٢٦٨ - (ز): إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب المعروف بابن شكلة.

وأبوه هو: الخليفة المهدي بن المنصور وكان يلقب التنين لعظم جثته.

روى عن المبارك بن فضالة وحماد بن يحيى الأبح، وغيرهما.

روى عنه ابنه هبة الله وخليفة بن خياط وحميد بن فروة وأحمد بن الهيثم، وغيرهم.

وكان مولده في سنة ١٦٢.

---

(١) تاريخ بغداد ت بشار ٧٠٥/٨

وساق ابن عساكر من طريق أبي القاسم التنوخي أظنه من كتاب "الطوالات" بسند له إلى أحمد بن الهيثم قصة لإبراهيم فمنها أنه حكى في سبب ولاية أخيه الرشيد له إمرة دمشق في منام زعم أن كلا منهما رأى المهدي في النوم وأخبرهما بما وقع بعد ذلك وفي جملتها: أنه استأذن الرشيد أن يسافر معه إلى الشام بأناس كان يأنس بهم منهم ذيبة المدني وكان راوية لربيعة ومالك، وابن أبي ذئب ومنهم عبد الله بن منارة مولى المنصور وولد أشعب فذكر الخبر كله. -[٣٤٦]-

ثم لما ولى المأمون ولاية العهد بعده لعلي بن موسى الرضا أنف بنو العباس من ذلك وبايعوا إبراهيم بالخلافة عوض المأمون وذلك في المحرم سنة اثنتين ومئتين ولقب المرضي وقيل: المبارك وأقام مدة ثم أدبر أمره وجاء المأمون من خراسان إلى بغداد فصلى إبراهيم صلاة العصر ووافى جيش المأمون فتغيب إبراهيم وكانت مدته دون السنة ثم ظفر به فعفا عنه وذلك في سنة عشرة.

وكان قد تعلم الغناء ففاق فيه أقرانه فاستمر يخدم المأمون ومن بعده واستمر بزي المغنين وله في ذلك أخبار كثيرة وأورد منها أبو الفرج في "الأغاني" شيئا كثيرا.

وقال المرزباني: كان شاعرا مطبوعا مكثرا من أحسن الناس غناء وأعلمهم به.

وقال يعقوب بن سفيان في "تاريخه": إنه حج بالناس سنة أربع وثمانين في خلافة أخيه الرشيد.

قال أبو حسان الزيادي في "تاريخه": مات إبراهيم بن المهدي في خلافة المعتصم في شهر رمضان سنة أربع وعشرين ومئتين.". (١)

١١١-"صفته

قال الشاذكوني: قال لنا أبو نعيم يوما: ما دام هذا التنين حيا لا يفلح أحد معه.

قال الذهبي: كان وكيع أسمر ضخما سمينا.

وقال أبو داود: كان أعور.

قال سعيد بن منصور: قدم وكيع مكة وكان سمينا، فقال له الفضيل بن عياض: ما هذا السمن وأنت راهب العراق؟! قال: هذا من فرحي بالإسلام.

وعن أبي جعفر الجمال قال: أتينا وكيعا فخرج بعد ساعة وعليه ثياب مغسولة، فلما بصرنا به فزعنا من النور الذي رأيناه يتلألأ من وجهه، فقال رجل بجنبي: أهذا ملك؟! فتعجبنا من ذلك النور.". (٢)

"ثلاث وأربعين وخمسمائة، وبقيت في يدهم اثنتي عشرة سنة حتى قدم عبد المؤمن افريقية سنة خمس وخمسين وخمسمائة واستعادها. وهي في يد بني عبد المؤمن إلى الآن.

---

(١) لسان الميزان ت أبي غدة ٣٤٥/١

(٢) من أعلام السلف ٤/٢١

نابلس

مدينة مشهورة بأرض فلسطين بين جبلين مستطيلة لا عرض لها، وبها اجتماع السامرة، وهم طائفة من اليهود، واليهود بعضهم يقول: انهم مبتدعة ملتنا! ومنهم من يقول: انهم كفار ملتنا! ذكر بعض مشايخ نابلس انه ظهر هناك تنين عظيم فتوسل الناس في هلاكه، وكان شيئا هلائلا له ناب عظيم، فعلقوا نابه هناك ليتعجب الناس من عظمها وليس باصطلاحهم التنين، فعرف الموضع بها وقيل نابلس. بظاهر المدينة مسجد يقولون: ان آدم، عليه السلام، سجد لربه هناك. وبها جبل يقول اليهود ان الخليل، عليه السلام، أمر بذبح ولده عليه، لأن في اعتقادهم أن الذبيح كان إسحق، عليه السلام. وبها عين تحت كهف تعظمه السامرة. وبها بيت عبادة للسامرة يسمى كزيرم.

ناصرة

قرية بقرب طبرية، قيل: اسم النصارى مشتق منها لأنهم كانوا من ناصرة. وأهلها عيروا مريم، عليها السلام، فهم قوم إلى هذه الغاية يعتقدون انه لا تلد بكر من غير زوج.

من عجائبها شجرة الأترج، ثمرتها على هيئة النساء، لها ثديان وما يشبه اليدين والرجلين وموضع القبل مفتوح، وهذا أمر مشهور عندهم.." (١)

"يتكلمون بمثل كلام الطير وطعامهم من نبات يشبه القطور (١) والكمأة ويشربون من غدران هناك.

وجزيرة التنين فيها جبال وأنهار وزروع وهي عامرة وعلى مدينتهم حصن عالي، وكان تنين عظيم قد سام (٢) أهلها (أقبح) سوم فيقال إن الاسكندر وصلها، وإن اهلها استغاثوا به، وذكروا عنه أنه أتلف مواشيهم حتى جعلوا له ضريبة في كل يوم ثورين ينصبوهما قرسا من موضعه، فيخرج فيبتلع الثورين ويعود إلى موضعه، ثم يعود من غد، فقال لهم أروني مكانه، فلما أصبح أقفوا الاسكندر في موضع يشرف عليه ونصبوا له الثورين فأقبل كأنه سحابة سوداء وعيناه كالبرق، والنار تخرج من جوفه فابتلع الثورين، وعاد إلى موضعه، فأمر الاسكندر بثورين عظيمين فسلخهما، ثم أمر فملئت جلودهما زفتا وكبريتا وجبسا وزرنيخا، ومزج تلك الاخلاط كلاليب حديد وأجسادا، ثم نصبها في ذلك الموضع، فأقبل التنين على عادته فابتلعها ومضى لوجهه، فلم يلبث الا قليلا فاضطربت تلك الاخلاط في حلقه فخر مستلقيا لا يملك من نفسه، وفتح فاه ليستروح، فأمر الاسكندر بقطع الحديد فأحميت وجعلت على ألواح من حديد فقذفت في حلقه فمات في الوقت واستراح أهل ذلك البلد منه فرحوا لموته وانكفأوا (٣) للاسكندر وحملوا إليه من طريف (٤) ما عندهم.

وكان فيما حلوه إليه دابة في خلق الارنب وبرها (٥) اصفر يبرق كما يبرق الذهب يسمونه بتراح (٦) وفي رأسها قرن واحد أسود، فإذا الأسود والسباع

---

١) ت: القطن.

---

(١) آثار البلاد وأخبار العباد القزويني ، زكريا ص/٢٧٧

٢) ب: سام: اهلها سوم، ت: شام: أهلها اقبح شوم.

٣) ت: وأظافوا – لعلها: وأضافوا.

٤) ت: ظرائف.

٥) في ب: شعرها.

٦) في ت: نفواخ.

(*) ما بينها وبين * * سقط في ت.

) (*)."(١)

"وسقراطون وأخروسيوس الطبيب ومهراريس المكذب عليه والمزور نفسه في الكتب أنه لحق سليمان بن داود وبينهما ألوف سنين وصور بذوس وميساوس وكان كل واحد من هؤلاء يتاحل رأي أستاذه إسقلبيوس وهو رأى التجربة إذ كان الطب خرج له بالتجربة وقال جالينوس في صورة إسقلبيوس التي يجدونها في هياكلهم أنه صورة رجل ملتحي متزين بجمة ذات ذوائب قال وإذا تأملته وجدته قائما مشمرا مجموع الثياب فيدل هذا الشكل على أنه ينبغي للأطباء أن يتفلسفوا في جميع الأوقات قال وثري الأعضاء منه التي يستحي من تكشفها مستورة

والأعضاء التي تحتاج إلى استعمال الصناعة بها معراة مكشوفة قال ويصور آخذ بيده عصا معوجة ذات شعب من شجرة الخطمى فيدل بذلك على أنه يمكن في صناعة الطب ان يبلغ من استعملها من السن أن يحتاج إلى عصا يتكئ عليها وبالعصا أيضا ينبه النيام وأما تصويرهم تلك العصا من شجرة الخطمى فلأنه يطرد بها وينفي كل مرض وقال حنين ابن إسحاق نبات الخطمى لما كان دواه يسخن إسخانا معتدلا تهيأ فيه أن يكون علاجا كثير المنافع إنما إذا استعمل مفردا وحده وإذا خلط بما هو أسخن منه أو أبرد ولهذا تجد اسمه في اللسان اليوناني مشتقا من اسم العلاجات وذلك بأنهم يدلون بهذا الاسم على أن الخطمى فيه منافع كثيرة قال جالينوس أما اعوجاجها وكثرة شعبها فيدل على كثرة الأصناف والتفنن الموجود في صناعة الطب ولست تجدهم أيضا تركوا هذه العصا بغير زينة ولا تهيئة لكنهم صوروا عليها صورة حيوان طويل الشعر يلتف عليها وهو **التنين** ويقرب هذا الحيوان من إسقلبيوس لأسباب كثيرة أحدها أنه حيوان حاد النظر كثير السهر لا ينام في وقت من الأوقات وقد ينبغي لمن قصد تعلم صناعة الطب أن لا يتشاغل عنها بالنوم ويكون في غاية الذكاء ليمكنه أن يتقدم فينذر بما هو حاضر وبما من شأنه أن يحدث وقالوا هذا الحيوان أعني **التنين** طويل العمر جدا حتى أن حياته يقال أنها الدهر كله وقد يمكن في المستعملين لصناعة الطب أن تطول أعمارهم قال وإذا صور إسقلبيوس جعل على رأسه إكليل يتخذ من شجرة الغار لأن من شأن هذه الشجرة أن تذهب بالحزن ولهذا تجد هرمس إذا سمى المهيب كليل بمثل هذا الإكليل ولذلك ينبغي للأطباء أن يصرفوا عنهم الحزان لأن إسقلبيوس كلل بإكليل يذهب بالحزن ولأن الشجرة هذه أيضا فيها قوة تشفي الأمراض من ذلك أنك تجدها إذا ألقيت في موضع هربت من ذلك الموضع الهوام وذوات السموم.

لأعضاء التي تحتاج إلى استعمال الصناعة بها معراة مكشوفة قال ويصور آخذ بيده عصا معوجة ذات شعب من شجرة

---

(١) أخبار الزمان المسعودي ص/٥٣

الخطمى فيدل بذلك على أنه يمكن في صناعة الطب ان يبلغ من استعملها من السن أن يحتاج إلى عصا يتكئ عليها وبالعصا أيضا ينبه النيام وأما تصويرهم تلك العصا من شجرة الخطمى فلأنه يطرد بها وينفي كل مرض وقال حنين ابن إسحاق نبات الخطمى لما كان دواه يسخن إسخانا معتدلا تهيأ فيه أن يكون علاجا كثير المنافع إنما إذا استعمل مفردا وحده وإذا خلط بما هو أسخن منه أو أبرد ولهذا تجد اسمه في اللسان اليوناني مشتقا من اسم العلاجات وذلك بأنهم يدلون بهذا الاسم على أن الخطمى فيه منافع كثيرة قال جالينوس أما اعوجاجها وكثرة شعبها فيدل على كثرة الأصناف والتفنن الموجود في صناعة الطب ولست تجدهم أيضا تركوا هذه العصا بغير زينة ولا تهيئة لكنهم صوروا عليها صورة حيوان طويل الشعر يلتف عليها وهو **التنين** ويقرب هذا الحيوان من إسقليبيوس لأسباب كثيرة أحدها أنه حيوان حاد النظر كثير السهر لا ينام في وقت من الأوقات وقد ينبغي لمن قصد تعلم صناعة الطب أن لا يتشاغل عنها بالنوم ويكون في غاية الذكاء ليمكنه أن يتقدم فينذر بما هو حاضر وبما من شأنه أن يحدث وقالوا هذا الحيوان أعني **التنين** طويل العمر جدا حتى أن حياته يقال أنها الدهر كله وقد يمكن في المستعملين لصناعة الطب أن تطول أعمارهم قال وإذا صور إسقليبيوس جعل على رأسه إكليل يتخذ من شجرة الغار لأن من شأن هذه الشجرة أن تذهب بالحزن ولهذا تجد هرمس إذا سمى المهيب كليل بمثل هذا الإكليل ولذلك ينبغي للأطباء أن يصرفوا عنهم الحزان." (١)

"ثم أمر بأن يمطر الجيش القلعة بوابل من السهام، وأن تدلف فرقة من الشجعان ضخام الأجسام- كبيزن- (١) إلى تلك الفتحة، فينتزعون الفوز والظفر من فم **التنين**. فأجرى الشجعان المضحون بأرواحهم/ نهرا من دماء سكان القلعة في الغار، بينما أحال الجيش من الخارج النهار ليلا أسود مفزعا على من بداخل القلعة بضرب السهام. وبعد جهد جهيد تحولوا لعجزهم إلى المسكنة والتذلل وطلب الأمان، فأرسلوا شخصا والتمسوا الأمان، فحقق «كندصطبل» مأمولهم واستبدل الحفل بالحرب وفراغ البال بالجدال.

وفي اليوم التالي نزل سكان القلعة بمتاعهم، ثم هبط مستحفظها كسيف البال قد انكسر جناحاه وأصبح ذليلا عاجزا وطلب العذر عن تماديه في التطاول.

وحملت الراية على شرفات القلعة، وبعد حمد الخالق وإهداء الصلوات لروضة السيد المختار جهروا بالدعاء للمليك مع الغلمان من فوق سماء من الحجر مكينة في الأرض (٢).

وكتب الأمير «كندصطبل» رسالة مشتملة على تفاصيل ما وقع من حكايات والتهنئة بالفتح الثاني الذي سنح بالفضل الرباني وأرسلها إلى حضرة السلطنة. فأدى السلطان الشكر على النعمة الإلهية، وعين مستحفظا للقلعة، وضاعف ما بها من عدة.

...

---

(١) أخبار العلماء بأخيار الحكماء القفطي، جمال الدين ص/١٨

(١) بيزن: واحد من أبطال الفرس الأسطوريين القدماء.

(٢) يعني القلعة.." (١)

"لسكان الفلا: لا تغرنكم أعدادكم وأمدادكم، فلا يبالي السرحان المواشي، سواء مشى إليها النقلاى أو الجفلى؛ بل يصدمهم صدمة تحطم منهم كل عرنين، ثم يبتلع بعد أشلائهم المعفره ابتلاء **التنين**: فهو هو كما عرفوه، وعهدوه وألفوه؛ أخو المنايا، وأبن جلا وطلاع الثنايا، مجتمع أشده؛ قد أحتنكت سنه وبان رشده جاد مجد محتزم بحزام من الحزم، مشمر عن ساهد الجد:

لا يشرب الماء إلا من قليب دم ... ولا يبيت له جار على وجل

أسدى القلب أدمى الرواء، لابس جلد النمر لذوي العناد والنواء:

وليس بشاوي عليه دمامة ... إذا ما سعى يسعى بقوس واسهم

ولكنه يسعى عليه مفاضة ... دلاص كأعيان الجراد المنظم." (٢)

"انتهى سليمان وأصحابه إلى قبر الحسين صرخوا صرخة واحدة، وبكوا وقال سليمان: اللهم ارحم الشهيد بن الشهيد ونادوا: يا لثأرات الحسين، وأظهروا التوبة من خذلانه، ثم إن سليمان سار فأخذ على الجصاصة، ثم على الأنبار، ثم صندوداء قرية الأنصار ثم على القيارة وبعث سليمان على مقدمته كريب بن مرثد الحميري.

فلما انتهى إلى قرقيسيا أخرج إليهم زفر بن الحارث الكلابي أنزالا وسوقا وأهدى إلى وجوههم الجزر، ونحر لسائر أهل العسكر، وأمر ابنه الهذيل بن زفر فأقام لهم كل ما احتاجوا إليه، وزودهم، وقال لهم: إن عبيد الله بن زياد قد أقبل ومعه حصين بن نمير السكوني، وشرحبيل بن ذي الكلاع الحميري، وأدهم بن محرز الباهلي وربيعة بن المخارق الغنوي، وحملة بن عبد الله الخثعمي، وهم في الشوك والشجر، وقد وردوا الرقة فسيروا إلى عين الوردة فاجعلوها في ظهوركم فيكون الماء والمادة في أيديكم، وما بيني وبينكم فأنتم له آمنون، وعرض عليهم أن يقيموا عنده فيقاتل معهم، وقال: إنه يريدني فلا تبرحوا حتى يكون أمرنا واحدا، فلم يفعلوا، فقال: أما والله لو أن خيلي كرجالي لأمددتكم.

فأغذوا السير وانتهوا إلى قول زفر بن الحارث ورأيه وساروا إلى الشمسانية وإلى السكير، ثم إلى **التنينيرين** وساعا، ثم إن سليمان عبأ الكتائب ووجه إلى أول عسكر أهل الشام، وقد فصلوا من الرقة، وعسكر ابن ذي الكلاع أربعمائة عليهم المسيب بن نجبة، فقاتلوهم قتالا شديدا فنالوا منهم وهزموهم وغنموا غنيمة حسنة، فبلغ الخبر ابن زياد فسرح إليهم الحصين بن نمير في اثني عشر ألفا، فخرج إليهم سليمان في التعبئة، فلما." (٣)

"تواقفوا دعاهم الحصين إلى طاعة عبد الملك، وكان مروان قد هلك، ودعاهم سليمان إلى أن يسلموا إليهم عبيد الله بن زياد ويخلعوا عبد الملك، ويخرج عمال عبد الله بن الزبير، ويسلم الأمر إلى أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم،

---

(١) أخبار سلاجقة الروم = مختصر سلجوقنامه مجهول - من أهل القرن السابع الهجري ص/١٤٨

(٢) أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض المقري التلمساني ١/٩٩

(٣) أنساب الأشراف للبلاذري البلاذري ٦/٣٧٠

فاقتتلوا أشد قتال سمع به، فهزم أهل الشام يومهم، وحجز الليل بينهم، ثم قاتلوهم من الغد وقد أمد ابن زياد الحصين بابن ذي الكلاع في ثمانية آلاف فاقتتلوا قتالا لم ير مثله، ثم تحاجزوا وقد فشت في الفريقين الجراح، ووافاهم أدهم بن محرز الباهلي في عشرة آلاف فالتقوا فقتل سليمان بن صرد الخزاعي، رماه يزيد بن الحصين بسهم، ثم أخذ الرأيه بعده المسيب بن نجبة الفزاري فقتل، ثم أخذها عبد الله بن سعد بن نفيل وهو يقول:

فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر [١] رحمكما الله فقد صدقتما ووفيتما وقاتل فحمل وحمل عليه ربيعة بن المخارق ابن جأوان الغنوي فاختلف هو وعبد الله بن سعد بن نفيل ضربتين فلم يصنع سيفاهما شيئا، وطعن ابن أخي ربيعة بن المخارق عبد الله بن سعد بن نفيل في ثغره نحره فقتله، وأخذ الرأيه عبد الله بن وال التيمي فقتل، ويقال: بل دعي ابن وال حين قتل عبد الله بن سعد لتدفع الرأيه إليه فوجدوه قد استلحم فحمل رفاعة بن شداد، فكشف الناس عنه ثم إنه أقبل إلى الرأيه وقد أمسكها عبد الله بن حازم الكبيري من بني كبير من الأزد، فقال لابن وال: خذ رأيتك فأخذها وقاتل ابن وال حتى قتل، وقتل ابن حازم إلى جنب ابن وال.

وجاء الليل فنظر رفاعة إلى كل جريح، فدفعه إلى قومه، وسار بالناس حتى أصبح **بالتنينيرين** فعبر الخابور، ثم مضى لا يمر بمعبر إلا قطعه،

---

[١] سورة الأحزاب الآية: ٢٣.." (١)

"باب الثنين والبنين

...

باب **التنين** والبنين:

أما **التنين** أوله تاء معجمة باثنتين من فوقها وبعدها نون مشددة مكسورة، فهو إبراهيم بن المهدي بن المنصور أمير المؤمنين، كنيته أبو إسحاق، أمه شكلة، نسب إليها، وكانت سوداء، وكان شديد السواد عظيم الجسم يلقب **التنين** لذلك، ولد في سنة اثنتين وستين ومائة، وتوفي سنة أربع وعشرين ومائتين، وقيل: في سنة ثلاث وعشرين، بسر من رأى، كان من أحسن الناس غناء وأعلمهم به، وهو شاعر مطبوع مكثر قال ذلك كله المرزباني أخبرني به السليمي عنه.

وأما البنين أوله باء معجمة بواحدة وبعدها نون مكسورة خفيفة، فهي أم البنين بنت حزام بن خالد بن ربيعة بن الوحيد، وهو عامر بن كعب بن عامر بن كلاب تزوجها علي بن أبي طالب رضي الله عنه فولدت له العباس وإخوته عثمان وجعفرا وعبد الله، وأم البنين بنت الصعب بن منقذ روت عن أبيها، روت عنها سلامة بنت عمرو القيسية، وأم البنين بنت عبد العزيز بن مروان أخت عمر بن عبد العزيز روى عنها إبراهيم بن أبي عبلة، وأم البنين ابنة عياض الأسلمية وهي بنة، روت عنها قسيمة بنت عياض، وأم البنين بنت عيينة بن حصن الفزاري، زوجة عثمان رضي الله عنه، وأم البنين بنت عمرو ذي

---

(١) أنساب الأشراف للبلاذري البلاذري ٣٧١/٦

الجدين بن ربيعة بن عمرو بن عامر بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، بها فخر لبيد لعامر بن الطفيل على علقمة بن علاثة.." (١)

"صفحة مادة صفحة مادة صفحة مادة

٥٠٢ تحيي ٤٣٦ التستري ٥٦٤ توأمة-توءمة

٥٠٣ تحيي ٥٧٩ التعزي ٣٧٣ توبة

٤٩٧ تحية ٥٠٦ تغلب ٥٩٠ التوزي

٤٤٩ التخارى ٥٢٧ التغلبي ٥٨٨ التوزي

٤٤٩ التخاوي ٢٤٣ تقا ٣٦٩ تولا

٢٢٢ تديل ٢٤٦ تقي ٥٦٤ توءمة-توأمة

٥٣٤ الترابي ٥١١ التقى ٥٦٤ تومة

٤١٢ التربي ٣٤١ تقية ٥٢٤ التونسي

٤١٦ الترخمي ٥١١ تكين ٣٧٥ تويت

٥٠٤ ترفل ٥١٣ تل ٣٧٥ توبت

٥٤٦ الترفقي ٥١٤ تلب ٥٠٤ تويل

٢٤٩ ترك ٣٥٥ تليل ٥٠٥ تويل

٢٣٤ تركة ٥١٧ تمام ٤٩٦ التيار

٥٣٨ التركي ٥١٦ تمام ٥٢٢ التياس

٥٤٠ التركي ٥١٤ تسميلة ٥٩٦ التيان

٥٤٥ الترمذي ٥١٧ تميم ٤٤٣ التياني

٤١٣ الترني ٢٦٦ الثن ١٨٢ تيرويه

٥٠٥ تريك ٥٤١ التنعي ٥٢١ تيري

٤١٢ الترئي ١٨٣ تنه ٥٤١ التيمي

٢٣١ تزيد ٥١٨ **التنين** ٥٤١ التيمي

٥٤٧ التزيدي ٣٧٨ تهية ٣٨٤ تينة." (٢)

"وتوفى بآمل طبرستان في سنة ثمان أو تسع وأربعين وخمسمائة و [أما-[١]] [أبو عمرو-[٢]] عثمان بن محمد بن أحمد بن هارون السمرقندي التنيسي، أصله من سمرقند وهو وأهل بيته كلهم يسكنون بتنيس، حدث عن أحمد ابن شيبان

(١) الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب ابن ماكولا ٥١٨/١

(٢) الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب ابن ماكولا ٦٠٦/١

الرملي ومحمد بن عبد الحكم القطري وأبي أمية محمد بن إبراهيم الطرسوسي ونحوهم، وكانت له سماعات صحاح في كتب أبيه، وكان ثقة وعلت سنة، توفي بتنيس في شعبان سنة خمس وأربعين وثلاثمائة وبشر ابن بكر التنيسي من القدماء يروى عن الأوزاعي وجرير وأبي بكر بن أبي مريم، روى عنه عبد الله بن وهب والحميدي ودحيم وسعيد بن أسد، قال بن ابي حاتم سئل أبي عنه فقال: ما به بأس، وسئل أبو زرعة عنه فقال: ثقة.

٧٤٥- التنين

بكسر التاء المنقوطة باثنتين من فوقها وتشديد النون المكسورة وبعدها الياء المنقوطة باثنتين من تحتها وفي آخرها النون، هذا لقب أبي إسحاق إبراهيم بن المهدي بن المنصور أمير المؤمنين، أمه شكلة نسب اليها، وكانت سوداء، وكان شديد السواد عظيم الجسم يلقب التنين لذلك، ولد في سنة اثنتين وستين ومائة وتوفي سنة أربع وعشرين ومائتين وقيل [في-[٣]] سنة ثلاث وعشرين بسر من رأى، كان من أحسن الناس غناء وأعلمهم به، وهو شاعر مطبوع مكثر- قال ذلك المرزباني. [٤]

---

[١] من ك.

[٢] ليس في ك.

[٣] من ك.

[٤] (باب التاء والهاء) (٤٢٨- التهامي) رسمه في القبس وقال «ينسب كذلك." (١)

"فلما دارت الكأس دعا بالنطع والسيف ... كذا من يشرب الراح مع التنين في الصيف

ثم قال «يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون أنها الحق» ٤٢: ١٨ ثم ما نطق بعد ذلك حتى فعل به ما فعل. ومن شعره لما أخرج ليقتل أنشد:

طلبت المستقر بكل أرض ... فلم أر لي بأرض مستقرا

أطعت مطامعي فاستعبدتني ... ولو أني قنعت لكنت حرا

ولما صلب قال أبو إسحاق الرازي وقفت عليه فقال وهو مصلوب: إلهي! أصبحت في دار الرغائب انظر إلى العجائب. إلهي! إنك تتودد إلى من يؤذيك فكيف لا تتودد إلى من يؤذى فيك. وكان يقول مع كل سوط إذا ضرب: أحد أحد. ومن لطيف شعره قوله:

متى سهرت عيني لغيرك أو بكت ... فلا أعطيت ما منيت وتمنت

وإن أضمرت نفسي سواك فلا رعت ... رياض المنى من وجنتيك وجنت

وحكى القناد عنه أنه قال:

دنيا تغالطني كأني لست أعرف حالها ... حظر المليك حرامها وأنا احتميت حلالها." (٢)

---

(١) الأنساب للسمعاني السمعاني، عبد الكريم ٣/٩٩

(٢) الأنساب للسمعاني السمعاني، عبد الكريم ٤/٣١٨

"ابن فلان الملك، مات مؤمنا بالله لا يعبد معه غيره، بريئا من الأصنام وعبادتها، مؤمنا بالبعث والحساب والمجازاة على الأعمال، فمن أحب النجاة من عذاب الآخرة فليؤمن بما أومن به «١» .

وكان من ذرية هؤلاء الملوك، كلكن الملك الجبار، كان يعقد التاج على رأسه، وكانت دار مملكته منف، وهى كانت دار الملوك قبله. وكان يحب الحكمة؛ وإظهار الحكمة والعجائب، ويقرب العلماء والمنجمين وأهل الصنعة، فلم تعمل الكيمياء قط فى وقت من الأوقات كما عملت فى أيامه، حتى أستغنى أهل ذلك العصر عن معادن الذهب فلم يشتروها، ولم يكن الذهب أكثر منه فى أيامه، ولا الصنعة أقوى منها فى وقته. كان يطرح المثقال من مثاقيل الكيمياء على القناطير الكثيرة من الفضة فيصبغها. ويحكى القبط عنه أنه اخترع أشياء تخرج عن حد العقل حتى أنهم يسمونه حكيم الملوك؛ غلب جميع الكهنة فى علمهم حتى كان يخبرهم بما غاب عنهم فخافوه. وفى وقته كان نمرود ابراهيم الخليل عم «ا» ؛ وكان نمرود جبارا شديد البأس، وكان ملكه بالعراق، وكان قد أوتى قوة وبطشا فغلب على أكثر الأرض، فأراد أن يستوزر كلكن الملك. وبعث إليه فى ذلك فخافه كلكن وأجابه إلى ذلك، ووجه إليه أنه يريد أن يلقاه منفردا من أهله وحشمه، ليريه من حكمته وسحره؛ فسار النمرود إلى موضع يلقاه فيه كلكن. فأقبل كلكن تحمله أربع أفراس ذوات أجنحة، وقد أحاط به نور كنار، وهو فى صورة مهيبة؛ فدخل بها وهو متوشح تنينا عظيما، والتنين فاغرفاه، ومعه قضيب آس؛ فكلما رفع التنين رأسه ضربه بالقضيب الذي بيده، فلما رأى النمرود هاله ما رآه، واعترف له بجليل حكمته وسأله أن يكون له ظهيرا ففعل. وتزعم القبط أن كلكن الملك كان يجلس إلى الهرم الغربى، وهو أعظم الأهرام، فى قبة على رأس الهرم. وكان يجمع إليه رعيته وحشمه ويأمرهم وينهاهم من أعلى الهرم، ويقيم." (١)

"الأنوف من الطراز الأول إليهم في الشدائد والاستناد وعليهم في الأزمات المعول ولهم في الوفاء والصفاء والاحتفاء والعناية والحماية والرعاية الخطو الواسع والباع الأطول كأنما عناهم بقوله جرول

(أولئك قوم إن بنو أحسنوا البنا ... وإن عاهدوا وفوا وإن عقدوا شدوا)

(وإن كانت النعماء فيهم جزوا بها ... وإن أنعموا لا كدروها ولا كدوا)

(وتعذلني أبناء سعد عليهم ... وما قلت إلا بالذي علمت سعد)

وبقول الوثيق مبناه البليغ معناه

(قوم إذا عقدوا عقدا لجارهم ... شدوا العناج وشدوا فوقه الكربا)

يزيحون عن النزيل كل نازح قاصم وليس له منهم عائب ولا واصم فهو أحق بما قاله في منقر قيس بن عاصم

(لا يفطنون لعيب جارهم ... وهم لحفظ جوارهم فطن)

حلاهم هذه الغريزة التي ليست باستكراه ولا جعل وأمير المؤمنين دام نصره قسيمهم فيها حذو النعل بالنعل ثم هو عليهم وعلى من سواهم بالأوصاف الملوكية مستعل ارفض مزنهم منه عن غيث ملث يمحو آثار اللزبة وانشق عيلهم منه عن ليث ضار منقبض على براثنه للوثبة فقل لسكان الفلا لا تغرنكم أعدادكم وأمدادكم فلا يبالي السرحان المواشي سواء مشي إليها

---

(١) الاستبصار فى عجائب الامصار مؤلف: الاستبصار في عجائب الأمصار ص/٧٠

النقرا أو الجفلى بل يصدمهم صدمة تحطم منهم كل عرنين ثم يبتلع بعد أشلاءهم المعفرة ابتلاع التنين فهو هو كما عرفوه وعهدوه وألفوه وأخو المنايا وابن جلا وطلاع الثنايا مجتمع أشده قد احتنكت سنه وبان رشده جاد مجد محتزم بحزام الحزم مشمر عن ساعد الجد

(لا يشرب الماء إلا من قليب دم ... ولا يبيت له جار على وجل)

(أسدى القلب آدمي الروا لابس ... جلد النمر يزني العناد والنوى)

(وليس بشاري عليه دمامة ... إذا ما سعى يسعى بقوس وأسهم)

(ولكنه يسعى عليه مفاضة ... دلاص كأعيان الجراد المنظم)

فالنجاء النجاء سامعين له طائعين والوجل الوجل لاحقين به خاضعين." (١)

"أنعى إليك نفوسا طاح شاهدها * فيما ورا الحيث بل في شاهد القدم أنعى إليك قلوبا طالما هطلت * سحائب الوحي فيها أبحر الحكم أنعى إليك لسان الحق منك ومن * أودى وتذكاره في الوهم كالعدم أنعي إليك بيانا يستكين له * أقوال كل فصيح مقول فهم أنعى إليك إشارات العقول معا * لم يبق منهن إلا دارس العلم أنعى وحبك أخلاقا بطائفة * كانت مطاياهم من مكمد الكظم مضى الجميع فلا عين ولا أثر * مضي عاد وفقدان الأولى إرم

وخلفوا معشرا يحذون لبستهم * أعمى من البهم بل أعمى من النعم قالوا: ولما أخرج الحلاج من المنزل الذي بات فيه ليذهب به إلى القتل أنشد: طلبت المستقر بكل أرض * فلم أر لي بأرض مستقرا وذقت من الزمان وذاق مني * وجدت مذاقه حلوا ومرا أطعت مطامعي فاستعبدتني * ولو أني قنعت لعشت حرا وقيل: إنه قالها حين قدم إلى الجذع ليصلب، والمشهور الأول.

فلما أخرجوه للصلب مشى إليه وهو يتبختر في مشيته وفي رجليه ثلاثة عشر قيدا وجعل ينشد ويتمايل: نديمي (١) غير منسوب * إلى شئ من الحيف فلما دارت الكأس * دعا بالنطع والسيف سقاني مثل ما يشر * ب فعل الضيف بالضيف كذا من يشرب الراح * مع التنين في الصيف ثم قال: (يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون أنها الحق) [الشورى: ١٨] ثم لم ينطق بعد ذلك حتى فعل به ما فعل.

قالوا: ثم قدم فضرب ألف سوط ثم قطعت يداه ورجلاه وهو في ذلك كله ساكت ما نطق بكلمة، ولم يتغير لونه، ويقال إنه جعل يقول مع كل سوط أحد أحد.

قال أبو عبد الرحمن: سمعت عبد الله بن علي يقول سمعت عيسى القصار يقول: آخر كلمة تكلم بها الحلاج حين قتل أن قال: حسب الواحد إفراد الواحد له.

فما سمع بهذه الكلمة أحد من المشايخ إلا رق له، واستحسن هذا الكلام منه.

وقال السلمي: سمعت أبا بكر المحاملي يقول سمعت أبا الفاتك البغدادي - وكان صاحب الحلاج - قال: رأيت في النوم بعد ثلاث من قتل الحلاج كأني واقف بين يدي ربي عز وجل وأنا أقول يا رب ما فعل الحسين بن منصور؟ فقال: كاشفته

---

(١) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى أحمد بن خالد الناصري ١٣٣/٤

بمعنى فدعا الخلق إلى نفسه فأنزلت به ما رأيت.

ومنهم من قال: بل جزع عند القتل

---

(١) في الفخري ص ٢٦١: حبيبي (*) .." (١)

"الدواوين وهنأهم الناس، وحضر نائب السلطنة والأعيان المقصورة لسماع الخطبة، وقرئ تقليد ابن صصرى بعد الصلاة ثم جلس في الشباك الكمالي وقرئ تقليده مرة ثانية، وفي جمادى الأولى وقع بيد نائب السلطنة كتاب مزور فيه أن الشيخ تقي الدين بن تيمية والقاضي شمس الدين بن الحريري وجماعة من الأمراء والخواص الذين بباب السلطنة يناصحون التتر ويكاتبوهم، ويريدون تولية قبجق على الشام وأن الشيخ كمال الدين بن الزملكاني يعلمهم بأحوال الأمير جمال الدين الأفرم، وكذلك كمال الدين بن العطار، فلما وقف عليه نائب السلطنة عرف أن هذا مفتعل،

ففحص عن واضعه فإذا هو فقير كان مجاورا بالبيت الذي كان مجاور محراب الصحابة، يقال له اليعفوري، وآخر معه يقال له أحمد الغناري، وكانا معروفين بالشر والفضول، ووجد معهما مسودة هذا الكتاب، فتحقق نائب السلطنة ذلك فعزرا تعزيرا عنيفا، ثم وسطا بعد ذلك وقطعت يد الكاتب الذي كتب لهما هذا الكتاب، وهو التاج المناديلي.

وفي أواخر جمادى الأولى انتقل الأمير سيف الدين بلبان الجوكندار المنصوري إلى نيابة القلعة عوضا عن أرجواش.

عجيبة من عجائب البحر قال الشيخ علم الدين البرزالي في تاريخه: قرأت في بعض الكتب الواردة من القاهرة أنه لما كان بتاريخ يوم الخميس رابع جمادى الآخرة ظهرت دابة من البحر عجيبة الخلقة من بحر النيل إلى أرض المنوفية، بين بلاد منية مسعود وإصطباري والراهب، وهذه صفتها: لونها لون الجاموس بلا شعر، وأذناها كأذن الجمل (١) ، وعيناها وفرجها مثل الناقة، يغطي فرجها ذن ب طوله شبر ونصف [طرفه] (٢) كذنب السمكة، ورقبتها مثل غلظ [التليس] (٣) المحشو تبنا، وفمها وشفتاها مثل الكربال (٤) ، ولها أربعة أنياب اثنان فوق واثنان من أسفل، طول كل واحد دون الشبر في عرض أصبعين، وفي فمها ثمان وأربعون ضرسا وسن مثل بيادق الشطرنج، وطول يديها من باطنها إلى الأرض شبران ونصف ومن ركبتها إلى حافرها مثل بطن الثعبان، أصفر مجعد، ودور حافرها مثل السكرجة بأربعة أظافير مثل أظافير الجمل، وعرض ظهرها مقدار ذراعين ونصف، وطولها من فمها إلى ذنبها خمسة عشر قدما وفي بطنها ثلاثة كروش، ولحمها أحمر وزفر مثل السمك، وطعمه كلحم الجمل، وغلظه أربعة أصابع ما تعمل فيه السيوف، وحمل جلدها على خمسة جمال في مقدار ساعة من ثقله على جمل وأحضروه إلى بين يدي السلطان بالقلعة وحشوه تبنا وأقاموه بين يديه والله أعلم.

---

(١) من السلوك ١ / ٩٢٩ وفي الاصل: وآذانها كآذان الجمل.

---

(٢) من السلوك.

---

(١) البداية والنهاية ط إحياء التراث ابن كثير ١٦٢/١١

(٣) من السلوك، وفي الاصل: **التنين**، تصحيف.

والتليس معناه هنا الكيس الذي يستعمل لتعبئة الغلال

والاتبان، ويقال له تليسة أيضا، وفي محيط المحيط: التليس هي الخصية.

---

(٤) الكربال: مندف القطن، وما تكربل به الحنطة أيضا (محيط المحيط) .." [1]

"ومشيئتك، وأنت الذي في السماء إله وفي الأرض إله، تتجلى لما تشاء مثل تجليك في مشيئتك كأحسن الصورة، والصورة فيها الروح الناطقة بالعلم والبيان والقدرة، ثم إني أو عزت إلي شاهدك لأني في ذاتك الهوي كيف أنت إذا مثلت بذاتى عند حلول لذاتي، ودعوت إلى ذاتي بذاتي، وأبديت حقائق علومي ومعجزاتي، صاعدا في معارجي إلى عروش أزلياتي عند التولي عن برياتي، إني احتضرت وقتلت وصلبت وأحرقت واحتملت سافيات الذاريات. ولججت في الجاريات، وإن ذرة من ينجوج مكان هالوك متجلياتي، لأعظم من الراسيات. ثم أنشأ يقول:

أنعى إليك نفوسا طاح شاهدها ... فيما ورا الحيث بل في شاهد القدم

أنعى إليك قلوبا طالما هطلت ... سحائب الوحي فيها أبحر الحكم

أنعى إليك لسان الحق منك ومن ... أودى وتذكاره في الوهم كالعدم

أنعى إليك بيانا يستكين له ... أقوال كل فصيح مقول فهم

أنعى إليك إشارات العقول معا ... لم يبق منهن إلا دارس العلم

أنعى وحبك أخلاقا لطائفة ... كانت مطاياهم من مكمد الكظم

مضى الجميع فلا عين ولا أثر ... مضي عاد وفقدان الأولى إرم

وخلفوا معشرا يحذون لبستهم ... أعمى من البهم بل أعمى من النعم

قالوا: ولما أخرج الحلاج من المنزل الذي بات فيه ليذهب به إلى القتل أنشد:

طلبت المستقر بكل أرض ... فلم أر لي بأرض مستقرا

وذقت من الزمان وذاق مني ... وجدت مذاقه حلوا ومرا

أطعت مطامعي فاستعبدتني ... ولو أني قنعت لعشت حرا

وقيل: إنه قالها حين قدم إلى الجذع ليصلب، والمشهور الأول. فلما أخرجوه للصلب مشى إليه وهو يتبختر في مشيته وفي رجليه ثلاثة عشر قيدا وجعل ينشد ويتمايل:

نديمي غير منسوب ... إلى شيء من الحيف

سقاني مثل ما يشر ... ب فعل الضيف بالضيف

---

(١) البداية والنهاية ط إحياء التراث ابن كثير ١٤/ ٢٦

فلما دارت الكأس ... دعا بالنطع والسيف

كذا من يشرب الراح ... مع التنين في الصيف

ثم قال: (يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون أنها الحق) ٤٢: ١٨ ثم لم ينطق بعد ذلك حتى فعل به ما فعل. قالوا: ثم قدم فضرب ألف سوط ثم قطعت يداه ورجلاه وهو في ذلك كله ساكت ما نطق بكلمة، ولم يتغير لونه، ويقال إنه جعل يقول مع كل سوط أحد أحد.

قال أبو عبد الرحمن: سمعت عبد الله بن علي يقول سمعت عيسى القصار يقول: آخر كلمة تكلم بها الحلاج حين قتل أن قال: حسب الواحد إفراد الواحد له. فما سمع بهذه الكلمة أحد من المشايخ إلا." (١)

"ابن جماعة، وعلى الفارقي بالخطابة، وعلى الأمير ركن الدين بيبرس العلاوى بشد الدواوين وهنأهم الناس، وحضر نائب السلطنة والأعيان المقصورة لسماع الخطبة، وقرئ تقليد ابن صصرى بعد الصلاة ثم جلس في الشباك الكمالي وقرئ تقليده مرة ثانية، وفي جمادى الأولى وقع بيد نائب السلطنة كتاب مزور فيه أن الشيخ تقى الدين بن تيمية والقاضي شمس الدين بن الحريري وجماعة من الأمراء والخواص الذين بباب السلطنة يناصحون التتر ويكاتبوهم، ويريدون تولية قبجق على الشام وأن الشيخ كمال الدين بن الزملكاني يعلمهم بأحوال الأمير جمال الدين الأفرم، وكذلك كمال الدين بن العطار، فلما وقف عليه نائب السلطنة عرف أن هذا مفتعل، ففحص عن واضعه فإذا هو فقير كان مجاورا بالبيت الذي كان مجاور محراب الصحابة، يقال له اليعفوري، وآخر معه يقال له أحمد الغنارى، وكانا معروفين بالشر والفضول، ووجد معهما مسودة هذا الكتاب، فتحقق نائب السلطنة ذلك فعزرا تعزيرا عنيفا، ثم وسطا بعد ذلك وقطعت يد الكاتب الذي كتب لهما هذا الكتاب، وهو التاج المناديلي. وفي أواخر جمادى الأولى انتقل الأمير سيف الدين بلبان الجوكندار المنصوري إلى نيابة القلعة عوضا عن أرجواش.

عجيبة من عجائب البحر

قال الشيخ علم الدين البرزالي في تاريخه: قرأت في بعض الكتب الواردة من القاهرة أنه لما كان بتاريخ يوم الخميس رابع جمادى الآخرة ظهرت دابة من البحر عجيبة الخلقة من بحر النيل إلى أرض المنوفية، بين بلاد منية مسعود وإصطباري والراهب، وهذه صفتها: لونها لون الجاموس بلا شعر، وآذانها كآذان الجمل، وعيناها وفرجها مثل الناقة، يغطي فرجها ذنب طوله شبر ونصف كذنب السمكة، ورقبتها مثل غلظ التنين المحشو تبنا، وفمها وشفتاها مثل الكربال، ولها أربعة أنياب اثنان من فوق واثنان من أسفل، طول كل واحد دون الشبر في عرض إصبعين، وفي فمها ثمان وأربعون ضرسا وسن مثل بيادق الشطرنج، وطول يديها من باطنها إلى الأرض شبران ونصف ومن ركبتها إلى حافرها مثل بطن الثعبان، أصفر مجعد، ودور حافرها مثل السكرجة بأربعة أظافير مثل أظافير الجمل، وعرض ظهرها مقدار ذراعين ونصف، وطولها من فمها إلى ذنبها خمسة عشر قدما وفي بطنها ثلاثة كروش، ولحمها أحمر وزفر مثل السمك، وطعمه كلحم الجمل، وغلظه أربعة أصابع ما تعمل فيه السيوف، وحمل جلدها على خمسة جمال في مقدار ساعة من ثقله على جمل بعد جمل وأحضروه إلى بين يدي

---

(١) البداية والنهاية ط الفكر ابن كثير ١٤٢/١١

السلطان بالقلعة وحشوه تبنا وأقاموه بين يديه والله أعلم.

وفي شهر رجب قويت الأخبار بعزم التتار على دخول بلاد الشام، فانزعج الناس لذلك واشتد خوفهم جدا، وقنت الخطيب في الصلوات وقرئ البخاري، وشرع الناس في الجفل إلى الديار المصرية." (١)

"يكذبه في ذلك، وهم به ليقتله فامتنع منه بأهل أردبيل فلما تحقق الخليفة كذب منكجور بعث إليه بغا الكبير فحاربه وأخذه بالأمان، وجاء به إلى الخليفة.

وفي هذه السنة مات ياطس الرومي الذي كان نائبا على عمورية حين فتحها المعتصم ونزل من حصنه على حكم المعتصم، فأخذه معه أسيرا، فاعتقله بسامرا حتى توفي في هذا العام.

وفي رمضان منها توفي إبراهيم بن المهدي بن المنصور، عم المعتصم، ويعرف بابن شكلة، وقد كان أسود اللون، ضخما فصيحا فاضلا، قال ابن ماكولا: وكان يقال له: التنين يعني لسواده وقد ترجمه الحافظ ابن عساكر في تاريخه ترجمة حافلة، وذكر أنه ولي إمرة دمشق نيابة عن أخيه الرشيد مدة سنتين، ثم عزل عنها، ثم أعيد إليها الثانية، وأقام بها أربع سنين، وذكر من عدله وصرامته أشياء حسنة، وأنه أقام للناس الحج سنة أربع وثمانين، ثم عاد إلى دمشق وكان قد بايعه أهل بغداد في أول خلافة المأمون سنة ثنتين." (٢)

"طلبت المستقر بكل أرض ... فلم أر لي بأرض مستقرا

أطعت مطامعي فاستعبدتني ... ولو أني قنعت لعشت حرا

وقيل: إنه قالها حين قدم إلى الجذع ليصلب، والمشهور الأول، ثم مشى وهو يتبختر في مشيته وفي رجليه ثلاثة عشر قيدا، وجعل ينشد ويتمايل:

نديمي غير منسوب ... إلى شيء من الحيف

سقاني مثل ما يشر ... ب فعل الضيف بالضيف

فلما دارت الكأس ... دعا بالنطع والسيف

كذا من يشرب الراح ... مع التنين في الصيف

ثم قال: ﴿يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون أنها الحق﴾ [الشورى: ١٨] ثم لم ينطق بعد ذلك حتى فعل به ما فعل، قالوا: ثم قدم فضرب ألف سوط ثم قطعت يداه ورجلاه وهو في ذلك كله ساكت ما نطق بكلمة، ولم يتغير لونه، ويقال: إنه جعل يقول مع كل سوط أحد أحد.." (٣)

"بالطاعة والتباعة بيننا وبينها وبلغت الخيرات إلى مداها وانتهت الركاب إلى منتهاها حتى سكن سكون دور دورين واستنزعنا ماكس ماكسين وطلعت شمس الانس للشمسانية وأشرقت الآفاق بالأنوار السلطانية وتحصن بعزنا الحصين وفدانا

---

(١) البداية والنهاية ط الفكر ابن كثير ٢٢/١٤

(٢) البداية والنهاية ط هجر ابن كثير ٢٦٤/١٤

(٣) البداية والنهاية ط هجر ابن كثير ٨٣٩/١٤

الفدين وثبت المجد للمجدل وأخذ للبزاة الشهب منا قنص الاجدل وقطعنا نهر الخابور على قنطرة **التنينير** وانتظمنا عليها في الزحام نظم النثير ونشر عبورنا بها نشر العبير

ذكر الوصول إلى نصيبين

ولما جزنا الخابور وأتممنا العبور أخذنا الطريق إلى نصيبين يسرة واستخرنا الله في قصدنا واستجدينا منه نصره ونصبنا بنصيبين خيامنا بعد ثلاث وسلكنا في مسالك سهول وأوعاث وأزلنا جدبها وجورها بغيث وغياث وعزائم حثاث وصرائم ذات انبعاث على أن الانفس من خوف الالتباث لوخمها ذات التياث ودخلنا المدينة وانزلنا بها السكينة وجئنا إلى قلعتها وقد تحصنت وبمنعتها تحسنت وسائر اسوارها مصفوفة وعرائس مجانيقها مزفوفة واشفقنا في حصرها من سفك الدم وهتك الحرم فوكلنا بها من يمنع من الدخول والخروج وسلطنا والى اللجاج على واليها اللجوج فمني بمصاب المصابرة وعرف انه لا محيص من المحاصرة فأرسل بعد مضي برهة من." (١)

"جبل، يدخل الماء في مؤخره، وينحط من فيه إلى ذلك الدردور، فبينا هم كذلك إذ بعث الله جل وعز بقرش- سمكة أعظم من **التنين-** ينساب على الماء، فطفرت في فم الأسد وسكن الدردور ونفذت السفن حتى وصل إلى ما أراد، وانصرف إلى جرجان وقضى نذره.

وذكر أحمد بن واضح الأصبهاني أنه أطال المقام ببلاد أرمينية، وأنه كتب لعدة من ملوكها وعمالها، ١٣٤/٢ وأنه لم ير بلدا أكثر خيرا، ولا أعظم حيوانا منها، وذكر أن عدة ممالكها مائة وثلاث عشرة مملكة، منها: مملكة صاحب السرير بين اللان وباب الأبواب، وليس إليها إلا مسلكان: مسلك إلى بلاد الخزر، ومسلك إلى بلاد أرمينية، وهي ثمانية عشر ألف قرية، وأران أول مملكة بأرمينية فيها أربعة آلاف قرية، وأكثرها قرى صاحب السرير.

[وباب الأبواب أفواه شعاب في جبل القبق، فيها حصون كثيرة منها: باب صول، وباب اللان، وباب الشابران، وباب لازقة، وباب بارقة، وباب سمسجن، وباب صاحب السرير، وباب فيلانشاه، وباب طارونان، وباب طبرسران شاه، وباب إيران شاه.

وكان السبب في بناء باب الأبواب على ما حدث به أبو العباس الطوسي «١» قال: هاجت الخزر مرة في أيام المنصور فقال لنا: أتدرون كيف بناء أنوشروان الحائط الذي يقال له الباب؟ قلنا: لا. قال: كانت الخزر تغير في سلطان فارس حتى تبلغ همذان والموصل. فلما ملك أنوشروان بعث إلى ملكهم فخطب إليه ابنته على أن يزوجه إياها ويعطيه هو أيضا ابنته ويتوادعا ثم يتفرغا لأعدائهما. فلما أجابه إلى ذلك، عمد أنوشروان إلى جارية من جواريه نفيسة فوجه بها إلى ملك الخزر على أنها ابنته وحمل معها ما يحمل مع بنات الملوك. وأهدى خاقان إلى أنوشروان ابنته. فلما وصلت إليه كتب إلى ملك الخزر: لو التقينا فأوجبنا المودة." (٢)

---

(١) البرق الشامي العماد الأصبهاني ٣٠/٥

(٢) البلدان لابن الفقيه ابن الفَقيه ص/٥٨٦

"الوجه. وهذا الفج، فهل نجعل لك خرجا على أن تسده عليهم وتكفينا أمرهم.

قال: فما طعامهم؟ قالوا: يقذف البحر إليهم في كل عام سمكتين مسيرة عشرة أيام كل سمكة منهما. قال: فبنى هذا السد وفي الخبر قال: السد طريقة حمراء من نحاس، وطريقة سوداء من حديد، ويأجوج ومأجوج أربع وعشرون قبيلة، فكانت قبيلة منهم في الغزو وهم الترك، ٢/١٤٣ فردم ذو القرنين السد على ثلاث وعشرين قبيلة.

قال مقاتل بن سليمان: وإنما سموا الترك لأنهم تركوا خلف الردم، قالوا:

وإذا نزل عيسى (صلى الله عليه وسلم) وقتل الدجال الملعون ظهر يأجوج ومأجوج فيقوم عيسى في المسلمين خطيبا، فيحمد الله ويثني عليه ويقول: اللهم انصر القليل في طاعتك على الكثير في معصيتك، فينصر الله المؤمنين عليهم، وفي خبر عن وهب بن منبه قال: هم قوم طول، أحدهم مثل نصف الرجل المربوع منا، لهم مخاليب في مواضع الأظفار في أيدينا، ولهم أضراس وأنياب كالسباع، ولهم آذان عظام يفترشون الإحدى ويلتحفون بالأخرى، وليس منهم ذكر ولا أنثى إلا وقد عرف أجله، وذلك أنه لا تموت الأنثى حتى يخرج من رحمها ألف ولد، وكذلك الرجال منهم، وهم يرزقون التنين في الربيع ويستمطرونه لحينه، كما يستمطر الغيث لحينه، وهم يتداعون تداعي الحمام، ويعوون عواء الذئب، ويتسافدون حيث ما التقوا كتسافد البهائم، ولما عاين ذو القرنين ذلك منهم انصرف إلى ما بين الصدفين، فقاس ما بينهما وهو منقطع أرض الترك مما يلي المشرق، فوجد بعد ما بينهما فرسخا وهو ثلاثة أميال، فحفر له أساس حتى بلغ الماء ثم جعل عرضه ميلا، وجعل حشوه زبر الحديد أمثال الصخور، وطينه النحاس يذاب فيصب عليه، فصار كأنه عرق من جبل تحت الأرض، ثم علاه وشرفه بزبر الحديد والنحاس المذاب، وجعل خلاله عرقا من نحاس أصفر، فكأنه برد محبر من صفرة النحاس وحمرته وسواد الحديد، فلما فرغ منه ٢/١٤٤ وأحكمه انصرف راجعا. وقال ابن عباس:

الأرض ستة أجزاء: فيأجوج ومأجوج منها خمسة أجزاء، وسائر الخلق في جزء واحد. وقال المعلى بن هلال الكوفي: كنت بالمصيصة فسمعتهم يتحدثون أن البحر ربما مكث أياما وليالي لا يصفق أمواجه، ويسمع له دوي شديد، فيقولون:." [(١)]

"ما هذا إلا لشيء قد آذى دواب البحر فهي تضج إلى الله تعالى، قال: فتقبل سحابة حتى تغيب في البحر، ثم تقبل أخرى وأخرى حتى عد سبع سحائب، ثم ترتفع إلى جانب آخر تنهزم تتبعها التي تليها، والريح تصفقها ثم يرتفعن جميعا في السماء، وقد أخرجن شيئا يرون أنه التنين حتى يغيب عنا ونحن نراه ورأسه في السحاب وذنبه يضطرب، فيطرحه إلى يأجوج ومأجوج فيسكن البحر لذلك.

وقال المنصوري: إن السحاب الموكل بالتنين يخطفه حيث ما وجده كما يخطف حجر المغناطيس الحديد، حتى صار لا يطلع رأسه خوفا من السحاب، ولا يخرج رأسه إلا في الفرد إذا صحت السماء، وربما احتمله السحاب فانفلت منه ووقع في البحر، فتجيء السحابة بهدة ورعد وبرق فتدخل في البحر فتستخرجه ثانية، فربما مر في طريقه بالشجرة العادية فيقتلعها والصخرة العظيمة فيرفعها، ٢/١٤٥ وكان في بعض زمان حكيم يقال له بقراطيس فشا الموت في قرى هناك ففحص عنه بقراطيس هذا فإذا بتنين قد أخرجه السحاب وانفلت منه. فوقع ونتن، فأبلغ ذلك إلى أهل القرى فذهب بقراطيس فجمع

---

(١) البلدان لابن الفقيه ابن الفَقيه ص/٥٩٤

الدراهم وجبى أهل القرى، واشترى بها ملحا فألقاه عليه حتى سكن ذلك النتن، وأسلم الله أهل البلاد، قال بقراطيس: فذهبت إليه لأنظر ما هو فوجدت طوله فرسخين وعرضه أذرع كثيرة، وجسمه مستدير ولونه مثل لون النمر، مفلس كفلوس السمك، وله جناحان عظيمان كأجنحة السمك بالقرب من رأسه الذي يتشعب منه الرءوس، وهذا الرأس على خلقة رأس الإنسان مثل التل العظيم، وله أذنان طويلتان عريضتان كآذان الفيل، ويتشعب من ذلك الرأس ستة أعناق، طول العنق عشرة أذرع، على كل عنق رأس شبيه برأس الحية.

وحدث سلام الترجمان «١» أن الواثق بالله لما رأى في منامه كأن السد الذي." (١)

"علي بن الحسن بن أبي الحسن الخياط سمع الخليل بن عبد الجبار القرائي يحدث عن أبي السنابل هبة الله بن أبي الصهباء القرشي ثنا أبو طاهر الزيادي ثنا أبو حامد بن بلال ثنا أحمد بن حفص ثنا أبي ثنا إبراهيم بن طهمان عن مسلم الملائي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال كان رسول الله يتبع الجنازة ويعود المريض ويركب الحمار ويجتنب دعوة المظلوم. علي بن الحسن بن شمة سمع أبا طلحة الخطيب في الطوالات لأبي الحسن بسماعه منه ثنا أبو الحسن حازم بن يحيى الحلواني بقزوين ثنا حرملة بن يحيى أنبا ابن وهب ثنا عمرو بن الحارث أن دراجا حدثه عن ابن حجيرة عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: "إن المؤمن في قبره لفي روضة خضراء ويرحب قبره سبعون ذراعا وينور له كالقمر ليلة البدر أتدرون ما المعيشة الضنك قالوا الله ورسوله أعلم.

قال: عذاب الكافر في قبره والذي نفسي بيده أنه ليسلط عليه تسعة وتسعون تنينا أتدرون ما **التنين** تسعة وتسعون حية لكل حية سبعة أرؤس ينفخون في جسمه ويلسعونه ويخدشونه إلى يوم يبعثون".

أيضا ثنا أبو حاتم محمد بن إدريس ثنا عبد الرحمن." (٢)

"خمسة عشر يوما ثم تمر دجلة بمدينة السلام، فإذا خرجت عنها صبت إليها أنهار كثيرة من الجانب الشرقي منها ديالى ونهربين والنهروان، ومخرجه من جبال أرمينية وسيسر من بلاد آذربيجان وشهرزور وبلاد الصامغان، ثم يجتمع وينتهى الى الموضع المعروف بباصلوى. ومما يلي جلولا وخانقين من طريق خراسان فسمى هناك تامرا، ويستمد من القواطيل الآخذة من دجلة ويصير الى الموضع المعروف بباجسرى على فرسخين من دسكرة الملك، وهناك يسمى النهروان ويمر ببلاد بعقوبا ويشق مدينة النهروان وهي جانبان وجسر بوران وعبرتا وبرزاطيا وإسكاف بنى الجنيد ويصب الى دجلة بناحية جرجرايا، ثم تصير دجلة الى واسط حتى تصب في بطيحة البصرة وتنتهي الى البحر وقد ذكرنا (في كتاب الاستذكار) سبب انخراق دجلة وخروجها عن عمودها وذلك في أيام كسرى أبرويز ملك فارس وكان مجراها في جوخى وتغريقها طسوج الثرثور من بلاد كسكر وغيره حتى صارت بطائح على ما قدمنا. وآثار عمود دجلة الى وقتنا هذا بين فم الصلح وبهندف وبادرايا وباكسايا وفامية العراق الى بلاد باذبين ودبرى وقرقوب والطيب وشابرزان والدرمكان الى نهرجور والى المذار، وقد يصب في الفرات ودجلة انهار كثيرة مثل سربط وساتيدما وأرسناس والزرم ونهردوشا- وهو بين جزيرة ابن عمر وباسورين وخابور دجلة ومصبه

(١) البلدان لابن الفقيه ابن الفَقيه ص/٥٩٥

(٢) التدوين في أخبار قزوين الرافعي، عبد الكريم ٣٤٦/٣

اليها بين باسورين وقبر سابور ومخرجه من عين تعرف بعين البطريق من ارض الزوزان من بلاد ارمينية ويمر بين الجبل الجودي وجبل التنين وغيره وعليه قصور على بن داود الكردي من الرهزادية وغيره، وسفان ومخرجه من ناحية العمر وقارة والجبل المعروف بعلم الشيطان مما يلي." (١)

"يمكن أن تجزم بأن إنسانا ما، يستطيع عمل أمر ما، أو لا يستطيع. لكنك لاتستطيع القطع بهذا بشكل من الأشكال، وأنت تفكر في كمال بك. ذلك لأنه هو نفسه لايعرف نفسه تستطيع القول أنه واحد من الأشخاص النادرين، الذين يحيون حياتين مزدوجتين، كل حياة تختلف عن الأخرى حسب مزاجه. من يعرفونه عن قرب، يعرفون أنه: عندما كان على وئام مع السراي كتب (التاريخ العثماني) وعندما فسدت هذه العلاقة، يعرفون أنه قطع رأس التنين بقوله: (كلب هو الذي يأمن لخدمة صياد غير منصف). إنه إنسان متقلب. ربما كان إنسانا مخلصا جدا، يمكنك خلال ساعات أن تجعله يفكر مثلك، ولا يمكنك معرفة عدد الساعات أو الأيام التي سيحمل فيها هذه الأفكار) (١).

بعد أن وجد السلطان عبد الحميد أن جماعة العثمانيين الجدد بقيادة مدحت باشا تمارس ضغطا متواصلا لقبول أفكارها، وأجبرته على دخول الحرب العثمانية الروسية، عمل على تشتيت أعضاء هذه الجمعية؛ فبدأ بنفي كبيرها وهو الصدر الأعظم مدحت باشا. بعد ذلك مباشرة، قامت ضد السلطان مؤامرتان لخلعه. واحدة: بقيادة علي سعاوي وهو من أعضاء هذه الجمعية. والاخرى: ماسونية قامت بها جميعة كلانتي سكاليري – عزيز.

والمؤمرتان مدعومتان من إنكلترا، وفشلت كلتاهما، لكنهما جعلت السلطان يتشدد في مراقبة الفكر الوافد والمتأثرين به، وقامت أثناء ذلك أيضا خلية سرية، من طلاب المدرسة الحربية، في استانبول من أصحاب الفكر الجديد، هدفها مقاومة حكم السلطان عبد الحميد، حيث استطاع أحد أعضاء جمعية (كلاني–عزيز بك) الماسونية وهو (علي شفقتي بك) الفرار الى نابولي، والى جنيف، حيث أصدر بين عامي ١٨٧٩م و١٨٨١م، جريدة مناهضة للحكم العثماني، بعنوان (استقبال) بمعنى المستقبل.

وفي عام ١٨٨٩م تأسست منظمة طلابية في المدرسة العسكرية الطبية في استانبول، حيث كان بعض الأساتذة هناك يحرضون الطلاب بشكل أو بآخر للقيام بمعارضة الحكم، ونشر أفكار العثمانيين الجدد بين الطلاب، وكان المؤسس لهذه المنظمة إبراهيم تيمو الروماني الذي تأثر بالمحافل الماسونية الإيطالية. وأطلق على هذه المنظمة الاتحاد العثماني واختاروا يوم الاحتفال بذكرى الثورة الفرنسية المئوية، تاريخا لإنشاء منظمتهم وجعلوا من أهدافهم مقاومة حكم السلطان عبد الحميد، وتكوين دولة مناسبة لأفكار العصر

---

(١) مذكرات السلطان عبد الحميد، ص٤٧.." (٢)

---

(١) التنبيه والإشراف المسعودي ص/٤٨

(٢) الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط علي محمد الصلابي ٤٥٣/١

"مشببا بعتبة محبوبته ... في كتب التاريخ ذكر قصته

لابنته علية شعر فشا ... وقصة في شأن طل ورشا

وكان يشتد على الزنادقه ... ومن غلا يرضي بذاك خالقه

إذ كان في العدل إماما مقسطا ... حتى أتاه حينه فاعتبطا

فولي الهادي ابنه من بعده ... فسار في سيرته وقصده

عدلا إلى أن ذهبت أيامه ... فعاق عن مأموله حمامه

فصار هارون الرشيد تاليا ... للملك الهادي إماما واليا

فشيد الملك وأعلى كعبه ... حزما وعزما وأذل صعبه

واستوزر البرامك الأمجادا ... فاستوسق الأمر بهم وزادا

حتى دهاهم حادث الأيام ... وكل عيش فإلى انصرام

ثم دهى الحين الرشيد فاخترم ... والموت حتم في العباد قد حتم

ثم ولي محمد الأمين ... في طالع حل به التنين

فلم يزل مشتغلا باللهو ... في غرة ومهملة وزهو

ينشده أبو نواس الحسن ... وكان ممن شأنه التمجن

أشعاره في الخمر والغلمان ... فيحتذي ما قاله ابن هاني

حتى أتاه الحتف بالمأمون ... فصار رهنا في يد المنون

أنحى عليه طاهر فاغتاله ... قتلا وعن سلطانه أزاله

ودارت الحروب في بغداد ... وآل أمرها إلى الفساد

فجاءها المأمون عبد الله ... فانزاح عنها كل أمر داه." (١)

"سلا عن سلا هل من علي حقيقة ... فإني في أحشاء قورية سر

ألا إنما الدنيا علي وقربه ... وإلا فإن الأرض عامرها قفر

بعدل علي تعمر الأرض كلها ... وتتسع الدنيا ولو أنها قبر

حنيني إليه موثقا ومسرحا ... كما جن للبر الذي يغرق البحر وله من قصيدة في قاضي الجماعة أبي عبد الله بن حمدين:

من معشر حمدوا فأحمد سعيهم ... (١) فلذاك ما سموا بني حمدين

مضت القرون ومرت الدنيا ومن ... فيها وما جاءت لهم بقرين

لله درك أيها القاضي فما ... حبل الرجاء لديك غير متين

ولقد ذكرتك والعدو يعضني ... والعلج يلطم صفحتي وجبيني

---

(١) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة الشنتريني ٢/٩٣٥

يوم العذاب وللكلاب تضور ... حولي ونشاب الردى ترميني

وتوهمني بالغنى وأضر بي ال ... مال الذي أخذوه إذ أخذوني

قالوا: اعطنا ألفا فقلت مضاعفا ... لما رأيت الموت ملء جفوني

فبقيت عاما في الإسار مصفدا ... بسلاسل ضربا من التنين

لما يئست ولم تكن لي حيلة ... أرسلت في ابن أبي فكان ضميني

(٢) وتركته بيد العدو موثقا ... في ذل أغلال وضيق سجون

وردت رسائله علي فتارة ... يشكو إلي وتارة يشكوني

فقلوبهم كالقلب في خفقانه ... وعيونهم في جريها كعيون

فأتيت نحوك والرجاء يقودني ... وجميل ذكرك خلفه يحدوني

---

(١) شر البيت ص: ٢٢٢.

(٢) س: مثقفا.." (١)

"الليف مجلفطة بدقيق اللبان ودهن كلاب البحر المعد لذلك، ونواتية هذه المراكب لهم آلات محكمة موضوعة في أعلى الصاري (١) الذي يكون في مقدم المركب فيجلس النوتي يبصر ما لاح أمامه من التروش التي تحت الماء مخفية فيقول للماسك: خذ إليك وادفع عنك، ولولا ذلك ما عبره أحد وآفاته كثيرة في المراكب، والمسافرون يأوون كل ليلة إلى مواضع يلجأون إليها خوفا من معاطبه (٢) ، وينزلون بها نهارا ويقلعون نهارا، حالا دائمة سير النهار واقامة الليل، وهو بحر مظلم كريه الريح.

جزيرة البركان (٣) :

هي جزيرة في قطعة من البحر الشامي ليست بالكبيرة فيها جبل يقذف في بعض الأحايين نارا عظيمة وقليلا ما تفتر، وإذا هاجت هذه النار قذفت بالحجارة موقدة وسمع لها دوي يرتاع له ويسمع دويها من بعيد كأنما هي رعود قاصفة، وفي هذه الجزيرة معز برية، وبينها وبين أقرب بر من صقلية خمسة عشر ميلا.

جزيرة السعالي (٤) :

بقرب البحر المظلم الغربي فيها خلق كخلق النساء ولهم أنياب بادية وعيونهم كالبرق وسوقهم كالخشب المحرقة يتكلمون بكلام لا يفهم ويحاربون الدواب البحرية، ولا فرق بين الرجال منهم والنساء إلا بالفروج والذكور لا غير ولا لحى لرجالهم، ولباسهم ورق الشجر.

جزيرة المستشكين (٥) :

بقرب البحر المظلم الغربي أيضا، عامرة فيها جبال وأنهار وزروع، وعلى المدينة حصن عال، وكان فيها فيما سلف على عهد

---

(١) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة الشنتريني ٨١٧/٤

(٦) الإسكندر تنين عظيم يبتلع كل من مر به من إنسان أو ثور أو حمار، فلما دخلها الإسكندر واستغاث به أهلها وشكوا إليه إضرار التنين بهم وأنه قد أتلف مواشيهم وأبقارهم حتى أنهم جعلوا له ضريبة في كل يوم ثورين ينصبونهما بمقربة من موضعه فيخرج إليهما فيبتلعهما ثم يعود إلى موضعه ثم يأتون من الغد فيفعلون له ذلك، فقال لهم الإسكندر: يأتيكم هذا التنين من مكان واحد أو من أمكنة كثيرة. قالوا: من مكان واحد،

فقال لهم: أروني مكانه، فانطلقوا به إلى قرب من موضعه ثم نصبوا له الثورين، فأقبل التنين كالسحابة السوداء وعيناه تلمعان كالبرق، فابتلع الثورين وعاد إلى موضعه فأمرهم الإسكندر أن يجعلوا له في اليوم الثاني عجلين وفي الثالث مثل ذاك، فاشتد جوعه، فأمر الإسكندر عند ذلك بثورين عظيمين فسلخا وحشيت جلودهما زفتا وكبريتا ونحاسا (٧) وزرنيخا وجعلهما في ذلك المكان فخرج التنين إليهما على عادته فابتلعهما ومضى، فاضطربت تلك الأشياء في جوفه فلما أحس باشتعالها وكان قد جعل في تلك الأخلاط كلاليب حديد، فذهب يتقيأ ذلك من جوفه فتشبكت الكلاليب في حلقه فخر واقعا وفتح فاه يستروح، فأمر عند ذلك الإسكندر فحميت قطع الحديد وجعلت على ألواح حديد وقذفت في حلق التنين، فاشتعلت الأخلاط في جوفه، فمات وفرج الله تعالى عن أهل تلك الجزيرة، فشكروا الإسكندر عند ذلك وألطفوه وكان فيما حملوه إليه من الألطاف دابة في خلق الأرنب يبرق شعره في صفرة كالذهب في رأسه قرن واحد أسود إذا رأته الأسود وسباع الوحش والطير وكل دابة هربت عنه.

جزيرة قلهان (٨) :

بقرب البحر المظلم أيضا، فيها خلق كخلق الإنسان إلا أن رؤوسهم مثل رؤوس الدواب يغوصون في البحر ويخرجون ما قدروا عليه من دوابه فيأكلونها.

جزيرة الأخوين (٩) :

بالموضع المذكور، كانا ساحرين، أحدهما شرهام والآخر شرام، كانا بهذه الجزيرة يقطعان على المراكب التي تمر عليهما ويأخذان أهلها وأموالهم، فمسخهما الله تعالى لظلمهما حجرين على ضفة البحر نائمين، ثم عمرت هذه الجزيرة بالناس وهي تقابل مرسى آسفي، ويقال إن الصفاء إذا عم البحر ظهر دخانها من البر.

جزيرة لاقة (١٠) :

في البحر المحيط الغربي، يقال إن فيها شجر العود كثيرا ولكنه لا رائحة له، فإذا خرج عنها وحمل في البحر طابت روائحه، وهو في ذاته أسود رزين، وكان التجار يقصدونها ويستخرجون العود منها، فيباع في أرض المغرب الأقصى من ملوكه

---

(١) ص ع: الصواري.

(٢) ص ع: موضع ... إليه ... معاطبها.

(٣) الإدريسي (م) : ١٧.

(٤) نزهة المشتاق: ٧٣، وابن الوردي: ٦٥.

(٥) نزهة المشتاق: ٧٣، والبكري (مخ) : ٣٧ جزيرة التنين، وابن الوردي: ٦٠.

(٦) نزهة المشتاق: من قبل عهد.

(٧) نزهة المشتاق: وكلسا.

(٨) نزهة المشتاق: ٧٣، وابن الوردي: ٦١.

(٩) نزهة المشتاق: ٧٣، وابن الوردي: ٦١.

(١٠) نزهة المشتاق: ٧٤، وابن الوردي: ٦١.." (١)

"النجاغة (١) :

من مدن الحبشة صغيرة على ضفة النهر، أهلها فلاحون يزرعون الذرة والشعير ومنه يعيشون ومتاجرها قليلة، والسمك عندهم كثير ممكن والألبان غزيرة، وبينها وبين مركطة ستة أيام انحدارا في النهر، وفي الصعود أزيد من عشرة أيام على قدر الإمكان وليس بعد هاتين المدينتين في جهة الجنوب شيء من العمارات ولا شيء يعول عليه.

نجران:

من بلاد اليمن، سميت بنجران بن زيد بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان.

وممن كان (٢) في الفترة أصحاب الأخدود، وكانوا بنجران، وبلغ ذا نواس أن قوما بنجران على دين المسيح، وكان هو يهوديا، فنهض إليهم بنفسه، وحفر لهم أخاديد وأضرمها نارا ثم دعاهم إلى اليهودية فمن أبى قذفه في الأخاديد، فأتي بامرأة معها طفل ابن سبعة أشهر فأبت أن ترجع عن دينها، فأدنيت من النار فجزعت، فأنطق الله تعالى الطفل فقال: امضي على دينك فلا نار بعدها فألقيت في النار، فسلط الله تعالى عليهم الحبشة وغلبوهم على أرض اليمن إلى أن كان من أمر ابن ذي يزن واستجارته بكسرى أنوشروان ما كان.

وبنجران (٣) كان عبد الله بن الثامر من أهل دين عيسى عليه السلام، وكان بها بقايا من أهل دينه على الإنجيل أهل فضل واستقامة، وعبد الله بن الثامر رأس لهم، وكان أصل ذلك الدين بنجران، مع أن العرب كانوا أصحاب أوثان، أن رجلا من بقايا ذلك الدين يقال له فيميون وقع بين أظهرهم فحملهم عليه فدانوا به، وكان صالحا مجتهدا زاهدا في الدنيا مجاب الدعوة، وكان سائحا ينزل القرى ولا يعرف في قرية إلا خرج منها إلى قرية لا يعرف بها، وكان لا يأكل إلا من كسب يده وكان بناء يعمل الطين، وكان يعظم الأحد فلا يعمل فيه شيئا، فيخرج إلى فلاة من الأرض يصلي بها حتى يمسي، وكان في قرية من قرى الشام، ففطن لشأنه رجل من أهلها يقال له صالح، فأحبه حبا شديدا وكان يتبعه حيث ذهب فلا يفطن له فيميون حتى خرج في يوم أحد إلى فلاة من الأرض كما كان يصنع، فاتبعه صالح وهو لا يدري بمكانه، وقام فيميون يصلي فأقبل نحوه التنين، الحية ذات الرؤوس السبعة، فلما رآها فيميون دعا عليها فماتت، فرآها صالح ولم يدر ما أصابها، فخافها عليه، فعيل صبره فصرخ: يا فيميون، التنين قد أقبل نحوك، فلم يلتفت إليه وأقبل على صلاته حتى فرغ منها وأمسى وانصرف، وعرف أنه قد عرف، وعرف صالح أنه قد رأى مكانه فقال له: يا فيميون، اعلم أني ما أحببت شيئا قط حبك، وقد أردت

---

(١) الروض المعطار في خبر الأقطار الحميري، ابن عبد المنعم ص/١٦٦

صحبتك والكينونة معك حيث كنت، قال: إما شئت، أمري كما ترى، فإن علمت أنك تقوى عليه فنعم، فلزمه صالح. وكان إذا جاءه أحد به الضر دعا له فشفي، وإذا دعي إلى أحد به ضر لم يأته، وكان لرجل من أهل القرية ابن ضرير، فسأل عن شأن فيميون، فقيل له إنه لا يأتي أحدا دعاه ولكنه رجل يعمل للناس البنيان بالأجرة، فعمد الرجل إلى ابنه ذلك فوضعه في حجرته وألقى عليه ثوبا، ثم جاءه فقال: يا فيميون إني أردت أن أعمل في بيتي عملا فانطلق معي إليه حتى تنظر إليه، فأشارطك عليه (٤) ، فانطلق معه حتى دخل حجرته ثم قال: ما تريد أن تعمل في بيتك هذا. قال كذا وكذا، ثم أزال الرجل الثوب عن الصبي وقال: يا فيميون عبد من عباد الله أصابه ما ترى فادع الله له، فدعا له فيميون فقام الصبي ليس به بأس وعرف فيميون أنه قد عرف فخرج من القرية واتبعه صالح، فبينما هو يمشي في بعض الشام إذ مر بشجرة عظيمة، فناداه منها رجل فقال: أفيميون؟ قال: نعم قال: ما زلت أنتظرك وأقول: متى هو جاء، حتى سمعت صوتك فعرفت أنك هو، لا تبرح حتى تقوم علي فإني ميت الآن، قال: فمات وقام عليه حتى واراه ثم انصرف، وتبعه صالح حتى وطئا بعض أرض العرب، فعدوا عليهما فاختطفتهما سيارة من بعض العرب فخرجوا بهما حتى باعوهما بنجران، وأهل نجران يومئذ على دين العرب يعبدون نخلة طويلة بين أظهرهم لها عيد في كل سنة، فإذا كان ذلك العيد علقوا عليها كل ثوب حسن وجدوه وحلي النساء، ثم خرجوا إليها وعكفوا عليها يوما، فابتاع فيميون رجل من أشرافهم، وابتاع صالحا آخر، فكان فيميون إذا قام الليل في بيت له أسكنه إياه سيده يصلي استسرج له البيت نورا حتى يصبح من غير مصباح، فرأى ذلك سيده فأعجبه ما يرى منه، فسأله عن دينه فأخبره به، وقال له فيميون: إنما أنتم في باطل، إن هذة النخلة لا تضر ولا تنفع ولو

(١) ع: النجاعة، وكذلك هي في أصول نزهة المشتاق، الإدريسي (د) : ٢٤ :OG) ٤٣ (.

(٢) البكري (مخ) : ٢١.

(٣) السيرة ١: ٣١ وما بعدها؛ والطبري ١: ٩٢٠.

(٤) ص ع: فأشار عليه.." [1]

"ولما تعاقدا قال شعيب عليه السلام لابنته، وأمرها أن تعطي موسى عصا فأعطته. وأقام يرعى الأغنام إلى أن تم الأجل، وسلم شعيب عليه السلام ابنته صفورة إلى موسى عليه السلام فقال لها موسى يوما: اطلبي من أبيك أن يجعل لنا بعض الغنم، فطلبت من أبيها، فقال شعيب عليه السلام لها: لكما كل ما ولدت هذا العام كل أبلق وبلقاء.

فأوحى الله إلى موسى عليه السلام في المنام أن اضرب بعصاك الماء الذي في مستسقى الأغنام، ففعل موسى ثم سقى الأغنام فوضعت كلها ما بين أبلق وبلقاء، فوفى لهم شعيب عليه السلام بشرطه، وأقام موسى عليه السلام بعد ذلك الأجل عشر حجج أخر ثم استأذن شعيب عليه السلام بالمسير إلى مصر، فأذن له. فخرج موسى من مدين بأهله قاصدا إلى مصر، فلما انتهى إلى قريب من جبل الطور أتى امرأته الطلق، وذلك قوله تعالى: (... آنس من جانب الطور نارا قال لأهله امكثوا إني آنست نارا لعلي آتيكم منها بخبر ...) وذكر في كتاب "المدارك" في التفسير: روي أن شعيب عليه السلام كان

(١) الروض المعطار في خبر الأقطار الحميري، ابن عبد المنعم ص/٥٧٣

عنده عصي الأنبياء عليهم السلام فقال لموسى عليه السلام بالليل: ادخل ذلك البيت، فخذ عصا من تلك العصي. فدخل موسى وأخذ عصا هبط بها آدم من الجنة، ولم تزل الأنبياء يتوارثونها حتى وقعت إلى شعيب عليه السلام فمسها شعيب، وكان مكفوف البصر، فرماها بالبيت [وضن بها] وقال لموسى: خذ غيرها، فدخل موسى فما وقع في يده غيرها سبع مرات فعلم شعيب أن له شأنا، فقال له: خذها.

ولما أصبح الصباح قال له شعيب: إذا بلغت مفرق الطرق، فلا تأخذ على يمينك فإن الكلأ وإن كان بها كثيرا، إلا أن فيها تنينا أخشى عليك وعلى الغنم منه. فسار موسى بالغنم، فأخذت الغنم ذات اليمين ولم يقدر موسى على كفها، فمشى على إثرها، فإذا عشب ومرعى لم ير مثله، فنام موسى عليه السلام والأغنام ترعى. فأقبل التنين فحاربته العصا حتى قتلته، وعادت إلى جنب موسى دامية، فانتبه موسى عليه السلام وأبصرها دامية، والتنين مقتولا فارتاح لذلك، ولما رجع لمس شعيب عليه السلام الأغنام فوجدها ملأى البطون، غزيرة اللبن، فأخبره موسى عليه السلام بخبر العصا والتنين، ففرح شعيب عليه السلام وحمد الله تعالى وعلم أن لموسى والعصا شأنا، وقال له: إني وهبت لك من نتاج غنمي هذا العام كل أدرع ودرعاء، فأوحى الله إلى موسى في المنام، أن اضرب بعصاك مستقى الغنم، ففعل، ثم سقى الأغنام، فوضعت كلهن أدرعا ودرعاء، فوفى له بشرطه. وذلك قوله تعالى: (فلما قضى موسى الأجل ...) قال صلى الله عليه وسلم "قضى أوفاهما، وتزوج صغراهما".

قيل: ولما عاد موسى عليه السلام من الطور وجد امرأته صفورة قد ولدت ابنا، فحملها إلى مصر وأقام بمصر يدعو فرعون إلى الإيمان وماتت صفورة في حياة موسى عليه السلام.

[٦]

آسية عليها السلام

بنت مزاحم بن فاحث بن لاوي بن يعقوب عليه السلام بن إسحاق عليه السلام بن إبراهيم الخليل عليه السلام وهي ابنة عم موسى عليه السلام وزوجة فرعون واسمه الوليد بن مصعب، وكان أبوه يرعى البقر، وبلغ من العمر مائة وسبعين سنة ولم يرزق ولدا، فرأى بقرة يوما ولدت عجلة فتأوه وتألم، فنادته البقرة: يا مصعب لا تحزن فسيولد لك ولد مشؤوم يكون من أهل جهنم.

ورجع مصعب فواقع زوجته، فحملت بفرعون، ومات مصعب قبل وضعه وولدته أمه وربته، وتنقلت به الأحوال حتى ملك مصر، وطغى وتجبر، وادعى الربوبية، فبلغه حسن آسية وجمالها: فأرسل إلى أبيها مزاحم أخي عمران يخطبها، وحمل إليه أموالا وتزوجها.

وقيل: إن الله عصمها منه فكان إذا واقعها تتشبه بها جنية فيواقع الجنية. وقيل: إن السحرة الذين آمنوا بموسى عليه السلام كانوا مائتي ألف وأربعين ألف ومائتين واثنين وخمسين رجلا وهم من رؤساء السحرة وكان غرق فرعون سنة ثلاثة آلاف وثمانمائة وثمانية وعشرين من هبوط آدم عليه السلام ووفاة آسية قبل غرق فرعون بأعوام قليلة، نحو عامين أو أكثر، والله سبحانه أعلم.

وذكر في كتاب "حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة": وقد قيل بنبوة نسوة دخلن مصر: مريم بنت عمران، وسارة امرأة الخليل، وأم موسى عليه السلام وآسية امرأة فرعون. وممن آمن مع آسية ماشطة بنت فرعون.." (١)

"وفي يوم الثلاثاء ثاني عشريه: خلع على الأمير سيف الدين طغاي الحسامي الكبير وسفر على خيل البريد لنيابة صفد عوضا عن بكتمر الحاجب. وسبب ذلك كثرة دالته على السلطان وتحكمه في الأمراء والمماليك وقوة حرمته وتعرضه على السلطان فيما يفعله من ملاذه. وخرج معه مغلطاي الجمالي فوصل صفد في تاسع عشر ربيع أول وقدم الأمير بكتمر الحاجب إلى القاهرة. وفيه قدم البريد بأنه في يوم الأربعاء ثاني صفر هبت ريح شديدة بأرض طرابلس ومرت على أبيات مقدم التركمان بالجون فكسرتها وصارت عمودا أغبر هيئة تنين متصل بالسحاب ومر ذلك العمود على أبيات علاء الدين طوالي بن اليكي مقدم التركمان وتلوى يمينا وشمالا فلم يترك هناك شيئا حتى أهلكه وطوالي يصيح: يا رب قد أخذت الرزق وتركت العيال بغير رزق فإيش أطعمهم فعاد ذلك التنين إليه بعد ما كان خرج عنه وأهلكه وامرأته وأولاده وثلاثة عشر نفسا. وحملت الريح جملين حتى ارتفعا في السماء قدر عشرة أرماح وأتلفت القدور الحديد. ومرت على عربان هناك فاحتملت لهم أربعة جمال حتى غابت عنهم في اليوم ثم نزلت مقطعة. وعقب هذا الريح مطر وبرد زنة البردة الواحدة منه ثلاث أواق دمشقية. وفيه أجلس السلطان جماعة من مقدمي الحلقة الشيوخ في أوقات المشورة مع الأمراء وسمع كلامهم. وفيه سأل النصارى في رم جدران كنيسة بربارة بحارة الروم فأذن لهم السلطان في رمها. فاجتمع لعمارتها جماعة كثيرة من النصارى وأحضر الأقباط لهم الآلات وأقاموا على عملها عدة من المسلمين شادين ومستحثين فجاءت كأحسن المباني. فشق ذلك على جيران الكنيسة من المسلمين وشكوا أمرها إلى الأمير أرغون النائب والفخر ناظر الجيش وأن ذلك وقع بجاه كريم الدين الكبير وكريم الدين الصغير ورفعوا عدة قصص إلى السلطان بدار العدل. فساعد النائب والفخر عند قراءة القصص في الإنكار على بناء الكنيسة إلى أن رسم لمتولي القاهرة على علم الدين سنجر الخازن بخراب ما جدد فيها من البناء فنزل إليها علم الدين واجتمع إليه من الناس عدد لا يحصيه إلا الله وهدم ما جدد فيها ومضى لسبيله. فقامت طائفة من المسلمين وبنوا الجانب الذي هدم محرابا وأذنوا فيه أوقات الصلوات وصلوا وقرأوا هناك القرآن ولزموا الإقامة فيه. فحنق النصارى من ذلك وشكوا أمرهم إلى كريم الدين فرفع كريم الدين ذلك للسلطان وأغراه ممن فعل ذلك وأنه يريد نهب النصارى وأخذ أموالهم وشنع القول. فرسم السلطان للخازن بهدم." (٢)

"قال عباس الدوري: كتبت عنه خمسة وثلاثين ألف حديث.

سنة أربع وعشرين ومئتين

فيها ظهر مازيار بطبرستان وخلع المعتصم فسار لحربه عبد الله بن طاهر. وجرت له حروب وفصول. ثم اختلف عليه جنده، إلى أن قتل في سنة خمس الآتية.

وفيها توفي الأمير إبراهيم بن المهدي محمد بن المنصور العباسي الأسود، ولفخامته يقال له التنين، ويقال له ابن شكلة،

---

(١) الروضة الفيحاء في أعلام النساء ياسين الخطيب ص/٦

(٢) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ٤/٣

وهي أمه. وكان فصيحا أديبا شاعرا، رأسا في معرفة الغناء وأنواعه. ولي إمرة دمشق لأخيه الرشيد، وبويع بالخلافة ببغداد، ولقب بالمبارك. عندما جعل المأمون ولي عهده علي بن موسى الرضا. فحاربه الحسن. بسن سهل فانكسر. ثم حاربه حميد الطوسي، فانكسر جيش إبراهيم، وانهزم فاختفى، وذلك في سنة ثلاث. وبقي في الاختفاء سبع سنين، ثم ظفروا به وهو في إزار فعفا عنه المأمون.

وفيها إبراهيم بن أبي سويد البصري الزارع، أحد أصحاب الحديث. روى عن حماد بن سلمة وأقرانه.

قال أبو حاتم: صدوق.

وفيها أيوب بن سليمان بن بلال له نسخة صحيحة يرويها عن عبد الحميد بن أبي أويس عن أبيه سليمان بن بلال ما عنده سواها.." (١)

"الانصاري الامير فخر الدين كان من اكابر الأمراء الصلاحية كريما نبيل القدر عالي الهمة بنى بالقاهرة القيسارية الكبرى المنسوبة اليه. قال القاضي شمس الدين احمد بن خلكان: رأيت جماعة من التجار الذين طافوا البلاد يقولون لم نر في شيء من البلاد مثلها في حسنها وعظمها واحكام بنائها، وبنى باعلاها مسجدا كبيرا وربعا معلقا وتوفي سنة ثمان وستمائة بدمشق ودفن بجبل الصالحية وتربته مشهورة هناك وكان العادل [ص ٥٩] اعطاه بانياس وتبنين والشقيف فاقام بها مدة ولما مات اقر العادل ابنه على ما كان عليه وكان اكبر من بقي من أمراء الصلاحية وقيل له بار جاريس (١) يعني انه اشتري لأستاذه باربعمائة دينار انتهى.

وقال: خطلبا الأمير صارم الدين التنيسي (٢) كان غازيا مجاهدا دينا كثير الرباط والصدقات توفي سنة خمس وثلاثين وستمائة بدمشق ودفن بتربة جهاركس بالجبل وهو الذي انشأها ووقف عليها من ماله انتهى.

وقال الأسدي في تاريخه في سنة ثمان وستمائة: الأمير جهاركس الصلاحي ويقال شركس الأمير الكبير فخر الدين ابو منصور الصلاحي اعطاه العادل نيابة بانياس والشقيف وتبنين وهونين، وكان اكبر من بقي من امراء صلاح الدين وابنه الملك العزيز، وكان كريما نبيلا قدوة علي الهمة شهد مع أستاذه الغزوات كلها وكان منحرفا عن الأفضل. قال ابن خلكان: وهو الذي بنى القيسارية الكبرى

---

(١) كذا: في الاصل، وفي المرآة «ابارجاركس، ويقال جهاركس».

(٢) كذا في الاصل وسيأتي عن المرآة انها **التنيني**، وهي كذلك في المرآة.." (٢)

"بالقاهرة المنسوبة اليه وبنى في أعلاها مسجدا معلقا وربعا، وقد ذكر جماعة من التجار انهم لم يروا لها نظيرا في البلدان في حسنها وعظمها واحكام بنائها توفي في رجب ودفن في تربته بسفح قاسيون تجاه تربة خاتون ولما توفي ترك ولدا صغيرا فاقره العادل على ما كان عليه ابوه، وجعل له مدبرا فلم تطل حياته بعد ابيه، وقيل مات سنة سبع.

---

(١) العبر في خبر من غبر الذهبي، شمس الدين ١/٣٠٦

(٢) القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية @ ط مجمع اللغة ابن طولون ص/٢١٠

وجهاركس بكسر الجيم قال ابن خلكان ومعناه بالعربي أربعة أنفس وهو لفظ أعجمي معربه استار والاستار أربع اواني (١) وقال في المرآة (٢) جهاركس معناه انه اشتري باربعمائة دينار انتهى كلام الاسدي.

وقال في المرآة: وقام بأمره الأمير صارم الدين خطلبا **التنيني** واشترى الكفر بوادي بردى وأوقفها على تربة فخر الدين وقبره له قبة عظيمة على الجادة انتهى.

(قلت) ومن وقفها الحصة من قرية بيت سوى ومبلغها الثلث والنصف، وحصة مبلغها اثنا عشر سهما، والثلث من المزرعة.

[محمد السبكي]

وقد توهم بعضهم أنها مشتركة بين الحنفية والشافعية بواسطة أنه ذكر الدرس بها القاضي تقي الدين ابو الفتح محمد بن عبد اللطيف السبكي الشافعي، ولد بالمحلة سابع عشر ربيع الآخر سنة أربع وقيل سنة خمس وسبعمائة، وطلب الحديث في صغره، وسمع خلقا وتفقه على جده الشيخ صدر الدين يحيي بن علي بن تمام بن يوسف بن موسى بن تمام بن تميم بن حامد، وعلى الشيخ تقي الدين السبكي، وعلى الشيخ

---

(١) كذا في الاصل وفي تاريخ ابن خلكان وتنبيه الطالب: اواقي.

(٢) هنا على الهامش كتابة لها علاقة بما جاء في المرآة الصق عليها ورقة فلم يظهر منها شيء غير أحرف يسيرة.." [1]

"طولون ص ٤ وأن اسمه ابراهيم، ووردت ترجمته في النجوم الزاهرة ١٠/ ٣٢٦ ثبت فيها أن اسمه إبراهيم.

ولكن مؤلف الجواهر المضية في تراجم الحنفية أثبت اسمه (أحمد) ١/ ٨١، ٢/ ٣٢٦ والظاهر أن ما ورد في الجواهر المضية وهم من المؤلف أو من النساخ.

(١٢)

ورد في (ص ٢٠٣) وصف المدرسة الشبلية ما يلي: وآخر غربي مطل على الطريق الآخذ الى الجسر. ولكن حال المدرسة المذكورة يدل على أن الصواب: وآخر شرقي مطل على الطريق الآخذ الى الجسر.

(١٣)

جاء في (ص ٢٠٨) أن شرف الدين أبو عبد الله بن محمد بن إبراهيم الواني توفي سنة تسع وأربعين وستمائة تابع المؤلف بذلك النعيمي في تنبيه الطالب والصواب: (تسع وأربعين وسبعمائة) كما في لحظ الألحاظ ذيل طبقات الحفاظ لابن فهد ص ١٢٧ وانظر ص ٥٦ من ذيل تذكرة الحفاظ لأبي المحاسن الحسيني طبع دمشق.

(١٤)

جاء في (ص ٢١٠ سطر ١١) صارم الدين التنيسي (ص ٢١١ سطر ٩) خطلبا **التنيني** والصواب التبنيني نسبة الى تبنين التي تولاها كما في (ص ٢٠٩ سطر ١٩) وانظر أيضا ذيل الروضتين ص ٧٩." [2]

---

(١) القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية @ ط مجمع اللغة ابن طولون ص/٢١١

(٢) القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية @ ط مجمع اللغة ابن طولون ص/٦٣٢

"تضربوا، كيف بكم لو قلت لكم تصدقوا عني بأموالكم لعل الله أن يخلصني، أو قربوا قربانا لعل الله أن يتقبل ويرضى عني؟ وإنكم قد أعجبتكم أنفسكم فظننتم أنكم عوفيتم بإحسانكم فبغيتم وتعززتم، لو صدقتم ونظرتم بينكم وبين ربكم لوجدتم لكم عيوبا سترها الله بالعافية، وقد كنت فيما خلا والرجال يوقرونني وأنا مسموع كلامي، معروف من حقي، منتصف من خصمي، فأصبحت اليوم وليس لي رأي ولا كلام معكم، فأنتم أشد علي من مصيبتي.

ثم أعرض عنهم، وأقبل على ربه مستغيثا به متضرعا إليه، فقال: رب، لأي شيء خلقتني! ليتني إن كرهتني لم تخلقني، يا ليتني كنت حيضة ملقاة، ويا ليتني عرفت الذنب الذي أذنبت فصرفت وجهك الكريم عني! لو كنت أمتني فالموت أجمل بي! ألم أكن للغريب دارا، وللمسكين قرارا، ولليتيم وليا، وللأرملة قيما؟ إلهي أنا عبد ذليل إن أحسنت فالمن لك، وإن أسأت فبيدك عقوبتي! جعلتني للبلاء غرضا فقد وقع علي البلاء لو سلطته على جبل لضعف عن حمله فكيف يحمله ضعفي! ذهب المال فصرت أسأل بكفي فيطعمني من كنت أعوله اللقمة الواحدة فيمنها علي ويعيرني! هلك أولادي، ولو بقي أحدهم أعانني. فقد ملتني أهلي وعقني أرحامي فتنكرت معارفي، ورغب عني صديقي، وجحدت حقوقي، ونسيت صنائعي. أصرخ فلا يصرخونني، وأعتذر فلا يعذرونني. دعوت غلامي فلم يجبني، وتضرعت إلى أمتي فلم ترحمني، وإن قضاءك هو الذي آذاني وأقمأني، وإن سلطانك هو الذي أسقمني. فلو أن ربي نزع الهيبة التي في صدري وأطلق لساني حتى أتكلم ملء فمي، ثم كان ينبغي للعبد أن يحاج مولاه عن نفسه – لرجوت أن تعافيني عند ذلك، ولكنه ألقاني وعلا عني فهو يراني ولا أراه، ويسمعني ولا أسمعه، لا نظر إلي فرحمني، ولا دنا مني فأتكلم ببراءتي وأخاصم عن نفسي.

فلما قال أيوب ذلك أظلتهم غمامة ونودي منها: يا أيوب إن الله يقول قد دنوت منك ولم أزل منك قريبا، فقم فأدل بحجتك، وتكلم ببراءتك، وقم مقام جبار، فإنه لا ينبغي أن يخاصمني إلا جبار. تجعل الزيار في فم الأسد، واللجام في فم التنين،." (١)

"ثم أخذ سواكه فجعله في فيه، ثم خرج، فقالوا له: ذو نواس أرطب أم يباس؟ فقال: سل نخماس، است رطبان ذو نواس لا باس.

فذهبوا ينظرون حين قال لهم ما قال، فإذا رأس لخيعة مقطوع، فخرجت حمير والحرس في أثر ذي نواس حتى أدركوه فملكوه حيث أراحهم من لخيعة، واجتمعوا عليه، وكان يهوديا، وبنجران بقايا من أهل دين عيسى ابن مريم على استقامة، لهم رئيس يقال له عبد الله بن الثامر، وكان أصل النصرانية بنجران.

قال وهب بن منبه: إن رجلا من بقايا أهل دين عيسى يقال له فيميون، وكان رجلا صالحا مجتهدا زاهدا في الدنيا مجاب الدعوة، وكان سائحا لا يعرف بقرية إلا خرج منها إلى غيرها، وكان لا يأكل إلا من كسب يده، وكان يعمل الطين، ويعظم الأحد لا يعمل فيه شيئا، ويخرج إلى الصحراء يصلي جميع نهاره، فنزل قرية من قرى الشام يعمل عمله ذلك مستخفيا، ففطن به رجل اسمه صالح فأحبه حبا شديدا، وكان يتبعه حيث ذهب لا يفطن به فيميون، حتى خرج مرة يوم الأحد إلى الصحراء واتبعه صالح، وفيميون لا يعلم. فجلس صالح منه منظر العين مستخفيا، وقام فيميون يصلي، فبينما هو يصلي إذ

---

(١) الكامل في التاريخ ابن الأثير، أبو الحسن ١/ ١٢٠

أقبل نحوه تنين، فلما رآه فيميون دعا عليه فمات، ورآه صالح ولم يدر ما أصابه، فخاف على فيميون فصاح يا فيميون، التنين قد أقبل نحوك! فلم يلتفت إليه وأقبل على صلاته حتى أمسى، وعرف أن صالحا عرفه، فكلمه صالح وقال له: يعلم الله أنني ما أحببت شيئا حبك قط، وقد أردت صحبتك حيثما كنت. قال: افعل. فلزمه صالح.

وكان إذا ما جاءه العبد به ضر شفي إذا دعا له، وإذا دعي إلى أحد به ضر لم يأته. وكان لرجل من أهل القرية ابن ضرير، فجعل ابنه في حجرة ألقى عليه ثوبا ثم قال لفيميون: قد أردت أن تعمل في بيتي عملا، فانطلق إليه لأشارطك عليه، فانطلق معه، فلما." (١)

"أذرولية، وأكثر التحريق والتخريب في بلاد الروم، ولم يفتح حصنا، ولا لقي جمعا، وسمته الروم التنين، وقالوا: إنما أتى الحمة ليغتسل من مائها للوضح الذي به، ورجع الناس سالمين.

وفيها غزا يزيد بن أسيد السلمي من ناحية قاليقلا، فغنم، وافتتح ثلاثة حصون، وسبى.

وفيها عزل علي بن سليمان عن اليمن، واستعمل مكانه عبد الله بن (سليمان، وعزل سلمة بن رجاء عن مصر، ووليها عيسى بن لقمان في المحرم، وعزل) عنها في جمادى الآخرة، ووليها واضح مولى المهدي، ثم عزل في ذي القعدة، ووليها يحيى الحرشي.

وفيها خرجت المحمرة بجرجان، عليهم رجل اسمه عبد القهار، فغلب عليها، وقتل بشرا كثيرا، فغزاه عمر بن العلاء من طبرستان، فقتله عمر وأصحابه.

وكان العمال من تقدم ذكرهم، فكانت الجزيرة مع عبد الصمد بن علي، وطبرستان والرويان مع سعيد بن دعلج، وجرجان مع مهلهل بن صفوان.

وفيها أرسل عبد الرحمن، صاحب الأندلس، شهيد بن عيسى إلى دحية." (٢)

"ذكر مسير ابن مقلة إلى الموصل، وما كان بينه وبين ناصر الدولة

لما قتل ناصر الدولة عمه أبا العلاء واتصل خبره بالراضي، عظم ذلك عليه وأنكره، وأمر ابن مقلة بالمسير إلى الموصل، فسار إليها في العساكر في شعبان، فلما قاربها، رحل عنها ناصر الدولة بن حمدان، ودخل الزوزان، وتبعه الوزير إلى جبل التنين، ثم عاد عنه وأقام بالموصل يجبي مالها.

ولما طال مقامه بالموصل، احتال بعض أصحاب ابن حمدان على ولد الوزير، وكان ينوب عنه في الوزارة ببغداذ، فبذل له عشرة آلاف دينار ليكتب إلى أبيه يستدعيه، فكتب إليه يقول: إن الأمور بالحضرة قد اختلت، وإن تأخر لم يأمن حدوث ما يبطل به أمرهم، فانزعج الوزير لذلك، واستعمل على الموصل علي بن خلف بن طياب وماكرد الديلمي، وهو من الساجية، وانحدر إلى بغداذ منتصف شوال.

فلما فارق الموصل، عاد إليها ناصر الدولة بن حمدان، فاقتتل هو وماكرد الديلمي، فانهزم ابن حمدان، ثم عاد وجمع عسكرا

---

(١) الكامل في التاريخ ابن الأثير، أبو الحسن ٣٨٩/١

(٢) الكامل في التاريخ ابن الأثير، أبو الحسن ٢٣٠/٥

آخر، فالتقوا على نصيبين في ذي الحجة، فانهزم ماكرد إلى الرقة، وانحدر منها إلى بغداذ، وانحدر أيضا ابن طياب، واستولى ابن حمدان على الموصل والبلاد، وكتب إلى الخليفة يسأله الصفح، وأن يضمن البلاد، فأجيب إلى ذلك واستقرت البلاد عليه.." (١)

"قتال لشكري، ويأتي هو من ورائه، ففعل وسار نحوهم، وظهروا يوم الموعد في عدد كثير، وقاتلوا لشكري، وأتاه ديسم من خلف ظهره، فانهزم أقبح هزيمة، وقتل من أصحابه خلق كثير، وانحاز إلى موقان، فأكرمه أصبهبذها ويعرف بابن دولة، (وأحسن ضيافته.

وجمع لشكري وسار نحو ديسم، وساعده ابن دولة) ، فهرب ديسم (وعبر نهر أرس، وعبر بعض أصحاب لشكري إليه، فانهزم ديسم) ، وقصد وشمكير، وهو بالري، وخوفه من لشكري، وبذل له مالا كل سنة ليسير معه عسكرا، فأجابه إلى ذلك وسير معه عسكرا، وكاتب عسكر لشكري وشمكير يعلمونه بما هم عليه من طاعته، وأنهم متى رأوا عسكره صاروا معه على لشكري، فظفر لشكري بالكتب، فكتم ذلك عنهم، فلما قرب منه عسكر وشمكير، جمع أصحابه وأعلمهم ذلك وأنه لا يقوى بهم، وأنه يسير بهم نحو الزوزان، وينهب من على طريقه من الأرمن، ويسير نحو الموصل ويستولي عليها وعلى غيرها، فأجابوه إلى ذلك، فسار بهم إلى أرمينية وأهلها غافلون، فنهب وغنم وسبى، وانتهى إلى الزوزان ومعهم الغنائم، فنزل بولاية إنسان أرمني، وبذل له مالا ليكف عنه وعن بلاده، فأجابه إلى ذلك.

ثم إن الأرمني كمن كمينا في مضيق هناك، وأمر بعض الأرمن أن ينهب شيئا من أموال لشكري ويسلك ذلك المضيق، ففعلوا، وبلغ الخبر إلى لشكري، فركب في خمسة أنفس، فسار وراءهم، فخرج عليه الكمين فقتلوه ومن معه، ولحقه عسكره، فرأوه قتيلا ومن معه، فعادوا وولوا عليهم ابنه لشكرستان، واتفقوا على أن يسيروا على عقبة التنين، وهي تجاوز الجودي، ويحرزوا سوادهم، ويرجعوا إلى بلد طرم الأرمني فيدركوا آثارهم، فبلغ ذلك طرم، فرتب الرجال على تلك المضايق يرمونهم بالحجارة، ويمنعونهم العبور، فقتلوا منهم خلقا كثيرا، وسلم القليل منهم، وفيمن سلم لشكرستان، وسار فيمن معه إلى ناصر الدولة بن حمدان بالموصل، فأقام بعضهم عنده وانحدر بعضهم إلى بغداذ.." (٢)

"ذكر عدة حوادث

في هذه السنة، في رجب، انقض كوكب عظيم غلب نوره على نور الشمس، وشوهد في آخرها مثل التنين يضرب إلى السواد، وبقي ساعة وذهب.

وفيها كانت ظلمة عظيمة اشتدت حتى إن إنسانا كان لا يبصر جليسه، وأخذ بأنفاس الخلق، فلو تأخر انكشافها لهلك أكثرهم.

وفيها قبض على الوزير أبي سعد بن عبد الرحيم، وزير جلال الدولة، وهي الوزارة السادسة.

[الوفيات]

---

(١) الكامل في التاريخ ابن الأثير، أبو الحسن ٤٢/٧

(٢) الكامل في التاريخ ابن الأثير، أبو الحسن ٧٥/٧

وفيها في رمضان، توفي رافع بن الحسين بن مقن، وكان حازما، شجاعا، وخلف بتكريت ما يزيد على خمسمائة ألف دينار، فملكها ابن أخيه خميس بن ثعلب، وكان طريدا في أيام عمه. وحمل إلى جلال الدولة ثمانين ألف دينار فأصلح بها الجند، وكانت يده قد قطعت [لأن] بعض عبيد بني عمه كان يشرب معه، فجرى بينه وبين آخر خصومة، فجردا سيفيهما فقام رافع ليصلح بينهما، فضرب العبد يده فقطعها غلطا، ولرافع فيها شعر، ولم تمنعه من قتال [فقد] عمل له كفا أخرى يمسك بها العنان ويقاتل، وله شعر جيد، من ذلك قوله:

لها ريقة، أستغفر الله، إنها ... ألذ وأشهى في النفوس من الخمر

وصارم طرف لا يزايل جفنه

،

ولم أر سيفا قط في جفنه يفري ... فقلت لها، والعيس تحدج بالضحى

:

أعدي لفقدي ما استطعت من الصبر." (١)

"بشيخ الإسلام الوالد حين كان بالقاهرة سنة اثنتين وخمسين، وكان بدينا سمينا فقال الوالد يداعبه:

الفارضي الحنبلي الرضى ... في النحو والشعر عظيم المثيل

قيل ومع ذا فهو ذو خفة ... فقلت كلا بل رزين ثقيل

واستشهد الشيخ شمس الدين العلقمي بكلامه، في شرح الجامع الصغير، فمن ذلك قوله في معنى ما رواه الدينوري في المجالسة، والسلفي في بعض تخاريجه عن سفيان الثوري قال: أوحى الله تعالى إلى موسى عليه الصلاة والسلام لأن تدخل يدك إلى المنكبين في فم التنين خير من أن ترفعها إلى ذي نعمة قد عالج الفقر:

إدخالك اليد في التنين تدخلها ... لمرفق منك مستعد فيقضمها

خير من المرء يرجى في الغنى وله ... خصاصة سبقت قد كان يسنمها

ومن بدائع شعره:

إذا ما رأيت الله للكل فاعلا ... رأيت جميع الكائنات ملاحا

وإن لا ترى إلا مضاهي صنعه ... حجبت فصيرت المساء صباحا

ومن محاسنه أنه صلى شخص إلى جانبه ذات يوم، فخفف جدا فنهاه فقال: أنا حنفي فقال الفارضي:

معاشر الناس جمعا حسبما رسمت ... أهل الهدى والحجى من كل من نبها

ما حرم العلم النعمان في سند ... يوما طمأنينة أصلا ولا كرها

وكونها عنده ليست بواجبة ... لا يوجب الترك فيما قرر الفقها

فيا مصرا على تفويتها أبدا ... عد وانتبه رحم الله الذي انتبها

---

(١) الكامل في التاريخ ابن الأثير، أبو الحسن ٧٧٨/٧

واجتمع به شيخنا القاضي محب الدين الحموي الحنفي بالقاهرة، حين كان بها صحبة محمد أفندي ابن محمد الياس المعروف بجوي زاده، وذكره في رحلته أخبرنا أن الفارضي كتب إليه وهو قاض يفوه يوصيه بأناس من أهاليها يعرفون بأولاد السعد ما صورته مولانا حرسه الله وحماه، وألبسه قوة بفوه كما شرف به حمص وحماه، معروض الفقير أن أولاد السعد لهم خير مطول، وليس إلا على قصد مولانا فيه المعول، ملخصه أو مقتصره وقفيه ادعى شخص يبيعها، وأنه اجتمع بملك ريعها، والمسألة متعلقة بأيتام، ومولانا حسنة هذه الأيام، فمولانا لا يخليهم." (١)

"التنوري بفتح التاء المثناة من فوق وضم النون بعدهما الواو وفي آخرها الراء – هذه النسبة إلى التنور وعمله وبيعه والمشهور بهذه النسبة أبو معاذ أحمد بن إبراهيم الجرجاني المعروف بالتنوري روى عنه الإمام أبو بكر الإسماعيلي وكان غير ثقة

التنيسي بكسر التاء المثناة من فوقها وكسر النون المشددة والياء المثناة من تحت والسين المهملة – نسبة إلى مدينة بديار مصر وسميت بتنيس بن حام ابن نوح كان منها جماعة من العلماء منهم أبو زكريا يحيى بن ابي حسان التنيسي الشامي أصله من دمشق وسكن تنيس يروي عن الليث بن سعد وغيره روى عنه الشافعي وأهل مصر والشام وتوفي سنة ثمان ومائتين

التنيني بكسر التاء ثالث الحروف وتشديد النون المكسورة وبعدها الياء آخر الحروف وفي آخرها النون – هذا لقب أبي إسحاق إبراهيم بن المهدي ابن المنصور أمير المؤمنين أمه شكلة نسب إليها وكانت سوداء وكان شديد السواد عظيم الجسم يلقب **التنين** لذلك ولد سنة اثنتين وستين ومائة وتوفي سنة أربع وعشرين ومائتين وقيل ثلاث وعشرين بسر من رأى

– باب التاء والواو

–

التواسي بضم التاء ثالث الحروف وفي آخرها السين المهملة – والمشهور بهذه النسبة أبو الحسن علي بن الحسن الفقيه التواسي روى عن خلف بن عمرو العكبري وقيل الصواب النواسي بفتح النون وتشديد الواو وهم مشهورون بناحية نسوى ينسبون إلى جد لهم يقال له ابو نواس بفتح النون وهو من شيوخ أبي الحسن يوسف القاضي م

التوبني بضم التاء المثناة من فوق وفتح الباء الموحدة وفي آخرها النون –." (٢)

"٢٩٤ وقد اختلف الناس في **التنين**، فمنهم من رأى أنه ريح سوداء تكون في قعر البحر فتظهر إلى الجو فتلحق بالسحاب كالزوبعة إذا ثارت من الأرض واستدارت وأثارت معها الغبار وهشيم الأرض والنبات ثم ذهبت في الجو صعداء، فيتوهم الناس أنها حيات سوداء لسواد السحاب وذهاب الضوء وترادف الرياح. ومنهم من رأى أنها دواب تكون في قعر البحر فتعظم وترعى دواب البحر، فيبعث الله عليها ملائكة وسحبا فتخرجها منه، وهي على صورة الحية السوداء لها بريق ولمعان، لا يمر ذنبه بشيء إلا أتى عليه من بناء أو شجر أو جبال، وربما تنفس فأحرق الأشجار الكثيرة، فتلقيه السحب في بلاد ياجوج وماجوج. يروي عن ابن عباس. وقال قوم إنها حية البر تلقيها السيول في البحر فتعظم وتطول أعمارها

---

(١) الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة الغزي، نجم الدين ٧٦/٣

(٢) اللباب في تهذيب الأنساب ابن الأثير، أبو الحسن ٢٢٦/١

فيبقى عمر الواحدة خمسمائة عام.

والفرس تزعم أن له رؤوسا سبعة وتسميه الأجدهاق. وهذا من الأخبار التي رواها حشوية أصحاب الحديث أن قبة في وسط البحر الأخضر على أربعة أركان من الياقوت الأحمر والأخضر والأصفر والأزرق ينحدر من كل ركن من هذه الأركان نهر ينقسم إلى جهات أربع في ذلك البحر غير مخالط ولا ممايع «١» حتى ينتهي إلى سواحل البر، أحدها النيل والثاني سيحان والثالث جيحان والرابع الفرات.

٢٩٥ ومنها [أن] الملك الموكل بالبحر يضع عقبه [في] أقاصي بحر الصين فيفور البحر ويكون المد، ثم يشيل عقبه فيرجع الماء إلى مركزه. وإن كان كل ما ذكرنا عنه ممكنا فإنه من طريق الأفراد ولم يجيء مجيء التواتر الموجب للعلم والعمل، فإذا صحت هذه الآثار وجب التسليم والانقياد. وسيأتي ذكر بناء الباب إن شاء الله.." (١)

"الكلاب العظام بادية أنيابهم يخرج من أفواههم مثل لهب النار، ولما مر بهم ذو القرنين خرجوا إليه فحاربوه وحاربهم حتى تخلص منهم. وفيه جزيرة بيضاء واسعة كثيرة الأشجار والأنهار فيها قوم شقر وجوههم في صدورهم، للواحد منهم فرجان- فرج امرأة وفرج رجل- يتكلمون بمثل كلام الطير وطعامهم نبت يشبه الفطر والكمأة.

٣١٩ وفيها جزيرة **التنين** كان بها تنين قد نال أهلها بكل مكروه، فلما دخلها الإسكندر استغاثوا به وذكروا له أن **التنين** أتلف مواشيهم حتى جعلوا له ثورين كل يوم ضريبة ينصبونهما في موضعه، فيخرج فيبتلع الثورين، ثم يعود إلى مكانه. قال: أروني موضعه، فنصبوا له الثورين وأقبل كأنه السحابة السوداء وعيناه كالبرق اللامع والنار تلهب من فيه، فابتلع الثورين وعاد إلى موضعه. فأمر الإسكندر بثورين عظيمين فسلخا وحشي جلودهما زفتا وكبريتا وكلسا وزرنيخا، وجعل مع تلك الأخلاط كلاليب حديد كثيرة وجعلها في ذلك [المكان] . وخرج **التنين** على عادته فالتقمهما وانصرف، فانضربت تلك الأخلاط في جوفه، فلما أحس بثقلها ذهب ليلقيها، فتشبثت تلك الكلاليب في حلقه فخرج وفغرفاه يستروح. فأمر الإسكندر بقطع الحديد، فحميت وحملت على ألواح من حديد وقذفت في حلقه فمات. فكان ذلك فتحا عظيما لأهل تلك الجزيرة، فألطفوا الإسكندر وحملوا إليه من طرائف «١» ما عندهم. فكان من ذلك دابة في خلق الأرنب شعره أصفر يبرق كما يبرق الحديد أو الذهب، وفي رأسه قرن واحد يسمونه نفواج «٢» ، وهوام الأرض إذا رأته والأسد والوحش كلها والطير هربت «٣» منه.." (٢)

"٩٦٢ وملك بعده ابنه كلكلن «١» فعقد تاج الملك على رأسه بالأسكندرية بعد موت أبيه وأقام بها شهرا ورجع الى منف. وكان يحب الحكمة وإظهار العجائب وتقرب أهلها، ولم يزل يعمل الكيمياء طول ملكه، فخزن أموالا عظيمة واستغنى أهل ذلك الزمان عن معادن الذهب، (فلم يثيروها) «٢» ولم يكن الذهب قط أكثر منه في وقته. وكان يطرح المثقال الواحد على القناطير الكثيرة فيصبغها. وتحكي القبط عنه أنه اخترع أشياء تخرج عن العقل حتى كانوا يسمونه حكيم الملوك، وغلب على جميع الكهنة في علومهم حتى كان يخبرهم بما يغيب عنهم، فخافوه واحتاجوا الى علمه.

---

(١) المسالك والممالك للبكري أبو عبيد البكري ٢٠٦/١

(٢) المسالك والممالك للبكري أبو عبيد البكري ٢١٨/١

٩٦٣ وفي وقته كان نمرود إبراهيم عليه السلام. وكان جبارا مشوه الخلق يسكن سراة العراق، وكان قد أوتي قوة وبطشا فغلب على أكثر الأرض، فاستزار النمرود كلكلن فوجه اليه كلكلن أن يلقاه منفردا عن أهله وحشمه بموضع كذا، فسار النمرود الى الموضع «٣» الذي ذكره، فأقبل كلكلن تحمله أربعة أفراس ذوات أجنحة، وقد أحاط به (نور كالنار) «٤» وصور مهيبة قد خيل بها، وهو متوشح تنينا عظيما **والتنين** فاغرفاه، ومعه قضيب آس، فكلما رفع **التنين** رأسه ضربه بالقضيب. فلما رآه النمرود هاله أمره واعترف له بجليل حكمته وسأله أن يكون له ظهيرا.." (١)

"ابن زيد بن ملحة المدني، في إحدى أو اثنين وستين ومائة.

* وولد فيها محمد بن عبد الله بن عمار.

* وأبو عقيل، والد أبي جعفر عبد الغني بن أبي عقيل (١).

* وأبو إسحاق إبراهيم بن المهدي محمد بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي ابن عبد الله بن العباس (٢).

* وعلي بن المديني.

...

[سنة ثلاث وستين ومائة]

* وفي سنة ثلاث وستين ومائة حج بالناس علي بن المهدي (٣).

* وفيها قتل المقنع (٤).

---

(١) هذا وهم من المؤلف رحمه الله، فإن الذي ولد في هذه السنة هو ولده أبو جعفر بن أبي عقيل، واسمه عبد الغني بن رفاعة بن عبد الملك اللخمي المصري، وتوفي سنة خمس وستين ومائتين، وسيذكره المصنف أيضا فيمن ولد في السنة القادمة، وينظر: تهذيب الكمال ١٨/ ٢٢٩.

(٢) هو: المعروف بابن شكله، وأبوه هو الخليفة المهدي بن المنصور، وكان يلقب **التنين** لعظم جثته، كان شاعرا مطبوعا مكثرا، من أحسن الناس غناء وأعلمهم به، مات إبراهيم بن المهدي في خلافة المعتصم في شهر رمضان سنة أربع وعشرين ومائتين، ينظر: لسان الميزان ١/ ٩٨.

(٣) هو: أبو محمد الهاشمي، تولى أمور الحج وإمارة الموسم غير مرة، وتوفي ببغداد سنة ثمانين ومائة، وهو أسن من أخيه هارون الرشيد، ينظر: تاريخ بغداد ١٢/ ٥٤.

(٤) المقنع هو: عطاء، ادعى الربوبية، وقال بتناسخ الأرواح، واتبعه على جهالته وضلالته خلق من الطغام." (٢)

---

(١) المسالك والممالك للبكري أبو عبيد البكري ٢/٥٨٠

(٢) المستخرج من كتب الناس للتذكرة والمستطرف من أحوال الرجال للمعرفة ابن منده عبد الرحمن بن محمد ٣/٤١٧

"والدب الأكبر والدب الأصغر وفرساوس والتنين والزرافة وغيرها. وقد لوحظ أن أفراد كل مجموعة من هذه المجموعات متشابهة في تركيبها وأنها تتحرك دائما بترتيب ثابت، ولذلك فإن الفلكيين يطلقون عليها اسم الكوكبات "أو التشكيلات" المتحركة Moving Clusters. وهناك أيضا مجموعات نجمية تعرف باسم الجموع الكروية Globular Clusters وتضم كل منها عدة ملايين من النجوم التي تبدو متكدسة في الوسط ثم تتباعد نحو الخارج بحيث تبدو المجموعة كلها وكأنها سرب من النحل. ويوجد في الكون أكثر من مائة تجمع من هذا النوع، وكلها بعيدة جدا عن الأرض بحيث يصعب تمييزها بالعين المجردة. ويبلغ بعد أقربها إلينا ١٨٤٠٠ سنة ضوئية١.

ويطلق تعبير "البروج" على الكوكبات التي تمر بها الشمس أثناء مسارها الظاهري في السماء على مدار السنة. ويطلق على هذا المسار اسم دائرة البروج بسبب مروره بكل هذه الكوكبات. وتوصف "دائرة البروج" بتعبير آخر بأنها هي تقاطع مستوى فلك الأرض حول الشمس مع الكرة السماوية. ويطلق تعبير منطقة البروج على كل المنطقة الواقعة على طول هذه الدائرة. وتنقسم هذه المنطقة إلى ١٢ برجا يشغل كل برج منها ٣٠ درجة من درجات الطول، وهذه البروج وفصول ظهورها هي: الحمل والثور والجوزاء "التوءمان" وتظهر في الربيع، ثم السرطان والأسد "الليث" والسنبلة وتظهر في الصيف، ثم الميزان والعقرب والقوس وتظهر في الخريف ثم الجدي والدلو والحوت وتظهر في الشتاء "انظر شكل٢"٢.

---

١ محمد عبد السلام الكرداني، "النجوم في مسالكها" سنة ١٩٣٣ ص١١٣.

٢ ورد في أدب الفلك العربي بيتان مشهوران جمعت فيهما أسماء البروج الاثني عشرة كما يلي:

حمل الثور جوزة السرطان ورغى الليث سنبل الميزان ورى عقرب بقوس الجدي

نزخ الدلو بركة الحيتان." (١)

"والمقصود "بطواف القطب" هو عدم ثبات النقطة التي يشير إليها قطب محور الأرض في السماء، وتزحزح هذه النقطة بانتظام على محيط دائرة وهمية؛ ولكنها معروفة. ويرى الفلكيون أن سبب هذا الطواف هو انبعاج الأرض قليلا عند خط الاستواء، وتفرطحها عند القطبين؛ حيث أن جذب الشمس للجزء المنبعج يكون أكبر قليلا من جذبها للأجزاء الباقية، ويترتب على ذلك تغير بطيء جدا؛ ولكنه مستمر في اتجاه المحور؛ بحيث تتزحزح النقطة التي يشار إليها في السماء على مسار دائري، وقد تبين أن كل دورة كاملة على هذا المسار تستغرق ٢٥٫٨٠٠ سنة. ويجب ألا نخلط بين ظاهرة طواف القطب هذه وبين ظاهرة أخرى تعرف باسم ظاهرة "تمايل أو ترنح المحور" فظاهرة طواف القطب تنتج عن جاذبية الشمس، وهي عبارة عن حركة متئدة وبطيئة جدا، أما التمايل أو الترنح فهو حركة سريعة نسبيا، وسببها هو جاذبية القمر. وهي شبيهة بحركة تمايل أو ترنح النحلة التي يلعب بها الأطفال عندما يديرونها بسرعة.

الكوكبات النجمية التي ترى دائما في نفس مواقعها:

المقصود بهذه الكوكبات هي الكوكبات التي ليس لها شروق ولا غروب بالنسبة لنا؛ لأنها تظهر دائما في نفس مواقعها تقريبا

---

(١) المقدمات في الجغرافيا الطبيعية عبد العزيز طريح شرف ص/٤

في كل ليلة على مدار السنة ما دامت السماء صافية، وأهمها هو الدب الأصغر، بما في ذلك النجم القطبي والكوكبات القريبة منه مثل الدب الأكبر وذات الكرسي وفرساوي والزرافة **والتنين**، وهي تختلف عن كثير من الكوكبات الأخرى الأبعد منها مثل: الجبار والأكبر والشجاع والأسد والجاثي والثعبان والعقاب (الحية) والدجاجة (النسر) والجدي (البجعة) والفرس الأعظم؛ فهذه الكوكبات تشرق في الشرق وتعبر السماء حتى تغرب في الغرب ثم تختفي لتعود للظهور في الليلة التالية. وهناك كوكبات أخرى تظهر في الشتاء وتختفي في الصيف أو العكس، ويظهر ذلك بوضوح عندما تقارن خريطتي القبة السماوية لهذين الفصلين في نصف الكرة الشمالي مثلا:

المتغيرات القيفاوية Cepheid Variables:

على الرغم من أن معظم النجوم تتميز بقوة إشعاعية ثابتة؛ فقد لاحظ الفلكيون منذ وقت طويل أن بعضا." (١)

"القعدة أخرج ليقتل، فجعل يتبختر [في قيده] [١] وهو يقول:

نديمي غير منسوب ... إلى شيء من الحيف

سقاني مثل ما يشر ... ب فعل الضيف بالضيف

فلما دارت الكأس ... دعا بالنطع والسيف

كذا من يشرب الراح ... مع **التنين** في الصيف

وضرب ألف سوط، ثم قطعت يده، ثم رجله، وحز رأسه، وأحرقت جثته، وألقى رماده في دجلة.

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد [القزاز] [٢] ، قال: أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت [٣] ، قال: حدثنا عبيد الله بن أحمد بن عثمان الصيرفي، قال: قال لنا أبو عمر ابن حيويه: لما أخرج الحلاج ليقتل مضيت في جملة الناس ولم أزل أزاحم حتى رأيته، فقال لأصحابه: لا يهولنكم هذا فإني عائد إليكم بعد ثلاثين يوما.

[قال المؤلف] [٤] وهذا الإسناد صحيح لا يشك فيه، وهو يكشف حال هذا الرجل أنه كان ممخرقا/، يستخف عقول الناس إلى حالة الموت.

أخبرنا القزاز، قال: أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت، قال: أخبرنا القاضي أبو العلاء، قال: لما أخرج الحسين بن منصور ليقتل أنشد:

طلبت المستقر بكل أرض ... فلم أر لي بأرض مستقرا

أطعت مطامعي فاستعبدتني ... ولو أني قنعت لكنت حرا

٢١٨٠- حامد بن محمد بن شعيب بن زهير، أبو العباس البلخي المؤدب [٥] :

حدث عن سريج بن يونس، روى عنه أبو بكر الشافعي، قال الدارقطني: هو ثقة. توفي في محرم هذه السنة.

---

[١] ما بين المعقوفتين: ساقط من ت، وفي ك: «يتبختر في قيده» .

---

(١) المقدمات في الجغرافيا الطبيعية عبد العزيز طريح شرف ص/٨

[٢] ما بين المعقوفتين: ساقط من ت. وفي ك: «أخبرنا عبد الرحمن بن محمد» .

[٣] في ص، ل: «أخبرنا الخطيب» .

[٤] ما بين المعقوفتين: ساقط من ص، ل، ت.

[٥] انظر ترجمته في: (تاريخ بغداد ٨/ ١٦٩، وشذرات الذهب ٢/ ٢٥٨، والعبر ٢/ ١٤٤، ومعجم شيوخ الإسماعيلي ٢٦٠، وسؤالات السهمي للدارقطني ٢٤٧) .." (١)

"ثم دخلت سنة ثمان وسبعين وثلاثمائة

فمن الحوادث فيها:

[غلاء الأسعار، وعدم الأقوات وظهور الموت]

غلاء الأسعار، وعدم الأقوات وظهور الموت/، والأغلال في المحرم، وبيعت الكارة الدقيق بستين درهما.

وفي هذا الوقت تقدم السلطان شرف الدولة برصد الكواكب السبعة في مسيرها وتنقلها في بروجها على مثل ما كان المأمون فعله في أيامه، فبنى في دار المملكة بيتا [١] في آخر البستان محكما، ورصد ما كتب به محضرا أخذ فيه خطوط من يعرف الهندسة بحسن صناعة هذا الموضع لهذا البيت.

[كثرت الريح العواصف]

وفي شعبان: كثرت الرياح العواصف، وجاءت بفم الصلح وقت العصر من يوم الخميس لخمس بقين منه ريح شبهت **بالتنين**، حتى خرقت دجلة، حتى ذكر أنه بانت أرضها من ممر الريح، وهدمت قطعة من المسجد الجامع، وأهلكت جماعة من الناس، وغرقت كثيرا من السفن الكبيرة [٢] المملوءة بالأمتعة واحتملت زورقا منحدرا وفيه دواب وعدة سفن وطرحت ذلك في أرض جوخى، فشوهد بعد أيام.

وفي هذه السنة: لحق الناس بالبصرة حر عظيم، وجنوب فتساقط الناس في الشوارع، وماتوا في الطرقات.

---

[١] «بيتا» سقطت من ص، ل.

[٢] في الأصل: «الصغار» .." (٢)

"وفي ضحوة نهار يوم السبت لثمان بقين من رجب: انقض كوكب غلب ضوؤه على ضوء الشمس، وشوهد في آخره مثل **التنين** أزرق يضرب إلى السواد، وبقي نحو ساعة.

ذكر من توفي في هذه السنة [١] من الأكابر

٣١٩٦- الحسن [٢] بن وهب بن موصلايا الكاتب [٣] المجود:

توفي في هذه السنة.

---

(١) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ابن الجوزي ٢٠٦/١٣

(٢) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ابن الجوزي ٣٢٩/١٤

٣١٩٧- علي [٤] أبو الحسن بن الحاكم، صاحب مصر الملقب بالظاهر لاعزاز دين [٥] الله.

توفي يوم الأحد النصف من شعبان هذه السنة، وكان عمره ثلاثين سنة إلا أشهرا، فكانت ولايته ست عشرة سنة وتسعة أشهر، وولى بعده ولده ولقب المستنصر بالله

[٦] .

٣١٩٨- محمد [٧] بن إبراهيم بن أحمد، أبو بكر الأردستاني

[٨] .

أخبرنا القزاز، أخبرنا الخطيب، قال: كان الأردستاني يسكن إصبهان، وكان رجلا صالحا يكثر السفر إلى مكة ويحج ماشيا، وحدث ببغداد عن الدار الدارقطني وغيره، وكان ثقة يفهم الحديث قال: وبلغنا أنه مات بهمذان في سنة سبع وعشرين وأربعمائة.

٣١٩٩- محمد [٩] بن الحسين [١٠] بن عبيد الله بن عمر بن حمدون، أبو يعلى الصيرفي المعروف بابن السراج

[١١] :

ولد في سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة وسمع أبا الفضل الزهري، وكان ثقة فهما يعلم القراءات [١٢] والنحو. وتوفي ليلة الجمعة الثامن والعشرين من ذي الحجة/ من هذه السنة، ودفن بمقبرة باب حرب.

---

[١] بياض في ت.

[٢] بياض في ت.

[٣] انظر ترجمته في: (الكامل، أحداث سنة ٤٢٧) .

[٤] بياض في ت.

[٥] انظر ترجمته في: (الكامل، أحداث سنة ٤٢٧) .

[٦] في الأصل: «ولقب المنتصر بالله» .

[٧] بياض في ت.

[٨] انظر ترجمته في: (تاريخ بغداد ١/ ٤١٧) .

[٩] بياض في ت.

[١٠] في الأصل: «بن الحسن» .

[١١] انظر ترجمته في: (تاريخ بغداد ٢/ ٢٥١) .

[١٢] في ص، ل: «فهما يعلم القرآن» .." [١]

---

(١) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ابن الجوزي ٢٥٥/١٥

"فأحضر ذلك وغيره من عجائب السحرة وأصنامهم والأموال والجواهر إلى مصر، ومعهم الرجل، فسأله الملك عن أعجب أعمالهم قال: قصدهم بعض ملوك البربر بجمع كثيف، وتخاييل هائلة. فأغلق أهل مدينتنا حصنهم ولجوا إلى الأصنام، فأتى الكاهن إلى بركة عظيمة بعيدة القعر كانوا يشربون منها، فجلس على حافتها وأحاط رؤساء الكهنة بها. وأخذ يزمزم على الماء حتى فار وخرج من وسطه نار في وسطها وجه كدارة الشمس لها ضوء فخر الجماعة لها سجودا، وتلك الصورة تعظم حتى صعدت وخرقت القبة، وسمع منها قد كفيتم شر عدوكم، فقاموا وإذا بعدوهم قد هلك وسائر من معه وذلك أن صورة الشمس التي ظهرت من الماء مرت فصاحت عليهم صيحة هلكوا بها.

ولما ملك كلكن مصر بعد أبيه خريبا؛ كان النمرود في وقته، فاتصل بنمرود خبر حكمته وسحره فاستزاره، ووجه إليه أن يلقاه، وكان النمرود يسكن سواد العراق وغلب على كثير من الأمم فأقبل كلكن على أربعة أفراس تحمله لها أجنحة قد أحاطت به كالنار، وحوله صور هائلة؛ فدخل بها وهو متوشح بثعبان ومحزم ببعضه وذلك التنين فأغرفاه، ومعه قضيب آس أخضر كلما حرك التنين رأسه ضربه بالقضيب، فلما رأى النمرود ذلك هاله، واعترف له بجليل الحكم.

وتقول القبط: إن كلكن كان يرتفع فيجلس على الهرم الغربي في قبة تلوح على رأسه، وكان أهل البلد إذا دهمهم أمر اجتمعوا حول الهرم، ويقولون: إنه ربما أقام على رأس الهرم أياما لا يأكل ولا يشرب، ثم إنه استتر مدة حتى توهموا أنه هلك فطمع الملوك في مصر.

وقصدها ملك من المغرب. يقال له: سادوم في جيش عظيم إلى أن بلغ وادي هيبب، فأقبل كلكن وجللهم من سحره بشيء كالغمام شديد الحرارة، وهم تحته أياما لا يدرون أين يتوجهون، ثم ارتفع وصار بمصر يعرفهم ما عمل وأمرهم، فخرجوا. فإذا بالقوم ودوابهم قد ماتوا فهابه جميع الكهنة وصوروه في سائر الهياكل وبنى هيكلا لزحل من صوان أسود في ناحية الغرب وجعل له عيدا.

(وفي أيام دارم بن الريان) وهو الفرعون الرابع الذي يقال له عند القبط: دريموش، ظهر معدن فضة على ثلاثة أيام من النيل فأثاروا منه شيئا عظيما وعمل صنما على اسم القمر لأن طالعه كان برج السرطان، ونصبه على القصر الرخام الذي بناه أبوه في شرقي النيل، ونصب حوله أصناما كلها من الفضة وألبسها الحرير الأحمر، وعمل للصنم عيدا كلما دخل برج السرطان. ولما ولي اكسايس الملك بعد أبيه معدان بن معاديوس بن دارم بن دريموس وهو الفرعون السادس أقام أعلاما كثيرة حول منف، وجعل عليها أساطين يمشي من بعضها إلى بعض، وعمل برقودة وصا ومدائن الصعيد، وأسفل الأرض أعلاما، ومنائر للوقود،." (١)

"العظام؟ اسحرة بلدي علموك هذا أم تعلمته بعد خروجك من عندنا؟ فقال: هذا ناموس السماء وليس من نواميس الأرض. قال فرعون: ومن صاحبه؟ قال: صاحب البنية العليا.

قال: بل تعلمتها من بلدي، وأمر بجمع السحرة والكهنة وأصحاب النواميس وقال:

اعرضوا علي أرفع أعمالكم فإني أرى نواميس هذا الساحر رفيعة جدا. فعرضوا عليه أعمالهم فسره ذلك، وأحضر موسى

---

(١) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المقريزي ٦٩/١

وقال له: لقد وقفت على سحرك وعندي من يفوق عليك.

فواعدهم يوم الزينة، وكان جماعة من البلد قد اتبعوا موسى فقتلهم فرعون، ثم إنه جمع بين موسى وبين سحرته، وكانوا مائتي ألف وأربعين ألفا يعملون من الأعمال ما يحير العقول ويأخذ القلوب، من دخن ملونات ترى الوجوه مقلوبة مشوهة، منها الطويل والعريض والمقلوب جبهته إلى أسفل. ولحيته إلى فوق، ومنها ما له قرون ومنها ما له خرطوم وأنياب ظاهرة كأنياب الفيلة، ومنها ما هو عظيم في قدر الترس الكبير، ومنها ما له آذان عظام وشبه وجوه القرود بأجساد عظيمة تبلغ السحاب وأجنحة مركبة على حيات عظيمة تطير في الهواء، ويرجع بعضها على بعض فيبتلعه، وحيات يخرج من أفواهها نار تنتشر في الناس، وحيات تطير وترجع في الهواء وتنحدر على كل من حضر لتبتلعه. فيتهارب الناس منها، وعصى تحلق في الهواء فتصير حيات برؤس وشعور وأذناب تهم بالناس أن تنهشهم، ومنها ما له قوائم، ومنها تماثيل مهولة، وعملوا له دخنا تغشي أبصار الناس عن النظر فلا يرى بعضهم بعضا، ودخنا تظهر صورا كهيئة النيران في الجو على دواب يصدم بعضها بعضا ويسمع لها ضجيج، وصورا خضرا على دواب خضر، وصورا سودا على دواب سود هائلة.

فلما رأى فرعون ذلك سره ما رأى هو ومن حضره واغتم موسى ومن آمن به، حتى أوحى الله إليه لا تخف إنك أنت الأعلى، وألق ما في يمينك تلقف ما صنعوا. وكان للحسرة ثلاثة رؤساء، ويقال بل كانوا سبعين رئيسا، فأسر إليهم موسى: قد رأيت ما صنعتم، فإن قهرتكم أتؤمنون بالله؟ فقالوا نفعل. فغاظ فرعون مسارة موسى لرؤساء السحرة، هذا والناس يسخرون من موسى وأخيه ويهزؤون بهما، وعليهما دراعتان من صوف وقد احتز ما بليف، فلوح موسى بعصاه حتى غابت عن الأعين وأقبلت في هيئة تنين عظيم له عينان يتوقدان، والنار تخرج من فيه ومنخريه، فلا يقع على أحد إلا برص، ووقع من ذلك على ابنة فرعون فبرصت، وصار التنين فاغرا فاه فالتقط جميع ما عملته السحرة، ومائتي مركب كانت مملوءة حبالا وعصيا وسائر من فيها من الملاحين، وكانت في النهر الذي يتصل بدار فرعون، وابتلع عمدا كثيرة وحجارة قد كانت حملت إلى هناك ليبنى بها، ومر التنين إلى قصر فرعون ليبتلعه، وكان فرعون جالسا في قبة على جانب القصر ليشرف على عمل السحرة، فوضع نابه تحت القصر ورفع نابه الآخر إلى أعلاه، ولهب النار يخرج من فيه حتى أحرق مواضع." (١)

"من القصر، فصاح فرعون مستغيثا بموسى عليه السلام، فزجر موسى التنين فانعطف ليبتلع الناس، ففروا كلهم من بين يديه، وانساب يريدهم. فأمسكه موسى وعاد في يده عصا كما كان، ولم ير الناس من تلك المراكب وما كان فيها من الحبال والعصي والناس، ولا من العمد والحجارة وما شربه من ماء النهر حتى بانت أضه أثرا.

فعند ذلك قالت السحرة: ما هذه من عمل الآدميين، وإنما هو من فعل جبار قدير على الأشياء. فقال لهم موسى: أوفوا بعهدكم وإلا سلطته عليكم يبتلعكم كما ابتلع غيركم، فآمنوا بموسى وجاهروا فرعون وقالوا: هذا من فعل إله السماء وليس هذا من فعل أهل الأرض. فقال: قد عرفت أنكم قد واطأتموه علي وعلى ملكي حسدا منكم لي، وأمر فقطعت أيديهم وأرجلهم من خلاف وصلبوا، وجاهرته امرأته والمؤمن الذي كان يكتم إيمانه، وانصرف موسى فأقام بمصر يدعو فرعون أحد عشر شهرا، من شهر أيار إلى شهر نيسان المستقبل وفرعون لا يجيبه، بل اشتد جوره على بني إسرائيل واستعبادهم واتخاذهم

---

(١) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المقريزي ٣٦٧/٤

سخريا في مهنة الأعمال، فأصابت فرعون وقومه الجوائح العشر، واحدة بعد أخرى، وهو يثبت لهم عند وقوعها ويفزع إلى موسى في الدعاء بانجلائها، ثم يلح عند انكشافها، فإنها كانت عذابا من الله عز وجل، عذب الله بها فرعون وقومه.

فمنها أن ماء مصر صار دما حتى هلك أكثر أهل مصر عطشا، وكثرت عليهم الضفادع حتى وسخت جميع مواضعهم وقذرت عليهم عيشهم وجميع مآكلهم، وكثر البعوض حتى حبس الهواء ومنع النسيم، وكثر عليهم ذباب الكلاب حتى جرح أبدانهم ونغص عليهم حياتهم، وماتت دوابهم وأغنامهم فجأة، وعم الناس الجرب والجدري حتى زاد منظرهم قبحا على مناظر الجذمي، ونزل من السماء برد مخلوط بصواعق أهلك كل ما أدركه من الناس والحيوانات. وذهب بجميع الثمار، وكثر الجراد والجنادب التي أكلت الأشجار واستقصت أصول النبات، وأظلمت الدنيا ظلمة سوداء غليظة حتى كانت من غلظها تحس بالأجسام، وبعد ذلك كله نزل الموت فجأة على بكور أولادهم بحيث لم يبق لأحد منهم ولد بكر إلا فجع به في تلك الليلة، ليكون لهم في ذلك شغل عن بني إسرائيل، وكانت الليلة الخامسة عشر من شهر نيسان سنة إحدى وثمانين لموسى، فعند ذلك سارع فرعون إلى ترك بني إسرائيل، فخرج موسى عليه السلام من ليلته هذه ومعه بنو إسرائيل من عين شمس، وفي التوراة أنهم أمروا عند خروجهم أن يذبح أهل كل بيت حملا من الغنم إن كان كفايتهم، أو يشتركون مع جيرانهم إن كان أكثر، وأن ينضحوا من دمه على أبوابهم ليكون علامة، وأن يأكلوا شواه رأسه وأطرافه ومعاه ولا يكسروا منه عظما، ولا يدعوا منه شيئا خارج البيوت، وليكن خبزهم فطيرا. وذلك في اليوم الرابع عشر من فصل الربيع، وليأكلوا بسرعة وأوساطهم مشدودة وخفافهم في أرجلهم وعصيهم في أيديهم، ويخرجوا ليلا. وما فضل من عشائهم ذلك أحرقوه بالنار، وشرع هذا عيدا لهم ولأعقابهم، ويسمى هذا عيد الفصح،." (١)

"طرف الجبل، وفيه مغاير كثيرة منها ما يسير الماشي بجنبه نحو يومين.

دير أبي بغام: تحت دير كرفونة بالحاجر، وقد كان أبو بغام جنديا في أيام ديقلطيانوس فتنصر وعذب ليرجع عن دينه، ثم قتل في ثامن عشري كانون الأول، وثاني كيهك.

ديربوساويرس: بحاجر أدرنكة، كان على اسم السيدة مريم، وكان ساويرس من عظماء الرهبان فعمل بطركا، وظهرت آية عند موته، وذلك أنه أنذرهم لما سار إلى الصعيد بأنه إذا مات ينشق الجبل وتقع منه قطعة عظيمة على الكنيسة فلا تضرها، فلما كان في بعض الأيام سقطت قطعة عظيمة من الجبل كما قال، فعلم رهبان هذا الدير بأن ساويرس قد مات، فأرخوا ذلك فوجدوه وقت موته فسموا الدير حينئذ باسمه.

دير تادرس: تحت دير بوساويرس، وتادرس اثنان كانا من أجناد ديقلطيانوس، أحدهما يقال له قاتل التنين والآخر الاسفهسلار، وقتلا كما قتل غيرهما.

دير منسى آك: ويقال منساك، وبني ساك وايساآك، ومعنى ذلك إسحاق، وكان على اسم السيدة ماريهام يعني مار مريم، ثم عرف بمنساك، وكان راهبا قديما له عندهم شهرة، وبهذا الدير بئر تحته في الحاجر منها شرب الرهبان فإذا زاد النيل شربوا من مائه.

---

(١) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المقريزي ٣٦٨/٤

دير الرسل: تحت دير منساك، ويعرف بدير الأثل، وهو لأعمال بوتيج، ودير منساك لأهل ربقة هو ودير ساويرس، ودير كرفونة لأهل سيوط، ودير بوجرج لأهل أدرنكة، ودير الأثل كان في خراب فعمر بجانبه كفر لطيف عرف بمنشأة الشيخ، لأن الشيخ أبا بكر الشاذلي أنشأه وأنشأ بستانا كبيرا، وقد وجد موضعه بئرا كبيرة وجد بها كنزا، أخبرني من شاهد من ذهبه دنانير مربعة بأحد وجهيها صليب وزنة الدينار مثقال ونصف. وأديرة أدرنكة المذكورة قريب بعضها من بعض، وبينها مغاير عديدة منقوش على ألواح فيها نقوشات من كتابة القدماء كما على البرابي، وهي مزخرفة بعدة أصباغ، ملونة تشتمل على علوم شتى، ودير السبعة جبال ودير المطل ودير النساخ خارج سيوط في المقابر، ويقال أنه كان في الحاجرين ثلاثمائة وستون ديرا، وأن المسافر كان لا يزال من البدرشين إلى أصفون في ظل البساتين، وقد خرب ذلك وباد أهله.

دير موشه: وموشه خارج سيوط من قبليها بني على اسم توما الرسول الهندي، وهو بين الغيطان قريب من ربقة، وفي أيام النيل لا يوصل إليه إلا في مركب، وله أعياد والأغلب على نصارى هذه الأديرة معرفة القبطي الصعيدي، وهو أصل اللغة القبطية، وبعدها اللغة القبطية البحرية، ونساء نصارى الصعيد وأولادهم لا يكادون يتكلمون إلا بالقبطية الصعيدية، ولهم أيضا معرفة تامة باللغة الرومية.

دير أبي مقروفة: وأبو مقروفة اسم للبلدة التي بها هذا الدير، وهو منقور في لحف." (١)

"(قالوا أضر بنا السحاب بوكفه ... لما رأوه لمقلتي يحكي)

)

(لا تعجبوا مما ترون فإنما ... هذي السماء لرحمتي تبكي)

ومنه قوله

(ما دمية في مرمر صورت ... وظبية في خمر عاطف)

(أحسن منها يوم قالت لنا ... والدمع من مقلتها ذارف)

(لأنت أحلى من لذيذ الكرى ... ومن أمان ناله خائف)

ومنه قول

(أأخي إن أخاك مذ فارقته ... شوقا إليك فؤاده يتقطع)

(يشكو جفاءك معلنا بلسانه ... وفؤاده من خوف غدرك يوجع)

(ويقول معتذرا إلى من لامه ... إن الشقيق بسوء ظن مولع)

---

(١) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المقريزي ٤٣١/٤

(اسلم وكن لي كيف شئت على النوى ... مهما فعلت فلست ممن يقطع)

ومنه قوله

(يا قلب أنت وطرفي ... شغلي ودائي وحتفي)

(موتا فلا كان إلف ... يعين في قتل إلف)

(هذا فعالي بنفسي ... أخذت حتفي بكفي)

أنا الضعيف على الهجر فارحموا ذل ضعفي

(من ضعف ركني أني ... ليث فريسة خشف)

توفي إبراهيم بن المدبر ببغداذ سنة تسع وسبعين ومائتين وولد سنة إحدى عشرة ومائتين

٣ - (ابن المهدي)

إبراهيم بن محمد أبو إسحاق أمير المؤمنين المبارك ابن المهدي العباسي الأسود الملقب **بالتنين** لسمنه وكان فصيحا مفوها بارع الأدب والشعر بارعا إلى الغاية في الغناء ومعرفة الموسيقى وأمه اسمها شكلة روى عن المبارك بن فضالة وحماد بن يحيى الأبح ولي إمرة دمشق سنتين ثم أربع سنين لم يقطع على أحد في عمله طريق وبويع بالخلافة زمن المأمون وقاتل ابن سهل وهزمه إبراهيم فتوجه نحوه حميد الطوسي فقاتله فهزمه حميد واستخفى إبراهيم زمانا حتى ظفر به المأمون وحديثه في ذلك مشهور فعفا عنه وأورد صاحب الأغاني وغيره من ذلك جملة وكان أسود حالكا عظيم الجثة لم ير في أولاد الخلفاء قبله أفصح منه ولا)

أجود شعرا ولد سنة اثنتين وستين ومائة وتوفي رحمه الله في شهر رمضان سنة." (١)

"الدامغاني وعلي بن الحسين الزينبي وحجابه ابن المعوج وابن البقشلام وابن الصاحبي

٣ - (أبو عامر الجرجاني)

الفضل بن إسماعيل التميمي أبو عامر الجرجاني كان أديبا أريبا فاضلا مليح الخط صحيح الضبط حسن التأليف له نظم ونثر

له كتاب البيان في علوم القرآن وكتاب عروق الذهب في أشعار العرب وكتاب سلوة الغرباء وقلائد الشرف في الشعر وغير ذلك

سمع من أبي سعد ابن رامش وأبي نصر ابن رامش المقرئ وأبي بكر أحمد بن علي بن خلف الشيرازي

كان موجودا في حياة الحافظ عبد الغافر وذكره الباخرزي في الدمية

ومن شعره في هرة

---

(١) الوافي بالوفيات الصفدي ٧٣/٦

(إن لي هرة خضبت شواها ... دون أولاد منزلي بالرقون)

(ثم قلدتها لخوفي عليها ... ودعات ترد شر العيون)

(كل يوم أعولها قبل أهلي ... بزلال صاف ولحم سمين)

(وهي تلعابة إذا ما رأتني ... عابس الوجه وارم العرنين)
(

(فتغني طورا وترقص طورا ... وتلهى بكل ما يلهيني)

(لا أريد الصلاء إن ضاجعتني ... عند برد الشتاء في كانون)

(وإذا ما حككتها لحستني ... بلسان كالمبرد المسنون)

(وإذا ما جفوتها استعطفتني ... بأنين من صوتها ورنين)

(وإذا ما وترتها كشفت لي ... عن حراب ليست متاع العيون)
أملح الخلق حين تلعب بالفار فتلقيه في العذاب المهين
(وإذا مات حسه أنشرته ... بشمال مكرومة أو يمين)
وتصاديه بالغفول فإن رام انحجارا علته كالشاهين
(وإذا ما رجا السلامة منها ... عاجلته ببطشة **التنين**)." (١)

"قائد من القواد إليه بعينه، بعد القيام بكفايته، حتى إذا عاد القائد من نفيره أو غزوه رد الفرس إلى مربطه.

وذكر دورا كثيرة لا يحتمل الحال ذكرها، ويطول كتابنا بإيراد ما ذكره.

قرأت في كتاب البلدان لأحمد بن يحيي بن جابر (٦٤- ظ) البلاذري، ونقلته من خط بنوسه قال: وحدثني محمد بن سعد عن الواقدي قال: لما غزا الحسن بن قحطبة الطائي بلاد الروم سنة اثنتين وستين ومائة في أهل خراسان وأهل الموصل والشام وأمداد اليمن ومتطوعة العراق والحجاز، خرج مما يلي طرسوس، فأخبر المهدي بما في بنائها وتحصينها وشحنتها بالمقاتلة من عظيم الغناء عن الإسلام، والكبت للعدو والوقم «١» له فيما يحاول ويكيد، وكان الحسن قد أبلى في تلك الغزاة بلاء حسنا ودوخ أرض الروم حتى سموه **التنين**، وكان معه في غزاته مندل العنزي المحدث الكوفي، ومعتمر بن سليمان البصري.

---

(١) الوافي بالوفيات الصفدي ١٨/٢٤

قال: وحدثني محمد بن سعد قال: حدثني سعد بن الحسن قال: لما خرج الحسن من بلاد الروم نزل مرج طرسوس فركب إلى مدينتها وهي خراب فنظر إليها وأطاف بها من جميع جهاتها، وحزر عدة من يسكنها فوجدهم مائة ألف، فلما قدم على المهدي وصف له أمرها وما في بنائها وشحنتها من غيظ العدو وكبته وعز الإسلام وأهله؛ وأخبره في الحدث أيضا بخبر رغبه في بناء مدينته، فأمر ببناء طرطوس، وأن يبدأ بمدينة الحدث، فبنيت، وأوصى المهدي ببناء طرطوس.

فلما كانت سنة إحدى وسبعين ومائة بلغ الرشيد أن الروم قد ائتمروا بينهم بالخروج إلى طرسوس لتحصينها وترتيب المقاتله فيها، فأغزى الصائفة في سنة." (١)

"وعلى قول المسعودي فيما ذكرنا عنه أن التنانين في بحر الشام كثيرة، فوقع الى ببغداد من تصنيف أحمد بن محمد بن اسحاق الزيات مؤلف كتاب البلدان قال فيه: وقال المعلى بن هلال العوفي: كنت بالمصيصة فسمعتهم يتحدثون أن البحر ربما مكث أياما وليالي تصفق أمواجه، ويسمع له دوي شديد، فيقولون ما هذا الا لشيء قد آذى دواب البحر فهي تصيح الى الله، قال: فتقبل سحابة حتى تغيب في البحر، ثم تقبل أخرى حتى عد سبع سحابات، ثم ترتفع التي جاءت آخرهن وتتبعها التي تليها والريح تصفقها، ثم يرتفعن جميعا في السماء، وقد أخرجن شيئا يرونه أنه **التنين**، حتى تغيب عنا، ونحن نراه وننظر اليه ورأسه في السحاب، وذنبه يضطرب، فيقال أنه تطرحه الى يأجوج ومأجوج، قال: ويسكن البحر عند ذلك.

قال الصوري: فربما رأيناه قد انفلت من السحاب ورجع الى البحر، فتجيء السحابة، ولها رعد وبرق حتى تخرجه ثانية، فربما مر في طريقه بالشجرة العادية العظيمة، فيقتلعها، أو الصخرة العظيمة فيرفعها (١٥٨- و) .

***." (٢)

"وانما هو جعفر بن كثير.

سمعت ابى يقول كما قال.

٧٦ -[١ / ٢ / ٢٢٤٢] جميل بن مرة الشيباني، سمع ابا الوضئ روى عنه حماد وهمام.

وانما هو هشام.

سمعت ابى يقول: روى همام وهشام جميعا عن جميل (١) .

٧٧ -[١ / ٢ / ٢٢٠٦] جابر بن سعد (٢) الدؤلى الحجازى سمع اباه.

وانما

هو جابر بن سبع (٣) .

سمعت ابى قول كما قال.

٧٨ -[١ / ٢ / ٢١٩٧] جابر (٤) المقرى (٥) واناهو جابر بن ازد (٦) المقرى (٥) .

---

(١) بغية الطلب فى تاريخ حلب ابن العديم ١/١٨٥

(٢) بغية الطلب فى تاريخ حلب ابن العديم ١/٤٠٢

سمعت ابى يقول جابر بن آزاذ صاحب حديث **التنين**.

٧٩ -[١ / ٢ / ٢٣١٠] [جارية بن ظفر، قال لى هدبة بن خالد ثنا أبو بكر بن عياش عن - (٧)] قران بن تمام (٨) عن نمران بن جارية (٩) .

وانما هو دهثم ابن قران.

سمعت ابى يقول كما قال.

= وغيره ... عن بكر عن جعفر بن كثير " فعلم ان الاول قول قتيبة حكاه البخاري ثم بين الصواب فلا خطأ منه.

(١) فلا خطأ في التاريخ (٢) كذا في الاصل، وكذا وقع في الاصلين المطبوع عنهما تاريخ البخاري والاصلين المطبوع عنهما الجرح.

والتعديل مع ان والد جابر هذا في ترجمته فيهما وفى غيرهما " سعر " آخره راء وهى في باب سعر، وكذلك ضبطه اصحاب المشتبه وغيرهم وهذا مما يكثر فيه خطأ النساخ (٣) كذا والصواب " سعر " كما مر (٤) زاد في التاريخ " بن آزاد " (٥) كذا ومثله في الاصلين المطبوع عنهما التاريخ، وصوابه " المقرإى " (٦) كذا والمعروف " آزاذ " كما مر (٧) اضفتها من التاريخ (٨) الذى في التاريخ " عن دهثم بن قران " فلاخطأ (٩) في الاصل حارثة " وهومن خطأ الناسخ.

(*)."[١]

"حدثنا عبد الله بن محمد بن الحجاج، ثنا أبو بكر محمد بن جعفر بن سعيد الملحمي المديني، ثنا عبد الله بن أحمد بن كليب المرادي، حدثني حسين بن علي -[٢٣٠]- النيسابوري، ثنا إسماعيل بن عبد الكريم، عن عمه عبد الصمد بن معقل، عن وهب بن منبه، عن أخيه همام بن منبه، عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " قال داود النبي صلى الله عليه وسلم: إدخالك يديك في فم **التنين** إلى أن تبلغ المرفق فيقضمها خير لك من أن تسأل من لم يكن له شيء ثم كان "." (٢)

"وقيل للمشكلات: طالما ألفت الخمرة [١] ، وأمضيت على الأذهان الامرة [٢] ، فتأهبي للغارة المبيحة لحماك، وتحيزي إلى فئة البطل المستأثر برشف لماك. ولله من نصبة [٣] احتفى فيها المشتري واحتفل، وكفى سني تربيتها وكفل، واختال عطارد في حلل الجذل لها ورفل، واتضحت الحدود [٤] ، وتهللت الوجوه [٥] ، وتنافست المثلثات [٦] تؤمل الحظ وترجوه، ونبه البيت على [٧] واجبه، وأشار لحظ الشرف [٨] بحاجبه، وأسرع نير النوبة [٩] في الأوبة [١٠] ، قائما في الاعتذار مقام التوبة، واستأثر بالبروج المولدة بيت البنين [١١] ، وتخطت خطا القمر رأس الجوزهر [١٢] وذنب **التنين**، وساوق منها حكم الأصل، حذوك النعل بالنعل،

---

(١) بيان خطا البخاري في تاريخه الرازي، ابن أبي حاتم ص/١٩

(٢) تاريخ أصبهان = أخبار أصبهان أبو نعيم الأصبهاني ٢٢٩/٢

[١] الخمرة: الاستتار، والاختفاء.

[٢] الإمرة: الإمارة.

[٣] النصبة الفلكية: هي الهيئة التي يكون عليها الفلك حين طلب دلالته على الحوادث.

[٤] قسم المنجمون درجات كل برج من البروج الاثني عشر، بين الكواكب الخمسة المتحيرة، قسمة غير متساوية، وجعلوا كل قسم منها يحص كوكبا من الكواكب الخمسة، وسموه حد ذلك الكوكب.

[٥] وقسموا كذلك كل برج الى ثلاثة أقسام متساوية، وسموا كل قسم منها وجها، ثم فرقوها على الكواكب المتحيرة، وابتدءوا من برج الحمل، وجعلوا لكل وجه منها كوكبا من السبعة السيارة، سموه صاحب ذلك الوجه.

[٦] البروج الاثنا عشر تنقسم الى أربعة أقسام- بعدد الطبائع الأربع، وكل ثلاثة بروج منها تتفق في طبعة واحدة من الطبائع الأربع تسمى مثلثة، فيقال: مثلثة نارية، أو ترابية، أو هوائية، أو مائية، ويختص بكل مثلثة ثلاثة كواكب من السيارة تسمى أربابها، يكون أحدها صاحب المثلث المقدم بالنهار، والثاني المقنم بالليل، والثالث شريكهما في الليل والنهار. ومعنى ذلك أن الكواكب إذا كان في واحد من هذه البروج التي تكون مثلثة، قيل أنه في مثلثة، أي أنه في وضع له فيه حظ وقوة.

[٧] بيت الكوكب: محل أمنه، وصحته، وسلامته، ولكل من النيرين: الشمس والقمر، بيت واحد.

أما بقية الكواكب الخمسة المتحيرة، فكل واحد منها له بيتان.

[٨] شرف الكوكب: محل عزه، وعلوه، وسعادته، ولكل من الكواكب السبعة برج فيه شرفه، والبرج كله شرف لذلك الكوكب، محل عزه، وعلوه، وسعادته، ولكل من الكواكب السبعة برج فيه شرفه، والبرج كله شرف لذلك الكوكب، الا أن أقوى شرفه درجات معينة من ذلك البرج تنسب الى ذلك الكوكب وتختص به، فيقال حين يحل بها: انه في شرفه.

[٩] نير النوبة يكون في الغالب الهيلاج (دليل العمر) ، وهو بالنهار الشمس، وبالليل القمر.

[١٠] الأوبة: الرجوع والعودة.

[١١] البيت الذي له دلالة على الأولاد: هو البرج الخامس من البيوت الاثني عشر والابتداء في العد من البرج الطالع، وهو الواقع على الأفق الشرقي، ويزعمون أنه كلما كان الخامس أحد البروج الشمالية، دل ذلك على كثرة النسل.

[١٢] النقطتان اللتان يتقاطع عليهما فلك البروج مع فلك أي كوكب، تسميان العقدتين، ونقطة التقاطع الشمالية منهما، يسمونها الجو زهر، ونقطة الرأس، والتي نقابلها تسمى النوبهر، ونقطة الذنب. والجو زهر الذي يقصدونه، والذي دونوا حركته في التقاويم والأزياج، هو جوزهر القمر خاصة.." (١)

"قال: فكنت إذا جئته بالعطاء في كل شهر حدثني بخمسة [١] .

قال قاسم الحرمي: كان سفيان يتعجب من حفظ وكيع ويقول: تعال يا رؤاسي، ويتبسم [٢] .

قال ابن عمار: سمعت وكيعا يقول: ما نظرت في كتاب منذ خمس عشرة سنة، إلا في صحيفة يوما.

فقلت له: عدوا عليك بالبصرة أربعة أحاديث غلطت فيها.

---

(١) تاريخ ابن خلدون ابن خلدون ٦٢٩/٧

قال: وحدثتهم بعبادان بنحو من ألف وخمسمائة حديث. أربعة ما هي كثيرة في ذلك [٣] .

قال ابن معين: سمعت وكيعا يقول: ما كتبت عن الثوري: حدثنا قط.

إنما كنت أحفظ، فإذا رجعت كتبتها [٤] .

قال يحيى بن يمان: نظر سفيان في عيني وكيع فقال: لا يموت هذا حتى يكون له شأن. فمات سفيان وجلس وكيع مكانه [٥] .

قال سليمان الشاذكوني: قال لنا أبو نعيم: ما دام هذا التنين حيا ما يفلح أحد معه. يعني وكيعا [٦] .

وقال يحيى بن أيوب العابد: حدثني صاحب لوكيع أن وكيعا كان لا ينام حتى يقرأ ثلث القرآن، ثم يقوم في آخر الليل فيقرأ المفصل، يجلس فيأخذ في الاستغفار حتى يطلع الفجر [٧] .

---

[١] تاريخ بغداد ١٣/ ٤٦٨، الأنساب ٦/ ١٧٤، ١٧٥.

[٢] تاريخ بغداد ١٣/ ٤٧٥، تهذيب الكمال ٣/ ١٤٦٥.

[٣] تاريخ بغداد ١٣/ ٤٧٥، تهذيب الكمال ٣/ ١٤٦٥.

[٤] التاريخ لابن معين ٢/ ٦٣٠، والمعرفة والتاريخ ١/ ٧١٦، ٧١٧، وتاريخ بغداد ١٣/ ٤٧٥ و ٤٧٦.

[٥] حلية الأولياء ٨/ ٣٦٩، تهذيب الكمال ٣/ ١٤٦٥.

[٦] قارن بتاريخ بغداد ١٣/ ٤٧٩، وتهذيب الكمال ٣/ ١٤٦٥.

[٧] تاريخ بغداد ١٣/ ٤٧١، الأنساب ٦/ ١٧٥، صفة الصفوة ٣/ ١٧١، تهذيب الكمال ٣/ ١٤٦٦.." (١)

"وقيل: إن المأمون نظر إلى عمه إبراهيم بن المهدي وكان يلقب بالتنين، فقال: ما أظنك عشقت قط. ثم أنشد:

وجه الذي يعشق معروف ... لأنه أصفر منحوف

ليس كمن يأتيك ذا جثة ... كأنه للذبح معلوف

وعن المأمون قال: أعياني جواب ثلاثة. صرت إلى أم ذي الرئاستين أعزيها فيه، فقلت: لا تأسي عليه فإني عوضه لك.

قالت: يا أمير المؤمنين وكيف لا أحزن على ولد أكسبني مثلك.

وأتيت بمتنبئ فقلت: من أنت؟

قال: أنا موسى بن عمران.

قلت: ويحك، موسى كانت له آيات فأتني بها حتى أؤمن بك.

فقال: إنما أتيت بتلك المعجزات فرعون، إذ قال أنا ربكم الأعلى. فإن قلت كذلك أتيتك بالآيات.

قال: وأتى أهل الكوفة يشكون عاملهم فقال خطيبهم: هو شر عامل. فأما في أول سنة فإنا بعنا الأثاث والعقار، وفي الثانية بعنا الضياع، وفي الثالثة نزحنا عن بلدنا وأتيناك نستغيث بك.

---

(١) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ١٣/٤٤٧

فقلت: كذبت، بل هو رجل قد حمدت مذهبه، ورضيت دينه، واخترته معرفة مني بقديم سخطكم على العمال.
قال: صدقت يا أمير المؤمنين وكذبت أنا. فقد خصصتنا به هذه المدة دون باقي البلاد، فاستعمله على بلد آخر ليشملهم من عدله وإنصافه مثل الذي شملنا.
فقلت: قم في غير حفظ الله، قد عزلته عنكم [١] .
ومما ينسب إلى المأمون من الشعر قوله:

[(-)] لعلي بن الجهم، ونسبها بعضهم للمأمون وربيع الأبرار للزمخشري ٤/ ٧١ باختلاف في البيت الأخير.
[١] مروج الذهب ٤/ ١٨، ١٩.." (١)

"وقال الخطيب [١] : بويع إبراهيم بن المهدي بالخلافة زمن المأمون، وقاتل الحسن بن سهل، فهزمه إبراهيم، فتوجه نحو حميد الطوسي فقاتله، فهزمه حميد، واستخفى إبراهيم زمانا حتى ظفر به المأمون، فعفا عنه.
وكان أسود حالك، عظيم الجثة. لم يرد في أولاد الخلفاء قبله أفصح منه ولا أجود شعرا. وكان وافر الأدب، جوادا حاذقا بالغناء، معروفا به.
وفيه يقول دعبل بن علي الخزاعي:
نفر [٢] ابن شكلة بالعراق وأهلها ... وهفا إليه كل أطلس مائق
إن كان إبراهيم مضطلعا بها ... فلتصلحن من بعده لمخارق [٣]
وقال ابن ماكولا [٤] : ولد سنة اثنتين وستين ومائة.
وقال الخطيب [٥] : بايع أهل بغداد لإبراهيم في داره، ولقبوه بالمبارك، وقيل: المرضي، في أول سنة اثنتين ومائتين. فغلب على الكوفة وبغداد والسواد.
فلما أشرف المأمون على العراق ضعف إبراهيم. قال: وركب إبراهيم بأبهة الخلافة إلى المصلى يوم النحر، فصلى بالناس وهو ينظر إلى عسكر المأمون.
ثم انصرف من الصلاة وأطعم الناس بقصر الخلافة بالرصافة، ثم استتر وانقضى أمره.
قال: وظفر به المأمون في سنة عشر، فعفا عنه وبقى مكرما إلى أن توفي في رمضان سنة اربع وعشرين.
روى المبرد عن أبي محلم قال: قال إبراهيم بن المهدي حين أدخل على

---

[١] في تاريخ بغداد ٦/ ١٤٢، وانظر: الفرج بعد الشدة للتنوخي ٢/ ٣٢١، ٣٢٢.
[٢] في تهذيب تاريخ دمشق ٢/ ٢٧٣ «لعب» ، وفي وفيات الأعيان «نعر» بالعين المهملة.
[٣] البيتان في: تاريخ بغداد ٦/ ١٤٤، وتهذيب تاريخ دمشق ٢/ ٢٧٣، ووفيات الأعيان ١/ ٤٠.

---

(١) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ١٥/٢٣٦

وقد كتب بهامش الأصل: ت، مخارق شيخ أهل الغناء.

[٤] في الإكمال ١/ ٥١٨، وهو يسميه «التنين» . وقد قيل له ذلك لأنه كان حالك السواد، عظيم الجثة. (وفيات الأعيان ١/ ٣٩) .

[٥] في تاريخ بغداد ٦/ ١٤٢، ١٤٣.." (١)

"فإن مات وإلا يقطع يديه ورجليه.

فلما كان يوم الثلاثاء لست [١] بقين من ذي القعدة أحضر الحلاج مقيدا إلى باب الطاق وهو يتبختر بقيده ويقول:

حبيبي غير منسوب ... إلى شيء من الحيف

سقاني مثل ما يشرب ... فعل الضيف بالضيف

فلما دارت الكاس ... دعا بالنطع والسيف

كذا من يشرب الراح [٢] ... مع التنين في الصيف

[٣] .

فضرب ألف سوط، ثم قطعت يده ورجله، ثم حز رأسه وأحرقت جثته [٤] وذكر أن حوقل قال: ظهر من إقليم فارس الحسين بن منصور الحلاج، زعم أنه من هذب في الطاعة جسمه، وشغل بالأعمال الصالحة قلبه، وصبر على مفارقة اللذات، ومنع نفسه عن الشهوات يترقى في درج المصافاة حتى يصفو عن البشرية طبعه، فإذا صفى حل فيه روح الله الذي كان منه إلى عيسى بن مريم عليه السلام، فيصير مطاعا، يقول للشيء: كن فيكون فكان الحلاج يتعاطى ذلك، ويدعو إلى نفسه، حتى استمال جماعة من الوزراء والأمراء وملوك الجزيرة والجبال والعامة.

وقال أبو الفرج بن الجوزي [٥] : «قد جمعت كتابا سميته «القاطع لمحال اللجاج بحال الحلاج» ، وقال: قد كان هذا الرجل يتكلم بكلام الصوفية فتندر له

---

[١] في الأصل: «لثلاث» ، وكتب فوقها: «لست» ، وهو الصحيح كما أثبتناه عن المصادر.

[٢] في الديوان: «الكأس» .

[٣] الأبيات في: ديوان الحلاج ٧٣، وتاريخ بغداد ٨/ ١٣١، ١٣٢، والمنتظم ٦/ ١٦٤، والفخري ٢٦١.

[٤] الخبر في: تكملة تاريخ الطبري ٢٤، ٢٥، ونشوار المحاضرة ٦/ ٨٧- ٩١، وتاريخ بغداد ٨/ ١٢٦، ١٢٧، و ١٣٨، ١٣٩، والمنتظم ٦/ ١٦٣، ١٦٤، وتجارب الأمم ١/ ٨٠- ٨٢، والعيون والحدائق ج ٤ ق ١/ ٣٠١، ٣٠٢، ووفيات الأعيان ٢/ ١٤٣- ١٤٥، والكامل في التاريخ ٨/ ١٢٨، ١٢٩، وتاريخ مختصر الدول ١٥٦، والفخرى ٢٦١، ونهاية

---

(١) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ٧٢/١٦

الأرب ٢٣/ ٥٩، ٦٠، والمختصر في أخبار البشر ٢/ ٧١، وتاريخ ابن الوردي ١/ ٢٥٦، ٢٥٧.
[٥] في المنتظم ٦/ ١٦٢.." (١)

"والعامة. وكان عنده المرتضى، والزينبي، والماوردي، فاستشارهم في العبور إلى الكرخ كما فعل تلك المرة، فقالوا: ليس الأمر كما كان، وأحداث الموضع قد ذهبوا. وحول الغلمان خيامهم إلى حول الدار وأحاطوا بها.

وبات الناس على أصعب خطة، فخرج الملك في نصف الليل إلى زقاق غامض، فنزل إلى دجلة، وركب سميرية فيها بعض حاشيته، ومضى إلى دار المرتضى، وبعث حرمه إلى دار الخلافة. ونهب الأجناد دار الملك حتى الأبواب وساجها. وراسلوا الخليفة أن تقطع خطبة. جلال الدولة، فقيل لهم: سننظر.

وخرج الملك إلى أوانا [١] ، ثم إلى كرخ سامراء. ثم خرجوا إليه واعتذروا، ومشي الحال [٢] .

[الظلمة ببغداد]

وفي جمادى الآخرة وردت ظلمة طبقت البلد، حتى كان الرجل لا يرى صاحبه، وأخذت بالأنفاس حتى لو تأخر انكشافها لهلكوا [٣] .

[انقضاض كوكب]

وفي رجب ضحوة نهار انقض كوكب غلب ضوؤه ضوء الشمس، وشوهد في آخره شيء مثل التنين بلون الدخان. وبقي نحو ساعة [٤] . فسبحان الله العظيم ما أكثر البلاء بالمشرق.

---

[١] أوانا: بالفتح، والنون. بليدة كثيرة البساتين والشجر، نزهة. من نواحي دجيل بغداد، بينها وبين بغداد عشرة فراسخ من جهة تكريت، وكثيرا ما يذكرها الشعراء الخلعاء في أشعارهم.

(معجم البلدان ١/ ٢٧٤) .

[٢] المنتظم ٨/ ٩ (١٥/ ٢٥٤) ، الكامل في التاريخ ٩/ ٤٤٦، العبر ٣/ ١٦١، مرآة الجنان ٣/ ٤٥، تاريخ ابن خلدون ٣/ ٤٤٨.

[٣] المنتظم ٨/ ٩ (١٥/ ٢٥٤) ، الكامل في التاريخ ٩/ ٤٥١، تاريخ الخميس ٢/ ٣٩٩.

[٤] المنتظم ٨/ ٩٠ (١٥/ ٢٥٥) ، الكامل في التاريخ ٩/ ٤٥١، تاريخ الخميس ٢/ ٣٩٩.." (٢)

"قال شيخنا: وحكى المراغي أنه اجتمع بالشيخ المجد فأورد عليه نكتة، فقال المجد: الجواب عنها من ستين وجها، الأول كذا، والثاني كذا، وسردها إلى آخرها. ثم قال للبرهان: قد رضينا منك بإعادة الأجوبة. فخضع وانبهر.

قال: وكان الشيخ نجم الدين ابن حمدان مع براعته في المذهب وتوسعه فيه يقول: كنت أطالع على الدرس وما أبقي ممكنا، فإذا أصبحت وحضرت عند الشيخ ينقل أشياء كثيرة لم أعرفها ولم أطلع عليها.

---

(١) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ٣٨/٢٣

(٢) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ٣٧/٢٩

قال شيخنا: وكان جدنا عجبا في حفظ الأحاديث وسردها وحفظ مذاهب الناس وإيرادها بلا كلفة.

وحدثني شيخنا أبو محمد بن تيمية أن جده ربي بتيماء، وأنه سافر مع ابن عمه إلى العراق ليخدمه ويشتغل وله ثلاث عشرة سنة، فكان يبيت عنده فيسمعه يكرر على مسائل الخلاف فيحفظ المسألة. فقال الفخر إسماعيل: أيش حفظ هذا التنين، يعني الصبي، فبدر وقال: حفظت يا سيدي الدرس. وعرضه في الحال. فبهت منه الفخر وقال لابن عمه: هذا يجيء منه شيء، وحرضه على الاشتغال. فشيخه في الخلاف الفخر إسماعيل. وعرض عليه مصنفه «جنة الناظر» . وكتب له عليه في سنة ست وستمائة: عرض علي الفقيه الإمام العالم أوحد الفضلاء، أو مثل هذه العبارة، وأخرى نحوها، وهو ابن ستة عشر. وشيخه في الفرائض والعربية أبو البقاء العكبري، وشيخه في القراءات عبد الواحد المذكور، وشيخه في الفقه أبو بكر بن غنيمة صاحب ابن المني.

وأقام ببغداد ست سنين يشتغل، ثم قدم حران واشتغل بها أيضا على الشيخ الفخر.

ثم رحل إلى بغداد سنة بضع عشرة، فازداد بها من العلوم، وصنف التصانيف.

توفي إلى رحمة [١] الله في يوم عيد الفطر بحران.

٧٥- عبد العزيز بن أبي بكر بن علي بن نجا بن أبي القاسم.

عز الدين، أبو محمد بن المليق الإسكندراني، الكاتب.

---

[١] في الأصل: «رحمت» .." (١)

"فجئت أب فقال: خذ نصف العطاء واذهب. فإذا حدثك بالخمسة فخذ النصف الآخر، حتى تكون عشرة. فأتيته بذلك، فأملى علي حديثين، فقلت: وعدتني خمسة. قال: فأين الدراهم كلها؟ أحسب أن أباك دربك بهذا ولم يدر أن الأعمش مدرب قد شهد الوقائع.

قال: فكنت إذا جئته بالعطاء في كل شهر حدثني بخمسة.

قال قاسم الحرمي: كان سفيان يتعجب من حفظ وكيع ويقول: تعال يا رؤاسي، ويتبسم١.

قال ابن عمار: سمعت وكيعا يقول: ما نظرت في كتاب منذ خمس عشرة سنة، إلا في صحيفة يوما.

فقلت له: عدوا عليك بالبصرة أربعة أحاديث غلطت فيها.

قال: وحدثتهم بعبادان بنحو من ألف وخمسمائة حديث. أربعة ما هي كثيرة في ذلك.

قال ابن معين: سمعت وكيعا يقول: ما كتبت عن الثوري: حدثنا قط. إنما كنت أحفظ، فإذا رجعت كتبتها.

قال يحي بن يمان: نظر سفيان في عيني وكيع فقال: لا يموت هذا حتى يكون له شأن. فمات سفيان وجلس وكيع مكانه.

قال سليمان الشاذكوني: قال لنا أبو نعيم: ما دام هذا التنين حيا ما يفلح أحد معه. يعني وكيعا.

وقال يحي بن أيوب العابد: حدثني صاحب لوكيع أن وكيعا كان لا ينام حتى يقرأ ثلث القرآن، ثم يقوم في آخر الليل فيقرأ

---

(١) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ٤٨/١٢٩

المفصل، يجلس فيأخذ في الاستغفار حتى يطلع الفجر.
قال إبراهيم بن وكيع: كان أبي يصلي الليل، فلا يبقي في دارنا أحد إلا صلي، حتى جارية لنا سوداء.
ابن معين: سمعت وكيعا يقول: أي يوم لنا من الموت.

---

١ تاريخ بغداد "١٣/ ٤٧٥".." (١)

"قال الحاجب: فأين عادة عفو أمير المؤمنين.

قال: أما هذه فنعم. ائذنوا له.

فدخل، فقال له: هل عرفت يوم قتل أخيك هاشمية هتكت؟ قال: لا.

قال: فما معنى قولك:

ومما شجى قلبي وكفكف عبرتي ... محارم من آل الرسول استحلت

ومهتوكة بالجلد عنها سجوفها ... كعاب كقرن الشمس حين تبدت

فلا بات ليل الشامتين بغبطة ... ولا بلغت آمالهم ما تمنت

فقال: يا أمير المؤمنين، لوعة غلبتني، وروعة فاجأتني، ونعمة سلبتها بعد أن غمرتني. فإن عاقبت فبحقك، وإن عفوت فبفضلك. فدمعت عينا المأمون وأمر له بجائزة.

حكى الصولي أن المأمون كان يحب اللعب بالشطرنج، واقترح فيه أشياء.

وكان ينهى أن يقال: تعال نلعب، ويقول: بل نتناقل.

ولم يكن بها حاذقا، فكان يقول: أنا أدبر أمر الدنيا واتسع لها، وأضيق عن تدبير شبرين. وله فيها شعر:

أرض مربعة حمراء من أدم ... ما بين إلفين معروفين بالكرم

تذاكرا الحرب فاحتالا لها حيلا ... من غير أن يأثما فيها بسفك دم

هذا يغير على هذا وذاك على ... هذا يغير وعين الحزم لم تنم

فانظر إلى فطن جالت بمعرفة ... في عسكرين بلا طبل ولا علم

وقيل: إن المأمون نظر إلى عمه إبراهيم بن المهدي وكان يلقب **بالتنين**، فقال: ما أظنك عشقت قط. ثم أنشد:

وجه الذي يعشق معروف ... لأنه أصفر منحوف

ليس كمن يأتيك ذا جثة ... كأنه للذبح معلوف

وعن المأمون قال: أعياني جواب ثلاثة. صرت إلى أم ذي الرئاستين أعزيها فيه، فقلت: لا تأسي عليه فإني عوضه لك.." (٢)

---

(١) تاريخ الإسلام ط التوفيقية الذهبي، شمس الدين ١٣/٢٤١

(٢) تاريخ الإسلام ط التوفيقية الذهبي، شمس الدين ١٥/١٢٩

"فقال له أبو عمر القاضي: هذا فيه نقض شرائع الإسلام.

ثم جاراه في الكلام إلى أن قال له أبو عمر: يا حلال الدم، من أي كتاب نقلت هذا؟ قال: من كتاب "الإخلاص" للحسن البصري.

قال: كذبت يا حلال الدم، فقد سمعنا الكتاب، وليس فيه شيء من هذا١.

فقال حامد لأبي عمر القاضي: قد أفتيت أنه حلال الدم، فضع خطك بهذا. فدافع ساعة، فمد حامد يده إلى الدواة وقدمها للقاضي وألح عليه، فكتب بأنه حلال الدم، وكتب الفقهاء والعلماء بذلك خطوطهم، والحلاج يقول: يا قوم، لا يحل لكم إراقة دمي.

فبعث حامد بخطوطهم إلى المقتدر، وأستأذنه في قتله، فتأخر عنه الجواب، فخاف أن يبدو للمقتدر فيه رأي لما قد استمال من الخواص بزهده، وتعبده في الحبس، فنفذ إلي المقتدر أنه قد ذاع كفره وادعاؤه الربوبية، وإن لم يقتل افتتن الناس، وتجرأ قوم على الله تعالى والرسل.

فأذن المقتدر في قتله. وطلب حامد صاحب الشرطة محمد بن عبد الصمد، وأمره أن يضربه ألف سوط، فإن مات وإلا يقطع يديه ورجليه.

فلما كان يوم الثلاثاء لست بقين من ذي القعدة أحضر الحلاج مقيدا إلى باب الطاق، وهو يتبختر بقيده ويقول:

حبيبي غير منسوب ... إلى شيء من الحيف

سقاني مثل ما يشرب ... فعل الضيف بالضيف

فلما دارت الكاس ... دعا بالنطع والسيف

كذا من يشرب الراح ... مع التنين في الصيف٢

فضرب ألف سوط، ثم قطعت يده ورجله، ثم حز رأسه وأحرقت جثته٣.

---

١ راجع وفيات الأعيان "٢/ ١٤٣".

٢ ديوان الحلاج "ص/ ٧٣"، والمنتظم "٦/ ١٦٤".

٣ خبر صحيح: أخرجه الخطيب "٨/ ١٢٠، ١٢٧، ١٣٨، ١٣٩"، كما في التاريخ، ونشوار المحاضرة "٦/ ٨٧-٩١"، وأورد ابن الجوزي "٦/ ١٦٣، ١٦٤"، كما في المنتظم، ووفيات الأعيان "٢/ ١٤٣-١٤٥" لابن خلكان، وشذرات الذهب "٢/ ٢٥٥"، لابن العماد، والفخري "٢٦١"، وغيرهم.." (١)

"إلى كرخ سامراء. ثم خرجوا إليه واعتذروا ومشي الحال١.

الظلمة ببغداد:

وفي جمادى الآخرة وردت ظلمة طبقت البلد، حتى كان الرجل لا يرى صاحبه، وأخذت بالأنفاس حتى لو تأخر انكشافها

---

(١) تاريخ الإسلام ط التوفيقية الذهبي، شمس الدين ٢٣/٢٣

لهلكوا٢.

انقضاض كوكب:

وفي رجب ضحوة نهار انقض كوكب غلب ضوءه ضوء الشمس، وشوهد في آخره شيء مثل **التنين** بلون الدخان. وبقي نحو ساعة٣. فسبحان الله العظيم ما أكثر البلاء بالمشرق.

---

١ المنتظم "٨/ ٩٠"، الكامل في التاريخ "٩/ ٤٤٦".

٢ المنتظم "٨/ ٩٠"، الكامل في التاريخ "٩/ ٤٥١".

٣ المنتظم "٨/ ٩٠"، الكامل في التاريخ "٩/ ٤٥١".." (١)

"فقالوا له: ما ينبغي لنا أن يملكنا إلا أنت، إذ أرحتنا من هذا الخبيث.

فملكوه واستجمعت عليه حمير وقبائل اليمن، فكان آخر ملوك حمير وتهود وتهودت معه حمير، وتسمى يوسف، فأقام في ملكه زمانا وبنجران بقايا من أهل دين عيسى على الإنجيل، أهل فضل واستقامة، لهم من أهل دينهم رأس يقال له عبد الله بن الثامر، وكان موقع أصل ذلك الدين بنجران، وهي بأوسط أرض العرب في ذلك الزمان، وأهلها وسائر العرب كلها أهل أوثان يعبدونها ثم إن رجلا من بقايا أهل ذلك الدين وقع بين أظهرهم يقال له فيميون، فحملهم عليه فدانوا به قال هشام: زرعة ذو نواس، فلما تهود سمي يوسف، وهو الذي خد الأخدود بنجران وقتل النصارى.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، قال: حدثنا محمد بن إسحاق، عن المغيرة بن أبي لبيد مولى الأخنس، عن وهب بن منبه اليماني، أنه حدثهم إن موقع ذلك الدين بنجران كان أن رجلا من بقايا أهل دين عيسى بن مريم يقال له فيميون، وكان رجلا صالحا مجتهدا زاهدا في الدنيا، مجاب الدعوة، وكان سائحا ينزل القرى، لا يعرف بقرية إلا خرج منها إلى قرية لا يعرف فيها وكان لا يأكل إلا من كسب يده، وكان بناء يعمل الطين، وكان يعظم الأحد، فإذا كان الأحد لم يعمل فيه شيئا، وخرج إلى فلاة من الأرض فصلى بها حتى يمسي، وكان في قرية من قرى الشام يعمل عمله ذلك مستخفيا، إذ فطن لشأنه رجل من أهلها، يقال له صالح، فأحبه صالح حبا لم يحبه شيئا كان قبله، فكان يتبعه حيث ذهب، ولا يفطن له فيميون حتى خرج مرة في يوم الأحد إلى فلاة من الأرض كما كان يصنع، وقد اتبعه صالح، وفيميون لا يدري، فجلس صالح منه منظر العين، مستخفيا منه لا يحب أن يعلم مكانه، وقام فيميون يصلي، فبينا هو يصلي إذ أقبل نحوه **التنين**- الحية ذات الرءوس السبعة- فلما رآها فيميون دعا عليها فماتت، ورآها صالح،." (٢)

"ولم يدر ما أصابها، فخافها عليه فعيل عوله، فصرخ: يا فيميون، **التنين** قد أقبل نحوك! فلم يلتفت إليه، وأقبل على صلاته حتى فرغ وأمسى، وانصرف وعرف أنه قد عرف، وعرف صالح أنه قد رأى مكانه، فكلمه، فقال: يا فيميون، يعلم الله ما أحببت شيئا حبك قط، وقد أردت صحبتك والكينونة معك حيثما كنت قال: ما شئت، أمري كما ترى، فإن

---

(١) تاريخ الإسلام ط التوفيقية الذهبي، شمس الدين ٢٣/٢٩

(٢) تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري الطبري، أبو جعفر ١١٩/٢

ظننت أنك تقوى عليه فنعم فلزمه صالح، وقد كاد أهل القرية أن يفطنوا لشأنه، وكان إذا فاجأه العبد به ضر دعا له فشفي، وإذا دعى إلى أحد به الضر لم يأته.

وكان لرجل من أهل القرية ابن ضرير، فسأل عن شأن فيميون، فقيل له:

إنه لا يأتي أحدا إذا دعاه، ولكنه رجل يعمل للناس البنيان بالأجر، فعمد الرجل إلى ابنه ذلك فوضعه في حجرته، وألقى عليه ثوبا، ثم جاءه فقال له:

يا فيميون، إني قد أردت أن أعمل في بيتي عملا، فانطلق معي حتى تنظر إليه فأشارطك عليه، فانطلق معه حتى دخل حجرته، ثم قال: ما تريد أن تعمل في بيتك؟ قال: كذا وكذا ثم انتشط الرجل الثوب عن الصبي، ثم قال: يا فيميون، عبد من عباد الله أصابه ما ترى، فادع الله له، فقال فيميون حين رأى الصبي: اللهم عبد من عبادك دخل عليه عدوك في نعمتك ليفسدها عليه فاشفه وعافه، وامنعه منه، فقام الصبي ليس به بأس.

وعرف فيميون أنه قد عرف، فخرج من القرية، واتبعه صالح، فبينما هو يمشي في بعض الشام مر بشجرة عظيمة، فناداه منها رجل، فقال:

أفيميون! قال: نعم، قال: ما زلت أنتظرك وأقول: متى هو جاء، حتى سمعت صوتك، فعرفت أنك هو، لا تبرح حتى نقوم علي، فإني ميت الآن قال: فمات، وقام عليه حتى واراه ثم انصرف ومعه صالح، حتى وطئا بعض أرض العرب، فعدى عليهما فاختطفتهما سيارة من بعض العرب، فخرجوا بهما حتى باعوهما بنجران- وأهل نجران يومئذ على دين العرب، تعبد نخلة طويلة بين أظهرهم، لهم عيد كل سنة، إذا كان ذلك العيد علقوا عليها." (١)

"كل جريح لا يعين على نفسه، فدفعه إلى قومه، ثم سار بالناس ليلته كلها حتى أصبح **بالتنينير** فعبر الخابور، وقطع المعابر، ثم مضى لا يمر بمعبر إلا قطعه، وأصبح الحصين بن نمير فبعث فوجدهم قد ذهبوا، فلم يبعث في آثارهم أحدا، وسار بالناس فأسرع، وخلف رفاعة وراءهم أبا الجويرية العبدي في سبعين فارسا يسترون الناس، فإذا مروا برجل قد سقط حمله، أو بمتاع قد سقط قبضه حتى يعرفه، فإن طلب او ابتغى بعث اليه فاعمله، فلم يزالوا كذلك حتى مروا بقرقيسيا من جانب البر، فبعث إليهم زفر من الطعام والعلف مثل ما كان بعث إليهم في المرة الأولى، وأرسل إليهم الأطباء وقال: أقيموا عندنا ما أحببتم، فإن لكم الكرامة والمواساة، فأقاموا ثلاثا، ثم زود كل امرئ منهم ما أحب من الطعام والعلف، قال: وجاء سعد بن حذيفة بن اليمان حتى انتهى إلى هيت، فاستقبله الأعراب فأخبروه بما لقي الناس، فانصرف، فتلقى المثنى بن مخربة العبدي بصندوداء، فأخبره، فأقاموا حتى جاءهم الخبر: أن رفاعة قد أظلكم، فخرجوا حين دنا من القرية، فاستقبلوه فسلم الناس بعضهم على بعض، وبكى بعضهم إلى بعض، وتناعوا إخوانهم فأقاموا بها يوما وليلة، فانصرف أهل المدائن إلى المدائن، وأهل البصرة إلى البصرة، وأقبل أهل الكوفة إلى الكوفة، فإذا المختار محبوس.

قال هشام: قال أبو مخنف، عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر، عن أدهم بن محرز الباهلي، أنه أتى عبد الملك بن مروان ببشارة الفتح، قال:

---

(١) تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري الطبري، أبو جعفر ١٢٠/٢

فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد، فإن الله قد أهلك من رءوس أهل العراق ملقح فتنة، ورأس ضلالة، سليمان بن صرد، ألا وإن السيوف تركت رأس المسيب بن نجبة خذاريف، ألا وقد قتل الله من رءوسهم رأسين عظيمين ضالين مضلين: عبد الله بن سعد أخا الأزد، وعبد الله بن وال أخا بكر بن وائل، فلم يبق بعد هؤلاء أحد عنده دفاع ولا امتناع.

قال هشام، عن أبي مخنف: وحدثت أن المختار مكث نحوا من خمس." (١)

"ثم دخلت

سنة اثنتين وستين ومائة

(ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث)

خبر مقتل عبد السلام الخارجي

فمن ذلك ما كان من مقتل عبد السلام الخارجي بقنسرين.

ذكر الخبر عن مقتله:

ذكر أن عبد السلام بن هاشم اليشكري هذا خرج بالجزيرة، وكثر بها أتباعه، واشتدت شوكته، فلقيه من قواد المهدي عدة، منهم عيسى بن موسى القائد، فقتله في عدة ممن معه، وهزم جماعة من القواد، فوجه إليه المهدي الجنود، فنكب غير واحد من القواد، منهم شبيب بن واج المروروذي، ثم ندب إلى شبيب ألف فارس، أعطى كل رجل منهم ألف درهم معونة، وألحقهم بشبيب فوافوه، فخرج شبيب في أثر عبد السلام، فهرب منهم حتى أتى قنسرين، فلحقه بها فقتله.

وفيها وضع المهدي دواوين الأزمة، وولى عليها عمر بن بزيع مولاه، فولى عمر بن بزيع النعمان بن عثمان أبا حازم زمام خراج العراق.

وفيها أمر المهدي أن يجرى على المجذمين وأهل السجون في جميع الآفاق.

وفيها ولي ثمامة بن الوليد العبسي الصائفة، فلم يتم ذلك.

وفيها خرجت الروم إلى الحدث، فهدموا سورها.

وغزا الصائفة الحسن بن قحطبة في ثلاثين ألف مرتزق سوى المطوعة، فبلغ حمة أذرولية، فأكثر التخريب والتحريق في بلاد الروم من غير أن يفتح حصنا، ويلقى جمعا، وسمته الروم **التنين** وقيل: إنه إنما أتى." (٢)

"وسمعت أبا داود يقول: التقى وكيع وعبد الرحمن في المسجد الحرام بعد عشاء الآخرة، فتواقفا حتى سمعا أذان الصبح.

أخبرنا أبو عثمان سعيد بن العباس القرشي الهروي، حدثنا أبو عبد الله محمد بن العباس العصمي- إملاء- قال: سمعت أبا

---

(١) تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري الطبري، أبو جعفر ٦٠٥/٥

(٢) تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري الطبري، أبو جعفر ١٤٢/٨

الفضل يعقوب بن إسحاق الفقيه الحافظ يقول: أخبرنا صالح بن محمد البغدادي قال: سمعت يحيى بن معين يقول: ما رأيت أحدا أحفظ من وكيع؟ فقال له رجل: ولا هشيم؟ فقال: وأين يقع حديث هشيم من حديث وكيع؟ فقال له الرجل: فإني سمعت علي بن المديني يقول: ما رأيت أحدا أحفظ من يزيد بن هارون؟ قال: كان يزيد بن هارون يحفظ من كتاب، كانت له جارية تحفظه من كتاب.

أخبرنا علي بن محمد بن عبد الله المعدل، أخبرنا أبو علي بن الصواف، حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل قال: قال أبي: ما رأيت وكيعا قط شك في حديث إلا يوما واحدا، فقال: أمن ابن أبي شيبة؟ كأنه أراد أن يسأله أو يستفتيه. قال أبي: وما رأيت مع وكيع قط كتابا ولا رقعة.

أخبرنا محمد بن أحمد بن أبي طاهر الدقاق وعثمان بن محمد بن يوسف العلاف- قال محمد أخبرنا، وقال عثمان حدثنا- علي بن أحمد بن محمد القزويني، حدثنا الحسن بن الليث الرازي قال: سمعت أبا هشام الرفاعي محمد بن يزيد قال:

دخلت المسجد الحرام فإذا رجل جالس يحدث والناس مجتمعون عليه كثير، قال:

فاطلعت فإذا عبيد الله بن موسى، قال: فقلت: يا أبا محمد كثير الزبون، كثر الزبون.

قال: فدخلت الطواف فطفت أسبوعا واحدا، قال: فخرجت فإذا عبيد الله وحده قاعد، وإذا رجل خلف اسطوانة الحمراء قاعد يحدث، وقد اجتمع عليه زحام مثل ما على عبيد الله وزيادة، فاطلعت فنظرت فإذا وكيع بن الجراح. فقلت لعبيد الله: ما فعل الناس، أين زبونك؟ قال: قدم التنين فأخذهم، قدم وكيع بن الجراح تركوني وحدي.

أخبرنا أبو نعيم الحافظ، حدثنا محمد بن علي بن حبيش، حدثنا الهيثم بن خلف، حدثنا محمد بن نعيم البلخي قال: سمعت مليح بن وكيع يقول: لما نزل بأبي الموت أخرج إلي يديه فقال: يا بني ترى يدي؟ ما ضربت بهما شيئا قط.." (١)

"حدثنا عبيد الله بن أحمد بن عثمان الصيرفي قال: قال لنا أبو عمر بن حيويه: لما أخرج حسين الحلاج ليقتل مضيت في جملة الناس ولم أزل أزاحم حتى رأيته فقال لأصحابه: لا يهولنكم هذا، فإني عائد إليكم بعد ثلاثين يوما ثم قتل.

أنبأنا محمد بن أحمد بن عبد الله الأردستاني- بمكة- أنبأنا أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين السلمي- بنيسابور- قال: سمعت أبا العباس الرزاز يقول: كان أخي خادما للحسين بن منصور، فسمعته يقول: لما كانت الليلة التي وعد من الغد قتله، قلت له: يا سيدي أوصني، فقال لي: عليك نفسك إن لم تشغلها شغلتك قال:

فلما كان من الغد فأخرج للقتل قال: حسب الواحد أفراد الواحد له. ثم خرج يتبختر في قيده ويقول:

نديمي غير منسوب ... إلى شيء من الحيف

سقاني مثل ما يشر ... ب فعل الضيف بالضيف

فلما دارت الكأس ... دعا بالنطع والسيف

كذا من يشرب الراح ... مع التنين في الصيف

ثم قال: يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون أنها الحق

---

(١) تاريخ بغداد وذيوله ط العلمية الخطيب البغدادي ٤٨٣/١٣

[الشورى ١٨] ثم ما نطق بعد ذلك حتى فعل به ما فعل.
أنبأنا ابن الفتح، أنبأنا محمد بن الحسين قال: سمعت عبد الله بن علي يقول:
سمعت عيسى القصار يقول: آخر كلمة تكلم بها الحسين بن منصور عند قتله وصلبه أن قال: حسب الواحد أفراد الواحد له. فما سمع بهذه الكلمة أحد من المشايخ إلا رق له واستحسن هذا الكلام منه.
أنبأنا إسماعيل الحيرى، أنبأنا أبو عبد الرحمن السلمي قال: سمعت أبا بكر البجلي يقول: سمعت أبا الفاتك البغدادي- وكان صاحب الحلاج- قال: رأيت في النوم بعد ثلاث من قتل الحلاج، كأني واقف بين يدي ربي تعالى فأقول يا رب ما فعل الحسين بن منصور؟ فقال: كاشفته بمعنى فدعا الخلق إلى نفسه، فأنزلت به ما رأيت.
ذكر أخبار الحلاج بعد حصوله في يد حامد بن العباس وشرحها على التفصيل إلى حين مقتله:
قد ذكرنا ما انتهى إلينا من أخبار الحلاج المنثورة وأنا أسوق هاهنا قصته ببغداد مفصلة، وسبب القبض عليه، وشرح ما بعد ذلك إلى أن قتل:." (١)

"وكان معروفا بصنعة الغناء حاذقا بها وله يقول دعبل بن علي يتقرب بذلك إلى المأمون (١) نفر (٢) ابن شكلة بالعراق وأهلها * فهفا إليه كل أطلس (٣) مائق إن كان إبراهيم مضطلعا بها فلتصلحن من بعده لمخارق (٤) قرأت علي أبي محمد السلمي عن أبي نصر بن ماكولا قال (٥) أما التنين أوله تاء معجمة باثنتين من فوقها وبعدها نون مشددة مكسورة فهو إبراهيم بن المهدي بن المنصور أمير المؤمنين كنيته أبو إسحاق أمه شكله نسب إليها وكانت سوداء وكان شديد السواد عظيم الجسم فلقب التنين لذلك ولد في سنة اثنتين وستين ومائة وتوفي سنة أربع وعشرين ومائتين وقيل في سنة ثلاث وعشرين بسر من رأى كان من أحسن الناس غناء وأعلمهم به وهو شاعر مطبوع مكثر قال ذلك كله المرزباني أخبرني به السلمي عنه أخبرنا أبو غالب الماوردي أنا أبو الحسن السيرافي أنا أحمد بن إسحاق النهاوندي نا أحمد بن عمران الأشناني نا موسى بن زكريا نا خليفة بن خياط قال سنة أربع وثمانين ومائة أقام الحج إبراهيم بن المهدي (٦) أخبرنا أبو القاسم بن السمرقندي أنا أبو بكر بن الطبري أنا أبو الحسين بن الفضل أنا عبد الله بن جعفر نا يعقوب بن سفيان قال في سنة أربع وثمانين ومائة حج بالناس إبراهيم بن المهدي أخبرنا أبو القاسم علي بن إبراهيم الحسيني (٧) أنا أبو محمد عبيد الله بن

---

(١) البيتان من سبعة أبيات في ديوانه ط بيروت ص ٢٤٤ وانظر تخريجهما فيه
(٢) الديوان: نعر يقال نعر فلان في الفتنة إذا قام فيها
(٣) في أشعار أولاد الخلفاء كل أطيش بالشين
(٤) مخارق مولى مملوك مغن وهو مخارق بن يحيى بن ناوس الجزار
(٥) الاكمال لابن ماكولا ١ / ٥١٨

---

(١) تاريخ بغداد وذيوله ط العلمية الخطيب البغدادي ١٢٨/٨

(٦) تاريخ خليفة ص ٤٥٧ وانظر مروج الذهب ٤ / ٤٥٥

(٧) بالاصل " الحسني " خطأ والصواب ما أثبت بعن م وقياسا إلى سند مماثل وانظر فهارس شيوخ ابن عساكر (المجلدة السابعة)." (١)

"الدرجة الأولى شجرة من صنوبر من ذهب وعن يسارها أسد من ذهب وعلى رؤوس الأسدين عمود من زبرجد ومن جانبي الأسدين شجرتين كلتاهما كرم من ذهب معرشتين فأظلتا الكرسي (١) كله بتعريشهما وورقهما وفوق أعلى درج الكرسي أسدين عظيمين من ذهب مجوفين محشوين مسكا (٢) وعنبرا فإذا أراد سليمان بن داود الملك أن يصعد على كرسيه استدار الأسدان كما يستدير المنجنون (٣) فينضحان ما في أجوافهما من الطيب ومن جانبي الكرسي منبران من ذهب أحدهما مجلس خليفة سليمان والآخر مجلس الأحبار والقضاة وسبعين منبرا من ذهب لسبعين قاضيا من أحبار بني إسرائيل وعلمائهم وكهولهم من كل جانب من الكراسي خمسة وثلاثون منبرا فإذا أراد الملك أن يصعد إلى كرسيه وضع قدميه على الدرجة الأولى من الكرسي استدار الكرسي كما يستدير المنجنون (٣) فيبسط الأسد يده اليمنى والنسر جناحه الأيسر فيتكئ سليمان عليهما إلى الدرجة التي تليها وكذلك يصنع الأسد والنسر (٤) من كل درجة إلى درجة حتى يستوي إلى أعلى الكرسي فإذا استوى سليمان على كرسيه جالسا أخذ التنين العظيم تاج الملك فوضعه على رأس سليمان وكان الذي يستدير بالكرسي وما فيه من العجائب تنين عظيم حتى تمر الأسود (٥) والنسور والطواويس التي على الدرجة السفلى إلى أعلى الكرسي فيظلون من فوق رأس سليمان وهو جالس على الكرسي فينصحون ما في أجوافها من الطيب على رأس سليمان وكانت حمامة على عمود جوهر تأخذ التوراة حتى تجعلها في يد سليمان فيقرأها على الناس فإذا جلس سليمان على كرسيه للقضاء وجلس قضاة بني إسرائيل على كراسيها عن يمينه وشماله حافتي الكرسي فدخلت الشهود للشهادات استدار (٦) منجنون الكرسي (٧) فتزأر الأسد وتخفق النسور بأجنحتها ويرجع الطواويس ليرعب قلوب الشهود أن لا يشهدوا بالزور ويقول الشهود عندما يرون من العجائب وما دخلهم من الرعب لا نشهد إلا

---

(١) مابين معكوفتين زيادة لازمة عن م وانظر المختصر

(٢) بالاصل وم: مسك وعنبر

(٣) بالاصل وم: المجنون خطا والصواب ما اثبت والمنجنون: الدولاب يستقي عليه (القاموس)

(٤) في المختصر: الاسد والنسور

(٥) بالاصل وم: حتى يمر بالاسود والمثبت عن المختصر

(٦) بالاصل: استدان

(٧) بالاصل: ميجنون." (٢)

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ١٦٥/٧

(٢) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ٢٦٨/٢٢

"أنبأنا أبو الحسين وأبو عبد الله قالا أخبرنا أبو القاسم بن منده أنا أبو علي إجازة ح قال وأخبرنا أبو طاهر أنا علي قالا أخبرنا ابن أبي حاتم (١) نا أبي نا أحمد (٢) بن أبي الحواري قال قلت لأبي بكربن عياش حدثنا قال قد كبرنا ونسينا الحديث اذهب إلى وكيع في بني رؤاس أخبرنا أبو منصور المقرئ أنا وأبو الحسن بن سعيد نا أبو بكر الخطيب (٣) أخبرني محمد بن علي المقرئ أنا محمد بن عبد الله النيسابوري الحافظ قال سمعت محمد بن صالح بن هانئ يقول سمعت أبا سعيد محمد بن شاذان يقول سمعت أبا رجاء قتيبة بن سعيد يقول ألحوا يوما على أبي بكر بن عياش فقال ما تريدون (٤) عليكم بهذا الغلام الذي في بني رؤاس عني به وكيعا أخبرنا أبو البركات الأنماطي أنا أبو الفضل (٥) بن خيرون أنا أبو العلاء الواسطي أنا أبو بكر البابسيري أنا الأحوص بن المفضل بن غسان خدثنا أبي نا الشاذكوني (٦) عن أبي نعيم قال قال لنا يوما ونحن عنده ما دام هذا الثبت يعني وكيعا حيا ما يفلح أحد معه وكانت الرحلة بومئذ إلى وكيع وهو ابن ست وخمسين سنة (٧) أنبأنا أبو عبد الله الفراوي وغيره عن أبي بكر البيهقي أنا أبو عبد الله الحافظ أنا أبو العباس محمد بن أحمد المحبوبي (٨) قال سمعت أحمد بن سيار يقول (٩) سمعت صالح بن سفيان يقول لما قدم وكيع مكة الجفل (١٠) الناس إليه وحج تلك السنة غير واحد من العلماء وكان

(١) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٩ / ٣٧

(٢) كتبت فوق الكلام بين السطرين بالأصل

(٣) رواه أبو بكر الخطيب في تاريخ بغداد ١٣ / ٥٠٦

(٤) كذا بالأصل وم و " ز " وفي تاريخ بغداد: ترون

(٥) بالأصل وم: بكر تصحيف والمثبت عن " ز "

(٦) رواه المزي في تهذيب الكمال ١٩ / ٤٠٠ - ٤٠١ من طريق الشاذكوني والذهبي في سير الأعلام ٩ / ١٤٦

(٧) في سير أعلام النبلاء: التنين

(٨) بالأصل وم: المجنون تحريف والمثبت عن " ز " وهو محمد بن أحمد بن محبوب بن فضيل أبو العباس المروزي راجع ترجمته في سير الأعلام ١٥ / ٥٣٧

(٩) من طريقه رواه المزي في تهذيب الكمال ١٩ / ٤٠١

(١٠) بالأصل وم: فجفل والمثبت عن " ز " وتهذيب الكمال." (١)

"ممن قدم عبد الرزاق قال فخرج ونظر إلى مجلسه فلم ير أحدا قال فاغتنم لأجل ذلك وجعل يدخل ويخرج حتى أرى رجلا فقال ما للناس قال قدم وكيع بن الجراح قال فحمد الله وقال ظننت أنهم تركوا حديثي قال وأما أبو أسامة فخرج فلم ير أحدا فقال أين الناس فقالوا قدم أبو سفيان فقال هذا التنين لا يقع في مكان إلا احترق ما حوله أخبرنا أبو منصور بن خيرون أنا وابو الحسن بن سعيد حدثنا أبو بكر (١) أخبرنا محمد بن أحمد بن أبي طاهر الدقاق وعثمان بن محمد بن

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ٧٠/٦٣

يوسف العلاف قال محمد أخبرنا وقال عثمان نا علي بن أحمد بن محمد القزويني نا الحسن بن الليث الرازي قال سمعت أبا هشام الرفاعي محمد بن يزيد قال دخلت المسجد الحرام فإذا رجل جالس يحدث والناس مجتمعون عليه كثير قال فأطلعت فإذا عبيد الله بن موسى فقلت يا أبا محمد كثر الزبون كثر الزبون قال فدخلت الطواف فطفت أسبوعا واحدا قال فخرجت فإذا عبيد الله وحده قاعدا (٢) وإذا رجل خلف أسطوانة الحمراء قاعد يحدث وقد اجتمع عليه زحام مثل ما على عبيد الله وزيادة فاطلعت فنظرت فإذا وكيع بن الجراح فقلت لعبيد الله ما فعل الناس أين زبونك قال قدم **التنين** فأخذهم قدم وكيع بن الجراح تركو ني وحدي قال أبو بكر (٣) وأخبرنا إبراهيم بن مخلد نا أحمد (٤) بن محمد الحكيمي نا أحمد ابن محمد البرتي (٥) نا القعنبي قال كنا عند حماد بن زيد سنة سبعين وكان عنده وكيع بن الجراح فلما قام قالوا هذا رواية سفيان فقال هذا إن شئتم وكان عنده وكيع بن الجراح أرجح من سفيان انبأنا أبو علي الحسن بن أحمد أنا أبو نعيم الحافظ (٦) نا إبراهيم هو ابن عبد الله

---

(١) رواه أبو بكر الخطيب في تاريخ بغداد ١٣ / ٥٠٩ - ٥١٠ وتهذيب الكمال ١٩ / ٤٠١

(٢) كذا بالأصل وم و " ز " وفي تاريخ بغداد: قاعد

(٣) تاريخ بغداد ١٣ / ٤٩٩

(٤) كذا بالأصل وم و " ز " وفي تاريخ بغداد: محمد بن أحمد الحكيمي

(٥) في " ز ": " البرقي "

(٦) رواه أبو نعيم الحافظ في حلية الأولياء ٨ / ٣٦٩." [١]

"عدد مؤثري الصعود خمسين ألفا من الرجال غير النساء والأولاد. فحصل زوربابيل ملكهم ويشوع بن يوزاداق كاهنهم. وعنهما قال ملاك الرب لزخريا النبي: ان هذين ابنا الدلال وهما يقومان بين يدي رب العالمين. فصعدت هذه الشرذمة من بني إسرائيل في السنة الاولى من ملك كورش الى أورشليم وهموا بعمارتها. ولأن الفلسطينيين مجاوريهم اعنتوهم كان تشييدهم الهيكل على التراخي في ست وأربعين سنة كما قال يوحنا الانجيلي.

ولاختلاط كورش بنسل داود قال عنه اشعيا النبي قبل ولاده: قال الله لمسيحه كورش الذي عضدت بيمينه. وعظم كورش ايضا شأن دانيال وفوض اليه سياسة ملكه. فغار لله غيرة وكسر الصنم المسمى بيل وقتل **التنين** معبود البابليين. فمقت ورمي في جب فيه سبعة أسد ونجا منها وهلك مبغضوه. ثم رأى الرؤيا على نهر الفرات وعرفه ملاك الرب مدة السنين التي بقين من السبي ومن ظهور السيد المسيح وآلامه وموته. ومات دانيال ودفن في قصر شوشن اعني مدينة ششتر [١] .

(قمباسوس بن كورش)

ملك ثماني سنين. وفي أيامه كانت يهوديث المرأة العبرية التي احتالت على الفرنا الماجوجي صاحب جيش قمباسوس وقطعت رأسه وامنت اليهود بأسه.

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ٧١/٦٣

وفي هذا الزمان كان زرادشت معلم المجوسية وأصله من بلد اذربيجان. وقيل: من بلاد اثور. وقيل: انه من تلامذة اليا النبي. وهو عرف الفرس بظهور السيد المسيح وأمرهم بحمل القرابين اليه وأخبرهم ان في آخر الزمان بكرا تحبل بجنين من غير ان يمسها رجل وعند ولادته يظهر كوكب يضيء بالنهار ويرى في وسطه صورة صبية عذراء. وأنتم يا اولادي قبل كل الأمم تحسون بظهوره. فإذا شاهدتم الكوكب امضوا حيث يهديكم واسجدوا لذلك المولود وقربوا قرابينكم فهو الكلمة مقيمة السماء.

(داريوش بن بشتسب [٢] :

ملك ستا وثلثين سنة على رأي قليميس واوسابيوس واندرونيقوس. وفي السنة الاولى من ملكه بالقرب من نجاز بنيان هيكل الرب باورشليم اعني قبله بست سنين تمت السبعون سنة التي للسبي كما اوحى الله الى ارميا النبي ان تبقى الأمة جالية ببابل. ويؤكد ذلك حجي وزخريا النبيان بابتهالهما الى الله قائلين: حتام لا ترحم أورشليم وقد اتى على خرابها سبعون سنة. وذلك إذا عددناها مبتدئين من آخر

[١-)] ششتر ر تستر وشستر.

[٢-)] بشتسب ر بستسب ويشتسب ويستسب س [؟] .

ابن العبري- ٤ ." (١)

"وبالضم مصغرا: بنين بن إبراهيم القرشي، عن سليمان بن بلال، وعنه الحسن بن القاسم البجلي.

والتنين، بمثناة وتثقيل النون المكسورتين: لقب إبراهيم بن المهدي لسواده وسمنه.

قلت: ذكر الأمير ثبير، وقد أوردته في المثلثة. انتهى.

البن جماعة.

وبنونين الأولى مفتوحة: أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن النن. روى عنه عبد العزيز بن منينا وغيره.

قلت: وبمثناة مضمومة: محمد بن أحمد بن أبي الحسين بن التن. مات سنة ٥٩٠هـ. ذكره ابن نقطة.

وقد ذكره المؤلف في النون فكرر.

بندار جماعة.

وبفتح الياء وآخره نون: يندان جد محفوظ بن عبيدة. روى عن بحير بن النضر، روى عنه المنذر بن محمد البخاري، ذكره الأمير. وقد لا يلبس.

وقد ذكر المؤكف في النون: محمد بن أحمد بن النن، بنونين أيضا. وقال: مات قبل الأربعمئة.

بهمان: قال البخاري في تاريخه في ترجمة حسان بن ثابت:." (٢)

---

(١) تاريخ مختصر الدول ابن العبري ص/٤٩

(٢) تبصير المنتبه بتحرير المشتبه ابن حجر العسقلاني ١٠٧/١

"تمام: جماعة.

وبالتخفيف: تمام بنت الحسين بن قنان، عن هبة الله بن الطبر.

وبمثلثة مضمومة: ثمام بن الليث الرملي الصائغ، من شيوخ أبي أحمد بن عدي.

قلت: ومثل بنت حسين: تمام بن كوهي في نسب بويه أمراء الديلم.

تميم كثير.

وبمثلثتين بينهما ميم ساكنة: ثمثم العبدي الراجز، كان في زمن الرشيد.

ورزين بن ثمثم الضبي، ذكره الأمير.

وبالقاف المضمومة مصغر: عمير بن قميم، عن ابن عباس، وعنه يونس بن أبي إسحاق. وأبوه ذكره البخاري.

ثميلة: أبو ثميلة يحيى بن واضح مشهور.

ومحمد بن أبي ثميلة بن عبد ربه بن سليمان بن أبي تميلة المروزي، عن محمد بن شجاع، وعنه عبد الله بن محمود. مات سنة ٢٥٠هـ.

وبالنون جماعة. أورده الأمير.

التنين: لقب إبراهيم بن المهدي.." (١)

"بالحضرة فى خدمة السلطان وتدبير الأمور. وقبل شخوصه أطلق [٥٠٠] أبا الحسن على بن عيسى وأخرجه إلى ضيعته بالصافية وأحلفه على أنه لا يسعى فى مكروهه ولا يتكلم فيه بما يقدح فى حاله ولا فيما يفسد أمره ولا يسعى فى الوزارة لنفسه ولا لغيره من سائر الناس. فحلف وخرج من وقته إلى الصافية.

ولما قرب الوزير أبو على من الموصل رحل عنها أبو محمد وتبعه الوزير إلى أن صعد جبل **التنين** ودخل بلد الزوزان فعاد حينئذ أبو على إلى الموصل وأقام بها يستخرج مال البلد ويستسلف من التجار المجهزين للدقيق مالا على أن يطلق لهم به غلات البلد فاجتمع له من ذلك أربعمائة ألف دينار.

ولما طال مقام الوزير بالموصل احتال سهل بن هاشم كاتب أبي محمد بن حمدان فبذل للوزير أبي الحسين ابن الوزير أبي على عشرة آلاف دينار حتى كتب إلى أبيه بأن الأمور بالحضرة قد اضطربت عليه وأنه متى تأخر وروده الحضرة لم يأمن حدوث [١] حادثة يبطل بها أمرهم.

فانزعج الوزير من ذلك وقلد على بن خلف بن طناب أعمال الخراج والضياع بالموصل وديار ربيعة وقلد أعمال المعاون بها ماكرد الديلمي من الساجية وتقدم بتوفية التجار ما استسلفه منهم من المال، وانحدر [٥٠١] إلى الحضرة وخرج لتلقيه الأمير أبو الفضل وأصحاب الدواوين والقواد ولقى الخليفة وانصرف إلى منزله وخلع عليه من الغد وعلى ابنه خلع منادمة وحمل إليهما ألطاف وشراب وطيب وبلور.

وكان الوزير أبو على كتب إلى الوزير ابنه قبل أن ينحدر من الموصل بإزالة التوكيل عن أبي الحسن على بن عيسى وأن يكتب

---

(١) تبصير المنتبه بتحرير المشتبه ابن حجر العسقلاني ٢٠٣/١

إليه أجمل خطاب

---

[١] . يوئس (يويس) : كذا فى الأصل. وفى مط: يونس.." (١)

"وسمع بوكيع قال هو التنين لا يقع مكانا إلا احرق ما حوله وقال أبو هشام الرفاعي دخلت المسجد الحرام فإذا عبيد الله بن موسى يحدث والناس حوله كثير قال فطفت أسبوعا ثم جئت فإذا عبيد الله قاعد وحده فقلت: ما هذا قال قدم التنين فأخذهم يعني وكيعا وقال نوح بن حبيب القومسي رأيت الثوري ومعمرا ومالكا فما رأت عيناي مثل وكيع وقال الغلابي كنا بعبادان فقال لي حماد بن مسعدة أحب أن تجيء معي إلى وكيع فجئناه فلما خرجنا قال لي حماد قد رأيت الثوري فما كان مثل هذا وقال علي بن خشرم رأيت وكيعا وما رأيت بيده كتابا قط إنما هو يحفظ فسألته عن دواء الحفظ فقال ترك المعاصي ما جربت مثله للحفظ وقال هارون الحمال ما رأيت أخشع من وكيع وكذا قال مروان بن محمد وزاد وما وصف لي أحد إلا رأيته دون الصفة إلا وكيع فإني رأيته فوق ما وصف لي وقال بن عمار أخبرت عن شريك أن رجلا ادعى عنده على آخر بمائة ألف دينار فأقر فقال أما أنه لو أنكر لم أقبل عليه شهادة أحد بالكوفة إلا شهادة وكيع وعبد الله بن نمير وقال قتيبة عن جرير جاءني بن المبارك فقلت: من دخل الكوفة اليوم قال رجل المصرين وكيع وقال يحيى بن أكثم صحبت وكيعا في الحضر والسفر فكان يصوم الدهر ويختم كل ليلة وقال سلم بن جنادة جالست وكيعا سبع سنين فما رأيته بزق ولامس حصاة ولا تحرك من مجلسه إلا مستقبل القبلة وما رأيته يحلف بالله العظيم وقال يحي بن أيوب عن معاوية الهمداني كان وكيع يوتى بطعامه ولباسه ولا يسأل عن شيء ولا يطلب شيئا وقال سعيد بن منصور قدم وكيع مكة." (٢)

"ما دام هذا الرؤاسي يحي (١) يعني وكيعا.

وقال أحمد بن سيار المروزي، عن صالح بن سفيان: لما قدم وكيع مكة انجفل الناس إليه، وحج تلك السنة غير واحد من العلماء، وكان ممن قدم عبد الرزاق، قال: فخرج ونظر إلى مجلسه فلم ير أحدا. قال: فاغتم لأجل ذلك وجعل يدخل ويخرج حتى رأى رجلا، فقال: ما للناس؟ قال: قدم وكيع بن الجراح. قال: فحمد الله، وقال: ظننت أنهم تركوا حديثي، قال: وأما أبو أسامة فخرج فلم ير أحدا، فقال: أين الناس؟ فقالوا: قدم أبو سفيان. فقال: هذا التنين لا يقع في مكان إلا أحرق ما حوله.

وقال الحسن بن الليث الرازي: سمعت أبا هشام الرفاعي، قال: دخلت مسجد (٢) الحرام، فإذا رجل جالس يحدث والناس مجتمعون عليه كثير، قال: فاطلعت فإذا عبيد الله بن موسى، فقلت: يا أبا محمد كثر الزبون كثر الزبون. قال: فدخلت الطواف، فطفت أسبوعا واحدا، قال: فخرجت فإذا عبيد الله وحده قاعدا وإذا رجل خلف إسطوانة (٣) ، الحمراء قاعدا يحدث وقد اجتمع عليه زحام مثل ما على عبيد الله وزيادة، فاطلعت فنظرت، فإذا وكيع بن الجراح، فقلت لعبيد الله: ما فعل الناس أين زبونك. قال: قدم التنين فأخذهم، قدم وكيع بن الجراح، تركوني وحدي.

---

(١) تجارب الأمم وتعاقب الهمم ابن مسكويه ٤١٨/٥

(٢) تهذيب التهذيب ابن حجر العسقلاني ١٢٩/١١

وقال نوح بن حبيب القومسي، عن عبد الرزاق: رأيت الثوري، وابن عيينة، ومعمرا، ومالكا، ورأيت ورأيت، فما رأت

(١) كتب المؤلف في حاشية نسخته: خ حيا" أي في نسخة أخرى: حيا.

(٢) ضبب عليها المؤلف لورودها هكذا، والصواب: المسجد الحرام.

(٣) ضبب عليها أيضا، والصواب: الاسطوانة.." (١)

"قال: بنين بن إبراهيم القرشي عن سليمان بن بلال وعنه الحسن بن القاسم البجلي **والتنين**: لقب إبراهيم بن المهدي لسواده وسمنه قلت: هو بكسر المثناة فوق والنون المشددة كانت أمه سوداء اسمها شكلة نسب إليها ولد سنة اثنتين وستين ومئة وتوفي سنة أربع - وقيل: سنة ثلاث - وعشرين ومئتين بسر من رأى قال: البن قلت: بضم اوله ثم نون مشددة قال: أبو القاسم بن البن الاسدي الدمشقي اكثر عنه حفيده أبو محمد وروى لنا جماعة عن أبي محمد قلت: أبو القاسم هو الحسين بن الحسن بن محمد بن البن الاسدي وحفيده أبو محمد الحسن بن علي بن الحسين روى عنه ابن البخاري وآخرون لم يعرف له سماع من غير جده وروى عن الأمير بدمشق سنة خمس وعشرين وست مئة وله نحو من ثمان وثمانين سنة.." (٢)

"قال سلام الترجمان: سألت من هناك هل رأيتم قط أحدا منهم؟ فأخبروا أنهم رأوا منهم عددا كثيرا فوق شرفات السد، فهبت بهم ريح عاصف فرمت منهم ثلاثة، كل واحد منهم طوله دون ثلاثة أشبار، ولهم مخاليب موضع الأظفار، وأنياب وأضراس كالسباع، وإذا أكلوا بها يسمع لأكلهم حركة قوية، ولهم أذنان عظيمتان يفترشون الواحدة ويلتحفون الأخرى.

فكتب سلام هذه الصفات كلها في كتاب ورجع إلى الخليفة الواثق بالله.

وقد ذكر بعض أهل العلم أن يأجوج ومأجوج يرزقون **التنين**، يقذفه عليهم السحاب فيأكلونه، وإنما يقذف عليهم ذلك في أيام الربيع في كل عام، فإذا تأخر ذلك عن وقته المعهود استمطروه كما يستمطر الناس الغيث. وحكى صاحب كتاب العجائب أن في داخل بلاد يأجوج ومأجوج نهرا يسمى المسهر لا يعرف له قعر، وإذا تقاتلوا وأسر بعضهم طرحوا الأسرى في ذلك النهر فيرون عند ذلك طيورا عظاما تخرج إلى من يطرح في ذلك النهر من كهوف هناك في جانبي الوادي، فتخطفهم قبل أن يصلوا إلى الماء وترتفع بهم إلى تلك الكهوف فتأكلهم هناك. ويقال إن بهذا الوادي نارا تتأجج طول الزمان بقدرة الله تعالى وليس وراء يأجوج ومأجوج إلا المحيط والله سبحانه وتعالى أعلم: " وما يعلم جنود ربك إلا هو وما هي إلا ذكرى للبشر ". " ويخلق ما لا تعلمون، وعلى الله قصد السبيل ".

انتهى فصل البلدان والأقطار ولنسرع الآن في ذكر الجبال والبحار والجزائر والآبار وما بها من العجائب للاعتبار.." (٣)

(١) تهذيب الكمال في أسماء الرجال المزي، جمال الدين ٤٧٩/٣٠

(٢) توضيح المشتبه ابن ناصر الدين الدمشقي ٦١٨/١

(٣) خريدة العجائب وفريدة الغرائب ابن الوردي الحفيد، سراج الدين ص/١٨٩

"يتكلمون بكلام لا يفهم ولا فرق بين الرجال والنساء عندهم إلا بالذكر والفرج، ولباسهم ورق الشجر ويحاربون الدواب البحرية و يأكلونها.

وجزيرة حسرات: وهي جزيرة واسعة فيها جبل عال، وفي سفحه أناس سمر قصار لهم لحى طوال تبلغ ركبهم، وجوههم عراض ولهم آذان كبار وعيشتهم من الحشيش، وعندهم نهر صغير عذب.

وجزيرة العرر: وهي جزيرة طويلة عريضة، كثيرة الأعشاب والنباتات والأشجار والثمار.

جزيرة المستشكين: وتعرف بجزيرة التنين. وهي عظيمة بها أشجار وأنهار وثمار، وبها مدينة عظيمة، وكان بها التنين العظيم الذي قتله الاسكندر. وكان من حديثه أنه ظهر بها تنين عظيم، فكاد أن يهلك الجزيرة وما بها من السكان والحيوان، فاستغاث الناس منه إلى الإسكندر وكان الإسكندر قد قارب تلك الأرض، وشكوا إليه أن التنين قد أكل مواشيهم وأتلف أموالهم وقطع الطريق على الناس وأن له عليهم في كل يوم ثورين عظيمين ينصبونهما فيأتي إليهما كالسحابة السوداء وعيناه تتوقدان كالبرق الخاطف، والنار والدخان يخرجان من فيه فيبتلع الثورين ويرجع إلى مكانه.." (١)

"فسار الإسكندر إلى المدينة وأمر بالثورين فسلخا وحشا جلودهما زفتا وكبريتا وزرنيخا وكلسا ونفطا وزئبقا، وجعل مع ذلك كلاليب من حديد وأقامهما في المكان المعهود، فجاء التنين من الغد إليهما على العادة فابتلعها، فأضرمت النار في جوفه وتعلقت الكلاليب بأحشائه، وسرى الزئبق في جسده ورجع مضطربا إلى مقره. فانتظروه من الغد فلم يأت ولم يخرج، فذهبوا إليه فإذا هو ميت وقد فتح فاه كأوسع قنطرة وأعلاها. ففرحوا وشكروا سعي الإسكندر إليهم وحملوا إليه هدايا عجيبة منها دابة عجيبة يقال لها المعراج مثل الأرنب، أصفر اللون وعلى رأسه قرن واحد أسود لم يرها شيء من السباع الضواري والوحوش الكاسرة إلا هرب منها.

جزيرة قلهات: وهي جزيرة كبيرة وبها خلق مثل خلق الإنسان، إلا أن وجوههم وجوه الدواب يغوصون في البحر فيخرجون ما يقدرون عليه من الدواب البحرية فيأكلونها.

جزيرة الأخوين الساحرين: أحدهما شرهام والآخر شبرام، وكانا بهذه الجزيرة يقطعان الطريق على التجار، فمسخا حجرين قائمين في البحر، وعمرت الجزيرة بعدهما.

جزيرة الطيور: ويقال إن فيها جنسا من الطيور في هيئة العقبان، حمر ذوات مخاليب تصيد دواب البحر. وبهذه الجزيرة ثمر يشبه التين، أكله ينفع من جميع السموم. حكى الجواليقي أن ملكا من ملوك فرنجة أخبر بذلك فوجه إليها مركبا ليجلب له من ذلك الثمر ويصاد له من تلك الطيور، لأنه كان عالما بمنافع تلك." (٢)

"جزيرة القندج: فيها صنم من رخام أخضر ودموعه تسيل على مر الأيام والليالي فإذا دخل الريح في جوفه صفر صفيرا عجيبا. ذكر المسافرون أنه يبكي على قوم كانوا يعبدونه من دون الله، وقيل إن بعض الملوك غزا عباد ذلك الصنم فأفناهم وأبادهم عن آخرهم واجتهد في كسر ذلك الصنم فلم يقدر ولم تعمل فيه الآلة، وكلما ضربوه بمعول عاد الضرب إلى

---

(١) خريدة العجائب وفريدة الغرائب ابن الوردي الحفيد، سراج الدين ص/١٩٦

(٢) خريدة العجائب وفريدة الغرائب ابن الوردي الحفيد، سراج الدين ص/١٩٧

الضارب فقتله. فتركوه وانصرفوا.

جزيرة سرندوسة: وهي كبيرة عامرة، بها أشجار وأنهار وثمار، وعند أهلها من الذهب ما لا يكيف: فماعونهم ذهب، وآنيتهم ذهب، وقدورهم ذهب، وخوابيهم ذهب، وسلاحهم ذهب، ولهم ملك يدفع لهم كل من يقصدهم أو يقصد الخروج من عندهم بشيء من ذلك. وعجائب هذا البحر كثيرة: وذكر أن العنبر الخالص ينبت في قعر هذا البحر كما ينبت القطن في الأرض، فإذا اضطرب البحر قذف به، وربما أكل منه الحوت العظيم الجرم فيموت فيطفو على وجه الماء في اليوم الثالث فيجذبه أهل المراكب بالكلاليب إلى الساحل فيأخذون العنبر من جوفه.

وملكان: نوع من السمك يطفو على وجه البحر في ثالث عشر كانون الثاني، يدل ذلك على خروج ريح يضطرب لها البحر حتى يصل الاضطراب إلى بحر فارس، ويشتد هيجانه ويتكدر لونه وتنعقد ظلمته بعد طفو هذا السمك بيوم واحد.

ومنها الأمشور: وهو سمك يأتي بالبصرة في وقت معين، فيبقى مدة شهرين وينقطع فلا يعود إلا في ذلك الوقت بعينه من العام القابل.

والجراف: أيضا سمك وأوانه مثل أوانه وانقطاعه.

ومنها: حيوان يعرف **بالتنين** شر من الكوسج، طوله كالنخلة السحوق، أحمر العينين كريه المنظر، له أنياب كأسنة الرماح، يقهر الحيوانات كلها حتى الكوسج.." (١)

"سمكة عظيمة فجذبوها بالكلاليب والحبال، فانتفخت أذن السمكة فخرج منها جارية بيضاء حمراء طويلة الشعر، سوداؤه، حسنة الصورة طويلة القامة كأنها القمر البدر، وهي تضرب وجهها وتنتف شعرها وتصيح، وفي وسطها غشاء لحمي كالثوب الضيف من سرتها إلى ركبتها كأنه إزار مشدود عليها. فما زالت كذلك حتى ماتت.

ومنها **التنين**: ذكروا أنه يرتفع من هذا البحر تنين عظيم يشبه السحاب الأسود وينظر إليه الناس. وزعموا أنها دابة عظيمة في البحر تؤذي دوابه فيبعث الله عليها سحابا من سحب قدرته فيحملها ويخرجها من البحر. وهي صفة حية سوداء لا يمر ذنبها على شيء من الأبنية العظام إلا سحقته وهدمته، ولا من الأشجار إلا هدتها. وربما تنفست فاحترقت الأشجار والنبات.

قال: فيلقيها السحاب في الجزائر التي بها يأجوج ومأجوج فتكون لهم غذاء. وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما هذا القول.

وحكي أن الإسكندر لما أن فرغ من السد وأحكمه سر بذلك سرورا عظيما، وأمر بسرير فنصب له على السد فرقي عليه وحمد الله تعالى وأثنى عليه ثم قال: يا رب الأرباب ومسهل الصعاب، أنت ألهمتني بسد هذا المكان صونا للبلاد وراحة للعباد وقمعا لهذا العدو المطبوع على الفساد، فأحسن لي المثوبة في يوم المعاد، ورد غربتي." (٢)

---

(١) خريدة العجائب وفريدة الغرائب ابن الوردي الحفيد، سراج الدين ص/٢٢٦

(٢) خريدة العجائب وفريدة الغرائب ابن الوردي الحفيد، سراج الدين ص/٢٤٤

"هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله

لان يحتطب أحدكم على ظهره فبقى به وجهه خير من أن يسأل رجلا أعطاه أو منعه قلت ويناسبه ما رأيته فى تاريخ النجم الكواكبى فى ترجمة الفارضى المصرى أوحى الله تعالى الى موسى عليه الصلاة والسلام لأن تدخل يدك فى فم **التنين** خير من أن تبسطها الى غنى قد نشأ فى الفقر ومما اتفق لصاحب الترجمة ان قاضيا شريفا فاضلا تولى قضاء المحلة فأرسل اليه بعد قدومه اليها يطلب منه المناظرة ليتبين له حاله لما بلغه ما هو عليه من كمال الفضل فأتاه فقال له المناظرة منتهى مقصود العلماء ودأبهم قديما وحديثا فقال له صاحب الترجمة لا بأس بذلك لولا أنك شريف لقوله

قدموا قريشا ولا تقدموها وقد قال بعض شراح الحديث فى معناه أى لا تغالبوها والمناظرة مغالبة وقد نهينا عنها معكم فاستحسن القاضى جوابه وسرعة استحضاره وتركها وزاد فى اجلاله وكانت وفاته بالمحلة الكبرى فى سنة تسعين وألف

الملا على الكوراتى الشافعى امام مسجد النبى جرجيس عليه السلام بمدينة الموصل أحد أكابر المحققين له مؤلفات حسنة منها حاشية على شرح الشمسية للقطب وحاشية على شرح عقائد النسفى للتفتازانى وكانت وفاته فى سنة أربع وتسعين وألف بالموصل ودفن بالمسجد المذكور

عماد الدين بن عبد الرحمن بن محمد العمادى مفتى الحنفية بالشام وابن مفتيها كان فاضلا وقورا سليم الصدر نحيف الجسم متواضعا صامتا صادق الود وثيق العهد طاهر الفم والذيل عما يشينه قرأ على والده وعلى الحسن البوريني والشيخ تاج الدين القرعوني والشمس محمد بن محب الدين وأخذ عن الشهابين العيثاوى والوفائى ولازم من المولى مصطفى بن عزمى ودرس أولا بالشبلية فراغا من والده له ولما مات أبوه أراد أن يصير مفتيا مكانه فما قدرت له ووجهت الى محمد بن قياد السكوتى الآتى ذكره ان شاء الله ثم بعد وفاة السكوتى وجهت اليه وعظمت حرمته وأقبلت عليه كبراء وقته وعظمته حكام الشام وأعيانها ونفذت كلمته عند الخاص والعام وخدمته الافاضل وكان مع هذا لا يرى لنفسه وجودا وكان له فى الصلاح والتقوى قدم راسخة وذكر لى والدى المرحوم انه سمع بعض المجاذيب بمصر يقول ان صاحب الترجمة له رتبة بين الاولياء وهو لا يعرف نفسه وأقام ثمانى عشرة سنة." (١)

"(ومهتوكة بالاجلد عنها سجوفها ... كعاب كقرن الشمس حين تبدت)

(فلا بات ليل الشامتين بغبطة ... ولا بلغت آمالها ما تمنت)

فقال يا أمير المؤمنين لوعة غلبتني وروعة فاجأتني ونعمة سلبتها بعد أن غمرتني فإن عاقبت فبحقك وإن عفوت فبفضلك فدمعت عينا المأمون وأمر له بجائزة حكى الصولي أنه كان يحب اللعب بالشطرنج واقترح فيه شيئا وكان ينهى أن يقول الشخص تعال نلعب ويقول بل نتناقل ولم يكن به حاذقا وكان يقول أنا أدبر الدنيا وأتسع لها وأضيق عن تدبير شبرين وله فيه // (من البسيط) //

(أرض مربعة حمراء من أدم ... ما بين إلفين معروفين بالكرم)

(١) خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر المحبي ٣/٢٠٣

(تذاكرا الحرب فاختالا لها حيلا ... من غير أن يأثما فيها بسفك دم)

(هذا يغ ير على هذا وذاك على ... هذا يغير وعين الحزم لم تنم)

(فانظر إلى فطن جالت بمعرفة ... في عسكرين بلا طبل ولا علم)

ونظر المأمون إلى عمه إبراهيم بن المهدي وكان يلقب **بالتنين** لسمنه فقال له ما أظنك عشقت قد ثم أنشد // (من السريع) //

(وجه الذي يعشق معروف ... لأنه أصفر منحوف)

(ليس كمن يأتيك ذا جثة ... كأنه للذبح معلوف)

وعن المأمون قال ما أعياني قط جواب إلا جواب ثلاثة صرت إلى أم ذي الرياستين الفضل بن سهل أعزيها فيه فقلت لا تأسى عليه فإني عوضه لك قالت يا أمير المؤمنين كيف لا أحزن على ولد أكسبني مثلك وأتيت بمتنبئ فقلت له من أنت قال أنا موسى بن عمران قلت ويحك موسى له آيات فائتني بها حتى أومن بك قال إنما أتيت بهذه المعجزات لفرعون إذ قال أنا ربكم الأعلى فإن قلت ذلك أتيتك بالآيات قال وأتى أهل الكوفة يشكون عاملهم فقال خطيبهم هو شر عامل أما في أول سنة فإنا بعنا الأثاث وفي الثانية بعنا العقار وفي الثالثة نزحنا عن بلادنا وأتيناك نستغيث فقلت كذبت بل هو رجل قد حمدت مذهبه ورضيت دينه فاخترته معرفة بكم وقد تقدم سخطكم على." (١)

"الكوفةقلت: في بني رؤاس. قال: أين من منزل الجراح بن مليحقلت: ذاك أبي؟ وكان على بيت المال. قال لي اذهب، فجئني بعطائي، وتعال حتى أحدثك بخمسة أحاديث. فجئت إلى أبي، فأخبرته، قال: خذ نصف العطاء، واذهب، فإذا حدثك بالخمسة، فخذ النصف الآخر، حتى تكون عشرة. فأتيته بنصف عطائه، فوضعه في كفه، وقال: هكذا. ثم سكت، فقلت: حدثني. فأملى علي حديثين، فقلت: وعدتني بخمسة. قال: فأين الدراهم كلهاأحسب أن أباك أمرك بهذا، ولم يدر أن الأعمش مدرب، قد شهد الوقائع، اذهب، فجئني بتمامه، فجئته، فحدثني بخمسة، فكان إذا كان كل شهر، جئته بعطائه، فحدثني بخمسة أحاديث.

قال قاسم بن يزيد الجرمي: كان الثوري يدعو وكيعا وهو غلام، فيقول: يا رؤاسي! تعال، أي شيء سمعتفيقول: حدثني فلان بكذا، وسفيان يتبسم، ويتعجب من حفظه.

قال ابن عمار: ما كان بالكوفة في زمان وكيع أفقه ولا أعلم بالحديث من وكيع، وكان جهبذا سمعته يقول: ما نظرت في كتاب منذ خمس عشرة سنة، إلا في صحيفة يوما. فقلت له: عدوا عليك بالبصرة أربعة أحاديث غلطت فيها. قال: وحدثتهم بعبادان بنحو من ألف وخمسمائة، أربعة أحاديث ليست بكثيرة في ذلك.

---

(١) سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي العصامي ٤٤٢/٣

وقال يحيى بن معين: سمعت وكيعا يقول: ما كتبت عن الثوري قط، كنت أتحفظ، فإذا رجعت إلى المنزل كتبتها.
قال محمد بن عمران الأخنسي: سمعت يحيى بن يمان يقول: نظر سفيان إلى عيني وكيع، فقال: لا يموت هذا الرؤاسي حتى يكون له شأن. فمات سفيان، وجلس وكيع مكانه.
قال أحمد بن أبي الحواري: قلت لأبي بكر بن عياش: حدثنا. قال: قد كبرنا ونسينا الحديث، اذهب إلى وكيع في بني رؤاس.
قال الشاذكوني: قال لنا أبو نعيم يوما: ما دام هذا **التنين** حيا -يعني: وكيعا- ما يفلح أحدا معه.
قلت: كان وكيع أسمر، ضخما، سمينا.
قال ابن عدي: حديث عن نوح بن حبيب، عن عبد الرزاق، قال: رأيت الثوري، وابن عيينة، ومعمرا، ومالكا، ورأيت ورأيت، فما رأت عيناي قط مثل وكيع.." (١)

"١٧٢٩- إبراهيم بن المهدي ١:
الأمير الكبير أبوإسحاق الملقب: بالمبارك إبراهيم بن أمير المؤمنين محمد بن أبي جعفر الهاشمي العباسي الأسود.
ويعرف: **بالتنين** للونه وضخامته.
كان فصيحا بليغا عالما أديبا شاعرا رأسا في فن الموسيقى.
ويقال له: ابن شكلة وهي أمه.
حدث عن: المبارك بن فضالة وحماد الأبح.
روى عنه: ولده هبة الله وحميد بن فروة، وأحمد بن الهيثم وغيرهم.
قال علي بن المغيرة الأثرم: حدثنا إبراهيم: أنه ولي إمرة دمشق أعواما لم يقطع فيها على أحد طريق، وحدثت أن الآفة في قطع الطريق من دعامة، ونعمان، ويحيى بن أرميا اليهودي البلقاوي، وأنهم لم يضعوا يدهم في يد عامل فكاتبتهم فتاب دعامة وحلف النعمان بالأيمان أنه لا يؤذي مهما وليت. وطلب ابن أرميا أمانا ليأتي، ويناظر فأجبته فقدم شاب أشعر أمعر في أقبية ديباج، ومنطقة وسيف محلى فدخل على الخضراء فسلم دون البساط فقلت: اصعد قال: إن للبساط ذماما أخاف أن يلزمني جلوسي عليه وما أدري ما تسومني قلت: أسلم، وأطع قال: أما الطاعة فأرجو ولا سبيل إلى الإسلام فما عندك إن لم أسلم؟ قلت: لا بد من جزية. قال: أعفني قلت: كلا. قال: فأنا منصرف على أماني فأذنت له وأمرتهم أن يسقوا فرسه فلما رأى ذلك دعا بدابة غلامه وترك فرسه وقال: لن آخذ شيئا ارتفق منكم فأحاربكم عليه. فاستحييت، وطلبته فلما دخل قلت:

---

١ ترجمته في مروج الذهب "٧/ ٩٦"، والأغاني لأبي الفرج الأصبهاني "١٠/ ٩٥"، وتاريخ بغداد "٦/ ١٤٢"، والإكمال لابن ماكولا "١/ ٥١٨"، والأنساب للسمعاني "٣/ ٩٧"، واللباب لابن الأثير "١/ ٢٢٦"، ووفيات الأعيان "١/ ترجمة

---

(١) سير أعلام النبلاء ط الحديث الذهبي، شمس الدين ٧/٥٦٢

٩"، والعبر "١/ ٣٨٩"، ولسان الميزان "١/ ٩٨"، والنجوم الزاهرة لابن تغري بردي "٢/ ٢٤٠"، وشذرات الذهب لابن العماد "٢/ ٥٣".." (١)

"السلمي: سمعت محمد بن أحمد بن الحسن الوراق: سمعت إبراهيم بن عبد الله القلانسي الرازي يقول: لما صلب الحلاج -يعني: في النوبة الأولى- وقفت عليه، فقال: إلهي! أصبحت في دار الرغائب أنظر إلى العجائب، إلهي! إنك تتودد إلى من يؤذيك، فكيف لا تتودد إلى من يؤذى فيك.

السلمي: سمعت أبا العباس الرازي يقول: كان أخي خادما للحلاج، فلما كانت الليلة التي يقتل فيها من الغد، قلت: أوصني يا سيدي. فقال: عليك نفسك، إن لم تشغلها شغلتك. فلما أخرج، كان يتبختر في قيده، ويقول:

نديمي غير منسوب ... إلى شيء من الحيف

سقاني مثل ما يشر ... ب فعل الضيف بالضيف

فلما دارت الكأس ... دعا بالنطع والسيف

كذا من يشرب الكأس ... مع التنين في الصيف

ثم قال: ﴿يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون أنها الحق﴾ [الشورى: ١٨] ، ثم ما نطق بعد.

وله أيضا:

يا نسيم الريح قولي للرشا ... لم يزدني الورد إلا عطشا

روحه روحي وروحي فله ... إن يشا شئت وإن شئت يشا

وقال أبو عمر بن حيويه: لما أخرج الحلاج ليقتل، مضيت وزاحمت حتى رأيته، فقال لأصحابه: لا يهولنكم، فإني عائد إليكم بعد ثلاثين يوما. فهذه حكاية صحيحة توضح لك أن الحلاج ممخرق كذاب، حتى عند قتله.

وقيل: إنه لما أخرج للقتل، أنشد:

طلبت المستقر بكل أرض ... فلم أر لي بأرض مستقرا

أطعت مطامعي فاستعبدتني ... ولو أني قنعت لكنت حرا

قال أبو الفرج بن الجوزي: جمعت كتابا سميته: "القاطع بمحال المحاج بحال الحلاج". وبلغ من أمره أنهم قالوا: إنه إله، وإنه يحيي الموتى.." (٢)

"قال ابن قانع: مات سنة خمس وعشرين ومائتين.

١٩٢ - إبراهيم بن المهدي *

---

(١) سير أعلام النبلاء ط الحديث الذهبي، شمس الدين ٥٣٩/٨

(٢) سير أعلام النبلاء ط الحديث الذهبي، شمس الدين ٢١٣/١١

الأمير الكبير، أبو إسحاق، الملقب: بالمبارك؛ إبراهيم ابن أمير المؤمنين؛ محمد بن أبي جعفر الهاشمي، العباسي، الأسود.

ويعرف: **بالتنين**؛ للونه، وضخامته.

كان فصيحا، بليغا، عالما، أديبا، شاعرا، رأسا في فن الموسيقى.

ويقال له: ابن شكلة (١) ؛ وهي أمه.

حدث عن: المبارك بن فضالة، وحماد الأبح.

روى عنه: ولده؛ هبة الله، وحميد بن فروة، وأحمد بن الهيثم، وغيرهم.

قال علي بن المغيرة الأثرم: حدثنا إبراهيم:

أنه ولي إمرة دمشق أعواما لم يقطع فيها على أحد طريق، وحدثت أن الآفة في قطع الطريق من دعامة

(*) تاريخ خليفة: ٤٥٧، ٤٧٠، ٤٧٣، الطبري ٨ / ٥٥٥، ٥٥٧، ٥٦٩، ٥٧٠، ٥٧١، ٦٠٣، ٦٠٤ - ٦٠٧، ٦٦١ وغيرها، مروج الذهب ٧ / ٦٩، الاغاني ١٠ / ٩٥، ١٥٠، الفهرست: ١٢٩، تاريخ بغداد ٦ / ١٤٢، الإكمال ١ / ٥١٨، الأنساب ٣ / ٩٧، الكامل لابن الأثير ٦ / ٣٤١، ٣٥١، ٣٥٣، ٣٥٤، ٥٠٨، اللباب ١ / ٢٢٦، وفيات الأعيان ١ / ٣٩، العبر ١ / ٣٨٩، الوافي بالوفيات ٦ / ١١٠، ١١٣، البداية والنهاية ١٠ / ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥١، وغيرها، لسان الميزان ١ / ٩٨، النجوم الزاهرة ٢ / ٢٤٠، ٢٤١، أشعار أولاد الخلفاء: ١٧ - ٤٩، شذرات الذهب ٢ / ٥٣، تهذيب تاريخ ابن عساكر ٢ / ٢٢٦ - ٢٨٨.

(١) ضبطها ابن خلكان بفتح الشين وكسرها، وسكون الكاف، وبعد اللام هاء. " وفيات الأعيان " ١ / ٣٩.." (١)

"نديمي غير منسوب ... إلى شيء من الحيف

سقاني مثل ما يشر ... ب فعل الضيف بالضيف

فلما دارت الكأس ... دعا بالنطع والسيف

كذا من يشرب الكأس ... مع **التنين** في الصيف (١)

ثم قال: ﴿يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها، والذين آمنوا مشفقون منها، ويعلمون أنها الحق﴾ [الشورى:١٨] ، ثم ما نطق بعد.

وله أيضا (٢) :

يا نسيم الريح قولي (٣) للرشا: ... لم يزدني الورد إلا عطشا

روحه روحي وروحي فله ... إن يشا شئت، وإن شئت يشا

وقال أبو عمر بن حيويه: لما أخرج الحلاج ليقتل، مضيت وزاحمت حتى رأيته، فقال لأصحابه: لا يهولنكم، فإني عائد إليكم بعد ثلاثين يوما.

---

(١) سير أعلام النبلاء ط الرسالة الذهبي، شمس الدين ١٠/٥٥٧

فهذه حكاية صحيحة توضح لك أن الحلاج ممخرق كذاب، حتى عند قتله.

وقيل: إنه لما أخرج للقتل، أنشد:

طلبت المستقر بكل أرض ... فلم أر لي بأرض مستقرا

أطعت مطامعي فاستعبدتني ... ولو أني قنعت لكنت حرا (٤)

قال أبو الفرج ابن الجوزي: جمعت كتابا سميته: (القاطع بمحال

---

(١) الابيات في " ديوان الحلاج " ص ٧٣، وانظر الخبر أيضا في " تاريخ بغداد " ٨ / ١٣١ ١٣٢، و" المنتظم " ٦ / ١٦٤ ١٦٣، و" أخبار الحلاج " ص ٣٥ ٣٤.

(٢) والبيتان في " ديوانه " ص ٦٩ ٦٨.

(٣) في الأصل " قولا " وما أثبتناه من الديوان.

(٤) الخبر والبيتان في " تاريخ بغداد " ٨ / ١٣٠، و" المنتظم " ٦ / ١٦٤، و" وفيات الأعيان " ٢ / ١٤٤.." [1]

"حديث أبي إسحاق.

وقال أبو زرعة: صدوق، من أهل العلم.

وقال أبو حاتم: ثقة، صاحب سنة، هو أحب إلي من أبي عوانة، وأحفظ من شريك وأبي بكر بن عياش.

قال: وكان عرض حديثه على سفيان الثوري.

قال أحمد العجلي: ثقة، صاحب سنة، لا يحدث أحدا حتى يسأل عنه، فإن كان صاحب سنة، حدثه، وإلا لم يحدثه، وكان قد عرض حديثه على سفيان، وروى عنه سفيان.

قلت: وقد كان صنف حديثه، وألف في القراءات، وفي التفسير والزهد.

قال أحمد بن يونس: رأيت زهير بن معاوية جاء إلى زائدة، فكلمه في رجل يحدثه، فقال: أمن أهل السنة هو؟

قال: ما أعرفه ببدعة.

فقال: من أهل السنة هو؟

فقال زهير: متى كان الناس هكذا؟

فقال زائدة: متى كان الناس يشتمون أبا بكر وعمر -رضي الله عنهما (١) -؟

قال النسائي، وغيره: ثقة.

وقال مطين: مات في أرض الروم، عام غزا الحسن بن قحطبة (٢) ، سنة

---

(١) الخبر في " تهذيب التهذيب ": ٣ / ٣٠٧.

---

(١) سير أعلام النبلاء ط الرسالة الذهبي، شمس الدين ٣٤٦/١٤

(٢) الحسن بن قحطبة الطائي: أحد القادة الشجعان المقدمين في بدء العصر العباسي، استخلفه المنصور سنة (١٣٦ هـ) على أرمينية، ثم استقدمه سنة (١٣٧ هـ) لمساعدة أبي مسلم الخراساني على قتال عبد الله بن علي.

وسيره سنة (١٤٠) مع عبد الوهاب بن إبراهيم الامام في سبعين ألفا إلى ملطية، فكان للحسن فيها أثر عظيم، وغزا الصائفة سنة (١٦٢ هـ) في ثمانين ألفا، فأوغل في بلاد الروم، وسمته لروم " **التنين** ".

توفي في بغداد سنة (١٨١ هـ) .

(عن أعلام الزركلي) .." [1]

"ولم يدر أن الأعمش مدرب، قد شهد الوقائع، اذهب، فجئني بتمامه.

فجئته، فحدثني بخمسة، فكان إذا كان كل شهر، جئته بعطائه، فحدثني بخمسة أحاديث.

قال قاسم بن يزيد الجرمي: كان الثوري يدعو وكيعا وهو غلام، فيقول: يا رؤاسي! تعال، أي شيء سمعت؟

فيقول: حدثني فلان بكذا، وسفيان يتبسم، ويتعجب من حفظه.

قال ابن عمار: ما كان بالكوفة في زمان وكيع أفقه ولا أعلم بالحديث من وكيع، وكان جهبذا، سمعته يقول: ما نظرت في كتاب منذ خمس عشرة سنة، إلا في صحيفة يوما.

فقلت له: عدوا عليك بالبصرة أربعة أحاديث غلطت فيها.

قال: وحدثتهم بعبادان بنحو من ألف وخمس مائة، أربعة أحاديث ليست بكثيرة في ذلك.

قال يحيى بن معين: سمعت وكيعا يقول:

ما كتبت عن الثوري قط، كنت أتحفظ، فإذا رجعت إلى المنزل، كتبتها.

قال محمد بن عمران الأخنسي: سمعت يحيى بن يمان يقول:

نظر سفيان إلى عيني وكيع، فقال: لا يموت هذا الرؤاسي حتى يكون له شأن.

فمات سفيان، وجلس وكيع مكانه.

قال أحمد بن أبي الحواري: قلت لأبي بكر بن عياش: حدثنا.

قال: قد كبرنا ونسينا الحديث، اذهب إلى وكيع في بني رؤاس.

قال الشاذكوني: قال لنا أبو نعيم يوما:

ما دام هذا **التنين** حيا -يعني: وكيعا- ما يفلح أحد معه.

قلت: كان وكيع أسمر، ضخما، سمينا.

قال ابن عدي: حدثت عن نوح بن حبيب، عن عبد الرزاق،." [2]

---

(١) سير أعلام النبلاء ط الرسالة الذهبي، شمس الدين ٣٧٧/٧

(٢) سير أعلام النبلاء ط الرسالة الذهبي، شمس الدين ١٤٦/٩

"الإسلام الوالد حين كان بالقاهرة سنة اثنتين وخمسين، وكان بدينا سمينا، فقال الوالد يداعبه:

الفارضي الحنبلي الرضي ... في النحو والشعر عديم المثيل

قيل ومع ذا فهو ذو خفة ... فقلت كلا بل رزين ثقيل

واستشهد الشيخ شمس الدين العلقمي [١] بكلامه في «شرح الجامع الصغير» فمن ذلك قوله في معنى ما رواه الدينوري في «المجالسة» والسلفي في بعض تخاريجه، عن سفيان الثوري قال: «أوحى الله تعالى إلى موسى عليه الصلاة والسلام: لأن تدخل يدك إلى المنكبين في فم التنين خير من أن ترفعها إلى ذي نعمة قد عالج الفقر» :

إدخالك اليد في التنين تدخلها ... لمرفق منك مستعد فيقضمها

خير من المرء يرجى في الغنى وله ... خصاصة سبقت قد كان يسنمها

ومن بدائع شعره:

إذا ما رأيت الله للكل فاعلا ... رأيت جميع الكائنات ملاحا

وإن لا ترى إلا مضاهي صنعه ... حجبت فصيرت المساء صباحا

ومن محاسنه أيضا أنه صلى شخص إلى جانبه ذات يوم فخفف جدا، فنهاه فقال: أنا حنفي، فقال الفارضي:

معاشر الناس جمعا حسبما رسمت ... أهل الهدى والحجا من كل من نبها

ما حرم العلم النعمان في سند ... يوما طمأنينة أصلا ولا كرها

وكونها عنده ليست بواجبة ... لا يوجب الترك فيما قرر الفقها

فيا مصرا على تفويتها أبدا ... عد وانتبه رحم الله الذي انتبها

انتهى ملخصا.

وأخذ عن الفارضي كثير من الأجلاء، منهم العلامة شمس الدين محمد

---

[١] تقدمت ترجمته في وفيات سنة (٩٦٣) من هذا المجلد ص (٤٩٠) .." [(١)]

"سنة أربع وعشرين ومائتين

فيها زلزلت مدينة فرغانة فمات منها أكثر من خمسة عشر ألفا، قاله [١] في «الشذور» .

وفيها ظهر مازيار بطبرستان، وخلع المعتصم، فسار لحربه عبد الله ابن طاهر، وظلم مازيار وعسف، وصادر، وخرب أسوار آمل، والري، وجرجان، وجرت له حروب وفصول، ثم اختلف [٢] عليه جنده، إلى أن قتل في السنة الآتية.

وفيها توفي الأمير إبراهيم بن المهدي بن محمد المنصور العباسي الأسود، ولذلك ولضخامته يقال: له التنين. ويقال له: ابن شكله، وهي أمه. وكان فصيحا أديبا [٣] شاعرا محسنا [٤] رأسا في معرفة الغناء وأنواعه.

ولي إمرة دمشق لأخيه الرشيد، وبويع بالخلافة ببغداد، ولقب بالمبارك [٥] عند ما جعل المأمون ولي عهده علي بن موسى

---

(١) شذرات الذهب في أخبار من ذهب ابن العِماد الحنبلي ٥٧٧/١٠

الرضا، فحاربه الحسن بن

---

[١] يعني الحافظ ابن الجوزي، واسم كتابه المذكور «شذور العقود في تاريخ العهود» .

[٢] في المطبوع: «اختف» وهو خطأ.

[٣] كذا في الأصل، و «العبر» للذهبي: «فصيحا أديبا» وفي المطبوع: «أديبا فصيحا» .

[٤] لفظة «محسنا» سقطت من «العبر» فتستدرك فيه.

[٥] في الأصل، والمطبوع: «المبارك» وأثبت ما في «العبر» للذهبي.." (١)

"بصيرة الولد فاغتر الولد بما عنده من العلم وظن أنه لا سر وراء معلومه ومعقوله كما قال تعالى ﴿ذلك مبلغهم من العلم﴾ وقال ﴿فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم﴾

والمغرور من اغتر بعقله فظن أن ما هو منتف عن علمه فهو منتف في نفسه

ولقد عرف أهل الكمال أن قالب الآدمي كذلك القصر وأنه معشش حيات وعقارب مهلكات وإنما رقيتها وقيدها بطريق الخاصية المكتوبات المشروعة بقوله سبحانه ﴿إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا﴾ وقوله تعالى ﴿كتب عليكم الصيام﴾

فكما أن الكلمات الملفوظة والمكتوبة في الرقية تؤثر بالخاصية في استخراج الحيات بل في استسخار الجن والشياطين وبعض الأدعية المنظومة المأثورة تؤثر في استمالة الملائكة إلى السعي في إجابة الداعي ويقصر العقل عن إدراك كيفيته وخاصيته وإنما يدرك ذلك بقوة النبوة إذا كوشف النبي بها من اللوح المحفوظ فكذلك صورة الصلاة المشتملة على ركوع واحد وسجودين وعدد مخصوص وألفاظ معينه من القرآن متلوه مختلفة المقادير عند طلوع الشمس وعند الزوال والغروب تؤثر بالخاصية في تسكين التنين المستكن في قالب الآدمي الذي يتشعب منه حيات كثيرة الرءوس بعد أخلاق الآدمي يلدغه وينهشه في القبر متمكنا من جوهر الروح وذاته أشد إيلاما من لدغ متمكن من القالب أولا." (٢)

"ثم يسري أثره إلى الروح وإليه الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم (يسلط على الكافر في قبره تنين له تسعة وتسعون رأسا صفته كذا وكذا) الحديث

ويكثر مثل هذا التنين في خلقة الآدمي ولا يقمعه إلا الفرائض المكتوبة فهي المنجيات عن المهلكات وهي أنواع كثيرة بعدد الأخلاق المذمومة ﴿وما يعلم جنود ربك إلا هو﴾

فإذن في التكليف غرضان أدرك هذا المغرور أحدهما وغفل عن الآخر

وقد وقع لأبي حنيفة مثل هذا الظن في الفقهيات فقال أوجب الله في أربعين شاة شاة وقصد به إزالة الفقر والشاة آلة في الإزالة فإذا حصل بمال آخر فقد حصل تمام المقصود

---

(١) شذرات الذهب في أخبار من ذهب ابن العِماد الحنبلي ١٠٨/٣

(٢) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي السبكي، تاج الدين ٢٧١/٦

فقال الشافعي رضي الله عنه صدقت في قولك إن هذا مقصود وركبت متن الخطر في حكمك بأنه لا مقصود سواه فبم تأمن أن يقال له يوم القيامة كان لنا سر في إشراك الغني الفقير مع نفسه في جنس ماله كما كان في رمي سبعة أحجار في الحج لو رمى بدله خمسة لآل أو خمس سكرات لم يقبله

وإذا جاز أن يتمحض التقييد في الحج وأن يتمحض المعنى المعقول في معاملات الخلق فلم يستحيل أن يجمع المعقول والتقييد جميعا في الزكاة فتكون إزالة الفقر معقولة والسر الآخر غير معقول

وزاد أبو حنيفة على هذا فقال المقصود من كلمة التكبير الثناء على الله تعالى بالكبرياء فلا فرق بينه وبين ترجمته بكل لسان وبين قوله الله أعظم." (١)

"فإذا المبتدىء في المعرفة يجرد المعاني عن الصور ويطرح الصور فيطفىء نور معرفته نور ورعه فيثور عليه **التنين** في قبره فيتعجب منه ويبدو له من الله ما لم يكم يحتسب فإذا أصابته ضربة **التنين** قال ما هذا

فيقال إنما كان ترياق هذا التين صور الفرائض المكتوبة

وإليه الإشارة بما يروى إن الميت يوضع في قبره فتأتيه ملائكة العذاب من جهة رأسه فيدفعه القرآن فتأتيه من قبل رجليه فيدفعه الحج الحديث

فإن أصر هذا المغرور على جهالته وقال من بلغ رتبة الكمال كما بلغت أمن هذا **التنين** وطهر باطنه عنه

فيقال له أنت مغرور في أمنك ﴿فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون﴾ فبم تأمن أن يكون **التنين** مستكنا في صميم الفؤاد استكنان الجمر تحت الرماد واستكنان النار في الزناد وإن مات فيعود حيا فإن منبته ومنبعه هذا القالب الذي هو ظنه الشهوات والصفات البشرية وقلع الحشيش من الأرض لا يؤمن عوده مرة أخرى بأن يتجدد نباته مهما كانت الأرض معرضة لانصباب الماء إليها من منابعها فكذلك القالب ما دام مصبا لواردات المحسوسات والشهوات لم يؤمن فيها عود النبات بعد الانقطاع والانبتات

وننبهه على هذه المعرفة والتأمل في ثلاثة أمور الأول بداية حال إبليس وأنه كيف وصف بأنه كان معلم الملائكة ثم سقط." (٢)

"ولا ينبغي أن يتوهم الولي الخلاص عن خداع إبليس مادام في هذه الحياة بل لا ينجو عنه الأنبياء حتى أجري على لسانه صلى الله عليه وسلم تلك الغرانيق العلا وإن شفاعتهن لترتجى) لكن النبي لا يقرر على الخطأ كما قال تعالى ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته﴾ الآية

وأما أذكار الصلاة فتكبير وفاتحة وتشهد لا فريضة إلا هذا فما وجه الضرورة في قوله الله أكبر وفي الحمد لله والالتجاء إليه والاستعانة وطلب الهداية إلى الصراط المستقيم وهذا مضمون الفاتحة وكل ذلك مناجاة مع الله تعالى

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي السبكي، تاج الدين ٢٧٢/٦

(٢) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي السبكي، تاج الدين ٢٧٤/٦

وإن صح ما يقوله مثلا فكل يوم الآف نفس فليصرف هذه الأنفاس المعدودة إلى الذكر والسجود ولينقص هذه اللحظات من درجات كماله ليأمن بهذه المكتوبات عن ضرر **التنين** الذي لا يعتد بشر سواه ويتخلص من خطر الخطأ في هذا الاعتقاد ولا شك في أن الخطأ ممكن فيه إن لم يكن مقطوعا به

وإن قال إن صرف القلب إلى حفظ ترتيب الأفعال والأذكار هو الذي يشغلني عن درجة القرب فهو دعوى محال لأن المقتدى لا يحتاج إلى تكلف الحفظ بل المشتهر غيره إذا حفظ بيتا مرة يناسب حاله لم يعسر التغني به." (١)

"قرأ ببغداد القراءات بكتاب «المبهج» لسبط الخياط على عبد الواحد ابن سلطان. وتفقه بها على أبي بكر بن غنيمة الحلاوي، والفخر إسماعيل، وأتقن العربية والحساب والجبر والمقابلة والفرائض على أبي البقاء العكبري، حتى قرأ عليه كتاب «الفخري» في الجبر والمقابلة. وبرع في هذه العلوم وغيرها.

قال الحافظ الذهبي: حدثني شيخنا أبو العباس بن تيمية شيخ الإسلام حفيد الشيخ مجد الدين هذا، أن جده ربي يتيما، وأنه سافر مع ابن عمه إلى العراق ليخدمه ويشتعل معه وهو ابن ثلاث عشرة سنة، فكان يبيت عنده، فيسمعه يكرر علي مسائل الخلاف [فيحفظ المسألة، فقال الفخر إسماعيل: أيش حفظ هذا **التنين**– يعني الصغير– فبدر (١)] وقال: حفظت يا سيدي الدرس، وعرضه في الحال، فبهت الفخر، وقال لابن عمه: هذا يجيء منه شيء، وحرضه على الاشتغال، قال: فشيخه في الخلاف: الفخر إسماعيل، وعرض عليه مصنفه «جنة الناظر» وكتب له عليه سنة ست وستمائة: عرض علي الفقيه الإمام العالم أوحد الفضلاء، أو نحو هذه العبارة وأخرى نحوها وهو ابن ستة عشر عاما.

قال الذهبي: قال لي شيخنا أبو العباس: كان الشيخ جمال الدين بن مالك يقول: ألين للشيخ المجد الفقه كما ألين لداود الحديد.

قال: وبلغنا أن الشيخ المجد لما حج من بغداد في آخر عمره، واجتمع به الصاحب العلامة، محيي الدين بن الجوزي، فانبهر له، وقال: هذا الرجل ما عندنا ببغداد مثله، فلما رجع من الحج التمسوا منه أن يقيم ببغداد، فامتنع، واعتل بالأهل والوطن.

---

(١) ما بين القوسين عن ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب.." (٢)

"أمر السبب في تصويره ملتحيا وتصير أبيه أمرد فبعض الناس يقول إنه صور وصيغ بهذه الحال لأنه في وقت ما أصعده الله إليه كان كذلك

والبعض قال إن السبب في ذلك أن صناعته تحتاج إلى العفة والشيخوخة

وبعض الناس قال إن السبب في تجاوزه في الحذق بصناعة الطب أباه

وإذا تأملته وجدته قائما متشمرا مجموع الثياب فيدل بهذا الشكل على أنه ينبغي للأطباء أن يتفلسفوا في جميع الأوقات وترى الأعضاء منه التي يستحى من تكشفها مستورة والأعضاء التي يحتاج إلى استعمال الصناعة بها معراة مكشوفة

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي السبكي، تاج الدين ٢٧٨/٦

(٢) طبقات المفسرين للداوودي الداوودي، شمس الدين ٣٠٤/١

ويصور آخذا بيده عصا معوجة ذات شعب من شجرة الخطمي فيدل بذلك على أنه يمكن في صناعة الطب أن يبلغ بمن استعملها من السن أن يحتاج إلى عصا يتكئ عليها أو لأن من أعطاه الله تبارك وتعالى بعض العطايا يؤهل لإعطاء عصا بمنزلة ما وهب لإيفاسطس وزوس وهرمس وبهذه العصا نجد زوس يقر أعين من يحب من الناس فينبه بها أيضا النيام

وأما تصويرهم تلك العصا من شجرة الخطمي فلأنه يطرد وينفي كل مرض

قال حنين نبات الخطمي لما كان دواء يسخن إسخانا معتدلا تهيأ فيه أن يكون علاجا كثير المنافع إذا استعمل مفردا وحده وإذا خلط بمواد أخر ما أسخن منه أو ما أبرد كما بين ذلك ديسقوريدس وسائر من تكلم فيه

ولهذا السبب نجد اسمه في اللسان اليوناني مشتقا من اسم العلاجات وذلك أنهم يدلون بهذا الاسم على أن الخطمي فيه منافع كثيرة

وقال جالينوس وأما إعوجاجها وكثرة شعبها فتدل على كثرة الأصناف والتفنن الموجود في صناعة الطب

ولن نجدهم أيضا تركوا تلك العصا بغير زينة ولا تهيئة لكنهم صوروا عليها صورة حيوان طويل العمر ملتف عليها وهو **التنين**

ويقرب هذا الحيوان من أسقليبيوس لأسباب كثيرة أحدها أنه حيوان حاد النظر كثير السهر لا ينام في وقت من الأوقات

وقد ينبغي لمن قصد تعلم صناعة الطب أن لا يتشاغل عنها بالنوم ويكون في غاية الذكاء ليمكنه أن يتقدم فينذر بما هو حاضر وبما من شأنه أن يحدث

وذلك أنك تجد أبقراط يشير بهذا الفعل في قوله إني أرى أنه من أفضل الأمور أن يستعمل الطبيب سابق النظر وذلك أنه إذا سبق فعلم وتقدم فأنذر المرضى بالشيء الحاضر مما بهم وما مضى وما يستأنف

وقد يقال أيضا في تصوير **التنين** على العصا الماسك لها أسقليبيوس قول آخر وهو هذا قالوا هذا الحيوان أعني **التنين** طويل العمر جدا حتى إن حياته يقال أنها الدهر كله وقد يمكن في المستعملين لصناعة الطب أن تطول أعمارهم

من ذلك أنا نجد ديموقريطس وأيرودوطس عندما استعملوا الوصايا التي تأمر بها صناعة الطب طالت حياتهم جدا

فكما أن هذا الحيوان أعني **التنين**." (١)

"يسلخ عنه لباسه الذي يسميه اليونانيون الشيخوخة كذلك أيضا قد يمكن الناس باستعمال صناعة الطب إذا سلخوا عنهم الشيخوخة التي تفيدهم إياها الأمراض أن يستفيدوا الصحة

وإذا صوروا أسقليبيوس جعل على رأسه إكليل متخذ من شجر الغار لأن هذه الشجرة تذهب بالحزن ولهذا نجد هرمس إذ سمي المهيب كلل بمثل هذا الإكليل فإن الأطباء ينبغي لهم أن يصرفوا عنهم الأحزان

كذلك كلل اسقليبيوس بإكليل يذهب بالحزن أو لأن الإكليل كان يعم صناعة الطب والكهانة رأوا أنه ينبغي أن يكون الإكليل الذي يتكلل به الأطباء والمتكهنون إكليلا واحدا بعينه أو لأن هذه الشجرة أيضا فيها قوة تشفي الأمراض

من ذلك إنك تجدها إذا ألقيت في بعض المواضع هربت من ذلك الموضع الهوام ذوات السموم وكذلك أيضا النبت المسمى قونورا وثمرة هذه الشجرة أيضا وهي التي تسمى حب الغار إذا مرخ بها البدن فعلت فيه شبيها بفعل الجند بيدستر

---

(١) عيون الأنباء في طبقات الأطباء ابن أبي أصيبعة ص/٣٥

وإذا صوروا ذلك التنين جعلوا بيده بيضه يومون بذلك إلى أن هذا العالم كله يحتاج إلى الطب ومثال الكل مثال البيضة وقد ينبغي لنا أن نتكلم أيضا في الذبائح التي تذبح باسم أسقليبيوس تقربا إلى الله تبارك وتعالى فنقول أنه لم يوجد أحد قرب لله قربانا باسم أسقليبيوس في وقت من الأوقات شيئا من الماعز وذلك لأن شعر هذا الحيوان لا يسهل غزله بمنزلة الصوف ومن أكثر من لحمه سهل وقوعه في أمراض الصرع لأن الغذاء المتولد عنه رديء الكيموس مجفف غليظ حريف يميل إلى الدم السوداوي

قال جالينوس بل إنما نجد الناس يقربون إلى الله تبارك وتعالى باسم أسقليبيوس ديكة ويروون أيضا أن سقراط قرب له هذه الذبيحة فبهذه الحال علم هذا الرجل الإلهي الناس صناعة الطب قنية ثابتة أفضل كثيرا من الأشياء التي استخرجها ديونوسس وديميطر

قال حنين يعني باستخراج ديونوسس الخمر وذلك أن اليونانيين يرون أن أول من استخرج الخمر ديونوسس ويومي الشعراء بهذا الاسم إلى القوة التي إذا غيرت الماء في الكرمة أعدته ليكون الخمرة والسرور المتولد عنها في شرابها وأما استخراج ديميطر فالخبز وسائر الحبوب التي يتخذ منها ولهذا نجدهم يسمون هذه الحبوب بهذا الاسم

وقد تسمي الشعراء بهذا الاسم أيضا الأرض المخرجة للحبوب

وأما استخراج أسقليبيوس فيعني به الصحة وهي التي لا يمكن دونها أن يفتني شيء من الأشياء التي ينتفع بها أو يلتذ

قال جالينوس وذلك أن ما استخرجه هذان لا ينتفع به ما لم يكن استخراج أسقليبيوس موجودا

وأما صورة الكرسي الذي يقعد عليه أسقليبيوس فصورة القوة التي تستفاد بها الصحة وهي أشرف." (١)

"(خفض الجناح لكم وليس عليهم ... للصب في خفض الجناح جناح)

(فإلى لقاكم نفسه مشتاقة ... وإلى رضاكم طرفه طماح)

(عودوا بنور الوصل من غسق الدجا ... فالهجر ليل والوصال صباح)

(وتمتعوا فالوقت طالب لكم وقد ... رق الشراب ودارت الأقداح)

(مترنحا وهو الغزال الشارد ... وبخده الصهباء والتفاح)

(وبثغره الشهد الشهي وقد بدا ... في أحسن الياقوت منه أقاح) الكامل

وقال أيضا

(فز بالنعيم فإن عمرك ينفذ ... وتغنم الدنيا فليس مخلد)

(وإذا ظفرت بلذة فانهض لها ... لا يمنعنك عن هواك مفند)

(وصل الصبوح مع الغبوق فإنما ... دنياك يوم واحد يتردد)

(وعدوك تشرب في الجنان مدامة ... ولتندمن إذا نهاك الموعد)

(كم أمة هلكت ودار عطلت ... ومساجد خربت وعمر معهد)

---

(١) عيون الأنباء في طبقات الأطباء ابن أبي أصيبعة ص/٣٦

(ولكم نبي قد أتى بشريعة ... قدما وكم صلوا لها وتعبدوا) الطويل

وقال أيضا

(أقول لجارتي والدمع جاري ... ولي عزم الرحيل عن الديار)

(ذريني أن أسير ولا تنوحي ... فإن الشهب أشرفها السواري)

(وإني في الظلام رأيت ضوءا ... كأن الليل زين بالنهار)

(إلى كم أجعل الحيات صحبي ... إلى كم أجعل التنين جاري)

(وكم أرضى الإقامة في فلاة ... وفوق الفرقدين رأيت داري)

(ويأتيني من الصنعاء برق ... يذكرني بها قرب المزار) الوافر

وقال عند وفاته وهو يجود بنفسه لما قتل

(قل لأصحاب رأوني ميتا ... فبكوني إذ رأوني حزنا)

(لا تظنوني بأني ميت ... ليس ذا الميت والله أنا)

(أنا عصفور وهذا قفصي ... طرت عنه فتخلى رهنا)

(وأنا اليوم أناجي ملأ ... وأرى الله عيانا بهنا)

(فاخلعوا الأنفس عن أجسادها ... لترون الحق حقا بينا)." (١)

"محمد بن قرا أرسلان

ثم رحل السلطان من البيرة ونزل على الرها وكان فيها فخر الدين مسعود بن الزعفراني فأذعن وانقاد وتسلمها مظفر الدين مضافة له إلى حران

ثم وصل السلطان إلى حران فرتبها وانفصل منها إلى الرقة وفيها الأمير قطب الدين ينال بن حسان فأذعن أيضا وسلم ولم يوافق مراعاة لصاحبه فأصلحها السلطان

ورحل منها إلى مشهد الرمان ثم إلى عرابان فتسلمها وأصلح من شأنها

وتواصلت أخبار وصول السلطان الخابور وما نشر من العدل في البلاد التي فتحها ففتحت رأس العين ودورين وماكسين والشمسانية والفدين والمجدل والحصين

قال وقطعنا نهر الخابور على قنطرة التنينير إلى نصيبين فاستعصت قلعتها أياما ثم فتحت استسلاما وولاها السلطان حسام الدين أبا الهيجاء السمين وولى الخابور جمال الدين خوشترين

ثم سرنا إلى الموصل وقطعنا أعمال بين النهرين ثم أعمال البقعة ثم سرنا إلى بلد وأشرفنا على دجلة وكنا أوردنا خيلنا في أشهر من تلك السنة نيل." (٢)

---

(١) عيون الأنباء في طبقات الأطباء ابن أبي أصيبعة ص/٦٤٥

(٢) عيون الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية أبو شامة المقدسي ١٢٣/٣

"واه قال ابن عدي عامة حديثه مناكير وقال البخاري سكتوا عنه وبمشورته جلد مالك حدثنا عنه إبراهيم بن المنذر وقال الزبير بن بكار حدثني إبراهيم عن أبيه عن الزهري عن عروة عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت دثر مكان البيت فلم يحجه هود ولا صالح حتى بوأه الله لإبراهيم حدثنا الزبير ثنا إبراهيم بن محمد بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف أبو إسحاق عن أبيه عن محمد بن عبد الله بن عمرو عثمان عن سهيل عن أبيه عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه رفعه إذا وجد أحدكم لأخيه بن نصحا في قلبه فليذكره له انتهى وقال ابن عدي هو إبراهيم بن محمد بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف وقال ابن حبان هو الذي يقال له بن أبي ثابت تفرد بأشياء لا يعرف حتى خرج عن حد الاحتجاج به مع قلة تيقظ وقال ابن عدي لا يشبه حديثه حديث أهل الصدق.

[٢٩٢] "إبراهيم" بن محمد بن ثابت الأنصاري شيخ لعمرو بن أبي سلمة التنيسي روى مناكير انتهى ذكره ابن عدي فقال مدني روى عنه مناكير وساق له ثلاثة ثم قال وله غير ذلك وأحاديثه صالحة محتملة واخرج الطبراني في الصغير من طريق عمرو بن أبي سلمة عن إبراهيم بن محمد البصري عن علي بن ثابت عن ابن سيرين عن أبي هريرة رفعه يا أبا هريرة إذا توضأت فقل بسم الله والحمد لله الحديث وهو منكر وذكره ابن حبان في الثقات وقال صديق عمرو بن أبي سلمة روى عن محمد بن مالك عن البراء وسيأتي في إبراهيم بن محمد المقدسي.

[٢٩٣] "إبراهيم" بن محمد بن عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب المعروف بابن شكله وأبوه هو الخليفة المهدي بن المنصور وكان يلقب التنين لعظم جثته روى عن المبارك بن فضالة وحماد بن يحيى الأبح وغيرهما روى عنه ابن هبة الله وخليفة بن خياط وحميد بن فروة وأحمد بن الهيثم وغيرهم وكان." (١)

"حتى يستوي إلى أعلى الكرسي، فإذا استوى سليمان على كرسيه جالسا أخذ التنين العظيم تاج الملك فوضعه على راس سليمان، وكان الذي يستدير بالكرسي وما فيه من العجائب تنين عظيم حتى تمر الأسود والنسور والطواويس التي على الدرجة السفلى إلى أعلى الكرسي فيظلون من فوق رأس سليمان، وهو جالس على الكرسي، فينضحون ما في أجوافها من الطيب على رأس سليمان، وكانت حمامة على عمود جوهر تأخذ التوراة، حتى تجعلها في يد سليمان فيقرأها على الناس فإذا جلس سليمان على كرسيه للقضاء، وجلس قضاة بني إسرائيل على كراسيها عن يمينه وشماله جانبي الكرسي فدخلت الشهود للشهادات استدار منجنون الكرسي، فيزأر الأسد، وتخفق النسور بأجنحتها، وترجع الطواويس لترعب قلوب الشهود أن لا يشهدوا بالزور، ويقول الشهود عندما يرون من العجائب وما دخلهم من الرعب: لا نشهد إلا بالحق، فإنا إن نشهد بالزور يهلك العالم، فلم يكن مثل كرسي سليمان في الأولين ولا يكون مثله في الآخرين.

فلما قبض الله سليمان وجاء بخت نصر، فأخذ ذلك الكرسي فحمله معه إلى أنطاكية، فأراد أن يصعد فيه ليقعد عليه، ولم يكن له علم كيف يصعد فيه، فلما وضع قدمه على الدرجة الأولى ولم تصب موضعها رفع الأسد يده اليمنى فكسر ساق بخت نصر الأيسر فعرج فلم يزل بخت نصر يعرج منها حتى مات، ثم بعث الله ملكا من ملوك فارس يقال له: كارس بن سورس ويقال الفرريا بن يساريا فحمل الكرسي من بابل حتى رده إلى بيت المقدس، فوضعوه تحت الصخرة فلم يقعد أحد

---

(١) لسان الميزان ابن حجر العسقلاني ٩٨/١

على كرسي سليمان من بعده، ولم يقدر عليه منذ وضع تحت الصخرة.

فذلك ما يذكر من حديث الكرسي وما فيه من العجائب.

قال إسحاق بن بشر: وكان سليمان إذا ركب يسمع حفيف قبته من اثني عشر ميلا، فلا يبقى غلام ولا جارية ولا رجل ولا امرأة إلا وهم متشوفون ينظرون إلى مركب سليمان ويتعجبون. فبينا سليمان في مسيره بهذه الحال، وقد اشرفوا عليه من كل جانب، غذ مر." (١)

"من الجانب الأيسر، وقد جعل الجانب الأيمن لمضر والأيسر لليمن، وهذا دليل على تقدمته إيأنا عليكم؛ إلا إن مجلسك يا رئيس المضرية في غد من الجانب الأيسر، ومجلسك يا رئيس اليمانية من غد في الجانب الأيمن، وهذان الجانبان نوب بينكما، يكون كل من كان فيه في يومه متحول عنه في غده إلى الجانب الآخر؛ ثم سميت الله، ومددت يدي إلى طعامي، فطعمت وطعموا معي، فانصرف القوم عني في ذلك اليوم، وكلهم لي حامد.

ثم كانت تعرض الحاجة لبعض الحيين، فاسأل قبل أن أقضيها له: هل لأحد من الحي الآخر حاجة شبه حاجة السائل؟ فإذا عرفتها قضت الحاجتين في وقت واحد، فكنت عند الحيين محمودا، لا أستحق عند واحد منهم ذما ولا عيبا ولا نبزا ينبز به.

قال أبو بكر الخطيب: بويع له بالخلافة ببغداد في أيام المأمون، وقاتل الحسن بن سهل، وكان الحسن أميرامنقبل المأمون، فهزمه إبراهيم، فتوجه نحوه حميد الطوسي، فهزمه حميد، واستخفى إبراهيم مدة طويلة حتى ظفر به المأمون فعفا عنه، وكان أسود حالك اللون، عظيم الجثة، ولم ير في أولاد الخلفاء قبله أفصح منه لسانا، ولا أجود شعرا.

قال: وكان إبراهيم وافر الفضل، غزير الأدب، واسع النفس، سخي الكف، وكان معروفا بصنعة الغناء، حاذقا بها، وله يقول دعبل بن علي يتقرب بذلك من المأمون: من الكامل

نعر ابن شكلة بالعراق وأهلها ... فهفا إليه كل أطلس مائق

إن كان إبراهيم مضطلعا بها ... فلتصلحن من بعده لمخارق

وقال ابن ماكولا: أما التنين، أوله تاء معجمة باثنتين من فوقها، وبعدها نون مشددة مكسورة، فهو إبراهيم بن المهدي بن المنصور، أمير المؤمنين، كنيته أبو إسحاق، أمه شكله نسب إليها، وكانت سوداء، وكان شديد السواد، عظيم الجسم، فلقب التنين." (٢)

"قال يحيى بن أبي كثير: قال داود النبي صلى الله عليه وسلم لابنه سليمان: يا بني، أتدري ما جهد البلاء؟ قال: لا، قال: شراء الخبز من السوق، والانتقال من منزل إلى منزل.

وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " قال داود النبي صلى الله على نبينا وعليه وسلم: إدخالك يدك في فم التنين إلى أن تبلغ المرفق فيقضمها خير لك من أن تسأل من لم يكن له شيء ثم كان.

(١) مختصر تاريخ دمشق ابن منظور ١٤٢/١٠

(٢) مختصر تاريخ دمشق ابن منظور ١٣٠/٤

قال الكلبي: لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة كان في الطعام قلة، وكان يتزوج النساء، قال: فقالت اليهود: إن هذا الذي يزعم أنه نبي ليس يشبع من الطعام وهو يتزوج، فليس له هم إلا النساء! لو كان نبيا لاشتغل بنبوته عن النساء. فأنزل الله عز وجل: " أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما " قال: تزوج داود مئة امرأة، وتزوج سليمان سبع مئة امرأة وثلاث مئة سرية؛ فذلك قوله: " وآتيناهم ملكا عظيما ".

وفي حديث آخر: وكان أشدهم في ذلك حيي بن أخطب، فأكذبهم الله، وأخبرهم بفضل الله وسعته على نبيه صلوات الله عليه وبركاته فقال: " أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله " يعني بالناس رسول الله صلى الله عليه وسلم " فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما " ما آتى الله سليمان بن داود، كان له ألف امرأة، سبع مئة مهيرة، وثلاث مئة سرية؛ وكانت لداود مئة امرأة، منهن أمرأة أوريا أم سليمان بن داود التي تزوجها بعد الفتنة؛ فهذا أكثر مما لمحمد صلى الله عليه وسلم.

وعن ابن عباس قال: ما أصاب داود ما أصابه بعد القدر إلا من عجب عجب به من نفسه، وذلك أنه قال:." (١)

"ثم رحلنا من البيرة والميرة مبرة، وألطاف الله مستديرة وفي كل يوم قوم لهم في بحرنا عوم وفي كل فجر فجر ولكل جمع جمر وعسكر وافد وعثير عاقد وبيارق تبرق وبوارق تخفق. ونزلنا بالرها واستمرت أياما حصرها. وفيها الأمير فخر الدين مسعود بن الزعراني فتنمر وتذمر وتربض وتصبر ثم رأى أنه لا طاقة فاستبدل من عبوسه الطلاقة وأرسل إلينا بتسليمها لسلامته ووفينا حق كرامته، وتسلمها مظفر الدين وغلى حران مضافة ووجد بهما في رتبة العلاء أنا قد جئتنا إلى حران ظافرين ظاهرين قادرين قاهرين وسحب البأس بارقة راعدة، ومثارات القتام من تحت الصلاد فوق الصعاد صاعدة وأقمنا حتى أقمنا الشعار وأتممنا الاستشعار فرحلنا إلى الرقة وتم الحصر والنزال وفيها الأمير ابن حسان قطب الدين ينال فدارت على قطبه الرحى ورأى من النازلين عليه جنح الدجى في زاد الضحى ثم عرف أنه لا يطيق ومن مكر خطبه لا يفيق فبذل أذعانا وسأل أمانا وسلم وعصم المال والدم وخرج بنفايس أمواله بعد ترك ذخاير عدده وغلاته وفارق وما رافق ووفا لصاحبه وما وافق ورفقنا ريثما أصلحنا الفاسد، ووفقنا الكاسد وولينا في البلد من أهل الجلد من يفي بحفظ المطرف وصون المتلد. ولما أتممنا المصالح وأجملنا المناجح هززنا معاطف الزمان إلى مشهد الرمان وأثنينا اعنة العراب إلى عرابان وحين قربنا منها تلقانا قضاتها ورؤساؤها ورجالها ونساؤها وخينا على ظاهرها فرفعنا منهم الرؤوس ووضعنا عنهم المكوس وضربنا على الضرايب وقللنا بنوب النوايب وتواصلت أخبار وصولنا إلى الخابور وهبت فيه قبول أقبالنا أدبار البور وشاع العدل وذاع ورنبنا على قانون المعدلة الأوضاع وفتحت من عين رأسها عينها وأصلحت بالطاعة والتباعة بيننا وبينها. وقطعنا نهر الخابور على قنطرة التنين وأخذنا الطريق إلى نصيبين يسرة ونصبنا بنصبين خيامنا بعد ثلاث وسلكنا مسالك سهول وأوعاث ودخلنا المدينة وأنزلنا بها السكينة، وجئنا إلى القلعة وقد تحصنت وبمنعتها تحسنت وأشفقنا في حصرنا من سفك الدم وهتك الحرم ووكلنا من يمنع من الدخول والخروج وسلطنا إلى اللجاج على واليها اللجوج فأرسل بعد برهة من الأيام في الغسلام والإستسلام،

(١) مختصر تاريخ دمشق ابن منظور ١٢٩/٨

وتسلمناها بما فيها من أخاير الذخاير وعولنا في تولي نصبين على حسام الدين أبي الهيجاء السمين وكنا قد ولينا الخابور جمال الدين خوشترين. ولما توفر نصيبنا بنصيبين واختلينا من مشرق الظفر النصر المبين وكانت الحشود مجتمعة والوفود مزدحمة والعقود منتظمة والسعود ملتيمة وقطعنا أعمال بين النهرين وأزرنا الرعية زور الرعاية وأمرنا بالعدل والغحسان في تلك الولاية ثم حزناها إلى أعمال البقعة ووضلنا إلى بلد وأشرفنا على دجلة وكنا أوردنا خيلنا في أشهر من تلك السنة في أسفارنا الحسنة (٢٠٨ب) نيل مصر والفرات ودجلة فأصغت إلينا المسامع ومالت نحونا المطالع، وتواصل إلينا مقطعوا البلاد وترادفوا أمدادا بعد الإمداد ومن ثم صممنا عزم الوصول إلى الموصل وبشرنا الصواري بقرب المنهل وأطرنا الاطراد برياحها الأربع وسرنا إليها بقصد المصيف والمربع وقربنا منها في مراحل متقاربة وقد دمدمت بما أثار الأسد عين القراة وبطشت من ليل العجاج بصفو النهار يد الأزلة وعادت تلك البراءى من مراكز رماحنا بساتين ومن مراكض جيادنا ميادين والليوث معتقلات ثعابين ممتطيات سراجين وكأنها رياض تخلوا بأيديها من القواصب رياحين قال: ولما قربنا من الوصول كبرنا تكبير من ظفر بالسؤال وتقدم السلطان في الأمراء ذوي الآراء ودار حول السور وعين لكل مقدم مقاما ولكل مقدم أقداما فنزل هو وراء البلد وتقي الدين من شرقيه بأهل الجلد وأخوه تاج الدين بورى عند باب العمادية، ودايقنا الأسوار أشد المدايقو وصاحب الموصل حين إذا أتابك عز الدين مسعود بن مودود بن زنكي وتولى نايبه مجاهد الدين قايماز حافظ البلد بأحسن تدبير وتلقى كل ما قابله من العسر بوجه يسير. وكان قد كاتب الديوان العزيز لإيعاز بأعزاوه وإيعانته على أعوازه وله موعد إنجاح وإنجاد عند الصاحب مجد الدين فتقاضى بإنجازه.

ذكر وصول رسل دار الخلافة." (١)

"قريبة من البر «١» بين الفرما ودمياط، والفرما فى شرقيها، وهى فى بحيرة مقدار يوم فى عرض يوم، يدخل إليها ماء البحر الأعظم، وماء البحيرة ملح لدخول ماء البحر إليه عند هبوب الشمال، ونقصان ماء النيل؛ فإذا زاد النيل غلب على ماء البحر وحلا ماؤها فملئوا منه صهاريج عندهم للشرب [منه] «٢» .

(تنيضبة)

«٣» تصغير تنضبة بالضاد معجمة، والباء موحدة: ماء لبنى سعد بن قرط.

(تنين)

بكسرتين، وتشديد النون، وياء ساكنة، ونون أخرى. جبل **التنين**: من أعمال الموصل، قرب جبل الجودى، مشهور.

(تنينير)

تصغير تنور: اسم بلدتين من أعمال الخابور عليا وسفلى.

(التاء والواو)

(توارن)

---

(١) مختصر سنا البرق الشامي البنداري ص/٩٠

«٤» بالضم، وضم الراء، وآخره نون: قرية فى أجأ أحد جبلى طيىء لبنى شمر.

(تؤام)

بالضم وفتح الهمزة بوزن غلام: اسم قصبة عمان مما يلى الساحل، وصحار قصبتها مما يلى الجبل «٥» . وتؤام: موضع بالبحرين ينسب إليه اللؤلؤ.

(التوائم)

جمع توأم: اسم جبل «٦» .

(توباذ)

بالفتح، ثم السكون، والباء موحدة، وألف، وذال معجمة: جبل بنجد «٧» .." (١)

"صفحته، أو بارقا قد بث لفحته: [السريع]

طويلة رجلاه مسودة ... كأن منقاره خنجر

مثل عجوز رأسها أشمط ... جاءت وفي رقبتها معجر

«١» فاستقبله الحادي عشر ووثب، ورماه حين حاذاه من كثب، فسقط كفارس تقطر عن جواده، أو وامق أصيبت حبة فؤاده، فحمله بساقه، وعدل به إلى رفاقه.

وأقرن به مرزم «٢»

له في السماء سمي معروف، ذو منقار كصدغ معطوف، كأن رياشه فلق اتصل به شفق، أو ماء صاف علق بأطرافه علق: [الهزج]

له جسم من الثلج ... على رجلين من نار

إذا أقلع ليلا قل ... ت برق في الدجى سار

فانتحاه الثاني عشر متمما، ورماه مصمما، فأصابه في زوره، وحصله من فوره، وحصل له من السرور ما خرج به عن طوره.

والتحق به شبيطر «٣»

كأنه مدية مبيطر، ينحط كالسيل، ويكر على الكواسر كالخيل، ويجمع من لونه بين ضدين، يقبل منهما بالنهار ويدبر بالليل، يتلوى في منقاره الأيم تلوي التنين في الغيم: [البسيط]

تراه في الجو ممتدا وفي فمه ... من الأفاعي شجاع أرقم ذكر

كأنه قوس رام عنقه يدها ... ورأسه رأسها والحية الوتر." (٢)

"العارضة للعين كحلا. ويقطع سيلان دم الطمث إذا احتمل به. ويجفف القروح في مثل الذكر والأعضاء اليابسة المزاج.

---

(١) مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع ابن عَبْد الحَقّ ٢٧٩/١

(٢) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ابن فضل الله العمري ٤٢٦/١٢

أرميون «١»

هو حجر يوجد بأرض الروم مخمسا، فإذا كسرته قطعا كثيرة لا يكون شيء منها إلا مخمسا؛ من اكتحل منه لا يصيبه رمد البتة، ومن استصحبه أكسبه هيبة في أعين الناس، (وهو حجر أبيض مخطط بخطوط زرق) «٢» .

إسفيداج «٣»

هو رماد الرصاص القلعي والآنك، ينفع من الرمد إذا خلط بأدوية العين، وإذا أفرط حرقه صار إسرنجا «٤» ، والإسفيداج الرصاصي إذا دلك به لسعة العقرب أو لدغة **التنين**، بريا كان أو بحريا، نفع. ورائحته عند إحراقه مضرة جدا.

(قال بليناس «٥» في كتاب الخواص) «٦» : إن نقعت الإسفيداج مع شيء من قثاء الحمار في ماء وملح، ورشت به البيت، خرجت عنه جميع البراغيث «٧» .." (١)

"قعد، لا يفارقه سلاحه، قال: وهذا دأبه دائما أبدا.

وأما ركوب هذا السلطان فإنه يختلف، تارة يكون للحرب، وتارة يكون للانتقال في دهلى من مكان إلى مكان، وتارة يكون في قصوره، وأما إذا ركب إلى حرب، فالجبال سائرة، والرمال سائلة، والبحار تتدفق، والبحور والبروق تلمع، وأمور يعتقد كذبها العيان، ويعتقل عن وصفها اللسان، وعلى الفيلة من الأبراج مدينة أو قلعة حصينة، ولا يرى الطرف إلا النقع المثار، ودجى ليل ممتد على النهار، وشعار ولا يحمل أحد في الأعلام سواد إلا له خاصة، وفي الميمنة له أعلام سود، وفي الميسرة أعلام حصر، وفيها **التنينات** الذهب، السلطان أعلام سود [١] ، في أوساطها تنين عظيم من الذهب، وأما بقية الأمراء فكل واحد يحمل ما يناسبه، وأما ما يدق للسلطان من الرهجيات [٢] في الإقامة والسفر فإنه يدق له مثل الإسكندر ذي القرنين وهي مائتا جمل نقارات [٣] ، وأربعون جملا من الكوسات [٤] وعشرون بوقا، وعشرة صنوج [٥] ، وتدق له النوب الخمس أيضا، ويحمل معه ما لا يحصى من الخزائن، وغير ذلك ما لا يكاد يعد من الجنائب.

وأما في «١» الصيد فإنه يخرج من خف، لا يكون معه أكثر من مائة ألف فارس،

---

[١] الأعلام السود شعار الدولة العباسية.

[٢] الرهجيات جمع مفرده رهج والرهج من الكلمة الفارسية ره‌ځو وتعني المغني والمغنية والرهجيات المغنيات (فرهنگ عميد ١٠٧٨/٢) مركب من ره بمعنى نغمه أو لحن وځوى (ځوينده) أي المغني (فرهنگ رازي ٤١١.

[٣] النقارات جمع مفرده نقاره والنقارة نوع من الطبل يضرب بعصاتين (فرهنگ عميد ١٩١١٤/٢) .

[٤] الكوسات جمع مفرده كوس وهو الطبل الكبير ويسمى أيضا كوست وهو طبل الحرب، وهو عالي وشديد الإيقاع (فرهنگ رازي ٧٣٢- عميد ١٦٦٣/٢) .

---

(١) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ابن فضل الله العمري ١٧٣/٢٢

[٥] الصنوج جمع مفرده صنج، من الآلات الموسيقية مكون من قطعتين تقرعان ببعضهما وهي في العربية صنج وسنج (الدخيل في لهجة أهل الخليج ٧٥- فرهنج عميد ١٣٦٩/٢) .." (١)

"التجريد، نطق عن حقائق التوحيد؛ لأن السكران هو الذي ينطق بكل مكتوم." «١»

وقال:" من التمس الحق بنور الإيمان، كان كمن طلب الشمس بنور الكواكب." «٢»

وقال أبو العباس الرازي: كان أخي خادما للحسين بن منصور، فسمعته يقول: لما كانت الليلة التي وعد من الغد لقتله، قلت له: يا سيدي! أوصني.

فقال لي:" عليك بنفسك، إن لم تشغلها شغلتك".

فلما كان من الغد، وأخرج للقتل، قال:" حسب الواحد إفراد الواحد".

ثم خرج يتبختر في قيده ويقول:

نديمي غير منسوب ... إلى شيء من الحيف

سقاني مثل ما يشر ... ب فعل الضيف بالضيف

فلما دارت الكأس ... دعا بالنطع والسيف

كذا من يشرب الكأس ... مع **التنين** في الصيف «٣»

ثم قال: يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها، والذين آمنوا مشفقون منها، ويعلمون أنها الحق

. «٤»

ثم ما نطق بعد ذلك حتى فعل به ما فعل.

وقال القناد: لقيت الحلاج يوما في حالة رثة، فقلت له: كيف حالك؟. فأنشأ يقول:." (٢)

"فإلى لقاكم نفسه مشتاقة ... وإلى رضاكم طرفه طماح

عودوا بنور الوصل من غسق الدجا ... فالهجر ليل والوصال صباح

وتمتعوا فالوقت طاب لكم وقد ... رق الشراب ودارت الأقداح

مترنحا وهو الغزال الشارد ... وبخده الصهباء والتفاح

وبثغره الشهد الشهي وقد بدا ... في أحسن الياقوت منه أقاح

وقوله «١» : [الوافر]

أقول لجارتي والدمع جاري ... ولي عزم الرحيل عن الديار

ذريني أن أسير ولا تنوحي ... فإن الشهب أشرفها السواري

فإني في الظلام رأيت ضوءا ... كأن الليل زين بالنهار

---

(١) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ابن فضل الله العمري ٦٤/٣

(٢) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ابن فضل الله العمري ١٢٥/٨

إلى كم أجعل الحيات صحبي ... إلى كم أجعل التنين جاري؟ «٢»

وكم «٣» أرضى الإقامة في فلاة ... وفوق الفرقدين «٤» رأيت داري

ويأتيني من الجرعاء «٥» برق ... يذكرني بها قرب الديار

وقوله «٦» : [الرمل]

قل لأصحاب رأوني ميتا ... فبكوني إذ رأوني حزنا

لا تظنوني بأني ميت ... ليس ذاك الميت- والله- أنا." (١)

"وكانت العادة عند الدفن أن يحرق جسد المتوفى ثم تطفأ النار بالجعة والنبيذ ثم تحضر بعض النساء لجمع العظام ويغمسنها في شراب خاص ثم يضعنها في زيت طيب في جرة فضية، وبعد ذلك يخرجنها ثم تلف في الكتان وتوضع على كرسي ويقدم الطعام لمن جمع العظام كما يقدم الشراب لهم ولروح المتوفى ثلاث مرات، وتصحب ذلك التضحية ببعض الماشية، ولا شك في أنه كان هناك فرق بين ما يتبع في دفن الملوك وما يتبع في دفن الأفراد كما أن من المرجح أن ملوك الدولة القديمة لم يمارسوا حرق الجثث.

أما الأساطير الحيثية فتنقسم إلى قسمين: أحدهما يتعلق بالقضاء على قوى الشر ويتلخص في أسطورة تسمى: ذبح التنين؛ ومؤداها أن التنين انتصر في أول الأمر على إله الطقس حسب رواية من الروايات وأنه لم يكتف بذلك بل أعجز إله الطقس بالاستيلاء على قلبه وعينيه حسب رواية أخرى، ولكن بمعاونة آلهة أخرى وبالحيلة استطاع إله الطقس أن ينتصر في النهاية، وربما كانت هذه الأسطورة تتلى في الاحتفال السنوي بالربيع وهي تشبه إلى حد كبير أساطير أخرى انتشرت في أجزاء أخرى من الشرق الأدنى القديم كانت تتلى أيضا في احتفالات موسمية، أما القسم الثاني: فيتعلق بعودة الحياة إلى الأرض وهو يتمثل في أسطورة تعرف باسم: أسطورة الإله المفقود، وهي تتلخص في أن الحياة تتوقف على الأرض بسبب اختفاء إله الخصب ثم البحث عنه، وبإعادته إلى بيته تعود الحياة إلى الأرض، وتمثل الأسطورة إله الخصب على." (٢)

"أشعار نفسه وغيره من أهل عصره ومن تقدمه، وظفرت أنا بأصل يعقوب الذي بخطه وفيه بخط أبي عامر الذي لا أرتاب به ما نقلته بصورته بعد أن أسقطت بعض النظم، وأما النثر فلا، وهذا نسخة خطه: سألني الشيخ الجليل الأديب- أدام الله نعمته- أن أكتب له في هذا الدفتر شيئا من هاذوري، فترجحت بين صوارف تنهاني عن الاجابة سترا لعورتي، ودواع تحثني على امتثال رسمه إظهارا لطاعتي، وأنا على كل حال واثق بكرمه، ساكن إلى حسن شيمه، وعالم انه يحرص على إقالة عثرة الاخوان، وستر عيوبهم بقدر الإمكان، والله أسأل أن يجبر نقيصتنا بفضيلته، ويمحو إساءتنا بحسنته، فانه عليه قدير، وها هو الهاذور:

بالله يا حتفي أما تستحي ... حتى متى توردني حتفي

تحلف لي أنك في كفي ... وعض كفي منك في كفي

---

(١) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ابن فضل الله العمري ١٧٢/٩

(٢) معالم حضارات الشرق الأدني القديم محمد أبو المحاسن عصفور ص/١٨٦

وأنت يا قلبي إلى كم وكم ... تحيل بالذنب على طرفي

وأيضا:

خده الياسمين والخط فيه ... سنبل نابت على ياسمين

سمته قبلة فقال تحرز ... بين صدغي عقدتا التنين

وأيضا:

إذا حفزتك نائبة لأمر ... فجئت إلى صغير أو كبير

فكاثره بهز بعد هز ... فإن الزبد بالمخض الكثير

وأيضا في الرئيس أبي الفضل أدام الله علوه:

تولى الغانيات فليس عندي ... لهن سوى هوى أخفي وأبدي

رأين الشيب ألبسني قتيرا ... على حد البلى فنقضن عهدي

وسالمني الغيور فكل يوم ... يوازن بيننا ود بود

وقنعني الزمان فلست آسى ... على فوت الثراء وأنت عندي

وكل تعجبي طول الليالي ... لذلة ماجد يسعى لوغد

فشكرا للإله فقد كفاني ... تولي غير عباس بن سعد." (١)

"لا أريد الصلاء ان ضاجعتني ... عند برد الشتاء في كانون

وإذا ما حككتها لحستني ... بلسان كالمبرد المسنون

وإذا ما جفوتها استعطفتني ... بأنين من صوتها ورنين

وإذا ما وترتها كشفت لي ... عن حراب ليست متاع العيون

أملح الخلق حين تلعب بالفا ... ر فتلقيه في العذاب المهين

وإذا مات حسه أنشرته ... بشمال مكروبة أو يمين

وتصاديه بالغفول فان را ... م انجحارا علته كالشاهين

وإذا ما رجا السلامة منها ... عاجلته ببطشة «١» التنين

وكذاك الأقدار تفترس المر ... ء وتغتاله بقطع الوتين

بينما كان في نشاط وأنس ... إذ سقاه ساق بكاس المنون

ويروى له:

علقتها بيضاء ظامئة الحشا ... تسبي القلوب بحسنها وبطيبها

مثل الشقائق في احمرار خدودها ... للناظرين وفي اسوداد قلوبها

---

(١) معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب الحموي، ياقوت ٥/٢١٦٧

وله:

وقد يستقيم المرء فيما ينوبه ... كما يستقيم العود في عرك أذنه

ويرجح من فضل الكلام إذا مشى ... كما يرجح الميزان من فضل وزنه

[٨٩٢]

الفضل بن إبراهيم بن عبد الله الكوفي أبو العباس

النحوي المقرىء: أخذ القراءة عن أبي الحسن علي بن حمزة الكسائي، وقرأ الكسائي على عيسى بن عمر الهمداني عن حمزة الزيات، ولا أعرف من حاله أكثر من هذا، وله اختيار في أحرف يسيرة، وإنما ذكرته لأنه يعرف بالنحوي.

---

(٨٩٢) - بغية الوعاة ٢: ٢٤٤ (عن ياقوت) والوافي (خ) وطبقات ابن الجزري ٢: ٨.." [١]

"قال: بلى، قلت: فإنك أخذت البيت الأول من بيت بكر بن النطاح:

يتلقى الندى بوجه حيي ... وصدور القنا بوجه وقاح

هكذا هكذا تكون المعالي ... طرق الجد غير طرق المزاح

وأخذت البيت الثاني فأفسدته من قول أبي تمام:

همة تنطح الثريا وجد ... آلف للحضيض فهو حضيض

قال: وبأي شيء أفسدته؟ قلت: بأن جعلت للشرف قرنا، قال: وأنى لك بذلك؟ قلت: ألم تقل «ينطح السماء بروقيه» والروقان القرنان. قال: أجل إنما هي استعارة، قلت: نعم هي استعارة خبيثة. قال: أقسمت غير محرج في قسمي أنني لم أقرأ شعرا قط لأبي تمامكم هذا، فقلت: هذه سوءة لو سترتها كان أولى، قال:

السوءة قراءة شعر مثله، أليس هو الذي يقول:

خشنت عليه أخت بني خشين ... وأنجح فيك قول العاذلين

والذي يقول:

لعمري لقد حررت يوم لقيته ... لو أن القضاء وحده لم يبرد

والذي يقول:

تكاد عطاياه يجن جنونها ... إذا لم يعوذها بنغمة طالب

والذي يقول:

تسعون ألفا كآساد الشرى نضجت ... أعمارهم قبل نضج التين والعنب

والذي يقول:

ولى ولم يظلم وهل ظلم امرؤ ... حث النجاء وخلفه التنين

---

(١) معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب الحموي، ياقوت ٥/٢١٧١

والذي يقول:

فضربت الشتاء في أخدعيه ... ضربة غادرته عودا ركوبا

والذي يقول:

كانوا رداء زمانهم فتصدعوا ... فكأنما لبس الزمان الصوفا." (١)

"ذريني أن أسير ولا تنوحي ... فإن الشهب أشرفها السواري

واني في الظلام رأيت ضوءا ... كأن الليل بدل بالنهار

إلى كم أجعل الحيات صحبي ... إلى كم أجعل **التنين** جاري

وأرضى بالاقامة في فلاة ... وفي ظلم العناصر أين داري

ويبدو لي من الزوراء برق ... يذكرني بها قرب المزار

إذا أبصرت ذاك النور أفنى ... فما أدري يميني من يساري

ومن كلامه: اعلم أنك ستعارض بأعمالك وأقوالك وأفكارك، وسيظهر عليك من كل حركة فعلية أو قولية أو فكرية صور جانية، فإن كانت تلك الحركة عقلية صارت تلك الصورة مادة لملك تلتذ بمنادمته في دنياك وتهتدي بنوره في أخراك، وإن كانت تلك الحركة شهوية أو غضبية صارت تلك الصورة مادة لشيطان يؤذيك في حال حياتك ويحجبك عن ملاقاة النور بعد مماتك.

[١٢٢٤] يحيى بن خالد بن برمك، أبو الفضل البرمكي

الوزير السري الجواد: كان سيد بني برمك وأفضلهم جودا وحلما ورأيا، وكان من أكمل أهل زمانه أدبا وفصاحة وبلاغة، وأخباره في الكرم وشرف الخلال مشهورة، وإنما دخل في شرط كتابنا من جهة بلاغته وتقدمه على أكثر أهل عصره في الانشاء والكتابة وما صدر عنه من الحكم والأقوال التي تداولها الرواة وملئت بها الدفاتر، فأنا أورد منها جملة صالحة «١» . وأما أخباره فما يتسع لها كتابنا وليست من شرطه.

[١٢٢٤] أخبار يحيى البرمكي في الكتب التاريخية كالطبري وابن الأثير ومروج الذهب وكتب الأدب كالأغاني والعقد و ... الخ وانظر تاريخ خليفة: ٤٦٥ والمعارف: ٣٨١ وتاريخ بغداد ١٤: ١٢٨ ومعجم المرزباني: ٤٨٨ وابن خلكان ٦: ٢١٩ والبداية والنهاية ١٠: ٢٠٤ ومرآة الجنان ١: ٤٢٤ وعبر الذهبي ١: ٣٠٦ وسير الذهبي ٩: ٨٩ وصفحات متفرقة من الوزراء والكتاب للجهشياري وشرح البسامة: ٢٢٢ والشذرات ١: ٢٨٨.." (٢)

"الدين: البسيط: ابن أبي العلاء: ٧١٢

وتأبين: البسيط: ابن سهلويه: ١١٥٥

---

(١) معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب الحموي، ياقوت ٦/٢٥١٥

(٢) معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب الحموي، ياقوت ٦/٢٨٠٩

وجنون: البسيط: أبو الطيب الطاهري: ٢٣١٩
كون: البسيط: اسحاق الموصلي: ٦٠٧
والشجن: البسيط:-: ١٢٤٤
بيان: الوافر:-: ٢١
بيان: الوافر:-: ٢٥٧٣
بيان: الوافر: ابن لنكك: ٢٦٢٢
ومين: الوافر: الحرمازي: ٩٣٢
وبانوا: الكامل: أبو اسحاق الرفاعي: ٦٦
سلطان: الكامل: ابن زبادة: ٢٨١٧
تهون: الكامل: ابن القلانسي: ١٢١٤
يقين: الكامل:-: ١٤٨٤
العين: الكامل: ابن هانئ: ٢٦٧١
التنين: الكامل: أبو تمام: ٢٥١٥
شأنه: الكامل: الوزير المغربي: ١٠٩٧
شجون: مجزوء الكامل: الوزير المغربي: ١٠٩٩
المكان: مجزوء الكامل: القشيري: ١٥٧١
ملعون: السريع: الجماز: ٦٨
غصن: المنسرح: ابن حدار: ٧٩١
شيطان: السريع: شداد الجزري: ٩٨٨
عينه: السريع: الباخرزي: ١٦٨٤
ثمن: المنسرح: الخليل/ أبو عيينة: ١٢٦٦
أهونه: المنسرح: ابن بسام: ١٨٥٩
البنان: الخفيف:-: ١٢٤٠
خون: الخفيف: البلطي: ١٦٢١
وقرين: الخفيف: رشيد الرياحي: ٢٦٠٤
ألحن: المتقارب: الحسن بن أبي عباد: ٨٤١
معتوران: الطويل: ابن عبد ربه: ٤٦٥
هجان: الطويل:-: ٧٧٤

بحراني: البسيط: محمد بن عبد الله بن محمد المعري: ٢٩٨

زاني: البسيط: ابن علويه الأصبهاني: ٤٠٨

ريحان: البسيط: سعيد الوراق: ٤٢٦

فعدناني: البسيط: عمران بن حطان: ٨٠٢." (١)

"اللبس، السطور، الراي، الليف، اللبيس، الابرميس، الاتونس، اللباء، العميان، المناقير، القلميدس، الحلبوة، الرقاص، القريدس، الجبر، هو كباره، الصيح، المجزع، الدلينس، الأشبال، المساك الأبيض، الزقزوق، أم عبيد، السلور، أم الأسنان، الأبسارية، اللجاة.

وينسب إليها خلق كثير من أهل العلم، منهم:

محمد بن علي بن الحسين بن أحمد أبو بكر التنيسي المعروف بالنقاش، قال أبو القاسم الدمشقي: سمع بدمشق محمد بن حريم ومحمد بن عتاب الزفتي وأحمد بن عمير بن جوصا وحمامة بن محمد وسعيد ابن عبد العزيز والسلام بن معاذ التميمي ومحمد بن عبد الله مكحولا البيروتي وأبا عبد الرحمن السناني وأبا القاسم البغوي وزكرياء بن يحيى الساجي وأبا بكر الباغندي وأبا يعلى الموصلي وغيرهم، روى عنه الدارقطني وغيره، ومات سنة ٣٦٩ في شعبان، ومولده في رمضان سنة ٢٨٢ وأبو زكرياء يحيى بن أبي حسان التنيسي الشامي، أصله من دمشق سكن تنيس، يروي عن الليث بن سعد وعبد الله بن الحسن بن طلحة ابن إبراهيم بن محمد بن يحيى بن كامل أبو محمد البصري المعروف بابن النحاس من أهل تنيس قدم دمشق ومعه ابناه محمد وطلحة، وسمع الكثير من أبي بكر الخطيب، وكتب تصانيفه، وعبد العزيز الكناني وأبي الحسن بن أبي الحديد وغيرهم، ثم حدث بها وببيت المقدس عن جماعة كثيرة، فروى عنه الفقيه المقدسي وأبو محمد بن الأكفاني ووثقه وغيرهما، وكان مولده في سادس ذي القعدة سنة ٤٠٤، ومات بتنيس سنة ٤٦١ وقيل ٤٦٢.

تنيضبة:

تصغير تنضبة، بالضاد المعجمة، والباء الموحدة شجر يتخذ منه السهام: وهو ماء لبني سعيد بن قرط من أبي بكر بن كلاب قرب النير.

تنين:

بكسرتين وتشديد النون، وياء ساكنة، ونون أخرى: جبل التنين مشهور قرب جبل الجودي من أعمال الموصل.

تنينير:

تصغير تنور: اسم لبلدتين من نواحي الخابور، تنينير العليا وتنينير السفلى وهما على نهر الخابور، رأيت العليا غير مرة.

---

(١) معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب الحموي، ياقوت ٣٠٧٩/٧

باب التاء والواو وما يليهما

توارن:

بالضم، وضم الراء، وآخره نون: قرية في أجإ أحد جبلي طيء لبني شمر من بني زهير.

تؤام:

بالضم ثم فتح الهمزة، بوزن غلام: اسم قصبة عمان مما يلي الساحل، وصحار قصبتها مما يلي الجبل، ينسب إليها الدر قال سويد:

لا ألاقيها، وقلبي عندها، ... غير إلمام إذا الطرف هجع

كالتؤامية، إن باشرتها ... قرت العين وطاب المضطجع

وبها قرى كثيرة، والتؤام جمع توأم، جمع عزيز قال ابن السكيت: ولم يجيء شيء من الجمع على فعال إلا أحرف ذكر منها تؤام جمع توأم، وأصل ذلك من المرأة إذا ولدت اثنين في بطن، ويقال: هذا توأم هذا إذا كان مثله وقال نصر:

تؤام قرية بعمان بها منبر لبني سامة. وتؤام:

موضع باليمامة يشترك به عبد القيس والأزد وبنو حنيفة. وتؤام: موضع بالبحرين كذا في كتاب نصر، وما أظن الذي بالبحرين إلا هو الذي ينسب إليه اللؤلؤ لأن عمان لا لؤلؤ بها.." (١)

"وأنيابها وأحناك كأحناك الإبل، وعليهم من الشعر ما يواري أجسادهم، ولكل واحد أذنان عظيمتان إحداهما على ظاهرها وبر كثير وباطنها أجرد والأخرى باطنها وبر كثير وظاهرها أجرد يلتحف إحداهما ويفترش الأخرى، وليس منهم ذكر ولا أنثى إلا ويعرف أجله والوقت الذي يموت فيه، وذلك أنه لا يموت حتى يلد ألف ولد، وهم يرزقون التنين في أيام الربيع ويستمطرونه إذا أبطأ عنهم كما نستمطر المطر إذا انقطع فيقذفون في كل عام بواحد فيأكلونه عامهم كله إلى مثله من قابل فيكفيهم على كثرتهم، وهم يتداعون تداعي الحمام ويعوون عواء الكلاب ويتسافدون حيث ما التقوا تسافد البهائم، وفي رواية أن ذا القرنين إنما عمل السد بعد رجوعه عنهم فانصرف إلى ما بين الصدفين فقاس ما بينهما وهو منقطع أرض الترك مما يلي الشمس فوجد بعد ما بينهما مائة فرسخ فحفر له أساسا بلغ به الماء وجعل عرضه خمسين فرسخا وجعل حشوه الصخور وطينه النحاس المذاب يصب عليه، فصار عرقا من جبل تحت الأرض ثم علاه وشرفه بزبر الحديد والنحاس المذاب وجعل خلاله عرقا من نحاس أصفر فصار كأنه برد محبر من صفرة النحاس وسواد الحديد، فلما أحكمه انصرف راجعا، وأما ذكر التنين فرأينا منه بنواحي حلب ما ذكرته في ترجمة كلز وجعلته حجة على ما أورده ههنا من خبره وشجعني على كتابته، فإن الإنسان شديد التكذيب بخبر ما لم ير مثله، روي عن شداد بن أفلح المقري أنه قال: عدت عمر البكالي فذكرنا لون التنين فقال عمر البكالي: أتدرون كيف يكون التنين؟ قلنا: لا، قال: يكون في البر حية متمردة فتأكل حيات البر فلا تزال تأكلها وتأكل غيرها من الهوام وهي تعظم وتكبر ثم يزيد أمرها فتأكل جميع ما تراه من الحيوان فإذا عظم أمرها ضجت دواب البر منها فيرسل الله تعالى إليها ملكا فيحتملها حتى يلقيها في البحر فتفعل بدواب البحر مثل فعلها بدواب البر

---

(١) معجم البلدان الحموي، ياقوت ٢/٥٤

فتعظم ويزداد جسمها فتضج دواب البحر منها أيضا فيبعث الله إليها ملكا حتى يخرج رأسها من البحر فيتدلى إليها سحاب فيحتملها فيلقيها إلى يأجوج ومأجوج، وحدث المعلى بن هلال الكوفي قال: كنت بالمصيصة فسمعتهم يتحدثون أن البحر ربما مكث أياما وليالي تصطفق أمواجه ويسمع لها دوي شديد فيقولون ما هذا إلا بشيء آذى دواب البحر فهي تضج إلى الله تعالى، قال:

فتقبل سحابة حتى تغيب في البحر ثم تقبل أخرى حتى تعد سبع سحابات ثم ترتفع جميعا في السماء وقد حملن شيئا يرون أنه التنين حتى يغيب عنا ونحن ننظر إليه يضطرب فيها فربما وقع في البحر فتعود السحابة إلى البحر بالرعد الشديد الهائل والبرق العظيم حتى تغوص في البحر وتستخرجه ثانية فتحمله، فربما اجتاز وهو في السحاب وذنبه خارج عنها بالشجر العادي والبناء الشامخ فيضربه بذنبه فيهدم البناء من أصله ويقلع الشجر بعروقه، ولقد احتمله السحاب من بحر أنطاكية فضرب بذنبه بضعة عشر برجا من أبراج سورها فرمى بها، ويقال: إن السحاب الموكل به يختطفه حيثما رآه كما يختطف حجر المغناطيس الحديد، فهو لا يطلع رأسه من الماء خوفا من السحاب ولا يخرج إلا في الفرط إذا صحت الدنيا، وذكر بقراط الحكيم اليوناني في كتاب الثراء أنه كان في بعض السواحل فبلغه أن هناك قرى كثيرة قد فشا فيها الموت فقصدها ليعرف السبب في ذلك فلما فحص عن الأمر إذا هو بتنين قد احتمله السحاب من البحر فوقع على نحو عشرين فرسخا من هذه القرى فنتن." (١)

"أولئك معشري وهم خيالي، ... وجدي في كتيبتهم ومجدي

هم قتلوا عزيزا يوم لحج، ... وعلقمة بن سعد يوم نجد

نجران:

بالفتح ثم السكون، وآخره نون، والنجران في كلامهم: خشبة يدور عليها رتاج الباب، وأنشدوا:

وصيت الباب في النجران حتى ... تركت الباب ليس له صرير

وقال ابن الأعرابي: يقال لأنف الباب الرتاج ولد رونده النجاف والنجران ولمترسه المفتاح، قال ابن دريد: نجران الباب الخشبة التي يدور عليها، ونجران في عدة مواضع، منها: نجران في مخاليف اليمن من ناحية مكة، قالوا: سمي بنجران بن زيدان بن سبإ بن يشجب بن يعرب بن قحطان لأنه كان أول من عمرها ونزلها وهو المرعف وإنما صار إلى نجران لأنه رأى رؤيا فهالته فخرج رائدا حتى انتهى إلى واد فنزل به فسمي نجران به، كذا ذكره في كتاب الكلبي بخط صحيح زيدان بن سبإ، وفي كتاب غيره زيد، روى ذلك الزيادي عن الشرقي، وأما سبب دخول أهلها في دين النصرانية قال ابن إسحاق: حدثني المغيرة بن لبيد مولى الأخنس عن وهب بن منبه اليماني أنه حدثهم أن موقع ذلك الدين بنجران كان أن رجلا من بقايا أهل دين عيسى يقال له فيميون، بالفاء ويروى بالقاف، وكان رجلا صالحا مجتهدا في العبادة مجاب الدعوة وكان سائحا ينزل بالقرى فإذا عرف بقرية خرج منها إلى أخرى، وكان لا يأكل إلا من كسب يديه، وكان بناء يعمل في الطين، وكان يعظم الأحد

---

(١) معجم البلدان الحموي، ياقوت ١٩٨/٣

فلا يعمل فيه شيئا فيخرج إلى فلاة من الأرض فيصلي بها حتى يمسي، ففطن لشأنه رجل من أهل قرية بالشام كان يعمل فيها فيميون عمله، وكان ذلك الرجل اسمه صالح فأحبه صالح حبا شديدا فكان يتبعه حيث ذهب ولا يفطن له فيميون حتى خرج مرة في يوم الأحد إلى فلاة من الأرض كما كان يصنع وقد اتبعه صالح فجلس منه منظر العين مستخفيا منه، فقام فيميون يصلي فإذا قد أقبل نحوه تنين، وهو الحية العظيمة، فلما رآها فيميون دعا عليها فماتت ورآها صالح ولم يدر ما أصابها فخاف عليه فصرخ: يا فيميون التنين قد أقبل نحوك! فلم يلتفت إليه وأقبل على صلاته حتى فرغ منها فخرج إليه صالح وقال: يا فيميون يعلم الله أنني ما أحببت شيئا قط مثل حبك وقد أحببت صحبتك والكينونة معك حيث كنت، فقال: ما شئت، أمري كما ترى فإن علمت أنك تقوى عليه فنعم، فلزمه صالح، وقد كان أهل القرية يفطنون لشأنه، وكان إذا جاءه العبد وبه ضر دعا له فشفي، وكان إذا دعي لمنزل أحد لم يأته، وكان لرجل من أهل تلك القرية ولد ضرير فقال لفيميون: إن لي عملا فانطلق معي إلى منزلي، فانطلق معه فلما حصل في بيته رفع الرجل الثوب عن الصبي وقال له: يا فيميون عبد من عباد الله أصابه ما ترى فادع الله له! فدعا الله فقام الصبي ليس به بأس، فعرف فيميون أنه عرف فخرج من القرية واتبعه صالح حتى وطئا بعض أراضي العرب فعدوا عليهما فاختطفهما سيارة من العرب فخرجوا بهما حتى باعوهما بنجران، وكان أهل نجران يومئذ على دين العرب يعبدون نخلة لهم عظيمة بين أظهرهم لها عيد في كل سنة فإذا كان ذلك العيد علقوا عليها كل ثوب حسن وجدوه وحلي النساء، فخرجوا إليها يوما وعكفوا عليها يوما، فابتاع فيميون رجل من أشرافهم وابتاع صالحا آخر، فكان فيميون إذا قام بالليل في بيت له أسكنه إياه سيده استسرج له البيت نورا حتى يصبح." (١)

"٥١٤ – التنين

هو إبراهيم بن المهدي قال المرزباني لقب بذلك لأنه كان سمينا

٥١٥ – تنكل

هو الحسن بن محمد بن نور البلخي يروي عن حم بن نوح

٥١٦ – التوأم

هو عبد الله بن يحي أبو يعقوب

٥١٧ – التور بالمثناة هو الفضل بن زياد من طبقة أحمد

٥١٨ – تولان

عثمان بن موسى بن محمد أبو القاسم التاهكي

٥١٩ – تيار الفرات

هو عبيد الله ابن العباس بن عبد المطلب." (٢)

---

(١) معجم البلدان الحموي، ياقوت ٢٦٦/٥

(٢) نزهة الألباب في الألقاب ابن حجر العسقلاني ١٤٨/١

"٣١٣٦ - التيمي

سليمان بن طرخان نزل فيهم

٣١٣٧ - **التنيني**

منصور بن جعفر الكشميهني ذكره ابن السمعاني

- الثاء

-

٣١٣٨ - الثوري

الحسن بن محمد الصوفي أبو القاسم الزاهد نسب إلى مذهب أبي ثور

- الجيم

-

٣١٣٩ - الجرجسي

يزيد بن عبد ربه جاور كنيسة جرجس

٣١٤٠ - الجزري

محمد بن محمد بن حمدان التاجر الهمداني عن الحارث ابن أبي أسامة." (١)

"بكلام لا يفهم ويحاربون الدواب البحرية ولا فرق بين الرجال منهم والنساء إلا بالذكور والفروج لا غير ورجالهم لا لحى لهم ولباسهم ورق الشجر ومنها جزيرة حسران وهي أرض واسعة وفيها جبل عال في سفحه ناس سمر قصار ولهم لحى تبلغ ركبهم ووجوههم عراض ولهم آذان كبيرة وطعامهم وعيشهم مما تنبته الأرض هناك من الحشيش وموافق النبات مثل ما تأكله البهائم وعندهم نهر صغير عذب يجري من تحت الجبل وفيه جزيرة الغور وهي كبيرة الطول والعرض كثيرة الأعشاب والنبات وفيها أنهار وغدران وآجام تأوي إليها حمر وبقر لها قرون طوال جدا وفيه جزيرة المستشكين يذكر أنها جزيرة عامرة فيها جبال وأنهار وأشجار وثمار وزروع وعلى المدينة حصن عال وفيما يحكى من أمر هذه الجزيرة أنه كان فيها فيما سلف من قبل عهد الإسكندر تنين عظيم يبتلع كل من مر به من انسان أو ثور أو حمار أو ما أشبهها فيقال إن الإسكندر لما دخلها استغاث به أهلها وشكوا إليه أضرار **التنين** بهم وإنه قد أتلف مواشيهم وأبقارهم حتى أنهم جعلوا له ضريبة في كل يوم ثورين ينصبونهما بمقربة من موضعه فيخرج إليهما فيبتلعهما ثم يعود إلى موضعه وكذلك يأتي من الغد فيفعلون له ذلك فقال لهم الإسكندر يأتيكم هذا **التنين** من مكان واحد أو من أمكنة كثيرة قالوا من مكان واحد قال لهم أروني مكانه فانطلقوا به إلى قرب من موضعه ثم نصبوا له الثورين فأقبل **التنين** كالسحابة السوداء وعيناه تلمعان كالبرق والنار." (٢)

---

(١) نزهة الألباب في الألقاب ابن حجر العسقلاني ٢٨٦/٢

(٢) نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق الإدريسي ٢١٨/١

"تخرج من جوفه فابتلع الثورين وعاد إلى موضعه فأمرهم الإسكندر أن يجعلوا له في اليوم الثاني عجلين وفي اليوم الثالث مثل ذلك فاشتد جوعه فأمر الإسكندر عند ذلك بثورين عظيمين فسلخا وحشيت جلودهما زفتا وكبريتا وكلسا وزرنيخا وجعلهما في ذلك المكان المعلوم فخرج **التنين** إليهما على حسب عادته فابتلعهما ومضى فاضطرمت تلك الأشياء في جوفه فلما أحس باشتعالها وكان قد جعل في تلك الأخلاط كلاليب حديد فذهب ليتقيأ ذلك من جوفه فتشبكت الكلاليب في حلقه فخر واقعا وفتح فمه ليستروح فأمر عند ذلك الإسكندر فحميت قطع الحديد وحملت على ألواح حديد وقذفت في حلق **التنين** فاشتعلت الأخلاط في جوفه فمات ففرج الله بذلك من أهل تلك الجزيرة فشكروا الإسكندر عند ذلك والطفوه ووهبوه من طرائف ما عندهم وكان فيما حملوه إليه من طرائف ما عندهم دابة في خلق الأرنب يبرق شعره في صفرة كما يبرق الذهب يسمى بغراج وفي رأسه قرن واحد أسود إذا رأته الأسود وسباع الوحش والطير وكل دابة هربت عنه. وفي هذا البحر جزيرة قلهان فيها أمة مثل خلق الناس إلا أن رؤوسهم مثل رؤوس الدواب يغوصون في البحر ويخرجون ما قدروا عليه من دوابه فيأكلونها وفي هذا البحر أيضا جزيرة الاخوين الساحرين اللذين يسمى أحدهما شرهام والثاني شرام ويقال إنهما كانا بهذه الجزيرة يقطعان على المراكب التي تمر بها ويهلكان جميع أهلها ويأخذان أموالهم فمسخ الله بهما لظلمهما وبقيا حجرين." (١)

"قال: ففر أحدهم جزءا، ثم دخل الاثنان، فآل الأمر بهما إلى أن نظرا إلى حيات تصفر، وباب أعظم من الباب الأول وخلفه دوي عظيم وحنش هائل، وعلى ذلك الباب بالحميرية:

انظر لرجلك لا تزل فإنما ... حتم الحمام إلى الغرير يساق

يا ساكني جبلي شمام لعله ... يوفي بما عاهدتم الميثاق

قوموا إلى الإنسي قومة ثائر ... فلعله قد حان منه فراق

فولى الآخر هاربا، وتجاسر [الهميسع] حتى دخل الباب الثالث، فبرز تنني عظيم أحمر العينين فاتح فاه، فولى الهميسع هاربا فسكن حس **التنين**، فعلم أنه طلسم إذ لو كان حيوانا لتبعه، فرجع إليه، وصبر قلبه عليه، فقلع عينيه فإذا هما ياقوتتان لا قيمة لهما. ودخل البيت فإذا في وسطه سرير من ذهب، وعليه شيخ على رأسه تاج من ذهب معلق بسقف البيت مرصع بأصناف اليواقيت، وعلى رأسه لوح من ذهب فيه مكتوب: أنا شداد بن عاد، عشت خمسمائة عام، وافتضضت ألف بكر، وقتلت ألف مبارز، وركبت ألف جواد، [وهأنذا] حيث أنا. وتحت مكتوب:." (٢)

"بلى نحن كنا أهلها فأذا لنا ... صروف الليالي والجدود العواثر

فما فرج آت بما أنت خائف ... وما حذر ينجيك مما تحاذر

وكنا ولاة البيت من بعد نابت ... نطوف بهذا البيت والخير ظاهر

فأخرجنا منها المليك بقدرة ... كذاك بآمر الله تجري المقادر

---

(١) نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق الإدريسي ٢١٩/١

(٢) نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب ابن سعيد المغربي ص/١٠٥

قال إياد: ثم حرم علي أن أعود إلى الموضع بعدها. وامتد الحارث على ذلك السرير، وصاح صيحة ما ظننت إلا أن أهل مكة سمعوها، ثم مات. وهجم **التنين** فاستدار في وسط البيت على ما بقي من المال.

قال صاحب التيجان: وكان الشعر المكتوب على قبر الحارث بن مضاض:

يا لدمعي لفرقة الأحباب ... واعترافي من بعدهم واغترابي

أوطنوا الجزع جزع آل أبي مو ... سى إلى النخل بين سدر وغاب." (١)

"فإذا مرضت ... ولا مرضت فإنه مرض الرياح يطيب فيه نثاها

ولحين تعرفي هذا النبأ لم أطعم النوم هنيا، ولا اقتطفت الأمل جنيا، ولا زلت بتحقيق نبأ الإبلال معنيا، حتى ثبت سنده، واستقام أوده، وكثر من راويه عدده، فكتبت أهنئ نفسي بسلامة شقتها، ومظنة مقتها، وحفظ ثمالها، وحراسة رأس مالها، ولو تمثلت لي القوى الطبيعية في الخارج لعرفت حقدي، ورابها في سوء التصرف نقدي، أو نسى ... لعتبتها، أو النصبة المباركة لقررتها بنظري ورتبتها، لكن أحوال تشذ عن الاستطاعة، ولا تدين في غير سبيل البخت والاتفاق بالطاعة، فلنسأل الله خير ما لديه، ونثق به في حفظ ذلك الجلال ونتوكل عليه. وقد كنت تعرفت أن سيدي زاد عنده مولود مبارك، فبادرت بما يصله، فإن كان الخبر حقا، لم يكن مني إغفال، وإن كان منتظرا فهو فال والسلام.

هنيئا أبا الفضل الرضا أو أبا زيد ... وأمنت من بغي تخاف ومن كيد

بطالع يمن طال في السعد شأوه ... فما هو من عمرو الرجال ولا زيد

وقيد بشكر الله أنعمه التي ... أوابدها تأبى سوى الشكر من قيد

أهلا بدري المكاتب، وصدري المراتب، وعتبي الزمان العاتب، وبكر المشتري والكاتب، ومرحبا بالطالع، في أسعد المطالع، والثاقب في أحلى المراقب، وسهلا بغني البشير، وعزة الأهل والعشير، وتاج المفخر الذي يقصر عنه تاج كسرى وأردشير. الآن اعتضدت الحلة الحضرمية بالفارس، وأمن السارح في حمى الحارس، وسعدت بالنير الكبير أفلاك التدوير من حلقات المدارس، وقرت بالجني الكريم عين الغارس واحتقرت أنظار الآبلي وأبحاث ابن الدارس، وقيل للمشكلات: طالما ألفت الخمرة وأمضيت على الأذهان الإمرة، فتأهبي للغارة المبيحة لحماك، وتحيزي إلى فئة البطل المستأثر برشف لماك. ولله من نصبة احتفى فيها المشتري واحتفل، وكفى القمر سني تربيتها وكفل، واختال عطارد في حلل الجذل لها ورفل، واتضحت الحدود وتهللت الوجوه، وتنافست المثلثات تؤمل الحظ وترجوه، ونبه البيت على واجبه، وأشار لحظ الشرف بحاجبه، وأسرع نير النوبة في الأوبة، قائما في الاعتذار مقام التوبة، واستأثر بالبروج المولدة بيت البنين، وتخطت خطا القمر رأس الجوزهر وذنب **التنين**، وساوق منها حكم الأصل حذوك النعل بالنعل تحويل السنين، وحقق هذا المولود بين المواليد نسبة عمر الوالد، فتجاوز درجة المئين، واقترن بعاشره السعدان اقتران الجسد، وثبت بدقيقة مركزة قلب الأسد، وسرق من بيت أعدائه خرثي الغل والحسد، ونظفت طرق التسيير، كما يفعل بين يدي السادة عند المسير، وسقط الشيخ الهرم من الدرج في البير، ودفع المقاتل إلى وبال كبير.

---

(١) نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب ابن سعيد المغربي ص/٢٩٦

لم لا تنال العلى أو يعقد التاج ... والمشتري طالع والشمس هيلاج
والسعد يركض في ميدانه مرحا ... جذلان والفلك الدوار هملاج." (١)

"لقتال كيكاوس، فلقي عسكر كيكاوس عند منبج واشتد القتال بينهم وانهزم عسكر كيكاوس وشتت شملهم. وسار الملك الأشرف إلى قلعة تل باشر واستردها وأرسلت عساكر كيكاوس إلى حلب أسرى ودقت البشائر. وفي سنة ٦١٦ كان الملك الأشرف بظاهر حلب يدبر أمرها ويرتب جنودها وإقطاعاتها.

وفي سنة ٦١٩ فوض طغريل مدير المملكة الحلبية أمر الشغر وبكاس إلى الملك الصالح أحمد بن الملك الظاهر بن صلاح الدين، فسار الملك الصالح إليهما وملكهما وأضاف إليه الروج والمعرة ومصرين. وفي هذه السنة استفاض بحلب نبأ عظيم جدير أن يعد من الأقاصيص الخرافية، حكاه ياقوت في كتابه معجم البلدان في الكلام على كلز. خلاصته:

أن أهل تلك الناحية شاهدوا هناك تنينا «١» عظيما كالمنارة أسود اللون، ينساب على الأرض والنار تخرج من فيه ودبره، فأحرق عدة مزارع ونحو أربعمائة شجرة لوز وزيتون وبيوت وخركاهات «٢» للتركمان. ومر كذلك نحو عشرة فراسخ ثم ظهرت سحابة رفعته حتى غاب عن العيون وقد لف بذنبه كلبا ينبح.

قلت: لعل **التنين** هشيم «٣» ممتد على مسافة طويلة اشتعل ورآه الناس على بعد فحسبوه تنينا، فإن اشتعال الكلأ اليابس كثير الوقوع، فقد حدث في سنة ١٢٩٨ وأنا في مدينة «ويران شهر» اشتعال هشيم في صحراء الخابور استمر عدة أيام.

وفي سنة ٦٢٠ وصل الملك الأشرف من مصر ومعه خلعة وسنجق سلطاني من أخيه الملك الكامل لابن أخيه الملك العزيز بن الملك الظاهر صاحب حلب، وعمره يومئذ عشر سنين. فخلع على الملك العزيز وأركبه في الدست. وفيها اتفق كبراء الدولة الحلبية مع الملك الأشرف على تخريب قلعة اللاذقية فأرسلوا عسكرا هدمها. وفي سنة ٦٢٤ انتزع طغريل الشغر وبكاس من الملك الصالح وعوضه عنهما عينتاب والراوندان. وفيها ظفر جمع من التركمان بأطراف أعمال حلب بفارس مشهور من الفرنج الداوية بأنطاكية فقتلوه فعلم الداوية بذلك فساروا وكبسوا التركمان وقتلوا منهم وأسروا وغنموا من أموالهم. فبلغ ذلك." (٢)

"اتخاذ حمام الزاجل ٨٥

ملك صلاح الدين يوسف بن أيوب دمشق وغيرها. فيه خبر قصده حلب، انتصار الملك الصالح بأهل حلب والشيعة، وثوب الباطنية على صلاح الدين، وإغارة «القمص» على حمص ٨٧

ملك صلاح الدين بزاعة وعزاز، ووثوب الإسماعيلي عليه ومنازلته حلب ورحيله عنها. محاصرة الفرنج حارم. وفاة الملك الصالح. ملك عز الدين زنكي حلب واستبدالها بسنجار ٨٩

استيلاء السلطان صلاح الدين على حلب، وتقدمة صلاح الدين لعماد الدين، وخلعه على الناس ٩٠

فتح صلاح الدين حارم. وفيه خبر جعل صلاح الدين ولده الملك الظاهر في حلب، ثم الملك العادل، ثم إعادتها لولده ٩١

---

(١) نفاضة الجراب في علالة الاغتراب لسان الدين بن الخطيب ص/٣٢

(٢) نهر الذهب فى تاريخ حلب كامِل الغَزّي ٩٨/٣

استيلاء صلاح الدين على بيت المقدس، وأخذه من حلب منبرا للمسجد الأقصى ٩٢

استيلاء الملك الظاهر على سرمينية من الفرنج، واستيلاء أبيه على دربساك، وغير ذلك ٩٢

وفاة صلاح الدين، وولايات البلاد بعده. وفيه خبر محاصرة الملك الأفضل والملك الظاهر دمشق ثم انصرافهما عنها وغير ذلك إلى سنة ٦٠٠ هـ ٩٤

قصد ابن لاوون الأرمني أنطاكية وغير ذلك ٩٦

مجيء الملك الأشرف إلى حلب. وفيه خبر تقدمة الملك الظاهر له. تصليح قناة حلب.

تزوج الملك الظاهر ضيفة خاتون. وفاة الملك الظاهر وقيام طغريل الطواشي أتابكا على ولده الصغير. قصد كيكاوس ولاية حلب وانهزام عساكره. تفويض الشغر وبكاس إلى ابن الملك الظاهر. خبر التنين في جهات كلز. خلعة الملك الأشرف على الملك العزيز ابن أخيه، ظفر التركمان بفارس مشهور من الفرنج وقتله. وفيه غير ذلك من الحوادث والشؤون إلى سنة ٦٣٨ هـ ٩٦

إجمال في الأتراك ١٠١." (١)

"٩ - (١)

إبراهيم بن المهدي

أبو إسحاق إبراهيم بن المهدي بن المنصور أبي جعفر بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب الهاشمي، أخو هارون الرشيد؛ كانت له اليد الطولى في الغناء والضرب بالملاهي وحسن المنادمة، وكان أسود اللون لأن أمه كانت جارية سوداء، واسمها شكلة - بفتح الشين المعجمة وكسرها، وسكون الكاف، وبعد اللام هاء - وكان مع سواده عظيم الجثة، ولهذا قيل له التنين، وكان وافر الفضل (٢) ، غزير الأدب، واسع النفس، سخي الكف، ولم ير في أولاد الخلفاء قبله أفصح منه لسانا، ولا أحسن منه شعرا، بويع له بالخلافة ببغداد (٣) بعد المائتين (٤) والمأمون يومئذ بخراسان، وقصته مشهورة، وأقام خليفة بها مقدار سنتين، وذكر الطبري في تاريخه أن أيام إبراهيم بن المهدي كانت سنة واحد عشر شهرا واثني عشر يوما.

وكان سبب خلع المأمون وبيعة إبراهيم بن المهدي أن المأمون لما كان بخراسان جعل ولي عهده علي بن موسى الرضا الآتي ذكره في حرف العين إن شاء الله تعالى، فشق ذلك على العباسيين ببغداد خوفا من انتقال الأمر عنهم إلى العلويين فبايعوا إبراهيم بن المهدي المذكور، وهوعم المأمون، ولقبوه المبارك. وقيل سموه المرضي، وكانت مبايعته يوم الثلاثاء لخمس بقين من ذي الحجة سنة إحدى ومائتين ببغداد، بايعه العباسيون في الباطن ثم بايعه أهل بغداد في أول يوم من المحرم سنة اثنتين ومائتين، وخلعوا المأمون، فلما كان يوم الجمعة

---

(١) أخباره في كتب التاريخ، انظر مثلا الطبري (حوادث ٢٠١) والأغاني ١٠: ٧٢ والورقة: ١٩ وأشعار أولاد الخلفاء:

---

(١) نهر الذهب في تاريخ حلب كامِل الغَزّي ٣/٦١٥

١٧ - ٤٩.

(٢) د: العقل.

(٣) ج د: سنة ٢٠٢.

(٤) أج هـ: بعد الأمين.." [1]

(١) وفيات الأعيان ابن خلكان ٣٩/١